

خَاتَمُ الْكُتُبِ الْمُنِيرَةِ

کتابخانه

کون ال خیر

تأليف

أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيَّ

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

كتاب السلطان - كتاب الحرب - كتاب السؤدد

فَقَدْ تَنَزَّلَ إِلَيْهِ الْكَلْبُ الْمَيِّتُ بِأَلْفِ

1997

دار الكتب المصرية

كتاب

عبد الملك بن عبد العزيز

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

كتاب السلطان — كتاب الحرب — كتاب السؤدد

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٩٦

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، ٢١٣ هـ - ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩.
كتاب عيون الأخبار / تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن
قتيبة الدينوري . - ط ٢ . - القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية،
١٩٩٦.

٤ مج : ٢٧ سم.

يشتمل على إرجاعات بيليوغرافية

المحتويات: ج١. كتاب السلطان - كتاب الحرب - كتاب السؤدد . -
ج٢. كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة - كتاب العلم والبيان - كتاب
الزهد. - ج٣. كتاب الاخوان - كتاب الحوائج - كتاب الطعام . -
ج٤. كتاب النساء - الفهارس.

١ تدمك ٩ - ٠٠٣٢ - ١٨ - ٩٧٧ (ج١ ، ٢)

- ٠٠٢٨ - ١٨ - ٩٧٧ (ج٣ ، ٤)

فهرست

المجلد الأول من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

صفحة
(ط) مقسمة الكتاب

الجزء الأول — كتاب السلطان

١	محل السلطان وسيرته وسياسته
١٤	اختيار العمال
١٩	باب صحة السلطان وأدائها وتغير السلطان وتلاوته
٢٧	المسورة والرأي
٣٤	الإصابة بالظن والرأي
٣٧	اتباع الهوى
٣٨	السروكتانه وإعلانه
٤٢	الكتاب والكتابة
٥٢	خيانة العمال
٦٠	التضاء

صفحة	
٦٨	في الشهادات
٧٢	باب الأحكام
٧٤	الظلم
٧٩	قولهم في الحبس
٨٢	المحجاف
٩٢	التلطف في مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة إليه
٩٢	الخفوت في طاعته
٩٣	التلطف في مدحه
٩٨	التلطف في مسألة العفو

الجزء الثاني - كتاب الحرب

١٠٧	آداب الحرب ومكايدها
١٢٢	الأوقات التي تُختار للسفر والحرب
١٢٣	الدعاء عند اللقاء
١٢٤	الصبر وحصن النفس يوم اللقاء عليه
١٢٧	ذكر الحرب
١٢٨	في العدة والسلاح
١٣٢	آداب الفروسة
١٣٤	المسير في الغزو والسفر

١٤٢	التفويض
١٤٤	في الطيرة والنفال
١٥١	مذاهب العجم في العياقة والاستدلال بها
١٥٣	باب في الخيل
١٦٠	باب البغال والحير
١٦١	باب في الإبل
١٦٣	أخبار الجبناء
١٧٢	باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم
١٩٤	باب الخيل في الحروب وغيرها
٢٠٤	باب من أخبار الدولة والمنصور والطلبيين
٢١٣	ذكر الأمصار

الجزء الثالث - كتاب السؤدد

٢٢٣	مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء
٢٢٧	الكمال والتناهي في السؤدد
٢٢٩	السيادة والكمال في الحداثة
٢٣١	الهمة والخطار بالنفس
٢٣٩	الشرف والسؤدد بالمال ودم الفقر والحض على الكسب
٢٤٦	دم الغنى ومدح الفقر

صفحة	
٢٤٩	التجارة والبيع والشراء
٢٥٤	الدين
٢٥٨	اختلاف الهمم والشهوات والأمانى
٢٦٤	التواضع
٢٦٩	باب الكبير والعجب
٢٧٥	باب مدح الرجل نفسه وغيره
٢٧٦	قول الممدوح عند المدحة
٢٧٨	باب الحياء
٢٧٩	باب العقل
٢٨٢	باب الحلم والغضب
٢٩١	باب العز والنل والهيبة
٢٩٥	باب المروءة
٢٩٦	باب اللباس
٣٠٢	التختم
٣٠٣	باب الطيب
٣٠٥	باب المجالس والجلساء والمجادلة
٣٠٩	باب الثقلاء
٣١١	باب البناء والمنازل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رضى الله عنه : الحمد لله الذى يُعْجِزُ بِلَاؤُهُ صَفَةَ الْوَاصِفِينَ وَتَفُوتُ آلاؤُهُ عِدَدَ الْعَادِينَ وَتُسَعِ رَحْمَتُهُ ذُنُوبَ الْمُسْرِفِينَ ، وَأَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِى لَا تُحْجَبُ عَنْهُ دَعْوَةٌ وَلَا تُحِيبُ لَدَيْهِ طَلِبَةٌ وَلَا يَضِلُّ عَنْهُ سَعْيٌ ، الَّذِى رَضِىَ عَنْ عَظِيمِ النِّعَمِ بِقَلِيلِ الشُّكْرِ وَغَفَرَ بِعَقْدِ النَّدَمِ كَبِيرَ الذُّنُوبِ وَمَحَا بِتَوْبَةِ السَّاعَةِ خَطَايَا السِّنِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى آتَيْتُ فِينَا الْبَشِيرَ النَّذِيرَ السَّرَاحَ الْمُنِيرَ هَادِيًا إِلَى رِضَاهِ وَدَاعِيًا إِلَى مُحَابَّتِهِ وَدَالًا عَلَى سَبِيلِ جَنَّتِهِ فَفَتَحَ لَنَا بَابَ رَحْمَتِهِ وَأَغْلَقَ عَنَّا بَابَ سَخَطِهِ . صَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَبَدًا مَا طَمَحَ بِحَرْ وَذَرَّ شَارِقٍ وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ .

أما بعد فإن لله فى كل نعمة أنعم بها حقاً وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذله ، وزكاة العلم نشره ، وخير العلوم أنفعها ، وأنفعها أحدها مغبة ، وأحدها مغبة ما تعلم وعلم الله وأريد به وجه الله تعالى . ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونفيد مرئيين ولحسن بلائه عندنا عارفين وبشكره آتاء الليل والنهار عارفين إنه أقرب المدعوين وأجود المسئولين .

وإني كنت تكلفت لمُغْفِلِ التَّأْدِبِ مِنَ الْكُتُبِ كِتَابًا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تَبَيَّنَتْ شُمُولُ النِّقْصِ وَدُرُوسُ الْعِلْمِ وَشُغْلُ السُّلْطَانِ عَنْ إِقَامَةِ سُوقِ الْأَدَبِ

حتى عفا ودرّس ، بلغتْ به فيه همّة النفس وتلّج الفؤاد وقيدتْ عليه به ما أطرفنى الآله^(١)
ليوم الإدالة ، وشرطتْ عليه مع تعلم ذلك تحفّظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف
سطوره ممثلاً إذا كاتب ، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن^(٢)
إذا حاور . ولما تقلدت له القيام ببعض آله دعيتُ المهمة الى كفايته وخشيت
إن وكنّته فيما بقى الى نفسه وعولتْ له على اختياره أن تستمرّ مريّته على التهاون
ويستوطئ مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأول ،
أو يزاول ذلك بضعف من النية وكلال من الحد فيلحقه خور الطباع وسامة الكلفة .
فأكلتْ له ما ابتدأت وشيئت ما أسست وعملتْ له في ذلك عمل من طَبَّ لمن
حَبَّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بما جل الشكر وعوّات على الله
في الجزاء والأجر .

فان هذا الكتاب ، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال
والحرام ، دالٌّ على معالى الأمور مرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناهٍ عن القبيح
باعت على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض وليس الطريق
الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل وسرّد الصيام وعلم الحلال والحرام ،
بل الطرق اليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصالح الدين بصالح الزمان ، وصالح
الزمان بصالح السلطان ، وصالح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير .
وهذه عيون الأخبار نظمتمْها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسان
الناس ومسوسهم مؤدبا وللملوك مستراحا [من كذا أخذ والتعب]^(٣) وصنفتها أبوابا وقرنت
الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها

(١) في النسخة الألمانية : « ما أطل من الآلة ليوم الإدالة »

(٢) في النسخة المتوغرافية : « النظر » . (٣) زيادة في النسخة الألمانية

- وعلى الناشد طلبها ، وهى آفاح عقول العلماء وتَنَاجُ^(١) أفكار الحكماء وزبدة المتخض
وَحِلْيَةُ الأدب وأثمار طول النظر والمتخير من كلام البلغاء وَفِطْنُ الشعراء وسير الملوك
وآثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها
وتقومها بثقافتها وتخلصها من مساوى الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها ،
وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمه وأدب كريم وخلق عظيم ،
وتصل بها كلامك إذا حاورت وبلاغتك إذا كتبت ، وتستنجح بها حاجتك إذا
سألت ، وتتلفف فى القول إن شفعت ، وتخرج من اللوم بأحسن العذر إذا اعتذرت ،
فإن الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال ، وتستعمل آدابها فى صحبة سلطانك
وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدير حروبه ، وتعمر بها مجلسك إذا جددت
وأهزمت وتوضح بأمثالها حججك وتبذ باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق فى أحسن
صورة وتبلغ الإرادة بأخف مئونة ، وتستولى على الأمد وأنت وادع [وتلحق الطريدة^(٢)
ثانيا من عنائك وتمشى رويدا وتكون أولا] هذا إذا كانت الغريزة مؤاتية والطبيعة
قابلة والحس متقادا ، فإن لم يكن كذلك ففى هذا الكتاب ، لمن أراه عقله نقص
نفسه فأحسن سياستها وستر بالأناة والروية عيوبها ووضع من دواء هذا الكتاب على
داء غريزته وسقاها بمائه وقدر فيها بضيائه ، ما نعش منها العليل وشخذ الكلل
وبعث الوسنان وأيقظ الهاجع حتى يقارب بعون الله رتب المطبوعين .

- ولم أر صوابا أن يكون كتابى هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على
خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوقيتهم ، فوقيت كل فريق منهم
قسمه ووفرت عليه سهمه وأودعته طرفا من محاسن كلام الزهاد فى الدنيا وذكر
بخائنها والزوال والانتقال وما يتلاقون به إذا اجتمعوا ويتكاتبون به إذا أفرقوا ،

(١) فى النسخة الفترغرافية : « وتناجى » . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادفاً ،
ويأطر على التوبة متجانفاً ، ويردع ظالماً ويلين برقائقه قسوة القلوب . ولم أخله مع
ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة معجبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن
الكتاب مذهب سلكه السالكون وعروض أخذ فيها القائلون ، ولأروح بذلك عن
القارئ من كد الجدة وإتاعاب الحق فإن الأذن بحاجة وللنفس حمضة^(١) ، والمزح إذا كان
حقاً أو مقارباً ولا حايده وأوقاته وأسباب أوجبه^(٢) [مشاكلاً] ليس من القبيح ولا
من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصغائر إن شاء الله .

وسيتهي بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة
فيها . فإذا مر بك أيها المترجم حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك
له فأعرف المذهب فيه وما أردنا به .

وأعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتنسكك فإن غيرك ممن يترخص فيما تشددت
فيه محتاج اليه ، وإن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فهيئاً على ظاهر محبتك .
ونووقع فيه آوئ المترجمين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا
أن يقبل اليه معك .

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المسائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف
شهوات الآكلين ، وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف
فاحشة فلا يملئك الخشوع أو التخاشع على أن تصعّر خدك وتعرض بوجهك فإن
أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المآثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل
لحوم الناس بالغيب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ تَعَزَّى بَعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ

فَأَعْضُوهُ بَيْنَ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لبديل بن ورقاء،
— حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء لو قد مَسَّهم حُرُّ السلاح لأساموك —
«أَعْضُضْ بَيِّنْظِرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نُسَلِّمُهُ!» . وقال علي بن أبي طالب صلوات
الله عليه: «مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطِقُ بِهِ» . وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه

فلو شاء ربِّي كَانِ أَيْرُ أَبِيكُمْ * طويلاً كأير الحارث بن سدوس

- قال الأصمعي: كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكراً، وقيل للشَّعْبِي: إن
هذا لا يحىء في القياس، فقال: أَيْرُ في القياس، الولد ذَكَرٌ . وليس هذا من شكل
ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأن ذلك تعبير وأَبْتَهَارٌ في الأخوات والأُمَهَاتِ وقَدْفٌ
للحَصَنَاتِ الغافلات، فتفهم الأمرين وأفرق بين الجنسَيْنِ، ولم أترخص لك في إرسال
اللسان بِالرَّفَثِ على أن تجعله هَجِيرًا كَ على كل حال وديدتك في كل مقال، بل الترخص
مَنَى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها، تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها
التعريض، وأحببت أن تجرى في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال
النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع، ولا تستشعر أن القوم قارفوا
وتنزهت وتلهموا أديانهم وتورعت . وكذلك اللحن إن مررت بك في حديث من النوادر
فلا يذهبن عليك أنا تعمدهنا وأردنا منك أن تتعمده لأن الإعراب ربما سلب بعض
الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسأمثل لك مثالا: قيل لمزيد المديني — وقد
أكل طعاما كظَه: — في فقال: ما أقي، أقي نقا ولحم جدى! مرتى طالق لو وجدت

(١) كذا بالأصل ولسان العرب معزوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وورد في مجمع الأمثال للبيداني

«مَنْ يَطْلُ هُنَّ أَبِيهِ يَنْتَطِقُ بِهِ» . (٢) في النسخة الألمانية «ودينك» .

(٣) ورد في النسخة المطبوعة بألمانيا هكذا (لمزيد) وكذلك ورد في الأغاني ج ١٣ ص ١١٧ من
غير ضبط وورد في كتاب البخلاء للجاحظ المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مزيد) . وورد في الأصل
الفتوغرافي الذي بين أيدينا هكذا (لازيد) . وفي تاج العروس في مادة (زيد) : ومزيد كحدث اسم رجل
صاحب النوادر وضبط كمعظم ووجد بخط الذهبي ساكن الزاى مكسور الموحدة .

هذا قياً لأكلته ، ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وقيت بالإعراب والهمز حقوقها
لذهبت ظلالوتها ولاستبشعها سامعها وكان أحسن أحوالها أن يكافئ لطف معناها
ثقل ألفاظها فيكون مثل المخبر عنها ما قال الأول

اضرب ندى طلحة الخيرات إن فخرنا * بيجل أشعث واستثبت وكن حكا
تخرج خراعة من لؤم ومن كرم * فلا تعد لها لؤما ولا كرمًا
ولمثل هذا قال مالك بن أسماء في جارية له

أُعطى منى على بصرى للشحب أم أنت أكل الناس حسنا
وحديث الله هو ممّا * يشتهى الناعتون يوزن وزنا
منطق بارع وتلحن أحيا * نا وأحلى الحديث ما كان لحنا^(١)

وإن مرة بك خبر أو شعر يتضع عن قدر الكتاب وما بُنى عليه فاعلم أن لذلك
سببين : أحدهما قلة ما جاء في ذلك المعنى مع الحاجة إليه ، والسبب الآخر أن
الحسن إذا وُصل بمثله نقص نوراهما ولم يتبين فاضل بمفضول . وإذا وُصل بما هو
دونه أراك نقصان أحدهما من الآخر الرجحان ، ومدار الأمر وقوامه على واحدة
تحتاج إلى أن تأخذ نفسك بها وهي أن تُحضر الكلمة موضعها وتصلها بسببها
ولا ترى غيباً أن يتكلم الناس وأنت ممسك ، فإذا رأيت حالاً تشا كل ما حضر
من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها التهمتها ، وكان يقال : انتهزوا فرص القول فإن
للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ، وقالوا : رب كلمة تقول : دعني .

(١) قال أبو بكر بن دريد : يريد أنها تُعوص في حديثها فتزيله عن جهته لتلا يفهمه الحاضرون ، ثم قال
« وخير الحديث ما كان لحنا » أي خير الحديث ما فهمه صاحبك الذي تحب إفهامه وحده وخفى على غيره اد
نقلا عن أمالي القالي . وقيل تلحن أحيانا أي تخطئ في الإعراب ، وذلك أنه يستملح من الجوارى ذلك إذا
كان خفيفا ويستثقل منه لزوم حاق الإعراب ، وهذا المعنى الأخير أورده صاحب اللسان وسباق الكلام
يألف معه . ولعله عني بالحن في المصراع الأول الخطأ في الإعراب وبالحن في المصراع الثاني المعنى الذي
ذهب إليه ابن دريد أو اللحن بمعنى التوقيع . (٢) في النسخة الفتوغرافية : « نوارهما » .

وإن وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشبعًا فلا تقض علينا بالإغفال حتى تتصفح الكتب كلها، فانه ربّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه . كاللطف في القول يقع في كتاب السلطان ويقع في كتاب الخوائج ويقع في باب البيان، وكالاعتذار يقع في كتاب السلطان وفي كتاب الاخوان، وكالبخل يقع في كتاب الطبائع وفي كتاب الطعام، وكالكبر والمشيب يقع في كتاب الزهد ويقع في كتاب النساء .

واعلم أنا لم نزل نتلّطّ هذه الأحاديث في الحداثة والاكتهاال عمن هو فوقنا في السن والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم وعمن هو دوننا غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنّا لحداثته ولا عن الصغير قدرنا لحسامته ولا عن الأمة الوكّعاء لجهلها فضلاً عن غيرها ، فان العلم ضالّة المؤمن من حيث أخذه نفعه ، ولن يزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تستنبط من الكاشحين ، ولا تضرير الحسنة أظارها ولا بنات الأصداف أصداؤها ولا الذهب الإبريز مخرجه من بكّا ، ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع الفرصة ، والفرص تمر مرة السحاب .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن سليمان بن معاذ عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه ، فانه قد يقول الحكمة غير الحكيم وتكون الرمية من غير الرامي » . وهذا يكون في مثل كتابنا لأنه في آداب ومحاسن أقوام ومقايح أقوام والحسن لا يلتبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان . فاما علم الدين والحلال والحرام فانما هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

إلا عمن تراه لك حجة ولا تقدح في صدرك منه الشكوك، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخير اللفظ لطيف المعنى لم يُزِرْ به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدّمه فكل قديم حديث في عصره وكل شرف فأقوله خارجيه^(*)، ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبدول وحب الممنوع وتعظيم المتقدم وغفران زلته وبخس التأخر والتجنى عليه، والعامل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم .

وإني حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة، كل كتاب منها مفرد على حدته، كتاب الشراب، وكتاب المعارف، وكتاب الشعر، وكتاب تأويل الرؤيا .

فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعمّا يحتاج صاحبه إلى استعماله من الآداب في صحبته وفي مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به في اختيار عمّاله وقضاياه وحجابه وكتّابه وعلى الحكام أن يمتثلوه في أحكامهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثاني "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشا كل لكتاب السلطان فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش

(*) في اللسان «الخارجي الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم» .

وعن العدد والسلاح والكراع وما جاء في السفر والمسير والطيرة والفأل وما يؤمر به الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجبناء والشجعاء وحيل الحرب وغيرها وشيء من أخبار الدولة والطلبيين وأخبار الأمصار وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثالث "كتاب السؤدد" وفيه الأخبار عن مخايل السؤدد في الحدث وأسبابه في الكبر وعن المهمة السامية والخطار بالنفس لطلب المعالي واختلاف الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمزاح وترك التصنع والتوسط في الأشياء وما يكره من الغلو والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء والمداينة والشريف من أفعال الأشراف والسادة وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الرابع "كتاب الطبائع والأخلاق" وهذا الكتاب مقارب لكتاب السؤدد فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع وذمهم وعن مساوى الأخلاق من الحسد والغيبة والسعاية والكذب والقحة وسوء الخلق وسوء الجوار والسباب والبخل والحقق ونوادر الحمق وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطيور والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الخامس "كتاب العلم" وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والأثر والكلام في الدين ووصايا المؤدبين والبيان والبلاغة

والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتمجد والموت والكبر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالقة الناس وحسن محاورتهم والتلاقي والزيارة والمعانقة والوداع والتهادي والعيادة والتعازي والتهاني وذكر شرار الإخوان وذكر القربات والولد والاعتذار وعيب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الخوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الخوائج بالكتان والصبر والحد والهديّة والرشوة ولطيف الكلام ومن يعتمد في الحاجة ومن يستسعى لها والإجابة إلى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتجزؤها وأحوال المسؤولين عند السؤال في الطلاقة والعبوس والعادة من المعروف تقطع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب في قضاء الخوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحلواء
والسويق واللبن والتمر والخبائث منها التي يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب
الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأكلة والمنهيين والدعاء إلى المآدب والضيافة
وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحمية وشرب الدواء
ومضار الأطعمة ومنافعها ومصالحها ونُتِف من طب العرب والعجم وما جاء في ذلك
من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب
تدعو الأكل والنكاح الأطيبين فتقول: قد ذهب منه الأطيبان . تريدهما، فضممت
إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهن وخلقهن
وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقبح
والدمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمهور وخطب النكاح ووصايا الأولياء
عند الهداء وسياسة النساء ومعاشرتهن والدخول بهن والجماع والولادات ومساويهن
خلا أخبار عشاق العرب فأنى رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أُودع هذا الكتاب
منها إلا شيئا يسيرا، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك
الأخبار .

١٥

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب
التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعتها ولتقصدا فيما تريد حين
تريد إلى موضعه فتستخرجه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فإن هذه الأخبار
والأشعار وإن كانت عيونا مختارة أكثر من أن يحاط بها أو يُوقف من وراءها
أو تنتهى حتى يُنتهى عنها .

٢٠

وقد خففتُ وإن كنتُ أكثرُ ، وأختصرتُ وإن كنتُ أطلتُ ، وتوقَّيتُ
في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقَّاه مَنْ رضى من الغنيمة فيها بالسلامة ومنْ بُعد
الشُّقة بالإياب ، ولم أجد بُدًّا من مقدار ما أودعته الكتابُ منها لتتمَّ به الأبوابُ ،
ونحنُ نسالُ الله أنْ يحوِّب بعضَ بعضا ويغفرَ بخيرِ شرًّا ويَجِدَّ هزلًا ثم يعودَ علينا بعد
ذلك بفضله ويتغنمنا بعفوه ويعيدنا بعد طول الأمل فيه وحسن الظنِّ به والرجاء له
من الخيبة والحُزْمَانِ .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدثنا محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثنا سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ عَنْ أَبِي ذَيْبٍ عَنْ
الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "سَتَحْرِصُونَ عَلَى
الإِمَارَةِ ثُمَّ تَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنَعَمَتِ الْمُرْضِعَةُ وَبُئْسَتِ الْفَاطِمَةُ" .^٥

حدثني محمد بن زياد الزبّادي قال حدثنا عبد العزيز الداروردي قال حدثنا شريك
عن عطاء بن يسار أن رجلاً قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيءُ الإمارةُ .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيءُ الإمارة لمن أخذها بحَقِّها وحِلِّها" .

حدثني زيد بن أنحزم الطائي قال حدثنا ابن قُتَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْمُنْهَالِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ
ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا مَاتَ كَسْرَى قِيلَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ : « مِنْ اسْتَخْلَفُوا ؟ » فَقَالُوا : آبَتَهُ بُورَانُ ، قَالَ : "لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ
إِلَى أَمْرَأَةٍ" .^{١٠}

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت أبا
يُحْدِثُ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ زَمَنَ الْحَرَّةِ فَقَالَ : مَنْ اسْتَعْمَلَ
الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : عَلِيٌّ قَرِيشَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ ، وَعَلِيٌّ الْأَنْصَارَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّاهِبِ
فَقَالَ : أَمِيرَانِ ! هَلَكَ وَاللَّهِ الْقَوْمُ .^{١٥}

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية : أبو قتيبة ، وليس عندنا ما يرجح أحدهما
لوجودهما معا في كتب الأنساب .

حدثنا محمد بن عُبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام ابن حسان قال كان الحسن يقول : « أربعة من الاسلام إلى السلطان الحكم والقيء والجمعة والجهاد » . وحدثني محمد قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة قال قال كعب : « مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد ، فالفسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس ، لا يصلح بعضه إلا ببعض » .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك : « السلطان سوق فما نفع عنده أتي به » . وقرأت في كتاب لابن المقفع : « الناس على دين السلطان إلا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض » . وقرأت فيه أيضا : « الملك ثلاثة ملك^(١) دين وملك حزم وملك هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويُلحق بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضى في الإقرار والتسليم . وأما ملك الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر » .

حدثني يزيد بن عمرو عن عصمة بن صقير الباهلي قال حدثنا اسحق بن نجیح عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله حُرَّاسًا يحتراسه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الديوان » .

(١) في الأدب الكبير : فيستكسد .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : الملوك .

حدثني أحمد بن الحليل قال حدثني سعيد بن سم الباهلي قال أخبرني شعبة عن شريك عن عكرمة في قول الله عز وجل ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال : «الجلالوزة يحفظون الأمراء» .

[وقال الشاعر^(*)

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * خلياً من اسم الله والبركات

يعني باسم الله ، وفيه قول الله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بأمر الله] .

وقرأت في كتاب من كتب الهند : « شر المال ما لا يُنْفَق منه وشر الإخوان الخذل وشر السلطان من خافه البريء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن » .

وقرأت فيه : « خير السلطان من أشبه النسر حوله الخيف لا من أشبه الحيفة حولها

النسور » وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها » .

حدثني شيخ لنا عن أبي الأخصوص عن ابن عمي لابي وائل عن أبي وائل قال ،

قال عبد الله ابن مسعود : « إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر » .

وأخبرني أيضا عن أبي قدامة عن علي بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي

الله عنه : « ثلاث من الفَوَاقِر : جار مُقَامَةٍ إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها ، وأمراة إن دخلت عليها لستك وإن غبت عنها لم تأمنها ، وسلطان إن أحسنت لم يحمك وإن أسأت قتلك » .

وقرأت في اليتيمة : « مثل قليل مضار السلطان في جنب منافع مثل الغيث الذي

هو سُقْيَا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السَّفَر

ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتندثر سيوله فيهلك الناس والدواب وتموج
 له البحار فتشتد البلية منه على أهله فلا يمنع الناس، إذا نظروا إلى آثار رحمة الله
 في الأرض التي أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر،
 أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلغوا ذكر خواص البلايا التي دخلت على
 خواص الخلق، ومثل الرياح التي يرسلها الله تُسرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب
 ويعملها لقاحا للشعرات وأرواحا للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها
 مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرّ بكثير من الناس في برهم
 وبحرهم ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكون ويتأذى بها
 المتأذون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي سخرها له من قوام
 عبادته وتمام نعمته، ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للحرث
 والنسل وتاجا للحب والثمر، يجمعها البرد باذن الله [ويجعلها] ويخرجها الحر باذن الله
 ويُضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرر في حرهما وبردهما
 وسمائهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح، ومن ذلك
 الليل الذي جعله الله سكا ولباسا وقد يستوحش له أخوال القفر وينازع فيه ذو البلية
 والريبة وتعدو فيه السباع وتَنساب في الهوام ويغتنمه أهل السرقة والسالة ولا يُزرى
 صغير ضرره بكثير نفعه ولا يُلحق به دما ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على
 ما مَنَّ به عليهم منه، ومثل النار الذي جعله الله ضياءً ونُورا وقد يكون على الناس
 أذى الحرق في قِيظهم وتُصبِحهم في الحروب والغارات ويكون فيه النَّصب والشُّحوص
 وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه، ولو أن الدنيا كان شيء
 من سرّاها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نعاؤها بغير كدر وميسورها من

غير معسور كانت الدنيا إذا هي الجنة التي لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترح^ة
والتي ليس فيها نصب ولا لغوب، فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضره خاصة فهو
نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

وقرأت في التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب
الملوك مشغولة بكل شيء يجلّ وألباب السُّوق مشغولة بأيسر الشيء ، فالجاهل منهم
يعذر نفسه بدعة ما هو عليه من الرسالة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المؤنة ،
ومن هناك يعزّر الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان

١٠

هو السلطان » .

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أتق للبيعة من خصب الزمان »

وروى الهيثم عن ابن عباس عن الشعبي قال : « أقبل معاوية ذات يوم على
بني هاشم فقال : يا بني هاشم ، ألا تحذثوني عن أدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون
لكم أيا أرض بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعا ؟
فإن كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبت حقا ولا أسست
١٥ ملكا ، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
ووارثه وساقى الحجيج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بن عبد مناف ،
وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فإن القرابة خصلة من خصال الإمامة
لا تكون الإمامة بها وحدها وأنتم تدعونها بها وحدها ، ولكنا نقول : أحق قريش بها
من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤهم
٢٠

(*)
 للثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمر تضيق به الصدور، إذا
 سئتم عمن أجمع عليه من غيركم فاتم حق . فإن كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم
 الحق من دعواكم . انظروا : فإن كان القوم أخذوا حقكم فاطمأنهم ، وإن كانوا أخذوا
 حقهم فسلموا إليهم فإنه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ابن عباس
 ندعى هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا ، ونقول كان ترك الناس أن
 يرضوا بنا ويجمعوا علينا حقا ضيعوه وحظا حرّموه ، وقد اجتمعوا على ذى فضل
 لم يخطئ الورد والصدور ، ولا ينقص فضل ذى فضل غيره عليه . قال الله
 عز وجل ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ فاما الذى منعنا من طلب هذا الأمر بعد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم نعهد منه إلينا قبلنا فيه قوله ودنا بتأويله ولو أمرنا أن
 نأخذ على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه ، ولا يعاب أحد على ترك
 حقه إنما المعيب من يطلب ما ليس له ، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارا .
 انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفهمها سليمان ولم يضر داود . فاما
 القرابة فقد نفعت المشرك وهى للؤمن أنفع ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أنت عمى وصنو أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك آخر الهجرة كما أن
 نبوتى آخر النبوة » . وقال لأبى طالب عند موته : يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك
 بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّ تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ
 كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

حدثنا الرياشى عن أحمد بن سلام مولى دُفَيْف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ
 له قال، قال كسرى : « لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر ، وقاض
 عادل ، وسوق قائمة ، وطبيب عالم ، ونهر جار » .

وحدثنا الرياشي قال حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا القاسم بن الفضل قال حدثنا ابن أخت العجاج عن العجاج قال : « قال لي أبو هريرة ممن أنت ؟ قال قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك ^(١) بقعان الشام فيأخذوا صدقتك فإذا أتوك فتلقهم بها فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخل عنهم وعنهم ، وإياك وأن تسبهم فانك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة » .
وفي رواية أخرى أنه قال : « إذا أتاك المصدق فقل : خذ الحق ودع الباطل ، فإن أبي فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعه إذا أدبر فتكون عاصيا خفاف عن ظالم » .

وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرغبة ، والمحبة ، والديانة » .

وقرأت في بعض كتب العجم كتابا لأردشير بن بابك إلى الرعية ، نسخته
« من أردشير الموبذ ذى البهاء ملك الملوك ووارث العطاء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البيضة ، والدباب الذين هم زينة الملكة ، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد . السلام عليكم ، فانا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إتاوتها الموظفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لا تستشعروا الحقد فيدّهمكم العدو ، ولا تحتكروا فيشملكم التمحط ، وتزوجوا في القرابين فانه أمس للرحم وأثبت للنسب ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال إلا بها » .

(١) بقعان الشام خدمهم وعبيدهم . شبههم لياضهم رسوادم بالغراب الأبقع وهو ما خالط سواده بياض . يعنى بذلك الروم والسودان .

(٢) في النسخة الألمانية : المؤيد ، والموبذ كالموبذان فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٣) في النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس إلى ألاسكندر وفيه : « املك الرعية بالإحسان إليها تظهر بالمحبة منها فان طلبك ذلك منها باحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك ، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها الى القلوب بالمعروف ، وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل » .

وقرأت في كتاب الآيين أن بعض ملوك العجم قال في خطبة له : « إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأخص عن الأعمال لا عن السرائر » . ونحوه قول العجم : « أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها » . وقالوا : « لا ينبغي للوالى أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة [كرهاً] ولكن في التي يستحقها بحسن الأثروصواب الرأي والتدبير » .

حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام عن شيخ له قال : « كان أنوشروان إذا ولى رجلاً امر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه فإذا أتى بالعهد وقع فيه : سُئ خيَار الناس بالمحبة وامرِج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سَفَلَة الناس بالإخافة » .

قال المدائني : « قدم قادم على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية : هل من مُغَرِّبة خبر؟ قال نعم ، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينما أنا عليه إذ أُورِد أعرابي إليه فلما شربت ضرب على جنوبها وقال عليك زياداً . فقالت له : ما أردت بهذا؟ قال : هي سُدى ، ما قام لي بها رايح منذ ولى زياد . فسر ذلك معاوية وكتب به الى زياد » .

(١) الآيين كلمة فارسية عريبها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة . ولابن المقفع تأليف بهذا

الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكي باشا

عن هذه الكلمة في كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذي نقل عنه المؤلف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

قال عبد الملك بن مروان : « أنصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ! ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر ! نسأل الله أن يعين كلاً على كل »

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوى في غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف أن لا تحمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا ، فان نقرت القلوب من هذا سكنت الى هذا »

قال معاوية : « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما أنقطعت . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت اذا متوها خلتها وإذا خلّوها مددتها » .

ونحو هذا قول الشعبي فيه : « كان معاوية كالجلجل الطّب ، إذا سكّت عنه تقدّم وإذا ردّ تأخر » . والجلجل الطّب الحاذق بالمشي وهو الذي لا يضع يديه إلا حيث يبصر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمها ، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من تحته ^(*) » .

وأغلظ له رجل خلم عنه فقيل له : أتخلم عن هذا ؟ فقال : « إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم مالم يحولوا بيننا وبين سلطاننا » .

كان يقال : « لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة » .

(*) في الأصل الفتوغراف

قال زياد : « أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سمانا ما سمينوا » .

وكتب الوليد الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : « إني أيقظت رأيي وأنت هوى ، فأدبني السيد المطاع في قومه ، ووليت الحرب الحازم في أمره ، وقادت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظري ولطيف عنايتي ، وصرفت السيف الى النطف المسىء ، والثواب الى المحسن البريء ، نخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .

وكان يقول لأهل الشام : « [إنما] أنا لكم كالظلم الرائح عن فراخه : ينفي عنها القدر ويباعد عنها الحجر ويكثها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء » .

نخر سليم مولى زياد زياد عند معاوية فقال معاوية : « اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني » .

وقال الوليد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : « هية الخاصة مع صدق مودتها وأقياد قلوب العامة بالإينصاف لها واحتمال هفوات الصنائع » .

وفي كتب العجم : « قلوب الرعية خزان ملوكها فما أودعها من شيء فلتعلم أنه فيها » .

ووصف بعض الملوك سياسته فقال : « لم أهزل في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للغضب وأستكفيت على الجزاء وأثبت على العناء لا للهوى ، وأودعت القلوب هية لم يشبها مقت وودا لم تشبهه جرة وعممت بالقوت ومنعت الفضول » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية

(٢) في الأصل الفتوغرافي : قلوب الرعية خزان ملكها فما أودعها من شيء ، فليعلم أنه فيها .

(٣) في الأصل الفتوغرافي : القلوب .

وقرأت في كتاب التاج : قال أبو يزيد لابنه شيرويه وهو في حبسه : « لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك ، أعطهم عطاء قصداً وأمنعهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء » . ونحوه قول المنصور في مجلسه لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجمع كلبك يتبعك . فقام أبو العباس الطوسي فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : « أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمية مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الله فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخيفوا الفساق وأجعلوهم يدا يدا ورجلا رجلا ، وعد مرضى المسلمين وأشهد جنائزهم وانتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بوادٍ خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن وإنما حثفها في السمن ، واعلم أن العامل إذا زاع زاعت رعيته ، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام » .

هشام بن عروة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجم بعد الصلاة ساعة فقال الناس : لقد حدث نفسه . ثم التفت إلينا فقال : لا يبعدن ابن هند ! إن كانت فيه لمخارج لا نبجدها في أحد بعده أبدا ، والله إن كنا لنفرقه وما الليث الحروب على برائه بأجرا منه فيتفارق لنا . وإن كنا لخدعه وما ابن ليلق من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط في الأصل الفتوغرافي هكذا (مرض) ويظهر أنه من عمل الناسخ ، وفي الأصل الألماني :

مريض . والتصويب عن أشهر مشاهير الاسلام .

فَيَتَخَذُ لَنَا ، والله لوددت أنا مُنْعَنَا بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا جِمْ (وَأَشَارَ إِلَى أَبِي نَيْسَ)
لَا يُتَحَوَّنُ لَهُ عَقْلٌ وَلَا تَنْقِصُ لَهُ قُوَّةٌ ، قُلْنَا : أَوْحَشَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ . قَالَ : وَكَانَ يَصِلُ
بِهَذَا الْحَدِيثِ : كَانَ وَاللَّهِ بِمَا قَالَ الْعُدْرِي

رَصَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَتَأْبَاهَا * مَعْنَى بِمَخْطَبَتِهِ بِجُمْهُرٍ
تُرِيحُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ * إِذَا خَطَلَ النِّسْرُ الْمِهْمَرُ^(١)

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا جَدُّ سُرَانَ وَسُرَانُ عَمُّ الْأَصْمَعِيِّ
قَالَ : « كَلَّمَ النَّاسَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنْ يَكْلِمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي أَنْ يَلِينَ لَهُمْ
فَإِنَّهُ قَدْ أَخَافَهُمْ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ أَخَافَ الْأَبْكَارَ فِي خُدُورِهِمْ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لَا أَجِدُ
لَهُمْ إِلَّا ذَلِكَ ، إِنْهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ عِنْدِي لَأَخَذُوا ثَوْبِي عَنْ عَاتِقِي^(٢) » .

قَالَ وَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ : « يَا أَبَا عَقْرٍ حَفِصْ ، اللَّهُ لَكَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ
أَعْقَرْتِ ؟ أَيْ دُعِيتِ فَقَالَتْ صَلَعْتُ فَرَقَّتْكَ^(٣) » .

قَالَ أَشْجَعُ السُّلَمِيِّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَثْمَانَ
لَا يُصَالِحُ السُّلْطَانَ إِلَّا شِدَّةٌ * تَغَشَّى الْبَرَى بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمَجْرِمِ
وَمِنْ الْوَلَاةِ مَقْعَمٌ لَا يُتَّقَى * وَالسِّيفُ تَقَطَّرَ شَفَرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ
مَنْعَتْ مَهَابَتُكَ النُّفُوسَ حَدِيثَهَا * بِالْأَمْرِ تَسْكُرُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ

(١) فِي النَّاحِ مَادَّةٌ هَمْزٌ وَخَطِيبٌ مِهْمَرٌ : مَكْتَبٌ . وَأُورِدَ هَذَا الْبَيْتُ . وَفِي الْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَانِي "مِهْمَرٌ"
وَلَمْ يَجِدْهُ فِي الْقَامُوسِ وَلَا فِي اللِّسَانِ .

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَانِي عَادِيًا عَنْ الضُّبْطِ ، وَضَبُّهُ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ فَلَمْ نَجِدْ لَهُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي : مِنْ عَلَى .

(٤) كَذَا بِالْأَصْلِ الْفَتْوَعْرَانِي وَالْأَلْمَانِي وَلَعَلَّهُ مُحَرَّفٌ عَنْ "عَمْرٍ" وَكَانَهَا أَرَادَتْ أَنْ تَنَادِيَهُ بِقَوْلِهَا
يَا أَبَا حَفِصٍ عَمْرٍ ، فَقَالَتْ مِنْ دَهْشَتِهَا يَا أَبَا عَمْرٍ حَفِصٌ كَمَا قَالَتْ فِي آخِرِ الْحِكَايَةِ صَلَعْتُ فَرَقَّتْكَ وَكَانَهَا
أَرَادَتْ أَنْ يَقُولَ فَرَقَّتْ صَلَعْتُكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي صَلَعْتُ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

كان يقال : « شر الأُمراء أبعدهم من القراء وشر القراء أقربهم من الأُمراء » .
كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حصص إلى عمر : « إن مدينة حمص قد تهدم
حصنها^(١) ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إصلاحه » فكتب إليه عمر « أما بعد ،
فحصنها بالعدل ، والسلام » .

ذكر أعرابي أميرا فقال : « كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون
على عيونه ، فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالمحسن راج والمسيء خائف » .
كان جعفر بن يحيى يقول : « الخراج عمود الملك وما استُغِيرَ بمثل العدل ولا استُنزِرَ
بمثل الظلم » .

وفي كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه : « يا بني ، إن الملك والدين
أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أسُّ والملك حارس ، وما لم يكن له أس
فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بني ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد وإشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول » .
وكان يقال : « مهما كان في الملك فلا ينبغي أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغي
أن يكون كذابا فإنه إذا كان كذابا فوعد خيرا لم يرج أو أوعد بشرا لم يخف ،
ولا ينبغي أن يكون بخيلا فإنه إذا كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا
بالمناصحة^(٢)] ولا ينبغي أن يكون حديدا فإنه إذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية [
ولا ينبغي أن يكون حسودا فإنه إذا كان حسودا لم يشرف أحدا ولا يصلح الناس
إلا على أشرفهم ، ولا ينبغي أن يكون جبانا فإنه إذا كان جبانا ضاعت ثغوره وأجترأ
عليه عدوه » .

(١) في الأصل الفتوغرا في سورها وكتب فوقها كالتفسير لها : حصنها .

(٢) هذه الجملة سقطت في الأصل الفتوغرا في من سهو النسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: وأبناه، وبكت .
فقال معاوية: « يا أبنسة أحي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم
حلمنا تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقده ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان
أنصاره فإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكوني بنت عم
أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين » .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي: « إياك المسلمين ولؤئك أمرهم بعد علي
فشمر للحرب وجاهد عدوك ودار أصحابك وأتستري من الضنين دينه بما لا يشتم دينك
وول أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائهم حتى تكون الجماعة فإن بعض
ما يكره الناس، ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل وعز الدين، خير
من كثير مما يحبون إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور ووهن الدين » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم
قال: « كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يعرف من أهل
البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض؟ فإن قالوا نعم،
حمد الله تعالى، وإن قالوا لا، كتب إليه: أقبل » .

اختيار العمال

١٥

روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة كتب عهدا فيه:
« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده
بالدنيا وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر: أني
استعملت عمر بن الخطاب فإن بر وعدك فذلك علمي به، وإن جار وبذل فلا علم

لى بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ^(١) وسيعلم الذين ظلموا أىّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٤﴾ » .

وفى التاج أن أبرويز كتب الى ابنه شيرويه من الحبس : « ليكن من تختاره لولايتك أمراً [كان] فى ضعة فرعته ، أو ذا شرف وجدته مهتضاً فأصطنعته ، ولا تجعله أمراً أصبته بعقوبة فأتضع عنها ولا أمراً أطاعك بعد ما أذلته ولا أحداً ممن يقع فى خلدك أن إزالة سلطانك أحب له من ثبوته ، وإياك أن تستعمله ضرراً ^(٢) عُمرًا كثر إعجابه بنفسه وقلّت تجاربه فى غيره ، ولا كبيراً مدبراً قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه » .

وقال لقيط فى هذا المعنى

١٠ قتلّوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رضاء العيش ساعده * ولا إذا عضّ مكروه به خشعا ^(٣)
ما زال يحلب دّر الدهر أشطره * يكون متبعا يوما ومتبعا
حتى استمرت على شرير مريته * مستحكما السن لا نخما ^(٤) ولا ضرعا

ويقال فى مثل : « رأى الشيخ خير من مشهد العلام » ومن أمثال العرب أيضا
١٥ فى المجرب « العوان لا تعلم الحجرة » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية . (٢) فى النسخة الألمانية : خير .

(٣) فى النسخة الألمانية : خضعا .

(٤) هكذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل القنوغرافى " نخما " ركتب تحته كالتفسير له " كبيرا " .

والصواب " نخما " ومعناه كبير السن جدا ونظيره من شعر العرب قوله

له حكمت الدهر من غير كبرة * نشين فلا فان ولا خرع عُمر

قال بعض الخلفاء : دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني . قالوا : كيف تريده ؟ قال : « إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيع بن زياد [الحارثي] . قال : صدقتم ، هو لها .

وروى الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال ، قال الحجاج : دلوني على رجل للشرط
 قليل : أي الرجال تريد ؟ فقال : « أريده دائم العبوس طويل الجلوس سمين الأمانة
 أعجف الحيانة لا يخفق في الحق على جرة يهون عليه سبب الأشراف في الشفاعة »
 قليل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التيمي . فأرسل اليه يستعمله ، فقال له :
 لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك . قال : يا غلام ، ناد في الناس :
 من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة . قال الشعبي : فوالله ما رأيت صاحب
 شرطة قط مثله ، كان لا يحبس إلا في دين ، وكان إذا أتى برجل قد نقب على قوم
 وضع منقبته في بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أتى بنبأش حفر له قبرا فدفنه فيه ،
 وإذا أتى برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أتى برجل قد أحرق
 على قوم منزلهم أحرقه ، وإذا أتى برجل يشك فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء
 ضربه ثلثمائة سوط . قال : فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضم اليه
 الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني وهو تحريف والصواب لا يخفق في الحق على جرة ، يقال ما يخفق

فلان على جرة وما يكظم على جرة إذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضي الله عنه :

« لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يخفق على جرة » اه . انظر اللسان في مادة حتى .

- وقرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه : « انتخب لخراجك احد ثلاثة :
- إما رجلا يظهر زهدا في المال ويدعى ورعا في الدين فان كان كذلك عدل
- على الضعيف وأنصف من الشريف ووفر الخراج وأجتهد في العماره ، فان هو لم يرج
- ولم يعف إبقاء على دينه ونظرا لأمانته كان حرياً أن يخون قليلا ويوفر كثيرا أستسراً
- بالرياء واكتنابا بالخيانة ، فان ظهرت على ذلك منه عاقبته على ماخان ولم تجده على
- ماوفر ، وإن هو جالغ في الخيانة وبارز بالرياء نككت به في العذاب واستنظفت ماله
- مع الحبس . أو رجلا عالما بالخراج غنيا في المال مأمونا في العقل فيدعوه علمه
- بالخراج الى الاقتصاد في الحلب والعمارة للأرضين والرفق بالرعية ، ويدعوه غناه الى العفة
- ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلا عالما بالخراج مأمونا
- بالأمانة مُقْتَرَا من المال فتوسع عليه في الرزق فيعتم لحاجته الرزق ويستكثر لفاقته
- اليسير ، ويُزجى بعلمه الخراج ، ويعف بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك

بأهل العُذر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن

قصروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

- قال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : دلني على قوم من القراء أولهم . فقال له :
- القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا ،
- فما ظنك بهم إذا أنت وليتهم فمكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل
- البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فوهم .

- أحضر الرشيد رجلا ليوليّه القضاء فقال له : إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه .
- قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه . وأنت رجل تشاور
في أمرك ومن شاور كثير صوابه ، وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به . فولي فما
وجدوا فيه مطعنا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثني صالح بن رستم أبو عامر
الخزاز قال قال لي إياس بن معاوية المزني : أرسل إلى عمر بن هبيرة فأتيته فساكتني
فسكت ، فلما أطلت قال : إيه ، قلت : سل عما بدا لك . قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت
نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب
شيئا ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئا ؟ قلت : أنا بها أعلم .
قال : إني أريد أن أستعين بك . قلت : إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل .
قال : ما هن ؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حديد ، وأنا عتي . قال : أما الدمامة
فاني لا أريد أن أحاسن بك الناس ، وأما العتي فاني أراك تعبر عن نفسك ، وأما سوء
الخلق فيقومك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولاني [وأعطاني (*)] ألفي درهم
فهما أول مال تمولته .

قرأت في كتاب للهند : « السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه وأطرحه
مخافة ضره ، ففعل الذي تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده ، وربما
أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده عنده كتكأه المرء على الدواء
البشع لنفعه » .

حدثني المعلى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنا رجلا فقد
تضمن عيبه » .

باب صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلقونه

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن الشعبي عن عبد الله بن عباس قال : قال لي أبي : « يا بُنَيَّ إني أرى أمير المؤمنين يستخيلك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني أوصيك بخلال أربع : لا تفشين له سرا ، ولا يجزبن عليك كذبا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا تطو عنه نصيحة » قال الشعبي قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إني والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا ، وإن زادك فزده » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ثم أصفح صفحا جميلا ، ولا يرين منك تهالكا عليه ولا انتباضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغي لمن خدم السلطان ألا يفتربهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ولا يستثقل ما حملوه ولا يلحف في مسئلتهم » .

وقرأت في كتاب للهند : « صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطار ، وإنما تشبه بالجليل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد ، ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكبته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيط وأطراح للأنفه ، وصل إلى حاجته » .

وقرأت فيه : « السلطان لا يتونى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه » .

وكانت العرب تقول : « اذا لم تكن من قُريان الأمير فكن من بُعدانه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « لا تكونن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فان كنت حافظا إذا ولّوك ، حذرا إذا قربوك ، أمينا إذا آثمنوك ، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صرّموك^(١) ، راضيا إن أسخطوك ، وإلا فالبعد منهم كلّ البعد والحذر منهم كلّ الحذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يخدم^(٢) السلطان بحقه يحلّ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة » .

وقال : « إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة في غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرن له في الدعاء إلا أن تكلمه على رموس الناس ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئته إن أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنت تعتد عليه ببلاء . وإن استطعت ألا ينسوي حقك وبلاءك بتجديد النصيح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله في أول صحبتك له فلا تجد موضعا للزيد ولكن دع للزيد موضعا . وإذا سأل غيرك فلا تكن المحيب . راعلم أن استلابك للكلام خفة بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

(١) في الادب الكبير : ضاموك ، وفي نسخة منه ظلموك . (٣) في الأدب الكبير : ومن لا يأخذه بحقه .

(٢) في الأدب الكبير : من يأخذ عمل . (٤) في الأصل الفتوغرافي : وإن .

فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما إياك سألت ، وقال لك المسئول : اجب أيها المعجب بنفسه المستخف بسلطانه ؟ » .

وقال : « مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب » .

وقال عبد الملك بن صالح مؤدب ولده بعد أن اختصه بحالته ومحادثته : « كن

على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا : إذا
عجبك الكلام فاضمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن (*) لا تساعدني

على ما يقبح بي ولا تردن على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التسميت والتهنئة
ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلمني بقدر

ما استنطقتك واجعل بدل التقرير لي حسن الاستماع مني . واعلم أن صواب

الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعني أتحدث فأرني فهمك في طرفك وتوقفك
ولا تبهد نفسك في نظرية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من

استحسان ما يكون مني ، فمن أسوأ حالا ممن يستكذ الملك بالباطل فيدل على تهاونه ،

وما ظنك بالملك وقد أهلك محل المعجب بما تسمع منه وقد أحلته محل من لا يسمع

منه ؟ وأقل من هذا يحيط إحسانك ويسقط حق حرمة إن كانت لك . إني جعلتك

مؤدبا بعد أن كنت معلما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباحدا .

ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف

سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له :

يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يقضى فيه

إلا حقك .

قال الفضل بن الربيع : « مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيات التوكي ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، فقل : صبح الله الأمير بالكرامة . وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسئلة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثْنِ عليه عند أحد ، فإذا رأيت^(١) قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطّف ، ولا تُسار في مجلس السلطان أحدا ولا تومئ إليه بجفك وعينك فإن السّرّار يخيل إلى كل من رآه من ذي سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصغ إلى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

وقرأت في كتاب للهند أنه أهدى لملك الهند ثياب وحلّى فدعا باعترأتين له وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلية ، وكان وزيره حاضرا ، فنظرت المرأة إليه كالمستشارة له فغمزها باللباس تفضيلاً بعينه ، ولحظه الملك ، فاخترت الحلية لثلاث يظنن للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لثلاث تقرّ تلك في نفس الملك وليظن أنها عادة أو خنقة وصار اللباس للآخرى [فلما حضرت الملك الوفاة قال لولده : ^(٣) توص بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة] .

قال شبيب بن شيبة : « ينبغي لمن سار خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتج إلى أن يلتفت : ويكون من ناحية إن

(١) في الأدب الكبير « من الإعتاب مما سخط عليه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالي » والإعتاب الجوع عن الاساءة .

(٢) في الأدب الكبير : عنه . (٣) زيادة عن الأصل الفوتوغرافي .

التفت لم تستقبله الشمس ، وإن ساريين يديه أن يحيد عن سنن الريح التي تؤدي الغبار الى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن آبتليت بأن تدخل الى السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء فعليك بالثناء » .

قال ثُمّامة : كان يحيى بن أكرم يمشى المأمون يوما في بستان موسى^(١) والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدان حتى بلغ حيث أراد ثم كر راجعا في الطريق التي بدأ فيها فقال ليحيى : كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يساري وقد نالت منك فكن الآن حيث كنت وأتحول أنا الى حيث كنت . فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أريك هؤل المطلع بنفسى لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما أبد من أن تأخذ الشمس مني مثل ما أخذت منك . فتحول يحيى وأخذ من الظل مثل الذي أخذ منه المأمون .

وقال المأمون : « أؤل العدل أن يعدل الرجل على بطانته ثم على الذين يلوّنهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى » .

المدائني قال ، قال الأحنف : « لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من أشرف للسلطان أذراه ومن تضرع له أحظاه »^(٢) .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني محمد بن عمرو الرومي^(٣) [قال حدثنا زهير بن معاوية] عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال ، قال حذيفة بن اليمان : « ما مشى قوم قط الى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا » .

(١) كذا بالأصل ، وفي العقد الفريد : مؤنسة بنت المهدي .

(٢) هكذا في الألمانية ، وفي الفتوغرافية أخطاه . وفي العقد الفريد : ومن تطامن له تخطاه ، قال : شبهوا السلطان بالريح الشديدة التي لا تضر بما لان وتمايل معها من الشجر والحشيش ، وما استهدف لها قصمت . (٣) زيادة عن النسخة الألمانية .

وفي أخبار خالد بن صفوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدنانى حتى كنت أقرب الناس منه فتنفس ثم قال : يا خالد، لرب خالد قعد مقعدك هذا أشهى الى حديثا منك . فعلمت أنه يعنى خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أفلا تعيده ؟ فقال : إن خالد أدل فأمّل وأوجب فأعجب ولم يدع لراجع مرجعا ، على أنه ما سألنى حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ذاك أخرى . فقال : هيات إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكن ^(١) * إليه بوجه آخر الدهر تُقبل

حدثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث ، وبيعه نهيك : اعتل ^(٢) يحيى بن خالد فبعث الى منك الهندي فقال له : ما ترى في هذه العلة ؟ فقال منك : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر ، وكان متفنا ^(٣) . فقال له يحيى : ربما ثقل على السمع خطرة الحق به ، فاذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منك : صدقت ولكنى أرى في الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم في المعرفة وقد بُهت ، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأمو منصرف الى العواقب وما حتم لا بد من أن يقع ، والمنعة ^(٤) بمسألة الأيام نهزة فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منك : هي الصفراء مازجتها مائة من البلغم فحدث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة في هذا البيت : لم تكن .

(٢) ورد هذا الاسم في النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفي تقريب التهذيب لابن حجر : « نهيك » بوزن عظيم ابن يريم . وفي تحفة ذكرى الأرب في مشكل الأسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : « نهيك » ككريم آخره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالعقد الفريد وفي النسخة الفتوغرافية : « متعقا » وفي النسخة الألمانية : « متعيا » وكلاهما من تحريف النساخ .

(٤) كذا بالعقد الفريد وفي الفتوغرافية : « المنعة » وفي الألمانية : « المنفعة » وكلاهما محرف .

- ما يحدث للهب عند ماسته رطوبة المادة من الاشتعال نخذ ماء رُمَانَيْنِ فدَقَهُمَا^(١)
بِإِهْلِيلِجَةٍ سَوْدَاءٍ تَمْضُكُ^(٢) بِجَلَسَا^(٣) [أَوْ مَجْلِسَيْنِ] وَتَسْكُنُ ذَلِكَ التَّوَقُّدَ الَّذِي تَجِدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
فَلَمَّا كَانَ مِنْ حَدِيثِهِمُ الَّذِي كَانَ ، تَلَطَّفَ مِنْكَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى يَحْيَى فِي الْحَبْسِ فَوَجَدَهُ
جَالِسًا عَلَى لَبْدٍ وَوَجَدَ الْفَضْلَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْهِنُ^(٤) أَيْ يَخْدُمُ فَاسْتَعْبَرَ مِنْكَ وَقَالَ : قَدْ كُنْتُ
نَادَيْتُ لَوْ أُعْرِيتُ^(٥) الْإِجَابَةَ . قَالَ لَهُ يَحْيَى : أَتَرَكَ عَلِمْتَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا جَهْلُهُ ؟ كَلَّا
وَلَكِنَّهُ كَانَ الرَّجَاءُ لِلسَّلَامَةِ بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الذَّنْبِ أَغْلَبَ مِنَ الشَّفَقِ وَكَانَ مَرَايِلَةُ الْقَدَرِ
الْخَطِيرِ عَيْنًا قَلَمًا تَهْضُ بِهِ الْحَمَّةُ . وَبَعْدُ فَقَدْ كَانَتْ نَعْمٌ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَوَّلَهَا شُكْرًا
وَأَنحَرَهَا أَجْرًا . فَمَا تَقُولُ فِي هَذَا الدَّاءِ ؟ قَالَ لَهُ مِنْكَ : مَا أَرَى لَهُ دَوَاءً أَنْجِعَ مِنَ الصَّبْرِ ،
وَلَوْ كَانَ يَفْدَى بِمَالٍ أَوْ مَفَارِقَةَ عَضْوِكَ ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ لَكَ . قَالَ يَحْيَى : قَدْ
شُكِرْتَ لَكَ مَا ذَكَرْتَ فَإِنْ أَمَكَّكَ تَعَهَّدْنَا فَاذْعَلْ . قَالَ مِنْكَ : لَوْ أَمَكَّنِي تَخْلِيفُ
الرُّوحِ عِنْدَكَ مَا بَخِلْتُ بِذَلِكَ ، فَإِنَّمَا كَانَتِ الْأَيَّامُ تَحْسُنُ لِي بِسَلَامَتِكَ . قَالَ الْفَضْلُ
كَانَ يَحْيَى يَقُولُ : دَخَلْنَا فِي الدُّنْيَا دُخُولًا أَخْرِجْنَا مِنْهَا .

- وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْهِنْدِ : « إِنَّمَا مِثْلُ السُّلْطَانِ فِي قَلَّةِ وَقَائِهِ لِلْأَصْحَابِ وَسَخَاءِ نَفْسِهِ
عَمَّنْ فَقَدْ مِنْهُمْ مِثْلُ الْبَغِيِّ وَالْمَكْتَبِ ، كَلِمَا ذَهَبَ وَاحِدٌ جَاءَ آخَرُ » .
وَالْعَرَبُ تَقُولُ : « السُّلْطَانُ ذُو عَدَوَانٍ وَذُو بَدَوَانٍ وَذُو تَدَرٍّ » يَرِيدُونَ أَنَّهُ سَرِيعُ
الْإِنْصِرَافِ كَثِيرُ الْبَدَوَاتِ هَجُومٌ عَلَى الْأُمُورِ .

- (١) كَذَا بِالْأَصْلِ الْفَتْوَعَرِافِي فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : نَخَذَ مَاءَ الرَّمَانِ فَنَدَقَ فِيهِ إِهْلِيلِجَةَ الْخَلِجِ .
(٢) كَذَا بِالْعَقْدِ الْفَرِيدِ فِي الْفَتْوَعَرِافِيَةِ هَكَذَا "تَمْضُكُ" . وَفِي الْأَلْمَانِيَةِ : "تَقْصُكُ" وَكَلَامُهُمْ تَحْرِيفٌ .
(٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .
(٤) فِي الْأَصْلِ الْفَتْوَعَرِافِي كَتَبَ تَحْتَهَا كَالْتَفْسِيرِ لَهَا "يَخْدُمُ" . وَزَيْدٌ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ كَأَنَّهُ مِنَ الْأَصْلِ
(٥) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ "أُسْرَعَتْ" وَفِي الْأَصْلَيْنِ الْفَتْوَعَرِافِي وَالْأَلْمَانِي هَكَذَا "أَعْرِبَ" وَنَقَلَ فِي هَاشِي
النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ أَوْ "أَعْرَتْ" وَلَعَلَّهُ الصَّوَابُ .

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فنزع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن ، هات نعلي . بلقاء بها ، فقال : يا معاذ ضعها في رجلي . فالبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم ، ووجه أبو جعفر يقطين بن موسى الى أبي مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفعلمها ابن سلامة الفاعلة ؟ لا يكنى . فقال يقطين : عجلت أيها الأمير ، قال وكيف ؟ قال : أمرني أن أحصى الأموال ثم أسلمتها اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يقطين على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يصرب بالسوط معرفة رذونه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُغني المعرفة اذا لم يُقدر على دفع المحتوم . ثم قال : جارة ذيلها ، تدعو يا ويلها ، بدجلة أو حولها ، كأننا بعد ساعة ، قد صرنا في دجلة .

قال المنصور : « ثلاث كن في صدري شفى الله منها : كتاب أبي مسلم الى وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من سوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية ؟ . وضرب سليمان بن حبيب ظهري بالسياط » .

قال المنصور لسلم ابن قتيبة : ماترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال سلم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يا أبا أمية .

قال أبو دلامة

أبا مجرم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المهدي حاولت غدرة * ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوفني القتل فالتحي * عليك بما خوفني الأسد الورد

قال مروان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتجت إلى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بي ، فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفني في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ

حُرمتي بعد وفاتي» فقال عبد الحميد: إن الذي أمرتني به انفع الأمرين لك وأقبحهما
بي وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله لك أو أقتل معك . وقال
أُسِرُّ وفاء ثم أظهسر غدرة * فمن لي بعذر يُوسعُ الناسَ ظاهره

المشاورة والرأى

- ٥ حدثنا الزبائدي قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: « كان النبي
صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشيء فيأخذ به . »
وقرأت في التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه ، فقال أحدهم :
« لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحداً إلا خالياً به ، فانه أموت للسرو وأحزم للرأى
وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فان إفشاء السر الى رجل واحد
أوثق من إفشائه الى اثنين ، وإفشاءه الى ثلاث كإفشائه الى العامة لأن الواحد رهن
بما أفشى اليه والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث عِلاوة فيه ، وإذا كان سر الرجل
عند واحد كان أخرى ألا يظهره رهبة منه ورغبة إليه ، وإذا كان عند اثنين
دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعارض ، فان عاقبهما عاقب اثنين
بذنب واحد ، وإن آتتهما اتهم بريثا بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن
أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه . »

١٥

- وقرأت في كتاب للهند أن ملكا استشار وزراء له ، فقال أحدهم : « الملك
الحازم يزداد برأى الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بموائده من الأنهار ، وينال بالحزم
والرأى مالا يناله بالقوة والجنود ، ولأسرار منازل : منها ما يدخل الرهط فيه ، ومنها
ما يستعان فيه بقوم ، ومنها ما يستغنى فيه بواحد . وفي تحصين السر الظفر بالحاجة
والسلامة من الخلل . والمستشير وإن كان أفضل رأيا من المشير ، فانه يزداد برأيه

٢٠

رأيا كما تزداد النار بالسليط ضوءا . وإذا كان الملك محصنا لسره بعيدا من أن يُعرف ما في نفسه متخيرا للوزراء مهيبا في أنفاس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المريب مقذرا لما يُنفذ وينفق . كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به . »

قال أبو محمد : كتبت الى بعض السلاطين كتابا وفي فصل منه : « لم يزل حزمة الرجال يستحلون مرارة قول النصحاء ويستمدون العيوب ويستثيرون صواب الرأي من كل حتى الأمة الوكحاء ، ومن احتاج الى إقامة دليل على ما يدعيه من مودته وتقاء طويته فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطراب إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادة الحال . »

وفي فصل آخر : « وقد تحملت في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأي ولم أشتتر وأحملت نفسي محل الخواص ولم أحل ونزعت بي النفس ، حين جاشت وضائق بما تسمع ، عن طريق الصواب لها الى طريق الصواب لك ، وحين رأيت لسان عدوك منبسطا بما يدعيه عليك وسهامه نافذة فيك ، ورأيت وليك معكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوام الناس يخوضون بضروب الأقاويل في أمرك ، ولا شيء أضرب على السلطان في حال ولا أنفع في حال منهم . وبما يُجرى به الله على ألسنتهم تسير الركان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب ، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات . »

وفي فصل منه : « وسائس الناس ومدبر أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والمنوع مما

(*) في الأصل الفتوغرافى : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة الألمانية .

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا منعوا بعضها ، ولا يعذرون بالعدر الواضح فكيف بالعدر الملتبس ، وأخوك من صدقك وأرتض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك .

قال زياد لرجل يشاوره : « لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع ، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان : إضاعة السر ، وإخراج النصيحة . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخرة يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه ، وقد عجمتهما لك » .

وكتب بعض الكتاب : « اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفتا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الغاش لك الحاطب عليك من مدة لك في الاغترار ووطأ لك ميهاد الظلم وبحرى معك في عنائك منقادا لهواك » .

وفي فصل : « إني وإن كنت ظنينا عندك في هذه الحال ففي تدبرك صفحات هذه المشورة ما ذلك على أن تخرجها عن صدق وإخلاص » .

إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله ابن عمر في أخيه أبي بكر أن يولي القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أترى لي أن ألي القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعك تنهائ ! قال : أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك ، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحتني .

كان نصر ابن مالك على شرط أبي مسلم . فلما جاءه إذن أبي جعفر في القدوم عليه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليك ، قال له أبو جعفر لما صار إليه : استشارك أبو مسلم في القدوم على فنيته؟ قال نعم : قال وكيف ذلك؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه محمد ابن علي قال « لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : « لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه على ضغنا فاستشيرته ،^(١) فيثيرني منه بقدر ما يحده في نفسه فلا يزال يوسعني شتما وأوسعها حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعيني وأستنجده فينجدني » .

وقرأت في كتاب إبرويز إلى ابنه شيرويه وهو في حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد في الرجال من ينضج لك الكي ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكن ولا يدع لك في عدوك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها ، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك فان أحمدت اجتنيت وإن ذمت نفيت ، فان في ذلك خصالا : منها أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك ، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، فان رأيته معتليا لما رأيت قبلت ، وإن رأيته متضعا عنه استغنيت ، ومنها أنه يجتهد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ ويحض لك مودته وإن قصر » .

وفي كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ، أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر » .

(١) نقل بهامش النسخة الألمانية عن نسخة "فينور" الخ .

(٢) في الأصل "ينصح" وهو تحريف .

(٣) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية ، والمناسب لما قبله "أذمت" يقال أذمته أي وجدته ذميا .

وفي آداب ابن المقفع : « لا يُقذفن في رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك ، فيقطعك ذاك عن المشاورة ، فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به . ولو أنك أردت الذكر كان أحسنُ الذكر عند الألباء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

قال عمر بن الخطاب : « الرأى الفرد كالخيط السَّحِيل ، والرأىان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مِرَارٌ (*) لا يكاد ينتقض » . وقال أشجع

رأى سرى وعيونُ الناس هاجعةٌ * ما أخر الحزم رأى قديم الحذرا

كتب الحجاج الى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة ، فكتب اليه المهلب : « إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسي يوم عقدت له الخوارج : تكلم . فقال : ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيبي . وقال أيضا : نحير الرأى خير من فطيره ، ورُبَّ شئ غابهُ خير من طريّه ، وتأخيره خير من تقديمه . وقيل لآخر : تكلم . فقال : ما أشتهى الخبز إلا بائنا .

كان ابن هبيرة يقول : « اللهم إني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والانحطاط في هوى مستشيره ، ومن لا يلتبس خالص مودتك إلا بالتأني لموافقة شهوتك ، ومن يساعذك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك » . وكان يقال : « من أُعطي أربعا لم يُمنع أربعا : من أُعطي الشكر لم يُمنع المزيد ، ومن أُعطي التوبة لم يُمنع القبول ، ومن أُعطي المشورة لم يُمنع الصواب ، ومن أُعطي الاستشارة لم يُمنع الخيرة » . وكان يقال : لا تستشر معلما ولا راعى الغنم ولا كثير القعود مع النساء . وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول .

(*) في النسخة الألمانية مرار . والمرار : الحبل الذي أجيد قتله .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطه الحف « ولا لحاقب » وهو الذى يجد رزاً فى بطنه . وقالوا أيضاً : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مرآزبته فقصروا فى الرأى دعا نوكلين بأرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : تخطئ مرآزبتك وتعاقبنا ! فيقول : نعم ، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إن النفس إذا أحزنت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكمة فإن الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم .

قال الشاعر

وأنتفع من شاورت من كان ناصحاً * شقيقاً فأبصر بعدها من تشاور
وليس بشافيك الشفيق ورأيه * غريب ولا ذوا الرأى والصدور واغر

ويقال : علامة الرشd أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى رافدات القوادم
وخلّ الهوينا للضعيف ولا تكن * تؤوما فان الحزم ليس بنائم
وأدين من القربى المقرب نفسه * ولا تشهد الشورى أمراً غير كاتم
وما خير كفّ أمسك الغلّ أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
فانك لن تستطرد الهمة بالمنى * ولن تبلغ العليا بغير المكارم

قال أعرابي : ما عُيِّنْتُ قط حتى يُعَبَّن قومي . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بنى عبس : ما أكثر صوابكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفيما حازم واحد ونحن نطيعه ، فكأننا ألف حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توان » .

وقال القطامي في معصية الناصح

ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا
كذلك وما رأيت الناس إلا * إلى ما جرّ غاويهم سراعا
تراهم يغمزون من أسترّكوا * ويحتنبون من صدّق المصاعا

وقال آخر، أنشدنيهِ الرياشي

ومولّى عصاني وأستبدّ برأيه * كما لم يطع بالبقّتين قصير
فلما رأى أن غبّ أمرى وأمره * وولّت بأعجاز الأمور صدور
تمنى بثيسا أن يكون أطاعني * وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال سبيع لأهل اليمامة « يا بني حنيفة بعدا كما بعدت عاد وثمود ، أما والله لقد أنباتكم بالأمر قبل وقوعه كأنى أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم ، وأصبحتم وفى أيديكم من تكذيبى التصديق ومن تهمتى الندامة ، وأصبح فى يدي من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع ، وأصبح باقات غير مردود وما بقى غير مأمون .
وإنى لما رأيتم تهمون النصيح وتسفّهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرة ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وهن الموعوظ وكنتم كأنما يُعنى بما أتم فيه غيركم » .

وأشار رجل على صديق له برأى ، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذى يخلط حلو كلامه بمرّه وحرّته بسهله ويحرك الاشفاق منه ما هو بساكن من غيره » ،

وقد وعيتُ النصيح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُشكُّ في مودته وصافي غيبه ، وما زلت بحمد الله الى كل خير طريقاً منهاجاً ومهيئاً واضحاً .

وكتب عثمان الى علي حين أحيط به : «أما بعد فإنه قد جاوز المساء الزبي وبلغ الحزام الطيبين وقد تجاوز الأمر بي قدره .

فان كنتُ ما كولا فكن خيراً كل . وإلا فأدركني ولما أمرق»

وقال أوس بن حجر

وقد أُعيبَ ابنَ العم إن كنتُ ظالماً * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلاً

وإن قال لي ماذا ترى ؟ يستشيرني * فيجذني ابن عمي يخلط الأمر ميزيلاً

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها * وأحر إذا حالت بان أثولاً

وأستبدل الأمر القوي بغيره * إذا عَقَّدَ مأذون الرجال تعللاً

وكان يقال : «أناة في عواقبها درك ، خير من معاجلة في عواقبها قوت» .

وأشددني الرياشي

وعاجزُ الرأي مضياغ لفرصته * نحتي إذا فات أمر عاتب القَدرا

وكان يقال : «رَوَّ بحزم فاذا استوضحت فاعزم» .

الاصابة بالظن والرأي

كان ابن الزبير يقول : « لا عاش بخير من لم يربأيه ما لم يربعيه » . وسئل

بعض الحكماء : ما العقل ؟ فقال : «الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان» .

وكان يقال : «كفى تُخيراً عما مضى ما بقى ، وكفى عبراً لأولى الألباب ما جربوا» . وكان

يقال : «كل شيء محتاج الى العقل ، والعقل محتاج الى التجارب» . ويقال : «من لم

ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه» . وقال أوس بن حجر

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع

وقال آخر

وأبغى صواب الظن أعلم أنه * إذا طاش ظن المرء طاشت مقاديره

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عبد الله بن عباس : « إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق » . ويقال : « ظن الرجل قطعة من عقله » . ويقال : « الظنون مفاتيح اليقين » . وقال بعض الكتاب

أصونك أن أظن عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكمي

مثل التدبر في الأمر آتتأفك * والمرء يعجز في الأقوام لا الحيل^(١)

وقال آخر

وكنت متى تهز الخطب نغشه * ضرائب أمضي من رفاق المضارب
تجلت به بالرأى حتى أريت به * به ملء عيذه مكان العواقب

وقال آخر يصف عاقلاً

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يرى بصواب الرأي ما هو واقع

وقال آخر في مثله

عليم بأعقاب الأمور برأيه * كان له في اليوم عيناً على الغد

وقال آخر يصف عاقلاً

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال جثامة بن قيس^(٢) يهجو قوماً

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تعلمون أجراء الرشد أم غابا

(١) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية ، ولعله محرف عن الأقوام .

(٢) في النسخة الفتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلة * ولا ترون وقد ولّين أذنانا
وقلما يفجأ المكروه صاحبته * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا
وقال آخر (*)

فلا يحذرون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبراً

ويقال : «ظن العاقل كهابة» . وفي كتاب للهند : «الناس حازمان وعاجز، فاحد الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم يبطر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه ، وأحزم منه العارف بالأمر إذا أقبل فيه فعه قبل وقوعه ، والعاجز في تردد وتثني حائر باثر لا ياتمر رشدا ولا يطيع مرشدا» .

وقال الشاعر

١٠ وإني لأرجو الله حتى كائن * أرى بهيل الظن ما الله صانع

وقال آخر

١٥ وَغِرَّةٌ مَرَّةٌ مِنْ فَعَلٍ غِرَّةٌ * وَغِرَّةٌ مَرَّتَيْنِ فَعَالٌ مُوقٍ
فلا تفرح بأمر قد تدنى * ولا تأيس من الأمر السحيق
فإن القرب يبعد بعد قرب * ويدنو البعد بالقدر المسوق
ومن لم يتق الضحضاح زلت * به قدماه في البحر العميق
وما آكتسب المحامد طالبوها * بمثل البشر والوجه الطليق

وقال مروان بن الحكم لحبيش بن دبلجة : أظنك أحق . قال : «أحق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه» . ونقش رجل على خاتمه : «الخاتم خير من الظن» . ومثله : «طينة خير من ظنة» .

(*) في النسخة الفلورنسية وقال جثامة بن قيس . والبيت بجزء في اللسان .

اتباع الهوى

كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الظرب : الرأى نائم والهوى يقظان ، ولذلك يغلب الرأى الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنْ آتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره

إذا أنت لم تعص الهوى قاداتك الهوى * إلى بعض ما فيه عليك مقال
وقال بزرجمهر : « إذا آتته عليك أمران فلم تدري في أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هوائك فاجتنبه » .

كان عمرو بن العاص صاحب عمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو امرأته فوقعت في نفس عمارة فدفع عمروا في البحر فتعلق بالسفينة وخرج ، فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بعمارة إلى النجاشي وأخبره أنه يُخالف إلى بعض نساءه فدعا النجاشي بالسواحر فنفعن في إحليله فهام مع الوحش ، وقال عمرو في ذلك
تعلم عمارة أن من شر شيمته * لملك أن يدعى ابن عم له أبنا
وإن كنت ذا بردين أحوى مرجلا * فليست براء لابن عمك محرما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم يعص قلبا غاويا حيث يما
قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت * إذا ذكرت أمثاله تملأ الفها
وقال حاتم طي في مثله

وإنك إن أعطيت بطنك سُؤله * وفرجك نالا مُنتهى الذم أجمعا

وقال آخر

جار أبلنيد على مُحجيكما * جهلا ولست بموضع الظلم

أكل الهوى مُحجى ورب هوى * مما ساء كل حجة الخصم

قال اعرابي : « الهوى هوان ، ولكن غلط باسمه » .

وقال الزبير بن عبد المطلب

وأجتنب المقاذع حيث كانت * وأترك ما هويت لما خشيت

وقال البريق الهذلي

أين لي ما ترى والمرء تأبى * عزيمته ويغلبه هواه

فيعمى ما يرى فيه عليه * ويحسب ما يراه لا يراه

وكان يقال : «أخوك من صدقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك» .

السِر وكتمانهِ وإعلانه

حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا محمد بن الحُصَيْب قال حدثني أوس ابن

عبد الله بن بُريدة عن أخيه سهل عن بُريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«استعينوا على الخوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود» . وكانت الحكماء تقول :

«سرك من دمك» . والعرب تقول : «من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه» .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب عن عمه الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا

قال : دخل ابن أبي محجن الثقفي على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذي يقول

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه * تُروى عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفني في القلاة فاني * أخاف وراء الموت أن لا أذوقها

فقال ابن أبي محجن : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية :

وما ذاك؟ قال قوله

لا تسأل القوم ما مالي وما حسبي * وسأل القوم ما حزمي وما خلقي

القوم أعلم أني من سراتهم * إذا تطيش يد الرعية الفرق

أعطى السنان غداة الروع حصته * وعامل الرشح أرويه من العلق

قد أركب الهول مسدولاً عساكره * وأكتم السرفيه ضربة العنق

وأُشْدَنِي لِلصَّلَاتَانِ الْعَبْدِي

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ * وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ

وَكَانَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْتَثِلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ

وَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ * فَاتِ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ غُرُوءَةَ الرَّجَا * لِي لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

وقال الشاعر

وَمَرَقَيْنِ تَكَامُلًا بِهَوَاهُمَا * جَعَلَا الْقُلُوبَ لِمَا تُجَنُّ قُبُورًا

يَتَلَا حُظَانَ تَلَا حُظَا فَكَأَنَّمَا * يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْجَفُونَ سُطُورًا

وقال مسكين الدارمي

أَوَانِي رِجَالًا لَسْتُ أُطْلِعُ بَعْضُهُمْ * عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا

يَظْلُمُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسُرُّهُمْ * إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاعُهَا

وقال (*)

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا أَشْتَمَلْتُ * مِنِّي الضُّلُوعُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّاهُ * إِذَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ

أسر رجل الى صديق له حديثا فلما استقصاه قال له : أفهمت ؟ قال : لا ، بل نسيت .

قيل لأعرابي : كيف كتبتك للسري ؟ قال : « ما قلتي له إلا قبر » . وقيل لمزبد :

أى شيء تحت حضنك ؟ فقال : يا أحمق لم خبأتك . وقال الشاعر

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ * فَافْشِئْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

إِذَا عَاتَبْتُ مِنْ أَفْشَى حَدِيثِي * وَسَرَى عَنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُومُ

وإني حين أسأمت حمل سري * وقد ضمته صدرى ستؤوم

(*) في النسخة الألمانية : وقال آخر . على أنا لم نعر على هذا الشعر لمسكين الدارمي .

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر؟ قال : «أجحد الخبير وأحلف للمستخير». وكان يقال : «من وهى الأمر إعلانه قبل إحكامه». وقال الشاعر

إذا أنت حملت الخؤون أمانة * فانك قد أسندتها شرُّ مُسند

وقال عمرو بن العاص : «ما استودعت رجلاً سراً فأنشاه فلمته ، لأنى كنت أضيق صدرا حين استودعته». وقال

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها * فسرك عند الناس أفشى وأضيع

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه» .

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسراى حديثا ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك ، أفلا أحدثك به؟ قال : لا يا بني «إنه من كتم سره كان الخيار له ، ومن أنشاه كان الخيار عليه ، فلا تكونن مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت : وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال : لا ، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بأحاديث السر . فحدثت به معاوية فقال : يا وليد ؟ أعتقك أنى من ريق الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صنونا أسراركم فانه لا سر لكم إلا فى ثلاثة مواضع : مكيمة تُحساوَل أو منزلة تُراوَل أو سريرة مدخولة تُكتم ، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شيء منها عنه» . وكان يقال : «ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جميل بن معمر

أموت وألقى الله يابثن لم أيج * بسرِّك والمستخبرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومي

ولما تلاقينا عرفت الذى بها * كمثل الذى بي حذوك النعل بالنعل

فَقَالَتْ وَأَرْخَتِ جَانِبَ السَّتْرِ إِنَّمَا * مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِيَ لَهِمْ مِنْ تَرْقُبٍ * وَلَكِنْ سَرَى لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
يُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ يَحْمِلُهُ أَحَدٌ مِثْلِي فِي صِيَانَتِهِ وَسَتْرِهِ، أَيْ فَلَا أَبْدِيَهُ لِأَحَدٍ . وَقَالَ زَهِيرُ
السَّتْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

وقال آخر

فَسَرَى كَمَا عَلَانِي وَتِلْكَ خَلِيقَتِي * وَظُلُمَةُ لَيْلٍ مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا
وقال آخر لأخ له وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ : اجْعَلْ هَذَا فِي وَعَاءٍ غَيْرِ سَرَبٍ . وَالسَّرَبُ السَّائِلُ .
وَكَانَ يَقَالُ : «لِلْقَائِلِ عَلَى السَّامِعِ جَمْعُ الْبَالِ وَالْكُتْمَانِ وَبَسْطُ الْعَذْرِ» . وَكَانَ يَقَالُ :
«الرَّعَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِسْتِرْعَاءِ» .

١٠ أَتَى رَجُلٌ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامٍ السَّلُولِيَّ سَبَّهُ . فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا بَنَ هَمَّامٍ إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ ابْنُ هَمَّامٍ
فَأَنْتَ أَمْرٌ وَإِنَّمَا أَتَمَمْتُكَ خَالِيَا * نَفُخْتُ ، وَإِنَّمَا قُلْتَ قَوْلًا بَلَا عِلْمٍ
وَإِنَّكَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ * لَفِي مَنَزَلٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

وقال آخر

١٥ اخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلٍ * وَالتَفَتِ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
وقال بعض الأعراب

وَلَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُمُتُّهَا * وَلَا أَدْعِ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قُلُوبِي
وَإِنَّ قَلِيلَ الْعَقْلِ مِنْ بَاتٍ لَيْلَهُ * تُقَلِّبُهُ الْأَسْرَارُ جَنِبًا إِلَى جَنِبِ

وقال أبو الشَّيْصِ

٢٠ لَا تَأْمَنْتَ عَلَى سَرَى وَسَرِّكَ * غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْطَى النَّفَرَاتِيسِ
أَوْ طَائِرٍ سَاحِلِيهِ وَأَنْعَتِهِ * مَا زَالَ صَاحِبَ تَنْقِيرٍ وَتَأْسِيسِ

سُودِ بَرَأْتُهُ مِثْلَ ذَوَابَّةٍ * صُفْرِ حَالِقُهُ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسٍ
 قَدْ كَانَ هُمْ سَلِيَانٌ لِبَذْبَعِهِ * لَوْلَا سَعَايَتُهُ يَوْمًا يَلْقَاسُ

وقال أيضا

أَنْضَى إِلَيْكَ بِسْرَهُ قَلَمٌ * لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بِكَيِّ قَلَمُهُ

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي الْكِتَابِ يَأْتِيكَ فِيهِ السِّرُّ
 الْحَزْمُ تَحْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ * وَإِنَّمَا الْحَزْمُ سِوَى الظَّنِّ بِالنَّاسِ
 إِذَا أَنَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ * فَاجْعَلْ صِيَانَتَهُ فِي بَطْنِ أَرْمَاسِ

وقال آخر

سَأَكْتُمُهُ سِرِّي وَأَحْفَظُ سِرَّهُ * وَلَا غَرَّانِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
 حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُشْبِعُهُ * وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

الْكُتُبُ وَالْكِتَابَةُ

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ عَنْ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ
 عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ أَشْرَاطُ
 السَّاعَةِ أَنْ يَفِضَ الْمَالُ وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ وَتَفْشُو التِّجَارُ" قَالَ عَمْرُو : إِنْ كُنَّا لَنَلْتَمِسُ
 فِي الْحَوَاءِ الْعَظِيمِ الْكَاتِبَ ، وَيَبِيعُ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولُ : حَتَّى أَسْتَأْمِنَ تَايَحْرَبْنِي فَلَان .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي أَنْ عَنِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَادَانٍ عَنْ أُمِّ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُمَلِّي فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ فَقَالَ "ضَعْ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكُرٌ لِلْمَلْمَلِ بِهِ" .

(١) كَذَا بِالْفَتْوَاغِرَافَةِ . وَفِي الْمَلَانِيَةِ «عُبَيْدُ اللَّهِ» وَلَعَلَّهُ يُونُسُ بْنُ دِينَارٍ الْعَبْدِيُّ رَأَى الْحَدِيثَ

كثيراً عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ . (٢) الْحَوَاءُ مَجْتَمِعُ بُيُوتِ الْحَيِّ إِذَا تَدَانَتْ .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : « كان إدريس النبي عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود » .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض ابن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى : أدع لي كاتبك ليقرأ لنا صحفا جاءت من الشام . فقال أبو موسى : إنه لا يدخل المسجد . قال عمر : أيه جنابة ؟ قال : لا ، ولكنه نصراني . قال : فرفع يده فضرب نخته حتى كاد يكسرها ثم قال مالك ! قاتلك الله ! أما سمعت قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا اتخذت رجلا حنيفيا ! فقال أبو موسى : له دينه ولي كتابته . فقال عمر : « لا أكرهمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهمهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهمهم إذ أقصاهم الله » .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا عيسى بن يونس قال حدثنا أبو حيان التميمي عن أبي زُبَاع عن أبي الدهقانة قال : ذكر لعمر ابن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة وكان نصرانيا ، ف قيل له : لو اتخذته كاتباً . فقال « لقد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين » .

حدثني أبو حاتم قال : مرَّ امرئ بن مروءة من أهل الأنبار وهو الذي وضع كتابة العربية ، ومن الأنبار انتشرت في الناس .

(*) هكذا في النسخة الفتوغرافية والألمانية . والذي في القاموس : ومرامر بن مرة بضمهم أول من وضع الخط العربي . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامي ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال : قال ابن بري : الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائني أنه مرامر بن مروءة .

حدثني أبو سهل عن الطنّافسي عن المنكدر بن محمد عن أبيه محمد بن المنكدر قال جاء الزبير بن العوام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت ؟ جعلني الله فداك ! قال « ما تركت أعرايتك بعد » .

قال عبد الملك ابن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر : « تفقد كاتبك وحاجبك وجليستك ، فإن الغائب يخبره عنك كاتبك ، والمتوسم يعرفك بحاجبك ، والداخل عليك يعرفك بجليستك » .

ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعني ، فكتب إليه : « إنه ليخيل إلى أني لو كتبت إليك أن تُعطي رجلاً شاة لكتبت إلى : أضأن أم ماعز ، ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت : أذكر أم أنثى ، ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت : أصغير أم كبير ، فإذا أتاك كتابي هذا فلا تراجعني في مظلمة » .

وكتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم وعقور نخلمهم . فكتب إليه : بأي ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدور ؟ فكتب إليه أبو جعفر : « أما بعد ، فاني لو أمرتك بإفساد ثمرهم لكتبت إلى قستان في أية تبدأ أبالبرني أم بالشهريز ؟ » وعزله ، وولى محمد بن سليمان ، وكان يقول : « لا كاتب على الملك ثلاثة ، رفع الحجاب عنه ، واتهام الوشاة عليه ، وإفشاء السر إليه » .

كانت العجم تقول : « من لم يكن عالماً بأجزاء المياه وبحفر فُرض الماء والمسارب ورَدَم^(٢) المَهاوى ومجاري الأيام في الزيادة والنقصان واستهلال القمر وأفعاله ووزن الموازين

(١) في الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) في الفتوغرافية فرض المشارب .

وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه وحال أدوات الصنائع ودقائق الحساب كان ناقصا في حال كتابته .

قال ميمون بن ميمون «إذا كانت لك الى كاتب حاجة فليكن رسولك اليه الطمع» .
وقال : «إذا آخيت الوزير فلا تخش الأمير» .

وفي كتاب للهند : «إذا كان الوزير يساوى الملك في المال والهيبة والطاعة من الناس فليصرعه الملك ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المدائني قال : خلا زياد يوما في أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وابنه عبيد الله ، فنعس زياد فقال لعبيد الله : تعهد هذا لا يكتب شيئا . ونام ، فوجد عبيد الله مسما من البول فكره أن يوقظ أباه وكره أن يخلى الكاتب فشد إبهاميه بخيط وختمه وقام لحاجته .

١٠

قال أبو عباد المكاتب : ما جلس أحد قط بين يدي إلا تخيل الى أني جالس بين يديه .
وقرأت في التاج أن أبرويز قال لكاتبه : «أكرم السر واصدق الحديث واجتهد في النصيحة واحترس بالحذر ، فإن لك على أن لا أعجل بك حتى أستاذني لك ولا أقبل عليك قولا حتى أستيقن ولا أطمع فيك أحدا فيغالك . واعلم أنك بمنجاة رفعة فلا تحطنها وفي ظل مملكة فلا تستريلنه ، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد الناس مشايحة^(*) من عدوك واقصد الى الجميل أدراعا لعدك وتحصن بالعفاف صونا لمروءتك وتحسن عندي بما قدرت عليه من حسن ولا تشرعن الألسنة فيك ولا تقبحن الأحداث عنك وصن نفسك صون الدرة الصافية وأخلصها إخلاص الفضة البيضاء وعاتبها معاتبة الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيع . لا تدعن أن ترفع الى الصغير ، فانه يدل على الكبير ولا تكتمن الكبير فانه ليس شاغلي عن

٢٠

الصغير . هذب أمورك ثم آتني بها وأحكم لسانك ثم راجعني به ولا تجترئ على فامتعض ولا تنقبض مني فأتهم ولا تترصص ما تلقاني به ولا تُخدحته . وإذا فكرت فلا تعجل وإذا كتبت فلا تُعذر ، ولا تستعين بالفضول فإنها علاوة على الكفاية ولا تُقصرن عن التحقيق فإنها هجنة بالمقالة ولا تلبس كلاما بكلام ولا تباعدن معنى عن معنى . أكرم كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفه . وانتشار يتبعجه . ومعانٍ تقعد به . وجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول ، وليكن بسطة كتابك على السوقة كبسطة ملك الملوك على الملوك ، ولا يكن ما تملك عظيما وما تقول صغيرا فانما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله غالبا كعلوه وفائقا كنفوقه . واعلم أن جماع الكلام كله خصال أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء . وأمرك بالشيء . وخبرك عن الشيء فهذه انحال دعاتم المقالات إن آتس لها خامس لم يوجد وإن نقص منها رابع لم تتم . فإذا أمرت فأحكم وإذا سألت فأوضح وإذا طلبت فأشجع وإذا أخبرت فحقق فانك إذا فعلت ذلك أخذت بحزامير القول كله فلم يشتبه عليك وارده ولم يُعجزك منه صادرة . أثبت في دواوينك ما أدخلت وأحص فيها ما أخرجت وتيقظ لما تأخذ وتجرد لما تعطى ولا يغلبك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدم ولا تُخرجن وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن إنحراج الكثير في الحق ، وليكن ذلك كله عن مؤامرتي .

قال رجل لبنيه : « يا بني تزيوا بزي الكتاب فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة » .

قال الكسائي : « لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن الشيء بعد الشيء أقرنه بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر ، على كلمة الى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها ، منك ! » .

وقال ابن الأعرابي: «رأني أعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال إنك لحثف الكلمة الشرود» .

وقال رجل من أهل المدينة: «جلست الى قوم ببغداد فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أعلامهم» .

وكتب بعض الكتاب الى صديق له: «وصل الى كتابك فما رأيت كتابا أسهل فنونا ولا أملس متونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشد على كل مفصل حزا منه. أنجزت فيه عدة الرأي وبشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا» .

ويقال: «عقول الرجال في أطراف أعلامها» .

ويقال: «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظفرين وإملاك العجين أحد الرّيعين وحسن التقدير أحد الكاسبين واللبن أحد اللحمين» . وقد يقال: المرق أحد اللحمين .

قيل لبعضهم: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانة الخفية . وقرأت في بعض كتب العجم أن موبذات موبد وصف الكتاب فقال: «كتاب الملوك عيبتهم المصونة عندهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الشاهدة، لأنه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك، ولا أقرب هلكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك، فترفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادهم لأنفسهم فلا يهتم روح على جسده ولا يهتم جسده على روحه لأن زوال ألفتها زوال نعمتهما، وأن التثام ألفتها صلاح خاصتهما» .

وقال

لئن ذهبتُ الى الجحّاج يقتلني * إني لأحق من تتخدى به العيرُ
مستحقبا صُحُفا تُدْمى طوابعها * وفي الصبائف حيات منّا كيرُ

وقال بعض الشعراء في القلم

عجبت لذي سنين في الماء نبته * له أثر في كل مصير ومعمر

وقال بعض المحدثين في القلم

ضئيل الرّواء كبير الغناء * من البحر في المنصب الأخضر
كمثل أنحى العشق في شخصه * وفي لونه من بنى الأصفر
يمرّ كهيئة مرّ الشّجا * ع في دغص مخيّبة أعفر
إذا رأسه صحّ لم ينبعث * وجاز السبيل ولم يبصر
وإن مديّة صدعت رأسه * جرى جرى لا هائب مُقصر
يقضى ما ربه مقبلا * ويحسبها هيئة المدير
تجود بكف فتى كفه * تسوق الثراء إلى المعسر

وقال حبيب الطائي يصف القلم

لك القلم الأعلى الذي بشبّاته * يصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعى القاتلات لعبه * وأرى الجنى آشتارته أيد عواسل
له ريقة طلّ ولكن وقعها * بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح إذا استنطقته وهو راكب * وأعجم إن خاطبته وهو راجل
إذا ما أمتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا ونقوضت * لنجواه تقويض الخيام الخافل
تراه جليلا شأنه وهو مرهف * ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم

وأسمر طاوى الكشح أنحرس ناطق * له ذمالات في بطون المهارق
إذا استعجلته الكف أمطر خاله * بلاصوت إرعاد ولا ضوء بارق
كأن الآلى والزبرجد نطفه * ونور الخزامى في بطون الحقائق

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً

وإذا تالق في الندى كلامه آل منظم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم أنتجت * برقت مصابيح الدجى في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده * منا ويعبد نيله في قربه
حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقلبيها في قلبه
كالروض مؤلف بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشبه

وقال سعيد بن حميد يصف العود

وناطق بلسان لا ضميره * كأنه نخذ نيطت الى قدم
يبدى ضمير سواه في الكلام كما * يبدى ضمير سواه منطق القلم

بعث الطائي الى الحسن بن وهب بدواة ابنوس وكتب اليه

قد بعثنا إليك أم المنايا * والعطايا زنجيسة الأحساب
في حشاها من غير حرب حراب * هي أمضى من مرهفات الحراب

وقال ابن أبي كريمة يصف الدواة والقلم

ومسوذة الأرجاء قد خضت ماءها * ورويت من قعر لها غير منبط
نحيص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الأمير المسلط

وقال بعض أهل الأدب : إنما قيل "ديوان" لموضع الكتبة والحُساب لأنه يقال : للكتاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين ، لحذقهم بالأمور ولطفهم فسَمَّي موضعهم باسمهم .

وقال آخر : إنما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوزر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهي الأحمال ، قال الله عز وجل (وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالا من حلِيم ، ولهذا قيل للإثم : وزر ، شُبّهَ بالحمل على الظهر ، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبي نواس قوله

يا كاتباً كتب الغداة يسبني * من ذا يطيق براعة الكتاب
لم ترض بالإعجام حين سببتني * حتى شككت عليه بالإعراب
وأردت إفهامي فقد أفهمتني * وصدقت فيما قلت غير محابي

وقال آخر

يا كاتباً شئتُ أقلامه * من كفه دُرّاً على الأسطر

وقال عديّ بن الرقاع

صلى الله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها

ومنه أخذ الكتاب : وأتم نعمته عليك وزاد قيا عندك .

وقال حاتم طي في معنى قولهم مت قبلك

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا * بموت فكن أنت الذى نتأخر

وقال جرير في معناه

ردي فؤادي وكوني لي بمنزلي * يا قبل نفسك لاقى نفسي التلّف

كتب بعض الملوك الى بعض الكتاب كتابا دعا له فيه بامتنع الله بك ، فكتب
اليه ذلك الكاتب

أُحِلَّتْ عَمَّا عِيَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ نَلَتْ مُلْكَاً فَهَيْتَ فِي كِتَابِكَ
أَمْ هَلْ تَرَى أَنْ فِي التَّوَاضُعِ لِلْأَخْوَانِ تَقْصَا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ
أَمْ كَانَ مَا كَانَ مِنْكَ عَنْ غَضَبٍ * فَأَيُّ شَيْءٍ أَدْنَاكَ مِنْ غَضَبِكَ
إِنْ جَفَاءَ كِتَابٍ ذِي مِقَّةٍ * يُكْتَبُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعْ بِكَ

وقال الأصمعي في البرامكة

إِذَا ذُكِرَ الشَّرْكُ فِي مَجْلِسٍ * أَنَارَتْ وَجْوهُ بَنِي بَرْمَكٍ
وَإِنْ تُلِيتَ عَنْدهُمْ آيَةٌ * أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْوَكٍ^(٢)

وقال آخر

إِنْ الْفَسْرَاغُ دَعَانِي * إِلَى آبَتَاءِ الْمَسَاجِدِ
وَإِنْ رَأَيْتَ فِيهَا * كَرَأَى بِحْيِ بْنِ خَالِدٍ

مر عبد الله بن المقفع بيت النار، فقال

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أُتَعَزَّلُ * حَذَرَ الْعَمَاءِ وَبِهِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ

وقال دَعْبِلُ فِي أَبِي عَبَّادٍ

أَوَّلَى الْأُمُورِ بَضِيعَةٌ وَفَسَادُ * أَمْرٍ يَدْبُرُو أَبُو عَبَّادٍ
حَنِقَ عَلَى جَلْسَائِهِ بِدَوَاتِهِ * فَمَرَّمَلْ وَمَضْمَخَ بِمَسَدَادٍ
وَكَانَهُ مِنْ دَيْرِ هِرَقْلٍ مُفْلَتٌ * حَرِدٌ يَجْرُسُ لَسَلِ الْأَقْيَادِ

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتمد . أنظر هذا الشعر ورد

ابن الزيات عليه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني وهو محرف عن " مرزب " واليه ينسب المزدكية ، وقد خرج
في أيام قباد بن فيروز فبدل شريعة زرادشت واستحل المحارم وموتى بين الناس في الأموال والنساء والعبيد
فكثر أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباد نفسه ولم يزل كذلك حتى ولي كسرى أنوشروان فقتله وأباد أتباعه اه
باختصار عن ابن الأثير . وقد ورد البيتان في البيان والتبيين للنجاحض .

خيانة العمال

حدثنا إسحاق بن راهويه قال : ذكر لنا أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها الى عمر فأهدت المرأة الى عمر نخذ جزور ثم خاصمته اليه فوجه القضاء عليها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أفصل القضاء بيننا كما يفصل نخذ الجزور . ف قضى عليها عمر وقال : إياكم والهدايا . وذكر القصة .

قال إسحاق : كان الحجاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضي بين الناس ، فأهدى اليه رجل سراجا من شبيه^(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث اليه ببغلة . فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول : إن أمرى أضوأ من السراج . فلما أكثر عليه قال : ويحك إن البغلة رحمت السراج فكسرتة .

حدثنا إسحاق قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي بصرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد الى عمر فأعجبته هيئته ونحوه ، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله . فقال الربيع : يا أمير المؤمنين ، إن أحق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطىء لأنت . فضرب رأسه بجريدة وقال : والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى ، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرا . ألا أخبرك بمثل ومثل هؤلاء ، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشيء ؟ قال الربيع : لا .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال : لما أتى عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول : والله إن الذي أدى

(١) النحاس الأصفر . (٢) كذا بالأصل غير مضبوط ، ولعله الحريري بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إلياس الحريري ، فقد جاء في تهذيب التهذيب وفي الأنساب للسمعاني أن من جملة من روى عنه الحمادان : حماد بن سلمة وحماد بن زيد .

الينا هذا لأمين . فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله يؤدّون اليك ما أدّيت
الى الله فاذا رتعت رتّعوا . قال : صدقت .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعي قال : لما أتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه
الوزان والنقاد فكمّ كومة من ذهب وكومة من فضة وقال : يا حمراء ويا بيضاء
احمري وبيضى وغمري غمري . وأنشد

هذا جنّاي وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أبي
خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملاً يشترط عليه أربعة :
ألا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقي ، ولا يتخذ بواباً . وممر ببناء
ينى بحجارة وجصّ فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملاً له على البحرين فقال : «أبت
الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان
الماء والطين» .

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدّثنا قريش بن أنس عن سعيد
عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه : أن دَعُ لأهل الخراج من أهل
الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالة ويركبون البراذين وخذ الفضل .

حدّثنا محمد بن عبيد عن هُوَذة عن عوف عن ابن سيرين [وإسحاق عن النضر بن
شميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين
قال له عمر : يا عدوّ الله وعدوّ كتابه ، أسرقت مال الله ؟ قال أبو هريرة لست بعدوّ الله

(١) في النسخة الفتوغرافية : "حميد" والاسمان واردان معا في تهذيب الكمال في أسماء الرجال . وليس

في ترجمة أحدهما من يروى عن هُوَذة هذا ، ولعل رواية الألمانية هي الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن

قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي تتابع فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأُمير المؤمنين ثم قال لي عمر بعد ذلك : ألا تعمل ؟ فقلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . فقلت يوسف نبي ابن نبي وأنا ابن أُميمة ^(١) أخشى ثلاثا واثنين . قال فهلا قلت نحسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يضرب ظهري ، ويشتم عرضي ، ويتزع مالي .

حدثنا محمد بن داود عن نصر بن قديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بُردة وهو أمير البصرة فقال : أيها الأمير ، إني قرأت في بعض الكتب : « من أحق من السلطان ومن أجهل من عصاني ومن أعز ممن ^(٢) أعزني . أيا راعي السوء دفعتُ إليك غنا سمانا سحاحا فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتمدت بالسمن ولبست الصوف وتركته عظاما لتقعقع » .

حدثني محمد بن شبابة عن القاسم بن الحكم العُرفي القاضي قال حدثني اسماعيل ابن عيَّاش عن أبي محمد القرشي عن رجاء بن حيوة عن ابن مُحَرِّمة قال : إني لتحت منبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالحابية حين قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، اقرءوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله . ألا إنه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حقا وأن يذكر بعظيم ، ألا وإني ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا وإني ما وجدت

٢٠ (١) اسم أم أبي هريرة . (٢) في النسخة الألمانية : ومن أغر من اغتربي .

(٣) في الألمانية : "محرمة" ولعل الصواب ما في الفتوغرافية حيث ذكر في ترجمة رجاء بن حيوة أن من شيوخه المسور بن مخرمة .

صالح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنما أنا في مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغثت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تقرم البهمة .

بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد اذا ولى رجلا قل له : خذ عهدك وسر الى عملك واعلم أنك مصروف رأس سنتك وأنت تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائناً قوياً استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أميناً قوياً زدناك في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

قال العتيبي : بُعث الى عمر بن الخطاب فاقسمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون ، فقال سليمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى أتزرت به هو ثوبك ؟ قال : اللهم نعم . فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

بلغنى عن حفص بن عمران الرازى عن الحسن بن عُمارة عن المنهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذا كر علياً فتنقصه فقام شداد فقال : « الحمد لله

(*) كذا بالأصل ، وفي القاموس : وأتزر به وتأزر به ولا تنل أزر وقد جاء في بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة . وفي النهاية لابن الأثير أنه خطأ لأن الهمزة لا تدغم في التاء . وفي التاج : وقال المطرزي أنه لغة عامية ثم نقل عن الصاغاني أنه يجوز أن تقول أزر بالمزراً أيضاً فيمن يدغم الهمزة في التاء كما يقال أتمنه والأصل أتمته .

الذي افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى أثر من رضا غيره . على ذلك مضى أقولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عرض حاضرياً كل منها البر والفاجر، وإن السامع المطيع لاجبة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالناس صلاحاً عمل عليهم صلحاءهم وقضى بينهم فقهاءهم وجعل المال في سمحاتهم ، وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهلاءهم وجعل المال عند بخلائهم . وإن من صلاح الولاية أن يصلح قرناؤها . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بمال ، وقال : ألسنت من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسلمين تعمدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالاً وأنفقته إفضالاً ، فنعيم . وإن كان مما شاركك فيه المسلمون فاحتجته دونهم ، أصبته اقترافاً وأنفقته إسرافاً ، فإن الله عز وجل يقول (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

مرّ عمرو بن عبّيد بجماعة عكوف ، فقال ما هذا ؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله ، سارق السر يقطعه سارق العلانية ! .

ومر طارق صاحب شرطة خالد القسري بابن شبرمة ، وطارق في موكبته فقال ابن شبرمة أراها وإن كانت تُحبُّ كأنها * سخابة صيف عن قريب تَشَعُّ

اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبته وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُني ، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك . إن أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم .

ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة سنتين فأحسن السيرة وعف عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا إليه فأنشد لدراج الضبابي .

فلا السجن أبكاني ولا القيد شقني * ولا أني من خشية الموت أجزع
 وإمكن أقواما أخاف عليهم * إذا مت أن يُعطوا الذي كنت أُمِنُ
 ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكني أخشى أن يلى هذه الوجوه
 من لا يرعى لها حقها .

ووجدت في كتاب لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ
 من مال البصرة ما أخذ : « إني أشركت في أمانتي ولم يكن رجل من أهلي أو ثقي
 منك في نفسي ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والعدو قد حرب قلبت
 لابن عمك ظهر المحن بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفت ما قدرت
 عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى » وفي الكتاب : « صحح^(*)
 رويدا فكأن قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي به ينادى المغتر
 بالحسرة ويتمنى المضيق التوبة والظالم الرجعة » .

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة : « غرتني منك مجالستك القراء
 وعمامتك السوداء فلما يلوناك وجدناك على خلاف ما أتملناك ، قاتلكم الله ! أما تمشون
 بين القبور ! » .

قال ابن أحمريذ كرم الله وجهه : « قال ابن أحمريذ كرم الله وجهه :
 إن العياب التي يُخفون مُشرجة * فيها البيان ويلوى عندك الخبر
 فابعث اليهم فحاسبهم محاسبة * لا تخف عين على عين ولا أثر
 هل في الثمان من السبعين مظلمة * وربها بكتاب الله مصطبر »

وقال عبد الله بن همام السلولي

أقلى على اللسوم يا أم مالك * وذمى زهانا ساد فيه الفلاقيس^{٢٠}

(*) صحح من ضحيت الغنم اذا رعيها في الضحى ، أى اربع نفسك على مهل فانما أنت على شرف الموت .

(*) وسأيع مع السلطان ليس بناصح * و"محتس من مثله وهو حارس"

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوما فاطعمهم وجعل يحثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّحْرِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنكم بأناس خسر كسبهم * مصرح السحت سموه الإصابات

وقال أبو نواس في إسماعيل بن صبيح

بنيت بما خنت الامام سقاية * فلا شربوا إلا أمر من الصبر

فما كنت إلا مثل بائعة آستها * تعود على المرضي به طلب الأجر

يريد معنى الحديث أن امرأة كانت في بني إسرائيل ترضى بحب الرمان وتصدق به على المرضي .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين

أست أمين الله سيفك نعمة * اذا ماق يوما في خلافتك مائق

فكيف باسماعيل يسلم مثله * عليك ولم يسلم عليك منافق

أعيدك بالرحمن من شركاتب * له قلم زان وآخر سارق

وقال فيه أيضا

ألا قل لاسماعيل إنك شارب * بكأس بني ما هان ضربة لازم

أُسْمِنُ أولاد الطريد ورهطه * يلهزال آل الله من نسل هاشم

وتخبر من لا قيت أنك صائم * وتغدو بفرج مفطر غير صائم

فإن يسر إسماعيل في جفاته * فليس أمير المؤمنين بنائم

ولى حارثة بن بدر "سرق" فيكتب اليه أنس الدؤلى

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جردا فيها تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يترن على حفظ شيء لا يؤمن أن يخون فيه ، كما في لسان العرب .

وبار تميما بالغنى إن للغنى * لسانا به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فإن جميع الناس إما مكذب * يقول بما يهوى وإما مصدق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يحققوا
ولا تَحْقِرُنَّ يا حارِ شيئا أصبته * فحظك من مُلك العراقين سُرِقُ

فلما بلغت حارثة قال : لا يعمى عليك الرشد .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جَوَيزِيَّة بن أسماء قال ، قال فلان : « إن الرجل
ليكون أميناً فاذا رأى الضياع خان » .

قرأت في كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه : « اجعل عقوبتك على اليسير من
الخيانة كعقوبتك على الكثير منها ، فاذا لم يُطمع منك في الصغير لم يُجترأ عليك
في الكبير . وأبرِد البريد في الدرهم ينقص من الخراج ، ولا تعاقبن على شيء كعقوبتك
على كسره ولا ترزقنَّ على شيء كرزقك على إزجائه ، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن
ثوابك عليه حقنَ دم المزجي وتوفير ماله من غير أن يعلم أنك أحمدت أمره حين
عَفَّ واعتصم من أن يهلك » .

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لصاحب بيت المال : « إني لا أحتملك على
خيانة درهم ولا أحمذك على حفظ ألف ألف درهم ، لأنك إنما تحقنُ بذلك دمك
وتعمرُ به أمانتك فأنك إن خنت قليلاً خنت كثيراً . واحترس من خصلتين :
النقصان فيما تأخذ ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أني لم أجعل أحداً على ذخائر المُلُك وعمارة
المملكة والعُدَّة على العسوق إلا وأنت آمنٌ عندي من موضعه الذي هو فيه وخواتمه
التي هي عليها ، فحقق ظني في اختياري إياك أحقق ظنك في رجائك لي ، ولا تتعوض
بخير شراً ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة » . وكان يقال : « كفى بالمرء
خيانة أن يكون أميناً للخونة » .

قدم معاذ من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان ، حساب من الله وحساب منكم ؟ لا والله لا ألي لكم عملاً أبداً .

ذكر أعرابي رجلاً خائناً فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لُقماً وإن فلاناً يحسوها حسوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلاً تعمل طويلاً وألزم العفاف يلزمك العمل ، وإياك والرِّشا يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضاء

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا بشر بن المفضل بن لاحق قال حدثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالماً قبل أن يستعمل ، مستشيراً لأهل العلم ، ملقياً للرفع ، منصفاً للخصم ، محتسماً للأئمة » .

حدثني علي بن محمد قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق الأنصاري عن عبد الله بن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن علي عليه السلام أنه قال : « ذمتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العبر ألا يهلك على التقوى زرع قوم ولا يظماً على التقوى سنخ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قمش جهلاً غاراً بأغباش الفتنة عمياً بما في عقده الهدنة سماً أشباهه من الناس عالماً ولم يغن في العلم يوماً سالماً . بكر »

(١) الحرص والطمع . (٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وصوابه « مقتدياً بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر في العقد الفريد وفي البيان والتبيين بما نصه : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأي . (٣) في النسختين الألمانية والفتوغرافية « يهيج » والتصويب عن نهج البلاغة . (٤) في الأصلين « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فاستكثر ، ما قل منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكثر من غير
طائل فقد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره ، إن نزلت به إحدى المبهمات
هيا حشوا رثا من رأيه ، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت . لا يعلم
اذا أخطأ ، لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب . خباط عَشَوَات رُكَّاب جهالات ، لا يعتذر
مما لا يعلم فيسلم ولا يعص في العلم بضرس قاطع . يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم ،
تبكي منه الدماء وتصرخ منه المواريث ويستحل بقضائه الفرج الحرام . لا ملئ والله
باصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرظ به »

قال ابن شبرمة

ما في القضاء شفاعة لخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون على إذا قضيت بسنة * أو بالكاتب برغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعالم

الهشيم عن ابن عيَّاش عن الشَّعْبِيِّ قال : كان أول قاض قضى لعمر بن الخطاب
بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي ، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها ، ثم قضى بالمدائن ،
ثم عزله عمر واستقضى شُرَحْبِيل على المدائن ، ثم عزله واستقضى أبا قرة الكندي
وهو اسمه فاخطت الناس الكوفة وقاضيههم أبوقرة ، ثم استقضى شريح بن الحارث الكندي
فقضى نحسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة الى البصرة واستقضى مكانه
مسروق بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة
في زمن ابن الزبير فقعد ولم يقض في الفتنة . فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه
ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجل شريحا في الطريق
فقال : يا أبا أمية قضيت والله يجور ، قال : وكيف ذاك ؟ ويحك ! قال : كبرت

(*)
سُنُّكَ واختلط عقلك وارتشى ابنك ، فقال [شريح لا جرم] لا يقولها أحد بعدك .
فأتى الحجاج فقال : والله لا أقضى بين اثنين . قال : والله لا أعفيك أو تبغيني رجلاً .
فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى . فاستقضاه الحجاج
وألزمه سعيد بن جبيرة كاتباً ووزيراً .

وروى الثوري عن علقمة بن مرثد أنه لقي محارب بن دثار وكان على القضاء
فقال له : يا محارب ، إلى كم تردد الخصوم ؟ فقال له : إني والخصوم كما قال الأعشى
أرقتُ وما هذا السَّهاد المورق * وما بي من سقم وما بي معشوق
ولكن أراني لا أزال بحادث * أغادى بما لم يمسَّ عندي وأطرق

حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
ابن الشهيد قال : كنت جالساً عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة
فطول فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الفتيا فعليك بالحسن معلّم ومعلم أبي ،
وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى — وكان على قضاء البصرة
يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بجميد الطويل ، وتدرى ما يقول لك ؟
يقول لك : حطّ شيئاً ، ويقول لصاحبك : زده شيئاً حتى نصلح بينكما ، وإن
كنت تريد الشغب فعليك بصالح السَّائِسي ، وتدرى ما يقول لك ؟ يقول لك :
ابجد ما عليك . ويقول لصاحبك : ادع ما ليس لك وادع بينةً غيباً .

قرأت في الآيين : « ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحقّ العدل والقضاء العدل غير
الحقّ والقضاء الحق غير العدل ويقايس بتثبت وروية ويتحفظ من الشبهة » . والقضاء
الحقّ العدل عندهم قتل النفس بالنفس ، والقضاء العدل غير الحقّ قتل الحر بالعبد ،
والقضاء الحق غير العدل البدية على العاقلة .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أنحى الأصمعي قال حدثني عمي الأصمعي قال قال أعرابي لقوم يتنازعون : هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ فقليل : وما يكون خيرا من الحق ؟ قال : التحايط والهمضم فإن أخذ الحق كله مر .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في شيء فحكما رجلا له في المخطئ هو ، فقال للمخطئ : من يقول بقولك أكثر .

الهيثم بن عدي قال : تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد إلى عبد الملك بن عمير وهو قاضي الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمي بها فقضى لها ، فقال هذيل الأشجعي

أتاه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما أدعت من صامت المال والحوّل

فأدلى وليد عند ذاك بحقه * وكان وليد ذا مرأى وذا جدل

ففتنت القبطى حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السور الطول

فلو كان من في القصر يعلم علمه * لما استعمل القبطى فينا على عمل

له حين يقضى للنساء تحاوص * وكان وما منه التهاوص والحوّل

إذا ذات دَلَّ كلمته لحاجة * فهم بأن يقضى تتنح أو سعل

[وبرق عينيه ولاك لسانه * يرى كل شيء ما خلا شخصها جلل]

فكان عبد الملك بن عمير يقول : والله لربما جاءني السعلة أو التنحج وأنا في المتوضأ فأكف عن ذلك .

وقال ابن منذر في خالد بن طليق وكان قد ولي قضاء البصرة :

قل لأُمير المؤمنين الذي * من هاشم في سرها واللباب

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) في القاموس : وابن منذر ويضم فيصرف شاعر بصري لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر . وفي الأغاني أنه إذا قيل له ابن منذر بفتح الميم يغضب ثم يقول أنا منذر الصغرى أم منذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز . إنما هو منذر على وزن مفاعل من نادر فهو منذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسَّخْطَةِ عاقبتنا * بخالد فهو أشدَّ العقاب
كان قضاةُ الناسِ فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب
يا عجباً من خالد كيف لا * يخطئ فتياً مرةً بالصواب

وقال فيه

جُعل الحاكم يا للناس من آل طَلِيقٍ
صُحَّةٌ يُحكَم في الناس * س برأى الجاثليق^(١)
أى قاض أنت في النقص وتعطيل الحقوق
يا أبا الهيثم ما أنست لهذا بخليق
لا ولا أنت لما حُمَّت منه بمطيق

أراد عدي بن أرطاة بكر بن عبد الله المزني على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن
القضاء، فإن كنت كاذباً أو صادقاً فما يحل لك أن توليني .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لما عزل ابن شبرمة عن القضاء قال له
والى اليمن : اختر لنا رجلاً نوليّه القضاء . فقال له ابن شبرمة : ما اعرفه .
فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل اليه بجاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدري
لم دُعيت ؟ قال : لا . قال : إنك قد دُعيت لأمر عظيم ، للقضاء . قال : ما أيسر
القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شيء يسير منه ، قال : سل . قال له
ابن شبرمة : ما تقول في رجل ضرب بطن شاة حامل فألقت ما في بطنها ؟ فسكت
الرجل ، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناك^(٢) فما وجدنا عندك شيئاً . فقيل له : ما القضاء
فيها ؟ قال ابن شبرمة [تُقَوِّم حاملاً وتُقَوِّم حائلاً ويغرم قدر ما بينهما .

(١) في القاموس : الجاثليق بفتح اللام المثناة رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب

الناج وهو المعروف الآن بالقتل كقنفذ . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(*)

حدثني عبد الله بن محمد الخَلنجي قال : كان يحيى بن أكرمٍ يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

- ٥ ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال : إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها ولا غنى بنا عن ريفك . فقال له عبد الملك : إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما إذا أولدتما ، فعلت . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ، فإن أصاب لزمني الحرمان ، وإن أخطأ آتسع لي العذر . فدعا بالبحدلي فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالزماح ، أحدهما عم الآخر والآخر خاله .

- ١٠ قال ابن سيرين : كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبّة له وبين يديه كانون له فيه نار فجاءه رجل بفلس معه على فراشه فسأره بشيء لا ندري ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضع لي إصبعك في هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل عليّ بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسئلني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعاه إلى القضاء .

كان يقال : « ثلاث إذا كن في القاضي فليس بكامل : إذا كره اللوائم ، وأحب المحامد ، وكره العزل . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان عالماً ، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم » .

٢٠ (*) في النسخة الفلورنسية : « عبد الرحمن » وفي أنساب السمعاني ما يؤيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضي الى العدل في لحظة ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .
قال الشعبي : حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت عينيها فبكت فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون .

بلغني عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الأشعري كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نقاذ له . آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا بيأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شيء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، وأعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ثم اعمد لأحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينة أخذ بحقه وإلا استحللت عليه القضاء . والمسلمون عدول في الشهادة إلا مجلودا في حد أو مجرأ عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة . إن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم البينات . وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فانه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه الله ، والسلام » .

وقال سلمة بن الخُرَشُب لسُبَيْع التَغْلَبِي في شأن الرُّهْن التي وضعت على يديه في قتلى
عَبْس وذُبْيَان .

أَبْلَغُ سُبَيْعَا وَأَنْتَ سَيِّدُنَا * قَدْ مَأْوَى زَجَالَنَا ذِمًّا
أَنْ بَغِيضًا وَأَنْ إِخْوَتَهَا * ذُبْيَانٌ قَدْ ضَرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمَّا
نَبَّئْتُ أَنْ حَكْمُكَ بَيْنَهُمْ * فَلَا تَقُولَنَّ بئْسَ مَا حَكَمَّا
إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَةٍ بِشَأْنِهِمْ * تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَّا
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ * حَكْمًا وَعِلْمًا وَتَحْضُرُ الْفَهَمَّا
فَاحْكُمِ فَإِنَّ الْحَكِيمَ بَيْنَهُمْ * لَنْ يَعْدَمُوا الْحَقَّ بَارِدًا صَتَمًا
وَأَصْدَعُ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ * عَلَى رِضَا مِنْ رِضَى وَمِنْ رَغْمَا
إِنْ كَانَ مَا لَا فِثْلَ عِدَّتِهِ * مَا لَمْ يَمَالْ وَإِنْ دَمًّا قَدَمًا
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطَقْ حُكُومَتُهُمْ * فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمًا

وَأَنشَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ شِعْرَ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ
فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ * يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءُ

جَعَلَ عُمَرُ يَتَعَجَّبُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْحَقُوقِ وَتَفْصِيلِهِ بَيْنَهَا وَيَقُولُ : لَا يَخْرُجُ الْحَقُّ مِنْ
إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا يَمِينٌ أَوْ مَخَاكِمَةٌ أَوْ حِجَّةٌ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيهَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شُبْرَمَةَ

وَكَيْفَ تَرَجَّى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ * وَلَمْ تَصِبِ الْحَكْمَ فِي نَفْسِكَ
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ لِابْنِ الْجَلَّاحِ * وَهِيَاتُ دَعْوَاكَ مِنْ أَصْلِكَ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحِ الْعِجْلِيِّ قَالَ : خَرَجَ شَرِيكَ وَهُوَ عَلَى الْقَضَاءِ يَتَلَقَّى الْخَيْرَ زُرَّانَ وَقَدْ

أَقْبَلْتَ تَرِيدًا لِيَجْ ، فَأَتَى ، " شَاهِي " فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا وَلَمْ تُؤَافِ نَخَفَ زَادَهُ وَمَا كَانَ
مَعَهُ مِنَ الْخَبْزِ يَفْعَلُ بَيْلَهُ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُهُ بِالْمَلْحِ ، فَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ الْمُنْهَالِ الْغَنَوِيُّ

فان كان الذي قد قلت حقا * ان قد أكرهوك على القضاء
فما لك موضعاً في كل يوم * تلقى من يحج من النساء
مقيماً في قرى شاهی ثلاثاً * بلا زاد سوى كسير وماء
يزيد الناس خيراً كل يوم * فترجع يا شريك الى وراء

وقال فيه أيضاً

فليت أبا شريك كان حياً * فيُقصّر حين يبصره شريك
ويترك من تدرييه علينا * اذا قلنا له هذا أبوك^(١)

وأنشد لبعض الشعراء في بعض الحكم

أبكي وأنذب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكم
إن الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني القاسم بن الفضل قال حدثني رجل من بني
جرير أن رجلاً منهم خاصم رجلاً الى سوار بن عبد الله فقضى على الجريري، فمر
سوار ببني جرير فقام اليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول

رأيت أحلاماً فعبثتُها * وكنت للأحلام عبّاراً
رأيتني أخلق ضباً على * بحر وكان الضب سواراً

في الشهادات

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال لي أيوب^(٢) : إن من أصحابي من أرجو
دعوته ولا أجيز شهادته . قال وقال سوار : ما أعلم أحداً أفضل من عطاء السلمي ،
ولو شهد عندي على فلّسين لم أجز شهادته . يذهب الى أنه ضعيف الرأي ليس بالخازم ،

(١) في هذا الشعر الإتياء وهو المخالفة بين القوافي في حركة الإعراب ، وقد أورد صاحب اللسان هذين

البيتين في جملة التواهد المسوقة عليه . (٢) في النسخة الألمانية «أبو أيوب» .

لأنه يطعن عليه في دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنه ؟ قال : كما أعلم أنك سوار بن عبد الله ابن عترة بن نقب . قال : وشهد رجل عند سوار في دار قد ادعاه رجل قال : أشهد أنها له من الماء إلى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أي شيء أكتب ؟ فقال : كل شيء يخرج الدار من يد هذا ويجعلها في ملك هذا فاكتبه . [قال أبو حاتم بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه] قال وشهد رجل عند سوار ، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدب . قال : فانا لا نجيز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إني أكرهت على القضاء . قال : يا هذا ، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلم شهادتك ، فأجازها . قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبي فراس ، وزيدونا . فقيل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف مُحَصَّنَة . وجاء أبو دلالة ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك

إِنَّ الْقَوْمَ غَطَوْنِي تَغْطِيَتْ دُونَهُمْ * وَإِنْ بَحْثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحٌ
وَإِنْ حَضَرُوا بَرَى حَضَرْتُ بِأَرْهَمِ * لِيَعْلَمَ مَا تَخْفِيهِ تِلْكَ النَّبَاسُ

فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء .

أتى رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل ، فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم : كم في القراح من نخلة ؟ قالوا : لا نعلم . فرد شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلمنا : كم فيه من أسطوانة ؟ فأجازهم .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية أنه ابن سيرين والأول أقرب اذ لم تقف في ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصم لا يرتجى النجاة له • يوما إذا كان خصمه القاضى

قدم رجل خصما له الى زياد فى حق له عليه ، فقال : إن هذا الرجل يُدلى بخاصة
ذكر أنها له منك . قال : نعم . وسأخبرك بما ينفعه عندى من خاصته : إن
يكن الحق له عليك آخذك أخذا عنيفا ، وأن يكن الحق لك عليه أقض عليه ثم
أقض عنه .

وقال أبو اليقظان : كان عبيد الله بن أبى بكر قاضيا وكان يميل فى الحكم الى إخوانه .
ف قيل له فى ذلك ، فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ .

قال المدائنى : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مداراة فى واد بالمدينة . قال
فقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص ، فأتياه فقال لهما : أنتم فى فضلكما وقديم سوابقكما
ونعمة الله عليكم تختلفان ! وقد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت
وحضرتما من قوله مثل الذى حضرت فيمن اقتطع شبرا من أرض أخيه بغير حق
أنه يُطَوَّقُه من سبع أرضين ! والحكم أحوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن
الحكم إذا جار رزى دينه والمحكوم عليه إذا جبر عليه رزى عَرْض الدنيا [إن شئتما
فادليا بحجتكما^(١) و] إن شئتما فأصلحا ذات بينكما . فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما
صاحبه الرضا .

وكان السّندى ابن شَاهِك لا يستحلف المكارى ولا الحائك ولا الملاح
ويجعل القول قول المدعى مع يمينه ، ويقول : اللهم إني أستخيرك فى الجمال ومعلم
الصبيان .

وقال أبو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العذويوط ولا المغدّي ببوله . قال أبو البيداء : فضحكت والله حتى كدت أبول في ثوبي .

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبري : أنجز شهادة رجل عفيف تقيّ أحمق؟ قال : لا ، وسأريكم . ادعوا لي أبا مودود^(١) حاجبي ، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها شيء من الجنوب . فقال : أتروني كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لي محارب بن دثار : وليت القضاء فبكي أهلي وعُزلت عنه فبكوا ، فما أدري مم ذاك؟ فقلت له : وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فبكي أهلك ، وعزلت عنه فـكرهت العزل وجزعت منه فبكي أهلك . فقال : إنه لكما قلت .

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام فقصدت خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضي فدخل^(٢) على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقض حاجته وأخرجه من الشام لا يفسد على الناس .

قال أعرابي لخصم له : « والله لئن هملجت الى الباطل إنك عن الحق لقطوف » .

(١) في النسخة القتوغرافية : مورد . (٢) في الأصل "عليك" والتصويب عن البيان والتبيين . ٢٠

باب الأحكام

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا وديع بن جريح قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدث عن عكرمة عن أبي هريرة قال : « قضى رسول الله عليه وسلم إذا اختلف الناس في الطرق أنها سبع أذرع » .

حدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حنم عن غزال بن مالك الغفاري عن أبيه عن جده قال : « كفّل النبي عليه السلام رجلا في تهمة » .

قال وحدثني أيضا عن إبراهيم بن حنم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جده قال قال أبو هريرة : « حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حبسا يسيرا حتى استبرأ » .

حدثني يزيد قال حدثني الوليد^(٢) عن جرير بن حازم عن الحسن : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب » وقال لي رجل بالمدينة : هو ذور باب .

حدثني أحمد بن الحليل عن سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى بن حكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : « أتى معاوية بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني زني يا رسول الله ، فقال : لعلمك مسست أو لمست أو غمزت . فقال : لا ، بل زنيته فاعادها عليه ثلاثا ، فلما كان في الرابعة رحمه » .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقرع عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أتى بامرأة سرقته ، فقال : أسرقت ؟ قولي : لا

(١) في النسخة الألمانية : « خيم » ولم نثر على ما يرجح إحدى الروايتين .

(٢) في النسخة الفلورنسية : « أبو الوليد » .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : جاءوا زيادا بلص وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فاتهموه وقالوا : اصدق الأمير . فقال الأحنف : إن الصديق أحياناً معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيراً .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن حدثه عن ابن عباس قال « جز الرأس والثلحية لا يصلح في العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نكساً لمرضاته » .

حدثني شبابة عن القاسم عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال « إياكم والمثناة في العقوبة جز الرأس والثلحية » .

حدثني محمد بن خالد بن خديش قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا يونس عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى في رجل فزاع رجلاً فضرط بأربعين درهما .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحل في هذه الأمة غل ولا صفد ولا تجريد ولا مد » .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان عامر بن الظرب العدواني حاكم العرب ، فقتل به قوم يستفتونه في خنثى وله جارية يقال لها خصيل^(١)ة ، وربما لامها في الإبطاء في الرعي وفي الشيء يحده عليها ، فقال : يا خصيلة لقد حبست هؤلاء القوم وريثهم حتى أسرع في غنمي . قالت وما يكن عليك من ذلك ؟ أتبعه مباله . فقال لها : « مَسَى خُصِيلُ بَعْدَهَا أَوْ رَوَّحِي » .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « جميلة » وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب خصيلة هذه في حكايات العرب قال ولعلها هي التي كان أبوها عامر يقول لها « مَسَى سَخِيلُ بَعْدَهَا أَوْ صَبَحِي » بناء على أنها كانت تسمى سخيلاً أيضاً . وقد ذكر الميداني أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا رذكرة القصة .

قال: وأتى ابن زياد بالناس له قُبْلَ وذكر ولا يُدري كيف يورث، فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل إلى جابر بن زيد، فأرسل إليه، بخاء يرسف في قيوده فقال: ما تقول: في هذا؟ فقال: ألزقه بالحدار فإن بال عليه فهو ذكر، وإن بال في رجله فهو أنثى. حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين أن رجلا كسر طنبورا لرجل نخاصمه إلى شريح، فقال شريح: لا أقضى في الطنبور بشيء.

[حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال: قال لي أبو العجاج: يا ابن أسمع والله لئن أقررت لألزمك، أي لا تقر.] (*)

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه عن معمر قال: رد رجل على رجل جارية اشتراها منه، نخاصمه إلى إياس بن معاوية، فقال له: بهم تردّها؟ قال له: بالحق. فقال لها إياس: أي رجلك أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليلة ولدت؟ قالت: نعم. فقال إياس: ردّ ردّ.

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن قيس عن أبي حصين قال: رأيت الشعبي يقضى على جلد أسد.

الظلم

حدثني عبد الرحمن [بن عبد الله بن قُريب قال حدثني الأصمعي] قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلا وأمرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المتنقب فيحة المسفر، وكان لها لسان فكان العامل مال معها فقال: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيترجّحها ثم يسئ إليها! فأهوى زوجها إلى النّقاب فألقاه

عن وجهها فقال العامل : عليك اللعنة ! كلامٌ مظلومٌ ووجهٌ ظالمٌ . وأنشد الراشدي
في نحو هذا

رأيتُ أبا المجنَّاء في الناس جائراً * ولون أبي المجنَّاء لو ثُ البهائم
تراه على ما لاحه من سواده * وإن كان مظلوما له وجه ظالم

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان رجل من العرب
في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلم ويعتدى يقول : فلان لا يموت سويّاً . فيرون ذلك
حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويّاً . فلم يقبل حتى
تأبعت الاخبار ، فقال : إن كنتم صادقين إن لكم داراً سوى هذه تجازون فيها .^(١)

كتب رجل من الكُتّاب الى سلطان : « أعيذك بالله من أن تكون لاهياً عن
الشكر محجوباً بالنعم صارفاً فضل ما أوتيت من السلطان الى ما تَقِلُّ عائدته وتعظم تبعته
من الظلم والعدوان ، وأن يسترلك الشيطان بخدعه وغروره وتسويله فيزِيلَ عاجل
الغبطة وينسيك مذموم العاقبة ، فإن الحازم من يذكر في يومه المخوف من عواقب
غده ولم يغره طول الأمل وتراخى الغاية ولم يضرب في غمرة من الباطل ولا يدري
ما تتجلى به مغبتها . هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المتقلب وقبيح الذكر الذي لا يفنيه
كر الحديدين واختلاف العصرين » .^(٢)

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إبراهيم السقاء
عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتى بمعلم الصبيان يوم القيامة فإن كان عدل بين الغلمان
وإلا أقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إني لأستحي أن أظلم [من لا يحسد^(٣)

(١) كذا بالأصل ولعل الفاء سقطت من النسخ . (٢) في الفتوغرافية : الكُتّاب

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

على ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إني لأستحي أن أظلم [وأخرج أن أظلم » .
وكان يقال : إذا أراد الله أن يُتخف عبدا فيض له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : « أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم
بالانصاف من بسطت بالقدره يداه » .

ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب : إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن
الظلم يُخرب الديار . فقال ابن عباس أنا أوجدك في القرآن ، قال الله عز وجل
(فَلَيْكَ بِبُيُوتِهِمْ خَاوِيَةٌ يَمَآ ظَلَمُوا) .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان فرعان وهو من بني تميم لا يزال يُغير
على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها الى أن أغار على رجل فأصاب له جملا ،
بغاء الرجل فأخذ بشعره بخذبه فبرك ، فقال الناس : كبرت والله يا فرعان . فقال : لا والله
ولكن جذبي جذبة مُحَقِّقٌ . وكان سديف بن ميمون مولى اللّهيّين يقول : اللهم قد
صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار
للأمة . واشتريت الملاحى والمعارف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المسلمين
أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاستق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل
وبلغ نهيته واجتمع طريده . اللهم فأنح له يدا من الحق حاصدة تبدد شمله وتفرق
أمره ليظهر الحق في أحسن صوره وأتم نوره .

ولى أعرابي بعض النواحي فجمع اليهود في عمله وسأهم عن المسيح فقالوا : قتلناه
وصلبناه . فقال : فهل أدبتم ديتته ؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤذوها .
فلم يبرحوا حتى أذوها .

كان أبو العَاج على جَوَالِي البصرة فَأَتَى رجل من النصارى : فقال ما أَسْمُكَ ؟
فقال : بنداڤ شهر بنداڤ . فقال : اسْمُ ثلاثةٍ وجزيةٌ واحدٍ ! لا والله العظيم . قال :
فأخذ منه ثلاثَ حَزَى .

وفى أعرابي «تَبَالَه» فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير
أعزنا الله وإياه ولأنى بلادكم هذه ، وإنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى ،
ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم
ولا يرتفعون إليه . قال بعض الشعراء

بنى عَمَّنَا لا تذكروا الشعر بعد ما * دفتنم بصحراء الغمير^(١) القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سَلَّةً * فنقبَل ضِيًّا أو نحكم قاضياً
ولكن حكم السيف فيكم مسلط * فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا
فان قلم إنا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكننا أسأنا التفاضيا
[وقال آخر

نفرحُ أَن تغلبنى ظالم * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]
وكانوا يتوقَّون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إني أعود
بالرحمن منك إن كنت تقيا . أحسثوا فيها ولا تكلمون . أخذتُ سمك وبصرك بسمع
الله وبصره . أخذت قوتك بقوة الله . بينى وبينك ستر النبوة الذى كانت الانبياء
تستتر به من سطوات الفراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومحمد
أمامك والله مطلع عليك ويحجزك عنى ويمنعنى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك فى الحامسة منسوباً للشَّيْذَر الحارثى . والغير موضع بين
ذات عرق والبستان وقبله بميلين . فبرأى رثال كما فى ياقوت ثم ذكر أنه اسم لموضع آخر . وقد ورد
فى الفتوغرافية هكذا « العييط » محرفاً عن « الغييط » وفى اللسان والمعجم أنه اسم واد ومنه صحراء الغييط
وقد ورد فى شعر امرئ القيس

فألقى بصحراء الغييط . بَعَاة * كصرع اليماني ذى العباب المحمل

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء

ونستعدى الأمير إذا ظلمنا * فمن يُعدي إذا ظلم الأمير

(١)
[وقال آخر

إذا كان الأمير عليك خصما * فلا تُكثِر فقد غلب الأمير]

وكتب رجل الى صديق له : قد كنت أستعديك ظالماً على غيرك فتحكم لي وقد

استعديتُك عليك مظلوما فضاق عني عدلك ، وذكّرني قول القائل

كنت من كُرتي أقر اليهم * فهم كُرتي فأين الفرار

(١)
[ونحوه

والخصم لا يُرتجى النجاح له * يوماً إذا كان خصمه القاضي]

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال : كان يقال : ما أُعطي أحد قط النصف

فأباه إلا أخذ شراً منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النصف قط على أحد

فقبلها إلا دخلتني له هيبَةً ولا ردّها إلا اختبأتها في عقله .

وقال البعيث

وإني لأعطي النصف من لوظلمته * أقر وطابت نفسه لي بالظلم

وقال الطائي

يرى العلقم المأدوم بالعز أريّة * يمانية والأري بالضم علقما

إذا فرشوه النصف نامت شدائهُ * وإن رتّعوا في ظلمه كان أظلمها

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبي قومنا أن يُنصفونا فأنصفت * قواطع في أيّماننا تقطر الدما

تركّاهم لا يستحلّون بعدها * لذي رحم يومنا من الدهر محرّماً]

(١) زيادة في النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثاني في صحيفة ٧٠

بلغنا عن صُفْرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عمّاله :
أما بعد فاذا دعّتك قدرتك على الناس الى ظلمهم فاذا كر قدرة الله عليك وفناء ما تُؤتي
اليهم وبقاء ما يؤتون اليك ، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلمه ، فقال : أقصر يا هذا ، لا يربح عليك
ظالمك .

قولهم في الحبس

(١)
[في الحديث المرفوع : «شكا يوسف عليه السلام الى الله عز وجل طول الحبس
فأوحى الله إليه : مَنْ حَبَسَكَ يَا يُوسُفُ ، أَنْتَ حَبَسْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ قُلْتَ ﴿ رَبِّ
السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ وَلَوْ قُلْتَ : الْعَافِيَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ لَعُوفِتْ » .]
حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه
السلام دعا لأهل السجن دعوة لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم اعطف
عليهم قلوب الأخيار ولا تُعم عليهم الأخبار» . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر
في كل بلد .

وكتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وتجربة الصديق
وشماتة الأعداء» .

أنشدني الرياشي

ما يدخل السجن إنسان فتسأله * ما بال سجنك إلا قال مظلوم

وقال أعرابي

ولما دخلت السجن كبر أهله * وقالوا أبوليسى انعداء حزين

وفي الباب مكتوب على صفحته * بأنك تزوئتم سوف تلين

ويقال : إن قولهم « تترؤ وتلين » رؤى مكتوبا على باب حبس فضر به الناس
مثلا .

وقال بعض المسجونين

وبت بأحصنها منزلا * ثقيلا على عنق السالك
ولست بضيف ولا في كرا * ولا مُستعير ولا مالك
ولست بغصيب ولا كالرَّهون * ولا يشبه الوقف عن هالك
ولى مُسمعات فأدناهما * يغنى ويسمع في الحالك
وأقصاهما ناظر في السما * عمدا وأوسخ من عارك

المُسمع الأول قيده والثاني صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر
ولى مُسمعات وزقارة * وظلٌ مديد وحصن أمق
الزقارة الغل ، وأصل الزقارة السَّاجور .

قال أبو عبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل الى بلال بن أبي بردة ، فقضى
للرجل على خالد ، فقام خالد وهو يقول

* سحابة صيف عن قليل تَقشَع *

فقال بلال : أما إنها لا تَقشَع حتى يصيبك منها سُوبُوبُ برد . وأمر به الى
الحبس ، فقال خالد : علام تحبسنى ؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة .
فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمّت وأقيادٌ تُقال وقيم يُقال له حَفْص .
قال الحجاج للغضبان بن القُبَعَثَرى وراه سميئا : بما أسمنك ؟ قال : القيد والرَّعة ،
ومن كان في ضيافة الأمير سمن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكيت الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال

ولما أحلوني بصلعاء صليماً * بإحدى زبى ذى اللبتين أبى الشبل
خرجتُ خروج القُدح قدح ابن مُقبل * على رغم أناف النواج والمُشلى
على ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة مرءٍ أشبهت سلة النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأنى لأرجو خالداً أن يفكنى * ويطلق عني مقفلات الحدائد
فإن يك قيدي رد همتي فربما * تناولت أطراف الموم الأبعاد
وما من بلاء غير كل عشية * وكل صباح زائر غير عائد
يقول لى الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخر قاعد

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسرى حين حبس

لعمري لقد أعمرتُ السجن خالداً * وأوطأتموه وطأة المشاغل
فإن تحبسوا القسرى لا تحبسوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل

(١)
وقال بعض المسجنين

أسجنٌ وقيد وأغتراب وعُسرة * وفقد حبيب! إن ذا لعظيم
وإن أمراً تبقى موثيق عهده * على كل هذا، إنه لكرم

وقال آخر مثله

الى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفي يده كشف المصيبة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

(١) كذا بالنسخين الفتوغرافية والألمانية وفي هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المسجونين»

ولم نجد التضعيف لا في القاموس ولا في اللسان .

إذا جاءنا السجّات يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
وتعجبنا الرؤيا بفُلٍّ حديثنا * إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت لم تاتِ عجلى وأبطات * وإن قبُحت لم تحبس وأنت عجلى
وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس : يا طهفي على طليبة بمائة الف وفرّج في جبهة
أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال

أصبح في قيدك السباحة والشجود وحلّ لمضليع الأثقال
فقال له : أتمدحني على هذه الحال ؟ فقال : أصبتك رخيصة فاشتريتك .^(١)

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب اليه من الحبس بأبيات منها
تفديك نفسي من كل ما كرهت * نفسك إن كنت مذنباً فاغفر
يا ليت قلبي مصوّر لك ما * فيه لتستيقن الذي أضمر

فوقع الرشيد في رقعة : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها
كأن الخلق رُكب فيه روح * له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس * وقد وقعت «ليس عليك بأس»

فامر باطلاقه

الحجاب

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه أن عبد العزيز بن زُرارة الكلّابي وقف على باب
معاوية فقال : من يستأذن لي اليوم فأدخله غدا؟ وهو في شملتين ، فلما دخل على
معاوية قال : هنزت ذوائب الرجال اليك إذ لم أجد معولا إلا عليك . أمتطى الليل
بعد النهار وأسمُ الجاهل بالآثار . يهودني نحوك رجاء وتسوقني إليك بلوى . والنفس
مستبطئة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقربه . فقال في ذلك

(١) في الأمل : «فأسلفتك» والتصويب عن العقد الفريد . (٢) في الفنوغرافية : الرجاء .

دخلتُ على معاويةَ بنِ حرب * وذلك إذْ يُسْتُ من الدخول
وما نلتُ الدخولَ عليه حتى * حلتُ محسلةَ الرجلِ الذليل
وأغضيتُ الجفونَ على قذاها * ولم أسمعِ إلى قالٍ وقيل
فأدرِكتُ الذي أملتُ فيه * بمكثٍ والخطأ زاد العجول

وقال غير العتي : لما دخل عبد العزيز بن زُرارة على معاوية قال له : «إني رحلتُ
إليك بالأمل واحتملتُ جفوتك بالصبر، ورأيتُ ببابك أقواما قدّمهم الخطأ، وآخرين
باعدتهم الحرمانُ . وليس ينبغي للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن يئأس . وأول المعرفة
الاختبار فابُلِّ وأختبر» وفي حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر
من يَأْذَنُ اليومَ لعبد العزيز * يَأْذَنُ له عبْدُ عَزِيزٍ غدا

قال أبو اليقظان : كان عبد العزيز بن زُرارة فقي العرب .

استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال
لا عدمتُ من قومي من إذا شاء حجبي . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء :
من يَغشَّ سُدَدَ السلطان يَقمُ ويقعدُ ومن صادف بابا عنه مغلقا وجد إلى جانبه بابا
مُفْتَحًا ، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعْطى .

قال رجل لحاجبه : إنك عين أنظريها وجُنةُ أُستَئِم إليها ، وقد وليتك بابي ،
فما تراك صانعا برعيتي ؟ قال : أنظرُ إليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك
وأضعهم في إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث
وضعهم ترتيبك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك . قال : قد وقيتَ مالك وما عليك
إن صدقته بفعل . وكان يقال : حاجبُ الرجل حارسُ عِرضه .

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقدم من مستغيثا ولا تضعن ذا شرف بصعوبة حجاب ولا ترفعن ذا ضعة بسرولته . وضع الرجال مواضع أخطارهم ، فمن كان مقدما له الشرف ممن أزدرعته ولم يهدمه من بعد بنائه فقدمه على شرفه الأول وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدم فلم يصن ذلك إبلاغا به ولم يزدرعته تمسيرا له فألحق بآبائه مهلة سبقهم في خواصهم ، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه . لا تأذن له إلا دبرا ولا تأذن له إلا سارا . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه عنى طرفة عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الى فيها ، وإن أتاك مدع لنصيحة فاستكتبها سرا ثم ادخله بعد أن تستأذن له . حتى إذا كان منى بحيث أراه فادفع الى كتابه ، فإن أحمدت قبلت وإن كرهت رفضت ، ولا ترفعن الى طلبة طالب إن منعته بخلنى وإن أعطيته أزدرانى ، إلا بمؤامرة منى من غير أن تعلمه أنك قد أعلمتنى وإن أتاك عالم يستأذن على علم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك ؟ ثم استأذن له فإن العلم كاسمه ، ولا تحجب سخطه ولا تأذن رضا ، اخصص بذلك الملك ولا تخص به نفسك » .

المهيم قال : قال خالد بن عبد الله حاجبه : « لا تحجب عنى أحدا إذا أخذت مجلسى ، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عى يكره أن يطالع عليه منه ، أورية ، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الوراق فقال

إذا اعتصم الوالى باغلاق بابيه * ورد ذوى الحاجات دون حجابيه
ظننت به إحدى ثلاث وربما * نزع بظن واقع بصوابه
فقلت به مس من العى ظاهر * ففى إذنه للناس إظهار ما به
فإن لم يكن عى اللسان فغالب * من البخل يحى ما له عن طلابه
فإن لم يكن هذا ولا ذا فريئة * يصر عليها عند إغلاق بابيه

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عرض الملك حاجبه
فبسه تبدو محاسنه * وبه تبدو معايبه

وقال آخر

كم من فتي تُحمد أخلاقه * وتسكن الأخرار في ذمته
قد كثر الحاجب أعداءه * وسلط الذم على نعمته

٥

حضر باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعة منهم سهيل بن عمرو وعيينة
ابن حصن والأقرع بن حابس فخرج الأذن فقال : أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أين
سلمان ؟ فتمعرت وجوه القوم ، فقال واحد منهم : لم تتمعروا وجوهكم ؟ دعوا ودعينا
فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموه على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر .

١٠

وقال بعض الشعراء

سأترك هذا الباب ما دام إذنه * على ما أرى حتى يخف قليلا
إذا لم نجد للأذن عندك موضعا * وجدنا إلى ترك المجيء سبيلا

وقال آخر لحاجب

سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلى مسرعا نحو مالك

١٥

وكتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف

لئن عدت بعد اليوم إلى الظلم * سأصرف وجهي حيث تبغى المكارم
متى ينبج الفسادى إليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم ؟

٢٠

وقال آخر

ولست بمتخذ صاحب * يُقيم على بابه حاجبا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ أفيته غائباً
ويُلزم إخوانه حقّه * وليس يرى حقهم واجباً
فلستُ بلاقيه حتى المات * إذ أنا لم ألقه راصباً

وقال عبد الله بن سعيد في حاجب الحجاج وكان يحجبه دائماً
ألا ربّ نصح يُغلق البابُ دونه * وغشّ إلى جنب السرير يُقرب
وقال آخر

ما ضاقت الأرض على راغب * يَطْلُبُ الرزق ولا هارب
بل ضاقت الأرض على طالب * أصبح يشكو جفوة الحاجب

وحُجِبَ رجل عن باب سلطان فكتب إليه : « نحن نعوذ بالله من المطامع الدنيّة
والهمم القصيرة وابتذال الحرّية، فانّ نفسى والحمد لله أبتة ما سقطت وراء همّة
ولا خذلها صبر عند نازلة ولا استرقّها طمع ولا طُبِعَتْ على طَبَعٍ وقد رأيتك وأيت
عمرضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يَشِينُهُ وجعلت ترجحان عقلك من يَكْثُرُ من
اعدائك وينقص من أوليائك [ويسىء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك] ويُضْغِنُ
قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصديق منزلة، ويزيل
المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العلى إلى مرتبة الوضع ويرفع الدنى إلى مرتبة
الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبؤ عينه عن ذى البذاءة ويميل إلى ذى اللباس
والزينة ويقدم على الهوى ويقبل الرشا » .

وقال بشار، وقيل هو لغيره

تأبى خلائق خالد وفعاله * إلا تجنّب كلّ أمر عائب
فاذا أتيت الباب وقت غدائه * أذن الغداء برغم أنف الحاجب

وهذا ضد قول الآخر

إذا تغلّدي فستر بوابه * وأرتد من غير يد بابه
ومات من شهوة ما يُحتسى * عياله طرّا وأصحابه

وقال آخر

يا أميرا على جريب من الأثر * ض له تسعة من الحجاب
قاعدلا في الخراب يُحجب عنه * ما سمعنا بحاجب في خراب!

وقال آخر

على أي باب أطلب الاذن بعد ما * مُجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

وقال الطائي

يا أيها الملك النائي برؤيته * وجوده لمُراعى جوده كُشِبْ
ليس الحجاب بمُقَصِّ عنك لي أملا * إن الساء ترجى حين تحتجب

وقال أيضا

ومحجّب حاولته فوجدته * فجماعن الركب العفّاة شُوءا
أعدمته لما عدمت نواله * شكوى فرحنا معدمين جميعا

وقال آخر

قد أطلنا بالسباب أمس القعودا * وجُفينا به جفاء شديدا
وذمنا العبيد حتى إذا نحن * بلونا المولى عذرنا العبيدا

ومُحجّب رجل فكتب

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبلة قوما فانت لها نبّل
فلا ترتفع عنا لشيء وليته * كما لم يصغر عندنا شأنك العزل

وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى الى صديق له : « إن كان ذهولك عنا لدنيا
 أَخْضَلَتْ عَلَيْكَ سَمَاوُهَا وَأَرْتَبَتْ بِكَ دِيْمُهَا ^(١) إِنْ أَكْثَرَ مَا يَجْرِي فِي الظَّنِّ بِكَ بَلْ فِي الْيَقِينِ
 مِنْكَ أَنَّكَ أَمَلَكُ مَا تَكُونُ لِعَنَانِكَ أَنْ يَجْتَمِعَ بِكَ وَلِنَفْسِكَ أَنْ تَسْتَعْلَى عَلَيْكَ إِذَا لَانَتْ لَكَ
 أَكْثَافُهَا] وَأَنْقَادُ فِي كَفِّكَ زَمَانُهَا لِأَنَّكَ لَمْ تَتَلَّ مَا نَلْتَ خَلْسًا وَلَا خَطْفًا ، وَلَا عَنْ مَقْدَارِ
 جَرَفِ الْيَكِّ غَيْرَ حَقِّكَ وَأَمَالِ نَحْوِكَ سِوَى نَصِيْبِكَ . فَانْتَ ذَهَبْتَ إِلَى أَنَّ حَقِّكَ
 قَدْ يَحْتَمِلُ فِي قُوَّتِهِ وَسَعَتِهِ أَنْ تَضُمَّ إِلَيْهِ الْخَفْوَةُ وَالنَّبْوَةُ فَيَتَضَاعَلُ فِي جَنْبِهِ وَيَصْغُرَ عَنْ
 كِبَرِهِ فَغَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنْ ذَلِكَ . وَآيِمُ اللَّهِ لَوْلَا مَا بُلِّيتُ بِهِ النَّفْسُ مِنَ الظَّنِّ بِكَ وَأَنَّ مَكَانَكَ
 مِنْهَا لَا يَسْتَدُهُ غَيْرُكَ نَسَخْتُ عَنْكَ وَذَهَلْتُ عَنْ إِقْبَالِكَ وَإِدْبَارِكَ وَلَكَانَ فِي جَفَائِكَ مَا يَرِدُ
 مِنْ غَيْرَتِهَا وَيُرَدُّ مِنْ غُلَّتِهَا ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا تَكَامَلَتِ النِّعْمَةُ لَكَ تَكَامَلَتِ الرِّغْبَةُ فِيكَ » .
 أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْعَتَبِيِّ قَالَ : قَالَ مَعَاوِيَةُ لِحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذَرِ وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ
 فِي أَحْرِيَاتِ النَّاسِ : يَا أَبَا سَاسَانَ كَأَنَّهُ لَا يُحَسِّنُ إِذْنُكَ ، فَانْشَأَ يَقُولُ

كُلَّ خَفِيفِ الشَّأْنِ يَسْمَعِي مَشْمُرًا * إِذَا فَتَحَ الْبُتُوبَ بِأَبْكَ إِصْبَعًا
 وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكُثُونَ رِزَانَةً * وَحَالَمَا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ أَجْمَعًا

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ

بَعِيدُ مَرَدِّ الْعَيْنِ مَارِدُ طَرْفِهِ * حِذَارُ الْغَوَاشِيِّ بَابُ دَارٍ وَلَا يَسْتَرُّ
 وَلَوْ شَاءَ بَشْرُكَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ * طَلَّاطِمُ سُودٍ أَوْ صَقَالِبَةُ حَمَرُ
 وَلَكِنْ بَشْرًا يَسَّرَ الْبَسَابَ لِلَّتِي * يَكُونُ لَهُ فِي غَيْبِهَا الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ

وَقَالَ بَشْرُ

فَلَا تَخْجَلَا بِجَلِّ آهِنِ قَرْعَةٍ إِنَّهُ * مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ خَزِينُ

(١) كَذَا بِالْأَصُولِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا وَلَعَلَّ الْفَاءَ سَقَطَتْ مِنْ قَلَمِ النَّاسِخِ .

(٢) كُلُّ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْسَيْنِ الْمَرْبُوعِينَ غَيْرُ مُوجُودٍ بِالنَّسْخَةِ الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ وَقَدْ نَقَلْنَاهُ عَنِ النَّسْخَةِ الْأَيْمَانِيَّةِ .

إذا جثته في العُرف اغلق بابه * فلم تلقه إلا وأنت كمين

فقل لأبي يحيى متى تدرك العلاء * وفي كل معروف عليك يمين

وقال ابن هرمة يمدح

هش إذا نزل الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام

وإذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدرا أيهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل

فكتب إليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعذر تعلل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عكراش

وهني لأرثي للكرم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبه

وأرثي له من مجلس عند بابه * كمرثيتي للطرف والعليج راكمه

وكتب عبد الله بن أبي عيينة إلى صديق له

أتيتك زائراً لقضاء حق * فخال السُّر دونك والحجاب

ولست بساقط في قدر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذباب

أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزيري قال : كتابا الفضل بن الربيع وهم يأذنون

لذوى الهيئات والشارات وأعرابي يدنو فكلما دنا طرح . فقام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذنا يعتام برئتسا * وليس للحسب الزاكي بمعتام

ولو دُعينا على الأحساب قدمني * محمداً تليد وجد راجح نامي

متى رأيت الصقور الجدل يقدّمها * خلطان من رخم قرع ومن هام

دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية : من أنت؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه . مثلك ينكر مثلي من رعيته ! فقال له معاوية : إن معرفتك متفرقة ، أعرف وجهك إذا حضرت في الوجوه ، وأعرف اسمك في الأسماء إذا ذكرت ، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه ، فاذكر لي اسمك تجتمع معرفتك .

استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر ، ثم أذن للآخر فدخل عليه بجلوس فوق صاحبه . فقال معاوية : إن الله قد ألزمننا تأديبكم كما ألزمننا رعايتكم ، وإنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك ، فقم لا أقام الله لك وزنا .

دخل أبو محرز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان ، فلم يقبل عليه . فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس : هذا أبو محرز . فردّه واعتذر إليه وقال : إني لم أعرفك . قال : يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتني .

قال أشجع السلمي يذكر باب المنصور بن زياد^(١)

على باب ابن منصور : علامات من البندل

جماعات وحسب الباء * بفضلا كثرة الأهل

وكانت العرب تتعوذ بالله من قرع الفناء ومن قرع المراح . وقال بعض الشعراء

مالي أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابك مجمع الأسواق

أرجوك أم خافوك أم شاموا الحيا * ببحراك^(٢) فانتجعوا من الآفاق

وقال آخر

يزدحم الناس على بابه * والمشرع العذب كثير الزحام

(١) هكذا في النسخة الألمانية . وفي الفتوغرافية منصور . والصواب محمد بن منصور كما في الكامل للبرد وهو المطابق لقوله « ابن منصور » في البيهقي . (٢) الحرا والحراة الناحية .

وقال آخر * إن الندى حيث ترى الضغاطا *

يعنى الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يلد طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتثر الحب * وتغشى منازل الكرماء

دق رجل على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر: من هذا؟ قال أنا. قال عمر: ما نعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا.

خرج شبيب بن شيبه من دار الخلافة يوما فقال له قائل: كيف رأيت الناس؟ فقال: رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا.

قال أبو العتاهية

إذا أشتد دوني حجابُ امرئ * فكفيت المؤونة حجابَه

حجب أعرابي على باب السلطان فقال

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم * ولا يكرم النفس الذي لا يهينها

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوك وفودهم * تنفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر

فلما وردت الباب أيقنت أننا * على الله والسلطان غير كرام

وقال أبو القمقام الأسدي^(٢)

أبلغ أبا مالك عنى مغفلة * وفي العتاب حياة بين أقوام^(٣)

(١) في النسخة الفنواغرية عمرو بن عبيد.

(٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر في البيان والتبيين ونسبه لهمام الرقاشي ونسبه المرتضى في التاج لعصام بن عبيد الزماني.

(٣) كذا بالأصل ويوافق لسان العرب وفي البيان للجاحظ والتاج للمرتضى: أبا مسمع

أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ * مِنْ قَبْلُ أَنْ يَلْجُوا الْبُيُوتَ قَدَامِي
لَوْ عُدَّ بَيْتٌ وَبَيْتٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ * بَيْتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ
فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ * بِيَابِ دَارِكَ أَدْلُوها بِأَقْوَامِ

التلطف في مخاطبة السلطان

وإلقاء النصيحة إليه

٥

العتبي قال قال عمرو بن عتبة للوليد حين تنكر له الناس : يا أمير المؤمنين إنك تُطَقِّنِي
بِالْأَنْسِ بِكَ وَأَنَا أَكْفَيْتُ ذَلِكَ بِالْهَيْبَةِ لَكَ ، وَأَرَاكَ تَأْمِنُ أَشْيَاءَ أَخَافُهَا عَلَيْكَ ، أَفَأَسْكُتُ
مَطْبِعًا ؟ أَمْ أَقُولُ مَشْفِقًا ؟ فَقَالَ : كُلُّ مَقْبُولٍ مِنْكَ ، وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ نَحْنُ صَائِرُونَ
إِلَيْهِ . وَنَعُودُ فَنَقُولُ : فَقَتِلْ بَعْدَ أَيَّامٍ .

١٠ وفي إلقاء النصيحة إليه : قرأت في كتاب للهند أن رجلاً دخل على بعض
ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبة في الحقيق الصغير بله الجليل الخطير
ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جنب
صلاح العاقبة وتلا في الحادث قبل تفاقمه لكان خرقاً مني أن أقول ، وإن كنا إذا رجعنا
إلى أن بقاءنا [موصول] ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجِدْ بُدًّا مِنْ أَداءِ الْحَقِّ
إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْتَلْنِي [أَوْ خَفْتُ أَلَّا تَقْبَلَ مِنِّي] ^(١) ، فَانْهَ يَقَالُ : مِنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ
نَصِيحَتَهُ وَالْأَطْبَاءَ مَرَضَتَهُ وَالْإِخْوَانَ بَيْتَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ .

١٥

الخصوت في طاعته

قال بعض الخلفاء لجري بن يزيد : إني قد أعددت لك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين ،
إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ لَكَ مِنِّي قَلْبًا مَعْقُودًا بِنَصِيحَتِكَ وَيَدًا مَبْسُوطَةً بِطَاعَتِكَ وَسَيْفًا مَشْجُودًا
عَلَى عِدْوِكَ فَإِذَا شِئْتَ فَقُلْ .

٢٠

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وفي مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لي جعفر بن يحيى آغذ علي غدا لكذا .
فقلت : أنا والصبح كفرسي رهان . وفي مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال
له : أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من النعل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرداء
وأذل لك من الحذاء .

التلطف في مدحه

قال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز : من كانت خلافة زانته ،
فانك قد زنتها ، ومن كانت شرفته فانك قد شرفتها ، فانت كما قال القائل
وإذا الدرّ زان حسن وجوه * كان للدرّ حسن وجهك زينا
فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا .

- ١٠ وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : «إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه
فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن
رايك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى فيك بعد أن
میل بينك وبين الذين سموا لرتبتك وجروا إلى غايتك فأسقطهم مضارك وخفوا
في ميزانك ولم يزدك رفعة إلا ازددت لله تواضعا ، ولا بسطا وإيناسا إلا ازددت له
هيبه وإجلالا ، ولا تسليطا وتمكينا إلا ازددت عن الدنيا عز وفا ، ولا تقريبا إلا ازددت
١٥ من العامة قربا . ولا يخرجك فرط النصيح للسلطان عن النظر لرعيته ، ولا إثارة حقه
عن الأخذ لها بحقها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمن ما عليه ، ولا تشغلك
جلال الأمور عن التفقد لصغارها ، ولا الجأل بصلاحها واستقامتها عن استشعار
الحذر وإمعان النظر في عواقبها » .

- ٢٠ وفي مدحه : دخل العُماني الراجز على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخُفّ
سادج ، فقال له الرشيد : يا عماني ، إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور

(١) وخفان دلقان فبكر إليه من الغد وقد تزيا بزى الأعراب ثم أنشده وقبل يده وقال :
يا أمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته
ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفاح ثم المنصور ثم المهدي . كل هؤلاء
رأيت وجوههم وقبلت أيديهم وأخذت جوائزهم ، إلى كثير من أشباه الخلفاء وبيكار
الأمراء والسادة والرؤساء ، والله ما رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجها ولا أنعم
كفا ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين . فاعظم له الجائزة على شعره وأضعف له
على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام .

وفي المديح : كتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال : « إن الله
قد جعل جَدَّكَ عاليا وجعلك في كل خير مُقَدِّما وإلى غاية كل فضل سابقا وصيرك ، وإن
نأت بك الدار ، من أمير المؤمنين وكرامته قريبا ، وقد جدد لك من البر كيت وكيت .
وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله » .
وفي مدحه : قال الرشيد يوما لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعر فيك فوق قدرى ، ولكنى أستحسن
قول العتابي

ما ذا يرى قائلٌ يثنى عليك وقد * ناداك في الوحى تقديسٌ وتطهير
فَتَ المَدائحِ إلا أن السُّننَا * مُستَنطَقات بما تخفى الضمائر
[في عترة لم تقم إلا بطاعتهم * من الكتاب ولم تُقَضَّ المشاعير
هذى يمينك في قُرباك صائِلَةٌ * وصارمٌ من سيوف الهند مأثور]

(١) كذا بالأصل غير مضبوط والدَّقِم كما في القاموس دويبة كالسَّور . وفي العقد الفريد « دلقان » .
وفي البيان والتبيين « دَمَالِقَان » والله مائق الحجر الأملس .
(٢) زيادة في النسخة الألمانية .
(٣) في الأصل « عبرة » بالباء الموحدة والتصحيح عن الأغاني .
(٤) في الأصل « جدواك مائلة » والتصحيح عن الأغاني .

وفي مدحه : كتب بعض الكتاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على المُنْتَهِي عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها . ومن سعادة جَدِّكَ أن الداعى لك لا يعدم كثرة المشايعين ومساعدة النية على ظاهر القول » .

وفي مثله كتب بعض الأدباء الى الوزير : « مما يُعين على شكر كثرة المنصتين له ،
ومما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين له » .

وفي مثل ذلك : لما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمر بن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإن يزيد ابن معاوية أملٌ تأملونه وأجل تأمنونه ، إن استضيفتم إلى حلمه وسعكم ، وإن احتجتم الى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم الى ذات يده أغناكم ، جَدَّعُ قَارِحٌ سَوْبِقُ فسبق ومُوجِدٌ فمجد وقُورِعٌ فخرج فهو خَلَفٌ أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

وفي مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير، أسكتني عن وصفك تساوى أفعالك في السودد وحيرني فيها كثرة عددها فليس الى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردتُ ذكر واحدة اعترضت أحثها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فليست أصفها إلا باظهار العجز عن صفتها » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عليك ، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم ، والشئ يتغلغل في معدنه ويحترق إلى عنصره ، فإذا صادف منيته ولز في مغرسه ضرب بعرقه وسمق بفرعه وتمكن وتمكن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر الى بعض الوزراء : « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالنخبر
عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظر، وأيقنت أني حيث
انتهى بي القول منسوبٌ الى العجز مقصرٌ عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى
الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك الى علم الناس بك » .

وفي مثله كتب العتّابي الى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلفك وبقية
أعلام أهل بيتك، المسدود بك ثلثمهم والمجدد بك قديم شرفهم والمنبّه بك أيام صيتهم
والمنبسط بك [آمألنا والصائر بك أكألنا والمأخوذ بك ^(١)] حظوظنا، فانه لم يخل من
كنت وارثه، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا آثمت معاهد من خلفته
في مرتبته » .

وفي شكره : قرأت في التاج قال بعض الكتاب للملك : « الحمد لله الذي أعلقني سببا
من أسباب الملك ورفع خسيستي بمخاطبته وعزز ركني من الدلة به وأظهر بسطتي
في العائمة وزين مقاومتي في المشاهدة وفقاً عن عيون الحسدة وذلل لي رقاب الجبابرة
وأعظم لي رغبات الرعية وجعل لي به عيباً يوطأ وخطراً يعظم ومزية تحسن، والذي
حقق في رجاء من كان يأملني وظاهر به قوة من كان ينصرني وبسط به رغبة من
كان يسترفدني، والذي أدخلني من ظلال الملك في جناح سترني، وجعلني من أكفاه
في كف آتسع عليّ » .

وفي شكره وتعداد نعمه : قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوسق له أمره
جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفة والطاعة وحذرهم المعصية
وصنف الناس أربعة أصناف، نخر القوم سجداً وتكلم متكلمهم مجيباً فقال : « لا زلت

أيها الملك محبوبوا من الله بعزة النصر ودرك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت
تتابع لديك النعم وتُسبِّح عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها
ولا تنقطع زهرتها في دار القرار التي أعدها الله لنظرائك من أهل الرُفَى عنده والحُظوة
لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور
والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوك عليها ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق
علينا من ضياء نورك ما عمّا عموم ضياء الشمس ووصل إلينا من عظيم رأفتك
ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ، بجمعت الأيدي بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها
وألفت بين القلوب بعد تباعضها وأذهبت الإحن والحسائلك بعد استعار نيرانها ،
وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يحصى بتعداد ، ثم لم ترض بما عَمَّمْتنا به من هذه
النعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحبت توطيدها والاستيثاق منها وعملت لنا
في دوامها كعملك في إقامتها وكفّلت من ذلك ما نرجو نفعه في الخُلوْف والأعقاب ،
وبلغت همتك لنا فيه حيث لا تبلغ همم الآباء للأولاد ، فجزاك الله الذي رضاه تحزيت
وفي موافقته سعيت أفضل ما التمسْت ونويت .

وفي مثله : قال خالد بن صفوان أوال دخل عليه : « قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من
نظرك ومجلسك وصلاتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد » .
وفي شكره : كتب بعض الكتاب إلى الوزير يشكره : « من شكر لك عن درجة
رفعتك إليها أو ثروة أفدته إياها فإن شكرى إياك على مهجة أحييتها وحشاشة تبقيتها
ورمقي أمسكت به وقت بين التلف وبينه » .

وفي شكره : قرأت في كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي إليه ومدى
توقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطرف خلا هذه النعمة التي فانت الوصف
وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَّا جَمَّةٌ أَبْقَتْ لِلْمَاضِينَ مِنَّا وَلِلْبَاقِينَ نَخْرَ الْأَبَدِ وَرَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمَتْ عَنَّا
 أَنْفَ الْحَسُودِ وَبَسَطَتْ لَنَا عِزًّا تَتَدَاوَلُهُ ثُمَّ تَخْلُفُهُ لِلْأَعْتَابِ فَتَحْنُ نَلْجَأُ مِنْ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَتَفِ كَرِيمٍ وَقَلْبِ عَطُوفٍ وَنَظَرِ رَوْفٍ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ
 الشَّاكِرُ مَا وَأَيْنَ يَبْلُغُ اجْتِهَادُ مُجْتَهِدِنَا وَمَتَى تُوَدَّى مَا يُلْزِمُنَا وَتَقْضَى الْمَفْتَرَضُ عَلَيْنَا وَهَذَا
 كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا بَأَنَّهُ الرَّاشِدِينَ عِنْدَ مَنْ مَضَى مِنَّا وَمَنْ غَيَّرَنَا
 إِلَّا مَا وَرَدَ مِنْ صَنُوفِ كِرَامَتِهِ وَأَيَادِيهِ وَلَطِيفِ أَلْفَاظِهِ وَمَخَاطِبَتِهِ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ
 مَا يَحْسُنُ الشُّكْرَ وَيُسْتَفْرِغُ الْمَجْهُودَ» .

التلطف في مسئلة العفو

قال كسرى ليوشنت المغني وقد قتل فهاوذا حين فاقه وكان تلميذه : « كنتُ
 أستريح منه إليك ومنك إليه فأذهب شطرتي تمتعي حسدك ونغل صدرك » ثم أمر
 أن يلقى تحت أرجل الفيلة فقال : أيها الملك إذا قتلتُ أنا شطرَ طربك وأبطلته
 وقتلت أنت شطره الآخر وأبطلته ، أليس تكون جنائتك على طربك بجنائتي عليه ؟
 قال كسرى : دعوه ، ما دله على هذا الكلام إلا ما يجعل له من طول المدة .

وفي العفو أيضا . قال رجل للنصور : « الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيدُ
 أمير المؤمنين بالله من أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » .
 وفي العفو : جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن ، فقام إليه رجل منهم فقال :
 أيها الأمير إن لي عليك حقا . قال : وما حقاك علي ؟ قال : سبك عبد الرحمن يوما
 فرددتُ عنك . قال : ومن يعلم ذلك ؟ فقال الرجل : أنشد الله رجلا سمع ذلك
 إلا شهد به . فقام رجل من الأمري فقال : قد كان ذلك أيها الأمير . فقال : خلوا

عنه . ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكروا ؟ قال : لقد يم بغضى إياك . قال :
ويجلى هذا لصدقه .

وفي العفو: أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه ، فلما
أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذي أمكن منك . قال : لا تقل ذاك فإنها مصيبة .
قال : وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرتني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة
من أصحابي . اضربا عنقه . فقال : آلهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك
ترضى قتلي ، ولكن قتلتني في الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فإن فعل فافعل به ما هو
أهله ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال : قاتلك الله ! لقد سببت فأوجعت
في السب ودعوت فأبلغت في الدعاء . خلّيا سبيله .

وفي مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال .
يذى يا أمير المؤمنين أعيدوها * بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة * إذا ما شمالي فارقتها يمينها
فأبى إلا قطعه ، فدخلت عليه أمه فقالت : يا أمير المؤمنين ، واحدي وكاسي .
فقال : بش الكاسب ! هذا حد من حدود الله . فقالت : اجعله من الذنوب
التي تستغفر الله منها . فعفا عنه .

١٥

وفي مثله : أخذ عبد الله بن علي أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما
رفع السيف ليضرب به شرط الشأمى فوق العמוד بين يدي الغلام وتقرت دابة عبد الله
فضحك وقال : اذهب فأنت عتيق آستك . فالتفت إليه وقال : أصلح الله الأمير !
رأيت ضربة قط أنجحت من الموت غير هذه ؟ قال : لا ، [قال] هذا والله الإديار . قال :
وكيف ذاك ؟ قال : ما ظنك بنا وكما ندفع الموت بأستتنا فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا .

٢٠

وفي مثله : نخرج النعمان بن المنذر في غيب سماء فتر برجل من بني يثغر جالس على غدير ماء ، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال اليشكري : أليس ابن سلمى ؟ قال : نعم . قال : والله لربما أمرت يدي على فرجها . قال له : ويحك ، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتك ، فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيت اللعن ، إنك والله ما رأيت شيئا أكذب ولا ألام ولا أوضع ولا أعص بظن أمه من شيخ بين يديك . فقال النعمان : دعوه ، فأنشأ يقول :

تعفو الملوك عن العظيمة * من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير * وليس ذاك لجهلها
إلا ليصرف فضلها * ويخاف شدة نكْلِها

وفي مثله : لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي استشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به ، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أنت يكونا قد نصحا لك في عظم الخلافه وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا ، ولكك تأبي أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . وكان في اعتذاره إليه أن قال : إنه وإن بلغ جرmy استحلال دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه ولي بعدهما شفعة الإقرار بالذنب وحق الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن في حق سببك حق الصنح عن جرمك لبغتك ما أمّلت حسن تنصلك ولطف توصلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عني المأمون صلا لرحمي ولا محبة لاستحيائي ولا قضاء لحق عمومتي ، ولكن قامت له سوق في العفو فكره أن يفسدها بي . ومن أحسن ما قيل في مثله قول العتّابي

رحل الرجاء إليك مغتربا * حشدت عليه نواب الدهر

رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمَلِي * وَثَنِي إِلَيْكَ عِصَانَهُ شُكْرِي
وَجَعَلْتُ عَثْبَكَ عَتَبَ مَوْعِظَةٍ * وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عِذْرِي

وقول علي بن الجهم للتوكل

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَا حَرَمَةٌ ^(١) * تَعُوذُ بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْعِدَا
لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ * لَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ تَرِ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى
وَمُفْسِدًا أَمْرًا تَلَا فَيْتَهُ * فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ * يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى ^(٢)

وفي مثله . وَجَدَ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ عَلَى رَجُلٍ بِخَفَاءٍ وَأَطْرَحَهُ حِينَئِذٍ دَعَا بِهِ لِيَسْأَلَهُ

عَنْ شَيْءٍ فَوَرَّاهُ نَاحِلًا شَاحِبًا . فَقَالَ لَهُ : مَتَى اعْتَلَّاتَ ؟ فَقَالَ

مَا مَسَّنِي سُقْمٌ وَإِكْنِي * جَفَوْتُ نَفْسِي إِذْ جَفَانِي الْأَمِيرُ ^(٣)

فَعَادَ لَهُ .

وقال آخر

أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْعَفْوِ عَفْوٌ مُعْجَلٌ * وَشَرُّ الْعِقَابِ مَا يُجَازُ بِهِ الْقَدْرُ

وَكَانَ يُقَالُ : بِحَسَبِ الْعُقُوبَةِ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَقْدَارِ الذَّنْبِ .

وفي العفو : قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ عَاقَبْتَ جَازِيَةً وَإِنْ عَفَوْتَ أَحْسَنْتَ وَالْعَفْوُ

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .

(١) في الأصلين الفتوغرافي والألماني «تجود» والتصويب عن الأغاني .

(٢) في نسخة : العدا .

(٣) كذا بالفتوغرافية والألمانية على أنه شعر والكلام في ذاته مستقيم الوزن ، وأورده صاحب العقد
ثرا وبعبده «وَأَلَيْتَ أَنْ لَا أَرْضَى عَنْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذي أنت بين يديه أذل منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمرى نظراً من برئى أحب إليه من سُقْمى وبراءتى أحب إليه من جرمى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة .
 وفى مثله : أتى الأحنفُ ابن قيس مُصعبَ بن الزبير فكلّمه فى قوم حبسهم ، فقال ، أصلح الله الأمير : إن كانوا حبسوا فى باطل فالحق يخرجهم ، وإن كانوا حبسوا فى حق فالعفو يسعهم ، نفلّاهم .

وفى مثله : أمر معاوية بعقوبة رَوْح بن زُبَاع فقال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيصة أنت رفعتها أو تنقض منى مرة أنت أبرمتها أو تُسَمِّت بى عدوا أنت وقمت^(١) وإلا أتى حلمك وعفوك على جهلى وإساءتى . فقال معاوية : خلّيا عنه . ثم أنشد

❦ إذا الله سنّى عقدَ أمرٍ تيسرا ❦

وفى مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به ليفعلن . فقال له رجاء بن حيوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العقو .

وفى مثله : قال ابن القريّة للحجاج فى كلام له : أَقْلَنِي عَثْرَتِي وَأَسْغِنِي رِيقِي فَإِنَّهُ لَا بَدَ لِلْجَوَادِ مِنْ كِبُورَةٍ وَلَا بَدَ لِلسَّيْفِ مِنْ نَبُوءَةٍ وَلَا بَدَ لِلْحَلِيمِ مِنْ هَفْوَةٍ . فقال الحجاج : كَلَّا ، والله حتى أوردك جهنم . أَلَسْتَ الْقَاتِلَ بَرَسْتُ بَازِدَ : تَغَدَّوْا الْجَدَى قَبْلَ أَنْ يَتَعَشَّى كَمْ .
 وفى مثله : أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله ، فاعفُ له فانك به تُعَانِ وإليه تعود . نفلى سبيله .

(١) نهزته وأذله .

(٢) كذا بالأصل وفى الأمالى وأسألك بالله إلا أتى حلمك الخ .

وفي مثله . قال خالد بن عبد الله لسيما^(١)ن بعد أن عذبه [بما عذبه به] : إن القدرة
تذهب الحفيظة وقد جلّ قدرك عن العتاب ونحن مقرّون بالذنب ، فإن تعف فأهل
العفو وإن تعاقب فيما كان منا . فقال [أولى لك]^(١) أما حتى تأتي الشام راجلاً فلا عفو .
وفي مثله : ضرب الحجاج أعناق أسارى أتى بهم ، فقال رجل منهم : والله لئن كنا
أسأنا في الذنب فما أحسنت في المكافاة . فقال الحجاج : أف لهذه الحيف ! أما كان
فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكف عن القتل .

وفي مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه
فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة
ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول أي ربّ سبّل مصعباً فيم
قتلني . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبت لي من حياتي في خنّض . قال أعطوه
مائة ألف . قال : بأبي أنت وأمي ، أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منهم حمسين
ألفاً . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهاب من اللّٰه تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء
يتّقى الله في الأمور وقد أفصح من كان همّه الاتقاء^{١٥}

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك موضعاً للصنعة ، وأمره بلزومه وأحسن
إليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفي مثله : قال عبد الملك بن الحجاج التغلبي لعبد الملك بن مروان : هربتُ إليك
من العراق . قال : كذبت ، إيس إلينا هربت ، ولكك هربت من دم الحسين
وخفّت على دمك فلبأت إلينا . ثم جاء يوماً آخر فقال

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) في النسخة الألمانية « عبد الله » :

أَدْنُو لَتَرْحَمَنِي وَتَرْتُقَ خَلَّتِي . وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ

وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْآخَرِ

كَنْتُ مِنْ كَرْبَى أَفْزَأَ إِلَيْهِمْ * فَهَمُّ كَرْبَى فَأَيْنَ الْفَرَارُ

وَفِي مِثْلِهِ : قَنَّعُ الْجَحَاجُ رَجُلًا فِي مَجْلِسِهِ ثَلَاثِينَ سَوْطًا وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ

وَلَيْسَ بِتَعْزِيرِ الْأَمِيرِ نَحْرَايَةً : عَلَى إِذَا مَا كُنْتُ غَيْرَ مُرِيبٍ

وَنَحْوَهُ

وَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ * لَكَ الدَّهْرُ ، لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

وَفِي مِثْلِهِ : مَرَّ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِرَجُلٍ يُقَادُ مِنْهُ . فَقَالَ لِلْوَلِيِّ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنَّكَ

لَا تَدْرِي لَعَلَّ هَذَا قَتَلَ وَلِيَّكَ وَهُوَ لَا يَرِيدُ قَتْلَهُ ، وَأَنْتَ تَقْتُلُهُ مُتَعَمِّدًا ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ .

قَالَ : قَدْ تَرَكْتَهُ لِلَّهِ .

وَفِي مِثْلِهِ . حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَيْسَى بْنِ عَمْرٍو قَالَ : رُمِيَ الْجَحَاجُ

فَقَالَ : انْظُرُوا مِنْ هَذَا ؟ فَأَوْمَأَ رَجُلٌ بِيَدِهِ لِيَرْمِي . فَأَخَذَ فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ وَقَدْ ذَهَبَتْ

رَوْحُهُ . قَالَ عَيْسَى بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ يَتَحَكَّى الْجَحَاجَ : أَنْتَ الرَّامِيْنَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ ؟ قَالَ :

نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : الْعِيْتُ وَاللَّهِ وَاللَّوْمُ . قَالَ : خَلُّوا

عَنْهُ . وَكَانَ إِذَا صَدِيقٌ انْكَسَرَ

وَفِي مِثْلِهِ : حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَثْمَانَ الشَّحَّامِ قَالَ : أَتَى الْجَحَاجُ

بِالشَّعْبِيِّ فَقَالَ لَهُ : أَنْحَرَجْتَ عَلَيْنَا يَا شَعْبِيُّ ؟ قَالَ : أَجْدَبُ بَنَى الْجَنَابُ وَأَحْزَنُ بَنَى الْمَنْزَلُ

وَاسْتَحَلَسْنَا الْخُوفَ وَاسْتَحَلَسْنَا السَّهْرَ وَأَصَابَتْنَا نَحْرِيَّةٌ لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَتَقِيَاءَ وَلَا بَحْرَةً

أَقْوِيَاءَ . فَقَالَ الْجَحَاجُ : لِلَّهِ أَبُوكَ . ثُمَّ أَرْسَلَهُ .

وفي مثله : أتى موسى بن المهدي رجل كان قد حبسه بفعل يُقرّعه بذنوبه ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، اعتذاري مما تفرّغني به ردّ عليك وإقرارى بما تعتدّه علىّ^١ يلزمني ذنبا لم أجنيه ، ولكني أقول

فان كنت ترجو بالعقوبة راحة * فلا ترهّدن عند المعافاة في الأجر

وفي مثله : قال الحسن بن سهل لنعيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظمه :
على رسلك أيها الرجل ، تقدّمت لك طاعة وتأنّرت لك توبة ، وليس لذنوب بينهما مكان ، وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو .

وفي الدعاء له : قال رجل لبعض الأمراء : « إني لو كنت أعرف كلاما يجوز أن ألقّ به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس ، لأحببت أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظم من أمره ، غير أني أسأل الله الذي لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من نيات القلوب أن يجعل ما يطّلع عليه مما تبلغه نيتي في إرادته للأمر أدنى ما يؤتيه إياه من عطاياه ومواهبه » .

وفي الدعاء له : قرأت في كتاب رجل من الكتاب « لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلغه وأمل فيك تتحقّقه حتى تتمّلى من الأعمار أطولها وترقى من الدرجات أفضلها » .

وفي الدعاء : دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعه فقال : السلام عليك أمير المؤمنين . محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك ، أتأذن له في الكلام ؟ قال : نعم . فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه . فقال « نستمتع الله لحياة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويقيك

(١) في النسخة الفتيوغرافية « لاجتنب » وهو تحريف .

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائد بظلك الهارب الى كنفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك » ثم تكلم في حاجته .

وفي شكر السلطان وفي حمده : قدم رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته فقال له : ما أقدمك عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت اليها وفاضت في رحالها وتناولها الأقصى والأدنى منّا ، وأما الرهبة فقد أمتنا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسن سيرتك فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وفي حمده : كتب بعض الكتاب الى وزير : « كلّ مدّي يبلغه القائل بفضلك والواصف لأيامك والشاكر للنعمة الشاملة بك قصد أمم عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجب على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونماؤها ، فقد جمع الله بك الشّات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدي الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأمنت سرب البرى وخففت جأشه وأخفت سبيل الجاني وأخذت عليه مذاهبه ومطالعه ووقفت بالخاصة والعامة على قصد من السيرة آمنوا بها من العنار والكبوة » .

وفي حمده على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شيبه للمهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .



تم كتاب السلطان ، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَمَنَّوْا لقاء العدو فَعَسَى أَنْ تُبْتَلَوْا بِهِمْ وَلَكِنْ قُولُوا اللَّهُمَّ آكِفِنَا وَكُفِّ عَنَّا بِأَسْهَمٍ ، وَإِذَا جَاءَكُمْ يَعْزِفُونَ وَيَرْحَفُونَ وَيَصِيحُونَ فَعَلَيْكُمْ الْأَرْضُ جُلُوسًا ، ثُمَّ قُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ ، فَإِذَا غَشَوْكُمْ فَتُورُوا فِي وُجُوهِهِمْ » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عن
حدثه أن أبا الدرداء قال : أيها الناس ، عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الْغَزْوِ فَإِنَّمَا تَقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ .

حدثنا القاسم بن الحسن^(١) عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله وأمضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هَرِمًا ولا امرأة ولا وليدا . وتوقفوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند

(١) في الألمانية "الحكم" .

حُمة النهضات وفي شت الغارات . ولا تَغْلُوا عند الغنائم ونزّهوا الجهاد عن عرض الدنيا وأبشروا بالربّاح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

استشار قوم أكرم بن صيفي في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال :
أقلّوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصّياح من الفشل والمرء يعجز
لا محالة . تثبتوا فإن أحزم الفريقين الرّكين ، وربّت عجلة تُعقب ريثاً ، وآتروا للحرب
واذرعوا الليل فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلّف عليه .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا
تَسَازَعُوا فَمَتَّسِقُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي
قال ، قال عُتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم — يعني أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم — جُثيًا على الرّكب كأنهم نُحُرس يتلمظون تلمظ الحيات . قال :
وسمعتهم عائشة يُكَبِّرون يوم الجمل فقالت : لا تكثروا الصياح فإن كثرة التكبير
عند اللقاء من الفشل ^(٢) .

وذكر أبو حاتم عن العُتبي عن أبي إبراهيم قال : أوصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن
أبي سفيان حين وجهه إلى الشام فقال : يا يزيد سرّ على بركة الله . فاذا دخلت
بلاد العدو فكن بعيداً من الحملة فاني لا آمن عليك الحولة . وأستظهر بالزاد ويسر
بالأدلاء ولا تقا تل مجروح فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات فإن في العرب

(١) أي شدتها ومعظمها . (٢) في الفتوغرافية « القتال » .

غِرَّة، وأقلل من الكلام فانما لك ما وُعي عنك . وإذا أتاك كتابي فأنفذه فانما أعمل على حسب إنفاذه . وإذا قُدمت عليك وفودُ العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وأمنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين . ولا تُلحِّن^(١) في عقوبة [فان أدناها وجع] ولا تسرعن إليها وأنت تكتفى بغيرها . وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سرائرهم . ولا تجسَّس عسكرك فتفضحه ولا تهمله فتفسده . وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .

[قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه إلى عُثْمَانَ : يا عكرمة سر على بركة الله ولا تنزل على مستأمن ولا تؤمن على حق مسلم وأهدر الكفر بعضه ببعض . وقدم النذر بين يديك . ومهما قلت إني فاعل فافعله ولا تجعل قولك لغوا في عقوبة ولا عفو . ولا ترج إذا أمنت ولا تخاف إذا خُوفت ولكن أنظر متى تقول وما تقول . ولا تعدت معصية بأكثر من عقوبتنا فان فعلت أثمت وإن تركت كذبت . ولا تؤمنن شريفا دون أن يكفل بأهله ولا تكفلن ضعيفا أكثر من نفسه . وآثق الله فاذا لقيت فاصبر .]

وأوصى عبد الملك بن صالح أمير سريّة إلى بلاد الروم فقال : أنت تاجر الله لعباده فكن كالْمُضَارِبِ الكَيْسِ الذي إن وجد رجلا تجرّ، وإلا احتفظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك .

وحدثني محمد بن عبيد عن ابن عيينة قال : أخبرني رجل من أهل المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمر بن العاص : « إذا بعثت في سرية فلا تلتقهم واقتطعهم فان الله ينصر القوم بأضعفهم » .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالنسخين الفتوغرافية والألمانية وفي العقد الفريد « مروان » .

(١) حدثني محمد بن عبيد [عن ابن عيينة] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال :
غزا نبي من الأنبياء أو غير نبي فقال : « لا يغزوتن معي رجل بني بناء لم يكمله ،
ولا رجل تزوج امرأة لم يبن بها ، ولا رجل زرع زرعاً ثم لم يحصده » .

(١) [وذكر ابن عباس علياً فقال : ما رأيت رئيساً يوزن به . لرأيتُهُ يوم صفين وكأن
عينه سراجاً سايط وهو يحبس أصحابه إلى أن انتهى إلى وأنا في كنف فقال : معشر
المسلمين ، استشعروا الخشية وعنوا الأصوات وتجنبوا السكينة وأكلوا اللؤم وأخفوا
الخنون وقلقلوا السيوف في اغمارها قبل الساة والخطوا الشرر وأطعنوا النبر وناخوا
بالظبا وصلوا السيوف بالخطا والرماح بالنبل وآمشوا إلى الموت مشياً سجعاً . وعليكم
بهذا السواد الأعظم والرواق المطنّب فأضربوا تبحه فان الشيطان راكد في كسره ناخج
خُصيه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وأحرل للكوص رجلاً] .

ولما ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد نحرسان قال له : إن أباك كفى أخاه
عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك .
وإياك مني قبل أن أقول إياي منك ، فان الظن إذا أخلف فيك أخلف منك .
وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك ، وكن
لنفسك تكن لك ، واذكر في يومك أحاديث غدك ترشد إن شاء الله .

قال الأصمعي قالت أم جبنغويه ملك طخارستان لنصر بن سيار الليثي : ينبغي
للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفشي إليه سره ، وحصن يلجأ إليه
إذا فزع فينجيه — يعني فرساً — وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف خونه ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « كنف » وهو تحريف والكنف الحشد والجماعة .
(٣) من النصية أي الحبس والأسر أي أحبسوا أصواتكم ولا ترفعوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجده في نهج
البلاغة ولعله « أخفوا الخوذ » جمع خوذة أي اجعلوها خفيفة حتى لا تثقلكم في الحرب . (٥) يقال طعن
نبر : فخلّس كأنه ينبر الرمح عنه أي يرفعه بسرعة . وفي نهج البلاغة : والخطوا الخزر وأطعنوا الشرر .

وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له بما يشتهيه .

وبلغني عن عباد بن كثير عن عَقِيل ^(١) [بن خالد] ^(٢) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غلب قوم قط يبلغون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» . [وقال رجل يوم حنين: لن تغلب اليوم عن قلة . وكانوا اثني عشر ألفا فهزم المسلمون يومئذ وأنزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَا تُغْنِي عَنْكُمْ كَثْرَتُكُمْ إِلَّا يُهْزِمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ) . وقالوا كان يقال: ثلاث من كن فيه كُنَّ عليه: البغي، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِيتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى (وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والنكث، قال عز وجل (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) .

وقرأت في كتاب للهند: لا ظفر مع بغي، ولا صحبة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بر مع شح، ولا اجتناب محرم مع حرص، ولا محبة مع زهو، ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سُودد مع انتقام، ولا رياسة مع غرارة وعجب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزراء .

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهملته ذلك فقبل له: ما يهلكك منهم؟ وجه اليهم وكيع بن أبي سُود فإنه يكفيكمهم . فقال: لا، إن وكيعا رجل به كبر يحقر أعداءه، ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غيرة .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي النسخة الألمانية: الزيري والصواب الأول فان المعروف في كتب طبقات المحدثين أن عقيل بن خالد يروي عن الزهري والزهري يروي عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) في الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

وقرأت في بعض كتب العجم أن ملكا من ملوكهم سئل : أى مكايد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء الغلبة وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتباس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغش ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسد ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم في القتال فقال : مخالة العدو عن الرّيف وإعداد العيون على الرّصد وإعطاء المبلّغين على الصدق ومعاينة المتوصلين بالكذب وألا تُخرج هاربا الى قتال ولا تُضيق أمانا على مستأمن ولا تُسبّ عن أصحابك للُبْغية ولا تُسدهنك الغنيمة عن المحاذرة .

وقرأت في كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال . يحذر المواثبة إن قُرب ، والغارة إن بُعد ، والكمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى ، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ما وجد بدا لأن النفقة فيه من الأنفس والنفقة في غيره من المال .

وقرأت في الآيين : قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر في الميسرة ليكون لقاءه يَسرا ورميه شَررا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدما وترك ذلك على حال مُمائلة أو مُجانبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشْرِفا ويلتمس وضعه فيه فان أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإِن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان فان زالت المادّتان لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة . [وإذا عَيّ الجند فليتناوَشْ (١) أهل الميمنة والمادّتان فأما الميسرة] فلا تُشدّك منهم أحد إلا أن يبادر اليهم من العدو من يخاف بائقته فيردّون عاديتهم مع أن أصحاب الميمنة والمادّتين لا يقدرّون على لقاء من يناوِشهم والرجوع الى أصحابهم عاطفين ، وأصحاب الميسرة لا يقدرّون على مناوِشة

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا "المادّيان" ولم نوفق الى تصويبها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

- الا مائلين ويعجزهم الرجوع عاطفين . ولا يألون صاحب الجيش على حال من الحال أن يستدبر جنده عين الشمس والريح ، ولا يحاربن جندا الا على أشد الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بد ، فاذا كان كذلك فليجهد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب الى آخر النهار . وينبغي على كل حال أن يخلى بين المهزمين وبين الذهاب ولا يجسوا . وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يحال بينهم وبينه لئلا يخرجوا الى الجند في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فان وقت طلب ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فان أسلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . ولتسير الطلائع في قرار من الأرض ويقفوا على التلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها . وليكن الكمين في الخمر والأماكن الخفية . وليطرح الحسك في المواضع التي يتخوف فيها البيات . وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فان في انتشاره فساد العسكر وانتفاضه . وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجريين ذوى حنكة وبأس فيدار العدو الجند الى الوقعة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بد فيدار الجند الى مقاتلة العدو أفضل للجند . وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوا إلا أن تكون عدتهم أربعة أضعاف عدة العدو أو ثلاثة أضعافهم ، فان غزاهم عدوهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدة العدو مثل نصف عدتهم . وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم ، وينبغي أن ينتخب للمكين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سعال ولا عطاس ويختار لهم من الدواب ما لا يسهل ولا يغث^(١) ، ويختار لكونهم مواضع لا تغشى ولا تؤقى ، قريبة من

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفلورغرافية "يعث" . ولعل الصواب بنهت كضرب والنهات

النفس بأين وهو الزحير .

الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا. وأن يكون إيقاعهم كضريم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من المكان متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة الرمايا، وإذا أونس من طلائعهم توأنا وتفرطوا وإذا أمرجوا دوابهم في الرعي، وأشد ما يكون البرد في الشتاء وأشد ما يكون الحر في الصيف. وأن يرفضوا ويفترقوا إذا ناروا من مكثهم بعد أن يستخير بعضهم بعضا وأن يسرعوا الإيقاع بعدوهم ويتركوا التلبث والتلفت. وينبغي للبيتين أن يفترصوا البيات إذا هبت ريح أو أونس من نهر قريب منهم تحريرا فإنه أجدر ألا يسمع لهم حس. وأن يتوحي بالوقعة نصف الليل أو أشد ما يكون إظلاما. وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وبقيتهم حوله، ويبدأ بالوقعة من يصير منهم في الوسط ليسمع بالضجة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله، وأن يشرّد قبل الوقعة الأفرء فالأفره من دوابهم ويقطع أرسانها وتهمز بالرماح في أعجازها حتى تتحير وتغير ويسمع لها ضوضاء، وأن يهتف هاتف ويقول: يا معشر أهل العسكر النجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق. ويقول قائل: أيها الرجل استجني الله. ويقول آخر: العفو العفو. وآخر: أوه أوه، ونحو هذا من الكلام. وليعلم أنه إنما يحتاج في البيات إلى تحيير العدو وإخافته وليجتنبوا التقاط الأمتعة وأستياق الدواب وأخذ الغنائم. قال: وينبغي في محاصرة الحصون أن يستمال من يقدر على استمالته من أهل الحصن والمدينة ليظفر منهم بخصلتين: إحداهما استنباط أسرارهم، والأخرى إخافتهم وإفراغهم بهم، وأن يدسّ منهم من يصغر شأنهم ويؤيسهم من المدد ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكيدتهم، وأن يفاض حول الحصن ويشار إليه بالأيدي كأن فيه مواضع حصينة وأخر ذليلة ومواضع ينصب المجانيق

(١) في النسخة الفتوغرافية بعد هذا زيادة: وأشد

فأوه بذكراها إذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض دونها رساء

عليها ومواضع تُهَيَّأُ العَرَّادَاتُ لها ومواضع تُثَقَّبُ ثِقْبًا ومواضع توضع السَّالِمُ عليها ومواضع يُتَسَوَّرُ منها ومواضع يُضْرَمُ النارُ فيها لِيَمْلَأُهم ذلك رعبًا، وَيَكْتَسِبُ على نُشَابَةِ إِيَّاكُمْ أَهْلُ الْحَصْنِ وَالْأَغْتَارِ وَإِغْفَالُ الْحِرَاسَةِ، عَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْأَبْوَابِ فَإِنَّ الزَّمَانَ خَبِيثٌ وَأَهْلُهُ أَهْلٌ غَدَرٌ فَقَدْ خُدِعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحَصْنِ وَاسْتُمِيلُوا، وَيُرْمَى بِتِلْكَ النَّشَابَةِ فِي الْحَصْنِ ثُمَّ يُدَسُّ لِمَخَاطِبَتِهِمُ الْمُنْطِيقُ الْمُصِيبُ الدَّهْيُ الْمَوَارِبِ الْمُخَاتِلِ غَيْرِ الْمُهْذَارِ وَلَا الْمَغْفَلِ. وَتَوَثَّرَ الْحَرْبُ مَا أَمَكْنَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِي الْحَارِبَةِ جَرَأَةً مِنْهُمْ عَلَى مَنْ حَارَبَهُمْ وَدَلِيلًا عَلَى الْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْحَارِبَةِ فَلْيَحَارِبُوا بِأَخْفِ الْعُدَّةِ وَأَيْسَرِ الْأَلَةِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ الْعَدُوُّ عَلَى الْأَرْضِ ذَاتِ الْخَمَرِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ لِلْعَسْكَرِ وَمَصَافِّ الْجُنُودِ وَيُخْتَلَى بَيْنَ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ بَسَاطَةِ الْأَرْضِ وَدَكَاذِكِهَا.

١٠ وَفِي بَعْضِ كُتُبِ الْعَجَمِ أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ سَأَلَ عَنْ أَشَدِّ الْأُمُورِ تَدْرِيصًا لِلْجُنُودِ وَشَحَاحًا لَهَا، فَقَالَ: اسْتِعَادَةُ الْقِتَالِ وَكَثْرَةُ الظَّفَرِ، وَأَنْ تَكُونَ لَهَا مَوَادٌّ مِنْ وَرَائِهَا وَغَنِيمَةٌ فِيمَا أَمَامَهَا، ثُمَّ الْإِكْرَامُ لِلْجَيْشِ بَعْدَ الظَّفَرِ وَالْإِبْلَاحُ بِالْمُجْتَمِعِينَ بَعْدَ الْمُنَاصَبَةِ، وَالتَّشْرِيفُ لِلشَّجَاعِ عَلَى رِءُوسِ النَّاسِ.

١٥ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ [قَالَ نَصْرَبْنِ سِيَّارًا] ^(١): كَانَ عِظَاءُ التَّرْلِكِ يَقُولُونَ: الْقَائِدُ الْعَظِيمُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْحَيَوَانِ: شَجَاعَةُ الدِّيكِ، وَتَحَنُّنُ الدَّجَاجَةِ، وَقَلْبُ الْأَسَدِ، وَحَمَلَةُ الْخَنَزِيرِ، [وَرَوْغَانُ الثَّعْلَبِ، وَخَتْلُ الذِّئْبِ. وَكَانَ يُقَالُ فِي صِفَةِ الرَّجُلِ الْجَامِعِ: لَهُ وَثْبَةُ الْأَسَدِ، وَرَوْغَانُ الثَّعْلَبِ، وَخَتْلُ الذِّئْبِ] ^(١) وَجَمْعُ الذَّرَّةِ، وَبُكُورُ الْغُرَابِ.

وَكَانَ يُقَالُ: أَصْلَحَ الرِّجَالُ لِلْحَرْبِ الْمُجَرَّبُ الشَّجَاعُ النَّاصِحُ.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصم قال ، قيل لعمر بن معاوية العقيلي
 وكان صاحب صوائف : هم ضبطت الصوائف : أي الثغور قال : بسمانة الظهر وكثرة
 الكمك والقديد . وفي كتاب الآيين : ليكن أول ما تحمله معك خبزاً ثم خبزاً ثم خبزاً .
 وإياك والمفارش والثياب . أبو اليقظان قال قال شبيب الخارجي : الليل يكفيك
 الجبان ونصف الشجاع . وكان إذا أُمسى قال لأصحابه : أتاكم المدد ، يعني الليل .
 وقيل لبعض الملوك : بيتُ عدوك . قال : أكره أن أجعل غلّتي سرقة .

المدائني قال : لما اشتغل عبد الملك بمحاربة مُصعب بن الزبير اجتمع وجوه
 الروم الى ملكهم فقالوا : قد أمكتك الفرصة من العرب بتشغل بعضهم ببعض ،
 فالرأى أن تغزوهم في بلادهم . فنهاهم عن ذلك وخطأ رأيهم ، ودعا بكلين فأرّش
 بينهما فاقْتتلا قتالاً شديداً ، ثم دعا بشغلب نخلّاه بينهما ، فلما رأى الكلبان الثعلب تركا
 ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثلنا ومثلهم .
 فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال : لا يمكن العدو الذي قد كشف لك عن
 عداوته بأخوف عندك من الظنين الذي يستتر لك بمخاتلته ، فانه ربما تخوف الرجل
 السُّمّ الذي هو أقتل الأشياء وقتله الماء الذي يحيي الأشياء ، وربما تخوف أن يقتله
 الملوك التي تملكه ثم قتله العبيد التي يملكها . فلا تكن للعدو الذي تُناصب بأحذر
 منك للطعام الذي تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منه نذيرك وإن عظم آمن مني
 من كل أمر عرّيته من نذيرك وإن صغر . واعلم أن مدينتك حُرّز من عدوك ،
 ولا مدينة تحُرّز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطيبك ، وليست من هذه الأربع
 واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك .

وذکر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك، حين فصل مع خطبة من نخراسان، بيثنا هو على سطح بيت في قرية قد نزلها وهم يتعدون نظرا إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحاري حتى كادت تخالط العسكر، فقال لخطبة: أيها الأمير ناد في الناس: يا خيسل الله اركبي، فإن العدو قد نهه اليك وحش، وغاية أصحابك أن يسرجوا ويلجئوا قبل أن يروا سرعان الخيل، فقام خطبة مذكورا فلم ير شيئا يروعه ولم يعاين غبارا، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير لا تشغل بي وناد في الناس. أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها جمعا كثيفا. قال: فوالله ما أسرجوا ولا ألبجوا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد أضطلم.

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: آمرك بالتقدم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد من قبل دخولك في غد كما تعد السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عتاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدري لعلها لا تصيبه، بل كما تعد الطعام لعدد الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته.

[وقرأت في كتاب سير العجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك سار بجنوده نحو نخراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطة ببليخ، فلما انتهى إلى بلاده اشتد رعب اخشنوار منه وحذر له، فناظر أصحابه ووزرائه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موثقا وعهدا تطمئن اليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتحسن اليهم وتحلفني فيهم، ثم أقطع يدي ورجلي وألقني على طريق فيروز حتى يمر بي هو وأصحابه فأكفيك مؤوتهم [وشوكتهم] وأورطهم مورطا تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار: وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

ولم تَشْرَكَا في ذلك؟ قال : إني قد بَلَغْتُ ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا موقن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أيا ما قلائل ، فأحب أن أختم عمري بأفضل ما تُنَحَّم به الأعمار من النصيحة لآخواني والنكاية في عدوي فيشرف بذلك عقي وأصيب سعادة وحُظوة فيما أُمامي ، ففعل به ذلك وأمر به فألقى حيث وصف له .

فلما مرَّ به فيروز سأله عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به وأنه احتال حتى حُلَّ الى ذلك الموضع ليدلَّه على عورته وغرته وقال : إني أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى ، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجموا عليه فينتقم الله لي منه بكم ، وليس في هذا الطريق من المكروه الا تقويزُ يومين ثم تُفَضُّون الى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزرأؤه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك ، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم الى موضع من المفازة لا صدر عنه ثم بين لهم أمره ففترقوا في المفازة يمينا وشمالا يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم إلا عتدة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدون لهم فواقعهم على تلك الحالة وعلى ما بهم من الضر والجهد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم ، ثم رغب فيروز الى اخشنوار وسأله أن يمن عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يَحُدُّ فيما بينه وبين مملكته حدا لا يتجاوزه جنوده ، فرضى اخشنوار بذلك ونحى سبيله وانصرف الى مملكته ، فمكث فيروز برهة من دهره كئيبا ثم حمله الأنف على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه الى ذلك فردّوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نتخوف عليك عاقبة البغي والغدر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة .

فقال لهم : إني إنما شرطتُ له ألا أجوز الحجر الذي جعلته بيني وبينه فأنا آمر بالحجر

- ليحمل على عَجَلَة أماننا . فقالوا له : أيها الملك ، إن العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على ما يُسَرَّ المعطى لها ولكن على ما يُعْلَن المعطى ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عَرَفَه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى في غزواته حتى انتهى إلى الهياطلة وتصافى الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيهم ليكلمه ، فخرج إليه فقال له اخشنوار ٥
- قد ظننت أنه لم يدعك إلى غزونا إلا الأتف مما أصابك . ولعمري لئن كنا احتلنا لك بما رأيت ، لقد كنت التمسنا بنا أعظم منه ، وما ابتدأناك ببغى ولا ظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ، ولقد كنت جديرا أن تكون ، من سوء مكافأتنا بمننا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكَّدت على نفسك ، أعظم أنفا وأشدَّ امتعاضا مما نالك منا ، فإننا أطلقناكم وأتّم أسرى ومنّا عليكم وأتّم مشرفون ١٠
- على الهلكة وجعنا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإنا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك وميل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشدَّ عارا وأقبح سماعا ، إن طلب رجل أمرا فلم يُتَح له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغيته وأستمكن منه عدوه على حال جهْد وضيعة منه وثمن معه ، فمن عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطاحوا عليه فاضطر لمكروه ١٥
- القضاء وأستحيا من النكث والغدر أن يقال امرؤ نكث العهد وختر الميثاق . مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عدتهم وطاعتهم لك ، وما أجدني أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شُخوصك بهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم إلى ما يُسخط الله ، فهم في حربنا غير مستبصرين ونياتهم في مناصحتك اليوم مدخولة ، فانظر ما قدر غنائ من ٢٠
- يقاتل على مثل هذه الحال ، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر رفع عار وإن قُتل ذالى النار، فإنا أذكرك الله الذى جعلته على نفسك كفيلاً
 ونعمتى عليك وعلى من معك بعد ياسم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك
 الى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مضوا على ذلك
 فى كل ما أحبوه أو كرهوه، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنك
 لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لنهمتك فينا وإنما تلتبس منا أمراً تلتبس منك
 مثله وتناوى عدواً لعله يُمنح النصر عليك فقد بالغت فى الاحتجاج عليك وتقدمت
 فى الإيذار اليك ونحن نستظهر بالله الذى آعترزنا به ووثقنا بما جعلته لنا من عهده
 إذا استظهرت بكثرة جنودك وأزدهتك عدة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله
 ما كان أحد من نصحاءك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يحرمك منفعتها
 مخرجها منى فإنه لا يُزرى بالمنافع عند ذوى الرأى أن كانت من قبل الأعداء كما
 لا يُحبب المضار اليهم أن تكون على أيدي الأولياء، واعلم أنه ليس يدعونى الى
 ما تسمع من مقاتلى ضعف أحسنه من نفسى ولا قلة من جنودى، ولكنى أحببت
 أن أزداد بذلك حجة وأستظهراً، وأزداد به من الله للنصر والمعونة استيجاباً ولا أؤثر
 على العافية والسلامة شيئاً ما وجسدت اليهما سبيلاً، فأبى فيروز إلا تعلقاً بحجته
 فى الحجر الذى جعله حداً بينه وبينه وقال: لست ممن يردعه عن الأمر يهيم به وعيد
 ولا يقتاده التهديد والترهيب، [ولو كنت أرى ما أطلبك غدرًا منى ما كان أحد أنظر
 ولا أشد اتقاءً منى على نفسى فلا يغترنك منّا الحال التى صادفتنا عليها فى المرة الأولى
 من القلة والجهد والضعف]، قال اخشوار: لا يغترنك ما تخدع به نفسك من حملك
 الحجر أمامك، فإن الناس لو كانوا يعطون العهود على ما تصف من إسرار أمرٍ وإعلان
 آخر، إذا ما كان ينبغي لأحد أن يغتر بآمانٍ ولا يثق بعهدٍ، وإذا لما قبل الناس شيئاً

مما يعطونه من ذلك، ولكنه وضع على العلانية وعلى نية من تُعقد العهود والشروط له .
فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة ،
وما رأيتُ للفرس الذي كان تحته نظيراً في الدواب فانه لم يُزل قوائمه ولم يرفع حوافره
عن موضعها ولا صهل ولا أحدث شيئاً يقطع به المحاورة في طول ما تواقفنا . وقال
اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كله فلم يحرك رأسه
ولم ينزع رجلاه من ركابه ولا حناً ظهره ولا ألفت يميناً ولا شمالاً ، ولقد توزكت
أنا مراراً وتمطيتُ على فرسي وتلفتُ الى مَنْ خلقي ومددتُ بصرى في أمامى وهو
منتصبٌ ساكن على حاله ، واولاً محاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى . وإنما
أرادا بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان في أهل عسكريهما فيشغلا
بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان في اليوم الثانى أخرج اخشنوار
الصحيفة التى كتبها لهم فيروز ، فرفعها على رُمح لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا
غدره وبغيه ويخرجوا من متابعتة ، فانتقض عسكر فيروز وأختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً
حتى أنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى
قال : لا راد لما قُدر ، ولا أشد إحالةً لمنافع الرأى من الهوى واللباج ، ولا اضيع
من نصيحة يُمنحها من لا يوطن نفسه على قبولها والصبر على مكروهها ، ولا أسرع
عقوبة ولا أسوأ عاقبة من البغى والغدر ، ولا أجلب لعظيم العار والفُضوح من إفراط
الفخر والأنفة .

وقال أبو اليعقظان : لما خرج شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى بالموصل بعث اليه
الحجاج قائداً فقتله ثم قائداً فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم
وكان أحد القواد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم خرج شبيب من الموصل يريد
الكوفة وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الحجاج قبل

أن يصل الى الكوفة فَأَخْبَمَ الْجَحَاجُ خِيَاةَ فَدَخَلَ الْكَوْفَةَ قَبْلَهُ ، وَرَمَى شَيْبَ بَعْتَابِ بْنِ
وَرَقَاءَ فَقَتَلَهُ وَرَمَى بَعْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَقَدَّمَ شَيْبُ الْكَوْفَةَ
وَأَلَى الْأَيْبَرِجَ عَنْهَا أَوْ يَلْقَى الْجَحَاجَ فَيَقْتُلُهُ أَوْ يَقْتُلُ دُونَهُ ، فَخَرَجَ الْجَحَاجُ إِلَيْهِ فِي خِيَلِهِ ،
فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ عَمِدَ إِلَى سِلَاحِهِ فَأَلْبَسَهُ أَبُو الْوَرْدِ مَوْلَاهُ وَحَمَلَهُ عَلَى الذَّابَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا ،
فَلَمَّا تَوَاقَفَا قَالَ شَيْبُ : أَرُونِي الْجَحَاجَ ، فَأَوْمَأَ وَآلَهُ إِلَى أَبِي الْوَرْدِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ
خَرَجَ مِنَ الْكَوْفَةِ يَرِيدُ الْأَهْوَازَ فَعَرِقَ فِي دُجَيْلٍ وَهُوَ يَقُولُ (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) .

الأوقات التي تختار للسفر والحرب

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن
عبد الله بن أبي بكر عن الزهري قال : كان أحب الأيام إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يعقد فيه رايته يوم الخميس ، وكان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .

وقالت العجم : أخر الحرب ما استطعت فإن لم تجد بدا فاجعل ذلك آخر النهار .

وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن عون عن محمد
ابن سيرين أن النعمان بن مقرن قال لأصحابه : إني لقيت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان من أحب ما يلقى فيه إذا لم يلق في أول النهار إذا زالت الشمس
وحلت الصلاة وهبت الرياح ودعا المسلمون . ويروى قوم عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه أنه كان يكره الحجامة والابتداء بعمل في محاق القمر وفي حلوله في برج
العقرب . [وقال بعضهم : كنت مع عمر ابن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد

الركوب ، فنظرت فإذا القمر بالدبران فقلت : أنظر إلى القمر ما أحسن استواءه !
فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزله فضحك ، وقال : إنما أردت أن تنظر إلى منزله ، وإنا

لا تقيم لشمس ولا لقمر ولكنا نسير بالله الواحد القهار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وأبتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حرب وديم ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الخوائج ، ويوم الجمعة يوم خطب ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رجاء قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا اشتدت حلقه البلاء وكانت الضيقة : « تضيّق تفرّجى » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كف عنا بأس الذين كفروا إنك أشد بأساً وأشد تنكيلاً فما ينخفض يديه المباركتين حتى ينزل الله النصر .

وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عقبة عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا تفتنوا لقاء العدو وأسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فآبئوا وأصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال : « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » وقال أبو النضر : وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال : « اللهم أنت ربنا وربهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وانصرنا عليهم » .

حدثني محمد بن عبيد قال : لما صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى الميمنة جانح على سية قوسه

(١) كذا بالنسخين وهو عمرو بن عبيد الله كما في تقريب التهذيب . (٢) سية القوس ما أعطف من طرفها .

يُنْضِضُ بِإصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ ، فَقَالَ قَتَيْبَةُ : تِلْكَ الْإِصْبَعُ الْفَارِدَةُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ مِائَةِ
أَلْفِ سَيْفٍ شَمِيرٍ وَسَنَانٍ طَرِيرٍ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ لِمُحَمَّدٍ : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟
قَالَ : كُنْتُ آخِذٌ بِكَ بِجَمَاعِ الطَّرِيقِ .

الصبرُ وحضُّ الناسِ يومَ اللقاءِ عليه

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال كان عاصم بن الحذثان رجلاً من
العرب عالمًا قديمًا وكان رأس الخوارج بالبصرة وربما جاءه الرسول منهم من
الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فتر به الفرزدق فقال لأبيه : أنشد
أبا فراس فأنشده

وهم إذا كسروا الجفونَ أكارمٌ * صُبرٌ وحين تُحلل الأزرارُ
يغشون حوماتِ المنون وإنها * في الله عند نفوسهم لصغار
يمشون في الخطى لا يثنيهم * والقوم إذ ركبوا الرماح تجار

فقال له الفرزدق : ويحك ! اكتم هذا لا يسمعه النساء فيخرجوا علينا
بحفوفهم . فقال عاصم : يا فرزدق ، هذا شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين .

حدثنا سهل قال حدثنا الأصمعي قال قال سليل بن سعد قال بسطام بن قيس
لقومه : تَرِدُونَ عَلَى قَوْمِ آثَارِهِمْ آثَارَ نِسَاءٍ وَأَصْوَاتِهِمْ أَصْوَاتُ صُرْدَانٍ وَلَكِنَّهُمْ صَبَرُوا
عَلَى الشَّرِّ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ . وَفِي هَؤُلَاءِ يَقُولُ مَعَاوِيَةُ : لَوْ أَنَّ النُّجُومَ تَنَاقَرَتْ لَسَقَطَتْ
فَرَهَا فِي حُجُورِ بَنِي يَرْبُوعَ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قُلْتُ لَسَلِيطٌ : أَمَا كَانَ عُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ
ضَخْمًا ؟ قَالَ : لَا وَلَا مِنْ قَوْمِ ضَخَامَ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ .

(١) الحَفُّ الْمُنْسَجُ وَجَمْعُهُ حَفُوفٌ . (٢) فِي النُّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ «عَيْنَةٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ

(١) [وقال عمر بن الخطاب لبني عبس: كم كنتم يوم الهبأة؟^(٢) فقال: كنا مائة كالذهب، لم نكثر ففتوا كل ولم نقل فنذل. قال: فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر منهم عدداً ولا مالا؟ قال: كنا نصبر بعد اللقاء هنية. قال: فلذلك إذا. قيل لعنرة العبسي: كم كنتم يوم القروق؟^(٣) قال: كنا مائة لم نكثر فنفسل ولم نقل فنذل. وكان يقال: النصر مع الصبر. ومن أحسن ما قيل في الصبر، قول نهشل بن حريّ ابن ضمرة

ويوم كأن المصطليين بحمره * وإن لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يبوخ وإنما * تفرج أيام الكريهة بالصبر

ومثله قول الآخر

١٠ بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا * مُطلاً كإطلال السحاب إذا أكفهز
فقلت له لا تبك عينك إنما * يكون غدا حسن الثناء لمن صبر
فما أخر الإحجام يوماً معجلاً * ولا عجل الإقدام ما أخر القدر
فأسى على حال يقل بها الأمل * وقاتل حتى استبهم الورد والصدر
وكرّ حفاظاً خشية العار بعد ما * رأى الموت معروضا على منهج المكر

١٥ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه: احرص على الموت
توهب لك الحياة. وتقول العرب: الشجاع مؤق. وقالت الحنساء
نُهين النفوس وهونُ النفوس * س يوم الكريهة أوق لها

وقال يزيد بن المهلب

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد * لنفسى حياةً مثل أن أتقدما

(١) زيادة في النسخة الألمانية. (٢) أرض لفظتان ويومها من أيام العرب كان فيه النصر لعبس على ذبيان. (٣) موضع بديار بني سعد ويومه من أيام حروب عبس وذبيان أيضا. (٤) في الألمانية مظلاً كإطلال الخ بالطاء المعجمة.

وقال قَطَرِيّ بن الفُجَاءَة

وقولِي كَلِمًا جَشَاتٍ وَجَاشَتْ * مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحِيكَ لَا تُرَاعِي

فَانِيكَ لَوْ سَأَلْتِ حَيَاةَ يَوْمٍ * سَوَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي

[وقال معاوية بن أبي سفيان شجعني على علي بن أبي طالب قول عمرو بن الإطنابة .^(١)

أَبْتُ لِي عِفَّتِي وَأَبَى بِلَائِي * وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرَّيِّحِ

وإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُشِيحِ

وقولِي كَلِمًا جَشَاتٍ لِنَفْسِي * مَكَانِكَ تُجْهِدِي أَوْ تَسْتَرْجِي

لَأُدْفِعَ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ * وَأُحْيِي بَعْدُ عَنْ عِرْضِ صَحِيحِ

أَبْتُ لِي أَنْ أَقْضِيَ فِي فَعَالِي * وَأَنْ أَغْضِي عَلَى أَمْرِ قَبِيحِ

وقال ربيعة بن مقروم

وَدَعَوَا نَزَالٍ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ * وَعَلَّامَ أَرْكَبِهِ إِذَا لَمْ أَنْزِلْ

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يذمر^(٢) الناس ويقول: يا أهل الاسلام، إن

الصبر عزّ وإن الفشل عجز وإن النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ^(٣) وَالرُّغْفَ * وَالْقِينَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأُتْفَ

للضاريين الخيل والخيل قُطْفَ

وقال أعرابي: الله يُخْلِفُ مَا أَتْلَفَ النَّاسُ، والدهر يَتْلَفُ مَا جَمَعُوا، وكم من مِيتَةٍ

عَلِمَتْهَا طَلَبُ الْحَيَاةِ، وَحَيَاةٌ سَبَبُهَا التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ . ومثله قول أبي بكر الصديق لخالد:

أَحْرَصَ عَلَى الْمَوْتِ تُوهِبُ لَكَ الْحَيَاةَ .

[قَدِمْتُ مُنْهَزِمَةً الرُّومِ عَلَى هِرَاقِلَ وَهُوَ بَانْطَاكِيَّةَ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عِظَمَائِهِمْ فَقَالَ:

وَيَحْكُمُ! أَخْبِرُونِي مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقَاتَلُونَهُمْ؟ أَلَيْسُوا بِشَرٍّ مِثْلِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى . يَعْنِي

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .

(٣) ما طبخ من اللحم بغير تابل .

- العرب . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن .
 قال : ويلكم ! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا ، فقال شيخ منهم :
 أنا أخبرك أيها الملك من أين تؤتون . قال : أخبرني . قال : إذا حملنا عليهم صبروا
 وإذا حملوا علينا صدقوا ، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال : ويلكم
 فما بالكم كما تصفون وهم كما ترعمون ؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت
 من أين هذا ؟ قال له : من أين هو ؟ قال : لأن القوم يصومون بالنهار ويقومون
 بالليل ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون أحداً
 ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وتنقض العهد
 ونغصب ونظلم ونأمر بما يسيخط الله وننهى عما يرضى الله ونفسد في الأرض .
 قال : صدقتني ، والله لأخرجن من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وأتم هكذا .
 قالوا : نُشهدك الله أيها الملك . تدع سُورِيَّةَ وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد
 الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يؤت عليهم] .

ذكر الحرب

- قالت العرب : الحرب غشوم ، لأنها تنال غير الجاني . وقال الكهيت
 الناس في الحرب شتى وهي مقبلة * ويستون اذا ما أدبر القبل
 كلُّ بأمسيتها طَبٌّ موليَّةٌ * والعالمون بذى غدوئها قُلل
 وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمر بن معديكرب : أخبرني عن الحرب .
 قال : مُرَّةُ المذاق إذا قلصت عن ساق ، من صبر فيها عُرف ومن ضعف عنها
 تَلَف . وهي كما قال الشاعر
 الحرب أول ما تكون فتية * تسعى بزيتها لكل جهول

(١) حتى اذا استعرت وشب ضرامها * عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جرت رأسها وتكرت * مكروهةً للشم والتفيل

كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصر بن سيار فكان لا يمدّه بالرجال
ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تُذكي * وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم يُطفئها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري * أيقاظ أمية أم نيام

ونحو قوله: «الحرب أولها الكلام» قول حذيفة: إن الفتنة تُلَقَّح بالنجوى وتُنَجَّج

بالشكوى . ١٠

العتبي عن أبيه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبنة الحسن: يا بُني
لا تدعون أحداً إلى البراز، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبتَه فإنه بغى .

في العدة والسلاح

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خصيفة عن السائب
ابن يزيد — فيما حفظت إن شاء الله — أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه درعان
يوم أُحُد . قيل لعباد بن الحصين وكان أشد رجال أهل البصرة: في أيّ عدة
تحب أن تلقى عدوك؟ قال: في أجل مُستأجر .

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا داود بن أبي هند
عن عكرمة قال: لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجنوب للشمال: أنطلق بنا يُمدد

(١) في العقد الفريد «خليل» بالحاء المهملة وفيه أيضاً كما في الفنوغرافية «الشم» بدل اللثم .

(٢) في الأصل «حصيفة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إن الحرة لا تسرى بالليل ، فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن أبي الزناد قال : ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطعه الى القربوس فقالوا : ما أجود سيفك ! فغضب ، يريد أن العمل ايده لا سيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحرى يصف سيفا

ماض وإن لم تمضه يد فارس * بطل ومصقول وإن لم يصقل
متوقد يقرى بأول ضربة * ما أدركت ولو أنها فى يذبل

وقال آخر

وما السيف إلا بزغاة لزينة * إذالم يكن أمضى من السيف حامله

رؤى الجراح بن عبد الله فى بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، ف قيل له فى ذلك . فقال : إني لست أقي بدنى وإنما أقي صبرى . واشترى يزيد بن حاتم أدراعا وقال : إني لم أشترا أدراعا إنما اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلب : ما رأيت رجلا فى الحرب مستلثا إلا كان عندى

رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندى واحدا . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إن للسلح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصريح : السلح (٢) السلح ولا ينادون : الرجال الرجال . [قال المهلب لبنيه : يا بني لا يقعدن أحد منكم فى السوق ، فإن كنتم لا بد فاعلين فالى زراد أو سراج أو وراق .] وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمر بن معد يكرب : أخبرنى عن السلح . قال : سل عما شئت منه . قال : الرمح ؟ قال : أخوك وربما خالك . قال النبيل ؟ قال : منايا تخطى وتصيب .

(١) فى النسخة الألمانية «الكوفة» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

قال : التُّرْس ؟ قال : ذاك المِجَنّ وعليه تدور الدوائر . قال : الدَّرْع ؟ قال :
مُثْقِلَةٌ لِلرَّاجِلِ مُتَعَبَةٌ لِلْفَارِسِ ، وإِنّهَا لَحِصْنٌ حَصِينٌ . قال : السيف ؟ قال : ثُمَّ ،
قَارَعْتُكَ أُمُّكَ عَنِ الشَّكْلِ . قال عمر : بل أُمُّكَ . قال " الْحُمَّى أَضْرَعْتُ لَكَ " .^(٢)

وقال الطائي يصف الرّماح ،

مُثَقَّفَاتٌ سَلَبْنَ الرُّومَ زَرْقَتَهَا * والعُربُ سُمِرَتْهَا والعاشقُ الْقَضْفَا^(٣)

وقال دِغْبَلٌ يصف الرُّح

وَأَسْمِرٌ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقٌ * مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي

وقال الشاعر

تَلَمَّظَ السِّيفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنَسٍ * فَاَلَمُوتَ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

أَظْلَهُ مِنْكَ حَتْفٌ قَدْ تَجَلَّلَهُ * حَتَّى يُؤَامِرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدَرُ^(٤)

أَمْضَى مِنَ السِّيفِ إِلَّا عِنْدَ قَدَرَتِهِ * وَلَيْسَ لِلسِّيفِ عَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ

وقال آنر

مَتَى تَلَقَّنِي يَعْدُو بِبَزِيٍّ مَقْلَصٍ^(٥) * كُنَيْتُ بِهِمٍ أَوْ أَغَرَّ مَحْجَلٍ

تَلَاقٍ أَمْرًا إِنْ تَلَقَّه فَبَسِيفِهِ * تُعَلِّمُكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

وقال عليّ رضي الله عنه : السيف أنمى عددا وأكثر ولدا . وفي الحديث « بَقِيَّةُ^(٦)

السيف مباركة » يعني أن من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده . وقال

المهلب : ليس شيء أنمى من سيف . ويقال : لا مجد أسرع من مجد سيف .

(١) في الأصلية « مشغلة » والنصّوين عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد في مجمع الأمثال وفي النسخة

الألمانية : « إليك » . (٣) النخافة . (٤) في الفترغرافية « رَبَّه » (٥) قال في اللسان : البَزُّ

والبَزَّةُ السلاح ويدخل فيه الدرع والمغفر والسيف . (٦) هكذا في النسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية

« السيف أنمى عددا وأكرم ولدا » ، وفي نهج البلاغة بقية السيف أبى عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع علي رضي الله عنه صدرا لا ظهر لها فليل له في ذلك فقال : إذا
استمكن عدوي من ظهري فلا يتي . وقال أبو الشبص

ختلته المنون بعد اختيال * بين صفين من قنا ونصال
في رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد ممدال

بلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر فبعث ابنه الأغر وقال :
يا بني كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف فانه ظل الموت ، وآتى
الرحم فانه رشاء الميتة ، ولا تقرب السهام فانها رسل لا تؤامر مرسلها . قال : فبما ذا
أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر

جلا ميد يملأن الأكف كأنها * رءوس رجال خلقت في المواسم
وقال الخزيمي في بغداد أيام الفتنة

١٠

يا بؤس بغداد دار مملكة * دارت على أهلها دوائرها
أمهلها الله ثم عاقبها * لما أحاطت بها بكائرها
رق بها الدين وأستخف بذي الشفضل وعز الرجال فاجرها
وصار رب الحيران فاستقمهم * وأبتز أمن الدروب شاطرها
يحرق هذا وذا يهدمها * ويشتفي بالنهاب داعرها
والسكرخ أسواقها معطلة * يستن شدا^(١)ها وعائرها
أخرجت الحرب من أساقطهم * آساد غيل غلبا تساورها
من البواري ترأسها ومن الشخوص إذا استلأمت مغايرها^(٢)
لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا * يحشرها بالعناء حاشرها^(٣)

١٥

٢٠

(١) في الطبري «عيارها» . (٢) جمع باري بتشديد الياء وهو الحصير المنسوج .

(٣) في الطبري «للقاء» .

ونحوه قول علي بن أمية

دهتنا أمور تُشيب الوليد * ويخذل فيها الصديق الصديق

فناء مُبِيد وذُعر عتيد * وجوع شديد وخوف وضيق

وداعى الصباح يطول الصباح السلاح السلاح فما نستفيق

فبالله نبُغ ما نرتجى * وبالله ندفع ما لا نُطبق

جنى قوم من أهل الإمامة جنابة فأرسل اليهم السلطان جندا من بُخارية ^(١) ابن زياد، فقال رجل من أهل البادية يذمر قومه : يا معشر العرب ويا بني المحصنات ، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم ، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لينة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعوها بالأرض ولا عتراكم من نُشَاب معهم في جِعَاب كأنها أيور الفيلة يترعون في قَيْسٍ كأنها العتل فتتطأ أحداهن أطيط الزرنوق يَمَغِّط أحدهم فيها حتى يتفرق شعرُ إبطيه ثم يرسل نُشابة كأنها رِشاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تتفَضِّخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة ، نخلع قلوب القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال : كتب عمر رضي الله عنه : ائتروا وارثدوا وانتعلوا وألقوا الحفاف وارموا الأغراض وألقوا الرُكْبَ وأنزوا نزوا على الخيل وعليكم بالمعدية ، أو قال العربية . ودعوا التنعم وزى العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : إن تخور قوى ما كان صاحبها يترع ويتزو . يعني يترع في القوس وينزو على الخيل من غير استعانة بالركب . وقال

(١) كذا بالأصلين والصواب بخارية زياد وهي سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخاري حين استول عليها من خاتون ملكتها وكانوا جيدي الرمي بالنشاب .

العمري . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه ^(١) [اليمنى وبيده اليسرى أذن فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرَامِيْزَهُ وَيَثْبُتُ فَكَأَنَّمَا خُلِقَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ .
 وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صِفِّين : عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ فَانْهَى أَنْبَى السَّيُوفِ عَنْ الْهَامِ . وَأَقَامُوا رِجَالًا بَيْنَ الْعُقَايِينِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ :
 طُدْ رِجْلَكَ وَأَصِرَّ إَصْرَارَ الْفَرَسِ وَادْكُرْ أَحَادِيثَ غَدٍ وَإِيَّاكَ وَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
 فَانْهَى مِنَ الْفُشْلِ . [وَقَالَ غَيْرُهُ طُدْ رِجْلَكَ إِذَا أَعْتَصِمْتَ بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا وَأَنْتَ مُخْصِرٌ
 فِي رَفْعِهِ سَاعَةَ الْمَسَالِمَةِ وَالْمَوَادَعَةِ] . ^(٢) ^(٣)

وَقَرَأْتُ فِي الْآيِينَ أَنَّ مِنْ إِجَادَةِ الرَّمْيِ بِالنَّشَابِ فِي حَالِ التَّعَلُّمِ إِمْسَاكَ الْمُتَعَلِّمِ الْقَوْسَ
 بِيَدِهِ الْيَسْرَى بِقُوَّةِ عَضْدِهِ الْأَيْسَرِ وَالنَّشَابَ بِيَدِهِ الْيَمْنَى وَقُوَّةِ عَضْدِهِ الْيَمْنَى وَكَفَّهُ أَصْدْرِيهِ ^(٤)
 وَالْقَائِرَةَ بِبَصَرِهِ إِلَى مَعْلَمِ الرَّمْيِ وَإِجَادَتَهُ نَصَبَ الْقَوْسِ بَعْدَ أَنْ يَطَاطَى مِنْ سَيْتِهَا
 بَعْضُ الطَّاطَاةِ وَضَبْطُهُ إِيَّاهَا بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ وَإِحْنَاؤُهُ السَّبَابَةَ عَلَى الْوَتَرِ ، وَإِمْسَاكَهُ بِثَلَاثَةِ
 وَعِشْرِينَ كَأَنَّمَا ثَلَاثَةٌ وَسِتُونَ وَضَمُّهُ الثَّلَاثَةَ ضَمًّا وَتَحْوِيلُهُ ذَقْنَهُ إِلَى مَنْكِبِهِ [الْأَيْسَرِ] وَإِشْرَافُهُ ^(٥)
 رَأْسَهُ وَإِرْخَاؤُهُ عُنُقَهُ وَمِيلُهُ مَعَ الْقَوْسِ وَإِقَامَتُهُ ظَهْرَهُ وَإِدَارَتُهُ عَضْدَهُ وَمَغْطَةُ الْقَوْسِ
 مَتَرَفًا وَنَزْعُهُ الْوَتَرَ إِلَى أُذُنِهِ وَرَفْعُهُ بِيَاضَ عَيْنَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيفٍ لِأَسْنَانِهِ وَتَحْوِيلِ
 لَعِينِهِ وَارْتِعَاشٍ مِنْ جَسَدِهِ وَاسْتِبَانَتِهِ مَوْضِعَ زِيْجَةِ النَّشَابِ .

١٥

وَقَرَأْتُ فِي الْآيِينَ : مِنْ إِجَادَةِ الضَّرْبِ بِالصُّوْبِ لِحَالِ أَنْ يَضْرِبَ الْكُرَّةُ قُدَّامًا ضَرْبَ
 خُلْسَةٍ يُدِيرُ فِيهِ يَدُهُ إِلَى أُذُنِهِ وَيُمِيلُ صَوْبُوحَانَهُ إِلَى أَسْفَلَ مِنْ صَدْرِهِ وَيَكُونُ ضَرْبُهُ
 مَتَشَارِزًا مَتَرَفًّا مَتَرَسًّا وَلَا يُغْفَلُ الضَّرْبُ وَيُرْسَلُ السِّنَانُ خَاصَّةً وَهُوَ الْحَامِيَةُ لِلْحَازِ
 الْكُرَّةَ إِلَى غَايَةِ الْغَرَضِ ثُمَّ الْجَزْءُ لِلْكُرَّةِ مِنْ مَوْقِعِهَا ، وَالتَّوْنُخِيُّ لِلضَّرْبِ لَهَا تَحْتَ مَحْزَمِ

(١) زيادة في النسخة الألمانية وفي البيان والتبيين « يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية . (٣) كذا بالأصلي ولعله « رفعهما » . (٤) في الألمانية : « وكفه إلى صدره » . (٥) عبارة النسخة الفتوغرافية ولا يغفل الضرب (ترسلا النبيان؟) خاصة وهو الحامية لحجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قبل لبثها في رفق ، وشدة المزاولة والمجاحشة على تلك الحال والترك للاستعانة في ضرب الكرة بسوط والتأثير في الأرض بصولجان والكبير له جهلا باستعماله أو عقير قوائم الدابة ، والاحتراش من إيذاء من جرى معه في ميدانه ، وحسن الكف للدابة في شدة حريه ، والتوقي من الصرعة والصدمة على تلك الحال ، والمجانبة للغضب والسب ، والاحتمال والملاهاة ، والتحفظ من إلقاء كرة على ظهر بيت وإن كان ست كرين بدرهم ، وترك طرد النظارة والجلوس على حيطان الميدان فإن عرض الميدان إنما جعل ستين ذراعا لئلا يُحَالَ ولا يُصَارَّ من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدعوة لرجاله : أشعروا قلوبكم بالحرارة عليهم فإنها سبب الظفر ، واذكروا الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزمو الطاعة فإنها حصن المحارب .

المسير في الغزو والسفر

حدثنا شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن معاذ بن حدير الحضرمي عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذين يغزون من أمتي وياخذون الجعل يتقوون به على عدوهم كمثل أُم موسى تُرضع ولدها وتأخذ أجرها » . حدثني محمد بن عبيد عن ابن عيينة عن عبد الرحمن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال : لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المعرس أمر مناديا فنادى : لا تطرقوا النساء . فتمعجل رجالان فكلاهما وجد مع امرأته رجلا ، وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم . وتأمر بالمحلات وهي الدلو والفأس والسفرة والقدر والقداحة ، وإنما قيل لها محلات لأن المسافر بها يحل حيث شاء ولا يبالي ألا يكون بقربه أحد .

(١) في الميداني « السفر ميزان السفر » أي أنه يسفر عن أخلاق المسافرين ، وفي الفتوغرافية السفر مجلاة

القوم وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضا .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال ،
قال لقمان لابنه : « يا بني إذا سافرت فلا تنم على دابتك فان كثرة النوم سريع في دبرها ،
فاذا نزلت أرضا مكلثة فأعطها حظها من الكلاء وأبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك
وإذا بعدت عليك المنازل ^(١) فعليك بالدج فان الأرض تطوى بالليل . وإذا أردت النزول
فلا تنزل على قارة الطريق فانها مأوى الحيات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض
بأحسنها لوئا وألينها تربة وأكثرها كلاء فأترها ، وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن
تجلس وقل (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) . وإذا أردت قضاء حاجة
فأبعد المذهب في الأرض وعليك بالستر ، وإذا ارتحلت من منزل فصل ركعتين وودع
الأرض التي ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة من الأرض أهلا من
الملائكة . وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فان
الجبال والبقاع ينادي بعضها بعضا : هل مرة بكى اليوم ذا كر لله ؟ وإن أستطعت
ألا تطعم طعاما حتى نتصدق منه فافعل . وعليك بذكر الله جل وعز مادمت راكبا
وبالتسبيح مادمت صائما وبالادعاء مادمت خاليا . وإياك والسير في أول الليل وعليك
بالتعريس والدبجة من نصف الليل الى آخره . وإياك ورفع الصوت في سرك إلا بذكر
الله ، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك وخفك وعمامتك وإبرتك وخيوطك وتزود
معك الأدوية تنفع بها وتنفع من صعبك من المرضى والزمنى . وكن لأصحابك موافقا
في كل شيء يقربك إلى الله ويباعدك من معصيته . وأكثر التسم في وجوههم وكن
كريما على زادك بينهم وإذا دعوك فأجبهم ، وإذا استعانوك فأعنه وإذا استشهدوك
على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك . وإذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل
معهم . ^(١) [وإن تصدقوا أو أعطوا فاعط] . واسمع لمن هو أكبر منك . وإن تحيرتم
في طريق فانزلوا ، وإن شككتهم في القصد فتثبتوا وتأمروا ، وإن رأيتم خيالا واحدا

فلا تسألوه عن طريقكم فان الشخص الواحد في القلاة هو الذي حيركم واحذروا
الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى فان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن
العقل اذا أبصر شيئا بعينه عرف الحق بقلبه .

علم أعرابي بنيه إتيان الغائط في السفر فقال لهم : اتبعوا انحلأ وجانبوا الكلا
وأعلوا الضراء^(١) وأخجوا إخراج النعامة وامسحوا بأشتملكم .

[وقال عمرو بن العاص للحسن بن علي بن أبي طالب رحمهما الله : يا أبا محمد، هل
تنت الحراء؟ فقال : نعم، تبع المشي في الأرض الضخض حتى نتواري من القوم،
ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالروثة ولا العظم ولا تبلى في الماء الراكد] .

أراد الحسن البصري الحج ، فقال له ثابت : بلغني أنك تريد الحج فأحببت
أن نصطحب . فقال : ويحك ! دعنا نتعاش بستر الله ، إني أخاف أن نصطحب
فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه . وفي الحديث المرفوع عن بَقِيَّة عن الوضين بن
عطاء عن محفوظ بن علقمة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه
«أما إنك إن ترافق غير قومك يكن أحسن خلقتك وأحق أن يُقتفى بك» .

أتى رجل هشاماً أخا ذى الرمة الشاعر فقال له : إني أريد السفر فأوصني . قال : صل
الصلاة لوقتها فانك مصليها لا محالة فصلها وهي تنفعك ، وإياك وأن تكون كلب رُفقتك
فان لكل رُفقة كلبا ينبع دونهم ، فان كان خيرا شرَّكوه فيه وإن كان عارا تقلده دونهم .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه
قال : اذا ضلَّ لأحدكم ضالة فليقل : اللهم رب الضالة تهدي الضالة وترد الضالة
اردد على ضالتي ، اللهم لا تبئنا بهلاكها ولا تبعنا بطليها ، ما شاء الله لا حول ولا قوة
إلا بالله . يا عباد الله الصالحين ردوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل
فقل : يا عباد الله أعينونا^(٢) . [وقال أبو عمرو : إذا ضلَّ لأحدكم ضالة فليتوضأ

(١) الضراء ما وارك من شجر . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ثم يشهد ويقول : بسم الله ، اللهم يا هادي الضال وراة الضال اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك] .

حدثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وعلة عن رجل من مراد يقال له أبو جعفر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي ، أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن . وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يُشركون . بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن محمد بن عجلان عن عمرو ابن شعيب قال : أراد عمر أن يغزو البحر جيشاً ، فكتب اليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود بين غرق وبرق (١) قال عمر : لا يسألني الله عن أحد حملته فيه . وحدثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول في السفر إذا أشجر : سميع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا . ويقول : اللهم صاحبنا فأفضل علينا ثلاثاً ، اللهم عائدك بك من النار ثلاثاً لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (١٥) في سفره حين هاجر : « الحمد لله الذي خلقني ولم أكن شيئاً مذكوراً ، اللهم أغني عنى أهاويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالي والأيام وآكفني شر ما يعمل الظالمون في الأرض ، اللهم في سفرى فأصحبني ، وفي أهلى فأخلفني ، وفيما رزقتني فبارك لي ، ولك في نفسى فذللي ، وفي أعين الصالحين فعظمي ، وفي خلق فقومي ، وإليك رب خبئني ، الى من تكأني رب المستضعفين وأنت ربى » .

(١) البرق الحبة والدهش . وفي النسخة الألمانية « برق » وهو تحريف .

وحدثني أيضا عن معاوية عن أبي اسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر يقول : «اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المقلب والخور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل» وزاد غيره «اللهم أطولنا الأرض وهون علينا السفر» .

وقال مطرف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيئتين وخير الأمور أوساؤها وشر السير الحققة . وفي الحديث « لا تُحَقِّقْ فتقطع ولا تَبَاطَأْ فتسبق ولكن أَقِصِدْ تَبْلُغْ » والحققة أشد السير . وفي حديث آخر « إن المُنَبَّتْ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقال المَرَار

تُقطع بالنزول الأرض عنا * وبعد الأرض يقطعه النزول

الأصمعي قال ، قيل لرجل أسرع في سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال كنت آكل الوجبة وأعرّس إذا أشجرت وأرتحل إذا أسفرت وأسير الوضّع وأجتنب الملع بختكم لمسي سبّع ، قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذكوان مولى آل عمر بن الخطاب ، سار من مكة الى المدينة في يوم وليلة ، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العتمة ، فقال له أبو هريرة : حاج غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال : لأنك نفرت قبل الزوال . فخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال

ألم ترني كلّفهم سير ليلة * من آل منى نصّا الى آل يثرب
فأقسمت لا تنفك ما عشت سرتي * حديثا لمن وافى بجمع المحصب

ومن السير المذكور مسير حذيفة بن بدر ، وكان أغار على هجائن [النعمان بن] المنذر ابن ماء السماء وسار في ليلة مسيرة ثمان ، فقال قيس بن الخطيم

هممنا بالإقامة ثم سربنا * كسير حذيفة الخير بن بدر

- قال الشَّرْقِيُّ بن القَطَامِي : خرجت من الموصل أريد الرِّقَّة فصحبني فتى من أهل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِرْزُودٌ وَرَكْوَةٌ وعصا ، ورأيتُه لا يفارقها مُشاةً كما أوركبانا وهو يقول : إن الله جعل جَماعَ أمرِ موسى وأعاجيبه وبراهيمه ومآربه في عصاه ، ويكثر من هذا وأنا أضحك متهاونا بما يقول ، فتخلف المكارى فكان حمار الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حمارى ولا شىء في يدي فيسبقني ٥ إلى المنزل فيستريح ويريح ولا أقدر على البرّاح حتى يوافيني المكارى ، فقلت : هذه واحدة . ثم خرجنا من غد مُشاةً فكان إذا أعيا توكتاً على العصا وربما أحضر ووضع طرفاً على الأرض فاعتمد عليها ومركأته سهم زالج حتى انتهينا وقد تفسخت من الكلال وإذا فيه فضل كثير ، فقلت : وهذه أخرى . فلما كان في اليوم الثالث هجمنا على حيلة منكّرة فسارت إلينا فأسلمته إليها وهربت عنها فضربها بالعصا حتى قتلها ، فقلت : هذه ثالثة . [وهى أعظمهن] وخرجنا في اليوم الرابع وبنا قمر ١٠ إلى اللّحم فاعترضتنا أرنب فخذفها بالعصا وأدركنا ذكاتها فقلت : هذه رابعة . فأقبلت عليه فقلت : لو أن عندنا ناراً ما أخرت أكلها إلى المنزل . فأخرج عويداً من مِرْزُوده ثم حكه بالعصا فأورث إيراً المَرخ والعفار ، ثم جمع ما قدر عليه من الغنّاء والحشيش وأوقد ناراً وألقى الأرنب في جوفها فأخرجناها وقد لزق بها من الرماد ١٥ والتراب ما بغضها إلى فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب جنوبها بالعصا وأعراضها ضرباً رقيقاً حتى انتثر كل شىء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس ، فقلت : هذه خامسة . ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملائنة روثاً وتراباً فلم نجد موضعاً نطل فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نصاباً لها ثم قام بفحرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت : ٢٠ وهذه سادسة . ثم نزع العصا من الحديد فأوتدها في الحائط وعلق عليها ثيابه وثيابي

فقلت : هذه سابعة . فلما صرنا الى مَفْرِقِ الطريقين وأردت مفارقتة قال لى :
لو عدلتَ معى فبتَ عندى ! فعدلتَ معه فأدخلنى منزلاً يتصل ببَيْعَةٍ فما زال يحدثنى
وَيُطْرِفنى الليلَ كله فلما كان السحر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى فقرع بها
العصا فإذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له : ويحك !
أما أنت بمسلم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس ؟ قال : لأن أبى نصرانى
وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ بررته بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأظرف الناس
وأكثرهم أدبا فخرته بالذى أحصيتُ من خصال العصا ، فقال : والله لو حدثتك عن
مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « إذا كنتم فى الحُصْب فامْكِنُوا الرِّكَّابَ أَسْتَبْهَا ^(١) وَلَا تَغْدُوا المنازل وإذا كنتم
فى الجَذْب فاستَنْجُوا ^(٢) وعليكم بالدُّبْحَةِ فإن الأرض تُطَوَّى بالليل وإذا تقولت لكم
الغِيلَانُ فنادوا بالأذان ولا تصلُّوا على جَوَادِّ الطرق ولا تتزلوا عليها فإنها مأوى السَّباع
والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحوائج فإنها المَلَأَينِ » .

وأراد أعرابى سفراً فقال لامرأته

عُدِّى - السنين لغيبى وتصبرى * وذرى الشهور فإنهم قصر

فأجابته

اذكر صبا بتنا اليك وشوقنا * وأرحم بناتك إنهن صغار

(١) أورده ابن الأثير بلفظ « أعطوا الرُّكْبَ أَسْتَبْهَا » وقال ناقلاً عن أبى عبيد ان كانت اللفظة
محفوظة فكانها جمع الأسنان ، يقال لما تأكله الابل وترعاه من العُشْب سنٌ وجمعه أسنان ثم أسنة . وقال
الزنجشرى ان الأسنة دنا الرماح وقال فى معناه : اعطوها ما تتمتع به من النحر لأن صاحبها اذا أحسن رعيها
سمت وحسنت فى عينه فيخل بها عن أن تحرف شبه ذلك بالأسنة فى وقوع الامتناع بها ، وهو كما ترى متكلف
لا يساعد عليه سياق الحديث . (٢) أى أسرعوا .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي
طربت إلى الأصيبية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار
وكل مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كنا يوم بدر ثلاثة على بعير فكان علي
وأبو لبابة زميل^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا دارت عقيبتهما قال :
يا رسول الله اركب ونمشي عنك . فيقول « ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن
الأجر منكما » .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فقال في خطبته : إذا غزوتم فأطيلوا
الأظفار وقصروا الأشعار .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « لا سهر إلا لثلاثة : مُصلٍّ أو عروس أو مسافر .
وقال بعض الشعراء

سُررتُ بجعفر والقرب منه * كما سُرَّ المسافر بالإياب
وكنت بقربه إذ حلَّ أرضي * أميرا بالسكينة والصواب
كمطور ببلدته فأضحى * غنيا عن مطالبة السحاب

وقال آخر في معناه

وكنت فيهم كمطور ببلدته * فسُرَّ أن جمع الأوطان والمطرا

وقال آخر

إذا نحن أبنا سالمين بأنفس * كرام رجحت أمر الخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها * تؤوب وفيها مأوها وحيائها

وقال آخر

رجعنا سالمين كما بدأنا : وما خابت غيمة سالمينا
[وما تدرين أى الأمر خير * أما تهوين أم ما تكرهينا^(١)

وقال بعض المحدثين

قبّح الله آل برمك إني : صرت من أجلهم أخا أسفار
إن يكن ذو القرنين قد مسح الأثر : ض فإني موكّل باليعار]

^(٢)
التفويض

حدثني أبي ، أحسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب أبو بكر رضى الله عنه
إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام واليا مكان أبي عبيدة بن الجراح^(٣) ، أخذ
على السماوة حتى انتهى إلى قراقرة ، وبين قراقرة وسوى نحس ليال في مفازة ، فلم يعرف
الطريق ، فدلّ على رافع بن عَميرة الطائي وكان دليلاً خريّماً فقال لخالد : خَلَفَ
الأنقال وآسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً ، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال : لا بد
من أن نكون جميعاً . فقال له رافع : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه
وما يسلكها إلا مغرور بخاطر بنفسه ، فكيف أنت بمن معك ؟ فقال : لا بد من ذلك . فقال
الطائي لخالد : ابغني عشرين جزوراً مَسَانَّ عِظَماً ففعل فظمأهن ثم سقاهن حتى
روين ثم قطع مَسَافِرهن وكعَمهن لثلاً تَجَرَّتْ ، ثم قال لخالد : سِرْ بالخيل والأنقال
فكلما نزلت منزلاً نحررت من تلك الجزر أربعة ثم أخذت ما في بطونها من الماء
فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزودوا ، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) يقال فوز الرجل ببأله إذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمانية وفي النسخة الفتوغرافية أبي عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ إذ اسم أبي عبيدة عامر
ابن عبد الله بن الجراح الفهرى فلعنه من سهو النساخ .

وَجَهَدَ النَّاسُ وَعَطِشَتْ دَوَابُّهُمْ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : وَيْحَكَ، مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ : أَدْرَكْتُ
الرِّىَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ شَجَرَةَ عَوْسَجٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ؟ فَنَظَرُوا فَوَجَدُوهَا
فَقَالَ : احْفَرُوا فِي أَصْلِهَا خَفَرُوا فَوَجَدُوا عَيْنًا فَشَرَبُوا مِنْهَا وَتَزَوَّدُوا، فَقَالَ رَافِعٌ : وَاللَّهِ
مَا وَرَدْتُ هَذَا الْمَاءَ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ. فَقَالَ رَاجِزُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ

لِللَّهِ دُرُّ رَافِعٍ أَنِّي أَهْتَدِي * فَوَزَّ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى سُوَى
أَرْضَا إِذَا سَارَ بِهَا الْجَيْشُ بَنَى * مَا سَارَهَا قَبْلَكَ مِنْ إِنْسٍ أَرَى^(١)

قَالَ وَلَمَّا مَرَّ خَالِدٌ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْبِشْرُ طَلَعَ عَلَى قَوْمٍ يَشْرَبُونَ وَيَبِينُ أَيْدِيهِمْ
جَفَنَةً وَأَحَدُهُمْ يَتَغَنَّى

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ * لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرَّرَا * عَلَى كُنُوتِ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
أُظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدَا * سَيَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبِشْرِ
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ * وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْخَدَرِ

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَرَّغَ مِنْ قَوْلِهِ شَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّيْفِ فَضْرَبَ
عُنُقَهُ فَإِذَا رَأْسُهُ فِي الْجَفَنَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ الْبِشْرِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.
ابْنُ الْكَلْبِيِّ قَالَ : أَقْبَلَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يَرِيدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَضَلُّوا
الطَّرِيقَ وَوَقَعُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَكُتُوا ثَلَاثًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْمَاءِ بِفَعْلِ الرَّجُلِ مِنْهُمْ
يَسْتَنْدِرِي بَنِي السَّمُرِ وَالطَّلَحِ يَأْسًا مِنَ الْحَيَاةِ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ أَقْبَلَ رَاكِبٌ عَلَى بَعِيرٍ
فَأَنشَدَ بَعْضُ الْقَوْمِ بَيْتَيْنِ مِنْ شِعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ

لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمَّهَا * وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ * يَفِيءُ عَلَيْهَا الظَّلَّ عَرْمَضُهَا طَامِي

(١) كَذَا بِالْأَلْمَانِيَةِ، وَفِي الْفَتْوَاغَرَا فِية «أَدَى» بِالْدَالِ وَلَعَلَّ «أَوَى» بِمَعْنَى عَادَ وَرَجَعَ.

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قالوا : امرؤ القيس . قال والله ما كذب ، هذا ضارج عندكم ، وأشار إليه ، فجلسوا على الركب فإذا ماء غدق وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه فشربوا منه ريهم وسقوا وحملوا حتى بلغوا الماء ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس قال : « ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسى في الآخرة حامل فيها ، يحيى يوم القيامة معه إواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب عن عمه الأصمعي عن رجل من بني سليم أن رُقعة ماتت من العطش بالشَّجى ، فقال الحجاج : إني أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجهد فأحفروا في مكانهم الذي ماتوا فيه لعل الله يسقي الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر

ترأت له بين اللوى وعُنيزة * وبين الشَّجى مما أحال على الوادي

والله ما ترأت له إلا وهى على ماء . فأمر الحجاج عبيدة السلمي أن يحفر بالشَّجى بئرا يحفر فأنبط ، ويقال : إنه لم يميت قوم قط عطشا إلا وهم على ماء . قالت العرب « أن ترد الماء بماء أكيس » . ويقال في مثل : « بردُ غداة غمر عبدا من ظمأ » .

في الظيرة والفأل

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هرب بعض البصريين من الطاعون فركب حمارا له ومضى بأهله نحو سَفْوَان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول
لن يُسبق الله على حمار * ولا على ذى مِيعَةٍ مَطَّار
أو يأتي الحَتَف على مقدار * قد يصبح الله أمام السَّارى

(١) في الألمانية عيد الله وهو تحريف .

(٢) هكذا في النسخين الألمانية والفتوغرافية ، وفي معجم البلدان : « عبيدة السلمي » .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدّثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدّق بالطيرة ويعيبها أشد العيب وقال : فرّقَتْ لنا ناقةً وأنا بالطفّ فركبت في إثرها فلقيني هاني بن عتبة^(١) من بني وائل يرغض وهو يقول
* والشرُّ يلقي مطالع الأكم *

ثم لقيني رجل آخر من الحى فقال وهو للبيد

ولئن بعثت لهم بغاً * ما البغاة بواجدين

ثم دفعت إلى غلام قد وقع في صغره في نار فأحرقته فصبّ وجهه وفسد ، فقلت له : هل ذكرت من ناقة فارق ؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها قد نُتجت ومعهما ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطلق ، وسحابة فارق : قد دنا هراقة مائها . قال المرقش^(٢)

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على وائٍ وحاتم^(٣)
فإذا الأشائم كالآيا * من والأيمان كالأشائم
وكذاك لا خير ولا * شرٌّ على أحد بدائم

[وقال آخر^(٤)

وليس بهيباب إذا شدّ رحلته * يقول عداني اليوم وائٍ وحاتم^(٥)
ولكنه يمضى على ذاك مُقدِّما * إذا صدّ عن تلك الهنات الخثارم^(٦)

(١) في النسخة الفتوغرافية : « عبيد » . (٢) في النسخة الفتوغرافية « المرقم » وهو تحريف وقد أورد في اللسان هذه الأبيات ونسبها للمرقش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب المرقش هذا ضمن من أنكر الزجر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواق : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تتشام بهما . (٤) زيادة في النسخة الألمانية : (٥) في الأصل « الخثارم » وهو تحريف والخثارم كعلايط : الرجل المنطير . وقد أورد في لسان العرب هذه الأبيات ونسبها إلى خثيم بن عدى وقيل للرقاص الكلبي يمدح بها مسعود بن بحر وصوبه ابن بري . أنظر اللسان مادة « وقى » .

وقال آخر

تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا « عَلَى مَظْيَرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ

بَلَى، شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ » أَحَابِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: سألت ابن عَوْن^(١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً فتسمع: يا سالم، أو باغيا فتسمع: يا واجد. وفي الحديث المرفوع « أَصْدَقُ الطَّيْرِ الْفَالُ »، وفيه « الطَّيْرُ تَجْرَى بِقَدَرٍ »

أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعلّ كانت به فسمع منادياً ينادي: يا متوكل، فخطّ رحله وأقام.

وقال عكرمة كنا جلوساً عند ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. [قال كعب لابن عباس: ما تقول في الطّيرة قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل. يعني التوراة.]

حدثني محمد بن يحيى القطعي^(٥) قال حدثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة

(١) كذا بالنسخة الفتوغرافية في الألمانية « عون بن عبد الله » ولم نعر في كتب التراجم على من تسمى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهذا ما بين سنة عشر ومائة إلى عشرين ومائة هـ فلا تصح رواية الأصمعي عنه لأنه ولد سنة ١٢٢ فلعل ما في الفتوغرافية هو الصواب ويكون المراد به عبد الله بن عون بن أربطان البصري فقد توفي هذا في سنة ١٥١ أي والأصمعي في السن التي يتلقا فيها عن مشايخه. (٢) في النسخة الألمانية « أبو العتاهية ». (٣) في الألمانية « لقينة كانت بها » وهو غير متناسب مع السياق. (٤) زيادة في النسخة الألمانية. (٥) كذا بالنسخة الألمانية من غير ضبط. وفي الفتوغرافية « القطعي » بضم أوله وفتح ثانيه بعدهما ياء مثناة والصواب أنه « القطعي » بضم أوله وفتح ثانيه من غير ياء كما ضبطه في تقريب التهذيب ولعله نسبته إلى قطيعة - بكهينة - بن عباس ابن بغض وهو أبو يحيى كما في القاموس وقد ذكر صاحب تهذيب التهذيب محمد بن يحيى هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى. وهو هنا يروي عنه. (٦) في الألمانية « ابن حسان » وهو تحريف.

يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما الطيرة في المرأة والدار والدابة
فطارت شفقاً ثم قالت : كذب ، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ، من حدث
بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في الدابة والدار والمرأة » ثم قرأت : (مَا أَصَابَ
مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)

كان عبد الله بن زياد صوّر في دهليزه كلباً وأسداً وكبشاً وقال : كلب نابج وكبش
ناطح وأسد كالج . وأنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ

يا أيها المضميرهما لا تُهمَّ * إنك إن تُقدر لك الحمى تُحمَّ

ولو علوت شاهقا من العلم * كيف توقّيك وقد جفّ القلم

ولما أمر معاوية بقتل حجر بن عديّ الكنديّ في ثلاثة عشر رجلاً معه قال
حجر : دعوني أصل ركعتين فتوضأ وأحسن الوضوء ، ثم صلى وطول فليل له : أجزعت ؟
فقال : ما توضأت قط إلا صليت ، ولا صليت قط صلاة أخف منها . وإن أجزع فقد
رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً . فليل له : مُدَّ عُنُقُكَ ، فقال : إن
ذلك لدم ما كنت لأعين عليه . فقدم فضربت عنقه . وكان معاوية بعث رجلاً يقال
له هذبة لقتلهم ، وكان أعور ، فنظر إليه رجل من خشم فقال : إن صدقت الطيرة قُتل
نصفنا ، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون .

نخرج كثير عزة الى مصر يريد عزة ، فلقية أعرابي من نهد فقال : يا أبا صخر ،
أين تريد ؟ فقال : أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت في وجهك شيئاً ؟ قال : لا ،

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفنوغرافية « عبد الله » وهما من أولاد زياد بن أبيه كما في المعارف لابن

قتيبة ، ولا ندري أيهما صاحب القصة .

إلا أني رأيت غرابا ساقطا فوق بانه يلتف ريشه . فقال له : تُوافي مصر وقد ماتت
عزرة . فاتهره كثير ثم مضى فوافي مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزرة ، فقال
فما أعيف النهدى لا دَرْدَرُهُ * وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانه * يلتف أعلى ريشه ويُطايه
فأما غراب فاعتراب ووحشة * وبأن فبين من حبيب تعاشره

وهوى بعد عزرة امرأة من قومه يقال لها : أم الحويرث . فخطبها فابت وقالت :
لا مال لك ، ولكن أخرج فأطلب فإني حابسة نفسي عليك . فخرج يريد بعض بني
مخزوم ، فبينما هو يسير عن له ظبي فكره ذلك ومضى فاذا هو بغراب يبحث التراب
على وجهه فكرهه وتطير منه ، فأنهى الى بطن من الأزدي يقال لهم بنو لُحَب ، فقال :
أفيكم زاجر ؟ قالوا : نعم ، فأرشدوه الى مبيع منهم فأتاه فقص عليه القصة ، فقال :
قد ماتت أو خلف عليها رجل من بني عمها . فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال

تيممت لُحِباً أطلب العلم عندهم * وقد رد علم العائفين الى لُحِب
فقال جرى الطير السنيح بينها * فدونك فاهيل جد منير سكب
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بني كعب

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثني خالد بن يزيد الصفار قال حدثنا همام بن
يحيى عن قتادة عن حضرمي بن لاحق أو عن أبي سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى أمراءه : « إذا أبردتكم الى بريدنا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » .
[خرج عمر الى حرة وأقيم فلقى رجلا من جُهينة فقال له : ما اسمك ؟ قال :
شهاب . قال : ابن من ؟ قال : ابن جحرة . قال : ومن أنت ؟ قال : من الحرقرة .

(١) كنا بالأصل وقد حذف من الشريعتان يتصل بهما المعنى وهما .

فيمت شيخا منهم ذا أمانة * بصيرا بزجر الطير منعني الصلب

فقلت له ماذا ترى في سوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالترب

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضرام . فقال له عمر : أدرك أهلك وما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا ، فأتاهم وقد أحاطت النار بهم] .

- خرج ابن عامر الى المدينة فاذا هو في طريقه بنعامات خمس ، فقال لأصحابه : قولوا في هذه . فقال بشر بن حسان : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة » ومن علم شيئاً فليقله ولكني أقول : فتنة خمس سنين .
- قرأت في كتب العجم أن كسرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفوا قال وهرز لغلام له : أخرج الى من الجعبة ^(١) نُسابة وكان الأسوار يكتب على كل نُسابة في جعبته ، فمنها ما يكتب عليه اسم الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها ما يكتب عليه اسم ابنه ، ومنها ما يكتب عليه اسم امرأته . فأدخل العبيده فأنخرج له نُسابة عليها اسم امرأته فتطير وقال : أنت المرأة وعليك طائر السوء . ردّها وهات غيرها . فردّها وضرب بيده فأنخرج تلك النُسابة بعينها ففكر وهرز في طائره ثم أنبئه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن ، فاذا ترجمتها اضرب ذلك قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها في كبد قوسه ثم قال : صفقوا لي ملكهم ، فوصفوه بياقوتة بين عينيه . ثم إنه مغط في قوسه حتى اذا مَلَأَهَا سَرَحَهَا فَأَقْبَلَتْ لأنها رِشَاء منقطع حتى فَضَّت البياقوتة فطار فضاها ثم فُلَّتْ هَامَتَهُ وَهَزَمَ الْقَوْمُ . وقال المَعْنُوط ^(٢)

تَنَادَى الطَّائِرَانِ بَيْنَ سَلَامِي * عَلَى غَصْنَيْنِ مِنْ غَرْبِ وَبَانِ

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ سَلِيمِي * وَفِي الْغَرْبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِي

أَخَذَ مَعَهَا أَبُو الشَّيْصِ فَقَالَ

أَشَاقُكَ وَاللَّيْلُ مُلْقَى الْخِرَانِ * غَرَابُ يَنُوحِ عَلَى غَصْنِ بَانِ

أَحْصَ الْجَنَاحَ شَدِيدَ الصِّيَاحِ * يَبْكِي بَعِينِينَ مَا تَذَرِفَانِ

وَفِي نَعَبَاتِ الْغَرَابِ اغْتِرَابِ * وَفِي الْبَانِ بَيْنَ بَعِيدِ التَّدَانِي

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد القوس . (٢) في الفنوغرافية « أبيه » .

(٣) في الفنوغرافية : « حتى صَلَّتْ البياقوتة فطار فضاها » .

وقال الطائي-

أَتَضَعُضْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعْتُ * وَرَقَاءُ حِينَ تَضَعُضُ الْإِظْلَامَ
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا فَإِنْ بَكَاءَهَا * ضَحِكَ وَإِنْ بَكَاءَكَ اسْتَفْرَامَ
هَنَّ الْحَمَامَ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً * مِنْ حَائِثٍ فَانْهِنَّ حِمَامَ

٥ حَدَّثَنِي أَجْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنَّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَزَلْنَا دَارًا فَكَثُرَ فِيهَا عَدَدُنَا وَكَثُرَتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا ثُمَّ
تَحَوَّلْنَا مِنْهَا إِلَى أُخْرَى فَقَلَّتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا وَقَلَّ فِيهَا عَدَدُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ذَرُوهَا وَهِيَ ذَمِيمَةٌ » .

١٠ بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ كُنَّاسَةَ عَنْ مَبَارَكِ بْنِ سَعِيدٍ أَخِي سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ قَالَ : بَلَغَنَا أَنَّ
أَعْرَابِيًّا أَضَاعَ ذَوْدَ لَهْ نَخْرَجَ فِي الطَّلَبِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ، فَمَرَّ بِأَعْرَابِيٍّ يَحْتَلِبُ نَاقَةً
فَنَشَدَهُ ضَالَّتَهُ فَقَالَ لَهُ : مَتَى نَخْرَجْتَ فِي الطَّلَبِ ؟ أَدْنَى مِنِّي حَتَّى أَسْقِيكَ لَبَنًا وَأُرْشِدَكَ .
قَالَ : قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . قَالَ : فَمَا سَمِعْتَ ؟ قَالَ : عَوَاطِيسٌ حَوْلِي : مُغَاءُ الشَّاءِ
وَرُغَاءُ الْبَعِيرِ وَنُبَاحُ الْكَلْبِ وَصِيَاحُ الصَّبِيِّ . قَالَ : عَوَاطِيسٌ تَمُوتُكَ عَنِ الْغَدْوِ . قَالَ :
١٥ فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ عَرَّضَ لِي ذَيْبٌ . قَالَ : كَسُوبٌ ذُو ظَفَرٍ . قَالَ : فَلَمَّا طَلَعَتِ
الشَّمْسُ لَقِيتُ نَعَامَةً . قَالَ : ذَاتُ رَيْشٍ وَإِسْمُهَا حَسَنٌ ، هَلْ تَرَكْتَ فِي أَهْلِكَ
مَرِيضًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : ارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ ضَالَّتَكَ فِي مَنَزْلِكَ .

٢٠ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَبَّاطِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ يَحْيَى بْنُ أَبِي
عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : كَانَتِ الشَّجَرَةُ تَتَبَتُ فِي مَحْرَابِ سُلَيْمَانَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلَّمَتْ بِلِسَانٍ ذَلِيقٍ فَتَقُولُ : أَنَا شَجَرَةٌ كَذَابٌ وَفِي دَوَاءٍ كَذَابٌ .
فَيَأْمُرُ بِهَا سُلَيْمَانُ فَيُكْتَبُ اسْمُهَا وَمَنْفَعَتُهَا وَصُورَتُهَا وَتَقَطَّعُ وَتُرْفَعُ فِي الْخَزَائِنِ حَتَّى كَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ « الشَّيْبَانِيُّ » بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ وَالضَّبْطُ عَنْ تَقْرِيبِ التَّهْدِيبِ

آحرما جاء منها الخزوبة فقالت : أنا الخزوبة . فقال سليمان : الآن نُعِثُ الى نفسى وأُذن فى خراب بيت المقدس . قال الطائي يصف عمورية

بسكرُها افتَرَعَتْها كُفُّ حادثة * ولا تَرَقَّتْ اليها هِمةُ النُّوبِ
جرى لها الفأل برّحا يوم أنْقِرة * اذ غُوِدِرَتْ وَحْشةُ السّاحاتِ والرَّحَبِ
لما رأت أختها بالامس قد خربت * كان الخراب لها أعدى من الحرب

مذاهب العجم فى العِيافة والاستدلال بها

قرأت فى الآيين : كانت العجم تقول : اذا تحوّلت السّباع والطير الجبلية عن
أماكنها ومواضعها دلّت بذلك على أن المَشْتَى سيشته ويتفاقم ، واذا نقلت الجُرْذَانُ
برّاً وشعيّرا أو طعاما الى رب بيت رُزق الزيادة فى ماله وولده ، وإن هى قرَضَتْ ثيابه
دلّت بذلك على نقص ماله وولده ، فينبغى أن يُقَطَعَ ذلك القَرْضُ ويُصْلَحَ . وإذا
شَبَّتِ النارُ شُبُوبا كالصَّخَبِ دلت على فرح شديد ، واذا شَبَّتِ شُبُوبا كاللبكاء دلت
على حزن ، وأما النار التى تشتعل فى أسفل القُدُورِ فإنها تدل على أمطار تكثر أو ضعف
يَحْضُرُ . وإذا فشا الموت فى البقر وقع المَوْتَانُ فى البشر ، وإذا فشا الموت فى الخنازير
عم الناس السلامة والعافية ، وإذا فشا الموت فى السّباع والوحوش أصاب الناس
ضَيْقةً ، وإذا فشا الموت فى الجرذان أَخْصَبَ النَّاسُ . وإذا أَكْثَرَتِ الضَّفادِعُ
النَّقِيقَ دلت على موتان يكون . وإذا أَنَّ دِيكَ فى دار فشا فيها مرض الرجال ، وإذا
أَنَّتْ دجاجة فشا فيها مرض النساء ، واذا صرخت ديوك صراخا كاللبكاء فشا الموت
فى النساء ، واذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت فى الرجال . واذا نَعَبَ
غراب أسود فجاوبته دجاجة دل ذلك على خراب يعمر . واذا قَوَّقت دجاجة وجاوبها
غراب دل على عمران يخرّب . وإذا غَطَّ الرجل الحسب فى نومه بلغ سَنًا ورفعة ،
ومن نفخ فى نومه أفسد ماله ، ومن صَرَّتْ أَسنانُهُ فى نومه دل ذلك منه على نيمّة ،

وينبغي أن يضرب على فيه بخنق متخرق . ومن سقطت قدأمة حية من بحزأصابته
 معزة ومضرة . وإذا رُئى في الهواء دُخنة وظلمة من غيرعلة تُخَوِّف على الناس الوباء
 والمرض . وإذا رُئى في آفاق السماء في ليلة مصحبة باختلاف النيران غشي البلاد
 التي رُئى ذلك فيها عدو ، فإن رُئى ذلك وفي البلاد عدو انكشف عنها . وإذا نبج
 كلب بعد هذأة نجمة بغتة دل على أن الشراق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما في
 تلك الدار أو ما جاورها . وإذا صفق ديك بجناحيه ولم يصرخ دل على أن الحسير
 محتبس عن صاحبه . وإذا أكثرالبوم الصراخ في دار برئ مريض إن كان فيها .
 وإذا سُمع لبيت تنقُض شخص من فيه عنه ، وإذا عوت ذئاب من جبال وجاوبتها
 كلاب من قرى تفاقم الأمر في التحارب وسفك الدماء . وإذا عوت كلاب
 وجاوبتها ذئاب كان وباء وموتان جارف ، وإذا أكثرت الكلاب في البغئات الهرير
 دلت بذلك على إتيان العدو البلاد التي هي فيها ، وإذا صرخ ديك في دار قبل رقت
 صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بلية قد شارفت تلك الدار ، وإذا صرخت دجاجة
 في دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيرا لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . وإذا أكثر
 ديك النروان على تكة رب الدار نال شرفا ونهاة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله نحول
 وضعة . وإذا ذرق ديك على فراشه نال مالا رغبيا وخيرا كثيرا وذلك إذا كان
 من غير تضبيع من حشمه لفراشه ، فإن ذرقت دجاجة على فراشه نالت زوجته
 منه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب
 وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغي مباعده . وينبغي أن يُعرف
 كُنه من كان منطيقا لعله لا يجيد العمل ، وحال من كان سَكيتا مترمنا لعله
 بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخلق
 فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزَّمن والكريه الاسم والجارية

البكر والغلام الذاهب الى المكتب ، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بقران والحيوان الموثق والدابة المقودة وحاملة الشراب والحطب والكلب ، ويستحبون الصحيح البدن الرضى الاسم والمراة الوسيمة الثيب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التى عليها حُمولة من طعام أو تبن أو زبل . وكانوا لا يُتَحَوَّن عن سماع الملك أَلْحَان المغنيات وتَقِيض الصواري وصهيل الخيل والبراذين ويتخذون فى مبيتة ديكا ودجاجة . وإذا أهديت له خيل سُئِنِح بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُبرَح بها من يمينه الى يساره .

باب فى الخيل

حدثنى محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن شبيب بن غرقدة ^(١) [عن عروة] البارقي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة » .

حدثنى يزيد بن عمرو قال حدثنى أشهل بن حاتم قال حدثنى موسى بن علي بن رباح التميمي عن أبيه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أعِد فرسا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاشتره إذا أدَهَم أو كُنِمَتَا أَقْرَحَ أَرْتَمَ أو مَحْجَلًا مُطَلَقَ التَّيْنِ » وفى حديث آخر « فأنها مَيَّامِين الخيل ثم آغُرُ تسلم وتغنم إن شاء الله » .

حدثنى سهل بن محمد قال أخبرنى أبو عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بآناث الخيل فإن ظهورها حِرْز وبطونها كثر » قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب من الدواب الشُّقْر ويقول : « لو جمعت خيل العرب كلها فى صعيد

(١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب الى بارقي - وهو كما قال السمعاني جبل ينزله الأزد فيما أظن ببلاد التين - عروة بن الجعد بن أبي الجعد البارقي الصحابي .

واحد ما سبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخل «ومُهرة مأمورة» يريد كثيرة التاج . قال : وكان يكره الشَّكَّالُ^(١) فى الخيل . [قال أبو ذر^(٢) : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخرتنى لأبن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحب اليه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدي مطرب بن دراج : أى الخيل أفضل؟ قال : الذى اذا استقبلته قلت نافر ، واذا استعرضته قلت زافر ، واذا استدبرته قلت زاجر . قال : فأى البراذين شر؟ قال : الغليظ الرقبة الكثير الحلبة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسانى . قال : فأى البراذين خير؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عنانه .

[وصف رجل برذونا فقال : ان تركته نَعَسَ وان حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخيل الذى اذا استقبلته أقعى واذا استدبرته جبي^(٥) واذا استعرضته استوى واذا مشى ردى واذا عدا دحا .

محمد بن سلام قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابن عم له الى الشام ومصر يشتري له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : أأست صاحب قنص؟ قال : بلى . قال :

(١) ان تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى العقد الفريد « زاجر » ولا معنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزفرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبدا من عظم جوفه وإجفار جنيبه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالنسختين وفى العقد الفريد « زاجر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيت عظيم الكفل ممثله وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا .

(٥) جبي : انكب على وجهه وقد أورده فى الأمالى « جَبَأَ » وهو أيضا بمعناه . وقال أبو على القالى الرديان أن يَرْجُمَ الأرض رجما بين المشى الشديد والعدو . والدحو أن يرمى بيديه رميا لا يرفع سنيكه عن الأرض .

فانظروا، كلُّ شيء تستحسنه في الكلب فاطلبه في الفرس . فقدم بخيل لم يك في العرب مثلهما . وقالوا : سُميت خيلا لاختياله .

وذَكَرَ أعرابي فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل جاري بشيطان في أَشْطَان^(١) فلما أُرْسِلَتْ لَمَعَ لمعة سحاب فكان أقربها إليه الذي تقع عينه عليه .

وسئل رجل من بني أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المير من المبطي^(٢) المقرف . أما الجواد المير فالذي هَزَّ هَزَّ العير وأنف تأنيف السير، الذي إذا عدا أسلَّه^(٣) وإذا قيَّد أجَلَعَبَ وإذا انتصب آتَلَّاب^(٤) . وأما المبطي المقرف فالمدلوك الحجة الضخم^(٥) الأرنبة الغليظ الرقة [الكثير الجلبة] الذي إن أُرْسَلَتْه قال : أمسكني وإن أمسكته قال : أُرسلني وأنشد الرياشي

كُمُهِرٍ سَوْءٍ إِذَا سَكَنَتْ سِرَّتُهُ * رَامَ الْجَمَاحَ فَإِنْ رَفَعَتْهُ سَكَا

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أن عمر بن الخطاب شك في العتاق والهجن، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فأخبره، فأمر سلمان بطُست فيه ماء فوضع في الأرض ثم قُدمت الخيل إليه فرسا فرسا فما تَنَّى منها سُنْبُكَه فشرب هَجْنَه ، وما شرب ولم يثن سُنْبُكَه عَرَبَه . وذلك لأن

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا (جاو الشيطان) الخ وفي لسان العرب : ووصف أعرابي فرسا لا يحق فقال كأنه شيطان في أَشْطَان . ولعل أصل عبارة النسخة الفتوغرافية «جاء كأنه شيطان في أَشْطَان» فحرفها الناصح كما ترى . (٢) كذا بالفتوغرافية مضبوطا . وفي القاموس : الملهوز المضبر الخلق والتضير اكتناز اللحم فكأنه يريد أن يمدحه بأنه مكتنز الخلق كالعير الوحشي ويوافقه ما في اللسان ولكنه مضبوط بالبناء للفاعل ولعله خطأ . وفي الألمانية والعقد الفريد "تَهَزَّهَ العير" . وفي اللسان نهزت الدابة إذا نهضت بصدرها للسير، ولعل معناه أنه يندفع في السير كأنه دافع العير الوحشي .

(٣) في اللسان : وإذا أنف يَأْتَنَفُ السير وهو تحريف دفع إليه توهم أن السير هنا بمعنى المشي لأن المؤنَّف هو المحدد من كل شيء ومنه سير (جلد) مؤنَّف أي مقدود على قدر واستواء والمراد أنه قد حَقِيَ استوى كما يستوى السير المقدود . (٤) أسلَّه : مضى . وأَجَلَعَبَ : امتد على الأرض . وآتَلَّاب : استوى . (٥) حجة الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه ، ومدلوكها الذي ليس لحجته اشراف فهي ماساء مستوية . (٦) الأرنبة الأنف . (٧) في الأصل الكبير والتصويب عن العقد الفريد .

في أعناق الهُجُن قصراً فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تنثني سنانكها وأعناق
العناق طوال .

وحديثي أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : ذكروا أن كسرى كان إذا أتاه
سائسه فقال : الفرس يشتكى حافره ، قال : المطبخ . وإذا قال : يشتكى ظهره ،
قال : البيطار .

وأشدني أبو حاتم لأبي ميمون العجلي وهو النضر بن سامة في شعر طويل له يصف
الفرس ، وقال قرأته على أبي عبيدة وعلى الأصمعي

الخيل متى أهل ما أن يدنين * وأن يقربن وأن لا يقصين
وأن يبأبأن وأن يفددين * وأن يكون المحض مما يسقين
وأهل أن يعلن أو يغالين * بالطرف والتلد وأن لا يحفين
وأهل ما يحبننا أن يفتين^(٢) * وأهل ما أعقبنا أن يحزين
أليس عز الناس فيما أبلين * والحسب الزاكي إذا ما يقنين
والأبحر والزين إذا ريم الزين * كم من كريم جدّه قد أعلن
وكم طريد خائف قد أنجى * ومن فقير عائل قد أغنى
وكم برأس في لبان أجري * وجسد للعافيات أعري
وأهل حصن ذي امتناع أردن * وكم لها في الغنم من ذي سهمين
يكون فيما اقتسموا كالرجلين * وكم أنكح من ذي طمرين
بغير مهر عاجل ولا دين * والخيل والخيرات في قرنين
لا تستكين عملاً ما أنقن^(٣) * ما دام مخ في سلامي أو عين

* ما بلل الصوفة ماء البحرين *

(١) يقال لها بآب أنت ، كناية عن الاحتفاظ بها . (٢) يؤثرن . (٣) في اللسان : وصوف
البحرشي ، على شكل هذا الصوف الحيواني واحدة صوفة وفي الأبديات : لا آتيك ما بل بحر صوفة .

وأُشْدَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عبيدة . قال : وقال لي أبو عبيدة لا أعرف قائل
 هذا الشعر وعروضه لا يخرج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخزاعي
 ذلك وقد أذعر الوحوشا * بصَلَّتِ الخَدْرَحِبُ لَبَّائُهُ مُجْفَرُ^(١)
 طويلُ خمس قصير أربعة * عريض ست مقلص حشور^(٢)
 حَدَّتْ لَهُ تسعة وقد عريت * تسع ففيه لمن رأى منظر^(٣)
 ثم له تسعة كسِين وقد * أَرْحَبَ مِنْهُ اللَّبَّانُ وَالْمَنْخَرُ^(٤)
 بعيد عشر وقد قَرُبْنَ لَهُ * عشر وخمس طالت ولم تقصر^(٥)

- (١) اللَّبَّانُ الصدر ومجفرف بفتح الفاء واسع الجفرة وهي من الفرس وسطه .
 (٢) تعرض أبو صفوان الأسدي في قصيدة له إلى مدح فرس وذكر أن ما طال منه تسع وفسرها
 ابن الأعرابي بالعنق ووظيفي الرجلين والبطن والذراعين والفخذين . قال أبو علي القالي : وتفسيره غير
 موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقل عن أبي العباس أن هذا غلط من
 الشاعر ثم ذكر أن الذي يستحب طوله في القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعان والثَّْنِ وهي الشعر الذي
 في مؤخر الرسع ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب إلى هذا وأراد معها العنق جازو صح قوله .
 (٣) عدها صاحب القصيدة السالفة الذكر تسعة فقال ابن الأعرابي في تفسيرها هي أربعة : أرساغه
 ووظيفا يديه وعسيبه وسافاه . (٤) عدت في القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الأعرابي في تفسيرها
 هي الفخذان والوركين والأوظفة . (٥) حشور : متفخ الجنين .
 (٦) ذكرت في تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الأعرابي : حديد الثمان : عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه .
 كذا في أمالي أبي علي القالي ولم يذكر الثامن .
 (٧) عدت في تلك القصيدة سبعة . قال ابن الأعرابي السبعة العارية : خداه وجهته والوجه كله وقوائمه
 فكل هذا يستحب فيه أن يكون عاريا من اللحم .
 (٨) عدت في تلك القصيدة سبعة وقال ابن الأعرابي السبع المكسوة : الفخذان وحاميتاه . ووركاه
 وحصيراجنبه وتهديتاه وهما في الصدر . وغير ابن الأعرابي يقول فهديتاه بالفاء . قال أبو علي القالي والصحيح
 فهديتاه وهما اللحمان اللذان في الزور كالفهدين .
 (٩) عدت في تلك القصيدة ما قرب منه سبعة وما بعد سبعة وقال ابن الأعرابي السبع التي قربت يريد بها سبع
 خصال صالحة قربن منه سبع خصال رديئة بعدن منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .
 (راجع نصيدة أبي صفوان الأسدي وشرحها في الأمالي من صفحة ٢٤٠ - ٢٥٣)

تُقْفِيهِ بِالْمَحْضِ دُونَ وَلَدَتِنَا * وَعُضِّهِ فِي آرِيهِ ^(١) يُنْثَرُ ^(٢)
 نَضْبَحُهُ تَارَةً وَنَغْبِقُهُ * أَلْبَابَ كُومٍ رَوَائِمٍ أَظْهَرُ
 حَتَّى شَتَا بَادِنًا يَقَالُ أَلَا * يَطْوُونَ مِنْ بَدْنِهِ وَقَدْ أَضْمِرُ ^(٣)
 مُوْتَقٍ الْخَلْقَ جَرَشِعَ عَتِدَ ^(٤) * مُنْضِرِجُ الْحُضْرِ حِينَ يَسْتَحْضِرُ
 حَاطِي الْحَمَاتَيْنِ لَحْمَهُ زِيمَ ^(٥) * نَهْدُ شَدِيدِ الصَّفَاقِ وَالْأَبْهَرِ
 رَقِيقٍ نَحْمَسُ غَلِيزَ أَرْبَعَةٍ * نَائِي الْمَعْدِنِ لَيْنَ الْأَشْعَرِ ^(٦)

وقد فسرنا هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المهمل في خلق الفرس .

أنشدنا أبو سعيد لبعض الضببين في وصف فرس

مَتَقَاذِفُ عِبِلِ الشَّوَى شَنِجَ النَّسَا * سَبَّاقُ أُنْدِيَةِ الْجِيَادِ عَمِيثِلُ ^(٧)
 وَإِذَا تَعَلَّلَ بِالسَّيَاطِ جِيَادُهُ * أَعْطَاكَ نَائِلَهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلْ ^(٨)

قيل لما وضعت حرب صنفين أوزارها قال عمرو بن العاص

سَبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا * مُفَرَّغَ الْحَارِكِ مَرْوِي الشَّبَجِ ^(٩)

- (١) العُضُّ : العجين يُعَلِّقُهُ الْإِبِلُ ، وَالْقَتُّ : وَالشَّعِيرُ وَالْخَطَّةُ لَا يَشْرِكُهُمَا شَيْءٌ . (٢) الْآرِيُّ : الْآخِيَّةُ
 وَهِيَ مَحْبَسُ الدَّابَّةِ . (٣) يُقَالُ ضَمَرَ الْخَيْلَ تَضْمِيرًا : عَلَفَهَا الْقَوْتَ بَعْدَ السَّمَنِ كَأَضْمَرَهَا . قَامُوسٌ .
 (٤) الْجَرَشِعُ كَقَتْنَفَذٍ : الْعَظِيمُ الصَّدْرُ الْمُنْتَفِخُ الْجَنِينُ . وَمُنْضِرِجُ الْحُضْرِ : شَدِيدُ الْعَدُوِّ . (٥) هَكَذَا
 فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَالْفَتْوَعَرَفِيَّةِ وَذَكَرَ فِي أَسْفَلِ النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ أَنَّ فِي بَعْضِ النُّسخِ خَاطِي . وَكِلَاهُمَا
 غَيْرُ مُنَاسِبٍ لِلْعَنَى وَلَعَلَّهُ خَاطِي بِالْخَاءِ وَالظَّاءِ الْمَعْجَمَتَيْنِ فَإِنَّ الْحَمَاتَيْنِ مِنَ الْفَرَسِ اللَّحْمَتَانِ الْمُجْتَمِعَتَانِ فِي ظَاهِرِ
 السَّاقَيْنِ مِنْ أَعَالِيهِمَا وَالْخَاطِي كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْمَكْتَنَزُ اللَّحْمُ أَوْ الْغَلِيزُ الصَّلْبُ . وَلَحْمُهُ زِيمٌ : مَكْتَنَزٌ .
 وَالصَّفَاقُ فَسْرُهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي كِتَابِ الْفَرَسِ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْجِلْدُ الْأَسْفَلُ الَّذِي تَحْتَ الْجِلْدِ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّعْرُ
 وَالْأَبْهَرُ : عَرِقٌ فِي الظَّهْرِ . (٦) الْمَعْدَانُ : مَوْضِعُ دَقَقِي السَّرِجِ . وَالْأَشْعَرُ : مَا اسْتَدَارَ بِالْخَافِرِ مِنْ مَنَهَى الْجِلْدِ .
 (٧) مَتَقَاذِفٌ : سَرِيعٌ . وَعِبِلُ الشَّوَى : غَالِيزُ الْقَوَائِمِ . وَالنَّسَا : عَرِقٌ مِنَ الْوَرِكِ إِلَى الْكَعْبِ . وَشَنِجُ النَّسَا
 مُنْقَبِضُهُ وَهُوَ مَدْحٌ لِلْفَرَسِ لِأَنَّهُ إِذَا شَنِجَ نَسَاهُ لَمْ تَسْتَرَحْ رِجْلَاهُ . وَالْعَمِيثِلُ النَشِيطُ . (٨) فِي الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ
 وَمَا يَتَعَلَّلُ وَهَذَا إِنَّمَا يَصُحُّ إِذَا كَانَتِ الْقَافِيَةُ مَرْفُوعَةً . عَلَى أَنَّهُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ أَوْرَدَ هَذَا الشَّعْرَ عَلَى نَحْوِ
 مَا فِي الصَّلْبِ . (٩) الْحَارِكُ أَعْلَى الْكَاهِلِ وَالشَّبَجُ مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ .

جُرُشْعًا أَعْظَمَهُ جُفْرَتُهُ * فَإِذَا ابْتَلَّ مِنَ الْمَاءِ حَرَجٌ
يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدِّ فَإِذَا * وَنَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعْجَجًا^(١)

ووجدت في كتاب من كتب الروم أن من علامة قَرَاهَةِ المهر الحولى صغر رأسه
وشدة سواد عينه وأن يكون مُحَدَّدَ الأذنين أبْجَرَدَ باطنها كثيف العُرف، في عرفه ميل
من قِبَل يمين راحته عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل العضدين مكثرت الجنبين
طويل الذنب عريض الكفَل مستدير الخواقر صحيح باطنها، ومن علامة قَرَاهَةِ المهر
ألا يكون نَفُورًا [ولا يَقِفُ عند دابةٍ] إلا مع أمه [وإذا دفع إلى عين أو نهر ماء لم يقف
لتجاوزه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا ومما يسلم الله به الخيل من العين وأشباه ذلك أن يُجْعَلَ في أعناقها خرزة
من قرون الأيائل .^(٢)

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سفيان عن حصين بن عبد الرحمن
عن هلال بن إساف وعن سُحَيْمِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَا : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ
وَنَحْنُ نَعْرِضُ الْمَصَاحِفَ ، بَغَاءَتِ جَارِيَةٌ إِلَى سَيِّدَتِهَا فَقَالَتْ : مَا يُجْلِسُكَ ؟ قِمِ فَأَتْبَعْنَا
رَاقِيًا فَإِنْ فَلَانَا لَقَعَ مَهْرُكَ بَعَيْنَهُ فَتَرَكْتَهُ يَدُورُ كَأَنَّهُ فَلَكَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا تَتَّبِعْ رَاقِيًا^(٣)
وَلَكِنْ اذْهَبْ فَأَنْفِثْ فِي مَنَخْرِهِ الْأَيْمَنِ أَرْبَعًا وَفِي الْأَيْسَرِ ثَلَاثًا ثُمَّ قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ لَا بَاسَ
لَا بَاسَ أَذْهَبَ الْبَاسُ رَبُّ النَّاسِ وَأَشْفَى أَنْتَ الشَّافِي لَا يَكْشِفُ الضَّرَاءَ إِلَّا أَنْتَ .
قَالَ : فَمَا قَمْنَا حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ فَبَالَ وَرَاثَ وَأَكَلِ .

حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة أنه قال : إِذَا كَانَ الْفَرَسُ صَلُودًا لَا يَبْرُقُ سَقِيَتَهُ
مَاءٌ قَدْ دُفَّتْ فِيهِ تَحْمِيرَةٌ أَوْ عُلْفَتُهُ ضِغْثًا مِنْ هَيْدَبَاءَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُكْثِرُ عَرَقَهُ ، فَإِنْ حَمِرَ أَدْخَلْتَهُ^(٤)

(١) في الفئورغرافية «فإذا ونت الخيل من النج» . والشدة : العدو . ومعج : كنع : أسرع . (٢) الأيائل
جمع أيال وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بعينه : أصابه بها . (٤) حمر الفرس كقروح : سقى (نخم)
من أكل الشعير أو تغيرت رائحة فيه فادفأه .

الحَمَامَ وَأَشْمَهُ عَذْرَةً . فقلت لأبي عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا؟ فقال : خبرني به جل الهندي وكان بصيرا . قال : فإن أصابته مَغَلَّةٌ وهي وجع البطن من أكل التراب أخذله شيء من بُورِيٍّ فِدَقٍ وَنُحْلٍ بفعل في ربيع دَوْرَقٍ من حجر مُخْفَنٍ به وبُلِّ تراب طيب يبول أتان حتى يصير طينا ثم لُطِخ به بطن الدابة . قال : ومما يذهب العَرَنَ دماغ الأرنب .

وقف الهيثم بن مطهر على باب الخيزران على ظهر دابته ، فبعث إليه الكاتب في دارها : أنزل عن ظهر دابتك فقد جاء في الأثر : لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس . فبعث إليه : إني رجل أعرج وإن خرج صاحبي خَفْتُ ألا أدركه . فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حبيس إن أنزلتني عنه إن أَقْضَمْتُهُ شهرا فانظر أيما خير له ، راحة ساعة أو جوع شهر؟ فقال : هذا شيطان ، أتركوه .

باب البغال والحمير

قال مسلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العذار طويلة العنان . وكتب رجل الى وكيله : آبغني بغلة حصاء الذنب طويلة العنق سوطها عنانها وهواها أمامها .

عاتب الفضل بن الربيع بعض بني هاشم في ركوبه بغلة ، فقال له : هذا مركب تطأ طأ عن خيلاء الخيل وأرتفع عن ذلة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سيارة بأهل المزدلفة أربعين سنة على حمار لا يعتل ، فقالت العرب : «أصح من غير أبي سيارة» قال رجل للفضل الرقاشي وهو جَدُّ مُعْتَمِرٍ لأمته : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب ، فلم ذلك؟ قال : لأنها أكثرها مَرَفَقًا . قال : وما ذاك؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريعا وأسهل تصرفا وأخفض مهوى وأقل حما وأشهر فارها وأقل نظيرا ويذهي راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف في ثمنه . وقال خالد بن صفوان في وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكدّاد^(١) أصحّر السّرّبال^(٢) مُجَلِّجَ القوائم يحمل الرّجالة ويبلغ العقبة ويمعنى أن أكون جبّارا عنيدا .

وقال رجل لنخاس : اطلب لي حمارا ليس بالكبير المشتهر ولا القصير المحقر ولا يُقدّم تقحما ولا يحجم تبدا^(٣) يتجنب بي الزحام والرّجّام والإكام خفيف اللّجام اذا ركبته هام واذا ركبه غيرى قام، إن علفته شكر، وإن أجمته صبر . فقال له النخاس : إن مسخ الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله . وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانَه للسّفاد .

جرير بن عبد الله^(٤) عن أبيه قال : لا تركب حمارا فانه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجلك .

باب فى الإبل

الهيثم قال قال ابن عياش^(٥) : لا تشتتر خمسة من خمسة : لا تشتتر فرسا من أسدى ولا حملا من نهدي ولا عيرا من تميمي ولا عبدا من بجلى . ونسى الهيثم الخامس ، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الحدود فى هذه الأشياء . قيل لبني عبس : أى الإبل

(١) خل تشب اليه الحمر . قاموس . (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما

فى الفتوغرافية «يتجنب» . (٣) فى النسخة الفتوغرافية «عبد الحميد» وهما واردان معا فى كتب التراجم .

(٤) كذا بالفتوغرافية وفى الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية الفتوغرافية أصح اذ لم تقف فى ترجمة ابن عباس على ان الهيثم روى عنه ، ولعل هيثما هذا هو الهيثم بن خارجة الخراساني فقد روى عن إسماعيل بن عياش كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني .

أصبر عليكم في محاربتكم ؟ قال الرُّمك الجَعَاد . قيل : فأى الخيل وجدتكم أصبر ؟ قالوا : الكُتَّ الحَوَّ . قيل : فأى النساء وجدتكم أصبر ؟ قالوا : بنات العم .

المدائني قال قال شُبَّة بن عَقَّال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني الحج ، ومعى ثلاثة أبحال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويته فلما جُرَّته قام بي بعير لي ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتني فمررت بي اليماني فقال : مررت بنا ولم تسلم ولم تعرض . فقلت : أجل يرحمك الله . قال : أتطيب نفسك عما أرى ؟ قلت : نعم . فنزل فارخى ألساع رَحْله ثم قدمه فكاد يضعه على عنقه ثم شدّه وقال لي : لولا أنك لا تضبط رأسها لقدمتك . ثم قال لي : خذ حُرَّ متاعك إن لم تطب نفسك به ففعلت ، ثم ارتدفتُ بجعلتُ تعوم عوما ثم انسلت كأنها ثعبان يسيل سيلا كالماء فما شعرت حتى أراى الأعلام وقال : أسمع ؟ فسمعت أصوات الناس فاذا نحن بجمع ^(١) ، فقضيت حِجَّتِي ، وكان قال لي : حاجتي إليك ألا تذكر هذا فإن هذه عندي أثر من ولاية العَرُوض يعنى مكة والمدينة ، أدرك عليها الثأروهي ثمَّال العيال وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم في كل عام من صنعاء في أقل من غيب الخمار فسألته : من أين هي ؟ قال : بُجَاوِيَّة من هَوَامِي تَنَاجٍ ^(٢) [بدو] بِجِيلَةِ الأولى وهي من المَهَارِي التي يذكر الناس .

^(٣) [وكتب سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصب لي نجائب كراما . فقدم رجل على جمل سُبَاعِيٍّ عظيم الهامة له خَلْق لم يروا مثله قط فساموا ، فقال : لا أبيع . قالوا : لا ندُّك ولا نعصبك ولكنا نكتب الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا من هذا ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : معكم نجائب كرام وخيل سابقة ، فدعوني أركب

(١) في الفهرغرافية "قد كان ذلك ربحك الله" . (٢) هي المزدلفة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

جلى وأبعثه وأتبعونى فإن لحقتمونى فهو لكم بغير ثمن . قالوا : نعم . فدنا منه فصاح
فى أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فبكأ ثم أنبعث وأتبعوه فلم يدروا كيف أخذ ، ولم
يروا له أثرا بفعل أهل اليمن علما على وثبته يقال له : الكفلان] .

أخبار الجبناء

حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعى قال : أرسل عبيد الله بن زياد
رجلا فى ألفين الى مرداس بن أدية وهو فى أربعين فهزمه مرداس فعنفه ابن زياد
وأغلظ له فقال : يشتمنى الأمير وأنا حى أحب الى من أن يدعولى وأنا ميت . فقال
شاعر الخوارج

ألفا مؤمن منكم زعمتم * ويهزمهم بأسك أربعونا
كذبتهم ليس ذلكم كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة ينصرونا

حدثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال ، قال
النبي صلى الله عليه وسلم : « ما آلتقت فئتان قط إلا وكف الله بينهما فاذا أراد أن
يهزم إحدى الطائفتين أمال كفه عليها » . [ورفع معاوية ^(١) ثُدُوتَه بيده وقال : لقد علم
الناس أن الخيل لا تجرى بمثل ، فكيف قال النجاشي

ونجى ابن حرب سابق ذو علالة * أجش هزيم والرماح دوانى]
ابن دأب قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعيانى أن أعلم أجبان أنت
أم شجاع ؟ فقال

شجاع اذا ما أمكنتنى فرصة * وإلا تكن لى فرصة بخيان

شهد أبو دلامة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له : تهتم فقاتل . فقال
إني أعوذ بروح أبى يقدمنى * إلى القتال فتخزى بى بنو أسد
إن المهلب حب الموت وترثكم * ولم أورث حب الموت عن أحد
أبو المنذر قال ، حدثنا زيد بن وهب قال ، قال لى بن أبى طالب رضى الله
عنه : عجبا لابن النابغة ! يزعم أنى تلعبه أعافيس وأماريس ! أما وشر القول أكذبه ،
إنه يسأل فيلجف ويسأل فيبخل ، فإذا كان عند البأس فإنه أمرؤ زاجر ما لم تأخذ
السيوف مأخذها من هام القوم ، فإذا كان كذلك كان أكبرهمه أن يبرقطة ويمنع
الناس آسته . قبحه الله وترجه . وقال الفرار السلى

وصكتيبة لبستها بكتيبة * حتى إذا التبت نفضت بها يدي
وتركتهم تقص الرماح ظهورهم * من بين منجدل وآخر مسند
ما كان ينفعنى مقال نسائهم * وقُتلت دون رجالهم : لا تبعد

وقال آخر

أضحت تشجعنى هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذي حجت الأنصار كعبته * ما يشتمى الموت عندى من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعئهم إلى حوباءها وثبوا^(٣)
ولست منهم ولا أبغى فعالهم * لا القتل يعجبني منها ولا السلب
وقال أيمن بن حرير

إن للفتنة ميّطا يئس^(٤) * فرويد الميطة منها يعتدل

(١) كذا بالنسخين ، وفي الأغاني : « وما ورث اختيار الموت عن أحد » .

(٢) رواه في العقد الفريد « لا والذي منع الأبصار رؤيته » . (٣) في النسخة الألمانية « نيرانها » .

(٤) هكذا في النسخين الألمانية والفتوغرافية ، وفي العقد الفريد « عاجلا » .

فاذا كانت عطاء فأتهم * واذا كانت قتال فاعتزل

إنما يسعها جهالها * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر

كُلُّي الأئنة من كفه * وقاد الجياد بأذنانها

وقال جرّان العود في الدهش

يوم ارتحلت برحلى قبل تودعتي * والقلب مستوهِل بالبين مشغول

ثم اعتضضتُ على نضوى لأدفعه * إثر الحمول الغواذى وهو معقول^(١)

كان خالد بن عبد الله من الجبناء نرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة [من

الرافضة] وهو من بجيلة فقال من الدهش : أطعموني ماء . فذكره بعضهم فقال^(٢)

عاد الظلوم ظليما حين جدّ به * واستطعم الماء لما جدّ في الحرب

وقال عبيد الله بن زياد إما للكنة فيه أو لجن أودهشة : افتحوا سيوفكم .

وقال ابن مفرغ الحميري

ويوم فتحت سيفك من بعيد * أضعت وكل أمرك للضياح

وكان معاوية يمثل بهذين البيتين كثيرا

أكان الجبان يرى أنه * سيقتل قبل انقضاء الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه

طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي ، فلا نامت أعين الجبناء .^(٣)

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفي الفتوغرافية « اغترت » بالراء المهملة وهو محرف عن

« اغترزت » بالزاي المعجمة ومعناه ركبت وأصله وضع الرجل في الغرز وهو الركاب . (٢) في النسخة

الألمانية « وهو مولى لبجيلة » . (٣) كذا بالنسخة الفتوغرافية ، وفي النسخة الألمانية « أموت

على فراشي كما يموت العير » وفي العقد الفريد « ثم ها أنذا أموت حتف نفسي كما يموت العير » .

[قيل لأعرابي : ألا تغزوان الله قد أُنذرك . قال : والله إني لأبغض الموت
على فراشي فكيف أمضي إليه ركضاً !] وقال قُرَوَاشُ بن حَوْط وذَكَرَ رجلين
ضَبْعاً مُجَاهِرَةً وَلَيْثاً هُدْنَةً * وَثُعَيْلِيّاً نَحَرَا إِذَا مَا أَظْلَمَا

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد
إِذَا صَوَّتَ الْعُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ * وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخَرِ^(٢)

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عُبَيْدًا وَأَزْمًا
وقال الله جل وعز (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) .
ومن أشعار الشُّطَّارِ فِي الْجَبَانِ

رَأَى فِي النَّوْمِ إِنْسَانًا * فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْمَرُ^(٣)
قال ابن المقفع : الجبن مَقَاتِلَةٌ وَالْحَرْصُ مَحَرِّمَةٌ فَانْظُرْ (فِيمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ) : مَنْ قُتِلَ
فِي الْحَرْبِ مَقْبَلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مَدْبِرًا ؟ وَانْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّكْرِمِ أَحَقُّ
أَنْ تَسْخُو نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالشَّرِّ وَالْحَرْصِ ؟ وَقَالَ حَنْشُ^(٤)
ابن عمرو

وَأَتَمَّ سَمَاءٌ يَعْجِبُ النَّاسَ رِزْهًا * لَهَا زَجَلٌ بَاقٍ شَدِيدٌ وَيُدُّهَا
تَقَطَّعَ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ * وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقَهَا وَرَعُودُهَا
فَوَيْلٌ لَهَا خَيْلاً تَهَاوَى شِرَارُهَا * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صِدُودُهَا

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) هو العوام بن شاذب الشيباني . (٣) هكذا في النسختين
الفتوغرافية والألمانية وفي العقد الفريد "عصفورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات في الحماسة لقراد بن حنش الصاردي وروى البيت الأول

وَأَتَمَّ سَمَاءٌ يَعْجِبُ النَّاسَ رِزْهًا * بِأَبْدَةٍ تَحْيَى شَدِيدٌ وَيُدُّهَا

والثالث فَوَيْلٌ لَهَا خَيْلاً تَهَاوَى شِرَارُهَا * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صِدُودُهَا

وقال الفرزدق أو البعيث

سائل سَلِيْطًا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَفْرَعَهَا * مَا بَالُ خَيْلِكُمْ قُعْسًا هَوَادِيَهَا

لا يرفعون إلى دأج أعنتها * وفي جَوَاشِنِهَا دَاءٌ يُجَافِيهَا

- كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مرثد ويكنى أبا الأغر يتزل
 ٥ بنى أخت له في سكة بني مازن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم
 في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في الدار إلا الإماء فدخل
 كلب يعتس فرأى بيتا فدخله وأنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا
 دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغي اللص؟ ثم
 أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا ملأمان، أما والله إنك بي لعارف
 ١٠ فهل أنت إلا من لصوص بني مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت القدوح
 في رأسك منتك نفسك الأمانى وقلت: أطرق ديار بني عمرو والرجال خلوف والنساء
 يصابن في مسجدهم فأسرقهم . سوءة لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله
 لتخرجن أولاهن هتفة مشؤومة يلتقي فيها الحيان عمرو وحنظلة وتجيء سعد بعدد
 الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود.
 فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: انخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إني
 ١٥ والله ما أراك تعرفني ولو عرفتنى لقنعت بقولي واطمأنت إلى . أنا فديتك
 أبو الأغر النهشلي، وأنا خال القوم وجلدة بين أعينهم لا يعصونني، وإن تضار الليلة
 فأنرج فانت في ذمتي وعندى قوصرتان أهدهما إلى ابن أختي البار الوصول فخذ
 إحداهما فانتبهها حالالا من الله ورسوله . وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا
 ٢٠ سكت وثب يُريغ المخرج، فتهاتف أبو الأغر ثم تضاحك وقال: يا ألام الناس
 وأوضعهم، لا أرى إلا أنى لك الليلة في واد وأنت لى في واد، أقلب السوداء

والبيضاء فتُصيح وتُطرق ، وإذا سكَّتْ عنك وثبتَ تريخ المخرج ، والله لتخرجنَّ
أولاً لحنٍ عليك البيت . فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعرابي
مجنون ، والله ما أرى في البيت شيئاً ، فدفعت الباب فخرج الكلب شداً وحاد عنه
أبو الأغر ساقطاً على قفاه ، ثم قال : يا الله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلا كلباً ،
أما والله لو علمت بحاله لوبحت عليه .

وشبهه بهذا حديث لأبي حية الثميري ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ،
وكان يسميه لعاب المنية . قال جاره : أشرفت عليه ليلة وقد آنتضاه وشمروهو
يقول : أيها المغتر بنا والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف
صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهور ضربته لانتخاف نبوته ، أخرج بالعفو
عنك وإلا دخلت بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدع قيساً تملأ الأرض خيلاً
ورجالاً . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيها ! ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج ،
فقال : الحمد لله الذي مسحك كلباً وكفاني حرباً .

وقرأت في كتاب كليله ودمنة : يخاف غير المخوف طائر يرفع رجله خشية السماء
أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجله حذار الخسف إن قام عليهما ، ودودة تأكل
التراب فلا تشبع خوفاً أن يفنى إن شيعت فتجوع ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار
أن تصطاد لحسنها .

بيننا عبد الله بن خازم السلمي عند عبيد الله بن زياد إذ دخل عليه بجُرْدٍ أبيض
فعجب منه وقال : يا أبا صالح ، هل رأيت أعجب من هذا ؟ وإذا عبد الله قد تضاعل
حتى صار كأنه فرخ وأصفَر حتى كأنه جرادةٌ كَر . فقال عبيد الله : أبو صالح يعصى
الرحمن ويتهاون بالشیطان ^(١) ويقبض على الثعبان ويمشي إلى الأسد الورد ويلقى الرماح
بوجهه قد اعتراه من هذا الجرد ما ترون ! إن الله على كل شيء قدير !

(١) كذا بالنسختين ، وفي العقد الفريد : « ويتهاون بالسلطان » .

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهزم،
فقال فيه حسان

إن كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طيرة وجام

فاعتذر الحارث من فواره وقال

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسى بأشقر مُزِيد

وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي

فصدت عنهم والأحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد^(١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وخرج في زمن عمر من مكة الى الشام

بأهله وماله ، فاتبعه أهل مكة ليكون ، فرق وبكى ثم قال : أما إنا لو كنا نستبدل دارنا
بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا ، ولكنها النقلة الى الله ، فلم يزل هنالك مجاهدا
حتى مات .

المدائني قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له : مم تضحك

يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك ؟ قال : أضحك من حضور ذهرك عند إبدائك

سوءتك يوم ابن أبي طالب ، أما والله لقد وافقته منانا كريما ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك .

قال عمرو : يا أمير المؤمنين أما والله إني لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت

عينك وربا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أو دَع .

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس

عربية وكنانة ، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت : من هذا

الأعرابي المستلم في السلاح عندك وأنت في غلالة ؟ فبعث اليها أنه الحجاج ، فأعادت

(١) هكذا في النسخين الألمانية والفتوغرافية ، والذي في المعارف للصف "يوم سرمد" .

الرسول اليه ، فقال : تقول لك والله لأن يخلوبك ملك الموت أحيانا أحبّ الىّ من أن يخلوبك الجحاج ، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دع عنك مفاكهة النساء بزحف القول فانما المرأة ريحانة وليست قهرمانة فلا تطلعها على شرك ومكيدة عدوك ، فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الجحاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غدا بأن يأتيني مستلثما ، ففعل ذلك وأتاها الجحاج فحجبتة فلم يزل قائما ، ثم قالت : إيه يا جحاج ، أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث ، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الاسلام ، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فان كنت ينفرجنّ عن مثله فغير قابل لقولك ، أما والله لقد نفّض نساء أمير المؤمنين الطيّب من غداثرهن فيعنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن قد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجلك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه ، قاتل الله القائل حين نظر اليك وسنان غزاة بين كتفك

أسد على وفي الحروب نعمة * فتخاء تنفر من صغير الصافر

هلا كررت على غزاة في الوغى * بل كان قلبك في جوانح طائر

وغزاة امرأة شبيب الخارجي . ثم قالت : أخرج ، نخرج .

وكان في بني ليث رجل جبان بخيل نفرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناسا من بني سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مفرا ، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم نل كنانته وأخذ قوسه وقال

(١) في النسخة الفتوغرافية "القوت" . (٢) هو عاصم بن ثابت كما في اللسان مادة (عنب) ورواه

ما علق وأنا طب خانل * والقوس فيها وتر عنب

* نزل عن صفحته المعابل *

ما علّتي وأنا جلد نابل * والقوس من نبع لها بلابل
يرز فيها وتر عنبيل * ان لم أقاتلكم فأمتي هابل
أكل يوم أنا عنكم ناكل * لا أطعم القوم ولا أقاتل
* الموت حق والحياة باطل *

ثم جعل يرميهم حتى ردهم ، وجاءهم الصريح وقد منع الحي ، فصار بعد ذلك شجاعا سمحا معروفا .

ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وجه أخاه بشر بن مروان على الكوفة وجه معه روح بن زنباع الجذامي كالوزير ، وكان روح رجلا عالما داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تخوفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا في إخراجهم عنهم فكتبوا ليلا على بابهم
١٠ إن ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك ياروح بن زنباع

فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه في الشخوص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تركت أخاك مقتولا أو مخلوعا . قال : كيف عرفت ذلك ؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى فحّص برجليه ، ثم قال : احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم .
١٥ كان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وجه إلى أبي فديك فانهزم وأتى الجحاج بدواب من دواب أمية قد وسم على أنفاها "عدّة" فأمر الجحاج فكتب تحت ذلك : "للفرار" .

[وقال عمر رضي الله عنه : ^(١) إن الشجاعة والجلل غرائز في الرجال ، تجدد الرجل يقاتل عمن لا يبالى ألا يؤوب إلى أهله ، وتجدد الرجل يفتر عن أبيه وأمه ، وتجدد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وقال الشاعر

يفتر الجباب عن أبيه وأمه * ويمحي شجاعُ القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأصمعي قال سمعت الحرسي يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجا . استترنا من مزرعة في بلاد الشام رجلين يذريان حنطة ، أحدهما أصيفر أحيمس ، والآخر مثل الجمل عظم ، فقاتلنا الأصيفر بالمذري لا تدنو منه دابة إلا نحس أنفها وضربها حتى شق علينا فقتل ، ولم نصل إلى الآخر حتى مات فرقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشمة ، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصفار قال : حاصر مسلمة حصنا فندب الناس إلى نقب منه ، فما دخله أحد . بغاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتح الله عليهم ، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتى ، فعزمت عليه إلا جاء . بغاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ألا تسودوا اسمه في صحيفة [إلى الخليفة] ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسأله ممن هو . قال : فذاك له . قال : أنا هو . فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفتوغرافية "أخبس" ولعله "أحيش" مصر أحش وهو دقيق الساقين .

(٢) في الألمانية "عثان" ولم نعثر عليه في كتب التراجم ، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصفار كما

في كتب التراجم (٣) زيادة في الألمانية .

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال كتب أنوشروان إلى مرازبته : عليكم بأهل
الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابي قوما تحاربوا
فقال : أقبلت الفحول تمشي مشى الوعول ، فلما تصالحوا بالسيوف فغرت المنايا
أفواهها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : آحتثوا كلَّ جمالية عيرانية
فما زالوا يخصفون أخفاف المطى بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثلاثة ففعلوا المرآن
أرشيّة الموت وأستقوا بها أرواحهم .

حدثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمنا من قطرى
وأصحابه فأدركني رجل على فرس فسمعت حسا منكرا خلفي ، فالتفت فإذا أنا بقطرى
فيئست من الحياة فلما عرفني قال : أشدّد عنانها وأوجع خاصرتها قطع الله يدك .
قال : ففعلت ففنجوت منه .

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شبيب^(١) قالت امرأة : الغرق
يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال ف [أخرج فيشق بطنه وأخرج فؤاده
فإذا مثل الكوز ، ففعلوا يضربون به الأرض فيثرو .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء
قال : لما كان يوم الكلاب خرج رجل من بني تميم ، أحسبه قال : سعدى ، فقال :
لو طلبت رجلا له فداء ! قال : فخرجت أطلبه ، فإذا رجل عليه مقطعة يمانية على
فرس ذنوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يساري أقصد لي . قلت : أيها
منك اليمن . قال : العراق مني أبعد . قلت : وتالله لا ترى أهلك العام . قال
لا والله ولا أهلك لا أراهم . قال : فتركته ولما كان بعد أيام ونعت نعت بعد ذلك ،
فقل لي : هو وعله الجرمي

حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قبل خراسان فيبتهم العدو ليلاً وفزقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففرع الناس وكان أول من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إني على كل رئيس حقاً * أن يخضب الصَّعدة أو تدقاً

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت انهزموا . ثم حمل على الكردوس^(١) الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مرو الروذ .

سأل ابن هبيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : سألنا وكيع ابن الدؤرقية كيف قتلته ؟ قال : غلبته بفضل فتاء كان لي عليه فصرعته وجلست على صدره وقلت له : يا لثارات دؤيلة . يعني أخاه من أبيه . فقال من تحتي : قتلك الله ! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لا يساوي كف نوى ! ثم تنحَّم فلأ وجهي نخمًا ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدلَّ عليها بكثرة الريق في ذلك الوقت .

قال هشام لمسامة : يا أبا سعيد هل دخلك دُعر قطُّ لحرب [أو عدو] قال :^(٢) ما سلمت في ذلك من دُعر ينبه على حيلة ولم يغشني فيها دُعر سلبني رأبي . قال هشام : هذه البسالة .

خرج رهم بن حزم الهلالي ومعه أهله وماله يريد النقلة من بلد إلى بلد فلقيه ثلاثون رجلاً من بني تغلب فعرفهم ، فقال : يا بني تغلب ، شأنكم بالمال واخلأوا^(٣)

٢٠ (١) الكردوس : الكتبة من الخيل في الحرب . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في النسخة الألمانية « زهير » ولم نعثر على ما يرجح إحدى الروايتين .

الظعينة . فقالوا : رضينا إن ألقيت الرمح . قال : وإن رمحي لمحي . وحمل عليهم
فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال

رُداً على آخرها الأتاليا * إن لها بالمشرفي حادياً
* ذكّرتني الطعن وكنت ناسياً *

قال الزبيرى : ما أستحيا شجاع أن يفتر من عبد الله بن خازم السلمي وقطري
ابن الفجاءة .

أبو اليقظان قال : كان حبيب بن عوف العبدي فاتكاً ، فلقى رجلاً من أهل الشام
قد بعثه زياد ومعه ستون ألفاً يتجرب بها فسايره ، فلما وجد غفلة قتله وأخذ المال فقال
يوماً وهو يشرب [على لذته ^(١)] .

يا صاحبي أقلاً اللوم والعدلاً * ولا تقولاً لشيء فات ما فعلاً
رُداً على كُمت اللون صافية * إني لقيت بأرض خاليا رجلاً
ضخم الفرائص لو أبصرت قمته * وسط الرجال إذن شبهته بجملاً
ضاحكته ساعة طوراً وقلت له * أنفقت بيعك إن ريثاً وإن عَجلاً
سأيرته ساعة ما بي مخافته * إلا التلفت حولي هل أرى دغلاً
غادرته بين آجام ومسبحة * لم يدر غيري بعدى بعد ما فعلاً
يدعو زياداً وقد نحات منيته * ولا زياداً لمن قد وافق الأَجلاً

المفضل الضبي : كان سُلَيْك بن سُلَكَة التيمي من أشد فرسان العرب وأذكهم
وأدّل الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل وكانت أمه سوداء
وكان يقول : اللهم إنك تهبي ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت
ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الفتوغرافية : « إن زينا وإن عسلاً » .

فأما الهية فلا هية . وأملق حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجله رجاء أن يصيب
غرة من بعض من يمر عليه فيذهب ببابه ، حتى إذا أمسى في ليلة باردة مقمرة
واشتمل الصائم ، ونام إذا هو برجل قد جثم على صدره وقال : استأسر . فرفع سليك رأسه
وقال : « إن الليل طويل وأنت مقير » بخرى مثالا ، وجعل الرجل يلتهزه ويقول :
استأسر يا خبيث ، فلما آذاه ضمه إليه ضمة ضرط منها وهو فوقه ، فقال له سليك :
« أضرطاً وأنت الأعلى » بخرى مثالا ، ثم قال له : ما أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت ،
فقلت : لأخرجن ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فانطلقى معي ، فمضيا فوجداه رجلا
قصته مثل قصتهما ، فاتوا جوف مراد وهو واد باليمن فإذا فيه نعم كثيرة ، فقال لهما
سليك : كونا قريبا حتى أتى الرعاء ، وأعلم لكما علم الحى أقرب هو أم بعيد ، فإن
كانوا قريبا رجعت اليكما ، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولاً أحيى^(١) به لكما فأغيرا .
فانطلق حتى أتى الرعاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ،
فقال لهم سليك : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى . فتغنى بأعلى صوته ليسمع صاحبيه :

يا صاحبي ألا لا حى بالوادي * إلا عييد وأم بين أذواد

أتظن أن قليلا ريث غفلتهم * أم تعدوان فان الريح للعادي

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فاطردوا الإبل وذهبوا بها .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان سليك يُحضّر فتقع السهام من كنانته
فترن في الأرض من شدة إحضاره . وقال له بنو كنانة حين كبر : أرأيت أن ترينا
بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لى أربعين شابا وأبغوني درعا ثقيلة .
فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضّر فلات العدو
أوثا^(٢) واهتبصوا في جنبتيه فلم يصحبوه إلا قليلا بغاء يُحضّر مُنبِرا من حيث لا يرونه
وجاءت الدرع تنفق في عنقه كأنها خرقة .

(١) من وحي يحيى إذا أوما . (٢) عدوا .

- قال سهل وحدثني العتيبي قال حدثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه^(١)
قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله وإلى اليمامة فأتي بأعرابي قد كان معروفا بالسرق
فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بغير
لا يُسبق وكانت لي خيل لا تُلحق^(٢) ، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما
فاحتششت ضبا فعلقته على قتي ثم مررت بنجاء سرى ليس فيه إلا عجوز ، فقلت :
أخلق بهذا النجاء أن يكون له رائحة من غنم وإبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها
شيخ عظيم البطن مثدن اللحم ومعه عبد أسود وغدا ، فلما رأني رحب بي ثم قام إلى ناقة
فاحتلبها وتاولني العلبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول البساق فضرب به جبهته ثم
احتلب تسع أبنق فشرب ألبانهم ثم نحر حوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحشا
كومة من بطحاء وتوسدها وغط غطيظ البكر ، فقلت : هذه والله الغنيمة . ثم قمت
إلى غل إبله فخطمته ثم قرنته إلى بعيري وصحمت به فاتبعني الفحل وآتبعته الإبل
إربابا به ، فصارت خلفي كأنها جبل ممدود ، فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة
ليلة للسرع ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرّة وأقرعه برجلي أخرى حتى طلع
الفجر ، فأبصرت الثنية فاذا عليها سواد فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه في حجره
فقال : أضيفنا؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا .
فأخرج سهمها كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصريين أذن الضب ، ثم رماه
فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأي الأول . قال :
انظر هذا السهم الشاني في فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأتما قدوره بيده ثم
وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا
السهم الثالث في عكوة ذنبه والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، فقلت :
٢٠

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي النورغرافية « عن بعض أهله » وفي العقد الفريد « وحدث العتيبي عن

بعض أشياخه قال كنت عند المهاجر الخ » . (٢) في الأصل « تحلف » والتصويب عن العقد الفريد .

أَنْزِلْ آمَنَّا؟ قَالَ : نَعَمْ . فَزَلْتُ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ خِطَامَ فَخْلِهِ وَقُلْتُ : هَذِهِ إِبْلُكَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْهَا وَبَرَةٌ وَأَنَا أَنْتَظِرُ مَتَى يَرْمِينِي بِسَهْمٍ يَنْتَظِمُ بِهِ قَلْبِي ، فَلَمَّا تَنَحَّيْتُ قَالَ لِي : أَقْبِلْ . فَأَقْبَلْتُ وَاللَّهِ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ لَا طَعْمًا فِي خَيْرِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ هَذَا ، مَا أَحْسَبُكَ جَشِئْتَ اللَّيْلَةَ مَا جَشِئْتَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ . قُلْتُ : أَجَلْ . قَالَ : فَأَقْرُنْ مِنْ هَذِهِ الْإِبِلِ بَعِيرَيْنِ وَأَمِضْ لَطِيفَتِكَ ، قُلْتُ : أَمَّا وَاللَّهِ حَتَّى أَخْبِرَكَ عَنْ نَفْسِكَ قَبْلًا . ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا قَطُّ أَشَدَّ ضَرْسًا وَلَا أَعْدَى رِجْلًا وَلَا أَرْمَى يَدًا وَلَا أَكْرَمَ عَفْوًا وَلَا أَشْنَى نَفْسًا مِنْكَ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ سِيرِ الْعَجَمِ أَنَّ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ لَهُ فَعَرَضَتْ لَهُ طِبَاءٌ ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ تَرِيدِينَ أَنْ أَضَعَ السَّهْمَ مِنَ الْوَحْشِ ؟ فَقَالَتْ أُرِيدُ أَنْ تُشَبِّهَ ذُكْرَانَهَا بِالْإِنَاثِ وَإِنَاثَهَا بِالذُّكْرَانِ ، فَرَمَى تَيْسًا مِنَ الطِّبَاءِ بِنُشَابَةٍ ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ فَاقْتَلَعَ قَرْنِيهِ وَرَمَى عِزًّا مِنْهَا بِنُشَابَتَيْنِ فَأَثْبَتَهُمَا فِي مَوْضِعِ الْقَرْنَيْنِ . ثُمَّ سَأَلَتْهُ أَنْ يَجْمَعَ أُذُنَ الظَّيِّ وَظِلْفَهُ بِنُشَابَةٍ وَاحِدَةٍ فَرَمَى أَصْلَ أُذُنِ الظَّيِّ بِبُنْدُوقَةٍ فَلَمَّا أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى أُذُنِهِ لِيَحْتَكَّ رِمَاهُ بِنُشَابَةٍ فَوَصَلَ ظِلْفُهُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقَيْنَةِ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ وَقَالَ : شَدَّ مَا اشْتَطَطْتَ عَلَيَّ وَأَرَدْتَ إِظْهَارَ عَجْزِي !

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ كَسْرَى اسْتَعْمَلَ قَرَابَةً لَهُ عَلَى الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ الْمَرْوَزَانُ ، فَأَقَامَ بِهَا حِينًا ثُمَّ خَالَفَهُ أَهْلُ الْمَصَانِعِ — وَالْمَصَانِعُ جِبَلٌ بِالْيَمَنِ مَمْتَنِعٌ طَوِيلٌ وَوَرَاءَهُ جِبَلٌ آخَرُ بَيْنَهُمَا فَصْلٌ إِلَّا أَنَّهُ مُتَقَارِبٌ مَا بَيْنَهُمَا — فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمَرْوَزَانُ فَنَظَرَ إِلَى جِبَلٍ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ إِلَّا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ يَمْنَعُ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ وَاحِدٌ . فَلَمَّا رَأَى أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِمْ صَعَدَ الْجِبَلَ الَّذِي هُوَ وَرَاءَ الْمَصَانِعِ مِنْ حَيْثُ يُحَازِي حَصْنَهُمْ فَنَظَرَ

الى أضيق مكان فيه وتحت هواء لا يُقدر قدره، فلم ير شيئا أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صفين ثم يصيحوا به صيحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع حُضرا رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فاذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه حمير قالوا : هذا أئيم، والأئيم بالحميرية شيطان، فاتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضا ففعلوا واستنزلهم من حصنهم فقتل طائفة وسبي طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتعجب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقُدوم اليه وأراد أن يسامى به أساورته، فاستخلف المروزان ابنه ثم توجه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعوه في تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوضع في خزانته فكان يُخرج في كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا .

وروى أبو سُوقة التميمى عن أبيه عن جده عن أبي الأغر التميمى قال : بينا أنا واقف بصفين مر بي العباس بن ربيعة مكفرا بالسلاح وعيناه تبصان من تحت المغفر كأنهما عينا أرقم وبيده صفيحة له وهو على فرس له صعب يمنع ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم : يا عباس هلم الى البراز . قال العباس : فالتزول اذا فانه إياس من القفول . فنزل الشامى وهو يقول إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تنزلوا فانا معشر نزل

وثنى العباس وركه فنزل وهو يقول

وتصد عنك محيلة الرجل العريض موضة عن العظم
بُحسام سيفك أو لسانك والكلم الأصيل كأرغب الكلم

(١) عبارة الفتوغرافية « وبيده صفيحة له يمانية يقابلها وهو على فرس له صعب فينادو يقابلها (وايغته) »

ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ .

ثم غَضَّنَ فَصَّلات درعه في حُجْزَتِه ودفع قوسه الى غلام له أسود يقال له : أسلم
كأني أنظر الى فَلَائِل شعره ثم دَلَفَ كُلَّ واحد منهما الى صاحبه فذكرت بهما قول
أبي ذؤيب

فتنازلا وتواقفت خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مُحَدَّع

وكف الناس أعنة خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بينهما ملياً من
نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لأمته الى أن لحظ العباس وهياً في درع
الشامي فأهوى اليه بيده فهتكه الى سُدُوتِه ثم عاد لمجاولته وقد أَصْحَرَه مفتق الدرع
فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره ونحر الشامي لوجهه وكبر الناس تكبيرة
ارتجث لها الأرض من تحتهم وأنشأ العباس في الناس [وأنشأ أمره] وإذا قائل
يقول من ورأى (قَاتِلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ
قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيَذِيبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فالتفت
وإذا أمير المؤمنين رضي الله عنه علي بن أبي طالب، فقال : يا أبا الأغر، من المنازل
لعدونا؟ فقلت : هذا ابن أخيك، هذا العباس بن ربيعة. فقال : إنه لهو، يا عباس
ألم أنك وابن عباس أن تخلّا بمركز كما أو تباشرا حرباً؟ قال : إن ذلك . يعني نعم .
قال : فما عداً مما بدأ؟ قال : فأدعى الى البراز فلا أجيب؟ قال : نعم، طاعة إمامك أولى
بك من إجابة عدوك . ثم تغيط وأستشاط حتى قلت : الساعة الساعة، ثم تطأ من
وسكن ورفع يديه مبتهلاً فقال : اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه، اللهم
إني قد غفرت له فاغفر له . قال : وتأسف معاوية على عرار وقال متى يَنْطَفُ خُلٌّ
بمثله ! أَيْطَلْ دمه ! لاها الله ذا . ألا لله رجل يشرى نفسه يطلب بدم عرار؟ فانتدب له
رجلان من لحم . فقال : اذهبا فأيتكما قتل العباس برازا فله كذا . فأتياه ودعواه الى
البراز فقال : إن لي سيداً أريد أن أؤامره . فأتى علياً فأخبره الخبر، فقال علي : والله

- لَوْدَ معاوية أنه ما بقي من هاشم نافعٌ ضَرْمَةٌ الا طِينٌ في نَيْطِهٖ ^(١) إطفاءً لنور الله ويأبى الله إلا أن يُيمَّ نوره ولو كره الكافرون ، أما والله ليملكنهم منا رجال ، ورجال يسومونهم الخسف حتى يحفروا الآبار ويتكففوا الناس . ثم قال : يا عباس ناقلني سلاحك بسلاحى ، فناقله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين . فلم يشك أنه العباس فقال له : أذن لك صاحبك ؟ فخرج أن يقول نعم ، فقال : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ يَكُونُوا عَالِيَةً عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكأنما أخطأه ، ثم برز له الآخر فالحقه بالأول ، ثم أقبل وهو يقول : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ثم قال : يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى ، فإن عاد لك أحد فعُدْ الىّ ، ونمى الخبر الى معاوية فقال : قبح الله الجحاج إنه ليعود ما ركبته قط إلا خُذِلْتُ . فقال عمرو بن العاص : المخذول والله اللخميان لا أنت . قال معاوية : اسكت أيها الرجل فليس هذه من ساعتك . قال : وإن لم تكن ، رحم الله اللخميين وما أراه يفعل . قال : ذاك والله أخسر لصفقتك وأضيق لمحرك . قال : قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة منها . قال : هى أعمتك ولولا هى لألفيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية معاوى لا أعطيك دينى ولم أُلْ به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
- فإن تعطى مصرا فأرج بصفقة * أخذت بها شيئا يضر وينفع ^(٢)
- نرج الأحنس الجهنى فلقى الحصين العمري ، وكانا جميعا فاتكين ، فسارا حتى لقا رجلا من كندة فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فنزل تحت شجرة

(١) كتب فى النسخة الفتوغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هذه الجملة

فى مادة "نيط" معناه : إلامات . ثم قال : وقيل النيط نياط القلب وهو العرق الذى القلب متعلق به اهـ .

(٢) فى النسخة الألمانية : "شيئا" . (٣) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب كفى لسان العرب وفى الألمانية «العمري» بالياء وفى اللسان وجمع الأمثال يرويه الحصين الكلابى .

يأكل ، فلما انتهى اليه سلما . قال الكندي : ألا تضحَّيان؟ فتزلا . فبينما هم يأكلون
مرّ ظليم فنظر اليه الكندي^(٢) وأيده بصره فبدت له لَبَّتُهُ ، فاغتره الحصين فضرب بطنه
بالسيف فقتله ، واقتسم ماله وركباً ، فقال الأخينس : يا حصين ما صَعْلَةٌ وصَعْلٌ؟
قال : يوم شرب وأكل . قال : فأنعت لي هذه العقاب . فرفع رأسه لينظر اليها
فوجأ بطنه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا للحصين يقال لهما صَخْرَةٌ
لما أبطأ عليهما خرجت تسأل عنه في جيران لهما من مراح وجرم . فلما بلغ ذلك
الأخينس قال

وكم من فارس لا تدرية * إذا شَخَصَتْ لموقفه العيونُ
يذلّ له العزيز وكل ليث * شديد الهَضْر مسكنه العرين
علوت بياض مفرقه بعَضْب * ينوء لوقعه الهَامُ السُّكُونُ^(٣)
فأمست عِرسه ولها عليه * هدوء بعد ليلته أنين^(٤)
كصَخْرَةٍ اذ تُسأل في مراح * وفي جرم ، وعلمهما ظنون
تسأل عن حصين كل ركب * وعند جُهينة الخبر اليقين

فذهبت مثلاً

[نخرج المهديّ وعليّ بن سليمان الى الصيد ومعهما أبو دلامة الشاعر . فسبحت
لهم ظباء فرمى المهديّ ظيباً فأصابه ، ورمى عليّ بن سليمان كلباً فعقره ، فضحك
المهديّ وقال لأبي دلامة : قل في هذا ، فقال

ورمى المهديّ ظيباً * شكّ بالسهم فؤادَه

(١) في النسخة الفتوغرافية : "تصطبحان" . (٢) كذا في الأصل والنصواب أبدّه بالباء الموحدة
يقال أبدّه النظر أي أعطاه بدّته من النظر أي حظه . (٣) في الفتوغرافية «تنق» وهو من نق يتق
بمعنى صوت . (٤) كذا بالأصل وفي أمثال الميداني :

وأضحت عرسه ولها عليه * بعيد هدوء ليلتها رنين

(٥) زيادة في النسخة الألمانية .

وعلى بن سليماً * ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما **كل** امرئ يأكل زاده

قال أبو دلامة : كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى شبيب الخارجي ، فلما التقى
الزحفان خرج منهم فارس ينادي : من يبارز؟ بفعل لا يخرج إليه إنسان إلا أعجله
ولم ينهيه ، فغاض ذلك مروان ، بفعل يندب الناس على خمسمائة ، فقتل أصحاب خمس
المائة ، وزاد مروان على نذبه فبلغ بها ألفاً ، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالنذبة
خمسة آلاف درهم ، وتحتي فرس لا أخاف خونه ، فلما سمعت بخمسة الآلاف نزعته
واقترحت الصف ، فلما نظر إلى [الخارجي] علم أني خرجت للطمع ، فأقبل يتها إلى
وإذا عليه فروله قد أصابه المطر فارمعل ثم أصابته الشمس فأقفعل وعيناه تدران
كأنهما في وقين ، فدنا مني وقال :

وخارج أخرج به حب الطمع * فزمن الموت وفي الموت وقع
* من كان ينوي أهله فلا رجع *

فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هارباً ، وجعل مروان يقول : من هذا الفاضح؟
آتوني به ، ودخلت في غمار الناس فنجوت

كان خالد بن جعفر نديماً للنعمان ، فبينما هو ذات يوم عنده وقد دعا النعمان بتمر
وزبد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم . فقال النعمان : آدن يا حارث
فكُل ، فدنا . فقال خالد : من ذا أبيت اللعن ؟ قال : هذا سيد قومه وفارسهم
الحارث بن ظالم . قال خالد : أما إن لي عنده يدا . قال الحارث : وما تلك اليد ؟
قال : قتلت سيد قومك فتركك سيدهم بعده . يعني زهير بن جذيمة ، قال الحارث

(١) في الأصلين الخمس مائة وفيهما بالخمسة آلاف ، ولم يقل بصحته إلا قليل من العلماء كما في شرح المراتي
على التسهيل . (٢) ابتل . (٣) تقبض . (٤) كتب في الفنوغرافية تحته كالنفسير لها
«تلوحان» . (٥) الوقت تقر في الصخرة يجتمع فيه الماء .

أما إني ساجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزمّ وأرعدت يده ، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خالد : أيتنّ تريد فأنا وليكها ؟ قال الحارث : أيتنّ تهّمك فأدعُها ؟ ثم نهض مغضباً ، فقال النعمان لخالد : ما أردت بهذا وقد عرفت فتكّه وسفّهه ؟ فقال : أبيت اللعن ، وما تتخوف علىّ منه ؟ فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني . فانصرف خالد فدخل قُبّة له من أديم بعد هدأة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس نرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخرها فشققها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإطنابة

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَا * وَأَسْقِيَانِي مِنَ الْمُرْقُوقِ رِيَا

إِنْ فِينَا الْقِيَانُ يَعْرِفُنَ بِالضَّرِّ * بَ لَفَتِيَانِنَا وَعَيْشَا رَخِيَا

يَتَنَاهِينَ فِي النِّعِيمِ وَيَضُرُّ بُشْنُ خِلَالِ الْقُرُونِ مَسْكَ ذِكَا

أَبْلَغَا الْحَارِثَ بِنِ ظَالِمِ الرَّعْدِ^(١) وَيَلْذُرُ النُّذُورِ عَلَيَا

إِنَّمَا تَقْتُلُ النَّيَامَ وَلَا تَقْتُلُ يَقْظَانَ ذَا سَلَاكِ كَيَا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوه رجل بلسل إلا أجابه ولم يسأله عن اسمه . فأتاه الحارث ليلاً فهتف به ، فخرج إليه ، فقال : ما تريد ؟ قال أعني على أبل لبني فلان وهي منك غير بعيد فإنها غنيمة باردة . فدعا عمرو بفروسه وأراد أن يركب حاسراً . فقال له : البس عليك سلاحك فإني لا آمن امتناع القوم ، فاستلأم وخرج معه ، حتى إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى نخذ حذرَكَ يا عمرو ، فقال له : آمننّ علىّ . فجَزَّ ناصيته . وقال الحارث

عَلَّلَانِي بِلَذَّتِي قَيْسَتِيَا * قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيُونَ عَلَيَا

قَبْلَ أَنْ تَذْكُرَ الْعَوَازِلَ أَنِي * كُنْتُ قَدْ مَالَا مَرْهَنَ عَصِيَا

مَا أَبَالِي إِذَا أَصْطَبَحْتُ ثَلَاثًا^(٢) * أَرْشِيدًا دَعَوَتَنِي أُمُّ غَوِيَا

(١) في الفتوغرافية « الموعود » ولعله محوّر عن « الموعِد » كما نقل في هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى . (٢) في الألمانية : أصبت .

غَيْرَ آلَا أُسِرَّ لَهِ إِيْمَا * فِي حَيَاتِي وَلَا أُخُونَ صَفِيًّا
 بَلْغَتْنِي مَقَالَةُ الْمَرْءِ عَمْرُو * بَلْغَتْنِي وَكَانَ ذَاكَ بَدِيًّا
 نَخْرَجْنَا لِمَوْعِدٍ فَالْتَقَيْنَا * فَوَجَدْنَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَمِيًّا
 غَيْرَ مَا نَأْتُمُ يَرْوَعُ بِاللَّيْلِ ^(١) مُعِدًّا بِكِفِّهِ مَشْرِفِيًّا
 فَرَجَعْنَا بِالْمَنْ مَنَا عَلَيْهِ * بَعْدَ مَا كَانَ مِنْهُ مَنَا بَدِيًّا ^(٢)

ووفد تميم بن مرّ وبكر بن وائل على بعض الملوك، وكانا ينادمانه بخري بينهما تفاخر
 فقالا: أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فَنَحْتَا وَمُوَّهَا بِالْفَضَّةِ
 وأعطاهما إياهما، فجعلوا يضطربان بهما ملياً من نهارهما، فقال بكر
 * لو كان سيفنا حديداً قطعاً *

وقال تميم

* أَوْ نَحْتَا مِنْ جَنْدَلٍ تَصَدَّعَا *

ففرق الملك بينهما، فقال بكر لميم

* أَسَاجِلَكَ الْعِدَاوَةِ مَا بَقِينَا *

وقال تميم

* وَإِنْ مَتْنَا نَوْرُثَهَا بَنِينَا *

فأورثاها بانيهما الى اليوم .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن خَلْفِ الْأَحْمَرِ قَالَ: كَانَ أَبُو عُرْوَةَ السَّبَاعُ يَصْبِحُ
 بِالسَّبْعِ وَقَدْ أَحْتَمَلَ الشَّاةَ فَيَسْقُطُ فَيَمُوتُ فَيُشَقُّ بَطْنُهُ فَيُوجَدُ فُؤَادُهُ قَدْ آنْخَلَعَ . وَهُوَ
 مِثْلُ فِي شِدَّةِ الصَّوْتِ . قَالَ الشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ ^(٣)

(١) في النسخة الفتوغرافية "بالقتل" . (٢) كذا بالنسخة الألسانية ، وفي النسخة الفتوغرافية : ٢٠

«بعد من قد كان منا بدياً» ولعل كلمة «منا» هذه محرفة عن «منه» فيستقيم المعنى .

(٣) هو النابغة الجعدي كما في اللسان مادة (عرا) .

زَجَرَ ابْنُ عُرْوَةَ السَّبَاعَ إِذَا * أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبَسَنَّ بِالْغَنَمِ

قال : وأبو عطية عفيف النصرى نادى فى الحرب التى كانت بين ثَقِيف وبين
بنى نصر لما رأى الخليل بعقوته^(١) : يا سوء صباحاه ، أتيتم يا بنى يربوع ! فألقت الحبالى
أولادها ، فقل فى ذلك

وَأَسْقَطَ أَحْبَالَ النِّسَاءِ بِصَوْتِهِ * عَفِيفٌ لَدُنْ نَادَى بِنَصِيرٍ فَطَرَبَا

فى أخبار وهب بن منبه أن يهوذا قال لـ يوسف : لتكفنى أولاً صيحن صيحة لا تبقى
حامل بمصر إلا ألقت ما فى بطنها .

محمد بن الضمحاك عن أبيه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سلع
فينادى غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع
ثمانية أميال ، وسمع جبل وسط المدينة . وكان شبيب بن ربيع يتنحج فى داره
فيسمع تنحجه بالكساسة ، ويصيح براعيه فيسمع نداؤه على فرسخ وكان هذا مؤذن
سجاح التى تنبأت [ذكر هذا خالد بن صفوان ، وسمعه أبو الحبيب النهدي^(٢) فقال :
ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعنى سجاح] .

ذم رجل الأشر فقال له قائد : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته^(٣)
هزمت أهل العراق .

المدائنى قال : أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجل يستحمه ، فقال له :
خذ بعيرا من إبل الصدقة . فتناول ذنب بعير صعب فخذه فاقتلعه ، فعجب عمر
وقال له : هل رأيت أشد منك ؟ قال : نعم ، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى الفتوغرافية : « الحسين بن على عليهما السلام » وفيها بدل « قائد » « يزيد » .

زوجها فنزلنا منزلاً أهله خُلوْفُ فقُرِبْتُ من الحوض فيينا أنا كذلك إذ أقبل رجل
ومعه ذود والمرأة ناحية فسرب ذوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتني ،
فما انتهيت اليها حتى خالطها ، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسي فوضعه بين عضديه
وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلقى ، فقالت المرأة : أي
مخل هذا ! لو كانت لنا منه سَخْلَةٌ ! وأمهلتني حتى امتلأ نوما فقممت اليه بالسيف
فضربت ساقه فأبنتها ، فاندبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله وأخطأني
وأصاب عنق بعيري فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة ؟ قال : هذا حديث الرجل .
فكرر عليه مرارا لا يزيده على هذا ، فظن أنه قد قتلها .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أشهل بن حاتم قال حدثنا ابن عوف عن عُمَيْرِ
ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاك والمشركون يفعلون بالمؤمنين
ويفعلون . وأبو محجن في الوثاق عند أم ولد لسعد فأنشأ يقول

كفى حزنًا أن تلتقى الخيلُ بالقنا ^(١) * وأترك مشدودا على وثاقيا

إذا شئتُ غناني الحديد وغلقت * مغاليق من دوني تُصمُّ المناديا

فقالت له أم ولد سعد : أتجعل لي إن أنا أطلقتك أن ترجع اليّ حتى أعيدك
في الوثاق ؟ قال نعم ، فأطلقته فركب فرسا بلاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد
يقول : لولا أن أبا محجن في الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسي . فأنكشف
المشركون وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق وأتت سعدا فأخبرته ، فأرسل الى أبي محجن
فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا . يعني الخمر ، فقال أبو محجن : وأنا والله
لا أشربها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر ^(٢)

سأغسل عني العار بالسيف جالبا * على قضاء الله ما كان جالبا

(١) في النسخة الألمانية « تطعن » . (٢) هو سعد بن ناشد المازني كما في اللسان والحامسة .

وأذهل عن دارى وأجعل هدمها * لعرضى من باقى المذمة حاجبا
ويصغر في عيني نلادى اذا آتنت * يمينى بإدراك الذى كنت طالبا
فيا لزام رثعوا بي مقدا * الى الموت خواضا اليه الكرايبا^(١)
إذا هم لم تردع كريمة هم * ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبا^(٢)
أخا غمرات لا يريد على الذى * بهم به من مفضع الأمر صاحبا^(٣)
إذا هم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه * ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا
عليكم بدارى فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا

وقال رجل من بنى العنبر^(٤)

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذن لقام بنصرى معشر حشن * عند الكريهة إن ذو لؤثة لانا
قوم اذا الشر أبدي ناجديه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا
لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشرف فى شيء وإن هانا
يخزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل السوء إحسانا^(٥)
كأن ربك لم يخلق لحشيتة * سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا * شنوا الإغارة فرسانا وركبانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا
لكن يطيدون أشطانا إذا فزعوا * وينفرون الى الغارات وحدانا

(١) فى الحماسة «الكنايا». (٢) فى الحماسة «لم تردع عزيمة هم».

(٣) كذا فى الحماسة والذى فى الأصل «التي بهم بها من مفضع الأمر».

(٤) هو قريظ بن أئيف كما فى الحماسة. (٥) كذا فى الحماسة وفى الأصل «غفرانا».

وقال آخر

ولئن عَمَّرْتُ لِأَشْفِيَنَّ النَّفْسَ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاعِي
وَلَأُعْلِمَنَّ الْبَطْنَ أَنَّ الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعٍ
أَمَّا النَّهَارُ فَرَأَى أَصْحَابِي بِمَرْقَبَةٍ يَفَاعُ
أَثْرُ الشَّجَاعِ بِهَا كَسْرٌ * دِ الْخَرْزِ فِي سَيْرِ الصَّنَاعِ
تَرْدُ السَّبَاعِ مَعِيَ فَأُلْتَفَى كَالْمِدَلِّ مِنَ السَّبَاعِ

وقال آخر

إِنَّا مَحْيُوكَ يَا سَلْمَى فُحِينَا * وَإِنْ سَقَيْتَ كَرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
إِنَّا لَنُرِخُصُّ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا * وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أُغْلِينَا
بِيَضِّ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا * نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

وقال المعلّوط

أَلَمْ تَرَنِي خُلِقْتُ أَخَا حُرُوبٍ * إِذَا لَمْ أَجُنْ كُنْتُ مِجَنِّ جَانِي

وقال آخر^(١)

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ * نَعْيٌ سُوَيْدٌ أَنْ فَارَسَكُمْ هَوَى
أَجَلٌ صَادِقًا وَالتَّقَائِلَ الْفَاعِلَ الَّذِي * إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
فَقِيَ قَبْلَ لَمْ تَعْنَسُ السِّنُّ وَجْهَهُ * سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى

(١) هو سُوَيْدُ الْمُرَائِدِ الْحَارِثِيُّ كَمَا فِي الْخَمَاسَةِ وَاللِّسَانِ فِي مَادَّةِ «عَنْس» .

(٢) كَذَا بِالْخَمَاسَةِ وَفِي الْفَتْوَشَرِافِيَّةِ «نَعْيٌ جَوَى» ، وَفِي الْكَامِلِ «نَعْيٌ حَيٌّ» . (٣) لَمْ تَعْنَسُ :

لَمْ تَغْيِرْ . (٤) كَذَا بِالْخَمَاسَةِ وَاللِّسَانِ ، وَفِي الْأَصْلِ «شَهَبٌ» . وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّسَانُ فِي مَادَّةِ «خُلْسٌ»

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَخْلَسَ رَأْسَهُ فَهُوَ خُلْسٌ وَخُلِسَ إِذَا أَبْيَضَ بَعْضُهُ فَإِذَا غَلَبَ بَيَاضُهُ سَوَادُهُ فَهُوَ أَغْثَمٌ .

أشارت له الحرب العوان فحائها * يَقْعِيعُ بِالْأَقْرَابِ^(١) أَوَّلَ مَنْ أَتَى
وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَلَيْسَ * فَاسَى فَادَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى
وَقَالَ بَشَامَةُ

إِنَّا بَنَى نَهْشَلٍ لَا نَذِي لَأَبٍ * عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
إِنْ تُبْتَدِرْ غَايَةً يَوْمًا لَمْ كُرْمَةٍ * تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرِ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ * قِيلُ الْحِكْمَةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامِدُونَا
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا * مَنْ فَارِسٌ^(٢) خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

وقال زهير

يَطْعَنُهُمْ مَا آرَتَمَوْا حَتَّى إِذَا أَطْعَمُونَا * ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا آعْتَنَقَا
وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ كِنْدَةٍ

أَبَوَا أَنْ يَفْتَرُوا وَآلَقْنَا فِي نَحْوِهِمْ * وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُوءًا
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَتَرُوا لَكَانُوا أَعِزَّةً * وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا

وقال آخر

بَنَى عَمَّنَّا رُدُّوا فُضُولَ دِمَائِنَا * يَنْمُ إِلَيْكُمْ، أَوْ لَا تَلْمُنَا الْآوَائِمُ
فَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ وَإِنْ طَالَ تَرْكُكُمْ * كَذَى الدِّينِ يَنَأَى مَا نَأَى وَهُوَ غَارِمٌ

وقال أبو سعيد المخزومي وكان شجاعا

وَمَا يَرِيدُ بَنُو الْأَعْيَارِ مِنْ رَجُلٍ * بِالْجَمْرِ مُكْتَحِلٍ بِالنَّبْلِ مُشْتَمِلٍ
لَا يَشْرِبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ * وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ

(١) في الأصل «في الأقرب» والذي في الصلب عن الحماسة .

(٢) كذا بالحماسة وفي الأصل «عاطف» .

وقال عبد القدوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير
نَدَى تَحْكُمُ الآمَالُ فِيهِ ، وَنَجْدَةٌ * تَحْكُمُ فِي الْأَعْدَاءِ بِالْأَسْرِ وَالْقَتْلِ

وقال آخر

ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ * ضَرَبْنَا الْعِدَا عَنْكُمْ بِأَبْيَضِ صَارِمٍ
تَمَثَّلَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ

أَذَلَّ الْحَيَاةَ وَعِزَّ الْمَوْتَ * وَكَلَّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ وَاحِدٍ * فَسَيَرُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا جَمِيلًا

وقال قيس بن الخطيم

أَبْلَسَجُ لَا يَهْمُ بِالْفِرَارِ * قَدْ طَابَ نَفْسًا بِدُخُولِ النَّارِ

(١)
وقال آخر

وَمَنْ تَكُنِ الْحُضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ * فَأَيَّ رَجَالٍ بَادِيَةٍ تَسْرَانَا
وَمَنْ رَبَطَ الْجَحَاشُ فَإِنْ فِينَا * قَنَّا سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حَسَانَا
وَكُنْ إِذَا أُغْرِنَ عَلَى قَبِيلٍ * فَأَعُوزْهُمْ كَوْنٌ حَيْثُ كَانَا^(٢)
أُغْرِنَ مِنَ الضَّبَابِ عَلَى حَلَالٍ^(٣) * وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا
وَأَحْيَانَا نَكَّرَ عَلَى أَخِينَا * إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

وقالت الخنساء

تَعَرَّفَنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَرًّا * وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرْعًا وَغَمًّا

(١) هو القطامي كما في الحماسة . (٢) في الحماسة :

وَكُنْ إِذَا أُغْرِنَ عَلَى جَنَابٍ * وَأَعُوزْهُمْ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا

(٣) جمع حِلَّة بكسر أوله وهي كما في القاموس القوم النُّزُولُ ، وفي ديوان الحماسة : « حلول » جمع حَالٍ
والحي الحلول الذين يكونون في مكان واحد .

وأفنى رجالى فبادوا معا * فأصبح قلبى بهم مستفزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب ^(١) * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وفىها تقول

ونلبس للحرب أثوابها * ونلبس فى الأمن خزا وقزا

وهذا كقولهم : البس لكل حالة لبوسها .

وقال عبد الله بن سبرة الحرشى ^(٢) حين قطعت يده

وَيْلُمٌ جَارٍ غَدَاةَ الْجَسْرِ فارقنى * أعزز على به إذ بان فانصدما
يُمْنَى يَدَى غَدَتْ مَنَى مَفَارِقَةً * لم أستطع يوم خِلْطَاس ^(٣) لها تبعا
وما ضَيَّنْتُ عليها أن أصحابها * لقد حرصت على أن نستريح معا
وقائل غاب عن شانى وقائلة * ألا اجتنبت عدو الله إذ صُرعا
وكيف أتركه يمشى بمنصله ^(٤) * نحوى وأجهن عنه بعدما وقعا
ما كان ذلك يوم الرُّوع من خُلُقٍ * وإن تقارب منى الموت واكتنعا
ويلمه فارسا ولت كتيبته * حامى وقد ضيعوا الأحساب فارتجعا
يمشى الى مُستميئ مثله بطل * حتى اذا مكا سيفيهما آمتصعا
كل ينوء بماضى الحدّ ذى شطب ^(٥) * جلّى الصياقل عن ذريه ^(٦) الطبعَا
حاشيته الموت حتى آشتف آخره * فما استكان لما لاقى وما جَزعا

(١) كذا فى النسخة الفئوغرافية وهو الموافق لما فى الكامل للبُرد ، وفى النسخة الألمانية « يقاسى » .

(٢) فى الأصل الفئوغرافى « الحرشى » ويوافقه ما فى الأمالى ج ١ ص ٤٩ وصرابه « الحرشى »

قال ابن قتيبة فى المعارف وأما الحرش بن كعب فمنهم مطرف بن عبد الله بن الشخير وزرارة بن أوفى وعبد الله

ابن سبرة الحرشى الذى قطع يده اطر يانوس الرومى ٥٠ (٣) فى الأمالى « فاطاس » . (٤) فى النسخة

الفئوغرافية « أنكبه » . (٥) كذا بالأصل يعنى تلائمه وإشراقه ، ورواه فى اللسان وفى الأمالى « ذريه »

والذرى فرند السيف وماؤه . (٦) كذا بالأصل وهى محرفة عن « حاشيته » بالسین المهملة .

كَأَنَّ لَيْتَهُ هُدَّابٌ مُجَمَّلَةٌ ^(١) * أَحْمَرُ أَرْزُقُ لَمْ يَشْمَطْ وَقَدْ صَلَا
فَان يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومِ قَطْعُهَا * فَقَدْ تَرَكْتُ بِهَا أَوْصَالَهُ قِطْعًا
وَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومِ قَطْعُهَا * فَإِنْ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُتَفَعًا
بَنَاتَانِ وَجُدْمُورٌ ^(٢) أَقِيمُ بِهَا * صَدْرُ الْقَنَاةِ إِذَا مَا آتَسُوا فَرَعًا

وقال بعض الشعراء

إِنْ لَنَا مِنْ قَوْمِنَا نَاصِرَةٌ * بِيضُ الظُّبَا سُمُرُ الْقَنَاةِ شُهِبُ اللَّحْمِ
يَسْتَنْفِرُونَ الْمَوْتَ مِنْ جَحِيمِهِ ^(٣) * وَيَبْعَثُونَ الْحَرْبَ مِنْ عَقْدِ السَّلَامِ
أُولَئِكَ قَيْسُ قَوْمِنَا أَكْرَمُ بِهِمْ * قَيْسُ النَّدَى قَيْسُ الْعَلَا قَيْسُ الْكَرَمِ

وقال جعفر بن عتبة الحارثي

لَيْسَ عَقِيلًا أَتَى قَدْ تَرَكْتُمَا ^(٤) * يَبْزُؤُ بِقَتْلَاهَا الذَّنَابَ الْهَوَامِلَ
لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَرْقَةٍ سَحَابِلٍ * وَلِي مِنْهُ مَا صُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
إِذَا الْقَوْمُ سَدُوا مَا زَقَافَتِ رَجْتُ لَنَا * بِأَيْمَانِنَا بِيضُ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ

وقال عمرو بن معديكرب

أَعَاذَلْ شِكَّتِي بَزَى وَرَمَحِي * وَكَلْ مَقْلَصُ سَاسِ الْقِيَادِ
أَعَاذَلْ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي * رَكُوبٌ فِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمُنَادَى

قال أبو دلف

لَقَدْ عَلِمْتُ وَائِلَ أَتْنَا * نَحْوُضِ الْخُتُوفِ غَدَاةَ الْخُتُوفِ
وَلَا تَنْقِيهَا بَرْخَفِ الْفِرَارِ * إِذَا مَا الصِّفُوفُ أَنْهَرَتْ لِلصِّفُوفِ

(١) كذا بالأصل وهي محرفة عن «أحم» والحق كما قال ابن سيدة لون بين الذهبية والفضية .

(٢) الجدمور هنا ما بقى من يده بعد قطعها . (٣) في النسخة الألمانية «يتعنون» .

(٤) في الأصلين : * تبوء بقتلها دماء هوامل * وقد أخذنا ما في الأصل عن هامش النسخة

ويوم أفاءت لنا خيلنا * لدى جبل الديلمى المنيف
طوال الفتي بطوال القنا * وبيض الوجوه ببيض السيوف
وكل حصان بكل حصان * أمين شظاه سليم الوظيف
ألا نعماني فما نعمتي * برادعتي عن ركوب المخوف
لى الصبر عند حلول البلا * إذا نزلت بي إحدى الصروف
وان تسألى تخبرى أنى * أفى حسبي بألوف الألوف
وأحلم حتى يقولوا ضعيف * وما أنا - قد علموا - بالضعيف
خفيف على فرسى ما ركبت * ولست على ظالمى بالخفيف

باب الحيل فى الحروب وغيرها

١٠ قال ابن اسحاق : لما نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، مرة حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبروني ممن أنتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أخبرتنا أخبرناك» . فقال الشيخ : خُبرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا ، فان كان الذى خبرنى صدق فهى اليوم بمكان كذا ، للموضع الذى به قريش . وخُبرت أن محمدا خرج من المدينة وقت كذا ، فان كان الذى خبرنى صدق فهو اليوم بمكان كذا ، للموضع الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول : نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

حدثنى سهل بن محمد قال حدثنى الأصمعى قال حدثنى شيخ من بنى العنبر قال : أسرت بنو شيبان رجلا من بنى العنبر فقال لهم : أرسل الى أهلى ليقتدونى . قالوا : ولا تكلم

الرسول إلا بين أيدينا . فجاءوه برسول فقال له : آئت قومي فقل لهم : إن الشجر قد
أورق وإن النساء قد آشتكت . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك ؟ قال : نعم أعقل .
قال : فما هذا ؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلي
فقل لهم : عسروا جملي الأصهب وأركبوا ناقتي الحمراء وسلوا حارثا عن أمري . فأتاهم
الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا إلى حارث فقص عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم :
أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا . وقوله «إن النساء
قد آشتكت» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكاء للغزو ، وهي أسقية ، ويقال للسقاء الصغير
شكوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثل الليل أو في الليل . وقوله : «عسروا
جملي الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصّان . وقوله : «اركبوا ناقتي الحمراء» يريد اركبوا
الدّهناء . قال فلما قال لهم ذلك تحولوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .
أرسل على بن أبي طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال :
أئت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير أئین وأنت تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه ، يركب
الصعوبة ويقول هي أسهل ، فأقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتنى
بالحجاز وأنكرتنى بالعراق ، فما عدا بما بدا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال
قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأم
مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نحل ما أحللت ونحرم ما حرمت .
الهيثم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجي على غلام في الفرات يستنقع في الماء ،
فقال له شبيب : اخرج إلى أسائك . قال : فأنا آمن حتى ألبس ثوبي ؟ قال :
نعم . قال : فوالله لا ألبسه .

قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الهرمزان . فاستسقى فأثى بماء فأمسكه بيده
وأضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إني غير قاتلك حتى تشربه . فألقى القدح

من يده وأمر عمر بقتله ، فقال : أو لم تؤمنني ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه ، ولا بأس أمان ، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله ! أخذ أمانا ولم نشعر به . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

العتبي : بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عضاء الأشعري الى ابن الزبير فقال له : إن أول أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست في عنقي بيعة ليزيد . فقال عبيد الله : يامعشر قريش ، قد سمعتم ما قال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائني قال : أقبل واصل بن عطاء في رُفقة فلقبيهم ناس من الخوارج ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله ، فأعرضوا علينا . فعرضوا عليهم فقال واصل : قد قبلنا . قالوا : فأمضوا راشدين . قال واصل : ما ذلك لكم حتى تبلغونا مأمنا . قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلغونا مأمنا . بخاءوا معهم حتى بلغوا مأمنا .

وقال معاوية : لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ولا الأموي غير حليم ولا الزُّبيري غير شجاع ولا المخزومي غير تيّاه . فبلغ ذلك الحسين بن علي فقال : قاتله الله ! أراد أن يهود بنو هاشم فينفد ما بأيديهم ، ويحلم بنو أمية فيتجيبوا الى الناس ، ويتشجع آل الزبير فيفتنوا ، ويتيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عمر بأض اليهودي وهم بحرورى فقال : هل نخرج اليكم في اليهود شيء ؟ قالوا : لا . قال : فأمضوا راشدين .

المدائني قال : لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن نحرسان واستعمال يزيد بن المهلب كتب اليه ثلاث صحائف ، وقال للرسول : ادفع اليه هذه ، فان دفعها

الى يزيد فادفع اليه هذه ، فان شمتني عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكتاب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين ، إن من بلائي في طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثاني وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمن ابن دحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! فشم قتيبة ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأوثقن لك أخية لا ينزعها المهر الأرن . قال سليمان : عجلنا على قتيبة . يا غلام ، جدد له عهده على خراسان .

لما صرف أهل مزة الماء عن أهل دمشق ووجهوه الى الصنخاري كتب اليهم أبو الهيثم^(١) : الى بني آستها أهل مزة ، ليسيني الماء أو لتصبحنكم الخليل . فوافاهم الماء قبل أن يعتموا فقال أبو الهيثم : «الصدق يئني عنك لا الوعيد» .

ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكنو والتربص ، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإني «أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى» فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت ، والسلام .

ولما هزم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لم يذر الناس كيف يعزونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأهم فقال : [مرحبا بالصاهر المخدول] الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومي — وكان عامل يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عقبة المسمى ، فأتاه الكتاب وهو بأثر رمل ، وفي الكتاب : أصلح الله

(١) في النسخة الفتوغرافية : أبو الهيثم . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

الأمير، إن ابن الزبير أتاني بما لا قبل لي به فأنحرت . فقال : يا غلام أكتب إليه :
أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أن ابن الزبير أنك بما لا قبل لك به فأنحرت . وآيم الله
ما أبالي على أي جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبهما الي ، وبالله لئن بقيت
لك لأنزلك حيث أنزلت نفسك والسلام .

٥ أبو حاتم قال ، حدثنا العتيبي قال حدثنا إبراهيم قال : لما أسن معاوية اعتراه
أرق فكان إذا هوم أيقظته نواقيس الروم ، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال :
يا معشر العرب ، هل فيكم فتي يفعل ما أمره وأعطيه ثلاث ديات أعجّلها له وديتين
إذا رجع ؟ فقام فتي من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . قال : تذهب بكتبي^(١) إلى
ملك الروم ، فإذا صرت على بساطه أذنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال
لقد كلفت صغيرا وآتيت كبيرا . فكتب له ونرج ، فلما صار على بساط قيصر أذن ،
فتناجرت البطارقة وأخترطوا سيوفهم فسبق إليه ملك الروم بغنا عليه وجعل يسألهم
بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفّوا ، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين
رجليه ، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسن وقد أرق وقد آذته^(٢)
النواقيس ، فأراد أن يقتل هذا على الأذان فيقتل من قبله منّا ببلاده على النواقيس ،
والله ليرجعن إليه بخلاف ما ظن . فكساه وحمله فلما رجع إلى معاوية قال : أوقد
جئتني سالما ؟ قال : نعم ، أما من قبلك فلا .

وكان يقال : ما ولي المسلمين أحد إلا ملك الروم مثله إن حازما وإن عاجزا .
وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دقن لهم الدواوين ودوخ لهم العسود ،
وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال :
كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قبلهم الدنانير ، وكان

(١) لعلها تذهب بكتابي الخ . (٢) في النسخة الألمانية : يديه .

عبد الملك أول من كتب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الطوامير، فكتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فإنه عنه وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكره ما تكرهون . فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدنانير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بنات طبق^(٢) ، وأخبره الخبر . فقال : ليفرخ روعك ، حرم دنانيرهم وأضرب للناس سيككا ولا تعفهم مما يكرهون . فقال عبد الملك : فترجتها عني فرج الله عنك .

حدثنا الرياشي قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم : إنك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك ، وإن كان باطلا فقد خالفته . فكتب إليه الوليد (وَدَاوُدَ وَسَلَمَانَ إِذْ يَخْتَكِمَانِ فِي الْحَرِّ) إلى آخر القصة .

حدثنا الزياتي محمد بن زياد قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر إلى معاوية : سلام عليك ، أما بعد فأنبئني بأحب كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، ومن أكرم عباده إليه وأكرم إمامه ، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يرتكضن في رحم ، وعن قبر يسير بصاحبه ومكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة ، والمجرة ما موضعها من السماء ، وقوس قزح وما بدء أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم آله ! ما أدرى ما هذا ! . فأرسل إلى يسألني فقلت : أما أحب كلمة إلى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهي المنجية ، والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق ، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر ، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود ، والخامسة

لا حول ولا قوة إلا بالله . وأما أكرم عباد الله إليه فآدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها ، وأكرم إمامه عليه مريم التي أحصنت فرجها . والأربعة التي فيهن روح ولم يرتكضن في رحم فآدم وحواء وعصا موسى والكبش . والموضع الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفلق لموسى وبني إسرائيل . والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فاقعدهما بين يديه وجعل يسألها عن أعمالها إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية ، فقال له معاوية : أعلت تعيب وإلى تقصد؟ هلم حتى أخبر أمير المؤمنين عن عمالك وتجنبره عن عملي . قال عمرو : فعلت أنه بعمل أبصر مني بعمله وأن عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يأتي على آخره ، فأردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفعت يدي فلطمت معاوية ، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفه منك ، يا معاوية أطمه . فقال معاوية إن لي أميرا لا أقضي الأمور دونه . فأرسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له ويساده ثم قال معذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه » ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت إلى؟ أخوه وأبن عمه وقد أتى غير كبير ، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال ذكر بشر بن أرطاة عليا فزال منه فضرب زيد بن عمر — وأمه ابنة علي بن أبي طالب — على رأسه بعصا فشججه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر : أتدري ما صنعت؟ وثبتت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى بشر فقال أتدري ما صنعت؟ وثبتت على ابن الفاروق وابن علي بن أبي طالب تسببه وسط الناس وتزدريه ، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء .

المدائني قال : كان ابن المقفع محبوبا في نِجَاج كان عليه وكان يعذب ، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعين^(١) من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال المختار : ادعوا إلى المهدي محمد بن الحنفية .
فلما خشي أن يحيى قال : أما إن فيه علامة لا تخفى ، يضربه رجل بالسيف ضربة
لا تعمل فيه . قال الأصمعي عرضة لأن تجرب به .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عوانة بن الحكم الكلبي قال : ولّى عليّ رضي الله عنه الأشرم مصر فلما بلغ العريش أتى بطراً مصر فقال له مولى لعثمان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر ، هل لك في شربة من سويق أجدها لك ؟ قال : نعم . فجدها له بعسل وجعل فيها سماً قاضيا فلما شربها يبس ، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردها
على الكبد ! « إن الله جنودا منها العسل » . وقال عليّ « لليدين وللغم » .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد^(٢) قال نظر عليّ إلى ولد عثمان كأنهم مستوحشون فسألهم فقالوا نرعى بالليل ، فقال : من أين يأتيكم الرمي ؟ قالوا : من ههنا . فصعد عليّ ولف رأسه ثم جعل يرمي وقال : إذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمي .
قال محمد بن كعب القرظي : جاء رجل إلى سايان النبي عليه السلام فقال يا نبي الله :
إن لي جيرانا سرقوا إوزتي فنأدي : الصلاة جامعة . ثم خطبهم فقال في خطبته :
وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح رجل علي
رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

(١) العين والعينة الربا ، وعين التاجر وتعين أخذ بها .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "أبي الزناد" .

أخذ الحكم بن أيوب الثقفي عامل الجحاج إياس بن معاوية في ظنّة الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجي منافق وشتمه ، ثم قال آتني بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بي منك . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إياس : ففيم هذه الشهادة منذ اليوم . فضحك وخلق سبيله .

دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس قد ردك الله على عقبيك ؟ قال : ومن ردّ عليك فقد ردّ على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصاري يختلف إلى الضحّاك بن مزاحم فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : يمنعني من ذلك حيّ للخمر . قال فأسلم وأشربها . فأسلم ، فقال له الضحّاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك . فحسن إسلامه .

دخلت أمّ أفعى العبديّة على عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغيرا ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوة الله .

العتبيّ قال كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة : أمّا بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال . إني والله قد لبستكم فأخلفتكم ورقعت بكم فاخرقتكم ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني . وآيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأذلّ غابركم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثّل

اعمل الحلم دل على قومي * وقد يُستضعف الرجل الحليم

ومارست الرجال ومارسوني * فمعوجّ على ومستقيم

أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سراقه بن مرداس البارقي أسيرا يوم
جَبَانَةِ السَّبِيْع ، فقدم في الأسرى فقال

امنن على اليوم يا خير معد * وخير من حل بصحراء الجند^(١)
* وخير من لي وصلي وسجد *

ففعلا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق^(٢) بن الأشعث عليه فحىء بسراقه أسيرا فقال
له المختار : ألم أعف عنك ؟ أما والله لأقتلنك . قال : إن أبي أخبرني أن الشام ستفتح
لك حتى تهدم مدينة دمشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلني . ثم أنشده

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا

نخرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان نخرجنا بطرا وحيئا

نراهم في مصففهم قليلا * وهم مثل الدبأ لما ألتقينا^(٣)

فأسبح إن قدرت فلو قدرنا * لجرنا في الحكومة وأعتدينا

تقبّل توبة مني فاني * سأشكر إن جعلت النقد دينا

نفخلى سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سراقه فأخذ أسيرا فقال : الحمد لله الذي

أمكنني منك يا عدو الله ، فقال سراقه : ما هؤلاء الذين أخذوني ! فأين هم ؟ لا أراهم !

إنما ألتقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض على خيل يلق تطير بين السماء والأرض .^(٤)

فقال المختار : خلّوا سبيله ليخبر الناس . [ثم عاد لقتاله وقال

ألا من نخب المختار عني * بأن البلق بيض مصمتات^(٥)

(١) في النسخة الفتوغرافية "بشجر والجند" وهو محذوف وصوابه كما في الطبري "بشجر والجند" .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "عبد الرحمن" وقد صوبه في هامشها بأنه إسحاق ويرجح ما في الطبري والعقد الفريد .

(٣) في النسخين «إن» وفي ابن جرير «فأسبح اذ ملكت» وهو الأنسب . (٤) زيادة في النسخة

الألمانية . (٥) في الطبري .

أَرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ ۝ كَلَانَا عَالَمٌ بِالتُّرَّهَاتِ
كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا ۝ عَلَى قَتَالِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ]

خرج المغيرة بن شعبة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وكانت له عترة يتوكأ عليها فرما أثقلته فيرمى بها قارعة الطريق فيمتر بها المسار فيأخذها ، فإذا صار إلى المنزل عرفها فأخذها المغيرة ففطن له علي رضي الله عنه فقال : لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لئن أخبرتني لأترد بعدها ضالة أبدا ، فأمسك علي .

باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن سمالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان إذا سمعهم يقولون : يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة ، قال : ما أحقكم ! إن بعد الاثني عشر ثلاثة منا : السفاح والمنصور والمهدي يسلمها إلى الدجال . قال أبو أسامة : تأويل هذا عندنا أن ولد المهدي يكونون بعده إلى خروج الدجال .

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم : أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب . وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وأما الجزيرة فخروية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى . وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحارب

الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذألون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج ويؤملون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات نفحة تخرج من أفواه منكرة ، وبعد فكأنى أتفأل الى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

- وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : كنت مع مروان بن محمد بالزأب ٥ فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه ؟ قلت : نعم ، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفراً رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية ؟ فقال : بلى قد عرفته والله ، يا بن جعدة ليت على بن أبى طالب [فى الخيل] يقابلنى . إنّ علياً وأولاده لا حظّ لهم فى هذا الأمر ، وهذا رجل من بنى العباس ومعه ريج خراسان ونصر الشام ، يا بن ١٠ جعدة أتدرى لم عقدت لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدرى . قال : لآنى وجدت الذى بلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله ، فكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك .

- وكتب مروان الى عبد الله بن على : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صائراً اليكم ، فإذا ١٥ كان ذلك فاعلم أن حرماً حرماً . فكتب اليه عبد الله إنّ الحق لنا فى دمك وإنّ الحق علينا فى حرملك .

- سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبناءهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصبة السموات وإيثار اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلاً منهم ٢٠ باستدراج الله وأمثاً لمكره ، فسلبهم الله العزّ ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :

(١١) يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن معه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكلّمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سليم لي فاقتريشته بها وأقيمت ثلاثا ، فأتاني ملك النوبة وقد خبر أمرنا ، فدخل على رجل طوال أقنى حسن الوجه فقعده على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟ قال : لأني ملك ، وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه . ثم قال لي : لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ؟ قلت : آجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأن الملك زال عنا . قال : فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهّالنا . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم ؟ قلت : ذهب الملك منا وقتل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فأطرق ملأً وجعل يقلب يديه وينكت في الأرض [ويقول^(٢٠) : عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا ! يردده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أتم قوم استحلتم ما حرّم عليكم وركبتم ما عنه نهيتهم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسم الذل بذنوبكم ، والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم إليه وأرتحلوا عن بلدى ، ففعلت ذلك .

ولما أفتتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبي عون ومن معه من أهل خراسان : إن لي في بقية آل مروان تديرا فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكل عُدّة ، ثم

(١) في الفتوغرافية « عبيد الله » . (٢) في الفتوغرافية بدل هذه الجملة « وينكت في الأرض ويردد

كلامى ثم قال الخ » . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آخر الحكاية ويؤيده

ما في الكامل للبرد أنها وقعت مع عبد الله بن علي وقد كان أميرا على الشام من قبل المنصور .

- بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولد لهم ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي: ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولدتهم. قال: فانصرف ودع القوم. فأبى أن يفعل وقال: إني خالهم ومنهم. فلما استقر بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل، فأيقن القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن علي؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن علي بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟ ثم قيل: ائذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقاً فأوماً إليه: أن ارتفع، فأجلسه معه على طنفسه وقال للباقيين: اجلسوا. وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال: أين العبدى الشاعر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها
- أما الدعاة إلى الجنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار

- فلما أنشد أبياتاً منها قال الغمر: يابن الزانية. فانقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال: امض في نشيدك. فلما فرغ رمى إليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثل بقول القائل

- ولقد ساءنى وساء سوائى * قربهم من منابر وكراسى^(٤)
- أنزلوها بحيث أنزلها الله به بدار الهوان والإتعاس^(٥)
- [لا تُقِلنَّ عبدَ شمسٍ عثّاراً * وأقطعوا كل نخلة وغراس^(٦)]
- واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقيلاً بجانب المهراس

- (١) ربّاهم. (٢) في الفتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين.
- (٣) في الفتوغرافية «هشام» ولكنه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.
- (٤) كذا بالنسخة الألمانية، وفي الفتوغرافية «نمارق» ولعله في الكامل للبرد.
- (٥) زيادة في النسخة الألمانية. (٦) كذا بالأصل، وفي الكامل للبرد «كل رقلة وأواسى» وقال: الرقلة النخلة الطويلة والأواسى جمع آسية وهى أصل البناء بمنزلة الأساس.

ثم قال لأهل خراسان : ديهيد^(١) . فشدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبي فقال : أيها الأمير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال
ومدخِل رأسه لم يذنه أحد * بين القرينين حتى لزه القرن

ثم قال : ديهيد . فشدخ الكلبي معهم ثم التفت الى الغمر فقال : لا خير لك في الحياة بعدهم . قال : أجل ، فقتل ثم دعا برباذع فالتقاها عليهم وبسط عليها الأنطاع ودعا بغداديه فأكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تنهات بطعام منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم بخروا بأرجلهم وأغنم أهل خراسان أموالهم ثم صلبوا في بستانه . وكان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرواق الى البستان فاذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا الباب ! فقال : والله لرائحتها أحب الى وأطيب من رائحة المسك . ثم قال

حسبت أمة أن سترضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد وإلهه * حتى تباح مهولها وحزونها
وتذل ذل حيلة حليلها * بالمشرقة وتسترده ديونها

وأنى المهدي^(٢) برجل من بنى أمة كان يطلبه فتمثل بقول سديف شاعرهم
جرد السيف وأرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أموياً
لا يغترنك ما ترى اليوم منهم * إن تحت الضلوع داء دويأ

فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

فقال المهدي^(٣) : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

وقال رجل : كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد في المسجد ، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوهُ الى نفسه ، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول : الجواب . فقال : ليس له جواب ، قل لصاحبك : دعنا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في عافية .

- ٥ وكان عمرو بن عبيد اذا رأى المنصور يطوف حول الكعبة في قُرطين يقول : إن يُرِدَ الله بآمة محمد خيرا يُؤَلِّ أمرها هذا الشاب من بني هاشم ، وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الانصراف ، قال : يا أبا عثمان سأل حاجتك . قال : حاجتي ألا تبعث الىّ حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك ، ثم نهض فقال المنصور
- كُلُّكُمْ مَا شِئَ رُوِيَ * كَلُّكُمْ خَاتِلٌ صِيدٌ
- ١٠ * غير عمرو بن عبيد *

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال

- صَلِّ الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْ مَتَوَسَّد * قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانِ
- قَبْرًا تَضُمَّنْ مُؤْمِنًا مَتَحَنِّنًا * صَدَقَ الْإِلَهَ وَدَانَ بِالْقُرْآنِ
- وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي سَنَةٍ * فَصَلِّ الْحَدِيثَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانِ
- ١٥ فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا * أَبْقَى لَنَا حَيًّا أَبَا عَثْمَانَ

- قال الوضّاح بن حبيب : كنا اذا خرجنا — يعني أصحابه — من عند المنصور صرنا الى المهدى وهو يومئذ ولى عهده ففعلنا ذلك يوما فابرز الى يده ، ولم يكن ذلك من عادته ، فأكبت عليها فقبلتها وضرب بيدي الى يده ، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده ، فوضع في يدي كتابا صغيرا تستره الكف ، فلما خرجت فتحتّه فاذا فيه : يا وضّاح ، اذا قرأت كتابي فاستأذن الى ضياعك بالرّبيّ ، فرجعت فقلت للرّبيع :
- ٢٠ استأذن لي . فدخل فاستأذن ، فأذن لي ، فدخلت فقلت : يا أمير المؤمنين ، ضياعي بالرّبي

قد اختلّت وبي حاجة الى مطالعتها فقال : لا ، ولا كرامة ، فخرجت . ثم عدت اليه
اليوم الثاني والقوم معي فدخلنا فاستأذنته ، فردّ الى مثل الجواب الأول . فقلت : يا أمير
المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك ، فسرى عنه ، ثم قال : اذا شئت
فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولى حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج
الى خلوة . فنهض القوم وبقى الربيع قلت : أخانى . قال : ومن الربيع وبينكما
ما بينكما ! قلت : نعم . فتنحّى الربيع ، فقال : قد خلوت فقل إن جدت لى بمالك
ودمك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أنا ومالى إلا من نعمتك ، حقنت دمي ودم أبى
ورددت على مالى وآثرته بصحبتك . قال : إنه يهيجس فى نفسى أن جهورا على
خلع وليس له غيرك لما أعرفه بينكما ، فظهر إذا صرت اليه الواقعة فى ^(١) والنقص لى
حتى تعرف ما عنده ، وإن رأيته يهيم بخلع فاكذب الى ، ولا تكتب على يد بريد ولا
مع رسول ولا يفوتنى خبرك فى كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطار فى دار
القطن فهو يوصل كتبك فى كل يوم الى . قال : فمضيت حتى أتيت الرى فدخلت
على جهور فقال : أفلت ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أوانسه بالواقعة فيه حتى
أظهر ما ظن به المنصور فكتبت اليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبي على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم العقيلي
وعبد الملك بن حميد الشامي الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغم ذلك
المنصور ، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام رده . فلما رجع قال : يا أبا محمد إن
إسحاق بن مسلم حدّثنى أن رجلا هلك بدمشق وترك ناضا كثيرا وأرضا ورقيقا وزعم أنه
مولاكم وأشهد على ذلك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذلك مولانا قد كنت أعرفه
وأكتبه . فقال المنصور : يا إسحاق ، أعجبك كلامه فأحببت أن تعرفه .

(١) فى النسخة الألمانية : « جوهر » وهو تحريف إذ هو جهور بن مرار العجلي أحد قواد المنصور .

أبو الحسين المدائني قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى ؟ فتمثل عبد الله فقال

ألم تر حَوْشًا أَمْسَى يُبْتَنَى * قصورا نفعها لِبْنِي بُقَيْلَه

يُؤْمَلُ أَنْ يَعْمَرَ عَمْرَ نوح * وأمر الله يحدث كلَّ ليلة

ثم أنبئه فقال : أقاني [أقالك الله^(١)] . قال : لا أقالني الله إن بت في عسكري ، فأخرجه الى المدينة . [حنش بن المغيرة قال : جئت وأبو ذر أخذ بحلقة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبو ذر الغفاري ، من لم يعرفني فأنا جُنْدَبُ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا»] .

حدثنا خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شَبَابَةُ بن سَوَّار عن يحيى بن إسماعيل ابن سالم عن الشعبي قال ، قيل لابن عمر : إن الحسين قد توجه الى العراق ، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائباً في مال له فقال : أين تريد ؟ قال : العراق . وأخرج اليه كتباً وطوامير قال : هذه كتبهم وبيعتهم . فناشده الله أن يرجع فأبى فقال : أما إني سأحدثك حديثاً : إن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فخبره بين الدنيا والآخرة فأختار الآخرة ، وإنكم بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فأرجع . فأبى فأعتقه وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

حدثني القاسم بن الحسن عن علي بن محمد عن مسلمة بن محارب عن السَّكَن قال : كتب الحسين بن علي رضي الله عنهما الى الأحنف يدعوهُ الى نفسه فلم يرد الجواب وقال : قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إِيَالَةً لِلْمَلِكِ ولا جمعاً لِلْمَالِ ولا مَكِيدَةً

في الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب ؟ إن أحببناهم قتلونا ، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعب بن الزبير خرجت سُكينة بنت الحسين تريد المدينة فاطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدِّي وأبي وعمِّي وزوجي مُصعباً ، أيتَّموني صغيرة وأرملتُموني كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

إِبلُك حُسيناً ليوم مَصرعه * بالطَّف بين الكُتائب الخُرُس

أضحت بنات النبيّ اذ قُتلوا * في مَأْتَم والسباع في عُرُس

روى سنان بن حَكيم عن أبيه قال : انتهب الناس ورُسا في عسكر الحسين (١) ابن علي يوم قُتل فما تطيبت منه امرأة إلا برِصت . ولما قُتل حسين قالت بنت لعقيل بن أبي طالب

ماذا تقولون إن قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم أفضل الأئم

بعثتني وبأهلي بعد منطلق * منهم أسارى وقتل ضرجوا بدم (٢)

[ما كان هذا جزائي أن نصحت لكم * أن تحلفوني بقتل في ذوى رحى]

فما سمعها أحد إلا بكى .

[دخل زيد بن عليّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفتا .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا جابر إنك ستعمر بعدى حتى يولد لي مولود اسمه كَأْسَى يَبْقُرُ العلم بَقْرًا فإذا لقيته فأقرئه مني السلام» فكان جابر يتردد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادى : يا باقر، حتى قال

(١) كذا بالألمانية وفي الفتوغرافية «سيار بن الحكم» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

الناس : قد جُنَّ جابر . فبينما هو ذات يوم بالبلاط اذ بَصُرَ بِجارية يتوزكها صبيّ فقال لها : يا جارية ، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . فقال : أدنيه مني فأدنته منه فقَبَّلَ بين عينيه وقال : يا حبيبي ، رسول الله يقرئك السلام . ثم قال : نُعِيتَ الى نفسي وربّ الكعبة . ثم انصرف الى منزله وأوصى فمات من ليلته .

[قال هشام بلغني أنك تَرَبَّصُ^(١) نفسك للخلافة وتطمع فيها وأنت ابن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم في أولاد السّراري تقصيرا عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث اليه بهذه الأبيات]

مهلا بنى عمنا عن نحت أثلتنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تُهينونا ونكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبكم * ولا نلومكم ألا تحبونا

[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا في كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

قالت الحكماء : المدائن لا تبني إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلاء والمحتطب .

قال ابن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله في ماء ثم شربه عوفي من وبائها . وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من خُثَا^(٢) أرضنا فقلما أكل قوم من خُثَا أرض فضرهم ماؤها .

(١) هكذا في الأصل ، وفي الجملة حذف . ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن علي ، كما يدل عليه باقي

القصّة ورواية العقد الفريد ، وقد وردت القصّة كاملة هكذا في النسخة الألمانية ، واقتصر في الفتوغرافية

على قوله « كتب زيد بن علي بن الحسين الى هشام بن عبد الملك » ثم ساق الأبيات .

(٢) الفخا : توابل القدور كالفلقل والكون ونحوهما : لسان العرب .

حدثني الرياشي قال حدثني الأصمعي قال قال معاوية : أغبطُ الناسَ عندى سعد مولاى ، وكان يلى أمواله بالبحار ، يترجُ جُدَّةً ويتقيظ الطائف ويتشتى مكة .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : الخطر والكُندر والعصب والورس .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : اليهود لا تأكل من بقل سُورَى وتقول : هى مَغِيض الطوفان . قال وقال الأصمعي عن معمر^(١) قال : سبعٌ محفوظات وسبع ملعونات ، فمن المحفوظات تَجْرَان ومن الملعونات أَثَافِتُ [وَبَرْدَعَةُ] . وَأَثَافِتُ باليمن . وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة : ما تسمى هذه القرية ؟ فقالت ويحك ! أما سمعت قول الشاعر

أحب أَثَافِتَ عِنْدَ الْقَطَافِ * وَعِنْدَ عُصَاةٍ أَعْنَابُهَا

[قال الأصمعي : سواد البصرة الأهواز ودَسْتِيَسَان وفارس ، وسواد الكوفة كَسْرَ الى التراب الى عمل حُلْوَان الى القادسية ، وعمل العراق هَيْتُ الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الرى وحُرَّاسَان الى الديلم والجلال كلها ، وأصبهان صرّة العراق افتتحها أبو موسى الأشعري ، والجزيرة ما بين دَجَلَة والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل فى عمل العراق] .

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقرْدَى تسمى سوق ثمانين ، كان نوح لما نرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فهى اليوم تسمى

(١) فى النسخة الألمانية «معتمر» وهو تحريف إذ هو أبو عبيدة معمر بن المنثى اللغوى النحوى وقد كان معاصرا للأصمعي . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) كذا فى الأصل وهى محرفة عن «الزاب» كما فى ياقوت .

سوق ثمانين . قال : وحران سميت بهاران بن آزر أنحى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

(١) [قال النبي صلى الله عليه وسلم لبريدة : « يا بريدة إنه سيبعث بعدى بعوث فإذا بُعثت فكن في أهل بعث المشرق ثم في بعث خراسان ثم في بعث أرض يقال لها : مرو ، فإذا أتيتها فانزل مدينتها فإنه بناها ذوالقرنين وصلى فيها ، غزيرة أنهارها تجري بالبركة ، في كل ثقب منها ملك شاهر سيفه يدفع عنها السوء الى يوم القيامة » فقدمها بريدة فمات بها] .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني الأصمعي قال أخبرني الثمر بن هلال الحبطي عن قتادة عن أبي جلد (٣) قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ . وأرض العرب ألف فرسخ .

[وقال أبو صالح كما عند ابن عباس فأقبل رجل بفلس ، فقال له : ممن أنت ؟ قال من أهل خراسان ، قال : من أي خراسان ؟ قال : من هراة ، قال : من أي هراة ؟ قال : من بوشنج . ثم قال : ما فعل مسجدها ؟ قال : عامر يصلي فيه . قال : ابن عباس كان لابراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بوشنج . ثم قال : ما فعلت الشجرة التي عند المسجد ؟ قال : بحالها . قال : أخبرني العباس أنه قال في ظلها] .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « يزيد » وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية « أبي الجلد » ولم نعثر في كتب التراجم على من تكنى بهذه

الكنية ، على أن من شيوخ قتادة « أبا بردة بن أبي موسى » فلعله محرف عنه .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون^(١) الحراني عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة ويا أتباع البهيمة ، رثا فأتبعتم وعقر فأنهزتم . أما إني لا أقول رغبة فيكم ولا رغبة^(٢) منكم ، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفْتَحُ أَرْضُ يَاقُوتَها البصرة أقوم الأرضين قبلة ، قارئها أقرأ الناس ، وعابدها أعبد الناس ، وعالمها أعلم الناس ، ومُتَصَدِّقُها أعظم الناس صدقةً ، وتاجرها أعظم الناس تجارة . منها إلى قرية يقال لها الأبلّة أربعة فراسخ . يُسْتَشْهَدُ عند مسجد جامعها أربعون ألفاً ، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معي يوم بدر » .

حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا أبو سلمة قال أخبرني أبو المهزم عن أبي هريرة قال : مُثِلَتِ الدنيا على مثال طائر ، فالبصرة ومصر الجناحان فإذا خربتا وقع الأمر . وحدثني أيضا عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشد الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال ابن شوذب عن يزيد الرشدي^(٣) : قست البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدت طولها فرسخين غير دائق .

وقال محمد بن سلام عن شعيب بن صخر : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلّت البصرة لجلعت الكوفة لمن دأني عليها . قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة ، عزله عن البصرة

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون المرقى » ولم نعر في كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون المرقى » إذ الاسمان موجودان معا في كتب التراجم . (٢) يعني بها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وبالبهيمة الجمل الذي ركبه ، وبه سمي هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية ، وفي الفتوغرافية « الرشدي » وكلاهما محرف عن الرشك بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبي يزيد الضبعي .

وَأَسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْكَوْفَةِ . [وَقَالَ عَلَى حِينِ دَخَلَ الْبَصْرَةَ : يَا أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ وَيَا جُنْدَ الْمَرْأَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرْنَا نَهْزَمْتُمْ ، دِينَكُمْ نِفَاقٌ وَأَخْلَاقُكُمْ رِقَاقٌ وَمَأْوَاكُمْ زُعَاقٌ ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَالْبُصَيْرَةِ [و] السَّبِيخَةِ وَالْحَرَبِيَّةِ ، أَرْضُكُمْ أَبْعَدُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ الْمَسَاءِ وَأَسْرَعُهَا نَحْرَابًا وَغُرْقًا .

٥ مَرُ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بِمَوْضِعِ الْمِرْبَدِ فَوَجَدَ فِيهَا الْكَذَّانَ الْغَلِيظَ فَقَالَ : هَذِهِ الْبَصْرَةُ فَانْزِلُوا بِسْمِ اللَّهِ . وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ : اخْتَطَّ النَّاسُ الْبَصْرَةَ سَنَةً سَبْعَ عَشْرَةَ .

نَفَرَ نَاسٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : أَلَا تَتَكَلَّمُ يَا خَالِدُ ؟ قَالَ : أَخْوَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلُهُ . قَالَ : فَأَنْتُمْ أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ . قَالَ خَالِدٌ : مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ بَيْنَ نَاسِجٍ بُرْدٍ وَدَانِغٍ جِلْدٍ وَسَائِسٍ قَرْدٍ ، دَلَّ عَلَيْهِمْ هَدَّهَدٌ وَغُرْقَتُهُمْ فَاةٌ وَمَلِكَتُهُمْ امْرَأَةٌ .

١٠ [سَأَلَ خَالِدٌ عَنِ الْكَوْفَةِ فَقَالَ : نَحْنُ مَنَابِتُنَا قَصَبٌ ، وَأَنْهَارُنَا عَجَبٌ ، وَثَمَارُنَا رُطْبٌ ، وَأَرْضُنَا ذَهَبٌ . قَالَ الْأَحْنَفُ : نَحْنُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ سَرِيَّةً وَأَعْظَمُ مِنْكُمْ بَحْرِيَّةً وَأَغْذَى مِنْكُمْ بَرِّيَّةً . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ : نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْكُمْ سَاجًا وَعَاجًا وَدِيَّاجًا وَخَرَّاجًا وَنَهْرًا عَجَّاجًا] .

وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي ظَهْرِ الْبَصْرَةِ مِمَّا يَلِي قَصْرَ أَوْسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ

١٥ زُرُّ وَادِي الْقَصْرِ نَعْمَ الْقَصْرِ وَالْوَادِي * لَا بَدَّ مِنْ زُورَةٍ عَنْ غَيْرِ مِيعَادٍ
تُرْفًا بِهِ السُّفُنُ وَالظُّلُمَانُ وَاقِفَةٌ * وَالضُّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي

وَقَالَ آبَنُ أَبِي عَيْنَةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ

(٤) .
يَا جَنَّةَ فَاتَتْ الْجَنَانَ فَمَا * تَبْلُغُهَا قِيمَةٌ وَلَا ثَمَنُ
أَلْفَتُهَا فَاتَّخَذْتُهَا وَطَنًا * إِنْ فَوَّادِي لِحَبِّهَا وَطَنُ

٢٠ (١) زِيَادَةُ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ . (٢) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ « وَأَعْظَمُ مِنْكُمْ تَجْرِبَةٌ » .
(٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي كِتَابِ الْبَيَانِ لِلْجَاحِظِ أَغْذَى بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَهِيَ الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ يُقَالُ عَذَا الْبَلَدِ يَغْذُو : طَابَ هَوَاؤُهُ . (٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْأَغْنَى : فَاقَتْ .

زَوْجَ حَيَاتِنَا الضَّبَابَ بِهَا * فَهَذِهِ كَنَّةٌ وَذَا خَتَنُ
فَانْظُرْ وَفَكَّرْ فَمَا تُطِيفُ بِهِ ^(١) * إِنَّ الْأَرِيبَ الْمَفَكِّرَ الْفِطْنُ
مِنْ سَفِينٍ كَالنَّعَامِ مَقْبَلَةٌ * وَمَنْ نَعَامَ كَأَنَّهَا سَفِينُ
أُنْشِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ ابْنِ كُنَّاسَةَ فِي ظَهْرِ الْكُوفَةِ

وَإِنْ بِهَا لَوْ تَعْلَمِينَ أَصَائِلًا * وَلَيْسَ رَقِيقًا مِثْلَ حَاشِيَةِ الْبُرْدِ

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التيمي
قال: لما أمرت الأرض أن تغيض غاضت إلا أرض الكوفة فلغنت ، بجميع الأرض
تُكْرَبُ على ثورين وأرض الكوفة تُكْرَبُ على أربعة ثيران . وكان يقال: إذا كان علم
الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شامية فقد كل .

[لَمَّا اجْتَوَى الْمَسَامُونَ الْمَدَائِنَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا وَأَذَاهُمُ الْغُبَارُ وَالذَّبَابُ ، كَتَبَ عُمَرُ
إِلَى سَعْدٍ فِي بَعْثَةِ رَوَادٍ يَرْتَادُونَ مَنْزِلًا بَرِّيًّا فَإِنَّ الْعَرَبَ لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا مَا يَصْلَحُ الْإِبِلَ
وَالشَّاءَ . فَسَأَلَ مَنْ قَبْلَهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فِيمَا يَلِيهِمْ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيِ الْعِرَاقِ مِنْ
وَجْهِ الْعَرَبِ بِاللِّسَانِ . وَظَهَرَ الْكُوفَةُ يُقَالُ لَهُ اللِّسَانُ ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ إِلَى
عَيْنِ بَنِي الْحَدَّاءِ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ: أَدْلَعَ الْبَرُّ لِسَانَهُ فِي الرَّيْفِ ، فَمَا كَانَ يَلِي الْفِرَاتَ
مِنْهُ فَهُوَ الْمِلْطَاطُ وَمَا كَانَ يَلِي الظُّهْرَ مِنْهُ فَهُوَ النَّجَافُ ، فَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ يَأْمُرُهُ بِهِ] ^(٢)

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ يَمْدَحُ الشَّامَ

جَاعِلِينَ الشَّامَ حَمًّا لَهُمْ ^(٤) * وَلَئِنْ هَمَّوْا لَنَعْمَ الْمُشَقَّلُ

مَوْتُهُ أَجْرٌ وَمَحْيَاهُ غَنَى * وَإِلَيْهِ عَنِ أَذَاهُ مَعْتَرَلُ

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نطقت به» كما في الأغاني . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في معجم ياقوت في الكلام على اللسان «وما كان يلى البطن منه فهو النجاف» .

(٤) يقال حم حم أي قصد قصده .

وقال أيضا

ولكن قومي أصبحوا مثل خبير * بها داؤها ولا تضر الأعاديا
قال الأصمعي : لم يولد بغدير خم مولود فعاش الى أن يحتلم إلا أن يتحول
عنها . قال : وحرّة ليلي ربما مر بها الطائر فيسقط ريشه ، قال عمرو بن بحر : يزعمون
أن من دخل أرض تبت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عجب حتى يخرج منها ،
ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا
فتفقد عقله وجد النقصان فيه بيّنا . والناس يقولون : حمى خبير وطحال البحرين
ودمايل الجزيرة وطواعين الشام .

قالوا : من أطال الصوم بالمصيصة في الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة
الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووبائها وحماها يكون
في وقت انكسار الوباء ونزوع الحمى عن جميع البلدان ، وكل محوم فان حماه إذا أفلت
عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يعود الى التخليط وإلى أن يجتمع في جوفه
الفساد الا محوم الأهواز فإنها تعاود من فارقتها لغير علة حدثت ، ولذلك جمعت سوق
الأهواز الأفاعي في جبلها المطل عليها والجزارات في بيوتها ومن ورائها سباح ومناقع
مياه غليظة وفيها أنهار تشققها مسایل كنفهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال
مقامها واستمرت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجارات ، فإذا امتلات
يبسا وحرّا وعادت جمرّة واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بنحرت تلك السباح
وتلك الأنهار ، فإذا التقى عليهم ما بنحرت به السباح وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الحرارة بكبانه : عقير فتالة تجر ذنبا اذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب .

(٢) في الأصل « طالت معاناتها بذلك الجبل » والتصويب عن معجم باقوت .

(٣) هكذا في الأصل . وفي معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التي فيها تلك الجارات الخ » ولعل

صواب العبارة « قبلت بسبب الصخرية التي فيها تلك الجارات فإذا امتلات الخ » .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب :
 حدثني مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهم ربما قبلن الطفل فيجذّنه في تلك الساعة
 مجهوما [يعرفن ذلك ويتحدثن به] . قال : ومن قدم من شقّ العراق إلى بلد الزنج
 لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النَّارَجِيل طمس الخُمَارُ
 على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شيء يسير . قال : وفي عهد سجستان
 على العرب حين افتتحوها : ألا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ
 تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عيَّاش لأبي بكر الهذلي يوم فآخره عند أبي العباس : إنما مثل الكوفة
 مثل اللّهُة من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته ، والبصرة بمنزلة المئانة يأتيها الماء
 بعد تغيره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عطار : إن الكوفة قد سفلت عن الشام ووبائها وارتفعت
 عن البصرة وعمقها فهي مريئة مريئة عذبة ثرية ، إذا أتنا الشمال ذهب مسيرة شهر
 على مثل رضاء الكافور ، وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السّواد وورده ويأسمينه
 وأترجه ، وماؤنا عذب وعيشنا خصب . وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة
 عجوز بخراء أوتيت من كل حلّ وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة في سمر يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقال يزيد : أيّ البلدين
 أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة ؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأزاد
 والمعقل وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بشير العجلي : لست أشك أيها الأمير أنكم
 قد اخترتم لأمر المؤمنين ما تبعثون به إليه . قال : أجل ، قال : قد رضينا باختيارك
 لنا وعلينا . قال : فأى الرطب تحملون إليه ؟ قال : المشان . قال : ليس بالبصرة منه
 واحدة . ثم أية ؟ قال : السّابري . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأى التمر تحملون اليه ؟ قال :
النَّريَّان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : ثم أية ؟ قال : الهَيَّوْنُ أَزَّادُ .
قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأى القسب تحملون اليه ؟ قال : قَسْبُ
العنبر . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادعى عليك خمسا
فشاركته في واحدة وسلمت له أربعا ، ما أراه إلا قد غلبك

دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم انصرف ، فقال له أصحابه : كيف رأيت
البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس : أما الجائع فيأكل خبز الأرز
والصَّحْناء^(١) لا ينفق في الشهر درهمين ، وأما العزب فيتزوج بشق درهم ، وأما المحتاج
فلا عيلة عليه ما بقيت عليه آسته يخرأ ويبيع .

١٠ أبو الحسن المدائني قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية :
أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت . قال معاوية : إذا كنت أكون ابن
أبي سفيان منزلي الأبطح ينشق عنه سيله ، وكنت ابن خالد منزلك أجناد أعلاه مدرة
وأسفله عذرة .

١٥ رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رثة ، فسأل عنه فقالوا : من بني تغلب .
فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قلما وطئتا البطحاء . قال له
التغلبى : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهي لى دونك ، وبطحاء ذى قار
وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء العاكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تنزلني ماء سوء فأكون أمرا سوء . قال خالد
ابن صفوان : ما رأينا أرضا مثل الأبلّة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا

(١) إدام يتخذ من السمك الصغير .

أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد . وقال ابن أبي عيينة يذكر قصر انس بالبصرة

فيا حسنَ ذلك القصر قصرا ونزهة * بأفصح سهل غير وعمر ولا ضنك
بغرس كأبكار الجوارى وتربة * كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرون حوله * الى ملك موفٍ على منبر الملك
يُدلُّ عليها مستطيلا بحسنه * ويضحك منها وهي مطرقة تبكي

(١)
قال جعفر بن سليمان : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين
البصرة ، ودارين عين الربد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب
كان الخصب من شق العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشام كان الخصب
بالشام ، وإذا عم جوانب البيت كان المطر عاما . قال : [وذرع الكعبة أربعمئة
وتسعون ذراعا] .

المدائني قال قال الحجاج : لما تبوأَت الأمورُ منازلها قالت الطاعة : أنزل الشام ، قال
الطاعون : وأنا معك . وقال التفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك .
وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشقوة : [وأنا معك] .

(١) في الفتوغرافية «مسلم» وفي الألمانية «سلمان» ويوافق ما في لطائف المعارف للعلاني .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

كتاب السُّودد

مخايل السُّودد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة رحمه الله : حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال : أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسنّاً من أهل البادية وكان من ولد الزُّبرقان بن بدر من قبل النساء ، قال : كان الزُّبرقان يقول :
أبغضُ صبياننا إلى الأَقْيَيسُ الذكر الذي كَأَنَّمَا يَطَّلِعُ في حجره ، وإن سأله القوم أين أبوك ، هَرَّ في وجوههم وقال : ما تريدون من أبي . وأحبُّ صبياننا إلى الطويلُ الغُرَّةُ السَّبَطُ الغُرَّةُ العريضُ الورك الأبله العقول الذي يطيع عمه ويعصى أمه ، وإن سأله القوم أين أبوك ، قال : معكم .

قال وقال الأصمعي قال معاوية : ثلاث من السُّودد : الصَّلَع ، واندحاق البطن ، وترك الإفراط في الغيرة .

قال وقيل لأعرابي : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغُرَّة طويل الغُرَّة مُلثات الإزرة وكانت فيه لَوْنَةٌ فلسنا نشك في سودده . وقيل لآخر : أي الغلمان أسود ؟ قال : إذا رأيتَه أعنق أشدق أحرق فأقرب به من السودد . وكان يقال : إذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة خديد الأرنبة كأنما جبينه صَلَاية فلا تَرَجُّه ، إلا أن يريد الله أمراً فيبلغه .

حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : قريش تمدح بالصَّلَع . وأنشد
 إن سعيِّدا وسعيِّدُ فرعُ * أصلع تميمه رجالُ صلَعُ

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إني أظن هذا الغلام سيسود
 قومه . فقالت هند : نكته إن كان لا يسود إلا قومه .

قال شبيب بن شيبه لبعض فرسان بني منقر : ما مِطَلَتَ مَطَلُ الفُرسان ولا فُتِقَتَ
 فَتَقُ السادة . وقال آخر لِسنان بن سَلَمَة الهذلي : ما أنت بأَرْسَحَ فتكون فارسا
 ولا بعظيم الرأس فتكون سيِّدا . وقال بعض الشعراء

فقبلت رأسا لم يكن رأس سَيِّد * وكفَّا ككف الضَّبِّ أوهى أحقر
 وقال آخر

دعا ابنُ مُطِيعٍ للبياعِ بِخُشَّة * إلى بَيْعَةٍ قَلْبِي لها غيرُ آلف
 فناولني خُشْناءَ لما لَمَسْتُهَا * بكفِّيَ لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الخَلَّافِ

وقرأت في كتاب للهند أنه قد قيل في الفِراسة والتَّوسُّم : إنه من صغرَت عينه
 [و] دام اختلاجها وتتابع طَرْفُها ومال أنفُه إلى أيمن شَقِيه وبعُد ما بين حاجبيه
 وكانت منابت شعره ثلاثا ثلاثا وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفت تارة بعد أخرى ،
 غلبت عليه أخلاق السوء .

كان يقال : أربع يُسَوِّدَنَّ العبد : الأدب ، والصَّدق ، والعِفَّة ، والأمانة . وقال

بعض الشعراء في النبي صلى الله عليه وسلم

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيَّنَةٌ * كانت بداهته تُبَيِّكُ بالخبر

(٢)

وقال معاوية : إني لأكره البكارة في السيد وأحب أن يكون عاقلا متغافلا .

(١) قليل لحم العجز والفخذين .

(٢) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ولعلها محرفة عن «الغبابة أو البلادة» كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر في هذا المعنى

ليس الغبيّ بسيد في قومه * لكنّ سيّد قومه المتغابي

ويقال في مثله : « ليس أمير القوم بالخَبِّ الخَدَع » . وقال الفرزدق

لاخير في خبّ من تُرجى فواضله * فاستيطروا من قريش كل منخدع

كانت فيه إذا حاولته بلها * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقال إياس بن معاوية : لستُ بحبّ والخبّ لا يخذعني . وقال مالك بن أنس

عن ابن شهاب : الكريم لما تُحكّمه التجارب .

قال بعض الشعراء

غير أنّي أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يسودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : السيد الجواد حين يُسأل ، الحليم حين

يُستجهل ، الباز بمن يعاشر . قال عديّ بن حاتم : السيد الدليل في نفسه ، الأحمق

في ماله ، المطّرح لحقده ، المعنى بأمر عاقته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد ،

فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ فقال :

ببذل القرى وترك المراء ونصرة المولى . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس

في الدنيا الأستخياء وفي الآخرة الأتقياء . وقال سلم بن قتيبة لولده : إنكم لن تسودوا

حتى تصبروا على سَرَار الشيوخ البُخْر . وقال : الدنيا هي العافية ، والصحة هي

الشباب ، والمروءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هذاب : كنا نعرف سُودد سلم

ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد

عبيه : بم سدت قومك ؟ قال : بتركي من أمرك ما لا يعينني كما عناك من أمرى

مالا يعينك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العنزي^(١) : أخبرني عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وهو في النسخة الفتنوغرافية غير واضح ، وذكر في العقد الفريد في باب

السؤدد هذه الفصّة وقال إنه روح بن زُبَاع .

ابن يسمع . فقال له : او غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أى شيء غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك الأسود . ولم يل شيئا قط . وكذلك أسماء ابن خارجة لم يل شيئا قط . قيل لعراة الأوسى : بم سدت قومك ؟ فقال بأربع : أنخدع لهم عن مالى ، وأذل لهم فى عرضى ، ولا أحقر صغيرهم ، ولا أحسد رفيعهم . وقال المقتع الكندى وهو محمد بن عميرة

ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقد
وليسوا الى نصرى سراعاً وإن هم * دعونى الى نصر أتيهم شدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم * وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومي وإنما * ديونى فى أشياء تكسبهم حدا

وقال آخر

هينون لينون أيسار ذوريسير * سواس مكرممة أبناء أيسار
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا * ولا يمارون إن ماروا بكثار
من تلق منهم نفل لا قيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقال آخر

وان سيادة الأقوام فاعلم * لها صعداء مطلعها طويل

وقال رجل من العرب : نحن لا نسود الا من يوطئنا رجليه ويفرشنا عريضه ويملكنا ماله . وفى الحديث المرفوع : « من بذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد » . ويقال : لأسودد مع انتقام . والعرب تقول « سيد معمم » يريدون أن كل جناية يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يعتم بعامة صفراء لا يعتم بها غيره . وإنما سمي الزبرقان بصفرة عمامته . يقال : زبرقت الشيء إذا صفرتة ، وكان اسمه حصينا . قيل لابن هبيرة : من سيد الناس اليوم ؟ قال : الفرزدق ، هجاني ملكا ومدحني سوقة . وقال عامر بن الطفيل

إني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثته * أبا الله أن أسمى بأتم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقى * أذاها وأرمي من رماها بمنكب

هذا نحو قول الآخر

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الصكر والإقداما
* وصيرته ملكا هماما *

وعصام عبد كان للنعمان بن المنذر . وله يقول النابغة
فإني لا ألوم على دخول * ولكن ما وراءك يا عصام؟

الكمال والتناهي في السؤدد

- ١٠ حدثني أبو حمزة الأنصاري عن العتيبي قال ، قال الأحنف : الكامل من
عدت هفواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لشغل الهند فوله ،
فكتب اليه : إن قبلي رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قيس ، وسنان بن سلمة
الهلذلي ، فكتب اليه معاوية : بأي يومئذ الأحنف نكفيه : أئخذ لانه أم المؤمنين ، أم بسعيه
علينا يوم صفتين ؟ فوجه سنانا ، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف
والحلم والسؤدد مالا تنفعه الولاية ولا يضره العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا

أوحده الله فأمثله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقال أيضا في نحو هذا

- ٢٠ يانا لا تسأني أو تبغني رجلا * تقيل راحته والركن سنان
متى تحطى اليه الرجل سالمة * تستجيعي الخلق في مثال إنسان

محمد خير من يمشى على قدم * ممن برا الله من إنس ومن جان
تتازع الأحمدان الشَّبه فآشتها * خلقتا وخلقا كما قد الشرا كان
سَيَّانٍ لافرق في المعقول بينهما * معناهما واحد والعِدَّة اثنان
وقال الطائي

لو أن إجماعنا في فضل سُوْدَدَه * في الدين، لم يختلف في الملة اثنان

وقال أيضا

فلو صوّرت نفسك لم تَزِدْها * على ما فيك من كرم الطباع

وقال خالد بن صفوان : كان الأحنف يفتر من الشرف والشرف يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : وفد الأحنف والمنذر بن الجارود الى معاوية، فتهيّا المنذر وخرج الأحنف على قعود وعليه بَتٌّ، فكلمها مرة المنذر قال الناس : هذا الأحنف، فقال المنذر : أراني تزينت لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم للأحنف : ما أعظم متنتنا عليك ! فضلناك وسودناك، فقال : هذا شبّل بن مَعْبَد، من سُوْدَه وليس بالحَضرة بجلىّ غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشَّيبانيّ : مَنْ أكرم العرب أو مَنْ خيرُ الناس ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ الناسُ أن يكونوا منه، ولا يُحِبُّ أن يكون من أحد، يعني بنى هاشم . قال : مَنْ أكرم الناس ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ أن يكون من غيره، ولا يُحِبُّ غيره أن يكونوا منه . قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب : إن الشَّرَفَ نسب مفرد، فالشريف من كل قوم نسيب . وكان يقال : أكرم الصّفايا أشدّها ولهما إلى أولادها ، وأكرم الإبل أحنّها إلى أوطانها ، وأكرم الأئلاء^(١) أشدّها ملازمةً لأمهاتها، وخير الناس أَلَفُ الناس للناس .

(١) جمع فلّو بالكسر أو كعدو وسموّ، وهو الجحش أو المهر إذا فطما أو بلغا السنة .

السيادة والكمال في الحدّاة

قال الأحنف : السؤدد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أُنْتَه السيادة في حدّاته وسواد رأسه ولحيته ، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد الناس وعاداتهم يُراد أن السؤدد يكون بتسويد العاقمة . وقال أبو اليقظان ولّى الحجاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحكم الثقفى قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولّاه السند فافتتح السند والهند وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر

إن السماحة والمروءة والتدى * لمحمد بن القاسم بن محمد

قاد الجيوش سبع عشرة حجة * يا قرب ذلك سوددا من مولد!

ويروى * يا قرب ذلك سورة من مولد * السورة المنزلة الرفيعة . قال أبو اليقظان : وهو جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاية فارس . وقال حمزة بن بيض لمخالد بن يزيد بن المهلب ^(١) باغت لعشر مضت من سنيك ما يبلغ السيد الأشيب فهكك فيها جسام الأمور * وهم لدائك أن ياعبوا

نظر الخطيئة الى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر ، فقال : من هذا الذى نزل عن الناس في سنده وعآلاه في قوله ! وقال ابن مسعود : اوبلغ أسناننا ما عشره منا ^(٢) رجل . ونظر رجل إلى أبي ذؤف في مجلس المأمون فقال : إن همته ترمى به وراء سنه . وولى عبيد الله بن زياد خراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وليها معاوية . وقيل لزياد عند موته : استخاف عبيد الله ، فقال : إن يك فيه خير فسيؤاياه عمه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أبالك أن يوتاك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين ، لا يقولنها أحد

(١) قال ابن برى هو بكسر الباء لا غير ، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) هكذا بالأصل وعبارة اللسان عشره وقال في بيانها : لو كان في السن مثلنا ما بلغ أحد منا عشره .

بعدك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعملا ، فرغب فيه فاستعمله على نحرسان ،
 وولى معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة
 وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناس عن ابراهيم النخعي وهو ابن ثمانى
 عشرة سنة . وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد مكة وهو ابن
 خمس وعشرين سنة . وسودت قريش أبا جهل ولم يطتر شاربه فأدخلته مع الكهول
 دار الندوة . قال الكمي

رُفِعَتْ إِلَيْكَ وَمَا تُغَرُّ^(١) * تَ عِيُونُ مُسْتِمِعٍ وَنَاطِرٍ
 وَرَأَوْا عَلَيْكَ وَمِنْكَ فِي الْـ * مَهْدِ النَّهْيِ ذَاتَ الْبَصَائِرِ

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتحوز يريد
 الكلام ، فقال عمر : كبروا كبروا ، فقال الفتى : يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس
 بالسن ، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسن منك ، قال صدقت فتكلم .
 قال الشاعر في خلاف هذا المعنى

إِنَّمَا الْمُلْكُ أَنْ يُنَاسُوا بَغَرٌ * لَمْ تُعِرْهُ الْأَيَّامُ رَأْيَا وَثِيقًا

وقال آخر

أَلَا قَالَتِ الْحَسَنَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا * كَبِرَتْ ، وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعًا
 رَأَتْ إِذَا عَصَا يَمْشِي عَلَيْهَا وَشَيْبَةٌ * تَقْنَعُ مِنْهَا رَأْسَهُ مَا تَقْنَعَا
 فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَهَزِّي بِي فَقَلْبَا * يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا
 وَلَلْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عِلَالَةً * مِنَ الْجَدْعِ الْمُجَرَّى وَأَبْعَدُ مَزْنَةً

رأى بكير بن الأخنس المهلب وهو غلام فقال

خَذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يَسُدَّ سَرَوَاتِهِمْ * وَيَبْرِعْ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

(١) يقال ثغر الغلام إذا سقطت أسنانه الراضع .

الهمة والخطار بالنفس

- قال أخبرنا خالد بن جويرية عن محمد بن ذؤيب ^(١) الفقيمي وهو العُماني الراجز عن
دُكَيْنِ الراجز قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استُخلف أستنجزُ منه وعدا كان
وعدنيه وهو والى المدينة ، فقال لى : يا دُكَيْنِ إن لى نفسا تواقه ، لم تزل نتوق إلى
الإمارة ، فلما نلتها تاقى إلى الخلافة ، فلما نلتها تاقى إلى الجنة . وما رزأتُ من
أموال المسلمين شيئا ، وما عندي إلا ألفا درهم ، فاخترأيهما شئت ، وهو يضحك .
فقلت : يا أمير المؤمنين ، قليلك خيرٌ من كثير غيرك ، ويقال قليلك خير من كثير
غيرك ، فاختر لى أنت ، فدفع إلى ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها ، فابتعتُ بها
إبلا وسُقمتها إلى البادية ، فرمى الله فى أذنانها بالبركة بدعوته حتى رزقنى الله ماترون .
- قال معاوية لعمر بن العاص حين نظر معسكر على عليه السلام : من طلب
عظيما خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول : عليكم بكل أمر مزلة مهلكة . أى عليكم
بجسام الأمور . وقال كعب بن زهير

وليس لمن لم يركب الهول بُغيةٌ * وليس لرجلٍ خطه الله حاملٌ

إذا أنت لم تُقصر عن الجهل والحنأ * أصبتَ حلما أو أصابك جاهل

- وفى كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل
السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو . وفيه أيضا : لا ينبغي أن يكون الفاضل من
الرجال الا مع الملوك مكرما أو مع النساء متبتلا ، كالقيل لا يحسن أن يرى إلا
فى موضعين : فى البرية وحشيا أو للملوك مكرما . وفيه أيضا : ذوالهمة إن حط فنفسه
تأبى إلا علوا كالشعلة من النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . وقال العتاني
- تلوم على ترك الغنى باهليّة * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد

(١) نسبة إلى فقيم دارم ، قال فى القاموس : والنسبة إلى فقيم كنانة فقيمي كعوني وهم نساء الشهور فى الجاهلية ،
والى فقيم دارم فقيمي ١ هـ .

يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى * مغمصهما بالمُشْرِقات البسوارد؟
ذرينى تجئنى ميتى مطمئنة * ولم أتقهم هول تلك الموارد
فإن كريمات المعالي مشوبة * بمستودعات فى بطون الأساود

وقال الطائي

وأخرى لحتنى يوم لم أمتنع النوى * قيادى ولم ينقض زماعى ناقض
أرادت بأن يحوى الغنى وهو وادع * وهل يفرس الليث الطلأ وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطلب هدوءا فى التقلقل^(١) وأستر * بالعيس من تحت السهاد هجودا
ما إن ترى الأحساب بيضا وصححا * إلا بحيث ترى المنايا سودا

وقال آخر

* ما العز إلا تحت ثوب الكد *

وقال آخر

الذل فى دعة النفوس ولا أرى * عثر المعيشة دون أن يشقى لها

وقال بعض المحدثين وأظنه البحرى

فاطلبا ثالثا سواى فإنى * رابع العيس والدجى والبيد
لست بالواهن المقيم ولا القا * ثل يوما إن الغنى بالحدود
وإذا استصعبت مقادة أمة * سهلتها أيدى المهارى القود

وقال عبد الله بن أبي الشَّيْص

أظن الدهر قد آلى فبرا * بأن لا يكسب الأموال حرا
لقد قعد الزمان بكل حرا * ونقض من قسواه المستمرا
كأن صفائح الأحرار أردت * أباه فخارب الأحرار طرا

(١) فى النسخة الألمانية : التقلد ، وفى الفتوغرافية : التقلل ، والتصويب عن الديوان

فأصبح كل ذي شرف ركوبا * لأعناق الدجى برا وبحرا
فهتك جيب درع الليل عنه * إذا ماجيب درع الليل زرا
يراقب للغنى وجهها ضحوكا * ووجهها للنية مكفها
ومن جعل الظلام له قعودا * أصاب به الدجى خيرا وشرًا

- وكان يقال : من سره أن يعيش مسرورا فليقنع ، ومن أراد الذكر فليجهد . قيل
للعنابي : فلان بعيد الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء :
من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته .

وقال عدي بن الرقاع

والمرء يورث جوده أنساءه * ويموت آخر وهو في الأحياء

- أبو اليقظان قال : كان أول عمل وليه الحجاج تبالة ، فسار إليها فلما قرب منها
قال للدليل : أين هي وعلى أي سمت هي ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمة . قال
لا أراني أميرا إلا على موضع تستر منه أكمة ! أهون بها ولاية ! وكر راجعا . ف قيل
في المثل : « أهون من تبالة على الحجاج » . وقال الطائي

وطول مقام المرء في الحى مُحائق * لديباجتيه فأغترب نتجديد

- فإني رأيت الشمس زيدت محبة * إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال رجل لآخر : أبوك الذي جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفزق
الجماعة ، لا جرم لقد هزم ثم أسر ثم قتل ثم صلب . قال الآخر : دعني من ذكر
هزيمة أبي ومن صلبه ، أبوك ما حدث نفسه بشيء من هذا قط . قال حاتم طي

لحي الله صعلوكا مناه وهمسه * من العيش أن يلق أبوسا ومطما

- يرى الخنص تعذبا وإن يلق شعبة * يأت قلبه من قلة الهم مبهما

ولله صعلوك يساور همته * ويمضي على الأهوال والدهر مقيدا

يرى قوسه أورمحه ويحنه • وذات شطب لذن المهرة بخندا
وأحناء سرج قاتر^(١) ولجامه • معدا لدى الهيجا وطرفا مسوما
فذلك ابن يهلك حتى ثأوه • وإن يحيى لا يقعد لئنا مذما

وقال آخر

لا يمنعك خفض العيش تطلبه • نزاع شوق الى أهل وأوطان
تلو بكل بلاد إن حلت بها • أهلا بأهل وجيرانا بجيران

ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسب بخير البلاد ما حملك • وقال عروة بن الورد

لحي الله صعلوكا إذا جن ليله • مصافى المشاش ألفا كل مجزير^(٢)
بعث الغنى من دهره كل ليلة • أصاب قراها من صديق مبسر
ينام عشاء ثم يصبح قاعدا • يحث الحصا من جنبه المتعقر
يعين نساء الحى لا يستعنه • ويمس طايحا كالبعير المحسر
ولله صعلوك صفيحة وجهه • كضوء شهاب القابس المستور^(٣)
مطل على أعدائه يزجرونه • بساحتهم زجر المنيع المشهور

وقال آخر

تقول سليمى: لو أظمت بأرضنا! • ولم تدرى أنى للأقسام أطوف

وقال الطائي في نحوه

ألفسة النجيب كم افتراق • ألم فكان داعية اجتماع^(٤)
وما إن فرحة الاوبات إلا • لموقوف على ترخ الوداع

(١) القاتر والمقتير من الرجال والسرور الجيد الوفير على الظاهر أو اللطيف منها • قاموس •

(٢) المشاش جمع مشاشة وهى رأس العظم المحسن مضمه • (٣) كذا فى الأصول والأغانى •

وفى الحاشية: «ولكن صعلوكا الخ» • (٤) فى الأصول اظن • والتصويب عن الديوان •

نظر رجل إلى روح بن حاتم واقفا في الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال وقوفك في الشمس . فقال روح : لِيَطُولَ مُقَامِي فِي الظل . وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
ولن أكون كن ألقى رحالته * على الحمار وخلق صهوة الفرس

وقال آخر

- لا أنت قصرت عن مجد ولا أنا، إذ * أشتو إليك بنفسى، قصرت همسى .
قال عمر بن الخطاب : أشنعوا بالكُفَى فإنها منبهة . دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان
التميمى على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له : ألا أوصى بك الأمير؟ فقال عبيد الله :
إذا لم يكن للحمى إلا وصية الميت فالحمى هو الميت . وقال الشاعر فى نحوه
إذا ما الحمى عاش بعظم ميت * فذاك العظم حى وهو ميت
وقال معاوية لعمر بن سعيد وهو أصبى : إلى من أوصى بك أبوك؟ قال :
أوصى إلى ولم يوصى بى . نظر أبو الحارث حمير إلى رِذْوَنٍ يُسْتَقَى عليه ، فقال : المرء
حيث يجعل نفسه ، لو هملج هذا لم يُبَلِّ بما ترؤن . قال الطائي
وقلقل نأبى من نراسان جاشها * فقلت أطمئن أنضبر الروض عازبه
وركب كأطراف الأسننة عرسوا * على مثلها ، والليل تسطو غياهبه
لأمير عليهم أن تيم صدوره ، * وليس عليهم أن تتم عواقبه

وقال آخر

- وعش ملكا أو مت كريما، وإن تمت * وسيفك مشهور بكفك تُعَذِرُ
والمشهور فى هذا قول امرئ القيس
فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفى ولم أطلب قليل من المال
ولكننا أسعى لجيد مؤئل * وقد يدرك المجد المؤئل أمثالى

وقوله .

يكي صاحبي لما رأى الدربَ دونه * وأيقن أنا لاحقاً بقيصراً
فقلت له : لا تبك عينك ، إنما * نحاول ملكاً أو نموت فنُعذراً

وقال أبو نؤاس

سابغي الغنى إفا جليس خائفة * تقوم سواء ، أو تخيف سبيل
وقيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ! فقال : منزلي دار الإمارة أو الحبس .
والمشهور في سقوط الهمة قول الخطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال مالك بن الرئب

فإن تُصِفونا آل مروان تقرب * إليكم وإلا فأذونا بتعادي^(١)

فإن لنا عنكم مراحاً ومرحلاً * بعيس إلى ريح الفلاة صوادي

وفي الأرض عن دار المذلة مذهب * وكل بلاد أوطنت بكلادي

فإذا عسى الجحاج يبلغ جهده * إذا نحن جاوزنا حفير زياد

فياست أبي الجحاج وأست عجوزه * عبيد^(٢) بهم يرتعى بوهاد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبداً من عبيد إباد

زمان هو المقرئ^(٣) المقر بذلة * يراوح غلمان القرى ويغادي

بعث ينحلب خليفتها إلى ابن عائشة المحدث وهو عبيد الله بن محمد بن حفص^(٤)

التيهي ، فأتاه في حلقته في المسجد فقال له : أبو من ؟ قال : هلاً عرفت هذا قبل مجيئك !

(١) في الكامل للبرد طبع ليبرزج : « ببعاد » بدل « تعادي » وهو الأنسب للسياق .

(٢) العبيد تصغير عتود وهو كما في لسان العرب من أولاد المعز ماضي وقوى وأقوى عليه حول ، يصفه بالضعف .

(٣) المقرئ طالب الضيافة ، وفي الحاشية والكامل : « العبد » . (٤) كذا بالأصل ؟

قال : أريد أن تُخَلِّني . قال : في حاجة لك أم في حاجة لي ؟ قال : في حاجة لي .
قال : فَأَلْقَيْني في المنزل . قال : فإن الحاجة لك . قال : مادون إخواني سرّ .

وقال بعض لصوص همدان وهو مالك بن حريم

كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها * مُرَاغِمَةً ما دام للسيِّف قائمُ
متى تَجِيع القلبَ الذكيَّ وصارما * وأثَقًا حَيًّا تَجْتَنِبُكَ المَظالمُ
وَمَنْ يَطْلُبِ المالَ المُنْعَ بالقَنّا * يَعِشُ مُثْرِيًّا أو تَحْتَرِمُهُ المَخارِمُ
وَكُنْتُ إِذا قَوْمٌ غَزَوْني غَزَوْهُمْ * فَهَلْ أَنَا في ذَا يالَ هَمْدانَ ظالمُ

وقال أبو النّشّاش ، من اللصوص

إذا المرءُ لم يَسْرَحْ سَوامًا ولم يُرِحْ * سَوامًا ولم تعطف عليه أقاربه
فَلَمَمْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ حَيَاتِهِ * فقيرا وَمِنْ مَوْتِي تَدِبُّ عَقاربه
وسائلةٍ بالغيبِ عني وسائلٍ * وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلوكَ أين مَذاهبُهُ؟
وطامسةٍ الأعلامِ ماثلة الصُّوى * سَمَرْتُ بِأبي النّشّاشِ فيها ركائبه
فلم أرمثلَ الفَقْرَ ضاجِعَه الفَتَى * ولا كسوادَ الليلِ أخَفَقَ صاحبه^(١)

وقال آخر من اللصوص

وإني لأَسْتَحْيِي من الله أن أُرَى * أَطوْفُ بأرضٍ ليس فيه بعيرُ
وَأَنْ أَسْأَلَ المرءَ اللّثيمَ بعيرَه * وَبُعْرَانُ رَبِّي في البلادِ كثيرُ
فَلَيْلٍ إن واراني الليلُ حَكْمَةً * وَلِلشَّمْسِ إن غابت على تدورُ
عَوَى الذَّبُّ فاستأنستُ للذَّبِّ إذ عَوَى * وصوتُ إنسانٍ فكِدْتُ أَطيرُ
رَأَى اللهُ إني للأُنيسِ لَشَانِي * وَتُبَغِضُهم لي مَقْلَةً وَضَمِيرُ

(١) في الحماسة : «طالبه» . أي الطالب فيه .

وقال النَّمْرُ بن تَوَلَّب

خاطرِ نفسك كَي تُصِيبَ غَنِيمَةً * إِنَّ الجُلُوسَ مع العِيَالِ قَبِيحُ
فَالْمَالُ فِيهِ تَجِلَّةٌ وَمُهَابَةٌ * وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقُبُوحُ

وقال آخر

تقول ابنتي : إِنَّ انْطِلَاقَكَ واحدا * إلى الرُّوعِ يَوْمًا تَارِيكِ لَا أَبَالِيَا
ذَرِينِي مِنَ الإِشْفَاقِ أَوْ قَدَمِي لَنَا * مِنَ الحَدَثَانِ وَالْمَنِيَّةِ وَاقِيَا
سَتَتَلَفُ نَفْسِي أَوْ سَأْجَعُ هَجْمَةً * تَرَى سَاقِيَهَا يَأْمَانِ التَّرَاقِيَا

وقال أوس بن حَجَر

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقَرِّبًا * مِنَ المَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيُبَلِّغَ عُذْرًا أَوْ لِيَبْلُغَ حَاجَةً ، * وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِجٍ

وقال آخر

رَمَى الفَقْرُ بِالْأَقْوَامِ حَتَّى كَانَتْهُمْ * بِأَطْرَارِ آفَاقِ البِلَادِ نَجُومُ

قال كسرى : احذروا صولةَ الكريمِ إذا جاع ، واللَّيْمِ إذا شبع ، وقال الشاعر

خُلُقَانٍ لَا أَرْضَى اخْتِلَافَهُمَا : * تِيَهُ الغِنَى ، وَمَذَلَّةُ الفَقْرِ
فَإِذَا غَنِيَتْ فَلَا تَكُنْ بِطَرًّا * وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَتَهُ عَلَى الدَّهْرِ
وَأَصْبِرْ ، فَلَسْتَ بِوَاجِدٍ خُلُقًا * أَدْنَى إِلَى فَرِيحٍ مِنَ الصَّبْرِ

كان أعرابي يمنع ابنه من التصرف إشفاقا عليه ، فقال شعرا فيه

إِذَا مَا الْفَقِي لَمْ يَبْغِ إِلَّا لِبَاسَهُ * وَمَطْعَمَهُ ، فَالْخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ
يَذَكِّرُنِي خَوْفَ الْمَنَايَا ، وَلَمْ أَكُنْ * لِأَهْرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرَّبَ بِجِلْسِي * وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
رَأَيْتُ الْغِنَى قَدْ صَارَ فِي النَّاسِ سُودَدًا ، * وَكَانَ الْفَقِي بِالْمَكْرُمَاتِ يَسُودُ

وإن قلتُ لم يُسمعَ مقالِي وإني * كُبدِي حَقَّ بينهم ومُعِيْدُ
فَذَرْنِي أَجُولُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّه * يَسِرُّ صَدِيقٌ أَوْ يَسَاءُ حَسُودُ
أَلَا رُبَّمَا كَانَ الشَّفِيقُ مَضَرَّةً * عَلَيْكَ مِنَ الْإِشْفَاقِ وَهُوَ وَدُودُ

وقال أعرابي من باهلة

سَأَعْمَلُ نَصَّ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْفِي * غِنَى الْمَالِ يَوْمَا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ
فَلَمَمْتُ خَيْرَ مَنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا * عَلَى الْحَرْ بِالْإِقْلَالِ وَسَمُّ هَوَايَ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْغِ حُسْنُ كَلَامِهِ * وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا : عَدِيمُ بَيَّانِ
كَأَنَّ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ - بُورِكَ الْغِنَى - * بَغِيرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابي

وَمَنْ يَفْتَقِرُ فِي قَوْمِهِ يَحْدِ الْغِنَى * وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا جَدَّ الْعَمُّ مَحْوِلًا
يَمْنُونَ إِنْ أُعْطُوا وَيَخْلُ بَعْضُهُمْ * وَيَحْسَبُ عَجْزًا سَكْنُهُ إِنْ تَجَمَّلَا
وَيُزِرِّي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ * وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رَجَالٍ وَأَحْوَلَا

وقرأت في كتاب للهند : ليس من خلة يمدح بها الغني إلا ذم بها الفقير، فان

كان شجاعا قيل أهوج ، وإن كان وقورا قيل بليد ، وإن كان أسنا قيل مهندار ،
وإن كان زمينا قيل عبي . وقال آخر

الْفَقْرُ يَزِرِي بِأَقْوَامِ ذَوِي حَسَبٍ * وَقَدْ يَسُودُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ

وأنشد ابن الأعرابي

رَزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أَرْزَقْ مَرْوَةً * وَمَا الْمَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً يَقْعُدُنِي * عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رِقَّةُ الْحَالِ

وقال آخر

يُغَطِّي عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله * يُصَدِّقُ فيما قال وهو كَذُوبُ
ويُزَيِّرُ بعقلِ المرءِ قلةُ ماله * يُحَقِّقُ الأَقْصَا وهو لَيِّبُ

وقال آخر

كم من لئيمِ الجُدودِ سَوَّدَهُ السُّحَالُ، أبوه وأُمُّه الْوَرِقُ
وكم كريمِ الجُدودِ لَيْسَ لَهُ * عَيْبٌ سِوَى أَنْ تُوْبَهُ خَلْقُ
أَذْبِهِ سَادَةٌ كَرَامُ فَمَا * ثَوْبَاهُ إِلَّا الْعَنَافُ وَالْخُلُقُ

وأنشد الترياشي^(١)

غَضَبَانِ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٍ لَهُ * مَا لَمْ يَسْقِهِ لَهُ دِينَ وَلَا خُلُقُ
لَوْلَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا سُقَّتْهَا بَطْرًا * إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ضَاقتِ الطُّرُقُ
فَمَنْ يَكُنْ عَنْ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي * فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرِقُ

وقال أحيحة بن الجلاح^(٢)

اسْتَغْنِ أَوْمَتْ وَلَا يَغْرُزْكَ ذَوْنَنْب * مِنْ أَبْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالَ
يَلُوبُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ * وَعَنْ صَدِيقِهِمْ وَالْمَالُ بِالْوَالِي
وَلَا أَزَالُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا، * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ
كَلَّ النَّسَاءُ إِذَا نَادَيْتُ يَحْذُلْنِي * إِلَّا نَدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي

وقال حسان

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ * لَوْ وَجَّهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النِّعَمُ

وقال الهذلي

رَأَيْتُ مَعَاشِرًا يُثْنِي عَلَيْهِمْ * إِذَا شَبِعُوا وَأَوْجَهُهُمْ قِبَاحُ

(١) في العقد الفريد «حيران» - (٢) في الأصل «قالت له الناس الخ» والتصويب من العقد الفريد.

(٣) في الأصول يعزرك بالعين والزاي، والتصويب عن الأغاني - (٤) في القاموس: الزوراء، مال لأحيحة.

يَظَلُّ الْمُصْرِمُونَ^(١) لَهُمْ سَجُودًا * وَلَوْ لَمْ يُسْقَ عَنْدهُمْ ضِيَّاحٌ^(٢)

ويروى يُلْف. وقال بعضهم: وددت أن لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء.

قيل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني عليه. قال الصلتان

إذا قلت يوماً لمن قد ترى: * أروني السرى، أروك الغنى

وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر

لا تسألني الناس: ما مجدى وما شرفي، * الشأن في فضتي والشأن في ذهبي

لو لم يكن لي مال لم يطر أحد * بابي ولم يعرفوا مجدى ومجد أبي

وقال آخر

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى، * وكل غنى في العيون جليل

ولو كنت ذا عقل ولم تؤت ثروة * ذلت لديهم والفقير ذليل

إذا مالت الدنيا على المرء رغبت * إليه ومال الناس حيث يميل

وليس الغنى إلا غنى زين الفتى * عشيّة يقري أو غداة ينيل

وقال آخر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * إلى كل من يعدو من الناس مذنب^(٣)

وكان بنو عمى يقولون مرحباً * فلما رأوني مُعْدِمًا مات مرحب

وقال آخر

أبا مصلح أصلح ولا تلك مفسدا * فإن صلاح المال خير من الفقر

ألم تر أن المرء يزداد عِزَّةً * على قومه إن يعلموا أنه مثرى

وقال عمرو بن الورد

ذريني للغنى أسعى فإني * رأيت الناس شرهم الفقير

(١) المصرم: الفقير الكثير العيال. (٢) الضياح: اللبن الرقيق المزوج بالماء.

(٣) كذا بالأصول، وفي العقد الفريد «يلقى».

وَأَبْعُدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ * وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرٌ
وَيُقَصِّصِيهِ النَّدَى وَتَزْدْرِيه * حَلِيلَتُهُ وَبَنَاهُ الصَّغِيرُ
وَتُلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ * يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ * وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل

وَيَكُنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحْسِبُ * وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشَ عَيْشَ ضَرٍّ
وَيُجَنَّبُ سِرَّ النِّجَى وَلَكِنْ * أَخَا الْمَالِ مُحْضَرٌّ كُلُّ سِرٍّ

وقال آخر

أَلَمْ تَرِ بَيْتَ الْفَقْرِ يُهْجَرُ أَهْلُهُ * وَبَيْتَ الْغِنَى يُهْدَى لَهُ وَيُزَارُ .

وقال آخر

إِذَا مَا قُلَّ مَالُكَ كُنْتَ فَرْدًا * وَأَيُّ النَّاسِ زُؤَارُ الْمُقَلِّ ؟

وقال عبد العزيز بن زُرَّارة

وَمَا لُبُّ اللَّيْبِ بَغِيرُ حَظٍّ * بَأْغَى فِي الْمَعِيشَةِ مِنْ قَتِيلٍ
رَأَيْتُ الْحَظَّ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ * وَهِيَاتَ الْحَظُوظُ مِنَ الْعُقُولِ

وقال الطائي

الصَّبْرُ كَأْسٌ وَبَطْنُ الْكَفِّ عَارِيَةٌ * وَالْعَقْلُ عَارٍ إِذَا لَمْ يُكْسَ بِالنَّشَبِ
مَا أَضْيَعَ الْعَقْلَ إِنْ لَمْ يَرَّعَ ضِعْفَتَهُ * وَفَرٌّ وَأَيُّ رَحًا دَارَتْ بِلا قُطْبٍ ؟

وقال آخر

عِشْ بِجَدٍّ وَلَا يَضُرُّكَ نَوْكُ^(١) * إِنَّمَا عِشْ مِنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
عِشْ بِجَدٍّ وَكُنْ هَبْنَقَةً الْقَيْسَى^(٢) نَوْكًا أَوْ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ

(١) في الأصول « فلم » ، والتصويب عن البيان للمحافظ .

(٢) في البيان للمحافظ « شعبة بن الوليد » ، وهو المواقف لما في اللسان في مادة هبئ .

وقال الطائي

يَنَالُ الْفَقِيرُ مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ * وَيُكْذِبُ الْفَقِيرُ فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا * هَلَكْنَ إِذَا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبِهَائِمُ
وقال المَرَّار

إذا لم تُرَافِدْ فِي الرَّفَادِ وَلَمْ تَسُقْ * عَدَوْا وَلَمْ تَسْتَغْنِ فَاَلْمُوتُ أَرْوَحُ
وقال ابن الدِّمِينَةُ الثَّقَفِيُّ

أَطَعْتُ الْعِرْسَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى * أَعَادَتْنِي عَسِيفًا عَبْدَ عَبْدٍ
إِذَا مَا جِئْتُهَا قَدْ بَعْتُ عَدَقًا * تُعَانِقُ أَوْ تَقْبَلُ أَوْ تُفَدِّي
وقال الْأَسْعَرُ الْجُعْفِيُّ

وخصاصةُ الجُعْفَى مَا دَايَنْتَهُ * لَا يَنْقُضِي أَبَدًا وَإِنْ قِيلَ انْقَضَى
إِخْوَانُ صَدِيقٍ مَا رَأَوْكَ بِغِبْطَةٍ * فَإِنْ افْتَقَرْتَ فَقَدْ هَوَى بِكَ مَا هَوَى

وقال آخر

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَكْسِبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ * شَكَاهُ الْفَقْرُ أَوْلَا قِيَّ الصَّدِيقِ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الْأَدْنَيْنِ كَلًّا وَأَوْشَكْتَ * صَلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَتَكَّرَا
فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَاتَّمَسِ الْغَنَى * تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ فَتُعْذَرَا
وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ تُبْتَغَى * مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا
فَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بِدُونٍ وَلَا تَتَمَّ * وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ كَانَ مُعْسِرَا

وقال آخر

مَنْ يَجْمَعُ الْمَالَ وَلَا يُثَبُّ بِهِ * وَيَتْرِكُ الْعَامَ لِعَامٍ جَدِّ بِهِ

يَهِنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانٌ كَلْبُهُ *
٢٠

قال أبو اليقظان : ماساد مُمْلَقٌ قَطُّ الْاَعْتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن العيثار عن عبد الله بن عمرو أنه قال : أحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا وأحرث لآخرتك كأنك تموت غدا .

قال حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثني أصحاب أيوب عن أيوب قال : كان أبو قلابة يحنُّني على الاحتراف ويقول : إن الغنى من العافية .

قال وقال الأصمعي : سأل اعرابي عن رجل فقالوا : أحق مرزوق ، فقال : ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الدين والعرض . ويقال في بعض كتب الله : أطعني فيما أمرك ولا تعليني بما ينفعك وأمدد يدك لباب من العمل أفتح لك بابا من الرزق . وكان يقال : من غلَى دماغه في الصيف غلَّت قِدرُهُ في الشتاء . ويقال : حفظ المال أشد من جمعه . وقال الحسن : إذا أردتم أن تعلموا من [أين] أصاب المال فانظروا فيم ينفقه فإن الخبيث يُنفق سرفا . ونحوه قولهم : من أصاب مالا من نهائش^(٢) أذهبه الله في نهائره . ويقال في مثل « الكد قبل المد » يراد الطلب قبل العجاجة والعجز . وقال لقيط^(٣) « الغزو أدر^(٤) للقاح وأحد للسلاح » . وقال أبو المعافى

وإن التواني أنكح العجز بنته * وساق إليها حين زوجها مهرا

فراشا وطيبا ثم قال لها آتكي * قصارهما لا بد أن يلدا الفقرا

(١) زيادة يقتضيه السياق (٢) في الأصل « مهارش » بالميم ، والتصحيح عن لسان العرب في مادة نهبر . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) في النسخة الألمانية هكذا : « وقال لقيط الفزاري دزلقاح وأحد للسلاح » وفي الفتوغرافية « الغز » بغير واء ، والتصويب عن مجمع الأمثال لميداني .

وقال زيد بن جبلة : لا فقير أفقر من غنيٍّ أمينٍ الفقر . وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلاف درهم نفقة ، وما فوقها كثر . ويقال : القبر ولا الفقر . ويقال : ما سبق عيالٌ مالا قط إلا كان صاحبه فقيرا . وقيل لرجل من البصريين : مالك لا يئني مالك ؟ قال : لأني اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال . ويقال : العيال سوس المال .
وقيل لمديني : كيف حالك ؟ قال : كيف يكون حال من ذهب ماله وبقيت عادته . ويقال : الغنى في الغربة وطنٌ والفقر في الوطن غربة .

حدثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكاني من الأنبياء إلى الله شدة الفقر فأوحى الله إليه : هكذا جرى أمرك عندي أفتريد من أجلك أن أعيد الدنيا .
قال أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجذب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جاءهم الحصب إلا عاد الغنى إلى أهل الغنى .
قال الأصمعي رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل مني فقلت : يا أمة الله تسألين ولك هذا الجمال ! قالت : قدر الله فما أصنع ؟ قلت : فمن أين معاشكم ؟ قالت : هذا لحاج نتقممهم ونغسل ثيابهم . فقلت : فاذا ذهب الحاج فمن أين ؟ فنظرت إلى وقالت : يا صلب الجبين ! لو كنا إنما نعيش من حيث نعلم لما عشنا . وقال الشاعر
أُتْرَانِي أَرَى مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا * لِي فِيهِ مَطِيَّةٌ غَيْرُ رَجُلِي
وَإِذَا كُنْتُ فِي جَمِيعٍ فَقَالُوا * قَرَّبُوا لِلرَّحِيلِ قَدَّمْتُ نَعْلِي
حَيْثَا كُنْتُ لَا أُخَلِّفُ رَحْلا * مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى وَرَحْلِي

قيل لمديني : ما عندك من آلة الحج ؟ قال : التلية . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة ؟ قال : الماء . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القريس ؟ قال : الشتاء .

ذم الغنى وممدح الفقر

قال شريح : الجدة كنية البهل ، وقال أكرم بن صيفي^(١) : ما يسرني أني مكفي كل أمر الدنيا . قيل : وإن أسمنت وألبنت ؟ قال : نعم ، أكره عادة العجز . وكان يقال : عيب الغنى أنه يورث البله ، وفضيلة الفقر أنه يورث الفكرة . وقال محمد بن حازم الباهلي

ما الفقر عار ولا الغنى شرف * ولا سخاء في طاعة سرف
مالك إلا شيء تقدمه * وكل شيء أخرته تلف
تركك مالا لو ارث يتهناه * وتصلى بحره أسف

وقال ابن منذر

رضينا قسمة الرحمن فينا * لنا علم والثقفي مال
وما الثقفي إن جادت كساه * وراعك شخصه إلا خيال

وقال أنس بن مالك : لما خرج مروان من المدينة مر بماله بذي خشب فلما نظر إليه قال : ليس المال إلا ما أشرجت عليه المناطق . وروى عن المسيح أنه قال : في المال ثلاث خصال ، قالوا : وما هي يا روح الله : قال : لا يكسبه من حله قالوا : فإن فعل قال : يمنعه من حقه ، قالوا : فإن لم يفعل ، قال : يشغله إصلاحه عن عبادة ربه . قيل لأبن عمر : توفي زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم ، قال : لكنهم لا تتركه . وقال المعلوط

ولا سؤد المال الدني ولا دنا * لذاك ولكن الكريم يسود
متى ما ير الناس الغنى وجاره * فقيرا يقولوا عاجز وجليد^(٢)

(١) في النسخة الألمانية : «يسوفني» . وهو خطأ .

(٢) في القاموس : وخشب بكتب واد باليمامة وواد بالمدينة ، وفي المرتضى في شرح القاموس وابن الأثير في النهاية أنه واد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير في الأحاديث والمغازي ويقال له ذو خشب .

(٣) كذا بالأصل ، وفي الخامسة : «وجاره فقير» بالرفع على أن الواو للحال .

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أحاط قسمت وجدود
فكم قد رأينا من غنى مذمم * وصعلوك قوم مات وهو حميد
إذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال آخر

ولا تهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه
الأخفش قال : قال المبرد : أريد النون الخفيفة في ولا تهين فأسقط التنوين لسكونه^(١)
وسكون اللام . وقال آخر

ولست بنظار إلى جانب الغنى * إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لصبار على ما ينوبني * لأني رأيت الله أثني على الصبر

وقال أعرابي يمدح قوما

إذا افتقروا عَضُوا على الصبر حَسْبَةً * وإن أيسروا عادوا سِرَاعًا إلى الفقر
يقول : يعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيرت اليهود عيسى بن
مريم بالفقر فقال : من الغنى أتيتم ، وقال : حسبك من شرف الفقر أنك لا ترى
أحدا يعصى الله ليفتقر . أنشد ابن الأعرابي^(٢)

المال يغشى رجالا لا طبأخ بهم * كالسيل يغشى أصول الدند البالي^(٣)
وقال الطائي^(٤)

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حُرْبٌ للمكان العالي

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال

أعرابي : الغنى من كثرت حسناته والفقير من قل نصيبه منها . وقال ذو الأصبغ

(١) عبارة المبرد في الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تهين بالنون الخفيفة مخدفا لالتقاء الساكنين
فلعل ما هنا محرف عن « فأسقط النون لسكونها وسكون اللام » . (٢) عزاه في اللسان إلى حسان
ابن ثابت ، ثم قال وورد هذا البيت في شعر لحية بن خلف الطائي . (٣) الطباخ : القوة ، قال في اللسان
ومعناه في البيت : لا عقل لهم . (٤) ما بلى وغفن من أصول الشجر .

لِي أَبْنُ عَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ * مَخَالِفٌ لِي أَقَابِهِ وَيَقْلِبُنِي
أَزْرَى بِنَا أَنَسَا شَأْلَتْ نَعَامَتُنَا * نَخَالِنِي دُونَهُ بَلْ خَلَّتْهُ دُونِي

وقال آخر

إِنَّ الْحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلَبَاتُهُ * وَوَجَدْتُ حَالِبَةَ الْحَلَالِ مَصُورًا
قِيلَ لِأَعْرَابِي : إِنْ فَلَانَا أَفَادَ مَا لَا عَظِيمًا قَالَ : فَهَلْ أَفَادَ مَعَهُ أَيَّامًا يُنْفِقُهُ فِيهَا ؟
وَفِي كِتَابِ الْهِنْدِ : ذُو الْمَرْوَةِ يَكْرَهُ مُعْدِمًا كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا ، وَمَنْ لَا مَرْوَةَ
لَهُ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا كَالْكَلْبِ وَإِنْ طُوقَ وَحُلِيَ . وَقَالَ خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
أَعَاذِلْ إِنَّ الْمَالَ أَعْلَمُ أَنَّهُ * وَجَامِعُهُ لِلْفَائِلَاتِ الْعَوَائِلِ
مَتَى تَجْمَعُنِي فَوْقَ نَعَشِكَ تَعْلَمُنِي : أَيُّغْنِي مَكَانِي أَبْكُرِي وَأَفَائِلِي

وقال آخر

إِذَا الْمَرْءُ أَثْرَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ * أَنَا السَّيِّدُ الْمُقْضَى إِلَيْهِ الْمَعْظَمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْرًا أَبَوًا أَنْ يَسُودَهُمْ * وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ

وقال زَبَّانُ بْنُ سَيَّارٍ

وَلَسْنَا كَقَوْمٍ مُحَدِّثِينَ سَيَادَةً * يُرَى مَا هُيَا وَلَا يُحْسُ فَعَالُهَا
مَسَاعِيهِمْ مَقْصُورَةٌ فِي بَيْوتِهِمْ * وَمَسَاعَاتُنَا ذُبْيَانُ طُرًّا عِيَالُهَا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصَّبْرُ عَلَى حَقُوقِ الْمَرْوَةِ أَشَدُّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلَمِ
الْحَاجَةِ ، وَذِلَّةُ الْفَقْرِ مَانِعَةٌ مِنَ عَزِّ الصَّبْرِ كَمَا أَنَّ عَزَّ الْغِنَى مَانِعٌ مِنْ كَرَمِ الْإِنْصَافِ .
وقال بعض المتكلمين في ذَمِّ الْغِنَى : أَلَمْ تَرِذَا الْغِنَى مَا أَدْوَمَ نَصَبَهُ ، وَأَقْلَّ رَاحَتَهُ ، وَأَخْسَّ
مِنْ مَالِهِ حَظَّهُ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْأَيَّامِ حَذَرَهُ ، وَأَغْرَى الدَّهْرَ بِثَلَمِهِ وَنَقَضَهُ ، ثُمَّ هَوَّيْنِ
سُلْطَانَ يَرْعَاهُ ، وَحَقُوقَ تَسْتَرِثِيهِ ، وَأَكْفَاءَ يَتَنَافِسُونَهُ ، وَوَلَدٍ يَوَدُّونَ فِرَاقَهُ ، قَدْ بَعَثَ
عَلَيْهِ الْغِنَى مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَنَاءَ ، وَمِنْ أَكْفَائِهِ الْحَسَدَ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْبَغْيَ ، وَمِنْ ذَوِي

وَبَاكَرِي بِصَابٍ وَوَرِدٍ * أَعَانِكَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَا الْجَنَدِ ٥

يَا بَنِيَّ، أَتَقِ اللَّهَ، فَإِنَّهُ مَنْ أَتَقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ، فَلْتَكُنِ
التَّقْوَى عِمَادَ عَيْنِكَ وَجِلَاءَ قَلْبِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ وَلَا أَجْرَ لِمَنْ
لَا حِسْبَةَ لَهُ، وَلَا مَالَ لِمَنْ لَا رَفْقَ لَهُ، وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ. وَقَالَ مُحَمَّدٌ الْوَرَّاقُ

۱۰
یا عائبَ الفقرِ ألا تَرَدِّحُ * عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَسِرُ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ * عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ
أَنْكَ تَعْصِي اللَّهَ تَبْغِي الْغِنَى * وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كَيْ تَفْتَقِرُ

وقال آخر

ليس لي مالٌ سوى كرمي * فيه لي أمنٌ من العُدم
لا أقول : اللهُ أعدمني * كيف أشكو غيرَ ممّهم
قنيتُ نفسي بما رزقتُ * وتمطت بالعلَى همي
وجعلتُ الصبرَ سابعاً * فهي من قرني إلى قدي
فاذا ما الدهرُ عاتبني * لم يجِدني كافراً نعي

التجارة والبيع والشراء

قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ حَدَّثِهِ يَرْفَعُهُ
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بُعِثْتُ مَرْغَمَةً وَمَرْحَمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ تَاجِرًا
 وَلَا زَرَّاعًا وَإِنَّ شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّجَارُ وَالزَّرَاعُونَ إِلَّا مَنْ شَخَّحَ عَنْ دِينِهِ» . وفي حديث

آخر رواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبيرة: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الكسب أطيب قال : « عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عَوْنُ بْنُ عُمَارَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « مِنْ تَجَرَّرَ فِي شَيْءٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يُصِبْ فِيهِ فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ » . وَقَالَ : « فَزَقُوا بَيْنَ الْمَنِيَاءِ ، وَاجْعَلُوا الرَّأْسَ رَأْسَيْنِ وَلَا تُثَلِّثُوا بَدَارَ مَعْجَزَةٍ » . وَقَالَ : « إِذَا اشْتَرَيْتَ بَعِيرًا فَاشْتَرِهِ عَظِيمَ الْخَلْقِ فَإِنْ أَخْطَأَكَ خَيْرٌ لَمْ يُخْطِئَكَ سَوْقٌ » . وَقَالَ : « بَيْعُ الْحَيَوَانِ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ فِي عَيْنِكَ » . وَقَالَ الْحَسَنُ : « الْأَسْوَاقُ مَوَائِدُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا » . ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : « مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ يَبِيعُ شَيْئًا ، فَقَالَ : « عَلَيْكَ بِالسَّوْمِ أَوَّلَ السُّوقِ فَإِنَّ الرِّبَاحَ مَعَ السَّامِحِ » . وَكَانَ يَقَالُ : « اسْتَمَحَّ يُسَمِّحُ لَكَ » . وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ وَالْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ » . وَقِيلَ لِلزُّبَيْرِ : « بَمَ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ مِنَ الْيَسَارِ ؟ » قَالَ : « لَمْ أَرُدَّ رَجُلًا وَلَمْ أُسْتَرْعِبًا » . دَخَلَ نَاسٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلُوهُمُ عَنْ صَنَائِعِهِمْ ، فَقَالُوا : « بَيْعُ الرَّقِيقِ » . قَالَ : « بَيْسُ التَّجَارَةِ ضِمَانُ نَفْسٍ وَمَوْنَةٌ ضَرَسٌ » .

باع رجل ضيعة فقال للمشتري : أما والله لقد أخذتها ثقيلة المونة قليلة المنفعة ، فقال : وأنت والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفريق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير في النهاية وابن منظور في اللسان « فزقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين الخ »

وقالا في تفسيره : إذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تغالوا في الثمن واشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين فإن مات الواحد بقي الآخر فكانكم فرقتهم ما لكم عن المنية اه ولا تثلثوا بدار معجزة أي لا تقيموا بدار يعجزكم فيها طلب الرزق وتحولوا عنها إلى غيرها .

رجل داراً فقال له المشتري: لو صبرت لا شريت منك الذراع بعشرة، فقال: وأنت لو صبرت بعثك الذراع بدرهم.

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي أن أبا سفيان بن العلاء باع غلاماً له بثلاثين ألفاً فقال عمر بن أبي زائدة: هذا أحق، قالوا: كيف؟ قال: لأنه لم يبلغ ثلاثين ألفاً حتى أعطى قبل ذلك عشرون ألفاً فكيف أنتظروا لم يغتنمها. ورأى عبد الله ابن جعفر يمسك في درهم فقيل له: أئتما كس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالي جدت به وهذا عقلي بخلته. ابتاع ابن عمر شيئاً فحسب له البائع على المكيال فقال له ابن عمر أرسل يدك ولا تمسك على رأسه فإنما لي ما يحمله المكيال. كان جرير بن عبد الله إذا اشترى شيئاً قال لصاحبه: إن الذي أخذنا منك خير مما أعطيناك إذ أظن أنه كذلك فأنت بالخيار. اشترى عمرو بن عبّيد إزاراً للحسن بستة دراهم ونصف فأعطاه سبعة دراهم فقال الرجل: إنما بعته بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما.

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: إذا عَزَبَ المالُ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ، لا بَلَحَةٌ ولا بُسْرَةٌ ولا رُطْبَةٌ ولا كُرْأَفَةٌ. ونحوه قول بعض المجازيين سَأْبَغِيكَ مَالاً بِالْمَدِينَةِ إِنِّي * أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَمَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ بَيْنَنَا أَمْوَالَنَا وَقَالَ لِي: يَا بْنَ أَخْتِي إِنِّي أُؤْتِرُكَ بِالْقَرَابَةِ، أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَالَ لِأَخْرَقَ وَلَا عِيْلَةَ عَلَى مُصْلِحٍ، وَخَيْرُ الْمَالِ مَا أَطْعَمَكَ لَا مَا أَطْعَمْتَهُ، وَإِنَّ الرِّقِيقَ جَمَالٌ وَلَيْسَ بِمَالٍ. قال زياد: ليس لذي ضَعْفٍ

مثل أرض عُشْر وليس لدى جَاهٍ مثلُ خَرَّاجٍ وليس لتاجرٍ مثلُ صامِتٍ . قال رجل
لآخر: بكم تبِيعُ الشاةَ؟ قال: أخذتها بستةٍ وهى خيرٌ من سبعةٍ وقد أُعْطِيتُ بها ثمانيةً
فإن كانت من حاجتك بتسعةٍ فزِدْ عشرةً . كان يقال: خيرُ المالِ عينُ نَخَّارةٍ،
فى أرضِ خَوَّارةٍ، تُفَجِّرُها الفارةُ، تسهرُ إذا نِمْتَ، وتشهدُ إذا غِبْتَ، وتكون عِقْباً
إذا مِتَ . عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال: إن الله
إذا أبغض عبداً جعل رزقه فى الصَّياح . وقال الفضيل مثل ذلك وقال: أما سمعت
إلى أهل دارِ البطيخِ والملاحين ودويهم .

قال حدثنا أحمد بن الحليل قال حدثنا أحمد بن الحارث الهجيمى قال حدثنا
المبارك بن سعيد عن بُرْد بن سنان عن نافع عن ابن عمر أنه كان لا يرى بالمكائسة
والمماكسة فى الشراء والبيع بأساً .

قال حدثنى محمد قال حدثنى الأصبهاني عن يحيى بن أبى زائدة عن مجالد عن
أبى بردة . قال: أتى عمرُ غلاماً له يبيع الحُللَ، فقال له: إذا كان الثوب عاجزاً فأنشره
وأنت جالسٌ وإذا كان واسعاً فأنشره وأنت قائم . قال، فقلتُ له: الله الله يا عمرُ.
قال: إنما هى السُّوق . قال عبد الله بن الحسين: غلَّةُ الدورِ مُسَكَّةٌ وغلَّةُ النخلِ
كَفَافٌ وغلَّةُ الحَبِّ الغنى . قال أعرابيٌّ

زيادةُ شَيْءٍ تُلِحِقُ النفسَ بالمنى * وبعضُ الغلاءِ فى التجارة أَرْجُ
ولمَّا بلغ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ أَنَّ أَهْلَ البصرة قد اتخذوا الضَّياعَ وعمَّروا الأرضين
كتب إليهم: لا تُنْهَكُوا وَجْهَ الأرضِ فإن شَحْمَتَهَا فى وجهها . قال أعرابيٌّ
وفى السُّوق حاجاتٌ وفى النَّقْدِ قِلَّةٌ * وليس يُمَقِّضُ الحاجِ غيرُ الدِّراهمِ .^(١)

قال ميمون بن ميمون: من اشترى الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غِنًى .
(١) كذا بالأصل . ولم نجد فى القاموس أو اللسان أفضى بمعنى قضى . ولعله: وليس مُقَضَّى الخ .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي . قال : حدثني شكر الحرشي^(١) قال : جاء الحسن بشاة فقال لي بيعها وأبرأ من أنها تقلب المعلق وتزع الويد من قبل البيع لئلا يقولوا ندم . قال الشاعر

إذا ما تاجر لم يؤف كلاً * فصب على أنامله الجُدام

ابن الزيات في الطائي

رأيتك سهل البيع سمحاً وإنما * يغالي إذا ما ظن بالشئ بائعاً^(٢)
هو المراء إن أحميته طاب شربه * ويكدر يوماً أن تباح مشارعه

حدثت عن شيبان بن فروخ عن أبي الأشهب عن الحسن قال : كان رجل يتجمر في البحر ويحمل الخمر يأتي بها قوماً ، فعمد إليها فزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصّرف واشترى قرداً فحمله معه في السفينة ، فلما لجج في البحر لم يشعر إلا وقد أخذ القرد الكيس وعلا على الصّاري وجعل يلقي ديناراً في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمه قسمين . قال رجل من الحاج : أتانا رجل من الأعراب بالرمل في طريق مكة بغرارة فيها كجاة ، فقلنا له : يكّم الغرارة ؟ فقال : بدرهمين ، فقلنا : لك ذلك ، فأخذناها ودفعنا إليه الثمن ، فلما نهض قال له رجل منا : في آست المغبون عود ، فقال : بل عودان وضرب الأرض برجله فاذا نحن على الكجاة قيام . قيل لأعرابي : ألا تشتري لابنك بطيخة . فقال : لا ، أو يبلغ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يدي البقال وأخذه وعداً رماء بأخرى ولم يعد خلفه . اشترى أعرابي غلاماً فقال للبائع : هل فيه من عيب ، فقال : لا ، غير أنه يبول في الفراش . فقال : ليس هذا بعيب ، إن وجد فراشاً فليبل فيه .

(١) في الألمانية « الحارثي » .

(٢) هكذا بالأصل ظن بالظاء ، ولعله صن بالضاد المعجمة بمعنى بخل .

الدين

قال ثابت قُطْنَةُ : الدين عُقْلَةُ الشريف . وقال دُلَيْمٌ

اللهُ لَقِيَ مِنْ عَرَابَةٍ بَيْعَةً * عَلَى حِينِ كَادَ النَّقْدُ يَعْسُرُ عَاجِلُهُ
وَلَوْ بَنَانُ الْكَفِّ يَحْسُبُ رِبْحَهُ * وَلَمْ يَحْسُبِ الْمَطْلَ الَّذِي أَنَا مَاطِلُهُ
سِيرَضِي مِنَ الرَّبْحِ الَّذِي كَانَ يَرْتَجِي * أَسَ الَّذِي أُعْطِيَ وَهَلْ هُوَ قَابِلُهُ

عبد الرزاق عن ابن جريح قال : رأي عمر وأنا متقنع ، فقال : يا أبا خالد ، إن لقمان كان يقول : القِنَاعُ بِاللَّيْلِ رِيَّةٌ وَبِالنَّهَارِ مَذَلَّةٌ ، فقلتُ : إن لقمان لم يكن عليه دين . كتب يعقوب بن داود إلى بعض العباد يسأله القدوم عليه ، فأتى محمد بن النضر الحارثي فاستشاره وقال : لعل الله يقضي ديني ، فقال محمد بن النضر : لأن تلقى الله وعليك دينٌ ولك دينٌ خيرٌ من أن تلقاه وقد قضيت دينك وذهب دينك ، قال عياض بن عبد الله : الدين راية الله في أرضه فإذا أراد أن يُذِلَّ عبداً جعلها طَوْقاً في عنقه . دخل عتبة بن عمرو على خالد القسري . فقال خالد يُعَرِّضُ بِهِ : إن ههنا رجالاً يَدَانُونَ في أموالهم فإذا فُتيت آذَنُوا في أعراضهم . فقال عتبة : إن رجالاً لا تكونُ مُرُوءَاتُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَدَانُونَ عَلَى سَعَةِ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَخَجَلُ خَالِدٍ وَقَالَ : إِنَّكَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْتُ . وقال أعرابي يذكر غُرَمَاءَ لَهُ

جَاءُوا إِلَى غَضَابًا يَلْغَطُونَ مَعَا * يَشْفِي أذَاتَهُمْ أَنْ غَابَ أَنْصَارِي
لَمَّا أَبَوْا جَهْرَةً إِلَّا مَلَا زِمَتِي * أَجَعْتُ مَكْرًا بِهِمْ فِي غَيْرِ انْكَارِ
وَقُلْتُ إِنِّي سَيَأْتِينِي غَدًا جَلْبِي * وَإِنْ مَوْعِدَكُمْ دَارُ ابْنِ هَبَّارِ
وَمَا أَوْاعِدُهُمْ إِلَّا لِأَرْبِهِمْ (٢) * عَنِي فُيُخْرِجُنِي نَقْضِي وَإِمْرَارِي

وما جلبتُ اليهم غيرَ راحلةٍ * تحدى برحلى وسيف جفنه عري
إن القضاء سيأتي دونه زمنٌ * فاطوِ الصحيفة وأحفظها من الفار^(١)

وقال آخر لغرمائه

ولو علقتُموني كلَّ يوم * برجلي أويدي في المنجنيق
لما أعطيتُكم إلا تُراباً * يطيرُ في الحياشم والحلوق

وقال آخر

إن آخيتَ الأميرَ فقل سلامٌ * عليك ورحمةُ الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريمٌ * من الأعراب قبيح من غريم
له ألفٌ على ونصف ألف * ونصف النصف في صك قديم
دراهم ما أنتفعتُ بها ولكن * وصلتُ بها شيوخ بني تميم

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي . قال : جاء رجل من بني مخزوم إلى الحارث بن عبد الله بن نوفل وهو يقضي عن أخيه ديناً فقال : إن لي على أخيك حقاً ، قال : ثبتَّ حقك تُعطه . قال : أفمن ملاءة أخيك ووفائه ندعى عليه ما ليس لنا ؟ فقال : أمن صدقك وبرك تقبل قولك بغير بينة ؟ . لزم سهل بن هارون دينٌ كثيرٌ ، فقال أعرابيٌ يوصيه بالتواري عن غرمائه

انزل أبا عمرو على حد قريّة * تربّع إلى سهل كثير السلائق
وخذ نفق اليربوع فأسلك طريقه * ودع عنك إني ناطق وأبن ناطق
وكن كأبي قطب على كل رائع * له باب دار ضيق العرض سامق
وأبو قطبة خناق كان بالكوفة مولى لـ كندة .

حدثني محمد بن عبيد . قال : حدثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير أن رجلاً كان يُبايع الناس ويديانهم ، وكان له كاتب ومتجر ، فيأتيه

(١) في العقد الفريد : النار .

المُعِيرُ والمستَنْظَرُ فيقول لكتابه : أَكَلِي وَأَسْتَنْظِرُ وتجاوز ليوم يتجاوز الله عنا فيه ،
فمات لا يعمل عملاً غيره فغفر الله له . قال سُقْرَانُ الْقُضَاعِيّ

لو كنتُ مولى قيس عيلانَ لم تجد * على لإنسانٍ من الناس درهما
ولكنني مولى قُضَاعَةَ كلها * فليستُ أبالي أن أدِينَ وتغرماً

بلغني عن يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر إلى
عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربعائة درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلفني وعندك
بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم تردّه ، فقال عمر : إني أتخوف أن يصيبني قدرى ،
فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأُمير المؤمنين . حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة ،
ولكنني أتسلفها منك لما أعلم من شحك فاذا ميتٌ جئت فاستوفيتها من ميراثي .

كتب أبو عباد المهلب^(١) إلى صديق له مكثر يستسلفه مالا ، فأعتل عليه بالتعذر
وضيق الحال ، فكتب إليه ابن عباد^(١) : إن كنت كاذبا بفعلك الله صادقا وإن كنت
ملوما بفعلك الله معذورا . أبو اليقظان قال : كان الفضل بن العباس بن عتبة بن
أبي لهب الشاعر يعين الناس فاذا حلت دراهمه ركب حمارا له يقال له شاربُ الريح
فيقف على غرمانه ويقول

بني عَمَّارُ دُوا الدِراهم إنما * يُفَرِّقُ بين الناس حُبُّ الدِراهم

وكان رجل من بني الدَّيْلِ عَمِيرُ الْقُضَاءِ فاذا تعلق به غرماؤه فتر منهم وقال
فلو كنتُ الحديداً لكسروني * ولكنني أشدُّ من الحديد

فعينه الفضلُ فلما كان قبلَ الْحَجَلِ جاء فبني مَعْلَفًا على باب داره ، وكان يقال
للرجل عَقْرِبُ فلقى كل واحد من صاحبه شِدَّةً ، فهجاه الفضل فقال

(١) في الأملانية الهلب ولم تقف على بن اشتري بابي عباد وهو ابن عباد سوى أبي عباد يحيى بن عباد
الضبي البصري ولكن المنسوب إلى المهلب هو محمد بن عباد بن حبيب المهلب

قد تَجَرَّتْ في دارنا عَقْرُبٌ * لا مَرَجَبًا بالعقرب الناجره
 إن عَادَتِ العَقْرُبُ عُدْنَا لها * وكانت النُّعْلُ لها حاضره
 كُلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا * وعَقْرُبٌ تُخَشَى من الدَّائِرِه
 إن عَدَوْا كَيْدُهُ في آسَتِه * لَغَيْرِ ذِي كَيْدٍ ولا نَائِرِه

قال بعضهم : ثلاثة من عازهم عادت عزته ذلة : السلطان ، والوالد ، والغريم .
 وفي الحديث المرفوع : « لصاحب الحق اليد واللسان » . المدائني قال : سائر بعض خلفاء
 بني أمية رجلاً وهو يحادثه ثم قطع حديثه وأصفّر لونه ، فقال له الرجل : ما هذا
 الذي رأيت منك ؟ قال : رأيت غريماً لي ، قال الشاعر

إذا ما أخذت الدين بالدين لم يكن * قضاءً ولكن كان غُرمًا على غُرم

وقال آخر
 أخذت الدين أدفع عن تِلَادِي * وأخذت الدين أهلك للتِلَادِ
 كان لرجل من يَحْصُبَ على رجل من باهلة دينٌ ، فلما حل دينه هرب الباهلي
 وأنشأ يقول

إذا حلّ دينُ اليَحْصِيّ فقل له : * تَرَوْدُ بَزَادَ وَأَسْتَعِنُ بِدِيلِ
 سَيُصْبِحُ فوقَ أَقَمِ الرَّأْسِ واقِعًا * بِقَالِي قَلَا أو من وراء دَيْبِلِ

قال المحدث بهذا : فحدثني من رآه بقالي قَلَا أو بدبيل وهو مصلوب وقد وقعت
 عليه عِقَابٌ . وقف أبو فرعون الأعرجي على باب قوم يسألهم ، فحلفوا له : ما عندهم
 شيء يُعْطُونُهُ ، فقال : استقرضوا لنا شيئاً ، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شيئاً ، فقال
 أبو فرعون : ذلك لأنكم تأخذون ولا تُعْطُونَ ، أو قال ولا تَقْضُونَ ، أتى قوم عبادياً
 فقالوا : نحب أن تُسَلِّفَ فلاناً ألف درهم وتؤخره بها سنة ، قال : هذه حاجتنا ،

(١) الذي في اللسان : سيصبح فوق أقم الریش واقعا .

وسأقضى لكم إحداهما ، وإذا أنا فعلتُ فقد أنصفتُ ، أنا أُوخره ما شاء . كتب عمر
ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دين : قد آن للحق الذي عندك أن يرجع إلى أهله ،
وتستغفر الله تعالى من حبسه .

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمرو وعُروة بن الزبير ومُصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان
بِفناء الكعبة ، فقال لهم مصعب : تمنّوا فقالوا : ابدأ أنت . فقال : ولاية العراق
وتزوّج سَكينةَ ابنة الحسين وعائشة بنت طاححة بن عبيد الله ، فنال ذلك وأصدق كلَّ
واحدة خمسمائة ألف درهم وجهّزها بمثلها . وتمنى عُروة بن الزبير الفقه وأن يُحمّل عنه
الحديث فنال ذلك . وتمنى عبد الملك الخلافة فنالها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنة .
قال قُتيبة بن مسلم لحُصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : امرأةٌ حسناء ، ودارٌ
قوراء ، وفرسٌ مُرتبطٌ بالفناء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرور ؟ قال : لواءٌ
منشور ، وجلوسٌ على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لعبد الملك بن
صالح : ما السرور ؟ فقال

كلُّ الكرامة نلتُها * إلا التحية بالسلام

يريد أنه لم يُسلم عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر

من كلِّ ما نال الفتى * قد نلتُهُ إلا التحية

يريد المُلك . قيل لعبد الملك بن الأَهمم : ما السرور ؟ فقال : رفعُ الأولياء ، وحطُّ

الأعداء ، وطولُ البقاء ، مع القدرة والنماء . وقال آخر

أطيبُ الطيّبات قتلُ الأعادي * واختيالٌ على مُتُونِ الجياد

وأَيَادٍ حَبَوْتِهِنَّ كَرِيماً * إن عندَ الكريمِ تزكو الأيادي

قيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ فقال : توقيع جاز وأمر نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أي شيء أسر إلى القلوب ؟ فقالوا : رجل هوى زمانا ثم قدر ، فقال : إن هذا السرور . وقال آخر : رجل طلب الولد زمانا فلم يولد له ثم بشر بغلام ، فقال يزيد : أسرت من هذا كله قفلة على غفلة . قيل لبعض الحكماء : تمنى ، فقال : مُحَادَثَةُ الإخوان ، وكَفَاف من عيش يسد خلتى ويسترعورق ، والانتقال من ظل إلى ظل . قيل لآخر : ما بقى من ملاذك ؟ قال : مناقلة الإخوان الحديث على التلاع العُفْرِفى الليالى القمر . قيل لامرئ القيس : ما أطيب عيش الدنيا ؟ فقال : بيضاء رُعبوبة ، بالطيب مشوبة ، بالشحم مكروبة . وقيل لطرفة مثل ذلك فقال : مطعم شهى وملبس دفى ، ومركب ويطى . وقيل للأعشى مثل ذلك ، فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية . وقال طرفة

١٠

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كمت متى ما تعل بالماء يزيد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * بهكنة تحت الطراف المعمد
وكرى اذا نادى المضاف محبا * كسيد الغضا نبتته المتورد

١٥

وقال أبو نواس

قلت بالقفص ليحيى * وندامى نيام
يارضيعى ثدى أم * ليس لى عنه فطام
إنما العيش سماع * ومدام وندام
فإذا فاتك هذا * فعلى العيش السلام

٢٠

وقال سحيم

تقول حذراء : ليس فيك سوى الخمر معاب يعيبه أحد

فقلت: أخطأت، بل معاقرتي السخمر وبذلي فيها الذي أجد
هو السناء الذي سميت به * لا سبد محتدي ولا لبس^(٢)
ويمحك لولا الخمر لم أحفل السعير ولا أن يضمني لحد
هي الحيا والحياة والآهولا * أنت ولا ثروة ولا ولد

وقال أبو الهندي

تركت الخمر لأربابها * وأصبحت أشرب ماء قراحا
وقد كنت حينها معجبا * كحب الغلام الفتاة الرذاحا
وما كان تركي لها أثنى * يخاف نديمي على افتضاحا
ولكن قولي له مرحبا * وأهلا مع السهل وأنعم صباحا

وقال آخر

أسقني بالكبير إني كبير * إنما يشرب الصغير الصغير
لا يغررك يا عبيد خشوعي * تحت هذا الخشوع فسق كثير

كان ابن عائشة يُنشد

لم أر أيت الحظ حظ الجاهل * ولم أر المغبون غير العاقل
رحلت عتسا من كروم بابل * فنت من عقلي على مراحل

وقال آخر

شربنا من الداذي حتى كأنا * ملوك لهم بر العراقين والبحر
فلما أنجلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

قال بعضهم : العيش كله في كثرة المال وصحة البدن ونحو ذلك . وكان

يقال : ليس السرور للنفس بالحدة ، إنما سرور النفس بالأمل . قال يزيد بن معاوية :

(١) في النسخة الألمانية : السناء . (٢) في النسخة الألمانية : نخدي .

ثلاث تُخْلِقُ العقلَ وفيها دليلٌ على الضَّعْفِ : سرعةُ الجواب ، وطولُ التَّمَنِّي ، والاستغراب
في الضحك . وكان يقال : المُنَى والحُلُمُ أخوان . وسئل ابنُ أبي بَكْرَةَ : أَيُّ شَيْءٍ أَذْوَمُ
إِمْتاعاً ؟ فقال : المُنَى . وقال الشاعر

إذا تَمَنَّيْتُ بَتَّ اللَّيْلِ مُغْتَبِطاً * إن المُنَى رأسُ أموالِ المَفاليسِ

وقال آخر

ما فاتني منك فإنَّ المُنَى * تَدْنِيهِ مِنِّي فَكأنَّا معا ^(١)

وقال آخر

وإن لَوَّاليسِ شَيْئاً سِوَى * تسليَةِ اللَّوْمِاءِ بِالْباطِلِ

وقال بعضُ الأعراب

مُنَى إن تكن حقاً تكن أحسنَ المُنَى * وإلا فقد عشنا بها زمناً رَغْداً
أمانِيٍّ من سُعدَى عِذاباً كأنما * سَقَّتْكِهَا سُعدَى على ظمأٍ بَرْدَاً

وقال بشار

كررنا أحاديثَ الزمان الذي مضى * فلذَّ لنا محمودُها وذمُّها

وقال المجنون

أيا حَرَجاتِ الحَيِّ حيثَ تَحْمَلُوا * بذى سَلَمٍ لا جَادَ كُنَّ ربيعُ
وخِيامُكُ اللَّاتِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى * يَلِينُ يَلَى لم تَبْلَهَنَّ رُبوعُ
فَقَدْ تُكُ مِنْ نَفْسِ شَعاعٍ فُطِلما ^(٢) * نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتِ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتِ ^(٣) * إِلَيْكَ ثَنائاً ما لَهَنَّ طُلوعُ

(١) في الأصل «يدنيه» . (٢) كذا في الأغاني واللسان . وفي الأصول «قلب» .

(٣) في الأصول «منال ثنايا الخ» . والتصويب عن الأغاني .

وقال ابن أبي الدُّمينة^(١)

يَالِيتَنَا فَرَدًا وَحِشٌ نَدُورُ مَعًا * نَرَعَى الْمَتَانَ وَنَخْفَى فِي نَوَاحِيهَا^(٢)
أَوَلَيْتَ كُدَّرَ الْقَطَا حَاقِنٌ بِوَبَا * دُونَ السَّمَاءِ فَعِشْنَا فِي خَوَافِيهَا
أَكْثَرُ مِن لَيْتِنَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي * وَمِنْ مَنَى النَّفْسِ لَوْ تُعْطَى أَمَانِيهَا

وقال كثير

فِيَا لَيْتِنَا يَا عَزَّ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ * بَعِيرَانِ نَرَعَى فِي الْفَلَاةِ وَنَعَزُبُ
نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ يُضِيعُنَا * فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ

وقال جرَّانُ العود

أَلَا لَيْتِنَا طَارَتْ عُقَابٌ لَنَا مَعًا * لَهَا سَبَبٌ عِنْدَ الْمَجَرَّةِ أَوْ وَكُرُ

وقال مالك بن أسماء

وَلِمَا نَزَلْنَا مِنْزِلًا طَلَّهَ النَّدَى * أَنْيَقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدُّ لَنَا طَيْبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ * مَنَى فَتَمَنِينَا وَكَنَيْتِ الْأَمَانِيَا

وأنشدنا الرِّياشي

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا * لِيَ اللَّيْلِ مَلَّتْنِي هُنَاكَ الْمَضَاجِعُ^(٣)
أُقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى * وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ

وأنشد أبو زيد

كَأَنِّي إِذَا أَسْعَى لِأُظْفَرَ طَائِرٌ * مَعَ النِّجْمِ فِي جَوْ السَّمَاءِ يَطِيرُ
فَتَى مُتَلَهًى بِالْمَنَى فِي خِلَائِهِ * وَهَنَ وَإِنْ حَسْتَمُنَّ غُرُورُ

(١) كذا بالأصول بزيادة أبي ، والصواب ابن الدمينة .

(٢) المتان جمع متن وهو ما صلب من الأرض وارتفع .

(٣) في ديوان ابن الدمينة : « هزنتني إليك » بدل « ملئتني هناك » .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : زعم شيخ من بني القُحَيف قال : تمنّيتُ داراً
فمكثتُ أربعة أشهر مُغتنيّاً للدرجة أين أضعُها . قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيْحِ المُنْعِيّ :
خذ بنا في التمتي فوالله لأغلبنك . قال : والله لا تغابني أبداً . قال : بلى ، قال بُدَيْحٌ :
فإني أتمني كفلين من العذاب ، وأن يلعنني الله لعنا كثيراً نخذِ ضعفي ذلك . قال :
غلبتني لعنك الله . قيل لمزيد : أيسرك أن هذه الجنة لك ؟ قال : وأضربُ عشرين
سوطاً . قالوا : ولم تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

الأصمعيّ عن مُبَشَّرِ بن بَشِيرٍ أن رجلاً كان يطلبه الحجاج فترسأ باط فيه كلب بين
جبين يقطر عليه ماءهما . فقال : ياليتني مثلُ هذا الكلب ، فما لبث ساعة أن مرَّ
بالكلب في عنقه حبلاً ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كتابُ الحجاج يأمر فيه بقتل
الكلاب . قال مَدِينِيّ لكوفيّ : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :
وَدِدْتُ أني وقَّيته ولم يكن وصل إليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شيء من المكروه إلا كان بي
دونه . قال المَدِينِيّ : وَدِدْتُ أن أبا طالب كان أسلمَ فسُرَّ به رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم وأتى كافرٌ .

تمنّى ابن أبي عتيق أن يهْدَى له مسلوخٌ يتخذُ منه طعاماً ، فسمعتُه جارةً له
فظنّت أنه قد أمر أن يُشترى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تدقُّ الباب ،
وقالت : شِمِمْتُ رِيحَ قُدُورِكُمْ بِخُبَّتِ لِطَعْمُونِي ، فقال ابن أبي عتيق : جيرانِي يَشْمُون
ريحَ الأمانِي .

وفي كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن في جرة ، ففكر يوماً فقال : أبيعُ
الجرةَ بعشرة دراهم ، وأشتري خمسة أعنزٍ فأولدهن في كل سنة مرتين ، ويبلغ التناجُ
في سنين مائتين ، وأبتاعُ بكل أربع بقرة ، وأصيب بذراً فأزرع ، ويتمى المسألُ
في يدي ، فأَتَّخِذُ المساكين والعبيد والإماء والأهل ويؤلِّدُ لي ابنٌ فأسميه كذا وأخذه

بالأدب ، فإن هو عصاى ضربت بعصاى رأسه وكانت فى يده عصا فرفعها حاكيا للضرب ، فأصابته الجثة فانكسرت ، وانصب العسل والسمن على رأسه .

ابن الكلابى قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسرورا قال
ليت أيامنا ببرقة خاخ * وليالك يا طويل تعود

وإذا كان مغتما قال

ترى الشيء مما نتقى فتخافه * وما لا ترى مما يقى الله أكثر

الأصمعى عن أبيه قال قال زياد : أى الناس أنعم ؟ قالوا : معاوية . قال :
فأين ما يلقي من الناس ! قالوا : فانت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والخسراج !
قالوا : فمن ؟ قال : شاب له سيداد من عيش ، وامرأة قد رضيها ورضيته ، لا يعرفنا
ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه .

التواضع

قال حدثنى محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا مسلم بن قتيبة عن شيخ من
أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حيوة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من
السراج فقلت : يا أمير المؤمنين لم لا أمرتني بذلك ، أو دعوت له من يصلحه ؟
فقال : قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر .

قال حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القرظى ،
ف قيل له : أو الأنصارى . فقال : أكره أن أؤمن على الله بما لم أفعل .

قال حدثنى أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الله بن مسلمة عن يعقوب بن حماد
المدنى عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب إذا سافر
لا يقوم فى الظل ، وكان يراجلنا يراجلنا ويُرَّحِّل رحله وحده . وقال ذات يوم

(١) لا يأخذ الليلُ عليك بالهم * والبس له القميص واعتم
وكن شريكاً نافعاً وأسلم * ثم آخذم الأقوامَ حتى تُخدم

وروى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصابته رعدةٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «هَوِّنْ
عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديدَ» .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : جالس الأحنف على باب دار ، فمرت به
ساقيةٌ فوضعتُ قِربَتها وقالت : يا شيخ ، احفظ قِربتي حتى أعود ومضت ، فأتاه الأذن
وقال : انهض . فقال : إن معي وديعةً ، وأقام حتى جاءت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحارث عن
أبي ليبد ، قال : مرّ بنا زياد وهو أمير البصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة
قد طوّق الحبل في عنقها تحت اللجام .

الأصمعيّ قال ، قال يحيى بن خالد : الشريف إذا نُقِرَ تواضع والوضيع إذا نُقِرَ
تكبر . الأصمعيّ قال : لا أراه أخذه إلا من كيس غيره .

حدثنا حسين بن حسن المروزيّ قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن
أيوب عن عمارة بن غزيرة عن عبد الله بن عمرو بن الزبير قال : إلى الله أشكو
حمدي ما لا آتي ، وذمّي ما لا أترك .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن أبي نعيم عن مُنْدِلٍ عن حميد عن أنس قال :
مرّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في غلمانٍ فسلم علينا .

وحدثني أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شعبة عن جابر عن طارق التيميّ
عن جرير بن عبد الله البجليّ قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسوةٍ فسلم عليهن .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصول وهو مختل الوزن . (٢) يقال نقر إذا نودي باسمه من بين الأسماء .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرني معمر قال : قلت لجزار لعطاء السلمي : من كان يخدم عطاء ؟ قال : مَحْتَنُونَ كانوا في الدار يستقون له وضوءه . فقلت : أيوضئه محتنون ! فقال : هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعي عن رجل عن النبي قال : آذى ابن محمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريت أهلك بمائة درهم .

قال عامر بن الظرب العدواني : يا معشر عدوان ، إن الخير ألوف عروف عروف ، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنى لم أكن حكيما حتى صحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم . قال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصابيد الشرف . كان يقال : اسمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقال بزرجمهر : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقال الوليد : خدمة الرجل أخاه شرف . وقال عبد الله بن طاهر

أميل مع الدمام على ابن عمي * وأحتمل الصديق على الشقيق
وإن ألفتني ملكا مطاعا * فإنك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروفي ومنى * وأجمع بين مالى والحقوقي

وقال آخر

وإني لعبد الضيف من غير ذلة * وما في إلا تلك من شيمة العبد^(١)

ويقال : كل نعمة محسود عليها إلا التواضع . قال المسيح عليه السلام لأصحابه : إذا اتخذكم الناس رءوسا فكونوا أذنانا . اعتم هشام بن عبد الملك فقام الأبرش ليسوى عمامته ، فقال هشام : مه إنا لا نتخذ الإخوان خولا . كان عمر بن الخطاب يلقط النوى ويأخذ النكت من الطريق ، فإذا مرّ بدار رمى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت في الحماسة من أبيات مفتوحة الروى للفتح الكندي هكذا :

وإني لعبد الضيف مادام نازلا * ولا شية لي غيرها تشبه العبد

قال يوسف بن أسباط : يَجْزِي قَلِيلُ الْوَرَعِ مِنْ كَثِيرِ الْعِلْمِ ، وَيَجْزِي قَلِيلُ التَّوَاضُعِ مِنْ كَثِيرِ الْجَهْدِ . وقال بكر بن عبد الله : إِذَا رَأَيْتَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقَنِي بِالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْفَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقْتُهُ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ اخْوَانَكَ يُكْرِمُونَكَ فَقُلْ : نِعْمَةٌ أَحْدَثُوهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ تَقْصِيرًا فَقُلْ : بِذَنْبِ أَحَدِهِمْ . قال عبد الملك بن مروان : أَفْضَلُ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رَفْعَةٍ ، وَزَهَّدَ عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . قال ابن السَّكَّاءِ لعيسى بن موسى : تَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . وقال عبد الملك بن مروان : ثَلَاثَةٌ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ : جُودٌ لغير ثَوَابٍ ، وَنَصَبٌ لغير دُنْيَا ، وَتَوَاضَعٌ لغير ذُلٍّ .

قال إبراهيم النَّخَعِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ رِدْفًا . الْأَعْمَشُ عَنْ أَنَسٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى إِلَى خُبْرِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّيْخَةِ ^(١) فَيُجِيبُ . قَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مُتَكَبِّرًا وَيَأْكُلُ بِالْحَضِيضِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ . قَالَ أَوْسُ بْنُ الْحَدَّثَانِ : رَأَيْتُ أَبَا هُبَيْرَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ عُرِّي يَقُوبُ : الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ . قَالَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ : رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعِيدِ عَلَى حِمَارٍ مَقْطُوعٍ الذَّنْبُ قَدْ سَدَلَ رِجْلِيهِ مِنْ جَانِبٍ . الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : بَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنْبَرِ إِذْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ بَرِيحٌ خَرَجَتْ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ مَيَّلْتُ بَيْنَ أَنْ أَخَافَكُمْ فِي اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ ، فَكَانَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ أَحَبَّ إِلَيَّ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ فَسَوْتُ ، وَهَآنَذَا أَنْزِلُ لِأَعِيدَ الْوُضُوءَ . كَانَ يَقَالُ : مَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَلَالِ قَلَّتْ كِبَرِيَاؤُهُ وَخَفَّتْ مُوَازِينُهُ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا مَنَا أَحَدٌ إِلَّا فُتِّشَ ^(٢) عَنْ جَائِفَةٍ أَوْ مُنْقَلَةٍ خَلَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . الْمُنْقَلَةُ الشَّجَةُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا

(١) الإِهَالَةُ : مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مِنَ الْأَدْهَانِ ، وَالسَّيْخَةُ : الْمَنْغِيرَةُ الرِّيحُ .

(٢) يَرِيدُ : لَيْسَ فِينَا أَحَدٌ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ عَظِيمٌ ، فَاسْتَعَارَ الْجَائِفَةَ وَالْمُنْقَلَةَ لِذَلِكَ .

العظام ، والجنانة التي تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال
[قال] إبراهيم : لقد تكلمت ولو وجدتُ بدا ما تكلمت ، وإن زمانا تكلمت فيه لزمان
سوء . كان رجل من خثعم ردى فقال في نفسه

لو كنت أضعد في التكرم والعلا * كنت حذري أصبحت سيد خثعم

فباد أهل بيته حتى ساد فقال

خَلَّتِ الدِّيَارُ فُسُدتُ غَيْرُ مُسْوَدٍ * وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعي في مثله

إن يقوم سودوك لحاجة * إلى سيد لو يظفرون بسيد

قال يحيى بن خالد : لست ترى أحدا تكبر في إمارته إلا وهو يعلم أن الذي نال

فوق قدره ، ولست ترى أحدا يضع نفسه في إمارة إلا وهو في نفسه أكثر مما نال ١٠

في سلطانه . ومثله ، قيل لعبيد الله بن بسام : فلان غيرته الإمارة ، فقال : إذا ولي

الرجل ولاية فرآها أكثر منه تغير ، وإذا ولي ولاية يرى أنه أكثر منها لم يتغير .

ويقال : التواضع مع السخافة والبخل أحد من السخاء والأدب مع الكبر ، فأعظم

بنعمة عفت من صاحبها بسيتين ، وأقبح بسيئة حرمت صاحبها حسنتين . وفي بعض

كتب العجم : علامة الأحرار ، أن يلقوا بما يحبون ويحرموا أحب إليهم من أن يلقوا ١٥

بما يكرهون ويعطوا ، فأنظر إلى خلة أفسدت مثل الجود فاجتنبها ، وأنظر إلى خلة

عفت مثل البخل فالزمها . كان يقال : الشرف في التواضع ، والعز في التقوى ، والغنى

في القناعة . أبو الحسن قال : خطب سلمان إلى عمر فأجمع على تزويجه ، فشق ذلك

على عبدالله بن عمر وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال : أنا أردته عنك ، فقال : إن ردته

بما يكره أغضبت أمير المؤمنين ، قال : على أن أردته عنك راضيا ، فأتى سلمان فضرب ٢٠

بين كتفيه بيده ، ثم قال : هنيئا لك أبا عبد الله ، هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك ،

فالتفت اليه مُغَضَّبًا وقال، أبي يتواضع ! والله لا أتزوجها أبدا . وقال المزاري بن
مُنْقِذِ الْعَدَوِيِّ^(١)

يا حَبْدًا حين تُمَسِّي الرِّيحُ بَارِدَةً * وَاِدَى أَشْيَءَ ، وَفَتِيَانٌ بِهِ هُضُمُ
يُخَدِّمُونَ ، كَرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ ، * وَفِي الرِّحَالِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خَدَمُ
وَمَا أَصَاحِبُ قَوْمًا ثُمَّ أَذْكَرُهُمْ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ

- ابن المبارك عن ذَرِّ عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا عبد الله بن عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يا بن عم رسول الله ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال زيد : أرني يدك ، فأخرج يده فقبلها زيد ، ثم قال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا عليه السلام . قال عبد الله بن مسعود : رأس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسَّلام ، وأن ترضى بالدُّون من المجلس . ابن أبي الزناد عن أبيه أن العباس بن عبد المطلب لم يمزق قط بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا ترجلا حتى يجوزهما إجلالا له أن يمز وهما راكبان وهو يمشي . كان سلمان يتعوذ بالله من الشيطان والسيطان والعلج إذا استعرب . المدائني قال : سلم رجل على حسان ابن أبي سنان فدعا له ، فقيل : أتعول مثل هذا ! فقال : إن مما يفضِّلني به أن يرى أتي خير منه . قال عبد الله بن شداد : أربع من كن فيه فقد برئ من الكبر : من اعتقل العنز ، وركب الحمار ، ولبس الصوف ، وأجاب دعوة الرجل الدون .

باب الكبر والعجب

حدثني إبراهيم بن مسلم قال حدثنا أبو الشَّكِين قال حدثني عم أبي زحر بن حصن قال ، قال رجل للحجاج : أصلح الله الأمير ، كيف وجدت منزلك بالعراق ؟

(١) جاءت هذه الأبيات في الحماسة ضمن قصيدة معزوة إلى زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ، قال التبريزي : ويقال زياد بن منقذ . (٢) كذا في الأصل ، وفي الحماسة «بادرة» .

قال : خير منزل لو كان الله بلغني أربعة فتقربت بدماهم إليه . قال : ومن هم ؟
قال : مقاتل بن مسعم ، ولي سجستان فاتاه الناس فاعطاهم الأموال ، فلما عُزل
دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أريدتهم فشى عليها ، وقال لرجل يُمَشيهِ : لمثل
هذا فليعمل العاملون . وعبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي ، حزب أهل البصرة
أمر نخطب خطبة أوجز فيها ، فنادى الناس من أعراض المسجد : أكثر الله فينا
أمثالك . فقال : لتمد كلتم الله شَطَطًا . ومعبد بن زُرارة ، كان ذات يوم جالساً
في طريق ، فمرت به امرأة فقالت : يا عبد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا ،
فقال : لهد عبد الله ! أنا لهد^(١) ، أراد كفى بك أنا ، يريد الفخر . وأبو سَمَّال^(٢) الأَسدي ،
أضل راحلته فالتمسها الناس فلم يجدوها ، فقال : والله لئن لم يردد علي راحلتي
لا صليت له أبداً ، فالتمسها الناس حتى وجدوها ، فقالوا : قد رد الله عليك راحلتك
فصل ، فقال : إن يميني كانت صرياً .^(٣)

قال أبو حاتم عن الأصمعي عن كُرْدِين المِسمعي . قيل لرجل متكبر : هل مرت
بك أحمر ؟ فقال للسائل : تلك دواب لا يراها عمك . قال وقال كُرْدِين : رآني
ابن ميادة الشاعر فأعجبته لما رأى من جلدي وبياني . فقال : ممن أنت ؟ قلت :
من بكر بن وائل ، فقال : وفي أي الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جبير بن مطعم في حلقة العلاء بن عبد الرحمن
الخرقي وهو يُقْرِئ الناس . فلما فرغ قال : أندرون لم جلست إليكم ؟ قالوا :
لتسمع ، قال : لا ، ولكن أردت التواضع لله بالجلوس إليكم . قال : ومرت محمد

(١) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ، وفي العقد الفريد الجزء الأول صفحة ٢٤٤ — : فقال : لمثل يقال
يا عبد الله ! ويلك ! (٢) كذا بالأصول ، وفي العقد الفريد : « وأبو سَمَّال الخنفي » وفي اللسان في مادة
صري : « أبو سَمَّال الأَسدي » . (٣) كذا بالفتوغرافية ، وفي الألمانية « ضرياً » والذي في اللسان
والصاحح « علم ربي أنها مني صري » . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة ، أي عزيمة قاطعة ويعين لازمة

ابن المنذر بن الزبير بن العوام في حاجة له ، فانقطع ^(١) قبالة نعله ، فزرع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يعرج عليهما . قال بعض الشعراء

وأعيرض عن ذي المال حتى يقال لي * قد أحدث هذا نخوة وتعظما

وما لي كبر عن صديقي ولا أخ * ولكنه فعلي اذا كنت معدما

- ٥ قيل لبعضهم : ما الكبر . قال : حَقُّ لم يدر صاحبه أين يضعه . قال معاوية بن أبي سفيان : قدم عاقمة بن وائل الحضرمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني رسول الله أن أنطلق به الى منزل رجل من الأنصار أنزله عليه ، وكان منزله في أقصى المدينة ، فأنطلقت معه وهو على ناقة له وأنا أمشي في ساعة حارة وليس عليّ حذاء ، فقلت : احملي يا عم من هذا الحر فإنه ليس عليّ حذاء ، فقال : لست من أراذف الملوك ، قلت : إني ابن أبي سفيان ، قال : قد سمعت رسول الله عليه السلام يذكر ذلك ، قال قلت : فألتي الى نعلك ، قال : لا تقبلها قدماك ولكن آمش في ظل ناقتي فكفاك بذلك شرفاً ، وإن الظل لك لكثير . قال معاوية : فما مر بي مثل ذلك اليوم قط ، ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بل أجلسته معي على سريري هذا . قال ابن يسار ولو لحظ الأرض لي والد * تطأطأت الأرض من لحظته

وقال آخر

١٥

أتية على جن البلاد وإنسها * ولو لم أجد خلقتا لتيت على نفسي

أتية فما أدري من التيه من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنسي

فإن زعموا أتى من الإنس مثلهم * فما لي عيب غير أني من الإنس

وكان عند الرستم قوم من التجار حضرت الصلاة فنهض ليصلي فنهضوا فقال :

- ٢٠ ما لكم ولهذا وما أتيتم منه ! الصلاة ركوع وسجود وخضوع ، وإنا فرض الله هذا

يريد به المتكبرين والمتجبرين والملوك والأعظم مثلي ومثل فرعون ذى الأوتاد
 ونمرود وأنوشروان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه .
 قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خير إلا أن يرى أن فيه خيراً .
 رأى رجلٌ رجلاً يَخْتال في مشيته ويتلفت في أعطافه ، فقال : جعلني الله مثلك
 في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي . قيل لعبد الله بن المبارك : رجلٌ قتل رجلاً
 فقلتُ إني خيرٌ منه ، فقال : ذنبك أشدُّ من ذنبه . قال الأحنف : عَجِبْتُ لمن جرى
 في مجرى البول مرتين كيف يتكبر . ابن عُلَيْسَةَ عن صالح بن رُسْتَمٍ عن رجل عن
 مُطَّرَفٍ ، قال : لَأَنْ أَيْتَ نَائِمًا وَأَصْبَحَ نَائِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَيْتَ قَائِمًا وَأَصْبَحَ
 مُعْجَبًا . وقال هشام بن حسان . سيئةُ تسوءك خير من حسنة تُعْجِبُكَ . قال أبو حازم :
 ١٠ إن الرجل ليعمل السيئة ما عمل حسنةً قط أنفعَ له منها وإنه ليعمل الحسنة ما عمل
 سيئةً قط أضرَّ عليه منها . قال الشاعر

أما ابنُ فَرَوَةَ يونسُ فكأنه * من كِبَرِهِ أَيْرُ الحِجَارِ القَائِمُ
 ما النَّاسُ عندَكَ غيرَ نفسِكَ وحدها * والنَّاسُ عندَكَ ما خَلَكَ بهائمُ

قال المسعودي

١٥ مُسَا تَرَابَ الأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُمَا * وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ
 ولا تَعْجَبَا أَنْ تَرْجِعَا فُتْسَلَمَا * فما خَشِيَ الأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الكِبَرِ
 ولو شئتُ أدلِّي فيكما غيرَ واحد * علانيةً أو قال عندي في سترِ
 فإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما * ضحكْتُ له حتى يُلَحَّ وَيَسْتَشِيرِي

الأصمعي قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كبرٍ قط إلا تحوّل دأؤه في ، يريد أنى أتكبر عليه .
 ٢٠ وقال آخر : ما تاه أحد قط على مرتين ، يريد إذا تاه مرة لم أعاوده . قال الشاعر
 يامُظْهِرَ الكِبَرِ إعْجَابًا بصورته * أنظر خَلَاءَكَ إِنْ النَّتْنُ ثَرِيبُ

لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة * وهو خميس من الأقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سبك * والعين مرمصة والثغر ملعوب
يابن التراب وما كول التراب غدا * أقصر فإنك ما كول ومشروب

- ٥ دفع أردشير الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له : اذا رأيتني قد
أشتد غضبي فادفعه اليّ، وفي الكتاب : أمسك فلست بإله انما أنت جسد يوشك
أن يأكل بعضه بعضا ويصير عن قريب للذود والتراب . كان للسندي والى الجسر
غلام صغير قد أمره بأن يقوم اليه إذا ضرب الناس بالسياط فيقول له : ويلك
ياسندي، اذكر القصاص . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك
١٠ أبا جعفر عرج على خطائك * وأقصر قليلاً عن مدى غلوائكا
فإن كنت قد أعطيت في اليوم رفعة * فاب رجائي في غد كرجائك
قال لي بعض أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعت رجلاً ينشد

ألا ربّ ذي أجلٍ قد حضر * طويل التني قليل الفكر
إذا هزّ في المشي أعطافه * تبيّنت في منكيه البطر

- ٥ قال : فغدوت عليه لأكتب تمام القصيدة فوجدته قد مات . المدائني قال :
رأيت فلاناً مولى باهلة يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته بعد ذلك راجلاً
في سفر، فقلت له : أراجل في هذا الموضع ؟ قال : نعم ، إني ركبت حيث يمشي
الناس فكان حقاً على الله أن يرجلني حيث يركب الناس . وقال أبو نواس في جعفر
ابن يحيى البرمكي

- ٢٠ وأعظم زهواً من ذباب على نحر * وأبخل من كلب عقور على عرق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر * لما وضعوه الناس إلا على حرق

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل علامة الفاعل قبل ذكره وهي لغة أردشنة .

وقال آخر

أَجُّ لِحَاجَا مِنْ الْخُنْفَاءِ * وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غِرَابِ

قيل لرجل من بني عبد الدار : ألا تأتي الخليفة ، قال : أخشى ألا يَجِلَّ الحُسْرُ شَرَفِي . وقيل له : البس شيئاً فان البرد شديد ، فقال : حَسْبِي يَدْفِنُنِي . قال أبو اليقظان : كان الحجاج أستعمل بلالاً الضبي على جيش وأغزاه قلاع فارس ، وكان يقال لذلك الجيش : بَيْبِي ، سُمِّيَ بذلك لأنه فرض فرضاً من أهل البصرة فكان أهلهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : بَيْبِي . وفي جيشه قال الشاعر

إلى الله أشكو أنني بت حارساً * فقام بلالٌ فبال على رجلى
فقلت لأصحابي أقطعوها فإني * كريمٌ وإني لن أبلغها رجلي

مد أعرابي يده في الموقف وقال : اللهم إن كنت ترى يداً أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمعت الحجاج بن أرقطاة يقول : قتلتى حُبَّ الشرف . وقيل له : مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال : أكره أن يزحمني البقالون . كان جَذِيمَةُ الأبرش — وهو الوضاح سُمِّيَ بذلك لبرص كان به — لا يُنادِمُ أحداً ذهاباً بنفسه ، وقال : أنا أعظم من أن أنادِمَ إلا الفرقدين ، فكان يشرب كأساً ويصب لكل واحد منهما في الأرض كأساً ، فلما أتاه مالك وعقيل بابن أخته الذي استهوته الشياطين قال لهما : احتكما ، فقالا له : مُنادِمُكَ ، فنادماه أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حديثاً . وفيهما يقول مُتَمِّمُ بن نويرة وكنا كندمانى جَذِيمَةُ حَقْبَةَ * من الدهر حتى قيل لن نتصدا

(١) كذا بالأصل وفي لسان العرب في مادة زها . وأورد الميداني المثل هكذا «أخ من الخنفساء» بالخاء المهملة ولم يشرحه ، وعلمه في كتاب فرائد الآل بأن الخنفساء إذا وقعت عن موضع عادت إليه .

(٢) أصله بآبي ، أبدلت الهمزة فيه ياء ، انظر اللسان في مادة آبي . وفي الأغاني ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد بُجِرْد فتضمه إليها وتقول له بآبي جزعا عليه فسمى ذلك الجيش جيش بآبي .

وقال الهذلي

ألم تعلّمني أن قد تفرّق قبلنا * خليلاً صفاً مالِكٌ وعقيلٌ
 قيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيبٌ إلا أنك مُعَجَّبٌ، قال : أفأعجبكم؟ قالوا : نعم
 قال : فأنا أحق أن أعجب بما يكون مني . ويقال : للعادة سلطانٌ على كلّ شيء،
 وما استنبط الصوابُ بمثل المشاورة، ولا حصّلت النعمُ بمثل المواساة، ولا اكتسبت
 البغضة بمثل الكبر .

باب مدح الرجل نفسه وغيره

قال الله عز وجل حكايةً عن يوسف : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ
 عَلِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيدُ ولد آدم ولا فخر" . وقال الأنصار :
 "والله ما علمتكم إلا تَقْلُونَ عند الطمع وتَكْثُرُونَ عند الفزع" . وذكر أعرابيٌّ قومًا
 فقال : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئًا إلا وقد وطئناه بأخامنا، وإن
 أقصى منّاهم لأدنى فعالنا . ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد، قال : كنتُ
 أمشي مع الشَّعْبِيِّ وأبي سَلَمَةَ ، فسأل الشَّعْبِيُّ أبا سَلَمَةَ : مَنْ أعلمُ أهل المدينة؟ فقال :
 الذي يمشي بينكما، يعني نفسه . وقال الشَّعْبِيُّ : ما رأيتُ مثلي ، وما أشاء أن ألقى رجلًا
 أعلم مني بشيء إلا لقيته . قال معاوية لرجل : مَنْ سيدُ قومك؟ قال : أنا . قال :
 لو كنتَ كذلك لم تُقُل . الوليد بن مُسلم عن خلود عن الحسن قال : ذمَّ الرجلُ نفسه
 في العلانية مدحًا لها في السر . كان يقال : مَنْ أظهر عيبَ نفسه فقد زكّاها . الأعمش
 عن إبراهيم عن عبد الله قال : إذا أثبتَ على الرجل بما فيه في وجهه لم تُزكَّه .
 قال عمر بن الخطاب : المدح ذُبْحٌ . ويقال : المدح وإفدُ الكبر . وقال علي بن الحسين :
 لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ،
 ولا يصطحب آثان على غير طاعة الله إلا أوشكا أن يفترقا على غير طاعة الله .
 قال وهب بن منبه : إذا سمعتَ الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن

أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك . ويقال في بعض كتب الله عز وجل : عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ! ولمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب ! وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الظنون ! . وكان يقال : لا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك . وقال أعرابي : كفى جهلا أن يمدح المادح بخلاف ما يعرف الممدوح من نفسه ، وإني والله ما رأيتُ أعشق للعروف منه ، قال ابن المقفع : إياك إذا كنت واليا أن يكون من شأنك حب المدح والتركية وأن يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلثة من الثلث يفتخمون عليك منها ، وبابا يفتتحونك منه ، وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منك لها . وأعلم أن قابل المدح كادح نفسه ، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده ، فإن الراد له ممدوح والقابل له معيب . وقال البعيث

ولست بمفراخ إذا الدهر سرتني * ولا جازع من صرفة المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب
ويعتده قوم كثير تجارة * ويمعنى من ذاك ديني ومنصبي
فإن مسيرى في البلاد ومنزلى * لبالمنزلة الأقصى إذا لم أقرب

قول الممدوح عند المدحة

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان أبو بكر يقول عند المدحة : اللهم أنت أعلم بي مني بنفسي وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون وأغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون . قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي عن حماد بن سائمة قال : أثنى رجل على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وجهه ، وكان شهمة ، فقال علي : أما دون ما تقول وفوق ما في نفسك .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينظم به السياق ، ففي العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابي رجلا فقال : ما رأيت أعشق للعروف منه . وفي الصحيفة نفسها : ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : ان جهلا أن يقول المادح بخلاف ما يعرفه من الممدوح وإني والله ما رأيت أعشق للكارم في زمان الزوم منك .

قيل لأعرابي : ما أحسنَ الثناءَ عليك ! فقال : بلاءُ الله عندي أحسنُ من وصف
المساحين وإن أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الدائمين وإن أكثروا ،
فيا أسفاً على ما فترطتُ ويا سوءاً مما قدمتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الثناء إلا من مكافئ^(١) . ومن احسن ما قيل في مدح الرجل نفسه قولُ أعشى بن ربيعة

ما أنا في أهلي ولا في عشيرتي * بمهتضمٍ حتى ولا قارِعٍ سِنِي
ولا مُسلمٍ مولاىَ عند جنائِي * ولا خائفٍ مولاىَ من سوء ما أجنِي
وإن فؤاداً بين جنبيَّ عالمٌ * بما أبصرتُ عيني وما سمعتُ أذني
وفضّلني في الشعر واللُب أني * أقول على علم وأعلم ما أعني
فأصبحتُ إن فضلتُ مروانَ وأبنه * على الناس قد فضلتُ خيراً أب وأبن

وقال آخر

إذا المرء لم يمدحه حسنُ فعاله * فمادحه يهذى وإن كان مفصّحاً

وقال آخر

لعمري أباك الخير إني لخادمٌ * لصحبي وإني إن ركبْتُ لفارسٌ

وقال آخر

ونحن ضياءُ الأرض ما لم تَسِرْ بها * غَضاباً، وإن نَغَضِبْ فنعن ظلامها

وأَنشد الحسنُ البصريُّ قولَ الشاعر^(٢)

لولا جَرِيرُ هَلَكْتُ بِجِيلِهِ * نعم الفتى وبئستِ القَبِيلَةُ

(١) في اللسان مادة كفا بعد أن أورد الحديث : قال القتيبي معناه إذا أنعم على رجل نعمة فكافأه بالثناء عليه قبل ثناءه وإذا أنى قبل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأنباري هذا غلط إذ كان أحد لا ينفك من إنعام النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله بعثه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافئ ولا غير مكافئ ، والثناء عليه فرض لا يتم الإسلام إلا به وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . قال وقال الأزهري وفيه قول ثالث : الأمن مكافئ . أي مقارب غير مجاوز حد مثله ولا مقصر عما رفعه الله إليه اهـ ومثله بالحرف في ابن الأثير .

(٢) في الأصل « الحسن بن البصري » وظاهر أن لفظة « ابن » من زيادات النساخ .

قال الحسن : ما مَدَحَ رجلٌ هُجِيَ قَوْمُهُ . وقال أبو الهندام
يقولون : الحديدُ أشدُّ شَيْءٍ ، وقد ثَبِيَ الحديدُ وما ثَبِيتُ
تَحَرُّ الأَرْضُ إن تُودِيتُ باسمي * وتَهْدُ الجبالُ إذا كُنِيتُ
ومَدَحُ النفسِ في الشَّعرِ كثيرٌ ، وهو فيه أسهل منه في الكلام المنشور .

باب الحياء

حدثني أبو مسعود الدارمي ، قال : حدثني جدِّي نِخْرَاش عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : «الحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» . وروى ابنُ ثُمَيْرٍ عن الأَحْوَصِ
ابنِ حَكِيمٍ ، قال : حدثني أبو عَوْنِ المدني قال : سَمِعْتُ سَعِيدَ بنَ المسيَّبِ يقول :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «قِلَّةُ الحياءِ كُفْرٌ» . وروى جريرُ بنُ حازم عن يعلَى
ابنِ حَكِيمٍ عن رجلٍ عن ابنِ عمر ، قال : الحياءُ والإيمانُ مَقْرُونَانِ جميعاً فإذا رُفِعَ
أحدهما أَرْتَفَعَ الآخرُ . وكان يقال : أَحْيُوا الحياءَ بِجَالِسَةٍ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ . ذكر
أعرابيُّ رجلاً فقال : لا تراه الدَّهْرُ إلا وكأَنه لا غنىَ به عنكَ وإن كنتَ إليه أَحْوَجَ ،
فإن أذنبْتَ غَفَرَ وكأَنه المَذْنُبُ ، وإن أسأتَ إليه أَحْسَنَ وكأَنه المَسِيءُ . وقالت
ليلي الأَخِيلِيَّةُ

وَمُقَدَّرٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ * وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا
حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ * تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيْسِ زَعِيمًا

ونحوه قول الآخر إلا أنه في التواضع
يبدو فيبدو ضعيفاً من تواضعه * ويكفهر فيلقى الأسود اللِّحْيَا
وقال أبو دَهْبَلٍ الْجُمَحِيُّ^(١)

إِنَّ الْبُيُوتَ مَعَادِنَ فَنَجَارُهُ^(٢) * ذَهَبٌ وَكُلُّ جُدُودِهِ ضَخْمٌ^(٣)

(١) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) في الأصول . «فنجارة» وهو تحريف والتصويب

عن الحماسة . (٣) في الحماسة «بيوته» يعني القبائل التي اكتنفتها من أخواله وأعمامه .

مَهْلَلٌ يَنْعَمُ لِلَّاءِ مُجَانِبٌ * سَيَّانٍ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ
نَزْرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ * ضَمِينًا وَلَيْسَ بِجَسَمِهِ سُقْمُ
عُقْمِ النِّسَاءِ فَلَا يَلِدَنَّ شَبِيهَهُ * إِنِّ النِّسَاءَ بِمَثَلِهِ عَقْمُ

حدثنا أبو الخطاب قال : حدثنا المعتمر ، قال : سمعتُ آيَتَ بن أبي سليم يحدث
عن واصل بن حيَّان عن أبي وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حُفِظَ
من كلام النبوة « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » . قال الشاعر
تَحَالُمٌ لِلْحِلْمِ صُمًّا عَنْ الْخَلَا * وَخُرْسًا عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَابِرِ
وَمَرْضَى إِذَا لَوْقُوا حَيَاءً وَعِفَّةً * وَعِنْدَ الْحِفَاطِ كَاللِّيُوثِ الْخَوَادِرِ
وقال آخر

عليه من التقوى رداءٌ سَكِينَةٌ * وَلِلْحَقِّ نَوْرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعُ
وقال الشَّعْبِيُّ : تَعَايَشَ النَّاسُ زَمَانًا بِالذِّينِ وَالتَّقْوَى ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَتَعَايَشُوا بِالْحَيَاءِ
وَالتَّذَمُّعِ ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَمَا يَتَعَايَشُ النَّاسُ إِلَّا بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأُظُنُّهُ سَيَجِيءُ مَا هُوَ
أَشَدُّ مِنْ هَذَا .

باب العقل

حدثني اسحاق بن ابراهيم الشَّهِيدِي ، قال : حدثنا الحارث بن النعمان ، قال : حدثنا
خَلِيد بن دَعْلَج عن معاوية بن قُزَّة يرفعه ، قال : « إن الناس يعملون الخير وإنما
يُعْطَوْنَ أَجُورَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ » . مَهْدِيُّ بن غِيلَانَ بن جرير قال :
سمعتُ مُطَرِّفًا يَقُولُ : عُقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدَرِ زَمَانِهِمْ .

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مُنَبِّه قال : وجدتُ
في حِكْمَةِ دَاوُدَ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَشْغَلَ نَفْسَهُ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ، سَاعَةً يُنَاجِي فِيهَا
رَبَّهُ ، وَسَاعَةً يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةً يَخْلُو فِيهَا هُوَ وَإِخْوَانُهُ وَالَّذِينَ يَنْصَحُونَ لَهُ

في دينه ويصدقونه عن عيوبه ، وساعة يُخَلَّى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويُحَدُّ فان هذه الساعة عونٌ لهذه الساعات وَفَضْلٌ بُلْغَةٌ وَاسْتِجَامٌ للقلوب . وينبغي للعاقل أن لا يرى الا في إحدى ثلاث خصال : تزويد المعاد ، أو مَرَقَةٍ لمعاش ، أو لذة في غير محرم . وينبغي للعاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، حافظاً للسانه ، مُقْبِلاً على شأنه .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا هلال بن حَقَّ قال ، قال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكنه الذي يعرف خير الشرين ، وليس الواصل الذي يصل مَنْ يصله ولكنه الذي يصل مَنْ قطعه . وقال زياد : ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع ولكنه الذي يحتال للأمر ألا يقع فيه .

قال معاوية لعمرو : ما بلغ من دهائك يا عمرو ؟ قال عمرو : لم أدخل في أمرٍ قط فكرهته إلا خرجت منه . قال معاوية : لكني لم أدخل في أمرٍ قط فاردت الخروج منه . وقرأت في كتاب للهند : الناس حازمان وعاجز ، فأحد الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم ينظر به وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه ، وأحزم منه العارف بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه ، والعاجز في تردّد وتثّن حائرٌ بائرٌ لا ياتمرُّ رشداً ولا يُطِيعُ مُرَشِداً . وقال أعرابي : لو صوّر العقل لأظلمت معه الشمس ، ولو صوّر الحق لأضاء معه الليل . قال بعض الحكماء : ما عبيد الله بشيء أحب إليه من العقل وما عصي الله بشيء أحب إليه من السر . أبو روق عن الضحّاك في قول الله عز وجل (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال : مَنْ كَانَ عاقلاً . ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب فقال : كان أفضل من أن يُخدع وأعقل من أن يُخدع .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قُرَيْش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال ، قال إياس : لستُ بِحَبٍّ وَالحَبُّ لا يُخدعني ولا يُخدعُ ابن سيرين ويخدعُ أبي ويخدعُ الحسن . قال غيره : وكان كثيراً ما يُنشدُ

أَبَايَ البلاءَ وإني أمرؤ * إذا ما تثبت لم أرتب

وفي كتاب كيلة ودمنة : الأدب يُذهِبُ عن العاقل السكرَ وَيَزِيدُ الأحمق سُكْرًا ،
كما أن النهارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصِيرَةٍ بَصْرًا وَيَزِيدُ الخفايشَ سُوءَ بَصِيرَةٍ . وفيه : ذو العقل
لا يُبْطِرُهُ المنزلةُ والعِزُّ كالجبل لا يَتَرَعَّرُ وإنْ أَشْتَدَّتْ عليه الرِّيحُ ، والسَّخِيفُ يُبْطِرُهُ
أَدْنَى منزلةٍ كالْحَشِيشِ يُحَرِّكُهُ أَضْعَفُ رِيحٍ . وقال تَابُطْ شَرًّا فِي هَذَا الْمَعْنَى ^(١)
ولستُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي * ولا جَارِجٌ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ
ولا أَتَمُّ الشَّرِّ وَالشَّرُّ تَارِكِي * ولكن متى أُحْمِلَ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ

وفي . كتاب كيلة : رأسُ العقلِ التَّيْزُ بَيْنَ الكائِنِ وَالْمُتَنَعِ ، وَحَسَنُ الْعِزَاءِ عَمَّا
لَا يُسْتَطَاعُ . وفيه : العاقلُ يَقِلُّ الْكَلَامَ وَيُبَالِغُ فِي الْعَمَلِ وَيَعْتَرِفُ بِزَلَّةِ عَقْلِهِ وَيَسْتَقْبِلُهَا
كَالرَّجُلِ يَعْتَرُّ بِالْأَرْضِ وَبِهَا يَنْتَعِشُ . ويقال : كُلُّ شَيْءٍ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَقْلِ ، وَالْعَقْلُ
مُحْتَاجٌ إِلَى التَّجَارِبِ . قال يحيى بن خالد : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ تَدُلُّ عَلَى عَقُولِ الرِّجَالِ : الْكِتَابُ ،
وَالرَّسُولُ ، وَالْهَدْيَةُ . وكان يقال : دَلَّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ اخْتِيَارُهُ ، وَمَا تَمَّ دِينَ أَحَدٍ حَتَّى
يَتِمَّ عَقْلُهُ ، وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ الْهَوَى . سُئِلَ أَنُوشِرْوَانُ : مَا الَّذِي لَا تَعْلَمُ لَهُ ، وَمَا
الَّذِي لَا تَغَيِّرُ لَهُ ، وَمَا الَّذِي لَا مَدْفَعَ لَهُ ، وَمَا الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُ . فقال : تَعْلَمُ الْعَقْلُ ، وَتُغَيِّرُ
الْعُنُصْرَ ، وَدَفْعُ الْقَدَرِ ، وَحِيلَةُ الْمَوْتِ . وكان يقال : كِتَابُكَ عَقْلُكَ تَضَعُ عَلَيْهِ خَاتَمَكَ .
وقالوا : كِتَابُ الرَّجُلِ مَوْضِعُ عَقْلِهِ ، وَرَسُولُهُ مَوْضِعُ رَأْيِهِ . كان الحسنُ إذا أُخْبِرَ
عَنْ رَجُلٍ بِصَلَاحٍ قَالَ : كَيْفَ عَقْلُهُ . وفي الحديث " أن جبريلَ عليه السلام أتى
آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَتَيْتُكَ بِثَلَاثٍ فَاخْتَرِ وَاحِدَةً ، قَالَ : وَمَا هِيَ يَا جَبْرِيْلُ ؟
قَالَ : الْعَقْلُ وَالْحَيَاءُ وَالِدِينُ . قَالَ : قَدْ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ فَخَرَجَ جَبْرِيْلُ إِلَى الْحَيَاءِ وَالِدِينِ
فَقَالَ : ارْجِعَا فَقَدْ اخْتَارَ الْعَقْلَ عَلَيْكُمَا ، فَقَالَا : أَمِرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ "

(١) تقدّم هذان البيتان يتصل بهما بيتان آخران في باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأربعة

كان يقال : العقل يظهر بالمعاملة ويشيم الرجال تظهر بالولاية . ويقال : العاقل يقي ما له بسلطانه ، ونفسه بماله ، ودينه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعاً عقولٌ لخربت الدنيا . خير رجلٌ فأبى أن يختار وقال : أنا يحظى أوثق مني بعقلي فأقرعوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدثني الزياتي قال : حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمُّمٍ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَتَمَمْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ " .

حدثنا زياد بن يحيى قال : حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوَقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَأَنْتَفَاحِ أَوْدَاجِهِ " . قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال ، قال رجل : يا رسول الله أوصني ، فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال :

لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدثني أحمد بن الخليل قال ، حدثني عبد الله بن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ " . قال : حدثنا حسين بن الحسن المروزي ، قال : حدثنا

عبد الله بن المبارك قال : حدثنا حبيب بن حجر القيسي قال ، كان يقال : ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق ، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى عليم ومن عفو إلى مقدر . وكان يقال : مَنْ حَلُمَ سَادَ وَمَنْ تَفَهَّمَ ازْدَادَ . والعرب تقول : احْلُمُ تُسُدُّ . وقال : سَمِيَ اللَّهُ يُحْيِي

سيِّداً بالحلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحِلْمُ يَحْيَا بِحَيَاةِ السُّودِّدِ . أَغْلَظَ رَجُلٌ
لمعاوية خُلُمَ عنه ، فقليل له : تحلُمُ عن هذا ! فقال : إني لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم
ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا . شتمَ رجلٌ الأحنفَ وأُحَّحَ عليه ، فلما فرغ قال له :
يا بنِ أُنحى ، هل لك في الغداء ؟ فانك منذ اليوم تحذو بحجلٍ ثَقَالٍ .

٥ حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرِ الْمُرْنِيِّ
قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ فَشَتَمَ الْأَحْنَفَ فَسَكَتَ عَنْهُ ، وَأَعَادَ فَسَكَتَ ، فَقَالَ : وَالْهَفَاةُ ! مَا يَمْنَعُهُ
مِنْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ إِلَّا هَوَانِي عَلَيْهِ .

١٠ حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ مِنْ آلِ حَارِثَةَ بْنِ
لَإِيمٍ ، قَالَ : نَزَلَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ فَأَتَانِي بِقِرْرَى فَانْفَلَتَ مِنِّي فَقَالَ
وَالْتَغْلِي إِذَا تَتَخَنَحَ لِلْقِرَى * حَكَّ أَسْتَهْ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَ
فَانْقَبَضَتْ فَقَالَ : كُلُّ أَيِّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّمَا قُلْتَ كَلِمَةً مَقُولَةً .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : أَسْمَعَ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ كَلَامًا فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ : إِنْ
كَنتَ صَادِقًا فَغْفَرَ اللَّهُ لِي وَإِنْ كُنتَ كَاذِبًا فَغْفَرَ اللَّهُ لَكَ . وَمرَّ بِقَوْمٍ يَنْتَقِصُونَهُ فَقَالَ
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ * لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا أَسْتَحَلَّتْ

١٥ وَاسْتَطَالَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدَ فَقَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي سُلِّطْتَ
بِهِ عَلَيَّ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنْ لَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَوْزَنَ مِنْ حِلْمِي . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ
لَأَبِي جَهْمٍ الْعَدَوِيُّ : أَنَا أَكْبَرُ أَمْ أَنْتَ يَا أَبَا جَهْمٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ أَكَلْتُ فِي عَرَسِ أُمِّكَ
هِنْدٍ ، قَالَ : عِنْدَ أَيِّ أَزْوَاجِهَا ؟ قَالَ : عِنْدَ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ : يَا أَبَا جَهْمٍ ، إِيَّاكَ
وَالسُّلْطَانَ فَانْهَ يَغْضَبُ غَضَبَ الصَّبِيِّ وَيُعَاقِبُ عَقُوبَةَ الْأَسَدِ ، وَإِنْ قَلِيلُهُ يَغْلِبُ كَثِيرَ
النَّاسِ . وَأَبُو الْجَهْمِ هَذَا هُوَ الْقَائِلُ فِي مُعَاوِيَةَ

(١) هَكَذَا بِالنَّسْخِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَاعِلُ الصَّوَابِ "فَقُلْتُ" . (٢) فِي النُّسخَةِ الْفَتْوَوِيَّةِ يَا أَبَا الْجَهْمِ .

نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا * إِذَا مِلْنَا نَمِيلُ عَلَى أَبِينَا
نُقَلِّبُهُ لِنَخْبِرَ حَالَتِيهِ * فَتَخْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينَا

(١) سَمِعَ الْأُحْنَفُ رَجُلًا يَنَازِعُ رَجُلًا فِي أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْأُحْنَفُ : حَسْبُكَ إِلَّا ضَعِيفًا
فِيمَا تُتَحَاوَلُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا عَلَى ظَنِّكَ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ أَهْلِي ، فَقَالَ الْأُحْنَفُ لِأَمْرٍ مَا
قِيلَ : احْذَرُوا الْجَوَابَ ، جَعَلَ رَجُلٌ جُعَلًا لِرَجُلٍ عَلَى أَنْ يَقُومَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يُسْأَلُهُ
عَنْ أُمِّهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرٍ تَتَبَسَّسُ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ أَخْبِرْنَا مَنْ أُمُّكَ ،
فَقَالَ : كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ عَتَرَةِ أُصَيْبٍ بِأَطْرَافِ الزَّمَاحِ فَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ الْفَاكِهِ بْنِ
الْمَغِيرَةِ فَاشْتَرَاهَا أَبِي فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، انْطَلَقَ وَخُذَ مَا جُعِلَ لَكَ عَلَى هَذَا . قَالَ الشَّاعِرُ
قُلْ مَا بَدَّلَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ * حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمٍّ

نَظَرَ مَعَاوِيَةُ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ وَهُوَ يَضْرِبُ غُلَامًا لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتُفْسِدُ أَدَبَكَ بِأَدَبِهِ
فَلَمْ يُرْضَارِبًا غُلَامًا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ . قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : إِنَّكَ لَا تُؤَدِّبُ غُلَامَانِكَ
وَلَا تَضَرِبُهُمْ ، قَالَ : هُمْ أَمْنَاؤُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا فَإِذَا نَحْنُ أَخْفَيْنَاهُمْ فَكَيْفَ نَأْمَنُهُمْ . وَكَانَ
يُقَالُ : « الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهْلِ » . وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَحْلَمَ مِنْ فَرْخٍ طَائِرٍ .
وَفِي الْإِنْجِيلِ : كُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبُلَهَاءَ كَالْحِمَامِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
إِنِّي لَا أُعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا * حَتَّى يَقُولَ رَجُلًا إِنَّ بِي حَقًّا
أَخْشَى جَوَابَ سَفِيهِ لَا حَيَاءَ لَهُ * فَسَلِّ ، وَظَنَّ أَنَا نَسِ أَنَّهُ صَدَقًا

قَالَ الْأُحْنَفُ : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ وَرُبَّ غَيْظٍ قَدْ تَجَرَّعَتْهُ مَخَافَةٌ
مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ . قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الْعِزُّ وَالْغَلْبَةُ لِلْحَلِمِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

(١) هَكَذَا بِالْأَصُولِ . وَلَعَلَّهُ « لَا أَحْسَبُكَ » . (٢) فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ « الْجُود » ، وَفِي الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ
« الْجَوْل » وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلْبِدَائِي .

(٣) بِهَامِشِ النُّسَخَةِ الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ : الْفَسْلُ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : الرِّذَالُ الَّذِي لَا مَرُوءَةَ لَهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي « أَخَافَ » وَفِي الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ « يَخَافُ » وَالتَّصْوِيبُ عَنْ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

عليه السلام : أَوَّلُ عَوَظِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَتِ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَهْلِ . وقال المنصور : عقوبةُ العلماءِ التعريضُ ، وعقوبةُ السفهاءِ التصريحُ .

قال حدثني سهيل قال حدثنا الأصمعي قال : بلغني أن رجلاً قال لآخر : والله لئن قلت واحدةً لتسمعنَّ عشرًا ، فقال له الآخر : لكك إن قلت عشرًا لم تسمع واحدةً . قال : وبلغني أن رجلاً شتم عمر بن ذر فقال له : يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصالح موضعًا ، فإني أمتُّ مُشَاتِمَةَ الرجالِ صغيراً ولن أحييها كبيراً ، وإني لا أكفي من عصى الله فيّ بأكثر من أن أطيع الله فيه . وقال بعض المحدثين

وإِنَّ اللَّهَ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ * يَقْدِرُ الْحِلْمُ يُنْقِذُ الْحَلِيمُ
لَقَدْ وَلَّتْ بِدَوْلَتِكَ اللَّيَالِي * وَأَنْتَ مُعَلَّقٌ فِيهَا ذَمِيمٌ
وَزَالَتْ لَمْ يَعِشْ فِيهَا كَرِيمٌ * وَلَا آسَتَغْنِي بِثَرَوَتِهَا عَدِيمٌ
فَبَعْدًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَسُحْقًا * فَغَيْرُ مُصَابِكَ آلَحَدَثُ الْعَظِيمُ

المدائني قال : كان شبيب بن شيبَةَ يقول : مَنْ سَمِعَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَسَكَتَ عَنْهَا أَقْطَعَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا سَمِعَ أَكْثَرُ مَا يَكْرَهُ ، وَكَانَ يُمَثِّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ وَتَجَزَعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمَةٍ * وَيُشْتَمُّ أَلْفًا بَعْدَهَا ثُمَّ يَصْبِرُ

قاتل الأحنف في بعض المواطن قتالاً شديداً ، فقال له رجل : يا أبا بجر، أين الحِلْمُ قال : عند الحَيِّ . وقال مسلم بن الوليد

حَيٌّ لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي جَنَابَاتِهَا * إِذَا هِيَ حُلَّتْ لَمْ يَفْتَحْهَا ذَحْلُ
أَغْضَبَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ الْأَحْنَفَ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِعِمَامَتِهِ وَتَنَاصَبَا ، فَقِيلَ لِلْأَحْنَفِ : أَيْنَ الْحِلْمُ الْيَوْمَ ! فَقَالَ : لَوْ كَانَ مِثْلِي أَوْ دُونِي لَمْ أَفْعَلْ هَذَا بِهِ . كَانَ يُقَالُ : آفَةُ الْحِلْمِ الضَّعْفُ . وقال الجعدي

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * بِوَادِرُ تَحْيِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وقال إياس بن قتادة

تُعاقِبُ أيدينا ويَحْلُمُ رأيُنَا * ونَسِيْمُ بالأفعال لا بالتكلم

وأنشد الرياشي

إني أمرؤ يذُبُّ عن حريمي * حِلْمِي وَتَرَكِي اللّوْمَ لِلثِّمِ *

* وَالْعِلْمُ أَخْيَ مِنْ يَدِ الظَّلُومِ *

٥

وقال الأحنف : أصبَتْ الحِلْمَ أنصَرَ لي من الرجال . قال أبو اليقظان : كان المتشمش بن معاوية عم الأحنف يَفْضُلُ في حلمه على الأحنف قَبْلُ ، فأمره أبو موسى أن يَقْسِمَ خَيْلاً في بني تميم فقسّمها ، فقال رجل من بني سعد : مامنعك أن تُعْطِنِي فرساً ووثب عليه فمرش وجهه ، فقام إليه قوم ليأخذوه ، فقال : دَعُونِي وإياه ، إني لا أَعَانُ على واحد ، ثم انطلق به إلى أبي موسى ، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه فقال : دَعُ هذا ولكن ابن عمي ساخطٌ فأحمله على فرس ، ففعل .

١٠

قيل للأحنف : ما أحلمك قال : تعلّمتُ الحِلْمَ من قيس بن عاصم المنقري ، بينا هو قاعد بفنائله مُحْتَبٍ بكسائه ، ألتته جماعة فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ وقيل له : هذا أبوك قتله ابن أخيك ، فوالله ما حلَّ حُبُّوته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى ابن له في المجلس ، فقال له : قم فأطلق عن ابن عمك ووار أخاك وأحِلْ إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبةٌ ، ثم أنشأ يقول

١٥

إني أمرؤ لا شائنٌ حَسْبِي * دَنَسٌ يُغَيِّرُهُ وَلَا أَفْنٌ

مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ * وَالْغَصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغَصْنُ

(١) كذا في الأصول ولعله «والحلم» . (٢) في الأصلين «عربية» وهو تحريف والنصوب عن

العقد الفريد . (٣) رواه في العقد الفريد :

٢٠

إني أمرؤ لا بَطِّي حَسْبِي * دَنَسٌ يَهْجُهُ وَلَا أَفْنٌ

خُطَبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ * يَبْضُ الْوَجُوهَ، أَعْفَى لُسُنُ
لَا يَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ * وَهُمْ لِحَفِظِ جَوَارِهِ فُطُنُ

ثم أقبل على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرَابَتَكَ ، وَقَطَعْتَ رَحِمَكَ ، وَأَقَلَّتْ عَدَدَكَ ،
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَكَ . وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطبيب ، إسلامي

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
نَجِيَّةَ مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ شُحُطِ بِلَادِكَ سَلَامَا
وَمَا كَانَ قَيْسُ هَلَكُهُ هَلَكُ وَاحِدٍ * وَلَيْكِنَّ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

وقال الأحنف : لقد آختلنا إلى قيس بن عاصم في الحلم كما نختأف إلى الفقهاء
في الفقه . شتم رجل الأحنف وجعل يتبعه حتى بلغ حيه ، فقال الأحنف : يا هذا
إِنْ كَانَ بَقِيَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَاتِهِ وَأَنْصِرْفْ لَا يَسْمَعُكَ بَعْضُ سُفَهَائِنَا فَتَلْقَى مَا تَكْرَهُ .
شتم رجل الحسن وأرأى عليه ، فقال له : أَمَأَنْتَ فَمَا أَبْقَيْتَ شَيْئًا ، وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْثَرُ .
قال بعض الشعراء

لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُّوا * حَتَّى يَذُلُّوا — وَإِنْ عَزُّوا — لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمَرُّوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُشْرِقَةً * لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ

قال [حدثني] أبو حاتم عن الأصمعي قال : لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ عَشْرَةٌ إِلَّا وَفِيهِمْ مُقَاتِلٌ
وَأَكْثَرُ ، وَيَجْتَمِعُ أَلْفٌ لَيْسَ فِيهِمْ حَلِيمٌ . ابن عيينة قال : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا
أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِشَيْءٍ أَوْ قَوْلٍ سَيِّئٍ لَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ : أَتَى أَتْرَكَكَ رَفَعَا لِنَفْسِي عَنْكَ ، بِغَيْرِ
بَيْنَةٍ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامٌ ، فَاسْرِعْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : خَفِّضْ عَلَيْكَ أَيْهَا
الرَّجُلُ فَإِنِّي أَتْرَكَكَ الْيَوْمَ لِمَا كُنْتَ تَتْرَكَ لَهُ النَّاسَ .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال رجل : لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَدْعُ
الْفُحْشَ عَلَى الرِّجَالِ ، فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ : فَإِنِّي أَدْعُ الْفُحْشَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ لِمَا تَرَكْتَهُ

أنت له قبل اليوم ، وأغلظَ عبدٌ لسيده ، فقال : إني أُصبرُ لهذا الغلام على ما ترونَ لأروضَ نفسي بذلك ، فإذا صَبَرْتُ للملوك على المكروه كانت لغير الملوك أُصبرَ .

كلمَ عمر بن عبد العزيز رجلا من بني أمية وقد ولدته نساء بني مرة فعاب عليه جفاءً^(١) رآه منه ، فقال : قَبَّحَ اللهَ شَبَّاهُ [غلب] عليك من بني مرة ، وبلغ ذلك عَقِيلَ بنَ عُلْفَةَ

المُرِّي وهو بجَنَفَاءَ من المدينة على أميال في بلد بني مرة ، فركب حتى قَدِمَ على عمر

وهو بذيرِ سَمْعَانَ ، فقال : هيه يا أمير المؤمنين ! بلغني أنك غضبت على فتي من بني

أبيك ، فقلت : قَبَّحَ اللهَ شَبَّاهُ غلب عليك من بني مرة ، وإني أقول : قَبَّحَ اللهَ أَلْأَمَ

طرفيه ، فقال عمر : دَعُ وَيْحَكَ هذا وهات حاجتك . فقال : والله مالي حاجة غير

حاجته ، وولِّي راجعا من حيث جاء ، فقال عمر : ياسبحان الله ! من رأى مثل هذا

الشيخ ؟ جاء من جنفاء ليس إلا يَشْتِمُنَا ثم آنصرف ! فقال له رجل من بني مرة : إنه

والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه ، نحن والله أَلْأَمَ طرفيه .

المدائني قال : لما عزل الحجاج أمية بن عبد الله عن خراسان أمر رجلا من بني

تميم فعابه بخراسان وشنع عليه ، فلما قفل لقيه التميمي فقال : أصالح الله الأمير

لا تَلْمِني فإني كنت مأمورا ، فقال : يا أخا بني تميم أَوَحَدَّثْتُكَ نَفْسُكَ أتي وَجَدْتُ

عليك ؟ قال : قد ظننتُ ذاك ، قال : إن لنفسك عندك قَدْرًا ! . كان يقال : طيروا

دماء الشباب في وجوههم ، ويقال : الغضب غُولُ الحلم . ويقال : القدرة تُذهِبُ

الحَفِظَةَ . وكتب كسرى أبرويز إلى ابنه شيرويه من الحبس : إن كلمة منك

تَسْفِكُ دَمًا ، وإن كلمة أخرى منك تَحْقِنُ دَمًا ، وإن سَخَطَكَ سيوفُكُ^(٣) مسلولة على

من سَخَطَتْ عليه ، وإن رضاك بركة مستفيضة على من رَضِيت عنه ، وإن نَفَاذَ

(١) زيادة في العقد الفريد .

(٢) رسم في النسخة الفتوغرافية هكذا «حاجه» ولعل النسخ حرفها عن «هذه» كما يقتضيه السياق .

(٣) لعله «وان سخطك سيوف مسلولة الخ» بالتكرير ليتناسب في السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك ، فاحترس في غضبك من قولك أن يُخطئ ومن لوك أن يتغير ومن جسدك أن يخف ، وإن الملوك تُاقب قدرة وحزما ، وتعفو تفضلا وحلما ، ولا ينبغي للقادر أن يستخف ولا للحليم أن يزهو ، وإذا رضيت فأبلغ بمن رضيته عنه يحرض من سواه على رضاك ، وإذا سخطت فضع من سخطت عليه يهرب من سواه من سخطك ، وإذا عاقبت فأنهك^(١) لئلا يتعرض لعقوبتك ، وأعلم أنك تجل عن الغضب وأن غضبك يصغر عن ملكك ، فتقدر لسخطك من العقاب كما تقدر لرضاك من الثواب . قال محمد بن وهيب

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنني * إلى الجهل في بعض الأحيان أخرج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم * ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمي فإني مقوم * ومن رام تعويمي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خذنا وصاحبنا * ولكنني أرضى به حين أخرج
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله * وأمكن من بين الأسنة نخرج
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا ، والذل بالحر أشمج

وقال ابن المقفع : لا ينبغي للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته ، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد ، ولا يبخل لأنه لا يخاف الفقر ، ولا يتحقد لأن خطره قد جل^(٢) عن المجازاة . قال سويد بن الصامت

إني إذا ما الأمر بين شكك * وبدت بصائر لمن يتأمل
أدع التي هي أرفق الحالات بي * عند الحفيظة التي هي أجهل

أنى عمر بن عبد العزيز رجل كان واجدا عليه ، فقال : لولا أنى غضبان لعاقبتك ، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام ، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه ،

(١) نهك السلطان : بالغ في العقوبة . (٢) في الأثنى ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام .

كراهة أن يَجْعَلَ عليه في أول غضبه . وأسمعه رجل كلاماً فقال له : أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنا لك منك اليوم ما تناله متى غداً ، انصرف رحلك الله . قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضي لم يُخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا غضب لم يُخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فدّعه .

خطب معاوية يوماً فقال له رجل : كذبت ، فزل مغضباً فدخل منزله ، ثم خرج عليهم تقطراً لحيته ماءً ، فصعد المنبر فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان من النار ، فإذا غضب أحدكم فليطفيه بالماء ، ثم أخذ في الموضع الذي بلغه من خطبته . وفي الحديث المرفوع : "إذا غضب أحدكم فإن كان قائماً فليقعده وإن كان قاعداً فليضطجع" . وقال الشاعر

إحذر مغايظ أقوام ذوى أنف * إن المغيظ جهول السيف مجنون

وقال عمر بن عبد العزيز : متى أشفى غيظي؟ أحين أقدر فيقال لي : لو عفوت ، أو حين أعجز فيقال لي : لو صبرت ؟ . والعرب تقول : «إن الرثيئة ^(١) مما يفش الغضب» ^(٢) والرثيئة اللبن الحامض يصب عليه الحليب ، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولّى سلم بن قتيبة البصرة وولى مولى له كور البصرة والأبلة ، فورد كتاب مولاة أن سلماً ضربته بالسياط ، فاستشاط المنصور وقال : على بتجرأ سلم ! لأجعلنك نكالا ، فقال ابن عيَّاش — وكان جريئاً عليه — : يا أمير المؤمنين ، إن سلماً لم يضرب مولاك بقوة ولا قوة أبيه ، ولكك قلده سيفك وأصعدته منبرك ، فأراد مولاك أن يطأطئ منه مارفعت ويفسد ما صنعت ، فلم يحتمل ذلك ، يا أمير المؤمنين

(١) في الأصل «الرثية» وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، وهو مثل . ونصه كما في اللسان وجمع الأمثال للبدائي «إن الرثية تفش الغضب» وفش الغضب سكه وكسر حذته .

إِنْ غَضِبَ الْعَرَبِيُّ فِي رَأْسِهِ فَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَهْدَأْ حَتَّى يُخْرِجَهُ بِلِسَانٍ أَوْ يَدٍ ، وَإِنْ غَضِبَ النَّبْطِيُّ فِي آسَتِهِ فَإِذَا غَضِبَ [وَ] تَحَرَّى ذَهَبَ غَضَبُهُ ، فَضَحَكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ :
فَعَلَ اللَّهُ بِكَ يَا مُتَوَفٍّ وَفَعَلَ ، فَكَفَّ عَنْ سَلِيمٍ .

كَانَ يُقَالُ : إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ فَإِنَّهَا مُصِيرَتُكَ إِلَى ذَلِكَ الْإِعْتِذَارِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ * كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ

أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَجُلٍ فَوَقَعَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، فَأَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ
فَأَخْبَرْتُهُ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ بِهِ ، فَقَالَ : لَعَلَّ الَّذِي غَضِبْتَ لَهُ لَوْ سَمِعَهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

بَابُ الْعِزِّ وَالذِّلِّ وَالْهَيْبَةِ

أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ السَّكَنِ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
لِيزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ : فِيمَنْ الْعِزُّ بِالْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ : فِينَا وَفِي حُلَفَائِنَا مِنْ رِبِيعَةٍ ، فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعِزُّ فِيمَنْ تُخَوِّلَفَ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَتْ قَرِيبَةُ : إِذَا كُنْتُ فِي غَيْرِ قَوْمِكَ فَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الذَّلَّةِ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَشَيْخٍ مِنْهُمْ : عَلَّمَنِي الْحِلْمَ ، قَالَ : هُوَ يَا ابْنَ أَخِي الذِّلُّ ، أَفَتَصْبِرُ عَلَيْهِ ؟ . وَقَالَ
الْأَحْنَفُ : مَا يَسِرُّنِي بِنَصِيْبِي مِنَ الذِّلِّ حُمُرُ النَّعَمِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنْتَ أَعَزُّ
الْعَرَبِ ، فَقَالَ : إِنْ النَّاسَ يَرَوْنَ الْحِلْمَ ذُلًّا ، فَقُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ .

وَقُرَأَتْ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ أَنَّ الرِّيحَ الْعَاصِفَ تَحْطِمُ دَوْحَ الشَّجَرِ وَمُشِيدَ الْبَنِيَانِ وَيَسْلُمُ
عَلَيْهَا ضَعِيفُ النَّبْتِ لِلِيْنَةِ وَتَثْنِيهِ . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ : « تَطَاطَأَ لَهَا تُخَطُّكَ » . وَقَالَ
زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ حِينَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ هِشَامٍ مُغْضَبًا : مَا أَحَبُّ أَحَدًا قَطَّ
الْحَيَاةَ إِلَّا ذَلًّا ، وَتَمَثَّلَ

شَرُّهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ * كَذَلِكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْخِلَادِ

منخرق الحُفَيْن يشكو الوَجَى * تنكبه أطراف مَرٍ و حَدَاد
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الهوان، حمار البيت يعرفه * والمرء ينكره والجسرة الأجد^(١)
ولا يُقيم بدار الذل يعرفها * إلا الحمار حمار الأهل والوتد

وقال الزبير بن عبد المطلب

ولا أقيم بدار لا أشد بها * صوتي إذا ما آعترتني سورة الغضب

وقال آنحر

إذا كنت في قوم عداست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب

وقال العباس بن مرداس

أبلغ أبا سلم رسولا نصيحة * فإن معشر جادوا بعرضك فاجل
وإن بوءوك منزلا غير طائل * غليظا فلا تنزل به وتحول
ولا تطعن ما يعلفونك إنهم * أتوك على قربانهم بالمثل
أراك إذن قد صرت للقوم ناضحا * يقال له بالغرب أدبر وأقبل

وقال آنحر

فأبلغ لديك بني مالك * على نايها وسراة الرباب
بأن أمراً أنتم حوله * تحفون قبته بالقباب
يهين سراتكم عامدا * ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم إبلا أملحت^(٢) * لقد نزعتم للمياه العذاب
ولكنكم غنم تصطفى * ويترك سائرهما للذئاب

(١) ناقة أجد : قرية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر، خاص بالاناث . قاموس .

(٢) يقال : أملحت الإبل أى وردت ماء ملحا وفى الأصل أملجت بالجيم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آخر

تالله لولا أنكسار الرُّمَحِ قد علموا * ما وجدوني ذليلاً كالذي أجد
قد يُحطَّمُ الفحلُ قسراً بعد عزته * وقد يُردُّ على مكروهه الأسد

وقال بعض العبديين

ألا أبلغا خُلَّتِي راشداً * وصنوي قديماً إذا ما اتصل
بأن الدقيق يهيجُ الجليل * وأن العزيز إذا شاء ذلُّ
وأن الحزامة أن تصرفوا * حتى سوانا صدور الأسفل
فإن كنت سيدنا سُدَّتْنا * وإن كنت للآل فأذهب نفل

وقال البعيث

ولو تُرمى بلؤم بني كليب * نجوم الليل ما وُصِّحت لِساري
ولو ليس النهار بنو كليب * لدنس لؤمهم وُصِّح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب * ليطلب حاجة إلا يجار

جاور ابنُ سَيَّابَةَ مولى بني أسد قوماً فازعجوه، فقال لهم : لم تُرَّعجونى من جواركم؟
فقالوا : أنت مُريب، فقال : فمن أذل من مريب ولا أحسنُ جواراً . أبو عبيدة
عن عوانة قال : إذا كنت من مُضَرٍّ ففاخرُ بكَمانه وكاثِرُ بتميم وآلِ بَقِيس ، وإذا كنت
من قُحْطان فكاثرُ بَقَضَاءة وفاخرُ بَمَذِج وآلِ بَكَلب ، وإذا كنت من ربيعة ففاخر
بشبيان وآلِ بشبيان وكاثِرُ بشبيان . كان يقال : مَنْ أراد عزاً بلا عَشيرة وهيبةً بلا
سلطان فليخرج من ذلِّ معصية الله إلى عز طاعة الله . قيل لرجل من العرب : من
السيدُ عندكم ؟ قال : الذى إذا أقبلَ هَبْنَاهُ وإذا أدبرَ آغْتَبْنَاهُ . ونحوه قول مسلم
وكم من مُعِدٍّ فى الضميرِ لِى الأذى * رآنى فآلَى العُربُ ما كان أضمرأ

وقال أيضاً

يا أيها الشامي عِرْضِي مُسَارَقَةٌ * أُعْلِنُ به ، أنت إن أعلتَه الرجلُ

ومن أحسن ما قيل في الهيبة

في كفه خَيْرُ رَأْيٍ رِيحُهَا عَيْقُ * من كفَّ أَرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ * فما يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ

وقال ابن هرمة في المنصور

له لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافِي سَرِيرِهِ * إِذَا كَثَرَتْ فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ
فَأَمَ الَّذِي آمَنَتْ أَمْنُهُ الرَّدَى * وَأَمَ الَّذِي أَوَعَدَتْ بِالشُّكْلِ ثَاكِلُ
كَرِيمٍ لَهُ وَجْهَانِ وَجْهٍ لَدَى الرِّضَا * أَسِيلٌ، وَوَجْهٌ فِي الْكَرِيهَةِ بَاسِلُ
وَلَيْسَ يُعْطَى الْعَفْوُ عَنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ * وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكَّتْهُ الْمَقَاتِلُ

وقال آخر في العفو بعد القدرة

أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ * مَا إِنْ يَلِينُ وَلَا يَهُونُ
فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ * فَهَنَّاكَ أَحْلَمَ مَا يَكُونُ

وقال آخر في مالك بن أنس

يَا بِي الْجَوَابِ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَابِ
هَذِي الثَّقِي وَعِزُّ سُلْطَانِ الثَّقِي * فَهَوِ الْمَطَاعِ وَلَيْسَ ذَا سَاطَانِ

وقال آخر

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأْيَتِهِمْ * خُضَعَ الرِّقَابُ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

وقال أبو نواس

أَضْمِرُ فِي الْقَلْبِ عِتَابًا لَهُ * فَإِنْ بَدَأَ أُتْسِيتُ مِنْ هَيْبَتِهِ

المدائني قال : قال ابن شبرمة القاضي لابنه : يَا بُنَيَّ لَا تُتَمَكَّنِ النَّاسُ مِنْ نَفْسِكَ ،

فَإِنْ أَجْرَأَ النَّاسُ عَلَى السَّبَاعِ أَكْثَرُهُمْ لَهَا مُعَايِنَةً . قيل لأعرابي : كيف تقوى :

استخذأتُ أو استخذيتُ ؟ قال : لا أقوله ، قيل : ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذى .

وكان يقال : اصْفَحْ أو آذِجْ .

باب المروءة

في الحديث المرفوع : قام رجل من مجاشيع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
 يا رسول الله ، ألسنتُ أفضل قومي ؟ فقال : "إن كان لك عقل فلك فضل ، وإن كان
 لك خلق فلك مروءة ، وإن كان لك مال فلك حسب ، وإن كان لك تقى فلك
 دين" وفيه أيضا « إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها » . روى كثير بن هشام
 عن الحكم بن هشام الثقفي قال : سمعت عبد الملك بن عمير يقول : إن من مروءة
 الرجل جلوسه ببابه . قال الحسن : لا دين إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة : ما المروءة ؟
 قال : إصلاح المال ، والرزانة في المجلس ، والغداء والعشاء بالفناء . قال إبراهيم :
 ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشى . ويقال : سرعة المشى
 تذهب بهاء المؤمن .

١٠

قال معاوية : المروءة ترك اللذة . وقال لعمره : ما ألد الأشياء ؟ فقال عمرو : مر
 أحداث قريش أن يقوموا ، فلما قاموا قال : إسقاط المروءة . قال جعفر بن محمد
 عن أبيه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ورثوا الذوى المروءات عن عثراتهم ،
 فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لفي يد الله" . كان عروة بن الزبير يقول
 لولده : يا بني آلبوا ، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب . قيل للأحنف : ما المروءة ؟
 فقال : العفة^(١) والحرفة . قال محمد بن عمران التيمي : ما شيء أشد حملا على من المروءة ،
 قيل : وأي شيء المروءة ؟ قال : لا تعمل شيئا في السر تستحي منه في العلانية .
 وقال زهير في نحو هذا

١٥

الستر دون الفاحشات ، ولا * يلقاك دون الخير من ستر

٢٠

(١) كذا في الأصول ، وفي العقد الفريد «تجاوزوا» .

(٢) في الأصول «المروءة» والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آخر

فَسِرِّي كَاعْلَانِي ، وَتِلْكَ خَلِيقَتِي * وَظَلَمَةٌ لَيْلِي مِثْلُ ضُوءِ نَهَارِي
 قال عمر بن الخطاب : تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ فَإِنَّهَا تَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ ، وَتَعَلَّمُوا النَّسَبَ
 فُرُبَّ رَحِمٍ مَجْهُولَةٍ قَدْ وُصِلَتْ بِنَسَبِهَا . قال الأصمعي : ثَلَاثَةٌ تَحْكُمُ لَهُمْ بِالْمُرُوءَةِ حَتَّى
 يُعْرِفُوا : رَجُلٌ رَأَيْتَهُ رَاكِبًا ، أَوْ سَمِعْتَهُ يُعَرِّبُ ، أَوْ شَمِمْتَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً . وَثَلَاثَةٌ
 تَحْكُمُ عَلَيْهِمُ بِالذَّنَاءَةِ حَتَّى يُعْرِفُوا : رَجُلٌ شَمِمْتَ مِنْهُ رَائِحَةً نَبِيذٍ فِي مَخْفِلٍ ، أَوْ سَمِعْتَهُ يَتَكَلَّمُ
 فِي مَصْرِعٍ عَرَبِيٍّ بِالْفَارْسِيَّةِ ، أَوْ رَأَيْتَهُ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ يَنَازِعُ فِي الْقَدَرِ . قال ميمون
 ابن ميمون : أَوَّلُ الْمُرُوءَةِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ ، وَالثَّانِي التَّوَدُّدُ ، وَالثَّالِثُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ .
 وقال : مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعِهِ حَسَبُ أَبِيهِ . قال مسلمة بن عبد الملك :
 مَرُوءَتَانِ ظَاهِرَتَانِ : الرِّيَاسَةُ وَالْفَصَاحَةُ . وقال عمر بن الخطاب : الْمُرُوءَةُ الظَّاهِرَةُ
 الثِّيَابُ الطَّاهِرَةُ ، قَالُوا : كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشِينَ جَارَهُ طَلَبَ الْحَاجَةَ إِلَى غَيْرِهِ .
 وقال بعض الشعراء

نَوْمُ الْغَدَاةِ وَشُرْبُ الْعِشِيَّاتِ * مَوَكَّلَانِ بِمُسَدِّمِ الْمُرُوءَاتِ

باب اللباس

حدثني محمد بن عبيد قال ، حدثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس
 عن ابن عباس ، قال : كُلُّ مَا شَتَّتَ وَالْبَسُ مَا شَتَّتَ إِذَا مَا أَخْطَاكَ شَيْئَانِ : سَرَفٌ
 أَوْ مَخِيلَةٌ . ١٥

قال حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مضعب
 عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كَانَتْ مَلْحَفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي يَلْبَسُ فِي أَهْلِهِ مُورَسَةً ^(١) حَتَّى إِذَا لَتَرَدَّعَ ^(٢) عَلَى جِلْدِهِ . ٢٠

(١) مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر بالبن . وفي الأصول : ”مورشة“ بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) تنفض صفيها .

حدثني أبو الخطاب ، قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا المختار بن نافع عن
إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما
إزارا فيه إحدى وعشرون رقعة من آدم ورقعة من ثيابنا .

حدثنا الزبدي قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الحريري عن ابن عباس ،
قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأديم . نظر معاوية
إلى النّظار العُذريّ النّاسب في عباءة فازدراه في عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن
العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . قال سُحيم بن وثيل

ألا ليس زين الرجل قطعاً يُمزق * ولكن زين الرجل ياتى راكمه

وقال آخر

إياك أن تزدري الرجال فما * يدريك ماذا يَكْنُهِ الصّدْفُ
نفس الجواد العتيق باقية * يوماً وإن مس جسمه العجف
والحر حر وإن ألم به الضر وفيه العفاف والآف

وقال آخر من المحدثين

تعجبت در من شبي فقلت لها * لا تعجبي قد يلوح الفجر في السّدْفُ
وزادها عجباً أن رحت في سَمَل * وما درت در أن الدر في الصّدْفُ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى برئسا من عمر بن أنس بن
سيرين فمر على معاذة العدوية ، فقالت : أمثلك يلبس هذا ! قال : فذكرت ذلك
لأبن سيرين فقال : ألا أخبرتها أن تميا الداري اشترى حلة بألف يَصَلِّي فيها .

(١) كذا في النسخين .

(٢) في الاصل : ألا أخبركم . والنصيب عن العقد الفريد . ج ٣ ص ٣٤٨

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا مُصعبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه ، قال أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداءً وعمامةً .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا علي بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشَّيباني قال : رأيت محمد بن الحنفية واقفا بعرفات على بردونٍ عليه مطرفٌ خراصفرٌ .

حدثني الرياشي عن الأصمعي عن حفص بن الفراء^(١) قصة قال : أدركت وجوه أهل البصرة ، شقيق بن ثور فمن دونه وآنيثهم في بيوتهم الحفان والعيسة فإذا قعدوا بأفنيثهم لبسوا الأكسية وإذا أتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطارف .

قدم حماد بن أبي سليمان البصرة بخاءه فرقد السبخي وعليه ثياب صوف فقال حماد : ضع نصرانيتك هذه عنك ، فلقد رأيتنا نتظر إبراهيم فيخرج علينا وعليه مصفرة وتحن نرى أن الميتة قد حلت له .

وروى زيد بن الحباب عن الثوري عن ابن جريح عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يرتدي رداءً بألف . قال معمر : رأيت قميص أيوب يكاد يمس الأرض ، فكلمته في ذلك فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنها اليوم في تسميره .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال : جاء سيار أبو الحكم إلى مالك بن دينار في ثيابٍ أشهرها مالك^(٢) ، فقال له مالك : ماهذه الشهرة؟ فقال له سيار : أتضعني عندك أم ترفعني؟ قال : بل تضعك ، قال : أراك تنهاني عن التواضع ، فترى مالك فقعد بين يديه .

(١) في لسان العرب : كل ما في العرب فراصة بضم الفاء الافراصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمه الله فانه يفتح الفاء لا غير . (٢) أشهرها : شنع بها .

قال أبو يعقوب الحريري : أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعيّ ندفع إلى خادم كيسا فيه ألف دينار وقال : إني سأنزل في رجعتي إلى الأصمعيّ وسيحدثني ويضحكني فإذا ضحكك فضع الكيس بين يديه ، فلما رجع ودخل عليه رأى حبا مكسورا الرأس وجرّة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة^(١) أعشارا وراه على مصلى بال وعليه برّكان^(٢) أجرد فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ولم يدع الأصمعيّ شيئا مما يضحك الأنكلان إلا أوردته عليه فما تبسم ونخرج ، فقال لرجل كان يسأره : "من آسترعى الذئب ظلم" ومن زرع سبخة حصده الفقر ، فإني والله لو علمت أن هذا يكتّم المعروف بالفعل لما حفلت نشره له باللسان ، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغنى ، لأن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب . والله در نصيب حيث يقول

١٠ فعاजूوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

ثم قال له : أعلمت أن ناووس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان . قال ربعة بن أبي عبد الرحمن : رأيت مشيخة بالمدينة في زى الفتيان لهم الغدائر وعليهم المورّد والمُعصّرو وفي أيديهم المخاصرو وبها أثر الحناء ، ودين أحدهم أبعد من الثريا إذا أريد دينه . ذمّ ابن التوهم رجلا فقال : رأيته مشحّم النعل درن الجورب ١٥ مَغْضَن الحفّ دقيق الخزامة . أنشد ابن الأعرابي

فإن كنت قد أعطيت نخرًا تجره * تبدلت من فروة وإهاب

فلا تأيسن أن تملك الناس إني * أرى أمة قد أدبرت لذهب

قال أيوب يقول الثوب : أطوني أجلك . هشام بن عروة عن أبيه قال ، يقول المال : أرنى صاحبي أعمّر ، ويقول الثوب : أكرمني داخلا أكرمك خارجا . ٢٠

(١) في اللسان وغيره : الحب الخالية فارسيّ معرب . (٢) كساء أسود .

ويقال: لكل شيء راحة، فراحة البيت كنسه، وراحة الثوب طيه. قيل لأعرابي: إنك تكثير لبس العمامة، فقال: إن عظاماً فيه السمع والبصر لحدير أن يكتن من الحر والقتر. ويقال: حبي العرب حيطانها، وعمائمها تيجانها. وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جنة في الحرب، ومكنة في الحر والقتر، وزيادة في القامة، وهي بعد عادة من عادات العرب. وقال طلحة بن عبيد الله: الدهن يذهب البؤس، والكسوة تظهر الغنى، والإحسان إلى الخادم مما يكتبت الله به العدو.

أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال: سمعت أعرابياً يقول: لقد رأيت بالبصرة بروداً كأنما نصحت^(١) بأنوار الربيع وهي تروع، واللابسوها أروع. قال يحيى بن خالد للعتابي في لباسه - وكان لا يبالي ما ليس - يا أبا علي أنخزي الله أمراً رضى أن يرفعه هيئته من جماله وماله، فإنما ذلك حظ الأدياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعه أكبراه: همته ونفسه، وأصغراه: قلبه ولسانه. وفي الحديث المرفوع: "إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه". قال حبيب بن أبي ثابت: أن تعز في خصمة خير لك من أن تدل في مطرف، وما اقترضت من أحد خير من أن اقترض من نفسي. قال عمرو بن معديكرب

ليس أجمال بمترى * فأعلم وإن رديت بردا

إن أجمال معادن * وموارث أورثن مجدا

وقال ابن هرمة

لو كان حولى بنسوا مية لم * ينطق رجال إذا هم نطقوا

إن جلسوا لم تضق مجالسهم * أوركبوا ضاق عنهم الأفق

كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَخٍ وَذِي ثِقَةٍ * عَنْ مَنِيَّهِ الْقَمِيصُ مُنْخَرِقُ
تَجْهَمُ عُوْدَ النِّسَاءِ إِذَا * مَا أَحْمَرَتْ تَحْتَ الْقَوَانِسِ الْحَدَقُ
فَرِيحُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أُنْدَى مِنْ أَلْسَمِكَ وَفِيهِمْ لِحَابِيطُ وَرَقُ

قال حدثني أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبي سعد الخزومي الشاعر

كردوانيا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد ، هذا نحر ؟ فقال : لا ، ولكنه
دَعَى عَلَى دَعَى ، وكان أبو سعد دعيا في بني مخزوم ، وفيه يقول أبو البرق

لَمَّا تَاهَ عَلَى النَّاسِ * شَرِيفٌ يَا أَبَا سَعْدِ

فِتْنَةٌ مَا شِئْتَ إِذْ كُنْتَ * بَلَا أَصْلٍ وَلَا جَدِّ

وَإِذْ حَظُّكَ فِي النَّسَبِ بَيْنَ الْحَزِّ وَالْعَبْدِ

وَإِذْ قَاذَفُكَ الْمُفْحِشُ فِي أَهْلِ مِنَ الْحَدِّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه : كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤذيني ؟ قال :

أَحْسَنَ طَاعَةٍ ، قَالَ : فَأَطِئْنِي الْآنَ كَمَا كُنْتُ أَطِيعُكَ ، خَذَنِي مِنْ شَارِبِكَ حَتَّى تَبْدُوَ

شَفْتَاكَ ، وَمِنْ ثَوْبِكَ حَتَّى يَبْدُوَ عَقِبَاكَ ، وَكَيْعَ قَالَ : رَاحَ الْأَعْمَشُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَقَدْ

قَلَبَ فُرُوءَ جِلْدِهَا عَلَى جِلْدِهِ وَصَوَّفُهَا إِلَى خَارِجٍ ، وَعَلَى كَتِفَيْهِ مَنَدِيلُ الْحِوَانِ مَكَانَ

الرِّدَاءِ ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ قَالَ : رَأَيْتُ

أَلْشَّعْبِيَّ يَقْضِي عَلَى جِلْدٍ . قَالَ الْأَحْنَفُ : أَسْتَجِيدُوا النَّعَالَ فَانْهَا خِلَافَ الرِّجَالِ .

أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ عَلَى قَتِيْبَةِ بْنِ مُسْلِمٍ فِي مِذْرَعَةٍ

صَوَّفَ فَقَالَ لَهُ قَتِيْبَةُ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى لِبَاسٍ هَذِهِ ؟ فَسَكَتَ ، فَقَالَ لَهُ قَتِيْبَةُ : أَكَلَمَكَ

فَلَا تَجِيبُنِي ! قَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ زَهْدًا فَأُزَكِّي نَفْسِي ، أَوْ أَقُولَ فَقْرًا فَأُشْكِرَ رَبِّي .

قال ابن السَّيِّد لأصحاب الصوف : والله إن كان لبأسكم هذا موافقا لسرائركم لقد أحببت أن يطلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدثين يعتذر من أظمار عليه

فما أنا إلا السَّيْفُ يا كُلَّ جَفَنَةٍ * له حليَّةٌ من نفسه وهو عَاطِلٌ

التَّخْتُمُ

قال حدثني أبو الخطاب زياد بن يحيى السَّيِّداني قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم تختم في يمينه .

قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سهل بن حماد قال حدثنا أبو خلدة خالد بن دينار قال : سألت أبا العالية ما كان نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : «صَدَقَ اللهُ» قال : فألقى الخلفاء بعد صدق الله «محمد رسول [الله]»^(١) .

قال أبو الخطاب حدثنا عتاب^(٢) قال حدثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر الشيء أوثق في خاتمه خيطا . حدثني أبو الخطاب قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علي كان من ورق نقشه «نِعَمَ الْقَادِرُ اللهُ» . كان علي خاتم علي بن الحسين بن علي «عَلِمْتَ فَأَعْمَلْ» . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علي «تَبَارَكَ مَنْ

(١) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها سقطت من النسخ . ويؤيده ما في «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني في رواية ابن سعد عن أبي العالية : أن نقش خاتمه «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء «محمد رسول الله» . أنظر ج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فانا لم نجد في شيوخ أبي الخطاب إلا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آتقا . وقد جاءت الرواية عنه في أول سطر من صحيفة ٢٩٧ بكنيته أبي عتاب .

نَخْرِي بَأَنِّي لَهُ عَبْدٌ“ وَنَقَشُ خَاتَمُ شَرِيحِ ”الْخَاتَمُ خَيْرٌ مِنَ الظَّنِّ“ . وَنَقَشُ خَاتَمِ طَاهِرِ
 ”وَضَعُ الْخَدَّ لِلْحَقِّ عِزًّا“ . وَكَانَ لِأَبِي نَوَاسٍ خَاتَمَانِ : أَحَدُهُمَا عَقِيقُ مَرَبَعٍ وَعَلَيْهِ
 تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا عَدَّتْهُ * بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
 وَالْآخَرُ حَدِيدٌ صِينِيٌّ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : ”الْحَسَنُ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا“
 فَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُقْلَعَ الْقَصُّ وَيُغْسَلَ وَيُجْعَلَ فِي قَبْرِهِ .

باب الطيب

قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ
 أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «خَيْرُ طِيبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ
 رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ ، وَخَيْرُ طِيبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ» .

حَدَّثَنَا الْقُطَيْبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا بِشْرٌ عَنْ أَبِي هَلِيْعَةَ قَالَ حَدَّثَنِي بُكَيْرٌ عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ أَبْنَ
 ١٠ عَمْرٍو كَانَ يَسْتَجْمِرُ بَعُودٍ غَيْرِ مُطَرَّى وَيَجْعَلُ مَعَهُ السَّكَافُورَ وَيَقُولُ : هَكَذَا كَانَ رَسُولُ
 اللَّهِ يَسْتَجْمِرُ .

قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ يُونُسَ ، قَالَ قَالَ أَبُو قِلَابَةَ :
 كَانَ أَبُو مَسْعُودٍ إِذَا نَحَرَ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ جِيرَانَهُ ذَلِكَ بِطِيبِ رِيحِهِ .

حَدَّثَنِي الْقُومَيْسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ عَنْ شَقِيقٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ قَالَ أَبُو الضَّحَّى :
 ١٥ رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ أَبِي الزَّيْرِ مِنَ الْمَسْكِ مَا لَوْ كَانَ لِي كَانَ رَأْسُ مَالٍ .

قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو قَتِيبَةَ وَأَبُو دَاوُدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الْهَاشِمِيِّ
 عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ أَبْنَ عَبَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالْغَالِيَةُ عَلَى صَلْعَتِهِ كَأَنَّهَا الرَّبُّ .

قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَلِيلِ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْنٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ
 ٢٠ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانٍ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَتَخَلَّقُ بِالْخُلُوقِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ .

وحدثني أيضا عن سويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل عن عُمارة بن غَزِيَّة قال :
لما أولم عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة
الغالية .

قال وحدثني عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله
ابن أبي جعفر عن الأعرج ، قال : قال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ فإنه طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ الْحَمَلِ » .

قال حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أنس بن مالك قال حدثنا
عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبَيْصِ الطَّيِّبِ
فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال
[قال] عكرمة : كان ابن عباس يطلي جسده بالمسك فاذا مرَّ بالطريق قال ابن عباس :

أمر ابن عباس أم مر المسك ؟ . قال المسيب بن علس يمدح بني شيبان

تَبَيَّتُ الْمُلُوكُ عَلَى عَتَبِهَا * وَشِيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تَعْتَبُ

وَكَا لَشَهْدِ بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ * وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهُمَا أَعَذِبُ

وَكَا لِمَسكِ تُرْبِ مَقَامَتِهِمْ * وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال

وَأَنْتِ إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَا * بَ صَارَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيْبَا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما

الْمَطْعِمُونَ إِذَا مَا أَزْمَتْ أَرْمَتْ * وَالطَّيِّبُونَ ثِيَابًا كُلَّمَا عَمِرُوا

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة الفتوغرافية فالنعل فيها

محذوف سهوا .

(٢) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأنشد ابن الأعرابي

خَوْدٌ يَكُونُ بِهَا الْقَلِيلُ تَمْسُهُ * مِنْ طَيْبِهَا عَيْقًا يَطِيبُ وَيَكْثُرُ^(١)
شَكَرَ الْكَرَامَةَ جِلْدُهَا فَصَفَا لَهَا * إِنْ الْقَبِيحَةَ جِلْدُهَا لَا يَشْكُرُ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ذُكر لأيوب هؤلاء الذين يتقشّفون فقال :
ما علمتُ أن القدرَ من الدين .

باب المجالس والجلساء والمحادثات

قال حدثني أحمد بن الخليل عن حبان بن موسى قال حدثنا ابن المبارك عن معمر
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«الرجلُ أحقُّ بمجلسه إذا قام لحاجةٍ ثم رجع» .

وحدثني أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المسيّب بن رافع عن
عبد الله بن يزيد الخطمي عن عبد الله بن الغسيل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«المرءُ أحقُّ بصدر بيته وصدر دابته وصدر فراشه ، وأحقُّ أن يؤمَّ في بيته» .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر
محمد بن علي قال : ألقى لعلّي وسادةً فجلس عليها وقال : إنه لا يأبى الكرامة إلا حمارٌ .
وفي الحديث المرفوع عن أبي موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ^(٢)
الجلس الصالح مَثَلُ الدَّارِيّ إن لم يُحَذِّكْ من طيبه عَلَّقَكَ من ريحه ، ومَثَلُ المجلس
السوء مَثَلُ الْكَبِيرِ إن لم يُحَرِّقْ بِشَرِّ نارِهِ عَلَّقَكَ من نَفْثِهِ» ، قال أبو إدريس الخولاني :

(١) في النسخة الألمانية : القليل وفي الفتوغرافية : العليل ، وكلاهما محرف عن «القليل» اذ هو الذي
يقتضيه السياق .

(٢) أحذاه : أعطاه .

المساجدُ مجالسُ الكرام . قال الأحنف : أطيبُ المجالس ما سافرَ فيه البصرُ وأتدع^(١)
فيه البدنُ ، فأخذه عليّ بن الجهم فقال

صُحُونُ تُسَافِرُ فِيهَا الْعْيُونُ * وَتَحْسِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا

وقال المهلب : خيرُ المجالس ما بُعدَ فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة الجليس .
قيل للأوسية : أيُّ منظرٍ أحسن ؟ فقالت : قصورُ بيضٍ في حدائق خضير . ونحوه
قول عديّ بن زيد

كُدُمِي الْعَاجَ فِي الْمَحَارِيبِ أَوْ كَالشَّيْضِ فِي التَّرْوِضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ

حدثنا سهل بن محمد قل حدثنا الأصمعيّ قال : كان الأحنف إذا أتاه إنسان
أوسع له ، فإن لم يجد موضعا تحرك ليّريه أنه يوسع له . وكان آخرُ لا يوسع لأحد
ويقول «ثَهِلَانُ ذَوِ الْهَضْبَاتِ مَا يَتَحَلَّحُلُ^(٢)» .

قال ابن عباس : بجليسى على ثلاث : أن أرميه بطرفي إذا أقبل ، وأن أوسع
له إذا جلس ، وأصغى إليه إذا تحدث . وقال الأحنف : ما جلستُ مجلساً نخفت أن
أقام عنه لغيري . وكان يقول : لأن أدعى من بعيد فأجيب أحبُّ إلى من أن
أقصى من قريب .

كان القعقاع بن شُور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله ،
وأعانه على عدوه ، وشفع له في حاجته ، وغداً إليه بعد المجالسة شاكراً . وقسم معاوية
يوماً آنية فضية ودفع إلى القعقاع حظّه منها ، فأثر به القعقاعُ أقربَ القوم إليه فقال

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سكن .

(٢) هذا شطربيت من قصيدة للفرزدق وقد جاء في الأصل وفي معجم البلدان هكذا «ثَهِلَانُ ذَوِ الْهَضْبَاتِ»
بالرفع . وقال ابن بري فيما حكاه صاحب اللسان : صوابه «ثَهِلَانُ ذَا الْهَضْبَاتِ» بالنصب لأن صدره :
* فارفع بكفك إن أردت بناءً * .

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شُورٍ * وَلَا يَتَشَقَّى بِقَعْقَاعِ جَلِيسُ
ضُحُوكُ السَّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ * وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبَّاسِ

كان يقال : إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة . قيل لمحمد بن واسع : ألا
تجلس متكئا ! فقال : تلك جلسة الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أملهم :
جليسى ما فهم عني ، وثوبى ما سترنى ، ودابتى ما حملت رجلى . وزاد آخر : وأمرأتى
ما أحسنت عشتري .

ذكر رجل عبد الملك بن مروان فقال : إنه لا خذ بأربع ، تارك لأربع : آخذ
بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأحسن البشر إذا لقي ،
وبأسر المسونة إذا خولف . وكان تاركا لمحادثة اللثيم ، ومنازعة الجوج ، ومسارة
السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند انقضاء مجلسه قال : إنك جلست
إلينا على حين قيام منا أفتأذن ؟ . قال الفضيل بن عياض للشورى : دلني على من
أجلس إليه ، قال : تلك حالة لا توجد . قال مطرف : لا تطعم طعامك من
لا يشتهيه ، يريد : لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن
سالم : إذا لم تكن المحدث أو المحدث فانهض . ونحوه قول ابن مسعود : حدث
القوم ما حدجوك بأبصارهم .

قال زياد مولى عياش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلم
رأني رجل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا
تأخذ عليه شرف المجلس . وقال ابن عباس : ما أحد أكرم على من جليسى ، إن

(١) الذباب يقع عليه فيشق على . ذكر الشَّعْبِيّ قوما فقال : ما رأيتُ مثلهم أشدَّ تناوبا في مجلس ولا أحسنَ فهمًا عن محدث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفسارَ ووطننا الحسناءَ ولَبَسْنَا اللَّيْنَ وأكلنا الطَّيِّبَ حتَّى أَجْمَنَّا ، ما أنا اليومَ الى شَيْءٍ أَحْوَجُ مِنِّي إلى جليسٍ أَضْعُ عَنِّي مَسُونَةَ التَّحْفِظِ فيما بيني وبينه .

روى ابن أبي ليلى عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال ، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أسيرَ في سبيل الله أو أضعَ جَبْهَتِي في التراب لله أو أجالسَ قوماً يلتقطون طيبَ القول كما يلتقط طيبُ الثمر لأحببت أن أكونَ قد لحقتُ بالله . قال عامر بن عبد قيس : ما آسى على شَيْءٍ من العراق إلا على ظمأ الهواجر ، وتجاوب المؤذنين ، وإخوان لي منهم الأسودُ بن كَثُوم . وقال آخر ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : قصب السكر ، وليل الخَير ، وحديث ابن أبي بكرة . وقال المغيرة : كان يجالس إبراهيمَ صيرفيَّ ورجلَ مَتَّهَمٍ برأى الخوارج ، فكان يقول لنا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا ، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) إلا عند ختم القرآن في شهر رمضان من أجل اللَّهْيَيْنِ .

كان يقال : محادثة الرجال تُلقِحُ ألبابها . كان بعض الملوكة في مسيرله ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقَطَّعُ سُرَى الليل بمثل الحديث فيه فليَنفُضْ كل رجل منكم بنا

(١) في الأصول : تنابذا ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم الطعام وغيره : كرهه وملة

(٣) في الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب للثعالبي .

(٤) في الأصول : الحزين وهو تحريف والتصويب عن ثمار القلوب ، قال الجاحظ : في أعلى جبانة البصرة موضع يقال له الخريز . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيا أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

(١) جَوْشًا مِنْهُ . قال معاوية لعمر بن العاص : ما بقي من لذة الدنيا تلذّه ؟ قال :
محادثة أهل العلم ، وخبرٌ صالح يأتيني من ضيعتي . قال أبو مسهر : ما حدثت رجلاً
قط إلا حدثني إصغائه : أفهم أم ضيع .

باب الثقلاء

قال ابراهيم : إذا علم الثقل أنه ثقل فليس بثقل . كان يقال : مَنْ خاف أن
يُثَقِّلَ لم يثقل . قيل لأيوب : ما لك لا تكتب عن طاووس ؟ فقال : أتيتُه فوجدته
بين ثقلين : ليث بن أبي سليم ، وعبد الكريم بن أبي أمية .

قال الحسن : قد ذكر الله الثقل في كتابه قال : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) . كان
أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : اللهم آغفر له وأرحنا منه . وكتب رجل على
خاتمه : أبرمت فقم ، فكان إذا جلس إليه ثقل ناوله إياه . قال بختيشوع للأُمون :
لا تُجالس الثقلاء فإننا نجد في الطب : مجالسة الثقل حمى الروح . قال بعض الشعراء

إني أجالس معشراً * نوكتي أخفهم ثقل
قومٌ إذا جالسهم * صدت بقرهم العقول
لا يفهموني قولهم * ويدق عنهم ما أقول
فهم كثيرٌي وأعلم أنني بهم قليل

أخبرنا النوشجاني عن عمر بن سعيد القرشي قال حدثني صدقة بن خالد قال :
أتيت الكوفة فجلستُ إلى أبي حنيفة ، فقام رجل من جلسائه فقال
فما الفيل تحمله ميتاً * بأثقل من بعض جلاسنا
فما حملت عنه شيئاً .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل ، فقال له : كيف حالك ؟ فقال
وقائل كيف أنت قلت له * هذا جليسي فما ترى حالي

وقال بشار

ربما يثقل المجلس وإن كا * ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في الأر * ض ثقيل أربى على ثهلان^(١)
كيف لم تحمّل الأمانة أرض * حملت فوقها أبا سفيان !

وقال آخر

هل غربة الدار منك منجيتي * إذا آغشت بي قلائص ذمل^(٢)
وما أظن الفلاة تنجيني * منك ولا الفلك أيها الرجل
ولو ركبت البراق أدركني * منك على نأى دارك الثقل
هل لك فيما مديكت نافلة * تأخذه جملة وترتحل

وقال أعرابي

كأني عند حمزة في مقامي * ألا حييت عنا يا مدينا
بلينا عنده حتى كانا * ألا هبي بصحك فاصبحنا

وقال آخر

ثقل يطالينا من أمم * إذا سره رغم أنفى ألم^(٣)
طلغته ونزة في الحشا * كوخ المشارط في المختجم
أقول له إذ بدا طالعا * ولا حملته إلينا قدم^(٤)
فقدت خيالك لا من عمي * وأذني كلامك لا من صمم

(١) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أبا عمران . (٢) هكذا بالنسخين الفلوجرافية والألمانية
"تنجيني" ولعلها "منجيتي" . (٣) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «اذ بدا لا بدا» وفي ديوان
ناظمه أبي نواس لا أتي . (٤) في العقد الفريد والديوان : وصوت كلامك .

قال سُهَيْل بن عبد العزيز : مَنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ وَغَمَّكَ فِي سُؤَالِهِ فَأَلْزَمَهُ أَذْنَائَ صَمَاءَ وَعَيْنَاءَ عَمِيَاءَ .

وكتب بعضُ الكتاب في فصل من كتابه : ما آمَنُ نَزْعَ مُسْتَمِيعِ حَرَمَتِهِ ، وَطَالِبِ حَاجَةِ رَدْدَتِهِ ، وَمُثَايِرِ ثَقِيلِ حُجْبَتِهِ ، أَوْ مَنْبَسِطِ نَابِ قَبْضَتِهِ ، وَمُقْبِلِ بَعْنَانِهِ عَلَى لَوِيئِ عَنْهُ ، فَقَدْ فَعَلْتَ هَذَا بِمُسْتَحْقِقِينَ وَبَتَعَذُّرِ الْحَالِ ، فَتَثَبْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ ، وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ .

وقال بعضُ المُحَدِّثِينَ لِلْخَلِيلِ

نُحْرِجُنَا نُرِيدُ غُرَاقَةً لَنَا * وَفِينَا زِيَادُ أَبُو صَعَصَعَةٍ
فَسِتَّةٌ رَهِيطٌ بِهِ خَمْسَةٌ * وَخَمْسَةٌ رَهِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةٌ

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عديّ عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ قال قال السائب بن الأقرع لرجل من العجم : أخبرني عن مكان من القرية لا يَحْرُبُ حَتَّى أَسْتَقْطِعَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا بَيْنَ الْمَاءِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَاخْتِطْ لِثَقِيفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : فَبِتُّ عَنْدهُمْ فَإِذَا لَيْلُهُمْ بِمَنْزِلَةِ النَّهَارِ .

وقال قائل في الدار : لَيْكُنْ أَوَّلُ مَا تَبْتَاعُ وَآخِرُ مَا تَبِيعُ .

وقال يحيى بن خالد لأبْنِهِ جَعْفَرٍ حِينَ اخْتِطَ دَارَهُ لِبَنِيهَا : هِيَ قَبِيضُكَ فَإِنْ شِئْتَ فَوَسَّعْهُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَضَيِّقْهُ . وَأَتَاهُ وَهُوَ يَبْنِي دَارَهُ الَّتِي بِبَغْدَادَ بِقَرَبِ الدَّوْرِ ، وَإِذَا هُمْ يُبَيِّضُونَ حَيْطَانَهَا فَقَالَ : أَعْلَمُ أَنَّكَ تُغَطِّي الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ ، فَقَالَ جَعْفَرُ : لَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ الذَّهَبُ أَنْفَعُ مِنَ الْفِضَّةِ ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عِيَاءً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مُخَالَطَتُهَا دَوْرَ السُّوقَةِ .

دخل ابن التوهم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرة الذرع ، واسعة الصحن ، رفيعة السَّمَك ، عظيمة الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مشونة لا تُطاق ، وعيالا لا يُحتمل مثلهم ، ولا بد لك من الخدم والستور والفرش على حسب ما أُبتليت به نفسك ، وإن لم تفعل هجنت رأيك .

وقرأت في كتاب "الآيين" أنه كان يُستقبلُ بفراش الملك ومجلسه المشرق ، أو يُستقبلُ به مَهَبُ الصَّبا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والارتفاع ، وناحية الدُّبور وناحية المغرب يُوصفان بالفضيلة^(١) والانخفاض ، وكان يُستقبلُ بصدور إيوانات الملك المشرق أو مَهَبُ الدُّبور ، ويُستقبلُ بصدور الخلاء وما فيه من المقاعد مَهَبُ الصَّبا ، لأنه يقال : إن آستقبال الصَّبا في موضع الخلاء آمن من شجر السَّحرة ومن ريح الجِنَّة . ١٠

وكان عمر يقول : على كل خائن أمينان : الماء والطين . ومر ببناء يُبنى بأجر وجص فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عامل له ، فقال : تأبى آلدراهم إلا أن تُخرج أعناقها ، وشاطره ماله .

أبو الحسن قال : لما بلغ عمر أن سعدا وأصحابه قد بنوا بالمدر قال : قد كنت أكره لكم البنیان بالمدر ، فأما إذ قد فعلتم فعرضوا آلحيطان ، وأطيلوا السَّمَك ، وقاربوا بين الخشب . وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تبني بالبصرة دارا؟ فقال : لأني لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فإن كنت أسيرا فالسجن داري ، وإن كنت أميرا فدار الإمارة داري . وقال : الصواب أن تُتخذَ الدُّور بين الماء والسوق ، وأن تكون الدُّور شرقية والبساتين غربية . ١٥

قال بعض الشعراء ٢٠

بنو عُمَيْرٍ مجدهم دارهم * وكل قوم لهم مُجْدٌ

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبي محمد الزيدى

قَوِّمِي خِيَارَ غَيْرِ مَا أَنَّهُمْ * صَوَّلْتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
ليس لهم مجد سوى مسجد * به تعدوا فوق أطوارهم
لو هديم المسجد لم يعرفوا * يوما ولم يُسمع بأخبارهم

وقال رجل من خُزاعة

نخر المسيبُ بالمناره * ومناره برحاً عُمّاره
فإذا تفاخرت القبا * ثل من تميم أوقزاره
حفلت عليك شيوخ ضبّة * بالمسيب والمناره

مرّ رجل من الخوارج بدار تبنى فقال : من هذا الذى يُقيم كفيلاً ؟ . وقالوا :

كُلُّ مال لا يخرجُ بخروجك ولا يرجعُ برجوعك ولا ينتقلُ فى الوجوه بانتقالك فهو
كفيلٌ .

وقالت الحكماء من الروم : أصلح مواضع البنيان أن يكونَ على تلٍّ أو كَبِيسٍ وثيقٍ
ليكونَ مُطَلًّا ، وأحقُّ ما جُعِلَتْ إليه أبوابُ المنازلِ وأفنيئُها وكواؤُها المشرقُ واستقبالُ
الصُّبَا ، فإن ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم .

ومن حسن التشبيه فى البناء قولُ على بن أبيهم

صُحُورٌ تُسافرُ فيها العيون * وتُحسِرُ عن بعدِ أقطارِها
وَقُبَّةٌ مُلْكٌ كَأَنَّ النجوى * مَ تَصْنِى إليها بأسرارِها
وقوارةٌ نارُها فى السماء * فليست تُقَصِّرُ عن نارِها
إذا أُوقِدَتْ نارُها بالعسراق * أضاءَ الجِجَارَ سَنًا نارُها
تَرَدُّ على المزنِ ما أنزلت * على الأرض من صوبِ أقطارِها

لَهَا سُفُوفَاتٌ كَأَنَّ الرَّبِيعَ * كَسَاهَا الرِّيَاضُ بِأَنْوَارِهَا
فَهِيَ كَمُصْطَحَبَاتٍ نَاجِيَةٍ * لِفَصْحِ النَّصَارَى وَإِفْطَارِهَا
فِي بَيْنِ عَاقِصَةِ شَعْرَهَا * وَمُصْلِحَةِ عَقْدِ زُنَّارِهَا

وقال الوليد بن كعب

بَكَتْ دَارُ بَشِيرٍ شَجْوَهَا أَنْ تَبْدَلَتْ * هَلَالُ بْنُ عِيَادٍ بِبَشِيرِ بْنِ غَالِبٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ عَرِيْسٍ تَنْقَلْتُ * عَلَى رَعْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبِ

وقال آخر

أَلَمْ تَرَ حَوْشَبَا أَمْسَى يُنَيِّ * قُصُورًا نَفَعَهَا لِبْنِي بَقِيْلَهُ
يُؤَمِّلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُثْمَرُ نُوْحٍ * وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

١٠ كان مالك بن أسماء يهوى جارية من بني أسد وكانت تنزل خُصًا وكانت دارُ
مالك مبنيةً بأجر فقال

يَالَيْتَ لِي خُصًّا يُجَاوِرُهَا * بَدَلًا بَدَارِي فِي بَنِي أَسَدٍ
الْخُصُّ فِيهِ تَقَرُّ أَعْيُنُنَا * خَيْرٌ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَدِّ

حدثني محمد بن خالد بن خديش عن أبيه قال حدثنا إسحاق بن الفرات قاضي
١٥ مصر عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال قال سليمان بن داود لابنه : يَا بُنَيَّ إِنْ
مِنْ ضَيْقِ الْعَيْشِ شِرَاءَ الْخُبْزِ مِنَ السُّوقِ ، وَالنَّقْلَةِ مِنْ مَنَزِلٍ إِلَى مَنَزِلٍ .

بلغني أن رجلا من الزهاد مر في زورق ، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح :
وَأَعْمَرَاهُ ! فَسَمِعَهُ الْمَأْمُونُ فِدَا بِهِ فَقَالَ : مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ بِنَاءَ الْأَكَاسِرَةِ فَقُلْتُ
مَا سَمِعْتُ ، قَالَ الْمَأْمُونُ : أَرَأَيْتَ لَوْ تَحَوَّلْتُ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى إِيوَانِ كَسْرَى
بِالْمَدَائِنِ هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَعِيبَ نَزُولِي هُنَاكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَرَاكَ إِنَّمَا عِيبَتْ إِسْرَافِي ٢٠

في النفقة، قال : نعم، قال : فلو وهبت قيمة هذا البناء لرجل أكنت تعيب ذلك؟
 قال : لا، قال : فلو بئى هذا الرجل بما كنت أهب له بناء أكنت تصيح به كما
 صححت بي؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قصدتني لخاصتي في نفسي لا لعلة هي
 في غيري، ثم قال له : هذا البناء ضرب من مكائدا نبنيه ونتخذ الجيوش ونعد
 السلاح والكراع وما بنا إلى أكثره حاجة، فلا تعودن إلى فتمسك عقوبي، فإن
 الحفيظة ربما صرفت ذا الرأي إلى هواه، فاستعمله .

(١) باب المزاح والرخص فيه

قال حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن
 أبي سلمة قال : أخبرتنى عائشة أنها سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
 فسبقتة، وسأبتة في سفر آخر فسبقتها وقال : «هذه بتلك» .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفة
 لمروان، فربما ركب حمارا قد شد عليه برذعة وفي رأسه حلية فيلقى الرجل فيقول :
 الطريق، قد جاء الأمير، وربما دعاني إلى عشائه بالليل فيقول : دع العراق للأمير،
 فأنظر فإذا هو ثريد بزيت .

قال حدثني محمد بن محمد بن مرزوق عن زاهر بن الصلت الطاحي عن سعيد
 ابن عثمان قال، قال الشعبي لخياط مرة به : عندنا حب مكسور تحيطه؟ فقال
 الخياط : إن كان عندك خيوط من ريج .

(١) كذا في الأصل، ولم نجد في القاموس ولا في اللسان الرخص بمعنى الترخيص والتسهيل، والوارد في هذا
 المعنى إنما هو الرخصة بناء التأنيث فلعل التاء سقطت من فلم الناسخ .

(٢) العراق : العظم أكل لحمه أو العظم بلحمه .

(٣) في الأصل : الطاحي بالجيم وهو تحريف والتصويب عن تاج العروس .

وحدثني بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبيّ ومعه في البيت امرأة فقال :
أيكم الشعبيّ ؟ قال الشعبيّ : هذه . وسئل الشعبيّ عن لحم الشيطان فقال : نحن
نرضى منه بالكفاف ، قال : فما تقول في الذبّان ؟ قال : إن اشتبهته فكلّه .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذي لمّا
رأيناه أكبرناه وقطعن أيديهن ، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه
الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال :
توفي البارحة ، أما شعرت ؟ فجزع واسترجع ، فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ (اللَّهُ يَتَوَفَّى
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) .

مرّ بالشعبيّ حمّالٌ على ظهره دَنٌّ خَلٌّ ، فلما رآه وضع الدنّ وقال : ما كان اسمُ
امرأة ابليس ؟ فقال الشعبيّ : ذاك نكاحُ ما شهدناه .

حدثني محمد بن عبيد العزيز عن الأصهبانيّ عن يحيى بن أبي زائدة عن الأعمش
قال : عادني إبراهيم فنظر إلى منزلي فقال : أما أنت فتعرّف في منزلك أنك لست من
أهل القرية عظيم .

وروى وكيع عن ربيعة عن الزهريّ عن وهب بن عبد بن زمعة قال ، قالت
أم سلمة : خرج أبو بكر في تجارة ومعه نعيان وسويبط بن حرملة ، وكانا شهدا بدرا ،
وكان نعيان على الزاد فقال له سويبط وكان مزاحا : أطعمني ، فقال : حتى يحيى
أبو بكر ، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمروا بقوم فقال لهم سويبط : أئتثرون مني
عبدا لي ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إني حرّ ، فإن كنتم
إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا عليّ عبدي ، فقالوا : بل نشتريه منك

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا في عنقه حبلا وعمامة واشتروه، فقال نعيان : إن هذا يستهزئ بكم وإني حرّ، قالوا : قد أخبرنا بخبرك، وأنطلقوا به، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فردّ عليهم القلائص وأخذه، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا .^(١)

- ٥ حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الجعفي عن أبي عوانة عن قتادة أن عدى بن أرطاة تزوج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط، قال : إني رجل من أهل الشام، قال : بعيد سحيق، قال : إني تزوجت امرأة، قال : بالرفاء والبنين، قال : وولدت غلاما، قال : ليبيئتك الفارس، قال : وشرطت لها دارها، قال : الشرط أملك، قال : اقض بيننا، قال : قد قضيت، قال :
١٠ يمه ؟ قال شريح : « حدثت امرأة حديثين فإن أبت فأربع »^(٢) قال لي المحدث : فأربعة، وإنما هو أربع أي كُف وأمسك .

- وتقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما بما يدعى الآخر عليه وهو لا يعلم، فقضى عليه شريح، فقال الرجل : أتقضى على غير بينة ؟ فقال : قد شهد
١٥ عندي ثقة، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك .

كان ابن سيرين يُنشد

نُبئتُ أن فتاة كنتُ أخطبها * عُرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

- (١) في القاموس في مادة نعم أن نعيان هو المزاح وأنه هو الذي باع سويطا وبعد نحو صفحتين من هذا الكتاب منجد ذكر نعيان بأنه هو المزاح .
٢٠ (٢) رواه الميسداني « حدثت امرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة وفسره بقوله أي زد ثم قال : وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرر مرتين فكأنك حدثتها حديثين، والمعنى كررها الحديث لأنها أضعف فهما فإن لم تفهم فاجعلهما أربعة . ورواه في اللسان كما في الأصل وقال في معناه أي كف واقتصر وهو من ربع يربع إذا كف وأمسك .

وقال أيضا

لقد أصبحت عرسُ ألفرزدق ناشرا * ولو رضيت ربحَ آسته لاستقرت
وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

ألدائن قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : إني رأيت أبارحة في المنام كأن
القيامة قد قامت ووُضعت الموازين وأُحضِر الناس للحساب ، فنظرت إليك وأنت
واقف قد أجمك العرق ، وبين يديك صحف كأمثال آجبال ، فقال معاوية : فهل
رأيت شيئا من دنائير مصر !

كان معن بن زائدة ظنينا في دينه ، فبعث إلى ابن عيَّاش المتوفى بألف دينار،
وكتب إليه : قد بعثت إليك بألف دينار اشتريت بها دينك ، فاقبض المال
وأكتب إلى التسليم ، فكتب إليه : قد قبضت الدنانير وبعثت بها ديني خلا التوحيد
لما عرفت من زهدك فيه .

قال الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء من ربيعة ! فقال يزيد : أجل ،
ولكن منابرهم آلجذوع .

قال بلال بن أبي بردة لابن أبي علقمة : إنما دعوتك لأتخر منك ، فقال له ابن
أبي علقمة : لئن قلت ذلك لقد حَكَم المسلمون رجلين سخر أحدهما من الآخر .
كان يقال : السَّبَابُ مزراح النُّوكي^(١) . وقال الشاعر

أخو آلجد إن جاددت أرضاك جُدّه * وذو باطل إن شئت أهلك باطله
وقال مسعر بن كدام لابنه

ولقد حبوتك يا كدام نصيحتي * فاسمع لقول أب عليك شفيق

أما المزاحة والمراء فدعهما * خلّقان لا أرضاهما لصديق

ولقد بلوتهما فلم أحدهما * لمحاوِر جارٍ ولا لرفيق

(١) كذا في الأصل . وفي مجمع الأمثال للبدائي « المزاح سباب النوكي » .

وقال الكيت

وفي الناس أقذاعٌ مَلاهيحُ بالحناء * متى يَبْلُغُ الحسدُ الحفيظةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قولُ بعض المحدثين

أراني سأبدي عند أول سكرة * هواي لفضل في خفاء وفي ستر

فإن رِضيتُ كان الرضا سببَ الهوى * وإن غِضبتُ حملتُ ذنبي على السكر

وقال الراعي - في نحو هذا يصف نساء -

يُنَاجِينَا بِالطَّرْفِ دون حديثنا * وَيَقْضِينَ حاجاتٍ وهنَ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عمليْن ليختار أحدهما فيوليه ، فقال : « كلاهما

وتمرا » ، فقال : أعندي تمزح ! لا وليت لي عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كثر ضحكُه قلَّتْ هيئته . وقال علي : إذا ضحك العالم

ضحكٌ مَجَّ من العلم بجمَّة . وقال أ كثم : « المزاحَةُ تُذهِبُ المهابة » .

الهيثمُ عن عوانة الكلبي قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغضوم

وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويُقارضه ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدي

بأبي هذا الفتى وهو سيدنا معشر بني جُشم ، وشيخنا الذي نصدِرُ عن رأيه ، فاهترَّ

لها الفتى وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه

أمرنا ذات يوم وقد نورت الرياض أن تخرجَ إلى روضة في ظهر بيوت الحى

فتحدث فيها ، فخرجنا وابتسطننا لعبا ، وخرج الرجل منا بالبكرة الكوماء وبالخرُوف

والجدى ، وقام الفتيان فاجترروا واشتروا ودارت السقاة علينا ، فبينما نحن كذلك

رِعِفَ أبوه فما تركنا في الحى روثة حمار إلا نَشَقْنَاهُ إياها فلم يَرُقْ دُمُهُ ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا « ابتسط » ، ولعله محرف عن « آبتطنا » .

شَدُّوا خُصْمِيَّ الشَّيْخِ عَصَبًا ، ففعلنا ذلك فرقا الدم ، فوالله ما دارت الكأس إلا دورة حتى أتانا الصريحُ عن أمه أنها قد رَعِفَتْ ، فبادرنا إليها ، فوالله ما درينا ما نَعِصِبُ منها حتى نَحِرَجَتْ نَفْسُهَا ، وعبد الملك يَفَحَصُ برجليه ضحكا ، والفقى يقول : كذب والله ، فقال عبد الملك : ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديكم وحديثكم !

٥ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَرَأَى وَهُوَ مُحْرَمٌ يَرْبُوعًا فَرَمَاهُ بِعَصَا كَانَتْ فِي يَدِهِ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ الْجَمَّالُ : أَلَسْتَ مُحْرِمًا؟ قَالَ : بَلَى وَمَا كَانَتْ بِي إِلَى رَمِيهِ حَاجَةٌ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ أَنْ إِحْرَامِي لَا يَمْنَعُنِي مِنْ ضَرْبِكَ .

قال وكان الأعمش يقول : مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ ضَرْبُ الْجَمَّالِ .

١٠ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : كَانَ نُعَيْمَانُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَشَهِدَ بَدْرًا وَجَلَدَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخَمْرِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، فَمَرَّ نُعَيْمَانُ بِتَحْرِمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ فَقَالَ : أَلَا رَجُلٌ يَقُودُنِي حَتَّى أَبُولَ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ نُعَيْمَانُ ، فَلَمَّا [بَلَغَ] ^(١) مُؤَنَرَ الْمَسْجِدِ قَالَ : هَاهُنَا قَبْلُ ، فَبَالَ فَصَبَّحَ بِهِ ، فَقَالَ : مَنْ قَادَنِي ؟ قِيلَ : نُعَيْمَانُ ، قَالَ : اللَّهُ عَلَى أَنْ أَضْرِبَهُ بِعَصَايَ هَذِهِ ، فَبَلَغَ نُعَيْمَانُ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي نُعَيْمَانَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : قُمْ ، فَقَامَ مَعَهُ فَأَتَى بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَهُوَ يَصِلُ ، فَقَالَ : دُونَكَ الرَّجُلَ ، بِجَمْعِ يَدَيْهِ فِي الْعَصَا ثُمَّ ضْرِبَهُ ، فَقَالَ النَّاسُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : تَمَنُّ قَادَنِي ؟ قَالُوا : نُعَيْمَانُ ، قَالَ : لَا أَعُودُ إِلَى نُعَيْمَانَ أَبَدًا .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ : هَلْ كَانَ الْغَنَاءُ يَكُونُ فِي الْعُرُسَاتِ ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَاكَ ، وَلَا يُحْضَرُ بِمَا يُحْضَرُ الْيَوْمَ

من السفه ، دعانا أخواننا بنو نَيْطٍ في مدعاة لهم فشهد المدعاة حسانُ بن ثابت وابنه
عبد الرحمن وأنا ، وجاريتان تُغَيَّانِ

أنظر خليلي بباب جَلَقٍ هل * تُؤْنِسُ دون البلقاء من أحد

فبكي حسان وقد كُفَّ بصره ، وجعل عبد الرحمن يُومئ إليهما أن زيدا ، فلا
أدرى ما ذا يعجبه من أن تُبكيك أباه ، ثم جىء بالطعام ، فقال حسان : أ طعامُ يد أم
طعامُ يدين ؟ فقالوا : طعامُ يد ، يريدون الثريدَ فأكل ، ثم أتى بطعام آخر فقال :
أ طعامُ يد أم طعامُ يدين ؟ قالوا : طعامُ يدين ، يعنون الشواء فكف .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : كان طُوَيْسٌ يتغنى في عرس ، فدخل النعمان
ابن بشير العرس وطويس يقول

أَجَدَّ بِعَمْرَةٍ غُنْيَانُهَا * فَتَهْجُرُ أُمُّ شَأْنُهَا شَأْنُهَا^(١)

وعمرة أم النعمان ، فقيّل له : اسكت اسكت ، فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا
وإنما قال

وعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَاءِ * تَتَفَعُّ بِالْمَسْكِ أَرْدَانُهَا

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا الحجاج بن نصير قال حدثنا شعبة عن قتادة عن
أبي العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم ، فقال ابن عباس

وَهُنَّ يَمْشِينَ بَنَاتُ هَمِيَسَا * إِنْ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نِئْلَ لَمِيَسَا^(٢)

فقالوا : تقول الرفث وأنت محرم يا ابن عباس ! فقال : إنما الرفثُ عند النساء .

قال جابر الجعفيّ : رأيت الشعبيّ خارجا من الكوفة فقلت له : أين ؟ قال :
أنظر إلى الفيل .

(١) كذا بالأصول لسان العرب . وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١ : أم شأنها شأنها وهو أوجه .

(٢) كذا في الأصل نل باللام . وروى في شرح القاموس للرتضى والعقد الفريد بالكاف بدل اللام .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا شريك عن جابر الجعفي عن عكرمة قال : ختن ابن عباس بنيسه فأرسلني فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم (١) أربعائة درهم .

حدثني شيخ لنا من أهل المدينة قال : ولى الأوقص المخزومي قضاء مكة فما رى مثله في العفاف والنبل ، فبينما هو نائم ذات ليلة في جناح له مرّ به سكران يتغنى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربت حراما ، وأيقظت نؤاما ، وغنيت خطأ ، خذ عني فأصلحه له . وقال الأوقص قالت لي أمي : يا بُني إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجاعة الفتيان في بيوت القيان ، إنك لا تكون مع أحد الا تخطتك إليه العيون ، فعليك بالدين فإنه يرفع الحسيسة ويقيم النقيصة ، فنفعن الله بكلامها فبلغت القضاء . قال عبد الله بن جعفر لرجل : لو غنتك فلانة جاري صوت كذا ما أدركت دكانك .

حدثني شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مرّ بي عمر ، وأنا وعاصم بن عمر نتغنى غناء النصب ، فقال : أعيدا ، فأعدنا ، فقال : مثلكما مثل حماري العبادي ، قيل له : أي حماريك أشر ؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدثني أيضا عن ابن عاصم عن ابن جريح قال : سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحداء فقال : وما بأس ، لقد حدثني عبيد بن عمير الليثي قال : كانت لداود نبي الله معزفة يضرب بها إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطير فبكي وأبكي من حوله . وقال لي غيره : ولهذا قيل : مزامير داود ، كأنه أغاني داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفونوغرافية "أربعة درهم" ولا ندرى أسقط من النسخ كلمة مائة أم ألف الجمع في دراهم . (٢) ضرب من أغاني العرب . (٣) كذا بالأصل ، وفي جمع الأمثال «شر» وهو الافصح .

خرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال
وإذا المعدة جاشت * فأرمها بالمنجنيق
بثلاث من بيده * ليس بالحسلو الرقيق

النوشجاني قال حدثني محمد بن سابق قال حدثنا مالك بن مغول عن أبي حصين
قال : شرب الأسود فقال : لو سقيتموني آخر لغنيت .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن المجالد عن الشعبي عن عمه قال :
صحبْتُ ابن مسعود حولا من رمضان إلى رمضان لم يصم يوما واحدا ، [ف]أهمني
ذلك وسألت عنه ، ولم أره صلى الضحى حتى خرج من بين أظهرنا .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن مهدي بن ميمون قال :
كان أبو صادق لا يتطوع من السنة بصوم يوم ، ولا يصلي ركعة سوى الفريضة
قبلها ولا بعدها ، وكان به من الورع شيء عجيب .

حدثني الزياتي قال قال حماد بن زيد عن أيوب قال : دخلت على رجل من
الفقهاء وهو يلعب بالشطرنج .

وحدثني الزياتي قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال : سئل ابن
سيرين عن اللعب بالشطرنج فقال : لا بأس به هورفي .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معتمر قال ، قال أبي : ترون أن الشطرنج
وضعت على أمر عظيم ؟

(١) كذا في الأصل بالتعريف والمعروف في كتب التراجم «مجالد» بدون أل ، ودخول أل في مثل المتقول

عن اسم الفاعل للتح الضقة . موقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) لم تقف في كتب اللغة على أن الشطرنج مما يصح تأنيده ولعل تأنيده هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدثنا الأصمعي عن ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال : كان قيس ابن أبي حازم في مدعة فقال لصاحب المنزل : طير .

حدثني شبابة قال حدثني القاسم بن الحكم العرني قال : حدثني سليم مولى الشعبي أن الشعبي كان إذا اختضب فغرض لآعب آبنته بالزرد حتى يعلق الخضاب .

حدثنا إسحاق بن راهويه^(٢) قال أخبرنا النضر بن شميل قال حدثنا شعبة عن عبد ربه قال : سمعت سعيد بن المسيب وسئل عن اللعب بالزرد فقال : إذا لم يكن قماراً فلا بأس .

حدثنا إسحاق بن راهويه^(٢) قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رشدين بن كريب قال : رأيت عكرمة أقيم قائماً على اللعب بالزرد . قال إسحاق : إن كان لعبه على غير معنى القمار يريد به التعليم والمكيدة فهو مكروه ، ولا يبلغ ذلك إسقاط شهادته .

وروى عبد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال : رأيت أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعة عشر على ظهر المسجد .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثني علي بن عاصم عن أبي إسحاق الشيباني عن خوات التيمي عن الحارث بن سويد قال : أتى عبد الله بن مسعود رجلاً فقال : يا أبا عبد الرحمن إن لي جاراً يرني وما يتورع من شيء أصابه ، وإني أعسر فاستسلفه ، ويدعوني فأجيبه ، فقال : كل فلك مهنة وعليه وزره .

كان أبو فضالة أسن وشقت عليه الصلاة ، فكان يقول : مشقية منصبة ، مقيمة مقعدة ، لا تزال بصاحبها حتى يضع أكرمه ويرفع أخشاه .

(١) غرض : أصابه الملل .

(٢) كذا بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبعدها هاء ساكنة ضبطه في ابن خلكان

ثم قال : وقيل له أيضاً راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القَعْقَاعِ الأَسَدِيُّ

أَنَا نَابِهَا صَفْرَاءُ يَزْعَمُ أَنَّهَا * رَبِيبٌ، فَصَدَّقْنَاهُ وَهُوَ كَذُوبٌ
فَهَلْ هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ غَابَ نَحْسُهَا * أَصَلَّى لِرَبِّي بَعْدَهَا وَأَتُوبُ

وقال آخر

مَنْ ذَا يُحَرِّمُ مَاءَ الْمَزْنِ خَالِطُهُ * فِي جَوْفِ آتِيَةِ مَاءِ الْعِنَاقِيدِ
إِنِّي لَا كَرِهَ تَشْدِيدَ الرِّوَاةِ لَنَا * فِيهَا وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ أَبِي مَسْعُودٍ

وعيونُ الأخبارِ ومُتَخَيِّرُ الشعرِ في الشرابِ يقعُ في كتابي المؤلفِ في الأُشْرِبَةِ، ولذلك

تركت ذكرها .

وكتب بعضُ الكتابِ إلى صديقٍ له في فصلٍ : ونحن نحمد الله إليك فإن عُقْدَةَ

الإسلامِ في قلوبنا صحيحةٌ، وأَوَاخِيهِ ثَابِتَةٌ، ولقد اجتهد قومٌ أن يُدْخِلُوا قُلُوبَنَا من
مرضِ قلوبِهِمْ، وأن يَلْبِسُوا يَقِينَنَا بِشَكِّهِمْ، فَمَنْعَتْنَا عِصْمَةُ اللَّهِ مِنْهُمْ، وحالُ تَوْفِيقِهِ
دُونَهُمْ، ولنا بعدُ مَذْهَبٌ فِي الدُّعَابَةِ جَمِيلٌ، لَا يَشُوبُهُ أَذَى وَلَا قَذَى، يُخْرِجُ إِلَى
الْأَنْسِ مِنَ الْعُبُوسِ، وَإِلَى الْإِسْتِرْسَالِ مِنَ الْقُطُوبِ، وَيُلْحِقُنَا بِأَحْزَارِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ
الَّذِينَ ارْتَفَعُوا عَنْ لِبْسَةِ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ .

١٥ التَّوَسُّطُ فِي الْأَشْيَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِيهَا وَالْغُلُوبِ

باب التوسط في الدين

حدَّثني الزِّيَادِيُّ قال حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيُّ قال حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ طَحْلَاءَ

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
”إِكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ
أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ“ .

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا محمد بن علي بن مُقَدِّم عن مَعْنٍ الغفاري عن المقبري عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرُّ وَلَنْ يُنَاقَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا" .

حدثني القومسي عن أحمد بن يونس عن زهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدِّينُ الْحَسَنُ وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ وَالْاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعَشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبَوَّةِ" .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن مسلم بن يسار أن رُفْقَةً مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ كَانُوا فِي سَفَرٍ ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ فُلَانٍ ، يَصُومُ النَّهَارَ ، فَإِذَا نَزَلْنَا قَامَ يُصَلِّي حَتَّى نَرْتَحِلَ ، قَالَ : "مَنْ كَانَ يَمْنُهُ لَهُ أَوْ يَكْفِيهِ أَوْ يَعْمَلُ لَهُ" ؟ قَالُوا : نَحْنُ ، قَالَ : "كُلُّكُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ" .

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي عليه السلام قال : خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفَتِّنٍ تَوَاقٍ . وقال علي أيضا : خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ النَّمِطُ الْأَوْسَطُ ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي .^(١)

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرة قال ، قال حذيفة : خِيَارُكُمْ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لِآخِرَتِهِمْ ، وَمَنْ آخَرَتَهُمْ لَدُنْيَاهُمْ . وَكَانَ يُقَالُ : دِينَ اللَّهِ

(١) كذا في اللسان والعقد الفريد وفي الأصل «البالي» وهو تحريف ، ورواه في نهج البلاغة «نحن» الفرقة الوسطى بها يلحق التالي واليه يرجع الغالي» وفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النصارى بها فكان الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر ويرجع إليهم من غلا وتجاوزا .

بين المقصّر والغالى . وقال المطرف^(١) لأبنيه : يا بُنى ، الحسنَةُ بين السيئتين ، يعنى بين الإفراط والتقصير ، وخيرُ الأمور أوساؤها ، وشرُّ السَّيرِ الحَقِّقَةُ^(٢)

وفى بعض الحديث المرفوع : "ليس خيركم مَنْ ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ" . وقال : "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّهْلَةِ ، وَلَمْ يَبْعَثْنِي بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْمُبْتَدَعَةِ ، سُنَّتِي الصَّلَاةُ وَالنَّوْمُ ، وَالْإِفْطَارُ وَالصُّوْمُ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" . وفى الحديث : "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفِيقٍ ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبَقَ" .

وكان يقال : طالبُ العلم وعاملُ البرِّ كَأَكْلِ الطَّعَامِ إِنْ أَخَذَ مِنْهُ قُوْتًا عَصَمَهُ ، وَإِنْ أَسْرَفَ فِي الْأَخْذِ مِنْهُ بِشْمِهِ^(٤) ، وَرَبَّمَا كَانَتْ فِيهِ مَنِيَّتُهُ ، وَكَأَخَذَ الْأَدْوِيَّةَ الَّتِي قَصَدُهَا شِفَاءٌ ، وَمَجَاوَزَةُ الْقَدْرِ فِيهَا السَّمُّ الْمَمِيتُ .

حدَّثنى محمد بن عبيد قال : حدَّثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبى حفصة أن أبى نعيم كان يُهَيِّلُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ وَيَقُولُ فِي تَلْبِيَّتِهِ : لِيَبِّكَ ، لَوْ كَانَ رِيَاءً لَأَضْمَحَلَّ . حدَّثنى أحمد بن أنخليل قال حدَّثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبى إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لَوْ أَدْرَكَ أَصْحَابُنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نُعَيْمٍ لَرَجَمُوهُ ، كَانَ يُوَاصِلُ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا وَيُهَيِّلُ بِالْحَجِّ إِذَا رَجَعَ النَّاسُ مِنَ الْحَجِّ .

وقال سلمان : الْقَصْدُ وَالِدَوَامُ وَأَنْتَ السَّابِقُ الْجَوَادُ . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم لَقِيَ رَجُلًا فَقَالَ : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَتَعْبُدُ . قَالَ : مَنْ يَعْبُدُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنَحَى ، قَالَ : أَخَوُكَ أَعْبُدُ مِنْكَ .

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب التراجم «مطرف» بدران آل . (٢) الحقيقة : أرفع السير وأتعبه للظهر . (٣) فى الأصل «فنى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمه» بغير ألف . وفى القاموس واللسان ، يقال : بَشِمَ الرَّجُلُ وَأَبْشَمَهُ الطَّعَامُ .

رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ الْجَّاحِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ : مَنْ يَدْتَنِي عَلَى رَجُلٍ بِكَأَنَّ اللَّيْلَ بِسَائِمٍ
بِالنَّهَارِ ؟

وَرَوَى أَبُو أُسَامَةَ عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ ، قَالَ مُطَرِّفٌ :
انْظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِرُوا بِالْقِرَاءَةِ فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ ، وَانْظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِرُوا
بِالْفَجْرِ فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ ، كُونُوا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ .

باب التوسط في المداواة والحلم

قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : بَعْضُ الْمَقَارِبَةِ حَزْمٌ ، وَكُلُّ الْمَقَارِبَةِ عَجْزٌ ، كَالْحَشْبَةِ
الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ تُمَالٌ فَيَزِيدُ ظِلُّهَا ، وَيُفْرِطُ فِي الْإِمَالَةِ فَيَنْقُصُ الظِّلُّ . وَمِنْ
أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي هَذَا : « لَا تَكُنْ حُلُومًا قُسْطَرَطٌ ^(١) وَلَا مُرًّا فَتُلْفَظَ » وَأَبُو زَيْدٍ يَقُولُ :
وَلَا مُرًّا فَتُعَيَّ ، يَقَالُ : أَعْيَى الشَّيْءُ إِذَا أَشْتَدَّتْ مَرَارَتُهُ ^(٢) . وَقَالَ الشَّاعِرُ

* وَإِنِّي لَصَعْبُ الرَّأْسِ غَيْرُ جَمُوحٍ *

وَقَالَ آخَرُ فِي صِفَةِ قَوْسٍ

* فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ *

وَقَالَ آخَرُ

* شَرِيَانَةٌ تَمْنَعُ بَعْدَ اللَّيْنِ *

وَقَالَ أَبُورِيزٍ لِأَبْنِهِ : اجْعَلْ لِاِقْتِصَادِكَ السُّلْطَانَ عَلَى إِفْرَاطِكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا قَدَّرْتَ
الْأُمُورَ عَلَى ذَلِكَ وَزَوَّجْتَهَا بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ وَقَوَّيْتَهَا تَقْوِيمَ الثَّقَافِ ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلنَّدَامَةِ
سُلْطَانًا عَلَى الْحِلْمِ .

(١) سُرْطُهُ وَاسْتَرْطُهُ : ابْتَلَعَهُ .

(٢) هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْقَافَ فِي قَوْلِهِ تَعَيَّ مَكْسُورَةٌ ، وَيُقَالُ : أَعْيَى الشَّيْءُ إِذَا لَفَظَهُ مِنْ فِيهِ لِمَرَارَتِهِ ، وَهَذَا
يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ مَبْنِيًّا لِلْجَهْلِ ، وَقَدْ رَوَى الْمَثَلُ بِالْوَجْهِينِ كَمَا فِي اللِّسَانِ .

وقال النابغة الجعدي

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بواذر تحمي صفوه أن يكدرًا

وقال آخر

ولا خير في عرض أمري لا يصونه * ولا خير في حلم أمري ذل جانبه

وقال أكرم بن صيفي : الانتقاض من الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأئس
مكسبة لقرناء السوء .

باب التوسط في العقل والرأي

روى في الحديث أن زياد بن أبي سفيان كان كاتباً لأبي موسى الأشعري فعزله
عمر عن ذلك ، فقال له زياد : أعن عجز عزلتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة ؟
فقال : لا عن ذاك ولا عن هذا ، ولكنني كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك .
ويقال : إفراط العقل مضر بالحد . ومن الأمثال المبتدلة : استأذنت العقل على
الحد فقال : اذهب لا حاجة بي إليك . وقال الشاعر

فعيش في جد أنوك حالفته * مقادير يساعدها الصواب

وقال آخر

إن المقادير إذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

وقال آخر

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله * ولكنه يشقى به كل عاقل

وقال الحسن : تشبه زياد بعمر وأفرط ، وتشبه الججاج بزياد فأهلك الناس .
وقالت الحكماء : فضل الأدب في غير دين مهلكة ، وفضل الرأي إذا لم يستعمل
في رضوان الله ومنفعة الناس قائد إلى الذنوب ، والحفظ الزاكي الواعي لغير العلم
النافع مضر بالعمل الصالح ، والعقل غير المورع عن الذنوب خازن الشيطان .

تنازع آثنان : أحدهما سلطاني والآخر سُوقي ، فضربه السلطاني فصاح :
واعمرّاه ! ورُفِعَ خبره إلى المأمون فأمر بإدخاله عليه ، قال : من أين أنت ؟ قال : من
أهل قامية ، قال : إن عمر بن الخطاب كان يقول : من كان جاره نبطياً واحتاج إلى
ثمنه فليبعه ، فإن كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه فيكم ، وأمر له بألف درهم .

باب ذم فضل الأدب والقول

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب شراً من عدمه ؟ قال : إذا كبر الأدب
ونقص العقل ، وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . ويقال : من
لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حثفه في أغلب خصال الخير عليه .
وقال الشاعر

رأيتُ اللسانَ على أهله * إذا ساسه الجهلُ لئناً مُغيراً

وقال سليمان بن عبد الملك : زيادة منطق على عقل خدعة ، وزيادة عقل على
منطق هجنة ، وأحسن من ذلك ما زين بعضه بعضاً .

قال ضرار بن عمرو لابنته حين زوجها : أمسكي عليك الفضلين : فضل الغلبة
وفضل الكلام .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : رَحِمَ اللهُ امرأً أمسك فضل القول وقدم فضل
العمل .

نزل المنذر بن المنذر في كتيب موضعاً ، فقال له رجل : أبيت اللعن إن ذبح رجل
هاهنا ، إلى أي موضع يبلغ دمه من هذه الرابية ؟ فقال المنذر : المذبح والله أنت ،
ولأنظرك أين يبلغ دمك ، فقال رجل ممن حضر : « رَبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ [لصاحبها] دَعْنِي » .

(١) الذي في مجمع الأمثال للبدائي : أن القائل هو المنذر نفسه .

(٢) الزيادة عن مجمع الأمثال للبدائي .

قال زياد على المنبر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ذنب عثر مصور ولو بلغت إمامه سفكت دمه . وقال أكرم بن صيفي : مَقْتَلُ الرجل بين فكيه . وقال الأحنف : حَتَفُ الرجل محبوبٌ تحت لسانه .

باب التوسط في الجدة

كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم إني أعوذ بك من غنى مبطر^٥ ومن فقر ملب^{١١} أو مرب^{١٢}" ، وكذلك "اللهم لا غنى يطغى ولا فقراً ينسى" . وقال أبو المعتمر السلمي : الناس ثلاثة أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراء موتى إلا من أغناه الله بعز القناعة ، والأغنياء سُكَّارَى إلا من عصمه الله بتوقع الغير ، وأكثر الخير مع أكثر الأوساط وأكثر الشر مع الفقراء والأغنياء لسخف الفقر وبطر الغنى . ومن أمثال العرب في هذا : «بين الممخخة والعجفاء» .

باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء

قال الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ) ، وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) . حدثني أحمد بن الحليل عن مسلم بن إبراهيم عن سكين بن عبد العزيز عن إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ" .

وحدثني أيضا عن مسلم قال حدثنا أبو قدامة الحارث بن عبيد قال حدثنا برد بن سنان عن الزهري قال ، قال أبو الدرداء : حسن التقدير في المعيشة أفضل من نصف الكسب ، ولَقَطَ حَبًّا منشورا وقال : إن فقه الرجل رفقه في معيشته .

قال أبو الأسود لولده : لا تُجَاوِدُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ أَجْوَدُ وَأَجْمَدُ ، وَإِنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يُوسِّعَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ حَتَّى لَا يَكُونَ مَحْنَجٌّ لِفَعْلٍ ، فَلَا تُجَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي التَّوَسُّعِ فَتَهْلِكُوا هُزْلًا .

قيل لمحمد بن عمران قاضي المدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله — : إِنَّكَ تُنْسَبُ إِلَى الْبَخْلِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَجِدُ فِي الْحَقِّ وَلَا أَذُوبُ فِي الْبَاطِلِ . وَكَانَ يَقَالُ :

لَا تَصْنُ كَثِيرًا عَنْ حَقٍّ وَلَا تُنْفِقُ قَلِيلًا فِي بَاطِلٍ . وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ

« لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ » وَ « إِذَا جَدَّ السُّؤَالُ جَدَّ الْمَنَعُ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ

إِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي * عَلَى الزَّادِ فِي الظُّلُمَاءِ غَيْرُ لَيْمٍ

وإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الشُّجَاعِ فَإِنِّي * أَرْدُ سِنَانِ الرِّيحِ غَيْرَ سَلِيمٍ

وَقَدْ عَلِمْتُ عَلَيَا هَوَازِنَ أَنِّي * فَتَاهَا وَسُفْلَى عَامِي وَتَمِيمٍ

قَالَ مَعَاوِيَةُ : مَا رَأَيْتُ شَرَفًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَانِبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ . ١٥

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حَدَّثَنِي الرَّيَّاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عِمْرَانَ قَاضِي الْمَدِينَةِ أَنَّ طَلْحَةَ

كَانَ يَقَالُ لَهُ : [طَلْحَةُ] أَخِيرًا ، وَطَلْحَةُ الْفَيَاضُ ، وَطَلْحَةُ الطَّائِحَاتِ وَأَنَّهُ فَدَى عَشْرَةَ

مِنْ أَسَارِي بَدْرٍ وَجَاءَ يَمْشِي بَيْنَهُمْ ، وَأَنَّهُ سَأَلَ بَرَّحِيمَ فَقَالَ : مَا سَأَلْتُ بِهِذِهِ الرَّحِمِ

قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَقَدْ بَعْتُ حَائِطًا لِي بِتِسْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَنَا فِيهِ بِالْخِيَارِ ، فَإِنْ شِئْتَ

أَرْتَجِعْتُهُ وَأَعْطَيْتُكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتُكَ ثَمَنَهُ .

حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ مَشِيخَتِنَا ، — وَرَبَّمَا قَالَ :

هَارُونَ الْأَعُورُ — أَنَّ قَتِيبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ قَالَ : أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى ضَرَّارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدٍ

ابْنِ زُرَّارَةَ فَقَالَ : قُلْ لَهُ قَدْ كَانَ فِي قَوْمِكَ دِمَاءٌ وَجِرَاحٌ ، وَقَدْ أَحْبَبُوا أَنْ تَحْضُرَ

الْمَسْجِدَ فَيَمْنَحُضَرُ ، قَالَ : فَاتَيْتُهُ فَأَبْلَغْتُهُ فَقَالَ يَا جَارِيَةَ : غَدَّيْنِي ، بِخَافَتِ بَارِغِفَةَ ٢٥

- خُشْنٍ فَثَرَدْتَهُنَّ فِي مَرِيرٍ ثُمَّ بَرَقْتَهُنَّ فَأَكَلَ، قَالَ قَتِيْبَةٌ : بِفَعْلٍ شَأْنُهُ يَصْغُرُ فِي عَيْنِي وَنَفْسِي، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ، حِنْطَةُ الْأَهْوَاذِ وَتَمْرُ الْفِرَاتِ وَزَيْتُ الشَّامِ، ثُمَّ أَخَذَ نَعْلَيْهِ وَارْتَدَى، ثُمَّ انْطَلَقَ مَعِيَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَحْتَبَى، فَمَا رَأَتْهُ حَلَقَةٌ إِلَّا تَقَوَّضَتْ إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعَ الطَّالِبُونَ وَالْمَطْلُوبُونَ فَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ، فَقَالَ : إِلَى مَاذَا صَارَ أَمْرُهُمْ؟ قَالُوا : إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ إِبْلِ، قَالَ : هِيَ عَلِيٌّ، ثُمَّ قَامَ .
- الهِثْمُ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ قَالَ : كَانَ مَعْدِيكَرِبُ بْنُ أَبِرْهَةَ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى سَرِيرِهِ فَأَتَانِي بَفَتْيَانٍ قَدْ شَرَبُوا الْخَمْرَ، فَقَالَ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، أَتَشْرَبُونَ الْخَمْرَ! فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ : أُنْشِدُكَ اللَّهَ أَنْ تَفْضَحَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ : إِنْ آلَحَقَ فِي هَؤُلَاءِ وَفِي غَيْرِهِمْ وَاحِدٌ، فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ : يَا غَلَامُ صُبَّ مِنْ شَرَابِهِمْ فِي الْقَدَحِ، فَصَبَّ لَهُ فَشَرِبَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا شَرَبْنَا فِي مَنَازِلِنَا إِلَّا هَذَا، فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : خَلَّوْا عَنْهُمْ، فَقِيلَ لَهُ : حِينَ أَنْصَرَفُوا : شَرِبْتَ الْخَمْرَ! فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ اللَّهَ لَيَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَشْرَبْهَا قَطُّ فِي سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يُفْضَحَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ بِمَحْضَرِي .

- وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا قَالَ : مَدَحَ شَاعِرُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ : احْتَكِمْ، وَظَنَّ أَنْ هَمَّتْهُ قَصِيرَةٌ، فَقَالَ : أَلْفَ نَاقَةٍ، فَوَجَّهَ الْحَسَنُ وَلَمْ يُمْكِنْهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَفْضَحَ وَقَالَ : يَا هَذَا إِنْ بَلَادِنَا لَيْسَتْ بِبِلَادِ إِبْلِ، وَلَكِنْ مَا قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ
- إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ إِبْلٌ فَمِعْزَى * كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتْهَا الْعِصَى^(٥)
- قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ شَاةٍ، فَأَلْقَ يَحْيَى بْنُ خَاقَانَ، فَأَعْطَاهُ بِكُلِّ شَاةٍ دِينَارًا .

(١) فِي هَامِشِ النُّسخَةِ الْفَتْوْغَرَاْفِيَّةِ : « الْمَرِيرُ تَمْرُوزِيَّةٌ » ، وَفِي الْقَامُوسِ أَنَّهُ التَّمْرُ الْمَرْبُوسُ أَوِ اللَّبَنُ .
 (٢) بَرَقَ الطَّعَامُ بَزَيْتٍ أَوْ سَمْنٍ : جَعَلَ فِيهِ مِنْهُ قَلِيلًا . قَامُوسٌ .
 (٣) هَكَذَا بِالنُّسخِ الَّتِي بِيَدِينَا ، وَظَاهِرُ الْكَلَامِ يَتَوَقَّفُ عَلَى « لَا » النَّافِيَةِ .
 (٤) فِي الْأَصْلِ بِمَصْرَى وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٥) فِي الْأَصْلِ : عِصَى . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الدِّيَوَانِ وَالْأَغَانِي .

قال : وقدم زائر على أبي ذؤيب فامر له بألف دينار وكسوة ثم قال - ويقال إن

الشعر لعبد الله بن طاهر -

أُعْجِلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ رَنَا * قُلًّا وَلَوْ أَمَهَلْتَنَا لَمْ يَقْلِيلِ
نَحْنُ الْقَلِيلَ وَكَنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ * شَيْئًا ، وَنَحْنُ كَأَنَّكَ لَمْ نَفْعَلِ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الفتيان من فضل مالٍ * إنما الجودُ للقللِ المَوَاسِي

وقال دُعَيْلُ في نحوه

لئن كنتَ لَا تُؤَيِّدَا دُونَ إِمْرَةٍ * فَلَسْتَ بِمُؤَيِّدٍ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ
فَأَيُّ إِنَاءٍ لَمْ يَفِضْ عِنْدَ مَلِكِهِ ! * وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنَلِّ سَاعَةَ الْوَفْرِ !
وليس التقي المعطي على اليسر وحده * ولكنه المعطي على العسر واليسر

ابن الكلبي قال : أخبرني غير واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله
ابنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدُعِيَ القاسم ليقسم ، فلما مَدَّ الحبل
قال له عبد الله : أَقِمِ الْمُطْمَر ، يعني الحبل الذي يَمْدُ . فقال له عبيد الله : يَا أَخِي ، الدَّارُ
دَارُكَ لَا يَمْدُ وَاللَّهِ فِيهَا الْيَوْمَ مُطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالسَّخَاءَ وَالْجَمَالَ
فَلْيَأْتِ دَارَ الْعَبَّاسِ ، كَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَعْلَمَ النَّاسِ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ أَسْحَى النَّاسِ ، وَالْفَضْلُ
أَجْمَلُ النَّاسِ .

باع عبد الله بن عتبة أرضاً بثمانين ألفاً ، ففعل له : لو اتَّخَذْتَ لَوْلَكَ مِنْ هَذَا
الْمَالِ ذُخْرًا ! فقال : أَنَا أَجْعَلُ هَذَا الْمَالَ ذُخْرًا لِي عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَجْعَلُ اللَّهُ ذُخْرًا
لَوْلَدِي ، وَقَسَمَ الْمَالَ .

ويقال : إِنَّ أَوَّلَ مَا عُرِفَ بِهِ سُؤْدُدُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِي أَنَّهُ مَرَّ فِي بَعْضِ
طُرُقِ دِمَشْقَ وَهُوَ غَلَامٌ فَارُطًا فَرَسَهُ صَبِيًّا فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ لَا يَتَحَرَّكُ أَمَرَ غَلَامَهُ

خمله ، ثم انتهى به إلى أول مجلس مرّ به فقال : إن حدث بهذا الغلام حدث الموت فانا صاحبه ، أوطأته فرسى ولم أعلم .

قال عدي بن حاتم لأبني له حديث : قمّ بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف ، فقال : لا والله ، لا يكون أول شيء وليته من أمر الدنيا منع قوم من الطعام .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ضاف بني زياد العبيسيين ضيف ، فلم يشعروا إلا وقد آحتضن أمهم من خلفها ، فرفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال : لا يضار الليلة عائد أمتي ، إنه عاذ بحقوقها .

المدائني قال : أحدث رجل في الصلاة خلف عمر بن الخطاب ، فلما سلم عمر قال : أعزّم على صاحب الشرطة إلا قام فتوضأ وصلى ، فلم يقم أحد ، فقال جرير ابن عبد الله : يا أمير المؤمنين أعزّم على نفسك وعلينا أن نتوضأ ثم نعيد الصلاة ، فأما نحن فتصير لنا نافلة ، وأما صاحبنا فيقضي صلاته ، فقال عمر : رحمك الله ، إن كنت لشريفا في الجاهلية فقيها في الإسلام .

كان عبد الله بن جدعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : ادن مني ، فإذا دانامنه لطمه ثم قال : اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضي ، فترضيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابن قيس الرقيّات — حين نغربسادة قريش —

والذي إن أشار نحوك لطمًا * تبع اللطم نائل وعطاء

وآبن جدعان هو القائل

إني وإن لم ينل مالي مدى خلقي * وهاب ما ملكت كفى من المال
لا أحبس المال إلا ريث أتلّفه * ولا تُغيّرني حال عن الحال

الهيثم عن حماد الراوية عن مشايخ طي قالوا : كانت عنبه بنت عفيف أم حاتم
لا تليق شيئاً سخاءً وجوداً ، فمنعها إخوتها من ذلك فابت ، وكانت مؤسرة فحبسوها
في بيت سنة يطعمونها قوتها رجاء أن تكف . ثم أخرجوها بعد سنة وظنوا أنها قد
أقصرت ودفعوا إليها صرمة^(١) ، فأتتها امرأة من هوازن فسألتها فأعطتها الصرمة وقالت
والله لقد مسنى من الجوع ما آلت معه ألا أمنع سائلاً شيئاً . وقالت

أعمري لقد ما عصفني أجوع عضة * فآليت ألا أمنع الدهر جائعاً
فقلوا لهذا آلائي الآن أعفني * فإن أنت لم تفعل فعض الأصابع
[فإذا عساكم أن تقولوا لأختكم * سوى عدلكم أو عدل من كان مانعاً]
ولا ما ترؤف الدهر إلا طبيعة * فكيف بتركي يا بن أم الطبايعا^(٢)

أبن الكلبي عن أبيه عن رجال طي قالوا : كان حاتم جواداً شاعراً ، وكان حيثما
نزل عيرف منزله ، وكان ظفيراً إذا قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا سئل وهب ،
وإذا ضرب بالقداح سبق ، وإذا أسرا أطلق ، وكان أقسم بالله : لا يقتل واحداً أمه .

(١) كذا بالنسخين بعين مهملة وفون وباء . ووحدة بعدها . ويوافقه ما في شعر الشعراء المؤلف وعلق
عليه ناشره بأنه يروي «عنبه» و«غنية» أنظر نسخة طبعة أوربا ص ١٢٣ و ١٢٤ ، وفي الأغاني طبع بولاق
ج ١٦ ص ٩٧ «عنبه» . وكذا في شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه في رواية المبدائي «غنية» . أنظر
نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تليق : لا تمسك .

(٣) القطعة من الأبل واختلف في عددها من العشرة إلى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغاني وشعراء النصرانية .

(٥) كذا بالنسخين . وفي الأغاني وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ ، وفي هامش نسخة

الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو أليقظان قال : أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أذينة^(١) [أخا] أبي بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله : أنظروا هؤلاء الموككين بي فاحسنوا إليهم فإنهم أضيا فكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنه ما سأل قال : اكتب على " بمسألتك سجيلا إلى أيام يسرى " .

باع أعمرابي^(٢) ناقه له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فذرفت عيناه ، ثم قال

وقد تزعج الحاجات يا أتم معمر : كرائم من رب بيت ضنين

فقال له مالك : أخذ ناقك وقد سوغت الثمن . اشترى عبيد الله بن أبي بكر جارية نفيسة فطلبت دابة تحمل عليها فلم توجد ، فجاء رجل بدابة فحملها . فقال له عبيد الله : اذهب بالجارية إلى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبي بكر دار الصفاق من مقاتل بن مسمع نسيئة ثم اقتضاه فلزمه في دار أبيه . فراه عبيد الله فقال : مالك ؟ قال : حبسني ابنك . قال : هم ؟ قال : بئس دار الصفاق ، قال : يا ثابت أما وجدت لغرمائك محبسا إلا داري . إدفع إليه صكك وأعوضك . قيل لرجل : مالك تنزل في الأطراف ؟ فقال : منازل الأشراف في الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدرة ويتناولهم من يريدهم بالحاجة . لما كبر عدي بن حاتم آذاه برد الأرض وكان رجلا

(١) كذا بالنسخين الألمانية والفرنغرافية وهو مخرف عن " أدبة " وعروة بن أدبة هذا هو الذي قتله

عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان فممن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبري طبع أوروبا المجلد الثاني من القسم الثاني ص ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أوروبا ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤

(٢) هذه الفضة ساقطة بالأصلين سهوا من النسخ لأن المكتني بأبي بلال أتم دور أخوه مريداس بن أدبة

لا دور . أنظر ابن جرير أيضا في ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لَحِيًّا قَمَشَتِ الْأَرْضُ نَغْذِيهِ بِجَمْعِ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي نُعْلٍ ، إِنِّي لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا
 ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَبِي بِمَكَانٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، بَنَى لَكُمْ الشَّرَفَ وَنَفَى عَنْكُمْ الْعَارَ
 فَأَصْبَحَ الطَّائِيُّ إِذَا فَعَلَ خَيْرًا قَالَ الْعَرَبُ : مِنْ حَيْثُ لَا يُجْعَدُونَ عَلَى الْجُودِ وَلَا يُعْذَرُونَ
 عَلَى الْبُخْلِ ، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ مَا تَرَوْنَ وَأَدَانِي بَرْدُ الْأَرْضِ فَأَذْنُوا لِي فِي وِطَاءٍ فَوَاللَّهِ
 مَا أُرِيدُهُ نَخْرًا عَلَيْكُمْ وَلَا احْتِقَارًا لَكُمْ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ : مَا عَلَى مَنْ وَضَعَ طَنْفَسَةً وَقَعَدَ
 حَوْلَهُ إِلَّا أَنْ الْحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَذِلَّ فِي عِرْضِهِ وَيَنْخَدِعَ فِي مَالِهِ وَلَا يَحْسُدَ شَرِيفًا وَلَا يَخْفِرَ
 وَضِعًا ، فَقَالَ الْقَوْمُ : دَعْنَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ غَدَوْا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَرِيفِ ضَعِ الطَّنْفَسَةَ
 وَالْبَيْسَ النَّاسِجَ ، فَبَلَغَ ابْنُ دَارَةَ الشَّاعِرَ فَأَتَاهُ وَقَالَ : قَدْ مَدَحْتُكَ ، فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ
 حَتَّى أَتَيْتُكَ بِمَا لِي فَتَمْدَحَنِي عَلَى حَسَبِهِ ، لِي أَلْفُ ضَائِئَةٍ وَأَلْفَا دِرْهَمٌ وَثَلَاثَةُ أَعْبِدٍ^(١)
 وَفَرَسِي هَذَا حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَاتِ الْآنَ فَقَالَ

تَحْنُ قُلُوصِي فِي مَعَدٍّ وَإِنَّمَا « تَلَا فِي الرَّبِيعِ فِي دِيَارِ بَنِي نُعْلٍ
 وَأَبَقَى اللَّيَالِي مِنْ عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ » خَسَاءً أَكَلُونَ الْمِلْحَ سَلًّا^(٢) مِنَ الْخَلَلِ
 أَبُوكَ جِسَادٌ مَا يُشْقَى غُبَارُهُ « وَأَنْتَ جَوَادٌ لَسْتُ تُعْذَرُ بِالْعِلَلِ
 فَإِنْ تَفْعَلُوا شَرًّا فَتُشْلِكُمْ أَتَقِي » وَإِنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا فَتُشْلِكُمْ فَعَلْ

فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ ، لَا يَبْلُغُ مَا لِي أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، وَشَاطَرُهُ مَالَهُ .

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَعْنٍ فَاسْتَحْمَلَهُ غَيْرًا فَقَالَ مَعْنٌ : يَا غُلَامُ أَعْطَاهُ غَيْرًا وَبَغْلًا وَرِذْوَنًا وَفَرَسًا
 وَبَعِيرًا وَجَارِيَةً ، وَلَوْ عَرَفْتُ مَرْكُوبًا غَيْرَ هَذَا لَأَعْطَيْتُكَ . وَكَانَ يَقُولُ : حَدَّثَ عَنْ
 الْبَحْرِ وَلَا حَرْجَ وَعَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجَ وَعَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرْجَ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ
 لِلْحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ وَهُوَ عَلَى السَّنَدِ : إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ ، فَقَالَ الْحَكَمُ : وَاللَّهِ لَا تُعْطِيكَ عَطِيَّةً

(١) فِي الْمُعْتَدِ الْفَرِيدِ ، ج ١ ص ١١٧ زِيَادَةُ « وَثَلَاثُ مِائَةٍ »

(٢) رِوَايَةُ الْمُعْتَدِ الْفَرِيدِ ، ج ١ ص ١١٧ « كَتَمُوا السِّيفَ »

لَا يُعْطِيهَا الْعَبْدُ فَأَعْطَاهُ مِائَةَ رَأْسٍ مِنَ السَّيِّ . وَقُرَأَتْ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْعَجَمِ أَنَّ جَامَاتٍ
كُسْرَى الَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا كَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ ، فَسَرَقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ جَامًا وَكُسْرَى
يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رُفِعَتِ الْمَوَائِدُ آفَتَمَدَ الطَّبَاحُ الْجَسَامَ فَرَجَعَ يَطْلُبُهَا ، فَقَالَ لَهُ كُسْرَى :
لَا تَتَعَنَّ فَقَدْ أَخَذَهَا مَنْ لَا يَرُدُّهَا وَرَأَاهُ مَنْ لَا يُفْشِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ بَعْدَ
ذَلِكَ وَقَدْ حَلَّى سَيْفَهُ وَمِنْطَقَتَهُ ذَهَبًا ، فَقَالَ لَهُ كُسْرَى بِالْفَارْسِيَّةِ : يَا فُلَانُ هَذَا ، يَعْنِي
السَّيْفَ ، مِنْ ذَلِكَ قَالَ : نَعَمْ وَهَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى مِنْطَقَتِهِ . قَالُوا : لِمَ يَكُنْ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ
أَخَّ الْإِخْوَانِ لَهُ دَارًا عَلَى قَدْرِ كِفَايَتِهِ وَوَقَفَ عَلَى أَوْلَادِ الْإِخْوَانِ مَا يُعِيشُهُمْ أَبَدًا وَلَمْ يَكُنْ
لِإِخْوَانِهِ وَلَدٌ إِلَّا مِنْ جَارِيَةٍ هِيَ وَهَبَهَا لَهُ .

بَلَغَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَنْ جَارًا لَهُ يَبِيعُ دَارًا لَهُ لِدَيْنٍ رَكِبَهُ وَكَانَ يَجْلِسُ فِي ظِلِّ دَارِهِ ، فَقَالَ :
مَا قُتِلْتُ إِذَا بِحُورَةٍ ظِلَّ دَارِهِ إِنْ بَاعَهَا مُعَدِّمًا وَبَيْتٌ وَاجِدًا ، فُحْمِلَ إِلَيْهِ ثَمَنُ الدَّارِ وَقَالَ :
لَا تَبِيعْ . قَالَ أَبُو الْيَقْظَانِ : بَاعَ نَهْيَكَ بَنِي مَالِكِ بْنِ مَعَاوِيَةَ إِبِلَهُ وَأَنْطَلَقَ بِثَمَنِهَا إِلَى بَنِي بَعْلٍ
يَنْبِئُهُ ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : بِحَنُونٍ ، فَقَالَ : لَسْتُ بِحَنُونٍ وَلَكِنِّي سَمِعْتُ أَنَّكُمْ مَالِي إِذَا عَمَرَ
الْفَتْحُ ، قَالَ : وَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ قَهْرَمَانَهُ بِحَسَابِهِ فَكَانَ فِي أَوَّلِهِ حَبْلٌ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا ،
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَقَدْ غَلَّتِ الْحَبَالُ ، فَقَالَ الْقَهْرَمَانُ : إِنَّهُ أَبْرَقُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنْ كَانَ
أَبْرَقَ فَأَنَا أُجِيرُهُ ، فَهُوَ الْآنَ مِثْلُ مَضْرُوبٍ بِالْمَدِينَةِ . كَانَ أَبُو سَفْيَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ جَارٌ
قَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَنِي جَارًا بِخُنَايَةِ يَدِكَ عَلَى دُونِكَ ، وَإِنْ جَنَّتْ عَلَيْكَ يَدٌ
نَاحَتَكُمْ عَلَى حُكْمِ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ - يُنْتَبِئُ عَلَى قَوْمٍ بِحَسَنِ الْجَوَارِ -

هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفْسِ وَدَافَعُوا ۖ وَرَأَى بَرْكِي ذِي مَنَاكِبٍ مِدْفَعٍ
وَقَالُوا تَعْلَمُ أَنَّ مَالِكَ إِنْ يُصَبُّ ۖ يَعْدُكَ وَإِنْ تُحْبَسُ يَرِدُّكَ وَيَشْفَعُ

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرِ السَّمَّامِيُّ عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَفِيرَةَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ
أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ وَعِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ وَعَبَّاسُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ خَرَجُوا يَوْمَ الْيَوْمِ

حتى أنبتوا، فدعا الحارث بن هشام بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمة فقال: ادفعه إلى عكرمة
فنظر إليه عياش فقال عكرمة: ادفعه إلى عياش، فما وصل إلى عياش حتى مات ولا عاد
اليهم حتى ماتوا، فسمى هذا حديث الكرام، وهذا الحديث عندى موضوع لأن أهل
السيرة يذكرون أن عكرمة قُتل يوم أجنادين وعياش مات بمكة، والحارث مات
بالشام في طاعون عمواس^(١).

أعطى رجل امرأة سألته مالا عظيما، فلاموه وقالوا: إنها لا تعرفك وإنما كان
يرضيها اليسير، فقال: إن كانت ترضى باليسير فأتى لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت
لا تعرفني فانا أعرف نفسي.

قال بعض الشعراء

وما خير مال لا يبقى الذم ربه * ونفس امرئ في حقها لا يمينها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أرى نفسي تشوق إلى أمور * ويقصرون مبالغين^(٢) حالي

فنفسى لا تطاعنى بخيل * ومالى لا يبلغنى^(٣) فعالى

وقال أيضا

ولا أقول نعم يوما فأبسطها * منعا ولو ذهبت بالمال والولد

ولا أؤتمنت على سر فبخت به * ولا مددت إلى غير الجليل يدي

وقال كعب بن سعد الغنوي

وذى تدب دأبى الأطل^(٤) قسمته * محافظة بنى وبين زيملى

(١) هكذا بفتح أوله وسكون ثانيه كما في التاج وكما نقله دوعن الروض الأنث السبيل: ثم نقل
أن أصحاب الحديث يحركون الهم وأن البكري في معجمه ضبطها كذلك. (٢) دوعبد الله بن جعفر كما
في العقد الفريد، ج ١ ص ١١٢ (٣) الذى فى ديوان الخماسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزى «مالى».
(٤) فى الأصول «ليس يبلغه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الخماسة مع شرح
التبريزى ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأطل بطن الأصبع من الانسان، ومن الإبل بطن المتسم.

وزاد رفعت الكف عنه تجللاً * لأوثر في زادي على أكيلي
وما أنا للشيء الذي ليس نافعياً * ويغضب منه صاحبي بقؤول

وقال زهير

وأبيض فياض يداد غمامة * على معتميه ما تغب نوافله
غدوت عليه غدوة فوجدته * فعوداً لديه بالصريم عواذله
فأعرضن منه عن كريم مرزأ * جموع على الأمر الذي هو فاعله
أحي ثقة لا تذهب الخمر ماله * ولكنه قد يذهب المال نائله
تراه إذا ما جثته متمللاً * كأنك تُعطيه الذي أنت سائله

المدائني قال : أضل فيروز بن حصين سوطه يوماً ، فأعطاه رجل سوطاً فأمر له
بألف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط فأمر له بألف
درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط ، قال : أعطوه
ألف درهم ومائة سوطاً فأنقطع عنه . قال الشاعر

إني حدثت بني شيبان إذ تحدث * نيران قومي فشببت فيهم النار
ومن تكرمهم في المحل أنهم * لا يحسب الجار فيهم أنه جار

وقال آخر

نزلت على آل المهلب شاتياً * بعيداً قصي الدار في زمين محلي
فما زال بي إطفائهم وأفتادهم * وإكرامهم حتى حسبتهم أهلي

وقال آخر

إذا كان لي شيطان يا أم مالك * فإن جاري منهما ما تخيرا

(١) في الأصل «لا يذهب الحمد» وهو تحريف ، والتصويب عن الديوان والشعر والشعراء لابن قتيبة . ٢٠

وقال عمرو بن الأهتم

ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّعْخَ^(١) يَا أُمَّ هَيْمٍ * لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
ذَرِينِي وَحُطًى^(٢) فِي هَسَوَى فَإِنِّي * عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ^(٣)
وَمُسْتَمْنَحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ * وَقَدْ كَانَ مِنْ سَارِي الشَّتَاءِ طُرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَبِيتُ صَالِحٍ وَصَدِيقُ
أَضَفْتُ فَلَمْ أُخَشَّ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ * لِأَحْرِمَتِهِ إِنِّي الْفِئَاءُ مَضِيقُ
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُ بَاهِلِهَا * وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ

كان يقال : للعباس بن عبد المطلب ثوبٌ لِعَارِي بنِي هَاشِمٍ ، وَجَفَنَةٌ لِحَارِهِ
وَمِقْطَرَةٌ لِحَاهِلِهِمْ . قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ^(٤)

وَلَوْ خَلَّاتُ أَمْوَالُهُ جُودَ كَفِّهِ * لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ بَعْضَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فِي الْعُمُرِ قِسْمًا لِرَآئِي * لِحَادِّ لَهُ بِالشَّطْرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ

وقال الفرزدق

إِنِّي الْمَهَالِبَةُ الْكَرَامَ تَحَمَّلُوا * دَفَعَ الْمَكَارَهَ عَنْ ذَوِي الْمَكْرَاهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ * وَكَرِيمَ أَخْلَاقِي بِحَسَنِ وَجْهِهِ

كان يقال : الشَّرْفُ فِي السَّرَفِ . قَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ

إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ يَوْمًا مُلَمَّةٌ * تَسْوِقُ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةً إِذَا

(١) في الأصل «الشيخ» وهو تحريف والتصويب عن شرح ديوان الحماسة للتهريزي ، ج ٤ ص ٩٤

(٢) في الأصل : حَطًى بالفاء المعجمة ، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للتهريزي ، ج ٤ ص ٩٤

وتاج العروس في مادة «حَطَّ» ويقال كما في أساس البلاغة : «حَطَّ في دَوَاهٍ وَانْحَطَّ فِيهِ» أي اندفع فيه

والمراد منه في البيت مساعدته على الجود ، (٣) الذي في شرح ديوان الحماسة للتهريزي ج ٤ ص ٩٤

(٤) «الزراكي» (٤) هي خشبة فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق يدخل فيها أرجل المحبوسين .

دَلَّفْنَا لَهَا حَتَّى تُقَوِّمَ مِثْلَهَا * وَلَمْ نَهْدَ عَنْهَا بِالْأُسْتَةِ أَوْ تَهْدَا
وَكَمْ مُظْهِرٍ بَغْضَانَا وَدَّ أَنْسَا * إِذَا مَا التَّقِينَا كَانَ أَخْفَى الَّذِي أَبْدَى
مَطَاعِمُ فِي الْأَوْ مَطَاعِينُ فِي الْوَغَى * شِمَائِلُنَا تَشْكِي وَأَيْمَانُنَا تَسْدَى

وقال حاتم طي^(١)

أَكْفُفْ يَدِي مَنْ أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ * إِذَا مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَتُنَا مَعَا^(٢)
وَإِنِّي لَأَسْتَجِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى * مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الرَّادِ أَقْرَعَا

وقال جابر بن حبان^(٣)

فَإِنْ يَتَقَسِّمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَ سَوَاتِي * فَلَنْ يَتَقَسَّمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فِعْلِي^(٤)
وَمَا وَجَدَ الْأَضْيَافُ فِيمَا يَنْوِبُهُمْ * لَهُمْ عِنْدَ عَالِيَتِ النَّفُوسِ أَبَا مِثْلِي^(٥)
أَهْلِينَ لَهُمْ مَالِي وَأَعْلَمُ أَتَنِي * سَأُورِثُهُ الْأَحْيَاءَ سِيرَةً مِنْ قَبْلِي

كان سعيد بن عمرو مؤاخيا إيزيد بن المهلب ، فلما حبس عمرو بن عبد العزيز يزيد
ومنع من الدخول عليه ، أتاه سعيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إلى علي يزيد خمسون ألف
درهم وقد حلت بيني وبينه ، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه ؟ فأذن له فدخل عليه
فسر به يزيد . وقال : كيف وصلت إلى ، فأخبره . فقال يزيد : والله لا تخرج إلا وهي
موت فامتنع سعيد فخلف يزيد ليقبضهما ، فقال عدي بن الرقاع

(١) كذا في الأصل . ورواية الحماسة مع شرح التبريزي ج ٤ ص ١١٨

كف يدي عن أن ينال الناسها * أكف صحابي حين حاجتنا معا

(٢) هكذا في الأصول « حبان » بالياء الموحدة . والذي في ديوان الحماسة مع شرح الخطيب التبريزي

ج ٤ ص ١١٦ « حبان » بالياء المشابة . (٣) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، ج ٤ ص ١١٦

« وبنحوي » . (٤) الذي في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٧ « عيالات الزمان » .

لم أر محبوباً من الناس واحداً * حباً زائراً في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازته * بخمسين ألماً نُجِّلَتْ لِسَعِيدٍ

وقال بعض الشعراء

وإني لحالٌّ بيَ الحقِّ * أتقي * إذا نزل الأضياف أن أتجهماً
إذا لم تُدِّدْ ألبانها عن لحومها * حلبنا لهم منها بأسيا فنادما

دخل شاعر على المهدي فامتدحه ، فأمر له بمال فلما قبضه فترقه على من حضر وقال
لمست بكفى كفه أبتغي الغنى * وما خلت أن الجود من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذؤوب الغنى * أفدت وأعداني فبددت ما عندي

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الهاشمي قال ، أخبرني وكيع قال حدثني
أبو العيناء قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودي وكان ذا مالٍ وقد تادَّب وقال الشعر
وعرف شيئا من العلوم وكان له ولدٌ ذكورٌ ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفترقه على
أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثا فعُوتِبَ على ذلك فقال

رأيتُ مالى أبرَّ من ولدي * فاليوم لا نِحْلةٌ ولا صدقةٌ
من كان منهم لما فأهداه الله ومن كان صالحا رزقه

وحدثني الأخفش بهذا الخبر عن المبرد عن الرياشي والله أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهي المجلد الأول ويتلوه في أول المجلد الثاني

الجزء الرابع وبه تكاب الطبائع

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

ʿUYŪN AL-AḤBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ʿAbdullāh b. Muslim al-Dinawarī

(d. 276 H.)

Vol. I

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٤٠١ / ١٩٩٦

I. S. B. N. 977 - 18 - 0028 - 0

‘UYŪN AL-AḤBĀR

عَبْدُ اللَّهِ

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٤٠١ / ١٩٩٦

I. S. B. N. 977 - 18 - 0028 - 0

دار الكتب المصرية

مكتاب

عماد الدين

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثاني

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة — كتاب العلم والبيان — كتاب الزهد

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

فهرس

المجلد الثانى من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

صفحة

١	تشابه الناس فى الطبائع وذمهم
٥	رجوع المتخلق الى طبعه
٧	باب الشئ يفرط فينتقل الى غير طبعه
٨	باب الحسد
١٢	باب الغيبة والعيوب
٢٠	باب السعاية
٢٥	باب الكذب والقحة
٣٠	باب سوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر
٣٧	باب الحق
٦٢	طبائع الانسان
٦٩	ما نقص خلقه من الحيوان
٧٠	المشتركات من الحيوان
٧١	المتعاديات
٧١	الأمثال المضروبة بالطبائع
٧٣	الأنعام
٧٨	السباع وما شاكلها

فهرس المجلد الثانى

(د)

صفحة

٨٢ الذئب ...
٨٣ الفيل ...
٨٣ الفهد ...
٨٣ الأرنب ...
٨٤ القرد والدب ...
٨٤ مصايد السباع العادية ...
٨٥ النعام ...
٨٨ الطير ...
٩٢ البيض ...
٩٢ الخفاش ...
٩٣ الخطاف والزرزور ...
٩٣ العقاب والحدأة ...
٩٤ الغراب ...
٩٤ القطا ...
٩٤ باب مصايد الطير ...
٩٥ الحشرات ...
١٠٥ النبات ...
١٠٨ الحجارة ...
١٠٩ الجن ...

كتاب العلم والبيان

١١٧ العلم ...
١٣٠ الكتب والحفظ ...
١٣١ القرآن ...

صفحة	
١٣٤	الحديث
١٤٠	الأهواء والكلام فى الدين
١٥٢	الرد على الملحدين
١٥٥	الإعراب واللحن
١٦١	التشادق والغريب
١٦٦	وصايا المعلمين
١٦٨	البيان
١٨١	الاستدلال بالعين والاشارة والنصبه
١٨٢	الشعر
١٨٦	حسن التشبيه فى الشعر
١٩١	الآيات التى لا مثل لها
١٩٧	التلطف فى الكلام والجواب وحسن التعريض
٢١٥	مقطعات ألفاظ تقع فى الكتاب والكلام
٢٢٥	ألفاظ تقع فى كتب الأمان
٢٢٦	ألفاظ تقع فى كتب العهود
٢٣١	الخطب
٢٣١	خطبة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه
٢٣٢	خطبة لأبى بكر أيضا
٢٣٣	خطبة أبى بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بنى ساعدة
٢٣٤	خطبة لأبى بكر رضى الله عنه
٢٣٤	خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه
٢٣٥	خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه
٢٣٥	خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه
٢٣٦	خطبة على بعد مقتل عثمان

صفحة	
٢٣٦	خطبة أيضا لعللى رضى الله عنه
٢٣٧	خطبة لمعاوية رحمه الله
٢٣٨	خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية
٢٣٩	خطبة لعتبة بن أبى سفيان
٢٣٩	خطبة لعتبة أيضا
٢٤٠	خطبة لعبد الله بن الزبير
٢٤١	خطبة زياد البتراء
٢٤٣	خطبة للحجاج حين دخل البصرة
٢٤٤	خطبة للحجاج أيضا
٢٤٥	خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج
٢٤٥	خطبة للحجاج أيضا
٢٤٦	خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله
٢٤٦	خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد
٢٤٧	خطبة للحجاج
٢٤٧	خطبة سليمان بن عبد الملك
٢٤٨	خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد
٢٤٩	خطبة أبى حمزة الخارجى
٢٥٠	خطبة لقطرى الخارجى
٢٥١	وفى خطبة ليوسف بن عمر
٢٥١	وفى خطبة للحجاج
٢٥١	خطبة للنصور
٢٥٢	خطبة لداود بن على
٢٥٢	خطبة لداود بن على أيضا
٢٥٣	خطبة لأعرابي

٢٥٣	خطبة المأمون يوم الجمعة...
٢٥٤	وفى خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول
٢٥٥	وفى خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول
٢٥٦	كلام من أرتبج عليه...
٢٥٨	المنابر...

كتاب الزهد

٢٦١	ما أوحى الله جل وعز الى أنبيائه عليهم السلام
٢٧٧	الدعاء
٢٩١	المناجاة
٢٩٣	باب البكاء
٢٩٨	التهجد
٣٠٢	الموت
٣١٩	الكبر والمشيب
٣٢٧	الدنيا

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

٣٣٣	مقام صالح بن عبد الحليل بن يدى المهدي
٣٣٣	مقام رجل من الزهاد بين يدى المنصور
٣٣٦	مقام آخر والمنصور يخطب
٣٣٧	مقام عمرو بن عبيد بين يدى المنصور
٣٣٧	مقام أعرابي بين يدى سليمان
٣٣٨	مقام أعرابي بين يدى هشام
٣٣٨	مقام الأوزاعي بين يدى المنصور

صفحة	
٣٤١	مقام خالد بن صفوان بين يدى هشام...
٣٤٣	مقام محمد بن كعب القرظى بين يدى عمر بن عبد العزيز...
٣٤٣	مقام الحسن عند عمر بن هبيرة...

باب من المواعظ

٣٤٤	كلام للحسن ...
٣٤٤	كلام لبعض الزهاد ...
٣٤٥	كلام لغيلان ...
٣٤٦	كتاب رجل الى بعض الزهاد ...
٣٤٦	وكتب رجل من العباد الى صديق له ، وجواب صديقه عليه ...
٣٥٠	موعظة مستعملة ...
٣٥١	موعظة لعمر بن عتبة ...
٣٥١	صفات الزهاد ...
٣٥٨	كلام من كلام الزهاد ...

كتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابه الناس في الطبائع وذمهم

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يحيى بن هاشم الفسائي عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصعب بن سعد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم . قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال قال أبو الدرداء : «وجدتُ الناس أخبرَ تَقْلِهِ» .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن المعافى بن عمر أن عمرو ابن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بقوم يتبعون رجلاً قد أخذ في رِيبة فقال : لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في الشر .

قال وحدثني محمد بن داود قال ، حدثنا الصلت بن مسعود قال حدثنا عطاء ابن علي عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عبيدة أن الوليد السوائي قال : لفظ قوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : يا رسول الله لو نهيهم ! فقال : «لو نهيهم أن يأتوا الجحون لأتاه بعضهم ولو لم تكن له حاجة» .

(١) القل البغض وهو من باب نصر وري ورضى والهاء فيه للسكت اذا صله اخبر الناس تَقْلِهِمْ فحذف الضمير وحل محله الهاء وقد روي برفع الناس على الحكاية كقوله * سمعت الناس ينتجعون غيثاً * البيت ومعناه وجدت : الناس مقول فيهم ذلك . وروي أيضا بنصبه ، وتقديره وجدت : الناس اخبر تَقْلَهُ أي وجدت الأمر كذلك ، وعلى كل حال فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر ، يريد أنك اذا خبرتهم قلوبهم ، وهو مثل يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

قال وحُذِّثنا عن عَفَّانَ عن مَهْدِي بن مَيْمُون عن غِيْلانَ بن جَرِير قال قال مطرُف :
 هم الناس وهم النَّسَناس وناسٌ نَحْمِسُوا في ماءِ الناس .
 قال يونس بن عُبيد : لو أَمَرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا .
 وكان يقال : لو نُهِى النَّاسُ عن فَتِّ البَعْرِ لَفَتَّوهُ ، وقالوا : ما نُهِينا عنه إلا وفيه
 شيء . وقال الشاعر

ولما أن أتيتُ بنى جَوَيْنِ ، جلوسًا ليس بينهم جَلِيسُ
 يَتَسْتُ مِنْ الَّتِي أَقْبَلْتُ أَبْيى : لديهم ، إتنى رجلٌ يَتُوسُ
 إذا ما قلتُ أيُّهُمْ لِأَيِّ * تَسَابَهَتِ المَنَّاكِبُ والرُّؤُوسُ
 ويقال : «لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما تباينُوا فإذا تساوَوْا هَلَكُوا»^(١) .

وقال آخر

النَّاسُ أَسْوَاءُ وَشَيِّءٌ فِي الشَّيْمِ * وَكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُم بَيْتُ الْأَدَمِ^(٢)

وقال آخر — يذكركوما —

سواءُ كَأَسنانِ الحِمَارِ وَلَا تَرَى^(٣) * لِيذِي شَبِيهٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلاً^(٤)

وقال آخر «سَوَاسِيَةُ كَأَسنانِ الحِمَارِ»^(٥)

وكان يقال «المرءُ تَوَاقَى إلى ما لم يَنْتَلِ»^(٥)

والعجم تقول : كُلُّ عَمْرٍ دَخَلَ تَحْتَ القَدْرَةِ فهو ذليل .

(١) أورده الميداني في مجمع الأمثال بلفظ «لن يزال الناس» الخ وساقه ابن الأثير في النهاية والمرئضي في تاج العروس على أنه حديث وأورده بلفظ «لا يزال الناس بخير ما تباينوا» الخ .

(٢) رواه في اللسان : الناس أخفاف الخ ، والأخفاف الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال .

(٣) كذا بالأصل . وفي اللسان «سواس» والبيت منسوب فيه لكثير .

(٤) كذا بالأصول . وفي اللسان «فا» . وفي مجمع الأمثال «فلا» ، ولا يخفى أنَّ الفاء هنا أحسن

موقعاً من الواو وأنسب للسياق . (٥) كلاهما مثل كما في مجمع الأمثال ولسان العرب .

وقالوا : كلُّ مقدورٍ عليه مملولٌ محذورٌ .

وقال الشاعر

وزاده كلَّفًا بالحُبِّ أنْ منَعَتْ * أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا^(١)

وقال آخر

تَرَى النَّاسَ أَسْوَأَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا * وَفِي النَّاسِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ
وَيُقَالُ : النَّاسُ سَيْلٌ وَأَسْرَابٌ طَيْرٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمَا بَعْضًا .

وقال طرفة

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتَهُ * لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاصِحَةً
كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مَنْ ثَعْلَبِ * مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال آخر

فَإِنَّكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ حَوْلِ * أَظُنِّي كَانَ أَمَّكَ أُمَ حِمَارٍ
فَقَدْ لَحِقَ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي * وَمَا جَ اللَّوْمُ وَأَخْتَلَطَ النُّجَارُ
وَعَادَ الْعَبْدُ مِثْلَ أَبِي قُبَيْسٍ^(٢) * وَسِيقَ مَعَ الْمُعْلَهَجَةِ الْعِشَارُ^(٣)
يقول : سِيقَتِ الْإِبِلُ الْحَوَامِلُ فِي مَهْرِ اللَّيْمَةِ .

(١) كذا بالأصول . وفي لسان العرب في مادة «حَبَّ»

* وَحَبَّ شَيْئًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا *

وأصله حَبَّ بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت في الثانية ، وما في قوله ما مُنِعَا في موضع الرفع بحَبَّ

(٢) وفي رواية حكاه صاحب نزهة الأديب في ج ٣ ص ٢٣١ «الفندي» بكسر الفاء وسكون النون بدل العبد ، وفسره بأنه قطعة من الجبل طولاً ، وقيل الجبل العظيم . وأبو قبيس جبل بمكة والمراد به الرجل الشريف كما يراد بالفند الرجل الوضع .

(٣) المعلهجة : المرأة اللئيمة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيبويه في كتابه عن خدّاش بن زيد

ج ١ ص ٢٣ * وصار مع المعلهجة العشار *

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن جحادة عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا. صبيان حيارى ما لهم تفاقدوا [عقو لهم] (١) وفرأش نار وذي بان طمع.

وقال أبو حاتم عن الأصمعي: لو قسمت في الناس مائة ألف درهم كان أكثر اللائقي من لو أخذتها منهم (٢).

ونحوه قول محمد بن الجهم: منع الجميع أرضي للجميع.

وقال ابن بشير

سوءة للناس كلهم * أنا في هذا من أقولهم
أست تدري حين تنسبهم * أين أدناهم من أفضلهم

وقال نهار بن تويسعة

عتبت على سلم فلما فقدته * وجربت أقواما بكيت على سلم
وهذا مثل قولهم: ما بكيت من زمان إلا بكيت عليه.

وقال الأحنف بن قيس

وما مرّ يوم أرتجى فيه راحة * فأخبره إلا بكيت على أمس

وقال آخر

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقي من الناس أعتبا

وقال آخر

سبكاه ونحسبه لحينا * فأبدى الكير عن خبث الحديد

قال، وحدثني أبو حاتم، قال حدثني الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال:

لا يزال في الناس بقية ما تعجب من العجب.

(١) الزيادة عن العقد الجديد ج ١ ص ٣٧٧ (٢) في النسخة الفوتوغرافية «أن» بدل من.

رجوع المتخلق الى طبعه

بلغنى أن أعرابيا ربى جرو ذئب حتى شب وظن أنه يكون أغنى عنه من الكلب وأقوى على الذب عن الماشية فلما قوى وثب على شاة فقتلها وأكل منها فقال الأعرابي

أَكَلْتُ شَوِيَّتِي وَرَبَيْتَ فِينَا * فَمَا أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ

وَيُرَوَّى

* وَلِدْتَ بِقَفْرَةٍ وَنَشَأْتُ عِنْدِي *

إذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الأديب^(١)

وقال الحريري

يَلَامُ أَبُو الْفَضْلِ فِي جُودِهِ * وَهَلْ يَمْلِكُ الْبَحْرُ إِلَّا يَفِيضَا

١٠

وقال أبو الأسد

وَلَأَمَّةٌ لَأَمَتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى * فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
أَرَادَتْ لِتَتْنِي الْفَيْضُ عَنْ عَادَةِ النَّدَى * وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتْنِي السَّحَابَ عَنْ الْقَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * مَوَاقِعُ مَاءِ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْفَقْرِ

وقال كثير

١٠

وَمَنْ يَتَدَعُ مَا لَيْسَ مِنْ سُوسٍ نَفْسِهِ * يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا^(٢)

وقال زهير

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ * وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

(١) كذا في الأصول، وعليه يكون في البيت إقواء، وروى في حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٢

* فليس بنافع فيها الأديب * وهذا يكون البيت سالم من هذا العيب .

(٢) الذي في اللسان : « مِنْ نَعِيمٍ » والخيم الطيبة والأصل كالسوس .

وأنشدني ابن الأعرابي لدى الإصبع العدواني
كل أمرئ راجع يوماً لشيئته * وإن تَخَلَّقْ أخلاقاً الى حين
وقال آخر

إرجع الى خالقك المعروف ديدنه * إن التخلُّق يابى دونه الخلق
وقال كثير في خلاف هذا

وفي الحلم والإسلام للمرء وازع * وفي ترك أهواء الفؤاد المتيم
بصائر رشيد للفتى مستبينة * وأخلاق صدق علمها بالتعلم

ونحوه للتلخيص

تجاوز عن الأدنين وأسبق ودَّهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً

وقال الطائي

ليس الشجاعة إنها كانت له * قدماً نشوعاً في الصبا ولدوداً
بأساً قبيلاً وبأس تكريم * فينا وبأس قريحه مولوداً

وقال أبو جعفر الشطرنجي مولى المهدي في سوداء

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في آوينة قاعده
لا شك إذ لوناك واحد * أنكما من طينة واحد

وقال أبو نواس

تلقى الندى في غيره عرَضاً * وتراه فيه طبيعة أصلاً
وإذا قرئت بعاقلي أملاً * كانت نتيجة قوله فعلاً

وأنشدنا الرياشي

لا تصحبن أمرئاً على حسب * إن رأيت الأحساب قد دخلت

(١) الذي في اللسان في مادة «حلم» وكتاب سيويه ج ٢ ص ٢٤٠ «تحلم»

(٢) الذي في الديوان «جزم» بدل «فيما» .

مَالِكٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لَهُ * أَبًا كَرِيمًا فِي أُمِّهِ سَلَفَتْ
بَلْ أَصْحَبْنَاهُ عَلَى طِبَائِعِهِ * فَكُلُّ نَفْسٍ تَجْرِي كَمَا طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس

إِنَّكَ لَمْ تَكُ كَأَبْنِ الشَّرِيدِ * وَلَكِنْ أَبُوكَ أَبُو سَالِمٍ
حَمَلْتَ الْمِثْنَ وَأَنْقَلَمَا * عَلَى أَذُنِي قُنْفُذٍ رَازِمٍ
وَأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شَرَّ الْجُدُو * دِ الْعِرْقُ يُسْرِى إِلَى النَّائِمِ

وقال بعض العبديين

وَمَا يَسْتَوِي الْمُرءَانِ هَذَا ابْنُ حُرَّةٍ * وَهَذَا ابْنُ أُخْرَى ظَهَرَهَا مُتَشَرِّكُ
وَأَدْرَكَهُ خَالَاتُهُ نَحَذَلْنَاهُ * أَلَا إِنْ عِرْقُ السُّوءِ لَا يَدْرِكُ

باب الشئء يُفْرِطُ فَيَنْتَقِلُ إِلَى غَيْرِ طَبْعِهِ

قرأت في كتاب للهند : لا ينبغي اللجاج في إسقاط ذى الهممة والرأى وإذالته فانه
إِذَا شَرِسَ الطَّبْعُ كَالْحِيَةِ إِنْ وُطِئَتْ فَلَمْ تَلْسَعْ لَمْ يُغْتَرَّ بِهَا فَيُعَادَ لَوْطُمًا ، وَإِذَا سَجَّحَ
الطَّبْعُ كَالصَنْدَلِ الْبَارِدِ إِنْ أُفْرِطَ فِي حَكِّهِ عَادَ حَارًا مُؤَذِيًا . وقال أبو نواس
قُلْ لِرَهِيرٍ إِذَا حَادَا وَشَدَا * أَقْلِيلٌ وَأَكْثَرُ فَأَنْتَ مِهْذَارُ
سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي * كَذَلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارُ

ويقال : إِنَّمَا مَلِجَ الْقِرْدُ عِنْدَ النَّاسِ لِإِفْرَاطِ قَبْعِهِ ، قَالَ الطَّائِي

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرِّهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ * وَالنَّارُ قَدْ تَنْتَضِي مِنْ نَاضِرِ السَّلَمِ

أَمِنْ عَمَى نَزَلَ النَّاسُ الرَّبِّيَ فَتَجَوَّا * وَأَتَمَّ نَصَبَ سَيْلِ الْفِتْنَةِ الْعَرِمِ
أَمْ ذَاكَ مِنْ هِمِّمْ جَاشَتْ فِكْمَ ضَعْفَةٍ * حَذَا إِلَيْهَا غُلُوُّ الْقُصُومِ فِي الْهِمِّمْ
وَكَانَ يُقَالُ : مِنْ التَّوَقَّى تَرَكُ الْإِفْرَاطَ فِي التَّوَقَّى

باب الحسد

٥ قال حدثنا اسحاق بن راهويه قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أقيّة
قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلُمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ الطَّيْرَةُ وَالظَّنُّ
وَالْحَسَدُ" قيل : فما المخرجُ منهم يا رسول الله ؟ قال : "إِذَا تَطَيَّرْتَ فَلَا تَرْجِعْ وَإِذَا ظَنَنْتَ
فَلَا تُحَقِّقْ وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَتَّبِعْ" . وقال بكر بن عبد الله : حَصَّتْكَ مِنَ الْبَاغِي حَسَنُ
الْمُكَاشَرَةِ ، وَذَنْبُكَ إِلَى الْحَاسِدِ دَوَامُ النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ . وقال رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ الْجُدَامِيُّ :
كُنْتُ أَرَى قَوْمًا دُونِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ يَدْخُلُونَ مَدَاحِلَ لَا أَدْخُلُهَا فَلَمَّا
أَذْهَبْتُ عَنِّي الْحَسَدَ دَخَلْتُ حَيْثُ دَخَلُوا ، وَقَالَ ابْنُ حَمَّامٍ
تَمَنَّى لِي الْمَوْتَ الْمَعْجَلَّ خَالِدٌ * وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدَهُ
وقال الطائي

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ * طَوَّيْتُ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا أَشْتَعِلُ النَّارَ فِيمَا جَاوَرْتُ * مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ * لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمُحْسُودِ

١٥ وقال عبد الملك للحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فَعِبَ نَفْسَكَ
قال : أَغْفِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : لَتَفْعَلَنَّ . قال : أَنَا لَجَوِّحٍ حَقُودٌ حَسُودٌ ، قال عبد الملك :
مَا فِي الشَّيْطَانِ شَرٌّ مِمَّا ذَكَرْتَ . قال بعض الحكماء : الْحَسَدُ مِنْ تَعَادِي الطَّبَائِعِ وَاخْتِلَافِ
التركيب وفساد مزاج البنية وَضَعْفِ عَقْدِ الْعَقْلِ وَالْحَاسِدُ طَوِيلُ الْحَسَرَاتِ . ٢٠

قال ابن المقفع : أقل ما لئارك الحسد في تركه أن يصرف عن نفسه عذابا ليس
يُذرك به حظا ولا غائظ به عدوا ، فإنما لم تر ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد ، طول
أسف ومخالفة كتابة وشدة تحرق ، ولا يبرح زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزايا
ويكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعما ولا يزال ساخطا على من لا يرضاه
ومتسخطا لما أن ينال فوقه ، فهو منغص المعيشة دائم السخطة محروم الطلبة ، لا بما قسم
له يمنع ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والمحسود يتقلب في فضل الله مباشرة للسرور
منتفعا به ممهلا فيه الى مدة ولا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص .

قيل للحسن البصري : أيجسد المؤمن أخاه ؟ قال : لا أبأ لك ، أنسيت إخوة
يوسف . وكان يقال : إذا أردت أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمورك . ويقال :
إذا أراد الله أن يسقط على عبده عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسدا . وقال العتيبي
— وذكر ولده الذين ماتوا —

وحتى بكى لي حسادهم * وقد أقرحوا بالدموع العيون

وحسبك من حادث بامرئ * يرى حاسديه له راحينا

قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرع حسد الناس الى قومك ! فقال

إن العرايين تلقاها محسدة * ولا ترى ليئام الناس حسادا

وقال آخر

وترى النبي حسدا لم يجترم * شتم الرجال وعرضه مشوم

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه * فالتقوا أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قل لوجهها * حسدا وظلما إنه لدميم^(٢)

(١) في النسخة الألمانية «أترعوا» . (٢) هكذا في النسختين بالذال المعجمة وهي رواية

ثعلب ، قال صاحب اللسان : وقد رد ذلك عليه . والأصح رواية «إنه لدميم» بالذال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدو مهين لا يدرك وثره إلا بالتمنى . قيل لبعضهم :
أى الأعداء لأتجرب أن يعود لك صديقا ؟ قال : من سبب عداوته النعمة . وقال
الأحنف : لا صديق لملول ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل
ولا سؤدد لسيئ الخلق . وقال معاوية : كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسدا نعمة
فانه لا أرضيه إلا زوالها . وقال الشاعر

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتُهَا * إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ

وفى بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدو انعمتِ مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي غَيْرُ رَاضٍ
يَقْسِمُ بَيْنَ عِبَادِي . وكان يقال : قد طلبك من لا يقصر دون الظفر وحسدك من
لا ينأى دون الشفاء . وخطب الحجاج يوما برستقباد بقول سويد بن أبي كاهل

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا * جَلَّ الرَّأْسُ بِيَاضٍ وَصَلَعَ
رَبِّ مَنْ أَنْصَجَتْ غَيْظًا صَدْرُهُ * قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ
وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ * عَسْرًا تَخْرُجُهُ مَا يُنْتَرَعُ
مُزِيدًا يَخْطُرُ مَا لَمْ يَرْنِ * فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي أَنْقَمَعَ
لَمْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي * فَهُوَ يَزُقُّو مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوعُ^(١)
وَيَحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ * وَإِذَا يَخْلُولُهُ لَحْمِي رَتَعَ
قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ * وَإِذَا مَا يَكْفِي شَيْئًا لَا يُضَعُ^(٢)

وقال آخر

إِنْ تَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُكُمْ * قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا

(١) الضوع : طائر ليل .

(٢) كذا بالأصول . وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة * ومتى ما يكف شيئا لم يضع *

فدام لي ولكم ما بي وما بكم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الذي تجدوني في خلوقكم * لا أرتقي صعدا فيها ولا أريد

وقال بعضهم : الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء ، يعني حسد إبليس آدم ، وأول
ذنب عصي الله به في الأرض ، يعني حسد ابن آدم أخاه حتى قتله . وألشدني شيخ لنا عن
أبي زيد الأعرابي

لا تقبل الرشد ولا ترعوى * ثاني رأس كابر عواء
حسدتي حين أفدت الغنى * ما كنت إلا كابر حواء
عادى أخاه محرما مسلما * بطعنة في الصلب نجلاء
وأنت تقلبي ولا ذنب لي * لكنني حمال أعباء
من يأخذ النار بأطرافه * ينضح على النار من الماء

مر قيس بن زهير ببلاد غطفان فرأى ثروة وجماعات وعددا فكره ذلك ، فقال
له الربيع بن زياد : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال له : يا أحن إنك لا تدري ، إن
مع الثروة والنعمة التحاسد والتخاذل ، وإن مع القلة التحاشد والتناصر .

قال الأصمعي : رأيت أعرابيا قد أتت له مائة وعشرون سنة ، فقلت له :

ما أطول عمرك ! فقال : تركت الحسد فبقيت . وقال زيد بن الحكم الثقفي

تملأت من غيظ على فلم يزل * بك الغيظ حتى كدت بالغيظ تنشوي
وما برحت نفس حسود حشيتها * تذيبك حتى قيل هل أنت مكتوي
وقال النطاسيون إنك مشعر * سلا لا ألبان أنت من حسد جوي

(١) في النسخة الألمانية : ما طول .

(٢) في الأصل « ذوى » والتصويب عن خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٩٧ و « جوى » من
الجوى وهو السل وداء في الصدر .

بدا منك غش طالمًا قد كتّمته * كما كتّمت داءَ آبنها أمّ مدوى
 جمعت ونحشًا غيبةً ونميمةً * خللاً ثلاثاً لست عنها بمرتوى
 وكان يقال : ستة لا يحلون من الكتابة : رجل افتقر بعد غنى . وغنى يخاف على
 ماله التوى ، وحقوق ، وحسود . وطالب مرتبة لا يبلغها قدره ، ومخالط الأدباء
 بغير أدب .

باب الغيبة والعيوب

قال حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء عن ابن خثيم^(١)
 عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 «ألا أخبركم بشرايركم» قالوا : بلى . قال : «من شراركم المشاءون بالنيمة المفسدون بين
 الأحبة الباغون البراءة العنت» .

قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
 الأجلح عن الشعبي قال : سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر : يا أيها الناس خذوا
 على أيدي ستمهاكم ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن قوماً ركبوا
 البحر في سفينة ، واقتسموها فأصاب كل واحد منهم مكان ، فأخذ رجل منهم الفأس
 فنقر مكانه ، فقالوا : ما تصنع ؟ فقال : مكاني أصنع به ما شئت ، فإن أخذوا على
 يديه نجوا ونجوا ، وإن تركوه غرقوا وغرق» .

بلغني عن حماد بن زيد عن ابن عوف قال ، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أصبح
 فيه لا يرميني الناس بداهية إلا كان نعمة من الله علي . وقال حسان : قلت شعراً
 لم أقل مثله

وإن امرأاً أمسى وأصبح سالماً * من الناس إلا ما جنى لسعيد

(١) في النسخة الفتوغرافية «ومخالطة» .

(٢) في الأصل : «العطاء» بالتعريف والتصويب عن تهذيب التهذيب .

وبلغني عن ابن عيينة قال ، قال مسعر : ما نصحتُ أحدا قط إلا وجدته يُفتش
عن عيوبه . وقال بعضهم : مَنْ عَابَ سَفِلَةً فَقَدْ رَفَعَهُ ، وَمَنْ عَابَ شَرِيفاً فَقَدْ وَضَعَ
نَفْسَهُ . وقال : عمر بن الخطاب : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَى عُيُوبِي

أحمد بن يونس عن الفضيل أنه سمعه يقول : إن الفاحشة لتشيع في الذين آمنوا
حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خزاناً . قال وسمعتَه يقول أيضا : حسناتك
مِنْ عَدْوِكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مِنْ صَدِيقِكَ . لأن عدوك إذا ذكرت عنده يغتابك وإنما
يدفع إليك المسكين حسنة

محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا ابن عون قال : مر ابن سيرين بقوم فقام
إليه رجل فقال : يا أبا بكر إنا قد نلنا منك خللنا ، فقال : إني لا أحل لك ما حرم الله
عليك ، فأما ما كان إلى فهو لك .

محمد بن مسلم الطائفي قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : بلغني أنك نلت مني ،
فقال : نفسي أعز علي من ذلك .

الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : أخ لك كلما لقيك أخبرك
بعيب فيك خير لك من أخ لك كلما لقيك وضع في كفك دينارا .

شريك عن عقيل قال ، قال الحسن : لا غيبة إلا لثلاثة ، فاسق مجاهر بالفسق ،
وذي بدعة ، وإمام جائر . وكان يُقال : [مَنْ آغَابَ ^(٣) خَرَقَ وَمِنْ آسْتَغْفَرَ اللَّهُ رَفَأَ .

(١) كذا في الأصل ، وفي اللسان نقلا عن الجوهرى : يقال : هو من السفلة ولا يقال : هو سفلة لأنه جمع
والعامة تقول : رجل سفلة من قوم سفيل . قال ابن الأثير : وليس بعربي . ثم أورد صاحب اللسان حكاية
وقال : ظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سفلة .

(٢) في الأصول « سالم » والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ ويؤيده أن الموجود في كتب

التراجم « محمد بن مسلم الطائفي » ولم يوجد فيما من يسمى « محمد بن سالم » منسوبا إلى الطائفي .

(٣) الزيادة عن لسان العرب في مادة « رفا » .

وفي بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا عَابَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ" . كان يقال : إِيَّاكَ وَمَا يُصِمُّ الْأُذُنَ . العنبي قال : قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : كنت أسأِرُ أبي ورجلٌ يقَعُ في رجل ، فالتفت إلى أبي فقال : يَا بُنَيَّ نَزَّهُ سَمْعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا كَمَا نَزَّهَ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَاتِلِ ، وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وِعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وِعَائِكَ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةُ جَاهِلٍ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا كَمَا شَقِيَ قَاتِلُهَا .

فُضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُثَيْدَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ زَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقْهَهُ فِي الدِّينِ وَبَصَرَهُ عِيُوبَهُ . قَالَ فَضِيلُ : وَرَبَّمَا قَالَ الرَّجُلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَوْ سَبَّحَانَ اللَّهَ فَأَخْشَى عَلَيْهِ النَّارَ ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ ، قَالَ : يُغْتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُعْجِبُهُ ذَلِكَ فَيَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ ، إِنَّمَا مَوْضِعُ هَذَا أَنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ .

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ أَمْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلَتَا تَغْتَابَانِ النَّاسَ ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : "صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ لهُمَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا" . وَقَالَ حَمَادُ بْنُ سَامَةَ : مَا كُنْتُ تَقُولُهُ لِلرَّجُلِ وَهُوَ حَاضِرٌ فَقُلْتُهُ مِنْ خَلْفِهِ فَلَيْسَ بِغِيْبَةٍ .

عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عِيُوبِكَ بِمَا تَكْثُرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعِيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ يَظْهَرُ غَيْبٌ ۖ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذَوُ الْعِيُوبِ

وأنشد ابن الأعرابي

اسْكُتْ وَلَا تَتَطَقْ فَأَنْتَ خَيَّابٌ ^(١) كُتُّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيَّابٌ

وأنشدني أيضا

رَبِّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الْخَيِّبِ • وَأَبْنِ أَبٍ مُتَّهِمِ الْغَيْبِ
وَكُلِّ عَيَّابٍ لَهُ مَنَظَرٌ • مُشْتَمِلِ الثُّوبِ عَلَى الْعَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يغتاب الناس ولا يصبر، ثم ترك ذلك، فقيل له :
أتركتها؟ قال : نعم ، على أتى والله أحب أن أسمعها .

أتى رجل عمرو بن مَرْثَدٍ فسأله أن يكلم له أمير المؤمنين ، فوعده أن يفعل ، فلما
قام قال بعض من حضر : إنه ليس مستحقا لما وعده ، فقال عمرو : إن كنت
صدقت في وصفك إياه فقد كذبت في أدعائك مودتنا ، لأنه إن كان مستحقا كانت
اليد موضعا ، وإن لم يكن مستحقا فما زدت على أن أعلمتنا أن لنا بمغيبنا عنك مثل
الذي حضرت به من غاب من إخواننا .

وفي الحديث : " إِنْ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانِ " . قيل : كيف ذلك ؟ قال :
" لِأَنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي فَيَتُوبُ ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَصَاحِبُ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ
صَاحِبُهَا " ^(٢) .

قال رجل للعسن : يا أبا سعيد إني اغتبت رجلا وأريد أن أستحله ، فقال له :
لم يكفك أن اغتبه حتى أردت أن تبته . اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم
فقال له قتيبة : أمسك أيها الرجل ، فوالله لقد تلمظت بمضغة طامكا لفظها الكرام .

(١) في النسخ التي بأيدينا « خياب » بالحاء المهملة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان
فانه ذكر هذا البيت في « خاب » و « عاب » وقال في تفسير « خياب » — بعد أن ذكر أن
الخياب القُدْح الذي لا بُورى — : يجوز أن يكون فعلا من الخيبة ويجوز أن يعنى به أنه مثل هذا القُدْح
الذي لا بُورى . (٢) في الإحياء ج ٣ ص ٩٩ « صاحبه » .

مرَّ رجلٌ بجارينِ له ومعه ربيبةٌ، فقال أحدهما لصاحبه: أُنْفِيتَ مامعه من الربيبة؟
فقال الآخر: غلامِي حُرِّ لوجه الله شكرًا له إذ لم يَعْرِفْنِي مِنَ الشَّرِّ ما عَرَّفَكَ .

(١)
شعبة عن يحيى بن الحصين عن طارق قال : دار بين سعيد بن أبي وقاص وبين
خالد بن الوليد كلامٌ ، فذهب رجلٌ ليقَعَ في خالدٍ عند سعيد . فقال سعيد : مه إن
ما بيننا لم يَبْلُغْ ديننا . أى عداوةٌ وشرٌّ . وقال الشاعر

(٢)
ولستُ بِذِي نَيْرٍ فِي الْكَرَامِ * وَمَنَاعَ خَيْرٍ وَسَبَابَهَا
ولا مَنْ إِذَا كَانَ فِي جَانِبِ * أَضَاعَ الْعِشِيرَةَ وَأَغْتَابَهَا
وَلَكِنْ أَطَاوَعُ سَادَاتِهَا * ولا أَتَعَلَّمُ الْقَابَهَا

وقال آخرُ

لا يَأْمُلُ الْجَارُ خَيْرًا مِنْ جَوَارِهِمْ * ولا مَحَالَةً مِنْ هُزْءٍ وَالْقَابِ

وقال الفرزدقُ

تَصَرَّمْ مِنِّي وَدَّ بَكْرٍ بِنِ وائِلٍ * وما خِلْتُ عَنِّي وَدَّهْمٌ يَتَصَرَّمُ
قَوَارِصُ تَأْتِنِي وَيَحْتَقِرُونَهَا * وقد يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيَنْفَعُهُمْ

أنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضَّيَّيْنِ

أَلَا رَبِّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنْتَنِي * أبوه الذى يَدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
على رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَغِيَّةٍ * فَيَغْلِبُهَا خُلٌّ عَلَى النِّسْلِ مُنْجِبُ
فِي الْخَيْرِ لَا بِالشَّرِّ فَاطْلُبُ مَوَدَّتِي * وَأَنْىَ أَمْرِي يَغْتَالُ مِنْهُ التَّرْهُبُ

(١) فى الأصول « حصين » بدون ال . والنصوب عن كتب التراجم .

(٢) كذا فى الأصول . وفى اللسان « فى الصديق » . ثم قال قال ابن برى : وصواب أنشاده

ولست بذى نير فى الكلام * ومناع قومى وسبابها

واظن اللسان فى مادة « نير » .

وقال آخر في نحوه :

(١) ولما عصيت العاذلين ولم أبل * ملامتهم ألقوا على غاربي حبل
وهازنة منى تود لو أبها * على شيتي أو أن قيمها منلي

قيل أبرز جهر : هل من أحد ليس فيه عيب ؟ قال : لا ، إن الذي لا عيب فيه
لا ينبغي أن يموت ، وقال في مثل هذا موسى شهوات :

ليس فيما بدا لنا منك عيب * عابه الناس غير أنك فاني
أنت خير المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان

وقال أبو الاسود الدؤلي :

وترى الشقي إذا تكامل عيبه * يرمى ويقرف بالذي لم يفعل^(٢)

- ١٠ لقي بكر بن عبد الله أخاه فقال : إذا أردت أن تلقى من النعمة عليك أعظم منها
عليه وهو أشكر للنعمة لقيته ، وإذا شئت أن تلقى من أنت أعظم منه جرماً وهو أخوف
لله منك لقيته . أرأيت لو صحبت رجلاً : أحدهما مهتوك لك ستره ولا يذنب ذنباً
إلا رأيت ولا يقول هجرًا إلا سمعته فانت تحبه على ذلك وتوافقته وتكره أن تفارقه ،
والآخر مستور عنك أمره غير أنك تظن به السوء فانت تبغضه ، أعدلت بينهما ؟ قال :
- ١٥ لا ، قال : فهل مثلي ومثلك ومثل من أنت راء من الناس إلا كذلك ؟ إنا نعريف الحق
في الغيب من أنفسنا فنحبها على ذلك ، ونتظن الظنون على غيرنا فنبغضهم على ذلك .
ثم قال : أنزل الناس منك ثلاث منازل ، فاجعل من هو أكبر منك سنًا بمنزلة أبيك ،
ومن هو تربك بمنزلة أخيك ، ومن هو دونك بمنزلة ولدك ، ثم أنظر أي هؤلاء تحب
أن تهتك له سترًا أو تبدي له عورة !

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية « رحلي » . (٢) يقرف ، أى يعاب ويهيم .

سعيد بن واقد المزني قال حدثنا صالح بن الصقر عن عبد الله بن زهير قال :
وفد العلاء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "أتقرأ من القرآن شيئا؟"
فقرأ "عبس" وزاد فيها من عنده : وهو الذي أخرج من الحبل ، نسمة تسعى ، من
بين شراسيف وحشي ، فصاح به النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : "كف فإن
السورة كافية" . ثم قال : "هل ترى من الشعر شيئا؟" فأنشده :

حَيَّ ذَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبُهُمْ * تَحِيَّتِكَ الْقُرْبَى فَقَدْ تَرَفَّعَ النَّعْلُ
وَإِنْ دَحَسُوا بِالْكَرِهِ فَأَعْفُ تَكْرُمًا * وَإِنْ خَنَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسْلُ
فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ * وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقْلُ
فقال النبي عليه السلام : "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا" .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال رجل لبكر بن محمد بن علقمة : بلغني أنك
تقع في^(٤) ، [قال] : أنت إذا أكرم على من نفسي ! . وقال بعض الشعراء :
لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا * فَيَكْشِفَ اللَّهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَ^(٥)
وَأَذْكَرَ حَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا * وَلَا تَعْبُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
وقال أبو الدرداء : لَا يُحْزِرُ الْإِنْسَانُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ إِلَّا قَبْرَهُ .

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم موله : إن الولاة جعلوا العيون على العوام وأنا
أجعلك عيني على نفسي ، فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها أوفعألاً لا تُحِبَّه فِعْطَنِي
عنده وأنهى عنه .

العتبي قال : تنقص ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير على بن أبي طالب عليه السلام ،
فقال له أبوه : لَا تَنْقُصْهُ يَا بُنَيَّ ، فَإِنَّ بَنِي مَرْوَانَ مَا زَالُوا يَسْتُمُونَهُ سِتِّينَ سَنَةً فَلَمْ

(١) دحس بين القوم : أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفي اللسان في مادة دحس «بالشر» .

(٣) خنسوا : أخفوا . (٤) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يتوقف عليها سياق الكلام .

(٥) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تهكن» ، وفيه أيضا : «فيك» بدل «فيكشف» .

يَزِيدُهُ اللَّهُ إِلَّا رَفْعَةً ، وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا فَهَدَمَتْهُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا إِلَّا عَادَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَدَمَتْهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْ غِيَّهَا * فَإِذَا أَنْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى * بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْتَهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ * عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وَقَالَ آخَرُ :

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ * مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبٌ

وَقَالَ آخَرُ :

لَكَ الْخَيْرُ ، لَمْ نَفْسًا عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا * وَدَعْ لَوْمْ نَفْسٍ مَا عَلَيْكَ تَلِيمٌ^(١)
وَكَيْفَ تَرَى فِي عَيْنِ صَاحِبِكَ الْقَذَى * وَيَخْفَى قَذَى عَيْنِكَ وَهُوَ عَظِيمٌ

كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَرَمِّمِينَ لَا يَزَالُ يَعْيبُ النَّبِيذَ وَشَرَابَهُ فَإِذَا وَجَدَهُ سِرًّا شَرِبَهُ ، فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ جِيرَانِهِ :

وَعِيَايَةَ لِلشُّرْبِ لَوْ أَنَّ أُمَّهُ * تَبُولُ نَبِيذًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا

قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرُو بْنِ عَبِيدَ : إِنِّي لَا أَرَحُّكَ مِمَّا تَقُولُ النَّاسُ فِيكَ ، قَالَ : أَقْسَمَ لِي
أَقُولُ فِيهِمْ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِيَّاهُمْ فَارْحَمْ .

قَالَ أَعْرَابِيٌّ لَأَمْرَأَتِهِ :

وَأَمَّا هَلَكْتُ فَلَا تَتَكَبَّرِي * ظُلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَهَا
يَرَى مَجْدَهُ تَلَبَّ أَعْرَاضَهَا * لَدَيْهِ وَيُغْفِضُ مَنْ سَادَهَا

(١) تليم : من ألأم الرجل إذا أتى ذنبا يلام عليه .

(٢) مِنْ تَرَمَّتْ إِذَا تَوَقَّرَ فِي مَجْلِسِهِ ، وَمِنْهُ الرِّبَيتُ كَأَمِيرٍ ، أَيْ الْوَقُورُ السَّاكِنُ الْقَلِيلُ الْكَلَامِ ، وَالرَّيْبُتُ كَسِيجِينَ أَوْ قَرْمَهُ .

باب السَّعَايَةِ

روى وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب قال : قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَقَنِي الشَّعْبِيُّ
فَقَالَ : يَا أَبَا زَيْدٍ أَطَرَفْنَا مِمَّا سَمِعْتَ ؟ قُلْتُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ
يَقُولُ : لَا يَسْكُنُ مَكَّةَ سَافِكٌ دِمًّا ، وَلَا آكِلٌ رِبًّا ، وَلَا مَشَاءٌ بَنِيمًا ، فَعَجِبْتُ مِنْهُ
حِينَ عَدَلَ النِّيمَةَ بِسَفْكِ الدَّمَاءِ وَأَكَلَ الرِّبَا ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا !
وَهَلْ تُسَفِّكُ الدَّمَاءَ وَتُرْكِبُ الْعِظَائِمَ إِلَّا بِالنِّيمَةِ !

عَاتَبَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ
مِنْ ذَلِكَ وَدَفَعَهُ ، فَقَالَ مُصْعَبُ : أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الثَّقَّةُ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : كَلَّا
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ الثَّقَّةَ لَا يُبَلِّغُ ، قَالَ الْأَعَشِيُّ :

وَمَنْ يُطِيعِ الْوَاشِينَ لَا يَتَرُكُوا لَهُ * صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّبَا

وَذَكَرَ السَّعَاةُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ حَضَرَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ
عِيهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ لَكَفَّاهُمْ^(١) .

سَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ رَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ : انصِرِفْ حَتَّى أَسْأَلَ عَمَّا
ذَكَرْتَ ، وَبَعَثَ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنِ السَّاعِي فَإِذَا هُوَ لَغِيرِ أَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ ، فَقَالَ بِلَالٌ :
أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «السَّاعِي
بِالنَّاسِ لَغِيرِ رِشْدَةٍ»^(٢) . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْوَاشِي نَعَى يَوْمًا صَدِيقًا * فَلَا تَدْعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَاشِي

(١) هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ (إِلَّا أَنَّهُمْ) لَيْسَتَا بِالْأَصْلِ ، وَقَدْ نَقَلْنَاهُمَا عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ ، وَفِي الْأَصْلِ «إِلَى النَّاسِ» .

(٣) يُقَالُ : هَذَا وَلَدُ رِشْدَةٍ إِذَا كَانَ لَزَوَاجٍ صَحِيحٍ ، وَجَاءَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١

ص ٢٣٦ وَلِسَانُ الْعَرَبِ فِي مَادَةِ «رِشْدٍ» بِلَفْظِ «السَّاعِي لَغِيرِ رِشْدَةٍ» .

أتى رجل الوليد بن عبد الملك وهو على دِمَشْقَ لابييه ، فقال : للأُمير عندي نصيحة ، فقال : إن كانت لنا فأظهرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ، قال : جار لي عَصَى [وَقَرَّ] ^(١) مِنْ بَعْتِهِ ، قال : أَمَا أَنْتَ فَتَخْبِرُنِي جَارُ سَوْءٍ ، فَإِنْ شِئْتَ أَرْسَلْنَا مَعَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَقْصِيْنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقِبْنَاكَ ، وَإِنْ شِئْتَ تَارَكْنَاكَ ، قال : بَلْ تَارَكْنِي .

وقال عبدة بن الطبيب :

وَأَعْصُوا الَّذِي يُسَدِّي النَّيْمَةَ بَيْنَكُمْ ^(٢) * مُنْصَحًا وَهُوَ السَّيِّئُ الْمُنْقَعُ ^(٣)
يُزِجِي عَقَارِيهَ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ * حَرْبًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الْأَخْدَعُ ^(٤)
حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ * عَسَلُ بَمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشْعَشِعُ ^(٥)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِبُّ صَيِّبُهُمْ * بَيْنَ الْقَبَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يَنْسَعُ ^(٦)
إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ خُلَانَكُمْ * يَشْفِي صُدَاعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا ^(٧)
فَضَلَّتْ عَدَاوَتُهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ * وَأَبَتْ ضَبَابُ صُدُورِهِمْ لَا تَنْزِعُ ^(٨)
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ ^(٩) * حَدَّجُوا قَنَاظًا بِالنَّيْمَةِ تَمْرَعُ ^(١٠) ^(١١)

(١) في النسخة الفتوغرافية «من يعنه» وفي الألمانية «من يعينه» . وما وضعناه والزيادة عن

العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضليات : يزجي النائم ، أى يسوقها .

(٣) رواه صاحب المفضليات : ذاك السَّيِّئُ . (٤) الأخدع : عرق في العنق في موضع

الحجامة . (٥) مشعشع : ممزوج . (٦) ينسع : يؤذى جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هذا

البيت في المفضليات هكذا : * بين القوابل بالعداوة ينسع *

ويُنْشَعُ مِنْ نُشَعٍ فَلَانٌ بِكَذَا : أولع به . (٧) كذا في الأصل . وروى في المفضليات وشواهد "المسند

إليه" من تلخيص المفتاح :

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ * يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا

(٨) الضباب جمع ضَبٍّ ، والمراد به : الغل المعن في الصدر إمعان الضب في حجره . (٩) دمس :

اشتدت ظلمته . (١٠) حدجوا قناظ : رحلوا ، أراد أنهم يسهرون بالنيمة والاحتياال في الشر كما

يسهر القنفذ ، لأنه يسير ولا ينام ليله أجمع . كذا في شرح المفضليات . (١١) تمزع : تسرع .

وقال أبو دَهَبِلٍ الْجُمَحِيُّ :

وقد قَطَعَ الواشونَ ما كان بيننا * ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أحوجُ
رَأَوْا عورةً فاستقبلوها بِأَبْهِمِ^(١) * فراحوا على ما لا يُحِبُّ وأدْجَسُوا
وكانوا أناساً كنتُ آمنُ غيَيبَهُم * فلم ينههم حِلْمٌ ولم يتَحَرَّجُوا

وقال بَشَّارُ :

تَشْتَبِي قُرْبَكَ الرَّبَّابُ وَتَخْشَى * عَيْنَ وَاشٍ وَتَبْقَى أَسْمَاعُهُ
أَنْتَ مِنْ قَلْبِهَا مَحَلُّ شَرَابٍ * تَشْتَبِي شُرْبَهُ وَتَخْشَى صُدَاعَهُ

وقال أبو نُؤَاسٍ :

كنتُ من ألحَبِّ في ذُرَى نَبِقٍ^(٢) * أَرُودُ مِنْهُ مَرَادَ مَوْسُوقٍ^(٣)
حتى ثَنَانِي عَنْهُ تَخْلُقُ وَاشٍ * كَذِبَةٌ لَفَّهَا بِتَرْوِيقٍ
جُبْتُ قَفَا مَا نَمَتْهُ مُعْتَذِرًا * مِنْهُ وَقَدْ فُزْتُ بَعْدَ تَخْرِيقٍ^(٤)
كَقَوْلِ كَسْرَى فِيمَا تَمَثَّلَهُ * مِنْ قُرْصِ آلِصِّ ضَجَّةِ السُّوقِ

وقرأت في كتاب للهند: قلما يمنع القلب من القول إذا تردد عليه، فإن الماء ألين من القول والحجر أصلب من القلب، وإذا انحدر عليه وطال ذلك أثر فيه، وقد تُقطع الشجرة بالفؤوس فتنبت ويقطع اللحم بالسيوف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه، والنصول تغيب في الجوف فتزغ والقول إذا وصل إلى القلب لم يزغ، ولكل حريق مطفىء: للنار الماء، وللسم الدواء، وللحزن الصبر، وللعشق الفارقة، ونار الحقد لا تنجى.

(١) بأبهم : بجمعهم . (٢) نبق : مرتفع .

(٣) في النسخة الفتوغرافية «فيه» .

(٤) في الأصلين ونسختي الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تخريق * وما أثبتناه ٢٠

رواية في هامش النسخة الألمانية . وبها يستقيم الوزن .

وقال طرفة بن العبد :

وتصدُّ عنك مخيلة الرجل العريض موصحةً عن العظم
يحسام سيفك أو لسانك والكلم الأصيل كأوسع الكلم

ونحوه قوله :

* والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر *

وقال امرؤ القيس :

* وجرح اللسان بجرح اليد *

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة فقال لأصحابه : إذا شتمت [تتحوا] ^(٢) فلما
تهيا الرجل للكلام قال له : إياك وأن تمدحني فإني أعرف بنفسى منك ، أو تكذبني
فإنه لا رأي لكذوب ، أو تسعى بأحد إلى ، وإن شئت أن أقيلك أقلتك ، قال : أقلني .

١٠

وقال ذو الرياستين : قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة
والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز ، فامقت الساعي على سعايته
وإن كان صادقاً للؤمه في هتك العورة وإضاعة الحرمه ، وعاقبه إن كان كاذباً لجمعه
بين هتك العورة وإضاعة الحرمه مبارزة لله بقول البهتان والزور .

وقال بعض المحدثين لعبد الصمد بن المعدل :

١٥

لعمرك ما سب الأمير عدوه * ولكننا سب الأمير المبالغ

وقال رجل للوليد بن عبد الملك : إن فلاناً شتمك ، فأكب ثم قال : أراه شتمك ،
وأنى رجل ابن عمر فقال له : إن فلاناً شتمك ، فقال له : إني وأخي عاصماً لأنسأب أحداً .
عوانة قال : كان بين حاتم طي وبين أوس بن حارثة الطف ما يكون بين اثنين ،
فقال النعمان بن المنذر لجلسائه : والله لأفسيذن ما بينهما ، قالوا : لا تقدر على ذلك ،

٢٠

(١) في كتاب الشعراء والشعراء : « وترد » ، والعريض : الرجل الذي يتعرض الناس بالشر .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

قال : بلى فقلما جرت الرجال في شيء إلا بلغت به فدخل عليه أوس ؛ فقال : يا أوس ما الذي يقول حاتم ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول إنه أفضل منك وأشرف ؛ قال : أبيت اللعن ، صدق ! والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لأنهبنا في مجلس واحد ، ثم خرج وهو يقول :

يقول لي النعمان لا من نصيحة * أرى حاتم في قوله متطاولا

له فوقنا باع كما قال حاتم * وما النصيح فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقالته لأوس ؛ قال : صدق ، أين عسى أن أقع من أوس ! له عشرة ذكور أحسنهم أفضل مني ، ثم خرج وهو يقول :

يسألني النعمان كي يسترلني * وهيات لي أن أستضام فأصرعا

كفاني نقصا أن أضيم عشيرتي * بقول أرى في غيره متوسعا

فقال النعمان : ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين .

ذكر يعقوب بن داود أيام كان مع المهدي أنه وافاه في يوم واحد ثمانون رقعة كلها سعاية ، منها ستون لأهل البصرة ، وعشرون لسائر البلاد .

وشى وأش برجل إلى الإسكندر ؛ فقال له : أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن أقبل منه ما قال فيك ؟ قال : لا ؛ قال : فكف عن الشريكف عنك الشر .

كتب بعض إخواننا من الكتاب إلى عامل وكان سعي به إليه : لست أنفك فيما بيني وبينك من إحدى أربع : إما كنت محسنا وإنك كذلك فأربب ، أو مسينا ولست به فأبق ، أو أكون ذا ذنب ولم أتعمد فتعمد ، أو مقروفا وقد تلحق به حيل الأشرار فتثبت (ولا تطع كل حلاف مهين همار مشاء بنيم)

باب الكذب والقحة

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا سليمان بن داود عن مسامة بن علقمة عن داود بن أبي هند عن شهر بن حوشب عن الزبير بن النوفل عن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يصلح الكذب إلا في ثلاثة مواضع الحرب فإنها خدعة والرجل يصلح بين اثنين والرجل يرضى امرأته » .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا بربر بن هارون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يكذب من قال خيراً وأصلح بين اثنين » .

قال : حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا أبو داود عن عمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلي : إذا سرك أن تكذب صاحبك فلقنه .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أيتكون المؤمن جباناً ؟ قال : « نعم » قال : أيتكون بخيلاً ؟ قال : « نعم » قال : أيتكون كذاباً ؟ قال : « لا » . قال حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : عاتب إنسان كذاباً على الكذب ، فقال : يا بن أخي لو تغرغرت به ما صبرت عنه . قال : وقيل الكذوب : أصدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق . وقال ابن عباس : الحسب حداث : حدث من فيك وحدث من فرجك . وقال مديني : من ثقل على صديقه خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون . ومثله قول الشاعر :

(١) وفي رواية : « مواطن » . (٢) كذا في الأصول ولم نقف في كتب التراجم على من يسمى بربر

ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨

(٣) تغرغرت به : ردته في حلقك .

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّةٍ * ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا * أَسْرَعُ مِنْ مُنْهَدِرٍ سَائِلِ

بلغني عن وكيع عن أبيه عن منصور قال : قال مجاهد : ^(١) [كل] ما أصاب الصائم شؤي ^(٢) ما خلا الغيبة والكذب . وقال سليمان بن سعد : لو صحبني رجل فقال : أشرتُ خصلةً واحدة لا يزيد عليها ، لقلت لا تكذبني . كان ابن عباس يقول : الكذب بخور ، والنميمة سحر ، فمن كذب فقد جفرت ، ومن نمت فقد سحر . وكان يقال : أَسْرَعُ الْأَسْتِغَاةِ وَأَبْطَى التَّحْقِيقِ . قال الأحنف : ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا أغتاب مؤمن . وكانوا يحلفون فيحشون ويقولون فلا يكذبون . ذم رجل رجلا فقال : اجتمع فيه ثلاثة : طبيعة ^(٣) العقق يعني السرقة ، وروغانُ الثعالب يعني الحب ، ولمعانُ البرق يعني الكذب . ويقال الأذلاء أربعة : النمام والكذاب والمدين والفقير . قال ابن المقفع : لا تتأوّن بإرسال الكذبة في المنزل فإنها تُسرِعُ في إبطال الحق . وقال الأحنف : آثان لا يجتمعان أبدا : الكذب والمروءة . وقالوا : من شريف الصّدق أن صاحبه يُصدّق على عدوه . وقال الأحنف لابنه : يا بني اتّخذ الكذب كنزاً ، أي لا تُخرجه . وقيل لأعرابي كان يُسهب في حديثه : أما لحديثك هذا آخر؟ فقال : إذا أقطع وصلته . وقال ابن عمر : «زعموا» ^(٤) زاملة الكذب . كان يقال : علة الكذب أقبحُ علة ، وزلة المتوقى أشدُّ زلة . كان المهلب كذابا وكان يقال له : راح يكذب . وفيه يقول الشاعر

(١) الزيادة عن اللسان في مادة «شوى» . (٢) أى : شئ ، يسير هين . وأصل الشوى الأطراف

ومعنى الحديث أن كل شئ ، أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست بمقاتل ، ما عدا الغيبة والكذب فإنهما في تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان . (٣) العقق : طائر على قدر

الحماة وهو على شكل الغراب ويقال له : الققعق ، والعرب تشاءم به وتضرب به المشل في السرقة والحيانة والخبث . (٤) الزاملة : الدابة التي يحمل عليها ، يريد أن لفظ «زعموا» عطية الكذب

(١) تبدلت المنابر من قريش * مزونياً بفقحة الصليب
فأصبح قافلاً كرم وجود * وأصبح قادمًا كذب وحوب

قال رجل لأبي حنيفة : ما كذبت كذبة قط ؛ قال : أما هذه فواحدة يشهد بها عليك . قال ميمون بن ميمون : من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يميز صدقه . قال أبو حية الثميري — وكان كذاباً — : عن لي طبي فرمته فراغ عن سهمي .
فعارضه والله السهم ، فراغ فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الخبارات . وقال أيضا :
رمت طبيه فلما نفذ السهم ذكرت بالطيبة حبيبة لي فشددت وراء السهم حتى قبضت على قذذه .
وصف أعرابي امرأة فقيل : ما بلغ من شدة حبك لها ؟ قال : إني لأذكرها وبنى وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها ريح المسك .

أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك :

ثلاث وأثنتان فهن خمس * وسادسة تميل إلى شام
فبتن يجاني مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام
كان مفايق الرمان فيه * وجر غصبا قعدن عليه حامي

فقال له سليمان : ويحك يا فرزدق ، أحلت بنفسك العقوبة ، أقررت عندى بالزنا وأنا إمام ولا بد لي من أن أحلك ، فقال الفرزدق : بأي شيء أوجبت علي ذلك ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن كتاب الله هو الذي يدرأ عني الحد ، قال : وأين ؟ قال : في قوله :
(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)
فأنا قلت يا أمير المؤمنين ما لم أفعل ، وقول الشاعر :

وإنما الشاعر مجنون كلب * أكثر ما يأتي على فيه الكذب

(١) كذا في لسان العرب في مادة « مزن » والذي في الأصل « المنازل » .

(٢) في الأصل « الخبارات » وفي الأغاني « الجبانات » وفي البيان والتبيين « الجنارات » والتصويب عن الشعراء لابن قتيبة . والخبارات جمع خبارة وهي ما لان وأسترني من الأرض وساخت فيها القوائم وفي المثل « من تجنب الخبارات من العثار » .
(٣) القذذ جمع قذة : ريش السهم .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ مِنَ البَلِيَّةِ بَعْضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ
مَهْمَا سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ * مِنْ غَيْرِهِ تُسَبَّتْ إِلَيْهِ

وقال بشار :

وَرَضِيْتُ مِنْ طُوبِ العَنَاءِ بِأَيْسِهِ * وَالْيَأْسُ أَيْسَرُ مِنْ عِدَاتِ الكَاذِبِ

والعرب تقول : «أَكْذَبُ مَنْ سَالَتْ»^(١) وهي تكذب مخافة العين على سَمْنِهَا . و«أَكْذَبُ مِنْ مُجَرَّبٍ» لأنه يخاف أن يُطَلَّبَ مِنْ هِنَائِهِ . و«أَكْذَبُ مِنْ يَلْمَعٍ» وهو السراب ، منصور ابن سَلَمَةَ الخَزَاعِيّ قال حَدَّثَنَا شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ أَبُو مَعْمَرٍ الْخَطِيبُ قال : سَمِعْتُ ابْنَ سِيرِينَ يَقُولُ : الْكَلَامُ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَكْذِبَ ظَرِيفٌ . وقال في قول الله عز وجل : (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معاريض الكلام . وقال القيني : أَصْدُقُ فِي صِغَارِ مَا يَضُرُّنِي لِأَصْدَقَ فِي كِبَارِ مَا يَنْفَعُنِي . وكان يقول : أنا رجل لا أبالي ما آسَقِلْتُ بِهِ الْأَحْرَارَ . نافر رجل من جَرَمِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فقال لِلْجَرْمِيِّ : أَيْ بِالْجَاهِلِيَّةِ تُفَاخِرُهُ أَمْ بِالْإِسْلَامِ ؟ فقال : بِالْإِسْلَامِ ، فقال : كَيْفَ تُفَاخِرُهُ وَهُمْ آوَوْا رَسُولَ اللَّهِ وَنَصَرُوهُ حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ ؟ قال الْجَرْمِيُّ : فَكَيْفَ تَكُونُ قَلَّةُ الْحَيَاءِ . وقال آخر : إِنَّمَا قَوِيْتُ عَلَى خِصْمِي بِأَنِّي لَمْ أُسْتَرِ قَطُّ بِشَيْءٍ مِنَ الْقَبِيحِ . وذكر أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : لَوْ دُقَّ وَجْهُهُ بِالْحِجَارَةِ لَرَضَّهَا ، وَلَوْ خَلَا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ لَسَرَقَهَا . قيل لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ : بِأَيِّ شَيْءٍ غَلِبْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : أَهَبْتُ الْأَحْيَاءَ وَأَسْتَشْهِدُ الْمَوْتَى . وقال طَرِيحُ الثَّقَفِيُّ يَذَمُّ قَوْمًا :

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ عَلِمُوا * شَرًّا أَذْبَعُوا وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَّبُوا

(١) في مجمع الأمثال "السائلة" بالتعريف ، وهي التي تسلا السمن أو تطبخه وتعالجه ، قال الميبداني في مجمع الأمثال : وكذبها أنها تقول : قد ارتجى ، قد احترق . والارتجان ألا يخلص سمنها .
(٢) الهناء : القطران .

وكان يقال : آثان لا يتفقان أبداً : القناعة والحسد ، وآثان لا يفترقان أبداً : الحرص والقحة ، وقال الشاعر :

إِن يَخْلُوا أَوْ يَغْدِرُوا * أَوْ يَفْخَرُوا لَا يَخْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجِّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا
كَأَنِّي بَرَأَقَشٌ كُلُّ لَوْ : إِن لَوْنُهُ يَتَخَيَّلُ

هجا أبو الهول الحميري الفضل بن يحيى ثم أتاه راغباً إليه ، فقال له الفضل : ويلك بأي وجه تلقاني ! قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر ، فضحك ووصله .

ومن أمثال العرب في الوقاح « رمتني بدائها وأنسلت » . وقال الشاعر :

أَكُولُ لِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ إِذَا شَتَا * صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الثَّنَاءِ وَقَاحٌ

قال رجل لقوم يغتابون ويكذبون : تَوَضُّؤُوا فَإِنَّ مَا تَقُولُونَ شَرٌّ مِنَ الْحَدِّثِ . وبلغني
عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قلت لعبيدة : ما يوجب الوضوء ؟ قال :
الحدّث وأذى المسلم . روى الصّلت بن دينار عن عتبة عن أنس بن مالك قال : بعثني
أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر ، فسألني عن أحوال الناس ثم قال : كيف يصلح
أهل بلدك ؟ قال : أهل هذه الحيا : بكر بن وائل وبنو تميم ، كذب بكر وبخل تميم . ذكر
بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيده البحرين فقال : البحر كثير العجائب ، وأهله أصحاب
تزيّد ، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصّدق ، وأدخلوا ما يكون فيما يكاد لا يكون ،
وجعلوا تصديق الناس لهم في غريب الأحاديث سُلماً إلى أدعاء المحال .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : كان يقال : الصّدقُ أحياناً محرمٌ .

(١) جزم « يغدوا » لأنه يدل من « لا يخفلوا » فإن غدوهم مرجلين هو في معنى أنهم لم يخفلوا . كذا
يؤخذ من اللسان . والترجيل : مشط الشعر وإرساله . (٢) أبو براقش : طائر يلقون ألواناً شبيهة بالقنفذ
أعلى ريشه أغبراً وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا انتفش تغير لونه ألواناً شتى . كذا في اللسان .
(٣) كما يستعمل الثناء في ذكر المرء بالخير يستعمل في ذكره بالشر .

حدثني شيخنا عن أبي معاوية قال حدثنا أبو حنيفة عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : ما كذبت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذبة واحدة ، كنت أرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بجاء رجل من الطائف فقلت : هذا يغلبني على الرجال ، فقال : أي الرجال أحب إلى رسول الله ؟ فقلت : الطائفة المكية ، فرحل بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ رَحَلَ لَنَا هَذَا" فقالوا : الطائفة ، فقال : "مُرُوا عَبْدَ اللَّهِ فَلْيُرَحَلَ لَنَا" فعدت إلى الرجال .

باب سوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ سَوْءُ الْخُلُقِ وَالْبُخْلُ" .

قال وحدثني أحمد بن الخليل عن أزهر بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل بن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر [قال] : قيل : يا رسول الله ما الشؤم ؟ قال : "سَوْءُ الْخُلُقِ" .

قال وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ» .

قال وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : حدثني شيخ يمني قال : صحب أيوب رجل في طريق مكة فأذاه الرجل بسوء خلقه ، فقال أيوب : إني لأرجمه لسوء خلقه .

قال وحديثي عبدالرحمن عن الأصمعي قال : قال أبو الأسود : لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم . وأوصى بنيه فقال : لا تجاؤدوا الله فإنه أجد وأجود ، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعل ، فلا تجهّدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزلًا . قال : وسمع رجلا يقول : من يعشّ الجائع ؟ فقال : على به ، فعشاه ثم ذهب ليخرج ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أهلي ، قال : هيات ، على ألا تؤذي المسلمين الليلة ، ووضع في رجليه الأدهم حتى أصبح . قال : وأكل أعرابي معه تمرًا فسقطت من يده الأعرابي تمرًا فأخذها وقال : لا أدعها للشيطان ، فقال أبو الأسود : لا والله ولا لجبريل . نظر ابن الزبير يوما إلى رجل وقد دق في صدور أهل الشام ثلاثة أرماع فقال : أعتزل حربنا فإن بيت المال لا يقوم لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه كان يأكل في كل سبعة أيام أكلة ويقول في خطبته : إنما بطني شبر في شبر وما عسى أن يكفيني . وقال أبو وبرة مولى آل الزبير :

لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد * أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
فإن تصبك من الأيام جائحة * لأنك منك على دنيا ولا دين
وفيها يقول :

مازلت في سورة الأعراف تدرسها * حتى فؤادك مثل الخرف في الدين
وفيها يقول :

إن أمرا كنت مولاه فضيعني * يرجو الفلاح لعندي حق مغبون
وفيه يقول آخر :

رأيت أبا بكر — ورثك غالب * على أمره — يبغي الخلافة بالتمر

هذا حين قال : أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي . وقال بعض الشعراء :

مِنْ دُونَ سَيِّئِكَ لَوْ أَنَّ لَيْلٍ مُّظْلِمٍ * وَخَفِيفُ نَابِغَةٍ وَكَلْبٌ مُّوسَدٌ ^(١) ^(٢) ^(٣)
وَأَخْوَكٌ مُّحْتَمِلٌ عَلَيْكَ ضَغِينَةٌ * وَمَسِيفٌ قَوْمِكَ لَا تُمُّ لَا يَحْمَدُ ^(٤)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَاخٍ ^(٥) : لَا بَلَّ أَحْبَبُهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ

وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ فَقَالَ :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ لَا تَنْخَشُ ضِلَّةً * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ
لَنَا سَيِّدٌ أَرْبَى عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ * جَوَادٌ حَثَا فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ ^(٦)

فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ يَهْجُوهُ :

لِكُلِّ أَنْحَى مَدَحٍ ثَوَابٌ يُعِدُّهُ * وَلَيْسَ لِمَدَحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابُ
مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْزَةٌ * فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابُ

وَقَالَ فِيهِمُ الْمَمَزُّوقُ الْحَضْرَمِيُّ :

إِذَا وَلَدَتْ حَالِيْلَةٌ بَاهِلِيٌّ * غَلَامًا زَيْدَ فِي عَدَدِ اللَّثَامِ
وَعَرَضُ الْبَاهِلِيِّ وَإِنْ تَوَقَّى * عَلَيْهِ مِثْلُ مَنَدِيلِ الطَّعَامِ
وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ بَاهِلِيًّا * لَقَصَّرَ عَنْ مُسَامَاةِ الْكِرَامِ

وَدَخَلَ قُدَامَةُ بْنُ جَعْدَةَ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِالْبَابِ الْأَمُّ
الْعَرَبُ ، قَالَ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : سَأَلُونِي رَسُولُ مُحَارِبِي إِلَى بَاهِلِيٍّ ، فَضَحِكَ قُتَيْبَةُ . وَقَالَ آخَرُ

(١) السبب : العطاء ، وفي النسختين الفتوغرافية والألمانية : « شبيك » بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) النابغة بالجم (كما في الألمانية) وبالحاء (كما في الفتوغرافية) : الريح الشديدة فكلاهما صحيحة .

(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ، ماله فافتقر .

(٥) الأسود الساخ : الأفعى ، ووصف بالساخ لأنه ينسلخ جلده كل عام . (٦) في النسخة

الألمانية « بجني » والفتوغرافية « حني » وكلاهما تحريف والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ١٠٧

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخَفُّوا كَلَامَهُمْ * وَأَسْتَوْتُهُ وَمِنْ رِثَاجِ الْبَابِ وَالذَّارِ
لَا يَقْبِيسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ * وَلَا تُكْفِّ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائي من أهل حمص :

سَمْتُ الْمَدِيحِ رِجَالًا دُونَ قَدِيرِهِمْ * صَدُّ قَبِيحٍ وَلَفْظٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزُ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ * رِجُلٌ الْبَعُوضَةُ مِنْ نَخَّارَةِ اللَّيْلِ

وقال آخر :

أَلَامٌ وَأُعْطِيَ وَالْبَخِيلُ مُجَاوِرِي * إِلَى جَنْبِ بَيْتِي لَا يَلَامُ وَلَا يُعْطَى

ونحو هذا قولهم : مَنَعَ الْجَمِيعَ أَرْضِي لِلْجَمِيعِ . وقال بشار :

أَعْطَى الْبَخِيلُ فَمَا أَنْتَفَعْتُ بِهِ * وَكَذَلِكَ مَنْ يُعْطِيكَ مِنْ كَدَرِهِ

١٠ قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تُتَفَقَّ فَإِنَّ مَالَكَ عَرِيضٌ ؟ قال : الدهرُ أعرَضُ
منه ، قيل له : كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله ؟ قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

قال الجاحظ : قلتُ مَرَّةً لِلْحِزَامِيِّ : قد رَضِيتَ بِقَوْلِ النَّاسِ : عبدُ اللَّهِ بَخِيلٌ ، قال :
لَا أَعْدَمَنِي اللَّهُ هَذَا الْأَسْمَ ، قلتُ : كيف ؟ قال : لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ فَلَانٌ بَخِيلٌ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ .
فَسَلَّمْ لِي الْمَالَ وَأَدْعِنِي بِأَيِّ أَسْمٍ شِئْتَ ، قلتُ : وَلَا يُقَالُ سَخِيٌّ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ ، فَقَدْ
١٥ جَمَعَ هَذَا الْأَسْمُ الْمَالَ وَالْحَمْدَ وَجَمَعَ هَذَا الْأَسْمُ الْمَالَ وَالذَّمَّ ، قال : بَيْنَهُمَا فَرْقٌ ،
قلتُ : هَاتِهِ ، قال : فِي قَوْلِهِمْ بَخِيلٌ تَثْبِيْتُ لِإِقَامَةِ الْمَالَ فِي مِلْكِهِ ، وَفِي قَوْلِهِمْ سَخِيٌّ
إِخْبَارٌ عَنْ خُرُوجِ الْمَالَ عَنْ مِلْكِهِ ، وَأَسْمُ الْبَخِيلِ أَسْمٌ فِيهِ حَزْمٌ وَذَمٌّ ، وَأَسْمُ السَّخَاءِ أَسْمٌ
فِيهِ تَضْيِيعٌ وَحَمْدٌ ، وَالْمَالَ رَاهِنٌ نَافِعٌ وَمُكْرِمٌ لِأَهْلِهِ مُعِزٌّ ، وَالْحَمْدُ رِيحٌ وَسُخْرِيَةٌ وَأَسْتِمَاعُهُ

ضَعُفٌ وَفُسُولَةٌ^(١)، وَمَا أَقَلَّ وَاللَّهِ غَنَاءَ الْحَمْدِ عَنْهُ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ وَغَرِيَّ جِلْدُهُ وَضَاعَ عِيَالُهُ وَشِمِتَ عَدُوُّهُ^(٢) ! .

وكان محمد بن الجهم يقول : مِنْ شَأْنٍ مَنْ أَسْتَغْنَى عَنْكَ أَلَّا يُقِيمَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ أَلَّا يَذْهَبَ عَنْكَ ، فَمَنْ ضَمَّ بِصَدِيقِهِ وَأَحَبَّ الْأَسْتِكْثَارَ مِنْهُ وَأَحَبَّ التَّمَتُّعَ بِهِ أَحْتَالَ فِي دَوَامِ رَغْبَتِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَا يَقُوتُهُ وَيَتَنَعَّه مَا يُغْنِيهِ عَنْهُ ، فَإِنْ مِنَ الزَّهْدِ فِيهِ أَنْ تُغْنِيَهُ عَنْكَ وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِيهِ أَنْ تُحَوِّجَهُ إِلَيْكَ ، وَإِيقَاؤُكَ مَعَ الضَّئِيفِ بِهِ أَكْرَمُ مِنْ إِغْنَائِكَ لَهُ مَعَ الزَّهْدِ فِيهِ ، وَقِيلَ فِي مِثْلِ : « أَجْعَلْ كَلْبَكَ يَتَّبِعُكَ » . فَمَنْ أَغْنَى صَدِيقَهُ فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى الْغَدْرِ وَقَطَعَ أَسْبَابَهُ مِنَ الشُّكْرِ ، وَالْمَعِينُ عَلَى الْغَدْرِ شَرِيكُ الْغَادِرِ ، كَمَا أَنَّ مُرَيَّرَ الْفُجُورِ شَرِيكُ الْفَاجِرِ . قَالَ : وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ : يَرْغَمُونَ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الثَّلَاثُ ، وَالثَّلَاثُ كَثِيرٌ » ، وَأَنَا أَزْعِمُ أَنَّ ثَلَاثَ الثَّلَاثِ كَثِيرٌ ، وَالْمَسَاكِينُ حَقُوقُهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، إِنْ طَلَبُوا طَلَبَ الرِّجَالِ أَخْذُوهُ ، وَإِنْ جَلَسُوا جَلُوسَ النِّسَاءِ مَنَعُوهُ ، فَلَا يَرْغَمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَهُمْ وَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ يَرْحَمُهُمْ .

تَقَدَّمَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى سَوَّارٍ أَحَدُهُمَا يُنَازِعُ مَوْلَى لَهُ فِي حَدِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوهُ مَوْلَاهُ ، فَقَالَ سَوَّارٌ : أَتُنَازِعُ مَوْلَاكَ فِي حَدِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوكَ إِيَّاهُ ! ، فَقَالَ : الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ الظَّالِمِ ، فَرَفَعَ سَوَّارٌ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَرُدُّهُ عَلَى قُرَيْشٍ أَخْطَأَهَا .

(١) كذا في النسخة الألمانية ، والفُسُولَةُ : النَّدَالَةُ وَقِلَّةُ الْمَرْوَةِ ، وَفِي الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ « فُسُولَةٌ » وَهِيَ تَحْرِيفٌ .

(٢) كَتَبَ بِهَا مَشْ الْأَصْلُ الْفَتْوَعَرَفِي بِمَنْسَبَةِ الدِّفَاعِ عَنِ الْبُخْلِ مَا نَصَّهُ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا رَأَيْتُ

أَتَمُّهُضَ جَانِبًا لِلْبُخْلِ وَالْبَخْلَاءِ وَأَبْيَنَ كَلَامًا وَأَصْدَقَ حُجَّةً وَأَبْعَدَ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ الرَّاهِيَةِ وَالْقَضَايَا الْمُرَدَّةِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَلَوْلَا [أَنَّ] السَّخَاءَ سَجِيَّةً مِنَ السَّجَايَا الرَّاسِخَةِ فِي أَنْفُسِ الْأَسْخِيَاءِ كَادَ وَاللَّهُ يَهْدِمُ رُكْنَهُ وَيَمِيلُ

عَمَادَهُ وَيَكْدِرُ مَوْرَدَهُ بِلِ وَيَمْنَعُ السَّحَابُ مِنَ الْمَطَرِ وَالْبَحْرُ مِنْ رِشْحِ النَّظَرِ وَإِنْ هَذَا لَمِنْ إِحْدَى الْكَبِيرِ » ١٥ .

(٣) فِي النُّسَخَتَيْنِ « تَصَدِّقُهُ » وَظَاهِرٌ أَنَّهُ مُحَرَّفٌ عَمَّا أُمْتَنَاهُ . (٤) الْأَخْطَارُ جَمْعُ خَطَرٍ وَهُوَ الشَّرَفُ ،

وَبِهَذَا مَشْ الْأَصْلُ الْفَتْوَعَرَفِي فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ : « إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ حَتَّى لَا يَغْلِبُوا النَّاسَ أَقْلَةً مَا يَبْدُوهُمْ » .

وقال الخزرجي :

إِنَّ جُودَ الْمَكِّيِّ جُودٌ حِجَازِيٌّ وَجُودُ الْحِجَازِيِّ فِيهِ أَقْتَصَادُ
كَيْفَ تَرْجُو النَّوَالَ مِنْ كَفِّ مُعْطٍ * قَدْ غَدَّتْهُ الْأَقْرَاصُ وَالْأُمْدَادُ

نظر سليمان بن مُزَاحِم إلى درهم فقال : في شِقِّ « لا إله إلا الله محمد رسول الله »
وفي وجه آخر « الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ » ، ما ينبغي أَنْ يكون هذا إلا
مَعَاذَةً وَقَدْفَةً فِي الصُّنْدُوقِ . أَنشَدَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هَانِيٍّ صَاحِبُ الْأَخْفَشِ عَنْ
الْأَخْفَشِ لِلْخَلِيلِ :

كَفَاهُ لَمْ تُخَلِّقَا لِلنَّدَى * وَلَمْ يَكُ بِخُلُوبِهِمَا بِدَعَةٌ
فَكَفَّ عَنِ الْخَيْرِ مَقْبُوضَةٌ * كَمَا نَقَصَتْ مِائَةٌ تِسْعَةٌ
وَكَفَّ ثَلَاثَةٌ آلَافَهَا * وَتَسْعُمِيهَا لَهَا شِرْعَةٌ

(١) في الأصابع بعد قوله القِيَوْمُ كلمة « فقال » والسياق يأبى وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية في نهاية
الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكر بها هذه الكلمة . (٢) كذا في اللسان
مادة شرع . وفي الأصلين « يخلقنا » والكف مؤنث لا مذكر . وفي المصباح مادة كفف :
« قال ابن الأنباري » : وزعم من لا يوثق به أَنَّ الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق بعلمه

(٣) في تاج العروس واللسان مادة شرع : كَمَا حُطَّ عَنْ مِائَةٍ سَبْعَةٍ * ١٥

وقد قيل : إن العرب حسابا خاصا غير ماهر معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلاً منها
بإزاء عدد مخصوص ثم رتبوا لأوضاع الأصابع آحاداً وعشرات ومئات وألوفاً ، فيشار عن الواحد مثلاً بقبض
الخنصر وعن الاثنين بقبض البنصر وهكذا ، فالعدد الذي أراده الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم
في هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجعل السبابة حذقة
غير مجوفة لتدل على عدد تسعين ، وهذا ترجيح رواية اللسان على رواية الأصل . وكذلك تقضى قواعدهم في عدد
الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبنصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سبابة اليسرى
حلقة غير مجوفة لتدل على عدد تسعمائة . انظر « بلوغ الأرب في أحوال العرب » ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩
(٤) يقال : هذا شرية ذلك أي مثاله ؛ عن اللسان . ٢٠

قال أبو علي الضير :

لعمراً بيك ما نُسبُ المَعْلَى * إلى كرم وفي الدنيا كريمُ
ولكن البلاد إذا أقشعت * وصَوَّحَ نبشها رعى الهشيمُ

وقال آخر :

أَمِنْ خوف فقير، تعجلته * وأخرت إنفاق ما تجمعُ
فِصْرَتِ الفقير وأنت الغني * وهل كنت تعدو الذي تصنعُ

خوف رجل رجلاً جواداً الفقراً وأمره بالإبقاء على نفسه، فكتب إليه : إني أكره
أن أترك أمراً قد وقع، لأمر لعله لا يقع . وقال أبو الشَّمَقْمَق :

رَأَيْتُ الْخَبْرَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى * حَسِبْتُ الْخَبْرَ فِي جَوِّ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحَتَنَا لِتَسْدُبَّ عَنَّا * وَلَكِنْ خِفْتَ مَرِزِيَّةَ الدُّبَابِ

وقال دَعْبِل :

صَدَّقُ أَلَيْتَهُ إِذْ قَالَ مُجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفَ، فَذَاكَ الْبَرُّ مِنْ قَسَمِهِ
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ * عَلَى جَرَادِقِهِ كَانَتْ عَلَى حَرَمِهِ
فَإِنْ هَمَمْتَ بِهِ فَافْتِكُ بِخَبْرَتِهِ * فَإِنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ

وقال الشاعر :

أَرْفُقُ بِحَفِصٍ حِينَ تَأْتِ * كُلُّ يَامَعَاوِيٍّ مِنْ طَعَامِهِ
الْمَوْتُ أَيْسَرُ عِنْدَهُ * مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ وَالتَّقَامِهِ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ التَّزْيِيلِ بِهِ يُرَوِّعُ فِي مَنَامِهِ
سَيَّانَ كَسْرُ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسْرُ عَظَمِهِ مِنْ عِظَامِهِ

(١) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفتوغرافية "الخير" بدل "الخبز" .

(٢) جمع جرذ أو جرذقة، وهو الرغيف، وفي النسخة الألمانية «جرادقه» وهو اللغة الأصلية فيه .

لا تكسرت رغبته * إن كنت ترغب في كلامه
وإذا مررت ببابه * فاحفظ رغبك من غلامه

وقال أبو نواس :

خبر إسماعيل كالوشى إذا ما ألتقى يرفاً
عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
إن رقاءك هذا * أحذق الأمة كفاً
فإذا قابل بالنصف من أجر ذق نصفاً
أحكم الصنعة حتى * لا ترى موضع إشفى
مثل ما جاء من التنشور ما غادر حروفاً
وله في الماء أيضاً * عمل أبداع ظروفاً
مرجه العذب بماء الشبركي يزداد ضعفاً
فهو لا يشرب منه * مثل ما يشرب صرفاً

باب الحمق

قال الشعبي لرجل أستجئله : ما أخرجك إلى مخرج شديد القتل جيد الجلاز
عظيم الثمرة لدن المهزة يأخذ منك فيما بين عجب الذنب ومغزى الدنق فتكثر له رقصاتك
من غير جدل ، فقال : وما هذا ؟ فقال : بعض الأمر .

(١) في النسخة الفتيوغرافية : « أرفق » . (٢) في ديوان أبي نواس " مغز " .

(٣) الإشفى : المنيب . (٤) في ديوان أبي نواس : " لا يبتك " ، وفي هامش النسخة الفتيوغرافية

" يوضح الرؤية التي هنا ، وهو أن يقدر منقول الفعل الثاني هو : البئر وبصير المعنى : لا يشرب من

المخرج مثل ما يشرب من ماء البئر ، لأن في المخرج من العذب ما يحمله على الخرص والتفتير .

(٥) في هامش النسخة الفتيوغرافية " المخرج : السوط ، والجلاز : جودة القتل ، ولدن : أى لين " .

(٦) ثمرة السوط : عتق طرفه . (٧) عجب الذنب : العظم الذى فى أسفل الصلب عند العجز .

قال حدثني القومسي عن محمد بن الصلت الأسدي عن أحمد بن بشير عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عطاء عن جابر قال : كان في بني إسرائيل رجل له حمار ، فقال : يا رب لو كان لك حمار اعلفته مع حماري هذا ، فهم به نبي ، فأوحى الله إليه : إنما أُثيب كل إنسان على قدر عقله .

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش عن أبيه عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن رجلاً رأى في المنام أن له غنماً وكأنه يُعطى بها ثمانية ثمانية ، ففتح عينه فلم ير شيئاً ، فغمض عينه ومدّ يده وقال : هاتوا أربعة أربعة .

مر رجل من العباد وعلى عنقه عصا في طرفها زبيلان قد كادا يحطمانه ، في أحدهما برؤ في الآخر تراباً ، فقليل له : ما هذا ؟ قال : عدلت البر بهذا التراب ، لأنه كان قد أمانني في أحد جانبي فأخذ رجل زبيل التراب فقلبه وجعل البر نصفين في الزبيلين وقال له : آحمِلِ الآن ، فحمله ، فلما رآه خفينا قال : ما أعقلك من شيخ ! حفر أعرابي لقوم قبراً في أيام الطاعون بدرهمين ، فلما أعطوه الدرهمين قال : يا بني دعوهما عندكم حتى يجتمع لي ثمن ثوب . كانت أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن جعدة السدوسي عند عثمان بن عفان ، وكانت حمقاء تجعل الخنفساء في فيها ثم تقول : حاجيتك ما في قمّي ؟ وهي أم عمرو وأبان أبن عثمان

إبراهيم بن المنذر قال حدثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : رأيت طارقاً وهو وال لبعض الخلفاء من بني أمية على المدينة يدعو بالغداء فيتغدى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكون فيه العظم المبخ فينكته على رقانة المنبر فيأكله .

قالت أم غزوان الرقاشي لابنها — ورأته يقرأ في المصحف — : يا غزوان، أما تجد فيه بعيراً لنا ضلّ في الجاهلية؟^(١) فما كهرها وقال : يا أمه، أجد والله فيه وعداً حسناً ووعداً شديداً .

سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى قال : قال ابن أبي عمير لرجل : ما أسمك؟ قال : وثاب . قال : فما كان اسمك؟ قال : عمرو . قال : واخلافاه !

قال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث : العجب ، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه . وأن ينهى عن شيء ويأتيه . أغمى على رجل من الأزد فصاح النساء واجتمع الجيران وبعث أخوه إلى غاسل الموتى بخاء فوجده حياً بعد ؛ فقال أخوه : أغسله فإنك لا تفرغ من غسله حتى يقضى . وقال أردشير : بحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل إنسان ينتهي منه ويغضب إذا نسب إليه . وكان يقال : لا يغرنك من الجاهل قرابة ولا أخوة ولا إلف فإن أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها .

قال عمر بن عبد العزيز : خصلتان لا تعدمانك من الجاهل : كثرة الالتفات وسرعة الجواب . وقال عمر بن الخطاب : إياك وهؤلاء الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك . وقال بعضهم : لأن أراول أحمق أحب إلي من أن أراول نصف أحمق ؛ يعني الأحمق المتعاقل . وقال هشام بن عبد الملك : يعرف حق الرجل بأربعة : بطول لحيته . وبشاعة كنيته ، ونقش خاتمه ، وإفراط شهوته ؛ فدخل عليه ذات يوم شيخ طويل العتون ، فقال هشام : أها هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين هو من الثلاث ؛ فقيل له : ما كنيته؟ فقال : أبو الياقوت ؛ وقالوا : ما نقش خاتمك؟ قال : (وجاءوا على

(١) كهر كنع : اتبر . (٢) في النسخة الألمانية : "لا تعد مابك" ، وفي الفتوغرافية

"لا يعد مابك" ولعل ما أثبتناه أقرب إلى الصواب .

قَمِيصِهِ يَدِيمُ كَذِبٍ) . وفي حكاية أخرى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدُودَ) ؛
فَقِيلَ لَهُ : أَيْ الطَّعَامُ تَسْتَهِي ؟ فقال : جَانَجَيْنِ^(١١) ، وفي حكاية أخرى مصاصية^(١٢) .

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادى رجلا : يَا أَبَا الْعَمْرَيْنِ ، فقال : لو كان له عقلُ
كفاه أحدهما . وقال أبو العجاج يوما لجلسائه — وكان يلى واسيط — : إِنْ الطَّوِيلَ لَا يَخْلُو
مَنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَحَدَى ثَلَاثَ : أَنْ يَفْرُقَ الْكَلَابَ ، أَوْ يَكُونَ فِي رِجْلِهِ قُرْحَةٌ ، أَوْ يَكُونَ
أَحْمَقُ ، وَمَا زِلْتُ وَأَنَا صَغِيرٌ فِي رِجْلِي قُرْحَةٌ ، وَمَا فَرَّقَ الْكَلَابَ أَحَدٌ فَرَقِي ، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ
فَأَتَمُّ أَعْلَمُ بَوَالِيكُمْ . ويقال : الْأَحْمَقُ أَعْلَمُ بِشَأْنِهِ مِنَ الْعَاقِلِ بِشَأْنِ غَيْرِهِ . وقال بشار :
خَلِيلِي إِنْ الْعَسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ * وَإِنِّي يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ^(١٣)

وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا * صَحَوْتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ
ذَرِينِي أَشْبُ هَمِّي بِرَاحٍ فَإِنِّي * أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ كُرْبَةٌ وَمَضِيقُ

وقال رجل : فَلَانٌ إِلَى مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى مَنْ يُدَاوِي بَدَنَهُ . قيل لبعض
الحكماء : مَتَى يَكُونُ الْأَدَبُ شَرًّا مِنْ عَدَمِهِ ؟ قال : إِذَا كَثُرَ الْأَدَبُ وَنَقَصَ الْعَقْلُ .

وقرأت في كتاب للهند : مِنْ أَلْحَقِ النَّاسُ الرَّجُلَ الْإِخْوَانَ بِغَيْرِ وِفَاءٍ ، وَالْأَجْرَ
بِالرِّيَاءِ ، وَمَوَدَّةَ النِّسَاءِ بِالْغُلْظَةِ ، وَنَفَعَ نَفْسَهُ بِضَرِّ غَيْرِهِ ، وَالْعِلْمَ وَالْفَضْلَ بِالْمَدَّةِ
وَالْحَقِيقُ . وفيه : ثَلَاثَةٌ يَهْزَأُ بِهِمْ : مَدْعَى الْحَرْبِ وَلِقَاءُ الرَّحُوفِ وَشِدَّةُ النَّكَايَةِ
فِي الْأَعْدَاءِ وَبَدَنُهُ سَلِيمٌ لَا أَثَرَهُ ، وَمُتَحِلٌّ عِلْمِ الدِّينِ وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَهُوَ غَلِيظُ

(١) في مفردات ابن البيطار ج ١ ص ١٦٦ أنه الورد مربّي بالعسل أو بالسكر . وفي أقرب الموارد أنه
معجون يعمل من الورد والعسل ، فارسي معرب عن « كل » ومعناه ورد و« انكشيين » ومعناه عسل .

(٢) لعلها محرفة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد وهو كما في القاموس طعام من اللحم يطبخ وينقع
في الخل أو يكون من لحم الطير خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولعلها : « العاقل بشأن غيره أعلم من الأحمق بشأنه » لأن الكلام
في ذم الحمق .

الرقبة أسمن من الأئمة، والمرأة الخلية تعيب ذات الزوج . وفيه : مَنْ يَعْمَلُ بِجَهْلٍ
خَمْسَةٌ : مُسْتَعْمِلُ الرِّمَادِ فِي جَنْتِهِ بَدَلًا مِنَ الزَّيْلِ ، وَمُظْهِرُ مَسْتُورِ عَوْرَتِهِ ، وَالرَّجُلُ
يَتَرْتَّبُ بِزِيٍّ الْمَرْأَةَ وَالْمَرْأَةُ تَتَرْتَّبُ بِزِيٍّ الرَّجُلَ ، وَالْمَتَمَلِّكُ فِي بَيْتِ مُضِيْفِهِ ، وَالْمَتَكَلِّمُ بِمَا
لَا يَعْنِيهِ وَلَا يُسَالُّ عَنْهُ . وفيه : الْأَدَبُ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ السُّكْرَ وَيَزِيدُ الْأَحْمَقَ سُكْرًا ،
كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ بَصْرًا وَيَزِيدُ الْخَفَافِيشَ سُوءَ بَصَرٍ . وَكَانُوا يَكْرَهُونَ
أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ .

قال الشاعر في جاهل :

مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَسْتَمْتِعُونَ بِالنَّشَبِ
وَأَنْتَ مِثْلُ الْحَمَارِ أَجَبَسُ لَا تَسْكُو جِرَاحَاتِ السِّنِّ الْعَرَبِ

سمع الأحنف رجلاً يقول : مَا أَبَالِي أَمْدَحْتُ أَمْ هُجِّيتُ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ :
أَسْتَرَحْتُ مِنْ حَيْثُ تَعِبَ الْكَرَامُ .

كَانَ عَامِرُ بْنُ كُرَيْزٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ مِنْ حَمَقٍ قُرَيْشٍ ، نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ
يَخْطُبُ فَأَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ نَجَرَ مِنْ هَذَا وَأَشَارَ إِلَى ذِكْرِهِ .
وَمِنْ حَمَقٍ قُرَيْشٍ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ أَخُو أَبِي جَهْلٍ وَكَانَ أَبُو هَلَبٍ قَامَرَهُ
فَقَمَرَهُ مَالَهُ ثُمَّ دَارَهُ ثُمَّ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ وَأَهْلَهُ وَنَفْسَهُ فَأَتَّخَذَهُ عَبْدًا وَأَسْلَمَهُ قَيْنًا ، فَلَمَّا كَانَ
يَوْمٌ بَدَرَ بَعَثَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ فَقُتِلَ بِبَدْرٍ كَافِرًا ، قَتَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَكَانَ خَالَ عُمَرَ .
وَمِنْ حَمَقٍ قُرَيْشٍ الْأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ ، قَالَ لَهُ يَوْمًا مُجَالِسُوهُ :
مَا بَالُ وَجْهِكَ أَصْفَرًا ! أَتَشْتَكِي شَيْئًا ؟ وَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ يَلُومُهُمْ
وَيَقُولُ لَهُمْ : أَنَا شَاكٍ وَلَا تُعْلِمُونَنِي ! أَلْقُوا عَلَيَّ الثِّيَابَ وَأَبْعَثُوا إِلَى الطَّبِيبِ . وَتَمَارَضَ
مَرَّةً فَعَادَهُ أَصْحَابُهُ وَجَعَلَ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَدَخَلَ شُرَاعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّنْدَبُودِ وَكَانَ أَمْلَحَ

أهل الكوفة ، فعرف أنه متارض فقال : يا فلان كذا أمس بالحيرة فأخذنا الخمر ثلاثين قنينة بدرهم ، والخمر يومئذ ثلاث قناتي بدرهم ، فرفع الأصوص رأسه وقال : كذا مني في كذا من أم الكاذب ، وأستوى جالسا ، فنثر أهله على شراعة السكر ، فقال له شراعة : أجلس لا جلست وهات شرابك ، فشربا يومئذ .

ومن حمق قريش بكار بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهيه أن يجالس خالد بن يزيد بن معاوية لما يعرف من حمق ابنه . فجلس يوما إلى خالد ، فقال بكار : أنا والله كما قال الأول :

« مُرَدَّدٌ فِي بَنِي اللَّحْنَاءِ تَرْدِيدًا »

وكان له باز فقال لصاحب الشرطة : أغلق أبواب المدينة لئلا يخرج البازي .

ومن حمق قريش معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان نظر إلى حمار الطحان يدور الرحا وفي عنقه جُلجلٌ ، فقال للطحان : لم جعلت في عنق الحمار جُلجلا ؟ فقال : ربما أدركتني سائمة أو نعسة فإذا لم أسمع صوت الجُلجل علمت أنه قام فصيحبت به ، فقال معاوية : أرايت إن قام وحرك رأسه ما علمك أنه قائم ؟ قال الطحان : ومن حماري يمثل عقل الأمير . وقال معاوية هذا لأبي امرأته : مالتنا آبتك البارحة بالدم ، فقال : إنها من نسوة يخبان ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر : لقد نكحت آبتك بعصبة ما رأيت مثله قط ، قال : لو كنت عنيينا ما زوجناك .

ومن حمق قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوما : لعن الله الوليد أخي فإنه كان فاجرا ، والله لقد أرادني على أن يفعل بي ، فقال له قائل : أسكت فوالله لئن كان هم لقد فعل .

خطب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحق
لا أتزوجه أبداً ، له برذونان أشهبان فهو يحتمل مئونة اثنين وهما عند الناس واحد .
وأخبرني رجل أنه كان له صديق له برذونان في شية واحدة فكنا لا نظن إلا أن له
برذونا واحداً ، وغلامان يُسميان جميعاً بفتح ، وكان إذا دعا واحداً قال : يفتح الكبير ،
وإذا دعا الآخر قال : يا فتح الصغير .

قال أبو عبيدة : أرسل ابن عجل بن لحيم فرسالة في حلبة بجاء سابقاً ، فقال لأبيه :
يا أبت ، بأى شيء أتميه ؟ فقال : آفاقاً إحدى عينيه وسمه الأعور . وقال الشاعر :

رمتني بنو عجل بداء أبيهم * وأى عباد الله أنوك من عجل !

أليس أبوهم عار عين جواده * فأضحت به الأمثال تضرب في الجهل

ومن عجل "دغة" التي يضرب بها المثل في الجهل ، فيقال : هي دغة بنت مغنج ،
ويقال : دغة لقب ، واسمها مارية بنت زمعة . قال أبو اليقظان : ومن عجل حيان
ابن غضبان ورث نصف دار أبيه فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري
النصف الباقي فتصير كلها لي .

ومن القبائل المشهور فيها الحمق "الأزد" . قال رجل منهم في المهلب بن أبي صفرة :

نعم أمير الرقصة المهلب * أبيض وضاح كتيس الحلب^(٢)

* ينمض بالقوم أنقضاض الكوكب *

(١) يقال : "أحق من دغة" أورده الميداني في مجمع الأمثال وقال في شرحه : إنها مارية بنت مغنج
بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان في مواد «غنج ودغا وجعر» بالغين المعجمة ، وفي شرح القاموس
مادة جعر نقلاً عن البكري في شرح أمالي القائل أن المفضل بن سنان قال : من أعجم العين فتح الميم ومن
أهمها كسر الميم . وها قصة مشهورة أوردها الميداني في مجمع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣

(٢) يقال تيس حلب وتيس ذو حلب . والحلب بقلعة بجعدة غرباً في خضرة تنبسط على الأرض يسيل
منها اللبن إذا قطع منها شيء ، وهي تنبت في القبيظ بالقيعان وشطآن الأودية .

فلما أنشده المهلب، قال : حسبك رحمك الله ! .

ومن أشعارهم :

يأرب جارية في الحى حالية * كأنها عومة في جوف راقود^(١)

وقال آخر منهم :

زياد بن عمرو عينه تحت حاجبه * وأسنانها بيض وقد طر شاربته

وقال عمر بن لحيان يصف إبلا^(٢) :

تصطك ألحيا على دلائها^(٣) * تلاطم الأزدي على عطاءها

وقال أبو حية النخعي :

وكانت غلى دنائهم في دورهم * لغط العتيك على خوان زياد^(٤)

كتب مسلمة بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب : والله ما أنت بصاحب هذا الأمر، صاحب هذا الأمر مغمور مواتور وأنت مشهور غير مواتور؛ فقام إليه رجل من الأزدي فقال : قدم أبك محلاً حتى يقتل فتصير مواتوراً .

قام رجل من الأزدي إلى عبيد الله بن زياد فقال : أصلح الله الأمير، إن امرأتى هلك وأردت أن أتزوج أمتها وأزوج ابني أبتها وهذا عريفي^(٥)، فأعني في الصداق؛ فقال : في كم أنت من العطاء؟ قال : في سبعمائة؛ قال : حطاً عنه أربعمائة، يكفيك ثلثمائة .

(١) دويبة تسبح في الماء . (٢) ورد بالأصلين « عمرو » والتصويب من الكامل

للبرد ص ٣٢٤، ٥٦٣ طبع لبيسج وأما في القالي ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان

مادة « لجا » . (٣) ألحيا جمع لحى على أفعل، وكثرت الحاء لمناسبة الياء، واللى : منبت اللحية .

(٤) العتيك بالألف واللام : نخذ من الأزدي والنسبة إليها عتيكي . ٢٠

(٥) العريف : القيم بأموال القبيلة أو الجماعة من الناس إلى أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم .

ومن حمق الأزدي قبيصة بن المهلب ، رأى جرادا يطير فقال : لا يهولنكم ما ترون
فإن عاقبتها موتى . وقال يوما : رأيت غُرقة فوق بيت . وقال لغلامه : أذهب إلى
بياض الملاء .

ومن حمق العرب كلاب بن صعصة ، خرج إخوته يشترون خيلا وخرج معهم
كلاب بقاء يعجل يقوده ، فقال له إخوته : ما هذا ؟ قال : فرس اشتريته ، قالوا :
يا مائق ، هذه بقرة أما ترى قرنيها ! فرجع إلى بيتهم فقطع قرنيها ، فأولاده يدعون
« بني فارس البقرة » . قال الكمي :
 (١) ولولا أمير المؤمنين وذبه * يخيل عن العجل المبرقع ماصهل

وكان شدرة بن الزبرقان من الحمقى ، دخل يوم الجمعة المسجد فأخذ بعضادتي الباب^(٢)
ثم قال : السلام عليكم ، أليج شدرة ؟ فقالوا له : هذا يوم لا يستأذن فيه ، قال : أفليج
مثلي على جماعة مثلي هؤلاء ولا يعرف مكانه !

عوانة قال : استعمل معاوية رجلا من كلب ، فذكر المجوس يوما فقال : لعن
الله المجوس ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف ما نكحت أُمي ، فبلغ
ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله ! أترونه لو زادوه فعل ! وعزله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : سأل القوم الحارث بن جران أن يعينهم في تأسيس
مسجد ، فقال : قيروه وعلى الودع .

خطب والي اليمامة فقال : إن الله لا يقار على المعاصي عباده ، وقد أهلك أمة
عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم ، فسمى مقوم الناقة .

شرد بعير حبقة ، وأسمه يزيد بن ثروان ، فقال : من وجد بعيرى فهو له ؛ ففعل
له : وما ينفعك من هذا ؟ قال : إنكم لا تدرون ما حالوة الوجدان .

(١) المبرقع : الذي أخذت غريمه جميع وجهه . (٢) عضادت الباب : الخشبان المنصوبان
عن يمين الداخل منه وشماله .

وقال المنصور للربيع : كيف تعرف الرياح ؟ قال : أنظر إلى خاتمي فإن كان سلساً فهي شمال وإلا فهي جنوب ؛ فسأل القاسم بن محمد الطلحي عن ذلك ؛ فقال : أضرب بيدي إلى خضيتي فإن كانتا قد قَلَصَتَا فهي شمال وإن كانتا مُتَدَلَّتَيْنِ فهي جنوب .

قال أبو كعب القاص في قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كيد حمزة ما قد علمتم فادعوا الله أن يطعمنا من كيد حمزة . وكان يقول في قصصه : ليس في خير ولا فيكم ، فتبَلَّغُوا بي حتى تجدوا خيراً مني . وقال هو أو غيره في قصصه : كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا ؛ قالوا : فإن يوسف لم يأكله الذئب ؛ قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال : كان قاص يقص في المسجد فيقول : مثل الكافر مثل قصر الإسكاف خارجة حسن وداخله محرقة ، ومثل المؤمن مثل قصر زربي جداره كالح وداخله زهرة . ويقول : وما الدنيا ! أخرى الله الدنيا ! إنما مثلها مثل آير حمار ، بينا هو قد أنعط إذ طفي . وقال : المؤمن غذاؤه فلقة وسمكته سلقة ودواؤه علقه وممرقته سلقة .

أصاب داود المصاب مصيبة فاعتم ؛ فقال له صاحب له : لا تهم الله في قضائه ؛ فقال داود : أقول لك شيئاً وتكتمه ؟ قال : نعم ؛ قال : والله ما صاحبي غيره . وأستشاره رجل في حمل أقمه إلى البصرة ، وقال : إن حملتها في البر خفت عليها اللصوص ، وإن حملتها في الماء خفت عليها الغرق ؛ فقال : خذها سفتجة .

(١) قصر بالبصرة في سكة المربد لمسلم بن عمرو بن الحصين بن قتيبة بن مسلم ، وكان يليه غلام يقال له : زربي . (٢) الفلقة : الكسرة ، والشلق : شئ ، على خلفه السمكة صغيره رجلان عند ذنبه كرجل الضفدع لا يدين له يكون في أنهار البصرة وليست بعربية . كذا في اللسان . والعلقة : شجريتي في الشتاء تبلى به الإبل حتى تدرك الربيع . والسلقة : الجراة ، لعله يريد أنه يجزئ من المرق بالليل منه حتى إنه يكفيه مرق جراة واحدة . (٣) السفتجة : أن تعطى مالاً لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه خطاً من عنده المال في ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته إليه قبل سفرك ، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشيء المحكم ، سمي به هذا القرض لإحكام أمره .

دعا بعض السلاطين مجنونين ليضحك منهما ، فأسمعاها فغضب فدعا بالسيف ؛
فقال أحدهما للآخر : كئنا آئين وقد صرنا ثلاثة . قال رجل لابن سيابة مولى بني أسد :
ما أراك تعرف الله ؛ قال : أتراي لا أعرف من أجاعني وأعراني وأحراني .
قيل لأعرابي : كيف يرك بأملك ؟ قال : ما قرعتها سوطاً قط . وقيل لآخر وهو
يضرب أمه : ويحك ! تضرب أملك ! فقال : أحب أن تنشأ على أدبي . وقال
بعض الشعراء :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ * طَبِيباً يُدَاوِي مَنْ جُنُونٍ جُنُونٍ

وقال آخر :

وكيف يَفِيْقُ الدَّهْرَ كَعَبُّ بْنُ نَاشِبٍ * وَشَيْطَانُهُ بَيْنَ الْأَهْلَةِ يَصْرَعُ
وقال أعرابي وذكر الله عز وجل :

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَهْلَهَا فِي جُمُعَةٍ * وَأَبُوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ فِي عَامٍ^(١)

كان أبو العاج والي واسط ، وأتاه صاحب شرطته بِقَوَادَةٍ فقال : أصليح الله الأمير ،
هذه قوادة ؛ قال : وأي شيء تصنع ؟ قال : تجمع بين الرجال والنساء ؛ قال : لماذا ؟
قال : للزنا ؛ قال : وإنما أتيتني بها لتعرفها منزلي ! خل عنها لعنة الله . وأتاه يوماً بِمُحَنِّثٍ ؛
فقال له : ما هذا ؟ قال : مُحَنِّثٌ ؛ قال : وما يصنع ؟ قال : يُنَكِّحُ كَمَا تُنَكِّحُ الْمَرْأَةُ ؛
قال : يَبْدُلُ هَذَا آسَتَهُ وَأَحْظَرُ أَنَا عَلَيْهِ ! أَذْهَبُ يَا بَنَ أَخِي فَأَرْتَدُّ لَهَا .^(٢)

خَطَبَ وَكِيعُ بْنُ أَبِي سُودٍ بَحْرَاسَانَ فقال : إن الله خلق السموات والأرض
في ستة أشهر ؛ فقيل له : إنها ستة أيام ؛ فقال : والله لقد قلتها وأنا أستقلها .

(١) مدرت الحوض أمده : أي أصاحته بالمدد وهو قطع الطين اليابس .

(٢) كذا في الأصل الجغرافيا ، وفي النسخة الألمانية : « فارتد بها » .

تغدى رجلٌ عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ وليُّ عهدٍ وقُدَّامه جدى ، فقال له سليمان : كُلْ من كُلِّيته فإنها تزيد في الدماغ ؛ فقال : لو كان هذا هكذا كان رأسُ الأمير مثل رأس البغل .

أبو عبيدة : أُجريت الحيلُ فطلعَ منها فرسٌ سابقٌ بفعل رجل من النظارة يكبر ويثب من الفرح ؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا فتى ، هذا الفرسُ فرسك؟ قال : لا ولكنَّ اللجَامَ لى . دخل أبو عتاب على عمرو بن هذَّاب وقد كُفَّ بصره والناس يعزونه ، فقال : يا أبا زيد ، لا يسوءُكَ ذهابُهما ، فإنك لو رأيتَ ثوابهما في ميزانك تمنيتَ أن الله قطعَ يديكَ ورجليك ودقَّ ظهرك . كان رجلٌ يقودُ أعمى بكراء ، فكان الأعمى ربما عثر فيقول : اللهم أبدلني به قائدًا خيرًا منه ؛ ويقول القائد : اللهم أبدلني أعمى خيرًا منه .

أدعى أبو بكر الشيباني إلى العرب ذات ليلة فأصبح من الغد على الشمس فقعد فيها فتارت به مِةٌ ، بفعل يحكُّ جسده بأظفاره نحشًا ويقول : إنما نحن إبل ؛ فقال له قائل : والله إنك تُشبهُ العربَ ؛ فغضب وقال : أيقال لى هذا ! أنا والله حرباء تنضب^(٢) ، يشهد لى سواد لونى وغرور عيني وحي للشمس .

قيل لأبى السفاح عند موته : أوصيه ؛ فقال : إنا لكرام قوم طخفة^(٣) ؛ قالوا : قل خيرًا يا أبا السفاح ؛ فقال : إن أحببتُ امرأتى فأعطوها بعيرا ؛ قالوا : قل خيرًا ؛

(١) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفى الأصلين «عمر بن هذاب» وهو تحريف .

(٢) فى الأصلين «منضبة» والتصحيح عن لسان العرب فى مادة «نضب» وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والنضبة واحدة النضب وهو شجرته شوك قصار تألفه الحراي .

(٣) طخفة بالسر والفتح : جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومهل . ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر من ماء السماء .

قال : إذا مات غلامى فهو حر . وقيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله ، فأعرض ،
فأعادوا عليه مرارا . فقال : أَخْبِرُونِي عَنْ أَبِي طَالِبٍ أَقَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ ؟ قالوا : وما
أنتَ وأبو طالب ! قال : لا أَرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْهُ . وَلَمَّا احْتَضَرَ الْعَجِيرُ السَّلُولِيَّ قَالَ
لِقَوْمٍ عِنْدَهُ : أَنَا فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهِ لَأَنْ
وَجَدْتُ لِي عِنْدَ اللَّهِ مَوْضِعًا لَا كَلِمَتَهُ فِيكُمْ . وقيل لَأَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ عِنْدَ مَوْتِهِ : قل
لا إله إلا الله . فقال : لَمْ يَأْنِ لَهَا بَعْدُ . وقيل لآخر عند موته : أَلَا تُوصِي ؟ قال :
أَنَا مَغْفُورٌ . قالوا : قل إن شاء الله ، قال : قد شاء الله ذلك ، قالوا : لا تَدَّعِ
الْوَصِيَّةَ ، فقال لِبَنِي أَخِيهِ :

بَنِي حُرَيْثٍ أَرْفَعُوا وَسَادِي * وَاحْتَفِظُوا بِالْجَلَّةِ الْجَلَادِ

* فَإِنَّمَا حَوْلَكُمُ الْأَعَادِي *

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان والغيران
والسكران . قالوا : فما تقول في المنعِظ ؟ فضحك وقال :

وما شُرُّ الثلاثة أم عميرو * بصاحبك الذي لا تَصْبَحُ حِينًا

قال الوليد : ألا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جلدَةٌ ما بين
عيني ، ألا وإن الحجاج جلدَةٌ وجهي كُلَّهُ .

خطب عتاب بن وُرْقَاءَ فُحْتُ عَلَى الْجِهَادِ وَقَالَ : هَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا * وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ

وقال آخر في الربيع وإلى اليمامة :

شَهِدْتُ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ * وَأَنَّ الرَّبِيعَ الْعَامِرِيَّ رَقِيعٌ^(١)

أَقَادَ لَنَا كَلْبًا بِكَلْبٍ وَلَمْ يَدَّعْ * دِمَاءَ كِلَابِ الْمُسْلِمِينَ تَضِيعُ

(١) كذا بالنسخة الألمانية وهو الموافق لما في العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٢ والبيان والنبين للجاحظ

ص ١٧ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ ، وفي الأصل الفتوغرافي : « رفيع » بالفاء وهو تحريف .

دخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ، فقال : مات رحمه الله يوم كذا وكذا ، وكان مرضه رضى الله عنه كذا وكذا ، وترك عفا الله عنه من المال كذا وكذا ، فانتهره الربيع وقال : أبين يدى أمير المؤمنين توالى الدعاء لأبيك ! فقال الشاب : لا أؤمك ، إنك لم تعرف حلاوة الآباء ، فما أعلم أن المنصور ضحك مثل ضحكك يومئذ . وكان الربيع لقيطاً .

دخل رجل من بنى هاشم على المنصور فاستجلسه ودعا بغدائه فقال للفقى : أدنه ، فقال : قد تغذيت ، فلما خرج استخف به الربيع ودفع فى قفاه ، وقال : هذا كان يسلم من بعيد وينصرف ، فلما استدناه أمير المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه الى طعامه تبدل بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التى صيره فيها أن قال : قد تغذيت ، وإذا ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سدة خلة الجوع .

يونس الهجرى قال : مات رجل من جنود أهل الشام فحضر الحجاج جنازته ، وكان عظيم القدر ، فصلّى وجلس على قبره وقال : لينزل قبره بعض إخوانه ، فنزل نفر منهم ، فقال أحدهم وهو يسوى عليه : رحمك الله أبا فلان ! إن كنت ما علمتك لتجسد الغناء وتسرّع رب الكأس ، ولقد وقعت فى موقع سوء لا تخرج منه الى الدكة ، فما تمالك الحجاج أن ضحك فأكثر ، وكان لا يكتر الضحك فى جد ولا هزل ، ثم قال له : لا أم لك ! هذا موضع هذا ! قال : أصلح الله الأمير ، فرسى حبيب لو سمعته يتغنى : * يالبنى أوقدى النارا * لا تنتشر الأمير على سعة ، وكان الميت يلقب سعة ، وكان من أوحش خلق الله صورة وأدمهم . فقال الحجاج : إنا لله ! أخرجه عن القبر ، ثم قال : ما أبين حجة أهل العراق فى جهلكم يا أهل الشام . ولم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكاً .

تبع داود بن المعتز امرأة ظن أنها من الفواسد، فقال لها : لولا ما رأيت عليك من سيما الخير لم أتبعك ، فصاحكت المرأة وأسندت ظهرها إلى الحائط ثم قالت : إنما يعتصم مثلي من مثلك بسيما الخير ، فإذا صار سيما الخير هو الدال لمثلك على مثلي فالله المستعان ، كان بهلول المجنون يتغنى بقيراط ولا يسكت إلا بدانيق . وكان رجل يهوى جارية تختلف في حوائج أهلها ، وكانت إذا خرجت إلى السوق ولم يعلم بخروجها ثم رجعت فراها قال وهو يسمعها : (لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ، وإن وعده شيئا فأخلفت قال : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) ، فإن تغضببت لشيء بلغها عنه قال : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) .

مر بعض الحمقى بأمرأة قاعدة على قبر وهي تبكي ، فرق لها وقال : من هذا الميت ؟ قالت : زوجي ، قال : فما كان عمله ؟ قالت : يحفر القبور ، قال : أبعد الله أما علم أن من حفر حفرة وقع فيها ! أحدث رجل من الحمقى ليلة على باب رجل ، فلما خرج الرجل زلق ووقع على ذراعه فأنكسرت ، واجتمع الجيران وجعلوا يختصمون ويوقعون الظنون وهو ناحية يسمع كلامهم ، فلما أكثروا قال :

رأيت الحرب ينجيها رجال * ويصلي حرها قوم براء

فأخذوه وقالوا : أنت صاحبنا . قال داود المصاب : رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل ، رأيت كأن على عنق بدرة ^(٢) فمن ثقلها أحدثت فاستيقظت فرأيت الحديث ولم أر البدرة . ربي أعرج بيكي بكاء شديدا ، فسئل عن سبب بكائه فقال : بلغني أن جالوت قتل مظلوما . رأى رجل أحرق شيئا في الحمام ^(٣) أعكن

(١) القيراط : نصف الدانق ، والدانق سدس الدينار . (٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لسان العرب . (٣) أعكن البطن ، أي في بطنه عكن وهي ثيابها .

البطن ، فقال له : يا عم إني أشتهي أن أضع هذا — يعني ذكرك — في سرتك ؛ فقال له الشيخ : يا ابن أخي فإين يكون أسنك حينئذ . نزل يهودي على أعرابي فمات عنده ، فقام الأعرابي يُصَلِّي عليه فقال : اللهم إنه ضيفٌ وحق الضيف ما قد علمت ، فأَمِهْلَنَا إلى أن تقضي ذمامه ثم شئتُ والكلب .

وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان بين اثنين عبدٌ فقام أحدهما بفعل يضربه ، فقال له الآخر شريكه : ما تصنع ! قال : إنما أضرب حصتي . قال أعرابي لرجل : ما أسمك ؟ قال : عبد الله ، قال : ابن من ؟ قال : ابن عبيد الله ، قال : أبو من ؟ قال : أبو عبد الرحمن ، قال : أشهد أنك لتلوذ بالله لو آذيتهم جبان . قال بعضهم : رأيت رجلين بالبصرة على باب مؤنس يتنازعان في العنب النيروزي والرازي : أيهما أطيب ، جفري بينهما كلامٌ إلى أن تواتبا . فقطع الكوفي إصبع البصري وفقاً البصري عين الكوفي ، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى رأيتهما متصافيين متنازعين .

قال : وقال ثُمَامَةُ : مررتُ في غيب سماءٍ والأرضُ نَدِيَّةٌ والسماءُ مُتَغَيِّمَةٌ والريحُ شَمَالٌ وإذا شيخٌ أصفر كأنه جرادَةٌ ، وقد قعد على قارعة الطريق وحجَّامٌ يحجمه على كاهله وأخذ عيه بحاجم كأنها قعابٌ وقد بصَّ دمه حتى كاد يستقرئه ؛ فوقفتُ وقلتُ : يا شيخ لم تحتاج ؟ قال : لمكان الصفار الذي بي . أتى الطَّمَحَانُ قوماً يعودُ عليهم فعرَّاهم به ؛ قالوا : إنه لم يمت ؛ فرجع وهو يقول : يموتُ إن شاء الله ، يموتُ إن شاء الله .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال : كان الغاصريُّ من أحق الناس ؛ فقبل له : ما حقه ؟ بفعل يتربُّ^(٢) ، فلما اكثُر عليه قال : قال لي مرةً : البحرُ من حفره ؛^(٣) وها حفر فإين نبيته ؟ أترى أمير المؤمنين يقدرُ على أن يحفر مثله في ثلاثة أيام ؟

(١) في النسخة الألمانية « مؤنس » . (٢) يتربُّ : يتلبث .

(٣) النبهة : تراب البر والنهر .

دخل رجلٌ من الحمقى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ في نسبه، فقال :
إني قد آمتدحتك بشعرٍ لم تُمدح قطُّ بأشنع لك منه ؛ قال : ما أخرجني إلى المنفعة
فهايته ؛ فقال :

سألتُ عن أصلك فيما مضى • أبناء سبعين وقد نيقوا
فصكَّاهم يخبرني أنه • مهذب جوهره يعرف

فقال له : قُم في لعنة الله وفي سُخطه ! لعنك الله ولعن من سألت ومن أجابك .
وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمه فقال :
يا عمّ ، إن ولَدَ جارِيَةِ آلِ فلانٍ مِنِّي فافتدِه ، ففعل ؛ ثم جاءه مرّةً أخرى فقال له مثل
ذلك ؛ فقال له عمه : لو عزَّلتَ ا قال : بلغني أن العزلَ مكروهٌ .

قال : وحدثنا الأصمعيّ قال : بلغني عن شيخٍ جَرَعَ على ميتٍ جَزَعًا شديدًا ، فقيل
له في ذلك ؛ فقال : نحن قومٌ لم نَتَعَوَّد الموتَ .

أبو الحسن الجعفری قال : قيل لكَرْدَمِ السَّدُوسِيّ : كُلُّ ؛ قال : ما أريدُ ؛ قيل :
ولم ؛ قال : أَكَلْتُ قَلِيلَ أرزٍ فأكثرتُ منه . ضلَّ بعيرُ الأعرابيِّ بفعلٍ يَنسُدُّه إلى أن
دخلَ الإمارةَ فأخذَ منها بعيرًا ؛ فقيل له : إن بعيرَكَ كان أعرابيًا ؛ قال : إنه لما
أَكَلَ مِنْ مالِ الإمارةِ تَجَنَّتْ^(١) .

الهيثم عن ابن عباس قال : لما وَلِيَ مروانُ وجهَ جيشِ ابنِ دُبُجَّةَ القينِيّ إلى المدينة
وكان يصعدُ المنبرَ ومعه الكُكَّةُ من التمرِ فأكلها ثم يُلقي النوى على وجوه أهل المدينة
يمينًا وشمالًا ، ثم يقول : يا أهلَ المدينة ، إني لأعلمُ أن هذا المكانَ في حرمةٍ وموضع

(١) تجنَّت صار يُخَيِّبُ جمعه يخاف وهي الإبل الخاسية .

ليس موضع أكل ولا شرب، ولكنني أحب أن أريكم هوانكم على الله . قيل لمعلم بن معلم : مالك أحق ؟ قال : لو لم أكن أحق كنت ولد زنا . قال بعض الشعراء :
فإن كنت قد بايعت مروان طائفاً * فصيرت إذا بعد المشيب معلماً
وقال آخر :

وكيف ترجى العقل والرأى عند من * يروح على أنثى ويغدو على طفل
ابن المدائني قال : تخول أبو عبد الله الكرخي^(١) إلى الخريبة فادعى الفقه وطق أن
ذاك يجوز لمكان لحيته وسمته ، فألقى على باب دار البواري وجلس مجلس إليه قوم^(٢)
فقال له رجل منهم : يا أبا عبد الله ، رجل في الصلاة أدخل إصبعة في أنفه فخرج
عليها دم ، أي شيء يصنع ؟ قال : يمتجم رحمك الله ، فقال له السائل : ظننت أنك
فقيه ولم أدرك أنك طبيب . قال رجل للشعي : إني أجد في قفاي حكة فترى لي أن
أحتجم ؟ فقال الشعي : الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحمامة . وقال له آخر :
رجل أستمى في يوم من شهر رمضان هل يؤجر ؟ قال : أوما يرضى أن يفلت رأساً
برأس . نازع التيمي رجل من بني عمه في حائط بينهما فبعث إلى قوم يشهدهم ،
فأتاه جماعة من القبائل ، فوقفت بهم على ذلك الحائط وقال : أشهدكم جميعاً أن
نصف هذا الحائط لي . وقدم آخر رجلاً إلى القاضي في شيء يدعيه عليه ، فأنكر الرجل ،
فقال : أيها القاضي آكثب إنكاره ، فقال القاضي : الإنكار في يدك متى شئت .

قال مسعدة بن طارق الذراع^(٣) : إنا لوقوف على حدود دار انقسمها ونحن في خصومة ،
إذ أقبل سيد بني تميم ومويسرهم والمصل على جنائزهم ، فأمسكنا عن الكلام ، فقال :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البواري جمع بارية : الحصار المنسرج .

(٣) في الأصل : الزارع . ولعل الصواب ، ما أثبتناه هنا نقلاً عن العقد الفريد فإنه منسوب إلى الذراع

(١)
حَدَّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا؟ قَالَ مُسْعِدَةُ: فَأَنَا مِنْذُ
سِتِينَ سَنَةً أَفَكَّرْتُ فِي كَلَامِهِ فَمَا أَذْرِي مَا عَنَى. أَنْتَ جَارِيَةٌ أَبَا ضَمِّمْ فَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا
قَبْلَنِي، فَقَالَ: يَا قَتِي، أَذْعِنُ لَهَا بِحَقِّهَا، قَبْلِيهِ عَافَاكَ اللَّهُ كَمَا قَبْلَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ:
(وَأَجْرُوحَ قِصَاصٌ).

٥ حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أُلْقِيَتْ عَلَى رَجُلٍ فَرِيضَةٌ فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ بِفَعْلٍ
يَحْسُبُ غَيْرَهَا، فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ تَرَكَ غَيْرَ مَا ذَكَرُوا.
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي كُثَّامَةَ قَالَ: قَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ لِأَشْعَبَ: أَوْ رَوَيْتَ
الْحَدِيثَ وَتَرَكْتَ النُّوَادِرَ كَانَ أَنْبَلَ لَكَ، قَالَ: وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ وَرَوَيْتُهُ، قَالَ:
خَدِّشَا، قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَلَّتَانِ
مَنْ كَانَتْ فِيهِ كَانَتْ مِنْ خَالِصَةِ اللَّهِ، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ فَمَا هُمَا؟ قَالَ: نَسِيَ نَافِعٌ
١٠ وَاحِدَةً وَنَسِيتُ أَنَا الْآخَرَى. وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ مِنْ وَلَدِ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ
كَانَ أَحَدُهُمْ يَحْجُجُ عَنْ حَمَزَةٍ وَيَقُولُ: أَسْتَشْهِدُ قَبْلَ أَنْ يَحْجُجَ، وَكَانَ الْآخَرُ يُضْحِكُ
عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَيَقُولُ: أَخْطَا السَّنَةَ فِي تَرْكِ الْأُضْحِيَّةِ، وَكَانَ الْآخَرُ يُفْطِرُ عَنْ عَائِشَةَ
أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَيَقُولُ: غَلِطْتُ فِي صَوْمِهَا أَيَّامَ الْعِيدِ، فَمَنْ صَامَ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَأَنَا
أُفْطِرُ عَنْ أُمِّي عَائِشَةَ.

١٥

(٢)
قَالَ ثُمَامَةُ: كُنَّا فِي مَنْزِلٍ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الدَّهَاقِينِ وَفِينَا شَيْخٌ مِنْهُمْ، فَأَتَى رَبُّ الْبَيْتِ
بِدُهْنٍ طَيِّبٍ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ وَبَعْضُنَا لِحْيَتَهُ وَمَسَحَ بَعْضُنَا شَارِبَهُ وَبَعْضُنَا يَدَيْهِ،
فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَذْهَبُوا أَسْتَأْهِكُمْ تَأْمِنُوا الْحَزَّازَ، وَأَمْرُوهَا عَلَى وَجْهِكُمْ، فَأَخَذَ شَيْخٌ
(٣)

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٣ ص ٣١٣: هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا.

٢٠

(٢) الدَّهَاقِينُ جَمْعُ دِهْقَانٍ: رُؤَسَاءُ الْإِقْلِيمِ.

(٣) الْحَزَّازُ: هَبْرِيَّةٌ فِي الرَّأْسِ كَأَنَّهُ نُخَالَةٌ، وَاحِدَتُهُ حَزَّازَةٌ.

منهم بطرف إصبعه فأدخله في أنفه ومسح حاجبيه ، فعمد الشيخ إلى بقية الدهن فصبّه في أذنه ، فقلنا له : ويحك ! هل رأيت أحدا أتى بدهن طيب فصبّه في أذنه ؟ قال : إنه مع هذا يضرني .

قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يُكنى أبا خارجة ، فقلت له : لم كنوك أبا خارجة ؟ قال : لأني ولدت يوم دخل سليمان بن عليّ البصرة . قال عمرو بن بحر : ذكر لي ذا كرك عن شيخ من الإباضية أنه جرى ذكر الشيعة عنده فأنكر ذلك واشتد غضبه ، فقلت له : ما أنكرت ؟ قال : أنكر مكان الشين في أول الكلمة لأني لم أجدها قط إلا في مسخوط عليه مثل شؤم وشرو شيطان وشح وشغب وشيب وشك وشرك وشتم وشيعية وشطرنج وشاكي وشاني وشحج وشوصة وشابشتي وشكوى ، فقلت : ما تقوم بهؤلاء قائمة أبدا . قال : وسمعت رجلا يقول : عجبت لمن يأخذه النوم وهو لا يزعم أن الاستطاعة مع الفعل ، فقلت له : ما الدليل على ذلك ؟ فقال : سبحان الله ! الأشعار الصّاح ، قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قول روبة :

* ما إن يقعن الأرض إلا وفقا *

وقوله : * يهوين شتى ويقعن وفقا *

وقوله : * مكر مفر مقيّل مذر معا *

وقولهم في المثل : "وقعا كعكمي غير" ، ثم قال : هل في هذا تقنع ؟ قلت : بلى وفي دُون هذا .

(١) في الأصلين : "في أول كلمة" بالنكير وظاهر أن السياق يأباه ، فلعل الصواب ما ذكرناه أو أن في الكلام حذف . (٢) كذا بالأصلين ولم نجده في مادة «شحج» في اللسان والقاموس مصدرا أو غيره . ولعله محرف عن «شحج» وهو أثر الشجة في الجبين .

(٣) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي «بعدها» بدل «أبدا» .

(٤) كذا بالأصلين ، وفي اللسان في مادة عكم : «هما كعكمي العير» والعيم : العدل مادام فيه المتاع .

وعَدَ رجلٌ رجلاً من الحمقى أن يُهْدِيَّ له من مكة نعلًا ، فطال عليه الانتظار ، فأخذَ قارورةً فبال فيها ثم أتى بها الطبيبَ ثم قال : أنظر في هذا الماء هل يَهْدِي لي بعضُ إخواني نعلًا حَضْرَمِيَّةً ؟ . وقال الزَّيَادِيُّ : مرَّ أشعبُ برجلٍ يعملُ طَبَقًا وقال له : زد فيه طوقًا ، قال : ولم ؟ قال : لعله يَهْدِي لي فيه شيء .

٥ أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا إبراهيم بن القَعْقَاع قال : رأيتُ أشعبَ بسوق المدينة معه قطيفة قد ذهبَ نَحْلُهَا وهو يقول : مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي الرَّمْدَةَ ؟ فَأَتَاهُ رجلٌ فسَاوَمَهُ ، قال : أبراؤ إليك من عيبٍ فيها ، قال : وما هو ؟ قال : تَحْتَرِقُ إن أنتَ لَيسْتَ بها . سقطَ أعرابيٌّ من بعيرٍ له ، فانكسرت ضلعٌ من أضلَاعِهِ فَأَتَى الجارَ يَسْتَوْصِفُهُ ، فقال : خُذْ تمرًا جيدًا فَانْرِخْ أَفْسَاعَهُ ونَادَاهُ رَاجِعْهُ بِسَمْنٍ ثم أَضْمِدْهُ عَلَيْهِ ، قال : أَى بَأَى أنتَ من داخلٍ أم من خارجٍ ؟ قال : من خارجٍ ، قال : لا أبا لَشَانِيكَ هو من داخلٍ أنفع لي ، قال : ضَعُهُ حَيْثُ تَعْلَمُ أَنَّهُ أَنْفَعُ .

١٠ ماتَ ابنُ صغيرٍ لأعرابيٍّ ، ففعل له : تَرَجُّوْا أَنْ يَكُونَ لَك شَفِيعًا ، فقال : لا وَكَلْنَا اللَّهَ إِلَى شَفَاعَتِهِ ، حَسْبُهُ الْمَسْكِينُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ نَفْسِهِ .

جاءَ أعرابيٌّ إلى المسجد والإمامُ يَخْطُبُ ، فقال لبعضِ القومِ : ما هذا ؟ قال : يدعونَ النَّاسَ إلى الطَّعَامِ ، قال : فما يقولُ صاحبُ المنبرِ ؟ قال : يقولُ ما يَرْضَى الأعرابُ أَنْ يَأْكُلُوا حتى يَجْمُلُوا معهم ، فَتَخْطِي الأعرابيُّ النَّاسَ حتى دنا من الوالى فقال : يا هذا ، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤنا .

أخذَ الججاجُ لَصًّا أعرابِيًّا فضربه سَبْعَ مِائَةِ سَوْطٍ فَكَلَّمَا قَرَعَهُ بِسَوْطٍ قال : اللَّهُمَّ شَكَرًا ، فَأَتَاهُ ابْنُ عَمِّ لَهُ فَقَالَ : والله ما دعا الججاجُ إلى التَّمَادِي فِي ضَرْبِكَ إِلَّا كَثْرَةً

(١) كذا في النسخة الألمانية وفي الأصل الفتوغرافي : «الومدة» والرمدة : الكدرة التي صارت كلون الرماد . (٢) في الأصاين «أو» وسياق الكلام يقتضى «أم» .

شكرَكَ، لأن الله يقول : (إِنِّ شَكَرْتُكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ، فقال : إن هذا في كتاب الله ؟
فقال : اللهم نعم ، فأنشأ الأعمرابي يقول :

يَا رَبِّ لَا شُكْرَ قَلَّا تَرِدُّنِي ۖ أَسْرَفْتُ فِي شُكْرِكَ فَاعْفُ عَنِّي
بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

٥ فبلغ الحجاج نخلي سبيله . جاء أعمرابي إلى صيرفي بدرهم ، قال : هذا ستوق ، فقال
الأعمرابي : وما هو الستوق بأبي أنت ؟ قال : داخله نحاس وخارجُه فضة ، قال :
ليس كذلك ، قال : أكسره فإن كان كذلك فأنا منه برىء ؟ قال : نعم ، فكسره فلما
رأى النحاس قال : بأبي أنت ، متى أموت ؟ فأنا أشهد أنك تعلم الغيب .

لما حضرت الحطيئة الوفاة قال : آحملوني على حمار فإنه لم يمُت عليه كريم قط
١٠ فلعلني أن أبقى ، ثم تمثل :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَتْنِي ۖ رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذٍ

١٥ المدائني قال : دعا رجل بمكة لأمه ، فقال له قائل : فما بال أبيك ؟ قال : هو
رجلٌ يحتال لنفسه . قيل لأشعب : رأيت أحداً قط أطمع منك ؟ قال : نعم
نرجعت إلى الشام فنزلت أنا ورفيقي لي بدير فيه راهب ، فتلاحينا في أمرٍ فقلتُ :
الكاذبُ مِنَّا كذا من الراهب في كذا من أمه ، فأتى الراهب وقد أعظم وهو يقول :
بأبي من الكاذب منك ؟ . مرة إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي يقاص وهو يقرأ :
(يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) ، فتنفّس ثم قال : اللهم آجعلنا ممن يتَجَرَّعُهُ وَيُسِيغُهُ .

٢٠ الأصمعي عن أبيه : قلت لأعمرابي : أفبكم زنا ؟ قال : بالحرائر ؟ ذاك عند الله
عظيم ، ولكن مُسَاعَاةً بهذه الإمام . موسى بن طلحة قال : جاءنا علي بن أبي طالب
رحمه الله ونحن في المسجد شباب من شبّاب قريش ، فتنحينا له عن الأسطوانة

وقلنا : هاهنا يا عم ، فقال : يا بني أخي ، أتمم لشييوخكم خير من مهرة ^(١) فإنه إذا كبر الشيخ فيهم شدوه عقالا ثم يُقال له : ثب فيه ، فإن وثب خالوا سبيله وقالوا : فيه بقية من علالة ، وإن لم يثب قدموه فضرروا علالوته ^(٢) وقالوا : لا يصيبك عندنا بلاء .

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل . وقال يوما لزبراء جارية أبيه : يا زانية ، فقالت : لو كنت كذلك جئتُ أباك بمثلك . أبو الحسن قال : جاء قوم إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارك فلان فمررنا بكفن ، فقال : ما عندنا اليوم شيء ولكن تعودون ، قالوا : أفنملي إلى أن يتيسر عندك شيء ! . وأتى رجل رجلا فقال له : أصلحك الله ، تعيرنا ثوبا نكفن فيه ميتا ؟ قال قاسم التمار في كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض . وقال أيضا : رأيت إيوان كسرى فإذا هو كأنما رُفعت اليد عنه أقول من أميس .

كان عبد الملك بن هلال الهينابي ^(٣) له زبيل مملوء حصا للتسبيح ، فكان يُسبِّح بواحدة واحدة ، فإذا ملَّ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا زاد ملأه طرحه قبضة قبضة وقال : سبحان الله عددك ، فإذا صجر أخذ يعري الزبيل وقال : الحمد لله بعدد هذا كله . دخل قوم منزل الرستم في يوم وقع ، فحضر وقت صلاة الظهر فقالوا : كيف القبلة في دارك هذه ؟ فقال : إنما نزلناها منذ شهر .

المدايني عن علي بن مجاهد عن حميد بن أبي البختري ^(٤) أن الشعبي قال : مريضة فلقيت ابن الحنظلي فامرني أن أمشي كل يوم إلى الثوية ، فكنت أغدو كل يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب ويلهم تنسب الإبل المهرية .

(٢) العلالة : أعلى الرأس ونعتى .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد هذه النسبة أصلا في أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا في الأصل الفتوغرافي وتويزده كتب اللغة والأنساب ، وفي الألمانية «البختري» بالحاء المهملة .

فانصرفت ذات يوم فلما كنت في جبهة الظاهرة إذا شيخ منهم قاعد على طنفسة
مَكْنِيٍّ على وسادة ، فسأمت ثم ألقيت نفسي على الرمل ، فقال : لقد جاست جلسة
عاجز أو ضعيف ، قلت : قد جمعتهما ، قال : أدام الله لك ذلك ، ثم قال : إن أهلي
كانوا يتخوفون عليّ ثلاثة : نقصان البصر وترك النساء والقِطَاف في المشي ، فوالله إنهم
ليرون الشخص واحدا وأراء اثنين ، ولقد تركت النساء فإني فيهن من حاجة ، وإني
لأمشي فأهملج ، قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائني : ركب يزيد بن زبيل النهشلي بعيرا وقال : اللهم إنك قلت (وما كُنَّا لَهُ
مُقَرِّينَ) وإني لبعيرى هذا المَقْرُونِ ، فتمز به فطرحه وبقيت رجله في الغرز ، بفعل
يضرب برأسه كل حجر ومدر حتى مات .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : اختصمت الطفاوة وبنو راسب في رجل
يُدْعِيهِ الفريقان إلى ابن عرياض ، فقال : الحكم بينكم أيُّن من ذلك ، يُلقَى في النهر
فإن طفا فهو لُطفاوة ، وإن رَسَب فهو لبني راسب .

المدائنيّ قال : لما حضرت الخطيئة الوفاة قيل له : أوص ، قال : هم أوصي !
مالي للذكور دون الإناث ، فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ، فقال : لكنني أمر به .
ثم قال : ويلُّ لأشعر من رواية الشعر ، فقيل له : أوص يا أبا مليكة لساكنين
بشيء ، قال : أوصيهم بالنسالة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور . قيل : أعتق عبدك
يساراً ، قال : أشهدوا أنه عبد مابق . قيل : فلان اليتيم ما تُوصي فيه ؟ قال : أوصي
أن تأكلوا ماله وتلبسوا أقمه ، قالوا : ليس إلا هذا ، قال : أحملوني على حمار فإنه
لم يمت عليه كريم لعلّ أنجوب ، ومات مكانه .

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل التتوغرافي : «الظاهرة» .

(٢) الطفاوة وبنو راسب : حيّان من العرب .

لما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بني أوصيكم بالناس شراً .
كلهم نذراً . وأنظروا إليهم شئراً ، ولا تتبلموا لهم عُذراً ، قَصِّروا الأئنة ، وأشَحِّدُوا الأئنة ،
تأكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد . ولما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال : يا بني
إني لأعلم أن قوما سيأتونكم قد أقرحوا جباههم وعرضوا خياهم يدعون أن لهم على
أبيكم ديناً فلا تَقْضَوْهُمْ ، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضرره .
والأفهي مع ما تقدم .

تقدم رجل من بني العنبر إلى سوار فقال : إن أبي مات وتركني وأخاً لي ، وخط
خطين ناحية . ثم قال : وهجينا لنا ، ثم خط خطاً آخر ناحية ، ثم قال : كيف ينقسم
المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارث غيركم ، فقال له : لا أحسبك
فهمت ، إنه تركني وأخى وهجينا لنا ، فقال سوار : المال بينكم سواء ، فقال الأعرابي
أياخذ الهجين كما أخذ ويأخذ أخى ؟ قال أجل ! فغضب الأعرابي وقال : تعلم والله
أنك قليل الخالات بالدهناء ، فقال سوار : إذا لا يضرنى [ذلك] عند الله شيئاً .

قال بعض العمال لأعرابي : ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة ؟ فقال :
أرأيت إن أنبأتك بذلك تجعل لي عليك مسألة ؟ قال : نعم ، قال الأعرابي :
إن الصلاة أربع وأربع ، ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تُصَّع

قال : قد صدقت ، فسأل به قال : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدري ، قال : أفتحكم
بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن إبيهم البرمكي أنه دخل عليه رجل يكتب
في حوائج له ، فقرأها ووعده قضاءها ، فنهض وهو يدعو له وقال : أبقاك الله وحفظك
وأتم نعمته عليك ، فقال له محمد بن إبيهم : كتابي إليك وأنا في عافية .

طبائع الإنساق

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه أنه وجد في التوراة:
 إني حين خلقت آدم ركبته جسده من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثته في ولده تقي
 في أجسادهم ويموتون عليها إلى يوم القيامة: رطب ويابس وسخن وبارد، وذلك لأنني
 خلقتهم من تراب وماء ثم جعلت فيه نفسا وروحاً، فيبوسة كل جسد من قبل التراب،
 ورطوبة من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قبل الروح، ثم خلقت
 الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق الآخر هي ممالك الجسد بإذني
 وقوامه، لا يقوم الجسد إلا بهن ولا تقوم واحدة إلا بهن، الميرة الصفراء والميرة السوداء
 والدم والبلغم، ثم أسكنت بعض هذه الخلق في بعض جعلت مسكن اليبوسة في الميرة
 السوداء ومسكن الرطوبة في الدم ومسكن البرودة في البلغم ومسكن الحرارة في الميرة
 الصفراء، فأثما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع فكانت كل واحدة منهن ربعا
 لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدل بليانه، وإن زادت واحدة منهن غلبت
 وقهرتهن ومالت بهن ودخل على أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت
 ناقصة نقل عنهن ملأ بها وعلونها وأدخل عليها السقم من نواحيهن لقلتها عنهن حتى
 تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقاومتهم، قال وهب: وجعل عقلاه في دماغه وشره
 في كليلته، وغضبه في كبده، وصرامته في قلبه، ورعبه في رثته، وصحكه في طحاله،
 وحزنه وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلاثية وستين مفصلا .

(١) في الألمانية: «وإذا كانت ناقصة نقل عنها وملأ...» .

(٢) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفي الأصلين: «عن متاربتين» والفعالان فيهما (تضعف وتعجز)

بالياء والسياق يقتضي تأ. التانيث كما وضعنا .

(٣) في الأصلين وسرد . وما ذكرته عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

- (١) قال : حدثني زيد بن أنحزم قال : حدثنا بشر بن عمر عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب" . وقالت الحكماء : الخنث يعترى الأعرج والأكراد والزنج والمجانين وكل صنف إلا الخُصيان فإنه لا يكون خُصيًا خُنثًا . وقالوا : كل ذي ريح مُنتنة وذفر كالنيس وما أشبهه ، إذا خُصِيَ نقص ننته وذهب صُنانه غير الإنسان فإن ننته يشته وُصنانه يحد وعرقه يخبث وريحه . وكل شيء من الحيوان يُخصى فإن عظمه يدق ، فاذا دق عظمه استرخى لحمه وتبرأ من عظمه خلا الإنسان فإنه إذا خُصِيَ طال عظمه وعرض . وقالوا : الخصى والمرأة لا يصلحان ، والخصى تطول قدمه وتعظم . وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم برذون رقيق الحافر خُصاه بخاد حافره . اعتبر ذلك بالإنسان إذا خُصِيَ عظم رجلاه . قالوا : والخصى يشته وقع رجلاه لأن معاقد عصبه تسترخى ، ويعتريه الأعوجاج والفدع في أصابعه ، وتُسرع دمعته ، ويتخذ جلدًا ، ويسرع غضبه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السر . ويزعم قوم أن أعمارهم تطول لترك الجماع ، قالوا : وتلك علة طول عمر البغل . وقالوا : علة قصر عمر العصفور كثرة سقاده . قالوا : وشأن الغريق إذا كان رجلاً ثم ظهر على الماء أن يظهر على قفاه ، وإن كان امرأة أن تظهر على وجهها . والرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه ثم يقيه ذكوه إذا انتفخ . قالوا : وفي الغلمان من لا يحتلم أبداً ، وفي النساء من لا تحيض أبداً ، وذلك عيب . وفي الناس من لا يسقط ثغره ولا يستبدل منه . منهم عبد الصمد بن علي ذكروا أنه دخل قبره برأضه .

(١) في الأصل : أنحزم . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في النسخة المتوغرافية ، وفي النسخة الألمانية أربعة أصفار بعد قوله وريحه ، وكتب في التعليق

عليه باللغة الألمانية : سقطت كلمة . وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ : وخبث عرقه وريحه .

والضَّبَّ لَا تَسْقُطُ لَهُ سَنٌ . وكذلك الخنزير لا يُلْقِي شَيْئًا مِنْ أَسْنَانِهِ . ولذلك تقول^(١)
العرب في مثلي لها : «لَا آتِيكَ سَنَ الْحُسْلِ»^(٢) يريدون لَا آتِيكَ أَبَدًا . وتقول الأطباء :
إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء إلا الإنسان ، وذلك لكرامته
على الله . ويقول بعضهم : إن الجنين يغتذى دم الحيض يسيل إليه من السرة بغذائه ؛
وقالوا : لذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض . والعرب
تقول : حملت فلانة سهوا ، إذا حاضت على الحمل . قال المذلي يمدح رجلا^(٣) :
ومُبرِّأً مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٍ : وَرَضَاعٍ مُغِيلَةٍ وَدَاءٍ مُعْضِلٍ^(٤)

فَأَعْلَمَكِ أَنَّهُمَا لَمْ تَرَعِيهِ دَمٌ حَيْضٌ فِي حَمْلِهَا ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ . قالوا : فإذا
نرج الجنين من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدم الذي كان يغتذيه إلى الثديين ،
وهما عُضْوَانُ نَاهِدَانِ عَصْبِيَّانِ فَيَرَاهُ وَجَعَلَاهُ لَبَنًا . يقول الله عز وجل : (وَإِنَّ لَكُمْ^(٥)
فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) .
قالوا : والإنسان يعيش حيث تحيا النار ويتلف حيث لا تبقى النار . وأصحاب المعادن
والحفائر إذا هجموا على نفق في بطن الأرض أو مغارة قدموا شمعة في طرف قناة فإن
ثبتت النار وعاشت دخلوا في طلب ما يريدون وإلا أمسكوا . والعرب تتشاءم بذكر
ولد الرجل إذا كان ذكرا . وكان قيس بن زهير أزرق بكرًا بين بكرين .

(١) في الأصلين : «وكذلك ...» وظاهر أن ما ذكرناه هو الأنسب بالسياق . (٢) الحسل
ولد الضب . (٣) هو تأبط شرًا . (٤) كذا في الأصل ، وفي اللسان في مادة «غبر» والعقد
الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ وشرح الحماسة للتبريزي ج ١ ص ٣٠٣ :

«فساد مرضعة وداء مغيل» . وقد أورده صاحب اللسان هكذا مجرورًا ، قال هو مصوف على قوله :
«ولقد سريت على الظلام بمغشم» . وهو صدر بيت متقدم في القصيدة . وفي شرح الحماسة للتبريزي :
يروي مبرأ بالنصب ومبرأ بالخبر ، فالنصب على قوله «غير مغيل» والخبر عطف على قوله جلد من الثنيان .
والغبر بقايا الحيض . المغيلة : الحبل أو نقي تغشي وهي ترضع ؛ ولكن الذي ورد في اللسان والقاموس :
أغليت المرأة فهي مغيل . (٥) كذا في الألمانية . وفي التيمورسرافية «بادات» .

حدثني محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يكر
 البكرين شيطان مخلد لا يموت الى يوم القيامة ، يعنى من الشياطين . قالوا : وابن المذكرة
 من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه
 وخصال أمه . والعرب تذكر أن الغيرى لا يُنجب . قال عمرو بن معديكرب
 أَلَسْتَ تَصِيرُ^(١) إِذَا مَا تُسَبِّحُ^(٢) بَيْنَ الْمَغَارَةِ وَالْأَحْمَقِ

وقال بعض الحكماء : كل امرأة أودابة تُبْطِئُ عن الحبل : إذا واقعها الفحل في الأيام
 التي يجري الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عبيد الله بن الحسن : إذا أردت
 أن تُذكر المرأة فأغضبها ثم قع عليها ، وقال الحارث بن كلدة : إذا أردت أن تحبل المرأة
 فمشها في عرصة الدار عشرة أشواط فإن رجمها ينزل فلا تكاد تُخلف . والعرب
 تقول : إن المرأة إذا لقحت في قُبُلِ الطَّهْرِ^(٣) في أول الشهر عند تبليج الفجر ثم أذكرت
 جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعاني :

لَقِحت في الهلال عن قُبُلِ الطَّهْرِ * وقد لاح للصباح بشير

ويقولون : إذا أكره الرجل المرأة وهي مذعورة ثم أذكرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلي :

حملت به في ليلة مَرءِودَةٍ * كرها وعقد نطاقها لم يُحْلَلْ^(٤)

فأتت به حَوْشَ الْجَنَانِ مَبْطَنًا * سَهْدًا إذا ما نام ليل الحوجل^(٥)

ومبرأ من كل غبر حيضة * ورَضَاعٍ مُغِيلَةٍ وداءٍ مُعْضِل

(١) في الأصل : قصيرا ، والتصويب عن العقد النريد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) المغارة : من أغارها
 زوجها بزوجته عليها . (٣) قبل الطهر : أوله . (٤) مرءودة : مذعورة ، وفي تعليقات الشيخ
 اشتد على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش : كان أبو عبيدة ينصب
 مرءودة والأصمعي يجرها بجعل الزود ليلية . وساق هذا البيت صاحب مغني الثيب في أواخر الكتاب وقال :
 يروى بالجر صفة ليلية وبالنصب حالا من الضمير في حملت . وضعف هذا الوجه بأن ذكر الليلة حينئذ لا كبير
 فائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديدته . ومبطن : ضامر البطن حيضه . وسهد : قليل النوم .
 والحوجل : البطي ، الثقيل . وقد روى في الأصل الفتوغرافي : « إذا ما قام ليل الحوجل » وهو
 تحريف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب في مادة « حوش » .

يقول : لم تر عليه في حملها دما باقيا من حيضة ولا حملته وهي ترضع ولا أرضعته وهي حامل ، فكانت العرب تكره ذلك وتسب به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(١) "لقد هممت أن أنهى عن الغيلة ثم ذكرت أن فارس والروم يفعلونه فلا يضرهم" وفي حديث آخر : "إنه ليدرك الفارس فيدثره" أي يطرحه .

٥ حدثني إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جدة أبنه إحدى وعشرين سنة . قال : وأول أوقات حمل المرأة تسع سنين ، وهو أول وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وهي بنت تسع . وقال عبد الله ابن صالح : حدثني الليث عن ابن عجلان أن أمراة حملت له مرة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال الليث : وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاث سنين حتى خافت أن يكون في جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتي أهلنا . وفي بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أمه ثمانية أشهر ، ولذلك لا يولد موالود ثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحباب عن ابن سنان قال : حدثني ثابت بن جابر العجلي أن الضحاک بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهرا ، فأما يزيد بن هارون فإنه روى عن جويبر أن الضحاک ولد لستين . وولد شعبة لستين . حدثنا الرياشي ١٥ أو رجل عنه قال حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مؤمل عن ابن أبي مليكة أن عمر رحمه الله قال : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم^(٢) فأنكحوا في النزاع^(٣) . قال : وقال

(١) ورد هذا الحديث في طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه مخالفة غير جوهرية لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : الغيلة أن يمس الرجل أمراة وهي ترضع" .

(٢) أضوى الرجل : ولده غلام ضاوى ، والضاوى : الضعيف . (٣) النزاع جمع نزيمة وهي المرأة التي تزرع في غير عسرتها . ٢٠

الأصمعيّ قال رجل : بنات العمّ أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رءوس الأبطال
كأبن عجمية . والعرب تقول : أغتربوا لا تُضوّوا ، أي أنكحوا في الغرائب فإن
القرائب يُضوين الأولاد . قال الشاعر :

إن بلالاً لم تشينه أمه * لم يتناسب خاله وعمه

وقال آخر :

تجبتُها للنسل وهي غريبة * بجاءت به كالبدن خرقاً معماً^(٢)

فلوشاتم الفتيان في الحى ظالماً * لما وجدوا غير التكذب مسماً

وكان يقال : أنجب النساء الفروك^(٣) ، لأن الرجل يغلبها على الشبه لزهدها في الرجال .

وحديثي أبو حاتم عن الأصمعيّ أن المنجبة التي تنزع بولدها إلى أكرم الجدين .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : حدثنا حرب بن قطن قال : يقال : إن الرجل يستفرغ
ولد امرأتين ، يُولد له وهو ابن تسعين سنة . وقالت عائشة : لا تلد امرأة بعد خمسين

سنة . قالت الحكماء : الزنج شرار الخلق وأردؤهم تركبها لأن بلادهم سخنت فأحرقتهم

الأرحام ، وكذلك من بردت بلاده فلم تطبخه الأرحام ، وإنما فضل أهل بابل لعلّة

الاعتدال ؛ قالوا : والشمس شيطت شعورهم فقبضتهم ، والشعر إذا أدنيت إلى النار

تجعد ، فإن زدته تفلّفل ، فإن زدته آحرق . وقالوا : أطيب الأمم أفواها الزنج وإن لم

تستن ؛ وكل إنسان رطب الفم كثير الريق فهو طيب الفم ؛ وخلوف فم الصائم يكون

لخثورة الريق ؛ وكذلك الخلوف في آخر الليل . وقالت الحكماء : كل الحيوان إذا ألقى

في الماء سبّح إلا الإنسان والفرس الأعسر^(٦) ، فإن هذه تغرق ولا تسبح إلا أن

(١) كذا بالأصليين ، وأورده صاحب النهاية واللسان على أنه حديث . (٢) الخرق : الفقى الحسن

الكريم الخليفة . (٣) الفروك : المرأة تبغض زوجها . (٤) تستن : تسالك .

(٥) الخثورة ضد الرقة . (٦) الأعسر : الذي يعمل بالشمال دون اليمين .

يتعلم الإنسان السباحة . قالوا : والرجل اذا ضربت عنقه فألقى في الماء قام في وسط الماء وانتصب ولم يلزم القعر جاريا كان الماء أو ساكنا ، حتى اذا جف أنقلب وظهر بدنه كله مستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر منكبة على وجهها . وقالوا : كل من قطعت يده لم يجد العدو ، وكذلك الطائر إذا قطعت رجلاه لم يجد الطيران . قالوا : وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحضر^(١) إلا أخذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سؤم طبيعته . ولذلك قالوا : بخاءك على وحشيه^(٢) ، وأنحى على شؤمي^(٣) يديه . وقالوا : كل ذي عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشية والإنسية فإنما الأشفار بلحفنه الأعلى إلا الإنسان فإن الأشفار — نعى الهدب — بلحفنيه : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس في الأرض إنسان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتربه الغلط في شعره وولده . قال الطائي :

ويُسيء بالإحسان ظناً لا كمن^(٤) * هو بأبنه وبشعره مفتون

وقالوا : كل ذي جلد فإن جلده ينسلخ إلا جلد الإنسان ، فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي طرفة الهذلي عن جندب بن شبيب^(٥) قال : إذا رأيت المولود قبل أن يغتدى من لبن أمه فعلى وجهه مصباح من البيان ؛ يريد أن ألبان النساء تغيره ، ولذلك قولهم : اللبن يُسببه عليه ؛ يراد أنه يترع بالمولود في شبه الظئر . قال الشاعر :

لم أرَ ضِع الدهر إلا ثدي واحدة * لَوَاضِحِ الوجه يحمي ساحة الدار

(١) الحضر : ارتفاع الفرس في عدوه . (٢) وحشى كل شيء ، شقه الأيسر وفي الأصلين «وحشة» وما وضعناه هو الذي يناسب السياق . (٣) أنحى على شؤمي يديه : اعتمد عليها ، وشؤمي اليدين هي اليسرى ، وفي الأصلين «ألحى» بدل «أنحى» . (٤) في الأصل «كل من» والتصويب عن الديوان . (٥) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق .

وحدثني الزياتي قال : حدثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عمر أتي
بامرأة ولدت لسته أشهر فهم بها ، فقال له علي : قد يكون هذا ، قال الله عز وجل :
(وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) وقال : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) .
أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختصم رجلان في غلام كلاهما يدعيه ، فسأل عمر
أمه ، فقالت : غشيتني أحدهما ثم هرقت دما ، ثم غشيتني الآخر ، فدعا عمر قاتلتي^(١) فسألها ،
فقال أحدهما : أعيان أم أيسر ؟ قال : أيسر ، قال : أشتركا فيه ، فضربه عمر حتى أضطجع
ثم سأل الآخر ، فقال مثل قوله ، فقال : ما كنت أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمت
أن الكلبة يسفدها الكلاب فتؤدى إلى كل فحل نجاة . وركب الناس في أرجلهم^(٢)
وركب ذوات الأربع في أيديها ، وكل طائر كفه في رجله .

ما نقص خلقه من الحيوان

حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : الفرس لا يطحال له ، والبعير لا مראה له ،
والظليم لا تحل لعظمه . قال زهير :

كأن الرجل منها فوق صعل^(٤) * من الظلمان جوجؤه هواء^(٥)

وكذلك طير الماء وحياتان البحر لا ألسنة لها ولا أذمغة . وصفن البعير لا بيضة^(٦)
فيه . والسمكة لا رئة لها ولذلك لا تنفّس ، وكل ذي رئة يتنفس .

(١) القائف : الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

(٢) كذا في النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما في العقد الفريد . وفي الألمانية : ركه .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الصعل : الطويل . وفي الفتوغرافية « صقل » .

(٥) الجوجؤ : الصدر .

(٦) الصفن : رعاء الخصلة .

المشتركات من الحيوان

(١) الراعى بين الورشان والحمامة . (٢) والبخاتي من الإبل بين العرّاب والفوّاج . (٣) والحمير
الأخدرية من الأخدر وهو فارس كان لأردشير توحش فخمى عانأت من الحمير (٤)
فيهرب فيها ، وأعمارها كأعمار الخيل . (٥) والزرافة بين الناقة من نوق الوحوش وبين
البقرة الوحشية وبين الضبعان ؛ (٦) وأسمها اشتراكا ويلتصق أى بين الجمل والكر كند ؛ وذلك
أن الضبعان ببلاد الحبشة يسفد الناقة فتجىء بولد خلقة بين الناقة والضبع ، فإن كان
ولد الناقة ذكرا عرّض للمهاة فالتحقها زرافة . (٧) وتسمى زرافة لأنها جماعة وهى واحدة
كأنها جمل وبقرة وضبع ؛ والزرافة فى كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق :
الكلاب تسفدها الذئاب فى أرض سلوقية (٨) فيكون منها الكلاب السلوقية . (٩)

- ١٠ (١) الراعى : طائر مولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش ضويلا . (٢) الورشان : ذكر
الفهاري كما فى حياة الحيوان . (٣) فى الأصل « الحمامة » وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣
ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاتي جمع بختى وهى الإبل الحراسانية .
(٥) العرّاب : إبل خلاف البخاتي كما فى اللسان . (٦) جمع فنج وهو جمل ضخم ذو سنامين يحمل
من السند للقطعة . (٧) جمع عانة وهى القطيع من حمر الوحش . (٨) هو الذكر من الضبع وهو
مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصاحح مركبة من اشتراى البعير وكاواى البقر ويلتصق أى التمر
١٥ وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ ويلتصق الضبع ؛ والأول هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة
الألمانية « الكركن » وهو قريب مما أثبتناه وفى النسخة الفوتوغرافية « الكركى » وهو طائر كبير معروف .
والكر كند كما فى حياة الحيوان حيوان ضوله مائة ذراع فأكثر وسماه الجاحظ الكركدن ، ومعادنه بلاد
الهند والنوبة وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والقبيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشراكا ويلتصق)
٢٠ يخالف بعض المخالفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) المهاة : البقرة
الوحشية ، وفى الأصلين : « المهرة » والسياق يحتم ما وضعنا . فلعل ما فى الأصل تحريف من الناسخ .
(١٢) نسبة الى سلوق وهى قرية باليمن تنسب اليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الأصل « بينها »
وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعاديات

- بين البوم والغراب عداوة . وبين الفأرة والعقرب عداوة . وبين الغراب وآبن عرس عداوة . وبين الحداة والغداف عداوة . وبين العنكبوت وبين العظاءة عداوة . وبين الحية وبين آبن عرس عداوة . وبين آوى والدجاج عداوة . وبين السنور والحمام عداوة . وبين البوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البومة ردية البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقو عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهي بالنهار تضربها وتنتف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير . وبين الحمار وبين عصفور الشوك عداوة ، ومتى نهق الحمار سقط بيض عصفور الشوك . وبين الحمار وبين الغراب عداوة . وبين الحية والخنزير عداوة . والغراب مصادق للثعلب . والثعلب مصادق للحية . والجلل يكره قرب الفرس أبدا ويقاتله . وبين الأسد وبين الفيل عداوة ، ويقال : إن الأسد والنمر مختلفان ، والأسد والببر متفقان .

الأمثال المضروبة بالطبائع

- يقال : فلان «أسمع من قراد» ، والقردان تكون عند المساء فإن قربت الإبل منها تحركت وأنتعشت . فيستدلون بذلك على إقبال الإبل . و«أسمع من فرس» . و«أحزم من فرخ العقاب» ، وذلك أنه يكون في عرض الجبل فلا يتحرك فيسقط . و«أحلم من

- (١) الغداف : الغراب وخص بعضهم به غراب القيفض الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .
(٢) هذه لغة أهل العالية ، ولغة بني تميم «العظاية» بالياء ، قال صاحب حياة الحيوان نقلا عن الأزهري : هي دويبة لسان تعدو وتتردد كثيرا تشبه سأم أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى ، وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل .
(٣) ابن آوى : حيوان طويل المخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر الهميري أن ابن آوى إذا مرت تحت الدجاج وهي على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا . (٤) البير مضبوط في اللسان والقاموس بفتح الباء الأولى وسكون الثانية وصرح في حياة الحيوان أنه بفتح الأولى وكسر الثانية : نوع من السباع شبيه بآبن آوى
(٥) القراد بالضم واحدة قرادة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه .

حية» . و«أهدى من قَطَاةٍ وَحَمَامَةٍ» . و«أخَفَّ رأساً من الذَّبِّ» . و«أنوم من فَهْدٍ» .
و«أظلم من حِيَّةٍ» ، وذلك لأنها تدخل حِجْرَةَ الْحَشَرَاتِ وتُخْرِجُهَا . و«أحذر من
غراب» . و«أصنع من تَنَوُّطٍ» ، وهو طائر يصنع عُشّاً مَدَلَّى من الشجر . و«أصنع
من سُرفَةٍ» ، وهي دُويَّةٌ تعمل بيتاً من قِطَعِ الْعِيدَانِ . و«أسرق من زَبَابَةٍ» ، وهي
فَأْرَةٌ بَرِّيَّةٌ . و«أسرق من كُنْدُشٍ» وهو الْعَقَّعُ ؛ ويقال أيضاً : «أحق من عَقَّعٍ»
لأنه من الطير الذي يُضَيِّعُ فِرَاحَهُ . و«أحرق من حَمَامَةٍ» ، وذلك لأنها لا تُجيد
عمل العُشِّ فربما وقع البيض فانكسر . قال عبيد بن الأبرص :

عَيُّوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بَيَضَتِهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ^(١)

يقول : قَرَنْتِ النَّشْمَ بِالثَّمَامِ وهو ضعيف فتكسر ووقع البيض فانكسر . وفي الإنجيل
أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : كونوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبُلْهًا كَالْحَمَامِ . و«أعق
من ضَبٍّ» ، لأنه يأكل ولده من الجوع . و«أبر من هِرَّةٍ» ، وهي تأكل ولدها من
شدة محبته . و«أروغ من نُعَلْبٍ» . و«أموق من رَحْمَةٍ»^(٢) . و«أزهي من ذُبَابٍ»
لأنه يقع على أنف الملك وتاجه . و«أصنع من الدَّبْرِ» . وهي النحل . و«أسمع من
لاَفْظَةٍ» ، ويقال : هي العُزْرُ تسمع بالحَلْبِ ، ويقال : الرِّحَاءُ ، لأنها تلفظ ما تطحنه
لاتحبس منه شيئاً . و«أصرد من عين حِرْبَاءٍ»^(٣) . و«ألح من الحُنْفَسَاءِ» . و«أخيل
من مُدَالَةٍ» ، وهي الأُمَّة تُهان وهي تبتخر . و«أحلم من فرخ الطائر» . و«أكيس
من قِشَّةٍ» ، وهي القِرْدَةُ . و«أجهن من صَافِرٍ» . وهو ما صفر من الطير ، ويقال : هو

(١) النشم بالتحريك : شجر جليّ تتخذ منه القسي ، والثمامة واحدة الثمام : نبت ضعيف .

(٢) أموق : أحق ، من الموق وهو الحق . (٣) في مجمع الأمثال للبدائي : الحرباء . بالتعريف ، وعمله

بأن الحرباء تستقبل الشمس أبداً بعينها تستجلب إليها الدفء . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالتعريف أيضاً .

- (١) الصافر بالمرأة للريبة . و «أتم من صبح» . و «أبعد من بيض الأنوق» ، والأنوق :
الريجة تبيض في أعالي الجبال والشواحق حيث لا يبلغه سبغ ولا طائر . و «أشجع من
ليث عفرين» ، قال بعضهم : هو الأسد ، كأنه قال : أشجع من ليث ليوث تعفر من
نازعها وتصرعه ، وقال الأصمعي : هو دابة مثل الحرباء يتحدى الراكب ويضربه
بذنبه . و «أحن من شريف» ، وهي الناقة المسنة . و «أسرع من عدوى الثوباء» .
و «أروى من النقا» ، وهي الضفادع . و «أزنى من قرد» ، ويقول بعضهم : إنه
رجل من هذيل كان كثير الزنا . و «أخدع من صب» . و «أشأم من الزرقاء»
وهي ناقة .

الأنعام

- ١٠ حدثني يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلي عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما خلق الله دابة أكرم عليه من النعجة»
وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .

وقال : حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يعرف
كشح الحامل من غير أن يشمها . قيل لأبنة الخس : ما تقولين في مائة من المعز؟
(٤) (٥)

- (١) وفي النسخة الألمانية : «بالمرأة المريبة» وعبارة الأساس «هو الذي يصفر لريبه فهو وجل أن
يظهر عليه ، وقيل : هو طائر ينكس رأسه ليلا ويتعلق برجليه وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ» .
(٢) في الأصلين «تعقر» والسيق يقتضي ما وضعنا إذ سيق الفعل لبيان الاشتقاق . (٣) في مجمع
الأمثال للميداني : «أشأم من ورقاء» وقال : يعنون الناقة وهي مشؤمة وذلك أنها ربما نفرت فذهبت
في الأرض . وما في الأصل حكاه الميداني عن أبي الندى وقال : الزرقاء ناقة نفرت براكبها فذهبت
في الأرض . (٤) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل الفتوغرافي
هكذا «يسها» وفي النسخة الألمانية «يسهي» . (٥) آبنة الخس : امرأة من إباد جاءت عنها
الأمثال وأسمها هند وكانت معروفة بالفصاحة .

قالت : قِنِّي ، قيل : فَمائة من الضأن ؟ قالت : غَنِّي ، قيل : فَمائة من الإبل ؟ قالت : مُنِّي . والعرب تضرب المثل في الصَّرد بالمِعزى فتقول : « أَصردُ من عَنزٍ جَرَباء » . وسئل دَغْفَلٌ عن بني مخزوم ، فقال : مِعزَى مَطيرة ، عليها قُشَعْريرة ، إلا بني المَغيرة ، فإنَّ فيهم تشادقُ الكلام ، ومُصَاهرة الكرام .

وقالت العرب فيما تقول على ألسنة البهائم : قالت المِعزَى : الأُسْتُ جَهْوَى^(١) ، والذَنبُ أَلْوَى ، وإِجلدُ رُقَاق ، والشَّعرُ دُقَاق . قالوا : والضأن تضع مرة في السنة وتُفَرِّد ولا تُنْتَمِ ، والماعِز قد تلد مرتين في السنة ، تضع الثلاثة وأكثَر وأقل ، والنَّماء والبركة والعدد في الضأن ، وكذلك الخنازير تضع الأثنى منها عشرين خنوصاً ولا نَماء فيها . ويقال : الجَوَاميس ضأنُ البقر ، والبُخْت ضأنُ الإبل ، والبراذين ضأنُ الخيل ، وإِجرذان ضأنُ الفأر ، والدُّلدُل ضأنُ القنَافذ ، والنمل ضأنُ الدَّر . ويقول الأطباء في لحم الماعِز : إنَّه يورث الهَمَّ ويحرك السَّوداء ويورث النسيانَ ويَجَبِّلُ الأولادَ ويُفسد الدَّم ، ولحمُ الضأن يضرُّ بمن يُصرَّع من المِرة إضراراً شديداً حتى يصرَّعَهم في غير أوان الصَّرع . وأوانُ الصرع الأَهْلَةُ وأنصافُ الشهور ، وهذان الوقتان هما وقت مدِّ البحر وزيادة الماء والدم ، ولزيادة القمر إلى أن يصير بدراً أثر في زيادة الدَّم والدماغ وجميع الرُّطوبات ، قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَائٍ * فَهُمْ يَعْجُونَ قَدَمًا لَطَلَاهُمْ^(٢)

وفي الماعِزة : إنَّها تراضع من خَلْقِها وهي مُحْفَلَةٌ^(٣) حتى تأتي على كلِّ ما فيه ، قال ابنُ أحرار

(١) الصرد : البرد ، لأن المعزى لا تدفأ لقلَّة شعرها . (٢) جَهْوَى : مكشوفة (٣) الرجل البهيج :

الضعيف المشي كأنه مبعوج البطن ، وفي النسخة الألمانية : « فهم يعجون » بالياء المشاة وهو بحريف :

(٤) الخلف بالكسر : حَلَّة الصرع . (٥) المحفلة : التي ترك حلبها أباماً ليجمع اللبن في ضرعها .

إني وجدتُ بني أعيًا^(١) وجاملهم^(٢) * كالعند تعطف روقيها فترتضع^(٣)

وإذا رعت الضائنة والماعزة في قصير نبت لم ينبت ما تأكله الماعزة لأن الضائنة تقرضه بأسنانها والماعزة تقتله وتجذبه فتثريه من أصله . وإذا حمل على الماعزة فحملت أنزلت اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولاد ، ولذلك تقول العرب «رمدت المعزى فرنق رنق» و«رمدت الضأن فربق ربق»^(٥) .
وذكور كل شيء أحسن من إناثه إلا الثيوس فإنها أقبح من الصفايا . وأصوات الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها .
قيل لأعرابي : بأي شيء تعرف حمل شاتك ؟ قال : إذا ورم حياؤها ورجت شعرتها وأستفاضت خاصرتها .

قال الأصمعي : لبني عقيل ماعزة لا ترد ، تجترى بالرطب . وقرأت في كتاب من كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه . وقرأت فيه أن الإبل تتحامي أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها .
قالوا : وكل ثور أفتس^(٦) ، وكل بعير أعلم^(٧) ، وكل ذباب أقرح^(٨) . وقالوا : البعير إذا صعب وخافه الناس استعانوا عليه حتى يبرك^(٩) ويعقل ثم يركبه فحل^(١٠) أنحر فيذل . والعرب تعرف

- ١٥ (١) كذا في الأصل والصحيح والذي في اللسان في مادة «رضع» : * إني رأيت بني سهم وعزهم *
و«أعيًا» أبو بطن من أسد كما في اللسان . (٢) الجامل قطع من الإبل معها رعيانها وأربابها .
(٣) الروق : القرن ، يريد أنهم لا يحتلبون نياقهم وإنما يرتضعونها خشية أن يسمع العافون صوت الحلب فيطلبون اللبن منهم . (٤) الترميد : أن تعظم الضروع . والترنيق : الانتظار . والمعنى أن عظم ضرع الماعزة لا يدل على قرب ولادتها . (٥) أي هي «الأولادها الأرباق» (جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه عقدة عرى يشد به البهم . كل عروة ربة بالكسر والفتح) يعني أن عظم ضرع الضأن يدل على قرب ولادتها ، وهو مثل يضرب لما لا ينتظر وقوعه انتظارا طويلا على عكس المثل الأول .
٢٠ (٦) الأفتس : الذي تطأمنت قصبة أنفه وانتشرت أو أنشرم أنفه في وجهه . (٧) الأعلم : المشقوق المشفر الأعلى . (٨) الأقرح : الذي بوجهه قرحة تظهر كالغرة .

البعير المغتد بسقوط الذباب عليه . ويقولون : بعير مذبوب إذا عرّض له داء يدعو الذباب الى السقوط عليه . وقال بعض القصاص : مما فضل الله به الكبش أن جعله مستور العورة من قبل ومن دبر ، ومما أهان به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر .

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أمية عن وهب بن منبه أنه قال : كان في مناجاة عزيز : اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة ، ومن الطير الحمامة ، ومن النبات الحبلية ، ومن البيوت بكّة وإيلياء ، ومن إيلياء بيت المقدس . وفي الحديث أن امرأة أتت النبي عليه السلام فقالت : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، إني آتخذت غنما أبتغي نسلها ورسلها وإني لا تنمو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ألوانها " ، قالت : سود ، فقال : " عفري " ، وبعث الى الرعيان " من كانت له غنم سود فليخلطها بعفري فإن دم عفراء أزكى من دم سوداوين " . وقال : " الغنم إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أقبلت . والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأثام " . والأقط قد يكون من المعزى ، قال امرؤ القيس :

لنا غنم نسوقها غزار * كأت قرون جلّتها عصى

فتملا بيتنا أقطا وسمنا * وحسبك من غنى شبع وري

وقالوا : شقشقة البعير : لهاته يخرجها . ومن أحسن ما قيل في الغنم قول مخارق ابن شهاب في تيس غنمه :

(١) أثة البعير : أصيب بالغة ، وهي طاعون الإبل (٢) في النسخة الألمانية " في مناجاة عزيز الله إنك . . . " وظاهر أنه تحريف . (٣) الحبلية تطلق على بقلة طيبة من ذكور البقل وعلى الكرم وعلى شجر العضاء . (٤) بكّة : مكة . وإيلياء : اسم مدينة بيت المقدس . (٥) الرسل : اللبن . (٦) عفري : من العفرو وهو البياض . (٧) الأثام : الشمال .

وراحت أصيلاً كأنَّ ضروعها * دلاء وفيها وائدُ القرن ليلب^(١)
له رعشات كالشَّنُوفِ وغرة^(٢) * شديخ^(٣) ولون كالوذيلة مذهب^(٤)
وعينا أحم المقتلين وعصمة^(٥) * يواصلها دان من الظلف مكذب^(٦)
إذا دوحة من مخرف الضال أذبلت * عطاها كما يعطو ذرى الضال قرهب^(٧)
أبو الحور والغتر اللواتي كأنها * من الحسن في الأعناق جزع مثقب^(٨)
تري ضيفها فيها بيت بغبطة * وضيف ابن قيس جائع يتخوب^(٩)
فوفد ابن قيس هذا على النعمان فقال : كيف المخارق فيكم ؟ قال : سيد كريم من رجل^(١٠)
يمدح تيسه ويهجو ابن عمه . قال العجاج في وصف شاة : حمراء المقدم شعراء المؤخر
إذا أقبلت حسبتهما نافرا ، وإذا أدبرت حسبتهما نائرا ، أى كأنها تعطس ، يريد من أى
أقطارها رأيتها وجدتها مشرقة .

١٠

- (١) وائد القرن : منتصبه . (٢) قال صاحب اللسان : أراد بالليلب شفقتة على المعزى التى أرسل فيها فهو ذليلبة عليها أى ذو شفقة . (٣) رعنا الشاة : زمنها تحت الأذنين . وفى الأصل الفتوغرافى : غرئات وهو تحريف . (٤) جمع شنف وهو القرط ، وفى الأصل الفتوغرافى كالسيوف وهو تحريف . (٥) غرة شادخة وشديخ : غشت الوجه من الناصية الى الأنف . (٦) المرأة أو قطعة من الفضة مجاوة . (٧) العصمة : البياض فى ذراعى الطبي أو الوعل . (٨) الظلف : ظفر كل ما آجر ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها . (٩) مكذب : غليظ ، من الكذب وهو غلظ يد الرجل والخف والحافر واليد . (١٠) المخرف : الذى حان خرافه أى اقتطاف ثمره . (١١) من العطو وهو تناول . (١٢) القرهب من الثيران : المسن الضخم . (١٣) الجزع بالفتح ويكسر : الخرز اليماني الصبى فيه سواد وبياض . (١٤) يتخوب : يتوهم . كذلك وردت فى كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفى الفتوغرافية : « يتخوب » ولم نجد هذا الفعل وإنما ورد الخوبة : المجاعة . (١٥) هكذا بالأصول ، والذى فى كتاب الحيوان لملاحظ ج ٥ ص ١٤٠ « سيد شريف يمدح » الخ بدون من رجل .

٢٠

قال الأصمعي: قال أعرابي يهزأ بصاحبه: اشتري لي شاة فقهاء كأنها تضحك، مندليقة^(١) خاصرتها، لها ضرع أرقط كأنه جيب؛ قال: فكيف العطل؟ قال: أتى لهذه عطل! العطل: العنق. يقول: من سئمتها يحسب أنه لا عنق لها.

ومما تقوله العرب على السنة الهائم. قالت الضائشة: أولد رخالاً وأجر جفالاً^(٢) وأحلب كُثْباً ثقالاً ولم ترمثلى^(٣) مالا حقلاً. تقول: أجز مرة وذلك أن الضائشة إذا جرت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يثوي عليه؛ والكُثْب جمع كُثْبَة وهي الدفعة من اللبن، تقول: أحلب دفعة ثقالاً من اللبن، وذلك لأن لبنها أدهم وأخثر من لبن المعز فهو أثقل.

السباع وما شاكلها

يقال: إنه ليس شيء من السباع أطيب أفواها من الكلاب، ولا في الوحوش^(٤) أطيب أفواها من الظباء. ويقال: ليس شيء أشد بخرًا من أسد وصقر، ولا في السباع اسبح من كلب. وليس في الأرض خلل^(٥) من جميع أجناس الحيوان لذكره حجم ظاهر إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحار ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الروم: إن الأسد يدع بصوت الديك ولا يدنو من^(٦) المرأة الطامث. والأسد إذا بال شغركا يشغركا^(٧) الكلب؛ وهو قليل الشرب للماء، ونحوه^(٨)

(١) الفقم: تقدم الثنايا العليا. (٢) في الأصل الفتورغ في مندليقة بالذال المعجمة والقاف وفي الألمانية «مندليقة» بالذال المعجمة والقاف. ولعل الصواب ما أثبتناه؛ والاندلاق: الاسترخاء. (٣) الرخال: جمع رخل بالكسر وبهاء وككف: الأتني من ولد الضان. (٤) الحفال كغراب: العظيم. (٥) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهي أنسب بالسياق. وفي الأصلين: «الكلب». (٦) كذا في العقد الفريد وفي الأصلين: «الحوض». (٧) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفتورغرافية: من صوت «الديك». وعبرة الدميري «يفزع من صوت الديك ونقر الطست». (٨) من الطمث وهو الحوض، وعبرة الدميري «ولا يدنو من المرأة الحامض ولو بلغ الجهد». (٩) شغل الكلب: رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل.

يشبه نجو الكلب ، ودواء عَضَّتْهُ دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب . وقالوا : العيون التي تضيء بالليل عيون الأسد والثور والسنانير والأفاعي . والعرب تقول هو «أحمق من جَهِيْزَة» وهي الذئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضبع . ويقولون : الضبع إذا صيدت أوقلت عال الذئب أولادها وأتاها باللحم ؛ قال الكُمَيْت :

كما خامرت في بيتها أم عامر^(١) * لدى الحبل^(٢) حتى عال أوس^(٣) عياها

أوس : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع في قيمها : الأسد والكلب والسنور ، ويقال : الضب أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكلب وهو جنون ، والذئبة والنقرس . والعرب تقول : دماء الملوك شفاء من عَضَّة الكَلْب الكَلْب والجنون والحبل ؛ قال الفرزدق :

من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداء المجنة والحبل

وبلغني عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب الذراريخ^(٤) والعدس والشراب العتيق يصنع ؛ وقد ذكر كيف صنّعه وكم يشرب منه وكيف يتعالج به ، والكلب الكلب إذا عض إنسانا فرما أحاله نبأحا مثله ثم أحبله وألقحه بأجر صغار تراها علقا في صور الكلاب .

(١) أم عامر : كنية الضبع .

(٢) الحبل نلى هذه الرواية حبل الرمل روى «لدى الحبل» والمراد بذى الحبل الصائد الذي يعلق الحبل في عرقوب الضبع .

(٣) كذا في الأصلين وفي لسان العرب في مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا في مادة أوس :

غال أوس بالغين المعجمة وقال في تفسيرها : يعني أكل جرائها .

(٤) الذراريخ جمع ذروح وهي دويبة حمراء منقطة بسواد أعظم من الذباب شيئا .

(٥) جمع جرر .

قال أبو اليقظان : كان الأسود بن أوس بن الحُمْرَة أُنِي النجاشيَّ فعَلَّمَهُ دواء
الكَلْب ، فهو في ولده إلى اليوم . فمن ولده الحِجْل ، وقد داوى الحِجْل عُتَيْبَةَ بنِ مِرْدَاس
فأخرج منه مثل جِرَاء الكلاب عَلَقًا ، قال ابنُ فسوة ^(١) حين برأ :

ولولا دواء ابن الحِجْل وعلمُه • همرت إذا ما الناس همرَ كَلْبِهَا
وأخرج بعد الله أولادَ زَارِعٍ • ^(٢) مُوَلَّعَةً ^(٣) أَكْتَافُهَا ^(٤) وَجُنُوبُهَا

الكَلْب : جمع كَلْبٍ على غير قياسٍ مثل عبد وعبيد .

وعَضَّ رجلا من بني العنبر كَلْبٌ كَلْبٌ فبال علقا في صُور الكلاب ، فقالت امرأته :
أَبَالِكَ أَذْرَاصًا وَأَوْلَادَ زَارِعٍ • ^(٥) وتلك لَعَمْرِي نُهْيَةُ المتعجبِ

ويزعمون أنه يطلب الماء أشدَّ طلبٍ ، فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد
لا أريد ، أو شيئا في معنى ذلك . قالوا : وتنام حَمَل الكلبة ستون يوما ، فإن وضعت ^(٦)
في أقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وإناث الكلاب تحيض في كل سبعة أيام ،
وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثَمَرُ الكلبة ^(٧) ولا تُريد السَّفَادَ في ذلك الوقت . وذُكُورُ السَّلُوقِيَّةِ
تعيش عشرين سنة ، والإناثُ تعيش اثنتي عشرة سنة . وليس يُلقَى الكلب شيئا من
أسنانه سوى النابيين .

قالوا : وعلامةُ سرعة الكلب أن يطول ما بين يديه ورجليه ويكون قصير الظهر .
ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العنق وغلظها وإفراط الغضف ^(٨) وزرق العينين

(١) ابن فسوة كنية عتيبة بن مرداس ، وظاهر ما في الأصل أن البيتين لعتيبة نفسه ولكن المؤلف
في كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر ، ثم ساق البيتين . (٢) زارع : اسم كلب ، ووجه
قيل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون في الدابة ضروب من الألوان .
(٤) في النسخة الألمانية : « أكفافها » . (٥) جمع درص — بالفصح ويكسر — وهو ولد التمتنذ
والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها . (٦) في النسخة القموقرافية « وأيام » .
(٧) الثفر — بالفصح ويضم — اللباع والمخاطب كالحياء للناقة . (٨) الغضف : استرخاء الأذن .

وعِظَمِ المقلتين وطول الخَطْمِ مع اللطافة وسعة الشَّدقين وتَوَّء الحسَدقة وتَوَّء الجَمَّبة وعِصْرُهما، وأن يكون الشَّعر الذي تحت حَنَكه طاقَةً طاقَةً ويكون غليظاً، وكذلك شعر خَدَّيه، ويكون قصيرَ اليدين طويلَ الرجلين عريضَ الظهر طويلَ الصدر، في ركبته أنحاء، ويكره للذكور طول الأذنان، ومن علامة الفَراهة التي لا تكاد تَخْلَف أن يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب مَحَلَّبٌ، وينبغي أن يُقَطَّع من الساقين، وسودُّ الكلاب أعقرُها، ولذلك أمر بقتلها.

قالوا: وإذا هَرِمَ الكلبُ أَطْعِمَ السَّمَنَ مراراً فإنه يعود كالشَّابِّ، وإذا حَفِيَ دُهِنَتْ آسِنته وأَجِمَّ^(١) ومِسَحَ على يديه ورجليه القَطِرَانُ. وإذا بلغ أن يَشْغَرَ فقد بلغ الإلفاح. والكلب من الحيوان الذي يحتلم. قالوا في الكلبة: إنه يسفدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدى إلى كل سافِدٍ شكله وشبهه.

قعد جماعة من أصحابنا يعدون ما جاء في الكلب من الأمثال فحفظت منه: «الأمُّ من كلبٍ على عَرَقٍ» و«أَجِيعُ كَلْبِكَ يَتَبَعُكَ» و«نَعِيمُ كَلْبٍ فِي بُؤْسِ أَهْلِهِ» و«أَسْمِنُ كَلْبِكَ يَا كَلْكُ» و«أَحْرُصُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى عِيقِ صَبِيٍّ» و«أَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْملَ» و«أَبُولُ مِنْ كَلْبٍ» و«جَلَسَ فُلَانٌ مَرْجَرِ الكلب» و«الكلاب على [البقر]» و«الكلبُ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ الظَّاعِنُ» و«هو كالكلب في الأذى لا يعتلف ولا يدع الدابة تعتلف».

(١) كذا في الأصل الفتوغرافي، وفي النسخة الألمانية: «أرجم». وأَجِمَّ: تَرَكْتُ لِيَسْتَعِيدَ قُوَّتَهُ.

(٢) في الأصلين: «قالوا وفي الكلبة» وظاهر أن الواو زائدة.

(٣) العرق: العظمُ أكل لحمه، أو العظم بلحم.

(٤) العِيقُ: أَوَّلُ حَدَثِ الصَّبِيِّ.

(٥) الزيادة من مجمع الأمثال، وهو مثل يضرب عند تحوُّش بعض القوم على بعض من غير مبالاة.

الذئب

الذئب إذا سفد الذئبة فالتحم الفرجان وهم عليهما هاجم قتلها كيف شاء . إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك ، لأن الذئب إذا أراد السفاد توخى موضعا لا يطؤه أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم : إن الذئب إذا نهش شاة ثم أفلتت منه طاب لحمها وخفّ وسلمت من القردان . قالوا : والذئب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أبجّ الذئب صوت ذلك الإنسان . وقالوا : في طبع الذئب محبة الدم ، ويبلغ به طبعه أنه يرى الذئب مثله قد دمي فيثب عليه فيمزقه ، قال الشاعر :^(١)

وكنّت كذئب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم^(٢)

قالوا : والفرس إذا وطئ أثر الذئب ثقلت قائمته التي وطئ بها . وفي كتاب علي رضي الله عنه إلى ابن عباس : لما رأيت العدو على ابن عمك قد حرب ، والزمان قد كلب ، قلبت لابن عمك ظهر الحجن بفراقه مع المفارقين ، وخذلانه مع الخاذلين ، واختطفت ما قدرت عليه من الأموال اختطاف الذئب الأزل^(٣) دامية المعزى . ويقولون : إن الذئب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى ، وقال حميد بن ثور :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع^(٤)

والذئب أشدّ السباع مطالبة ، وإذا عجز عوى عواء استغاثت فتسامعت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله ، وليس شيء من السباع يفعل ذلك .

(١) هو الفرزدق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه .

(٣) الذئب الأزل : الأرواح (الخفيف الوركين) يتولد بين الضبع والذئب .

(٤) في العقد الفريد وغيره :

* بأخرى الأعادي فهو يقظان نائم .

الفيل

قالوا: لسان الفيل مقلوب طَرَفُهُ إلى داخل . والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوب
 لبتكلم . والفيل إذا ساء خُلِقَهُ وَصَبَّ عَصَبُهُ^(١) عَصَبُوا رجله فسكن . وليس في جميع الحيوان
 شيء لذكوره ثدى في صدره إلا الإنسان والفيل . والفيل المغتلم إن سمع صوت
 يَخْتَوِص من الخنازير ارتاع ونقر . والفيل يَفْزَع من السَّوَر . وتزعم الهند أن نأبي
 الفيل هما قرناه يخرجان مستبطين حتى يخرقا الحنك ويخرجا أعقفين . وقال صاحب
 المنطق : ظهر فيل عاش أربعائة سنة . وقال حدثني شيخ لنا قال : رأيت فيلا
 أيام أبي جعفر قيل : إنه سجد لسابور ذي الأكتاف ولأبي جعفر ، والفيلة تضع
 في سبع سنين .

الفهد

قالوا: السباع تشتهى رائحة الفهد ، فإذا سَمِنَ الفهد عَرَفَ أنه مطلوب وأن حركته
 قد ثقلت فأخفى نفسه حتى ينقضى الزمان الذي تسمن فيه الفهود . ويعتري الفهد
 داء يقال له خائفة الفهود ، فإذا اعتراه أكل العذرة فبراً . والوحشي المسن منها
 في الصيد أنفع من الجرو^(٢) المربى .

الأرنب

قالوا : الأرنب تحيض ولا تسمن إلا بزيادة اللحم . وقضيب الذكور من الأرنب
 ربما كان من عظم ، وكذلك قضيب الثعلب . والأرنب تنام مفتوحة العين . وإنفحة
 الأرنب إذا شربتها المرأة من بعد أن تطهر من الحيض منعت من الحمل . والكاف^(٣)
 إن طلي بدم الأرنب أذهب .

(١) بالأصلين : « وضعف » وظاهر أن ما أئتمناه هو الذي يلائم السياق . (٢) المربى :
 الذي يربونه لأن الجرو يخرج نجساً ويخرج المسن على التأديب صبوراً غير نجس . كما في كتاب الحيوان
 لمجاهد (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكاف بالتحريك : شيء، يعلو الوجه كالسمم ويعرف بالشم .

الْقِرْدُ وَالذَّبَّ

قال : حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثني سلم بن قتيبة عن هشام عن حصّين وأبي بلج عن عمرو بن ميمون قال : زنت قردة في الجاهلية فرجمها القرد ورجمها معهم . قالوا : وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغيرة إلا الإنسان والقرد ؛ قالوا : والدئسم حرو الذب تضعه أمه وهو كفدرة لحم فتهرب به في المواضع العالية من الذر والنمل حتى تستد أعضاءه .

مصايد السباع العادية

السباع العادية : تُصطاد بالزبي^(١) والمغويات^(٢) وهي آبار تُحفر في أنشاز الأرض^(٣) ، فلذلك يقال : قد «بلغ السيل الزبي»^(٣) ، قال صاحب الفلاحة : ومما تُصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الجبار السمان فتقطع قطعاً ثم تُسرح ثم تُكَلَّلُ كُكَلًا^(٤) ثم تُؤجج نار في غائط^(٥) من الأرض يقرب فيه السباع ثم تقذف تلك الكُلل في النار واحدة بعد واحدة حتى ينتشر دخان تلك النار وقتار تلك الكُلل في تلك الأرض ثم تُطرح حول تلك النار قطع من لحم قد جعل فيها الخربق الأسود والأفيون وتكون تلك النار في موضع لا تری فيه حتى تُقبِل السباع لريح القتار وهي آمنة فتأكل من قطع اللحم ويُغشي عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

(١) المغويات بفتح الواو مشددة : جمع المغواة وهي حفرة كالزبية تُحفر للأسد .

(٢) أنشاز جمع نثر وهو المكان المرتفع .

(٣) الزبي جمع زبية وهي الرابية لا يعلوها ماء ، وهي كذلك حفرة للأسد .

(٤) الغائط : المطنن الواسع من الأرض .

(٥) القتار : ريح الشواء .

(٦) الخربق كحفر : نبت كالسم يُغشى على آكله ولا يقتله .

النَّعَام

قالوا في الظَّليم : إن الصَّيف إذا أَقبل وأبتدأ البُسر في الحمرة آبتسداً لون وظيْفِه^(١)
 بالحمرة ولا يزالان يتلَوْنان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهي حمرة البسر، ولذلك قيل له :
 خاضب . وفي الظَّليم : إن كل ذي رجلين إذا أنكسرت إحدى رجليه قام على الأخرى
 وتحامل على ظَلْعٍ غيره فإنه إذا أنكسرت إحدى رجليه جَثَمَ ، ولذلك قال الشاعر هـ
 في نفسه وأخيه :

ياي وإيَّاهُ كَرَجَلِي نَعَامِيَّةٌ * على ما بنا من ذي غَنِيٍّ وفقير

يقول : لا غنى بواحد منا عن الآخر . وقال آخر :

إذا أنكسرت رجل النعام لم تجد * على أختها نهضا ولا باستها حبوا^(٢) ^(٣)

قالوا : وعلة ذلك أنه لا تُنَحُّ له في ساقيه ، وكلُّ عظم فهو ينجر إلا عظما لا تُنَحُّ فيه .
 ورَمَّا نَحَرَ الشَّاءَ لا تنجر ، قال الشاعر^(٤) :

أَجِدَّكَ لَمْ تَظْلَعْ بِرِجْلِ نَعَامِيَّةٍ * ولست بنهاض وعظمتك زَنَحَرُ

أي أجوف لا تُنَحُّ فيه . والظَّليم يغتذي المَرَّو والصَّخَر فتُدْبِبه قَانِصَتُهُ بطبعها حتى^(٥)
 يصير كالماء ؛ قال ذو الرِّمَّة يذكره :

(١) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها والجمع أوظفة ووظف . ١٥

(٢) في العقد الفريد : ولا دورها صبرا .

(٣) كذا في حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤٢٠) وفي الأصل : «جبرا» .

(٤) الزمان جمع زَنَحَر وهي كل عظم أجوف لا تُنَحُّ فيه .

(٥) القوانص لطير كالصَّارين وغيرها .

ألهاء آء وتَّسوم ^(٢) وعقبته ^(٣) * من لائح المرو والمرعى له عُقب

قال أبو النجم :

والمرو يُلقيه الى أمعائه * ثى سَرَطِم ^(٤) هادٍ على آلتوائه

والظلم يتلع الجمرة وربما ألقى الحجر في النار حتى إذا صار كآته جمرة قُذِفَ به بين يديه فيبتلعه وربما آبتلع أوزان الحديد . وفي النعامة إنها أخذت من البعير المنسِم والوظيف والعنق والخزامة ؛ ومن الطائر الریش والجناحين والمنقار فهو لا يعير ولا طائر ؛ وقال أوس بن حجر :

وتنهى ذوى الأحلام عنى حلومهم * وأرفعُ صوتى للنعام المخزَم

جعله مخزماً للخرقين اللذين فى عَرْض أنفه فى موضع الخِزامة من البعير . قال

يحيى بن نوفل :

ومثل نعامة تُدعى بعيراً * تُعَاصِينَا إذا ما قيلَ طيرى ^(٥)

فإن قيل أحلى قالت فإنى * من الطير المُرَبَّة ^(٦) فى الوُكُور

وتقول العرب فى المثل : هذا «أموق من نعامة» وذلك أنها ربما خرجت لطلب

الطعم فمزت ببيض نعامة أخرى فخصنته وتركت بيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو

أَبْن هَرْمَةَ :

(١) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . (٢) قال ابن سيده : التَّسوم : شجر له حمل صغار كمثل

حب الخروع ، ويتفلق من حب يأكله أهل البادية . وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق ،

وراحدة تنومة . (٣) قال فى اللسان : وعُقبة الماشية فى المرعى أن ترعى الخلة عُقبة ثم تحوّل

الى الخَض ، فالخض عُقْبَتُهَا ، وكذلك إذا حوّل من الخض الى الخلة ، فالخلة عُقْبَتُهَا . (٤) السَرَطِم :

البلعوم . (٥) كذا فى حياة الحيوان للذميرى . وفى الاصل «تعاظمها» . (٦) المربة : ٢٠

المتيمة ؛ وفى حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٨٤) «المرفه» .

وإني وتركي ندى الأكرمين * وقسدي بكفي زندا شحاحا

كتاركة بيضا بالعرء * ومليسة بيض أخرى جناحا

وقال ستم بن حنظلة :

إذا ما لقيت بني عامر * رأيت جفاء ونوكا كبيرا^(١)

نعام تمد بأعناقها * ويمنعها نوكها أن تطيرا

ويضرب بها المثل في الشراء والنفارة؛ قال بشر بن أبي خازم :

وأما بنو عامر بالنسار^(٢) * فكانوا غداة لقونا نعاما

يريد : مرّوا منهزمين . وربما حضنت النعامة أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت

ثلاثين رآلا؛ قال ذو الرمة :

كأنه خاضب بالسبي^(٣) مرّعه * أبو ثلاثين أمسي وهو منقلب^(٤)

والبواقي من بيضا الذي لا تنقعه يقال لها : الترائك . وأشد ما يكون الظلم عدوا

إذا استقبل الريح لأنه يضع عنقه على ظهره ثم يحرق الريح وإذا استدبرها كبته من

خلفه . والنعامة تضع بيضا طولا ثم تغطيها كل بيضة بما يصيبها من الحصن ؛

قال ابن أحرر :

* وُضِعْنَ وَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ *

وقال آخر :

* عَلَى غِرَارٍ كَأَسْتَوَاءِ الْمِطْمَرِ *

(١) النوك : الحق . (٢) النسار : موضع ، قيل : حرماء لبني عامر ، ومنه يوم النصار لبني أسد

وذبيان على جشم بن معاوية . (٣) كذا في الأصل الفنوغرافي . وفي لسان العرب في مادة «خضب»

«أذاك أم خاضب ... الخ» وهي رواية الديوان ، يعني : أذاك الثور الذي وصفته يشبه ناقتي في سرعتها

أم ظليم هذه صفته . (٤) السبي : الفلاة . (٥) نقفت النعامة البيضة : نقبتها وأستخرجت ما فيها .

والمطمَر خيط البناء، إلا أن ثعلبة بن صُعيّر خالف ذلك فقال يذكر الظلم
والنعامة :

فقد كرا ثقلاً رثيداً بعد ما ^(١) ألفت ذكاءً يمينها في كافر ^(٢)

والرثيد : المنضود بعنقه على بعض . قالوا : الوحش في الفلوات ما لم تعرف
الإنسان ولم تره لا تنفر منه إذا رآته خلا النعام فإنه شارد أبداً ، قال ذو الرمة :
وكل أحسن ^(٣) المقتلين كآته ^(٤) أخو الإنس من طول الخلاء المغفل
يريد : أنه لا ينفّر من الناس لأنه في خلاء ولم ير أحداً قبل ذلك ، وقال الأحيمر
السعدي : كنت حين خلعتي قومي وأطل السلطان دمي وهربت وترددت في البوادي
ظننت أني قد جرت نخل وبار أو قريب منها ، وذلك أني كنت أرى النوى في رجع
الذئاب وكنت أغشى الطباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني ، لأنها لم تر أحداً
قبلي وكنت أمشي إلى الطي السمين فأخذه ، وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش
إلا النعام فإنه لم أره قط إلا نافراً فرعاً .

الطير

قال حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا طلحة بن يزيد الشامي
عن بقة بن الوليد عن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيه قال : كان النبي عليه السلام
يعجبه أن ينظر إلى الأترج وإلى الحمام الأحمر .

حدثني الرياشي قال : ليس شيء يغيب أذناه إلا وهو يبيض ، وليس شيء يظهر
أذناه إلا وهو يلد ، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

(١) الثقل بالتحريك : متاع المسافر وحشمه . (٢) ذكاء : هي الشمس ، والكافر هو

الليل ، من الكفر وهو السر والغطية ، يريد أنهما تذكرتا متاعهما بعد الغروب . (٣) أحسن :

أسود . (٤) المغفل : المجهول ، وفي الأصلين « المعقل » والتصويب عن الديوان .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريح قال ابن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أربع لا يُقتان النملة والنحلة والهدأة^(١) والصدرد^(٢) . بلغني عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق النعاب في عشه . وذلك أن الغراب إذا فقص عن فراخه خرجت بيضا فإذا رآها كذلك نفر عنها فتفتح أفواهها ويرسل الله لها ذبابا فيدخل في أجوافها فيكون غذاءها حتى تسود ، وإذا أسودت عاد الغراب فغذاها ويرفع الله عنها الذباب .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لا تطرقوا الطير في أوكارها فإن الليل أمان الله “ .

حدثني أبو سفيان الغنوي عن معاوية بن عمرو عن طلحة بن زيد عن الأحوص ابن حكيم عن خالد بن معدان عن رجل من الأنصار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الذيك الأبيض صديق وصديق صديق وعدو وعدو الله يحرس دار صاحبه وسبع أدور^(٢) “ . وكان النبي عليه السلام يبيت معه في البيت .

قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائم الطير وهو ما لقط الحبوب والبرور ، وسباع الطير وهي التي تغتذى اللحم ، والمشارك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير في أنه ليس بذي مخالب ولا منسير وإذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدابة . وسباع الطير تقدم إصبعين وتؤخر إصبعين ويشارك سباع الطير بأنه يلقي فراخه ولا يزق وأنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل .

(١) الصدرد : طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضمن الرأس والمتنارله مخلب يصطاد العصافير وصغار

الطيور ويكنى بأبي كثير . (٢) هذا الحديث موضوع وقد نبه عليه ابن الجوزي وملا على القاري .

في موضوعاتهما (راجع موضوعات ملا على القاري ضمن مجموعة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت

رقم ٥٠٤ حديث) .

قالوا: والعصفور شديد الوطء، والفيل خفيف الوطء، والورشان ^(١١) يُصرع في كل شهر مرة. قالوا: وأسوأ الطير هداية الأسود، والأبيض لا يجيء من الغاية لضعف قوته وأجودها هداية الغبر والثمر.

قال صاحب الفلاحة: الحمام يُعجب بالكون ويألف الموضع الذي يكون فيه الكون، وكذلك العدس ولا سيما إذا أُقعا في عصير حلوة، ومما يصالحن عليه ويكثرن أن تدخن بيوتهن بالعلك، وأسلم مواضعها وأصلحها أن يُبنى لها بيت على أساطين خشب ويُجعل فيه ثلاث كوى: كوة في سمت البيت وكوة من قبل المشرق وكوة من قبل المغرب، وبابان من قبل مهب الجنوب. قال: والسذاب إذا أُلقي في البرج تحامته السنائر البرية.

حدثني ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن أبي المنذر هشام بن محمد قال: حدثني الكلبي أن أسماء كائن نوح إذا كُتب في زوايا بيت حمام نمت الفروع وسلمت من الآفات. قال هشام: قد جربتته أنا وغيري فوجدته كما قال أبي. قال: وأسم امرأة سام بن نوح «مَحَلَّتْ نَحْو» ، واسم امرأة حام «أَذْنَفْ نَشَا» . واسم امرأة يافث «رَذَقَتْ نَبْث» .

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكجَادُ ^(٥) والخنَانُ ^(٦) والسلُّ ^(٧) والقملُّ، فداء الكجَادِ الرعفرانُ ^(٨) والسكر الطبرزدُ ^(٩) وماء الهندباء ^(١٠) يجعل في سكرجة ثم يُمسح في حلقه قبل أن يلتقط شيئا.

(١) في الأصلين: الغاية، والتصويب عن كتاب الحيوان للمجاهد. والغاية الموضع الذي يرسل إليه الحمام المدرب على إبلاغ الرسائل. (٢) السذاب: اسم نبات له خواص وطبائع ذكرها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥). (٣) الكائن: جمع كنة بالفتح، وهو جمع نادرة كأنهم توهموا فيه فعيلة ونحوها مما يكسر على فعائل. والكنة امرأة الآين أو الأخ. (٤) عبارة العقيد الفريد (ج ٣ ص ٥٥) وأسم امرأة سام بن نوح «مَحَلَّتْ نَحْو» وأسم امرأة حام «أَذْنَفْ نَشَا» وأسم امرأة يافث «رَذَقَتْ نَبْث». (٥) الكجَاد كغراب: وجع الكبد. (٦) الخنَان: داء يأخذ الطير في حلقها. (٧) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب. (٨) الهندباء: بقل معروف يؤكل، له مضار ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته، وداود الأنطاكي في تذكرته. (٩) السكرجة: الصفحة.

ودواء الخنّان أن يُبلّن لسانه يوما أو اثنين بدهن البنفسج ثم بالرماد والملح ويُدلك بهما حتى تنسلخ الجلد العليّ التي غشيت لسانه ثم يُطلى بعسل ودهن ورد حتى يبرأ. ودواء السّل أن يُطعم الماشّ^(١) المقشور ويُمجّ في حلقه لبن حليب ويُقطع من وظيفيه عرقان ظاهران في أسفل ذلك مما يلي المفصل . ودواء القمل أن تُطلى أصول ريشه بالزّبِق المخلوط بدهن البنفسج ، يُفعل به ذلك مرارا حتى يستطّ قملُه ، ويكنس مكانه الذي يكون فيه كنسا نظيفا .

قالوا : والطير الذي يخرج من وكرة بالليل البومة والصدى والهامّة والضبوع^(٢) والوطواط والخفاش وغراب الليل . قالوا : إذا خرج فرخ الحمامة نفخ أبواه في حلقه الرّيح لتتسع الحوصلة من بعد اتحامها وتنبثق ، فإذا اتسعت زقاه عند ذلك اللّعب^(٤) ثم زقاه سورج أصول الحيطان ليُدبّغا به الحوصلة ، ثم زقاه بعد الحب .

قال المُشَنّي بن زهير : لم أر شيئا قط في رجل وامرأة إلا وقد رأيتَه في الحمام ، رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور ، ورأيت حمامة لا تزيّف^(٥) إلا بعد شدة طلب ، ورأيت حمامة تزيّف للذكر ساعة يطلبها ، ورأيت حمامة وهي تُمكن آخر ما تعدّوه ، ورأيت حمامة تقمط حمامة ، ورأيت حمامة تقمط الذكر ، ورأيت ذكرا يقمط الذكر ، ورأيت الذكر يقمط مالتى ولا يُزاوج ، ورأيت ذكرا له أنثيان يحضن مع هذه وهذه ويُرّق^(٦) [مع] هذه وهذه .

(١) الماش : حب مدور أصغر من الحمص أسمر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخا وأجوده الهندي ثم اليمنى وأردؤه الشامي . (٢) الزّبِق بالنون : دهن الياسمين . وفي النسخة الالمانية « الزبيق » بالياء . (٣) الضبوع : صائر من طير الليل ، قيل هو الكوران ، وقيل هو ذكر البوم . (٤) كذا بالأصليين ، ولعله « الصاروج » وهو الكس تبني رطل في حيطان البيت . وفي « كتاب الحيوان » للجاحظ (ج ٣ ص ٤٧) « فإكلان من صروج الحيطان وهي شئ ، بين الملح والحمض وبين التراب الخالص فيزقان الفرخ... الخ » . (٥) في اللسان : الحمامة تزيّف بين يدي الحمام الذكر ، أي تمثي مدلة . (٦) الزيادة عن « كتاب الحيوان للجاحظ » .

البيض

قالوا : والبيض يكون من أربعة أشياء : منه ما يكون من السنادب ، ومنه ما يكون من التراب ، ومنه ما يكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها ، ومنه شيء يعتري ^(١) الحجل وما شاكله في الطبيعة ، فإن الأنثى منه ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق الذكر في بعض الزمان فتحتشي من ذلك بيضا ، وكذلك النخلة تكون يجنب ^(٢) الفحال وتحت ريحه فتلقح بتلك الريحة وتكتفى بذلك ، والدجاجة إذا هربت لم يكن لبيضها ملح ، وإذا لم يكن للبيضة ملح لم يخلق فيها فرخ ، لأنه لا يكون له طعام يغنوه ، والفرخ والفروج يخلقان من البياض وغذاءهما الصفرة ، وإذا باضت الدجاجة بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها ، والطائر إذا تفت ريشه احتبس بيضه وإذا سمع صوت الرعد الشديد . ١٠

الخفّاش

قالوا : عجائب الخفّاش ^(٣) أنه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتجلد ولده ويبيض وترضع وتطير بلا ريش ، وتجلد الأنثى ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه بفيها خوفا عليه ، وربما ولدت وهي تطير . ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها ، وأبصارها تصح على طول العمر ، وإنما يظهر في القمر منها المسنات ، وقال بعض الحكماء : الخفّاش فأر يطير . ١٥

(١) الحجل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالمقطأ أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر . (راجع

حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٢٨٤) .

(٢) الفحال : ذكر النخل خاصة .

(٣) الخفّاش مشتق من الخفش وهو ضعف في البصر ، وضيق في العين ، وقيل : هو فساد في جفن ٢٠

العين وأحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا قرح .

الْخُطَّافُ وَالزُّرْزُورُ

قالوا : الْخُطَّافُ ^(١) وَالزُّرْزُورُ ^(٢) يَتَّبِعُ الرَّبِيعَ حَيْثُ كَانَ . قَالُوا : وَتَقْلَعُ إِحْدَى عَيْنَيْهِ
فَتَرْجِعُ . وَالزُّرْزُورُ لَا يَمْشِي وَمَتَى وَقَعَ بِالْأَرْضِ لَمْ يَسْتَقِلَّ وَأَخَذَ ^(٣) ، وَإِنَّمَا يُعَشِّشُ
فِي الْأَمَاكِنِ الْمُرْتَفِعَةِ فَإِذَا أَرَادَ الطَّيْرَانِ رَى بِنَفْسِهِ فِي الْهَوَاءِ فُطَارًا ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ
يَشْرِبَ الْمَاءَ أَتَقَضَّ عَلَيْهِ فَشَرِبَ مِنْهُ آخْتِلَاسًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْقُطَ بِالْأَرْضِ .

الْعُقَابُ وَالْحِدَاةُ

قالوا : الْعُقَابُ تَبْيَضُ ثَلَاثَ بَيَضَاتٍ فِي أَكْثَرِ حَالَاتِهَا فَإِذَا فَرَّخَتْ غَدَّتِ اثْنَتَيْنِ
وَبَاعَدَتْ عَنْهَا وَاحِدًا فَيَتَعَهَّدُ فَرَحَهَا طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ : كَاسِرُ الْعِظَامِ ^(٤) ، وَيَغْدُوهُ حَتَّى يَكْبُرَ
وَيَقْوَى . وَقَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : الْعُقَابُ وَالْحِدَاةُ ^(٥) يَتَبَدَّلَانِ فَتَصِيرُ الْعُقَابُ حِدَاةً
وَالْحِدَاةُ عُقَابًا ، قَالَ : وَكَذَلِكَ الْأَرَانِبُ ^(٥) تَتَبَدَّلُ فَيَصِيرُ الذَّكَرُ مِنْهَا أُنْثَى وَتَصِيرُ الْأُنْثَى ذَكَرًا .
قَالَ صَاحِبُ الْمِنْطِقِ : الْعُقَابُ إِذَا أَشْتَكَّتْ كَيْدَهَا مِنْ رَفْعِهَا الثَّلَبَ وَالْأَرْنَبا
فِي الْهَوَاءِ وَحَطَّهَا لَذَنُكَ وَأَشْبَاهَهُ تَعَالَجَتْ بِأَكْلِ الْأَسْبَادِ حَتَّى تَبْرَأَ .

(١) الخُطَّافُ : العصفور الأسود . وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة .

(٢) الزُّرْزُورُ بضم الزاي : طائر من نوع العصفور سمي بذلك لوزرته أى تصويته .

(٣) أى لم ينهض .

(٤) كاسر العظام : طائر يسمى « المكففة » لأن العقاب لما كانت سيئة الخلق تببيض ثلاث بيضات
فتخرج فراخها وتلقى واحدا منها فيأخذه هذا الطائر الذى يتكلف به . (راجع حياة الحيوان للدميري

ج ٢ ص ٣٨٧) .

(٥) فى الأصلين « يتبدلان »

الغراب

الغِرْبَانُ لَا تَقْرَبُ النَّخْلَ الْمَوَاقِيرَ^(١) وَإِنَّمَا تَسْقُطُ عَلَى النَّخْلِ الْمَصْرُومَةِ فَتَلْقُطُ مَا يَسْقُطُ^(٢)
 مِنَ التَّمْرِ فِي الْقَلْبَةِ وَأُصُولِ الْكَرْبِ^(٣)، وَعَلَى إِنَاثِ الْغِرْبَانِ الْحَضْنُ^(٤) وَعَلَى الذَّكَورِ أَنْ تَأْتِيَ
 الْإِنَاثَ بِالطَّعْمِ^(٥) * وَالْإِوَزَةُ دُونَ الذَّكَرِ * وَالْغِرْبَانُ أَكْثَمُ شَيْءٍ لِلْسَّفَادِ .

القطا

قَالُوا : وَالْقَطَا لَا تَضَعُ بَيْضَهَا أَبَدًا إِلَّا أَفْرَادًا ، قَالَ أَبُو وَجْهَةَ :
 وَهَنْ يَنْسَبُ^(٦) وَهَنًا كُلَّ صَادِقَةٍ * بَاتَتْ تَبَاشِرُ^(٧) عُرْمًا غَيْرَ أَزْوَاجِ
 الْحَيَوَانِ الَّذِي لَا يَصْلُحُ شَأْنُهُ إِلَّا بِرَيْسٍ أَوْ رَقِيبٍ : النَّاسُ ، وَالْغُرَانِيْقُ^(٨) ، وَالْكَرَاكِي
 وَالنَّحْلُ ، فَأَمَّا الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْحَمِيرُ فَتَتَّخِذُ رَيْسًا مِنْ غَيْرِ رَقِيبٍ .

باب مصايد الطير

قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِلطَّيْرِ وَالدَّجَاجِ حَتَّى يَتَحَيَّرَ وَيُغْشَى
 عَلَيْهِمْ حَتَّى يَصِيدَهُمْ نَعَمْدٌ إِلَى الْحَالِيتِ^(٩) فِدَافَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ جَعَلَ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ شَيْئًا
 مِنْ عَسَلٍ ثُمَّ أَتَقَعَ فِيهِ بُرًّا يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَلْقَى ذَلِكَ الْبُرَّ لِلطَّيْرِ فَإِنِهَا إِذَا أَلْتَقَطَتْهُ تَحَيَّرَتْ

(١) النخل المواقير: الكثيرة الحمل . (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جزه وقطعه . (٣) القلبة جمع قُلب وهو شعبة النخل وله أو أجود نحوه . وفي التهذيب : القلب بالضم : السعف (جريد النخل أو ورقه) الذي يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب») . (٤) الكرب بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض . (٥) وردت هذه الجملة في الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسياق . ولعلها زائدة من النسخ . (٦) كذا في الأصلين ، وفي اللسان في مادة «عرم» وفي كتاب الحيوان لملاحظ (ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلن . (٧) العرم : بيض القطا . (٨) الغرانيق : الذكور من طيور الماء سود وقيل بيض وهي في قدر البط . (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) . (٩) الحلييت : صمغ الأنخذان بفتح الحزرة وضم الجيم وهو نبات أسود وأبيض وأصله أغاظ من الإصبع ينفتح كثيرا وله قرون كقرون اللوباء فيها بذر كالعدس أسود حار وأبيض لطيف .

وُعُشِيَ عَلَيْهَا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الطَّيْرَانِ إِلَّا أَنْ تُسْقَى لَبَنًا خَالِطَهُ سَمْنٌ. قَالَ : وَإِنْ عُجِدَ إِلَى طَحِينٍ بَرٍّ غَيْرِ مَنْخُولٍ فَعُجِنَ بِخَمْرٍ ثُمَّ طُرِحَ لِلطَّيْرِ وَالْجَلَّ فَأَكَلْنَ مِنْهُ تَحِيرًا. وَإِنْ جُعِلَ نَحْرٌ فِي إِنَاءٍ وَجُعِلَ فِيهِ بَنَجٌ فَشَرِبْنَ مِنْهُ عُشِيَ عَلَيْهِنَّ. قَالَ : وَمِمَّا يُصَادُّ بِهِ الْكَرَاكِي وَغَيْرُهَا مِنَ الطَّيْرِ أَنْ يُوَضَعَ لَهْنٌ فِي مَوَاقِعِهِنَّ إِنَاءٌ فِيهِ نَحْرٌ وَقَدْ جُعِلَ فِيهِ نَحْرٌ أَسْوَدٌ وَأَنْقَعَ فِيهِ شَعِيرٌ فَإِذَا أَكَلْنَ مِنْهُ أَخَذَهُنَّ الصَّائِدُ كَيْفَ شَاءَ .

قَالَ غَيْرُهُ : وَمِمَّا تُصَادُّ بِهِ الْعَصَافِيرُ بِأَسْهَلِ حِيلَةٍ أَنْ تُؤْخَذَ شَبَكَةٌ فِي صُورَةِ الْمَحْبَرَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْمَنْكُوسَةِ وَيُجْعَلُ فِي جَوْفِهَا عَصْفُورٌ فَتَنْقَضُ عَلَيْهِ الْعَصَافِيرُ وَيَدْخُلْنَ عَلَيْهِ وَمَا دَخَلَ مِنْهَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ فَيَصِيدُ الرَّجُلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مَائَتَيْنِ وَهُوَ وَادِعٌ. قَالَ : وَيُصَادُّ طَيْرُ الْمَاءِ بِالْقَرَعَةِ وَذَلِكَ أَنْ تُؤْخَذَ قَرَعَةٌ يَابِسَةٌ صَحِيحَةٌ فَيُرْمَى بِهَا فِي الْمَاءِ فَإِنَّمَا تَتَحَرَّكُ فَإِذَا أَبْصَرَهَا الطَّيْرُ تَتَحَرَّكُ فَيَرْعَ فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَلَسَ حَتَّى لَرَبَّمَا سَقَطَ عَلَيْهَا ثُمَّ تُؤْخَذُ قَرَعَةٌ فَيُقَطَّعَ رَأْسُهَا وَيُخَرَّقَ فِيهَا مَوْضِعُ عَيْنَيْنِ ثُمَّ يَدْخُلُ الصَّائِدُ رَأْسَهُ فِيهَا وَيَدْخُلُ الْمَاءَ فَيَمْشِي إِلَيْهَا مَشْيًا رُويْدًا فَكَلَّمَا دَنَا مِنْ طَائِرٍ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْمَاءِ فَقَبِضَ عَلَى رِجْلِهِ ثُمَّ غَمَسَهُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ دَقَّ جَنَاحَهُ وَخَلَّاهُ فَبَقِيَ طَافِيًا فَوْقَ الْمَاءِ يَسْبَحُ بِرِجْلِهِ وَلَا يُطِيقُ الطَّيْرَانِ، وَسَائِرُ الطَّيْرِ لَا يُمَكِّنُ أَنْغِمَاسُهُ فَإِذَا فَرَّغَ مِنْ صَيْدٍ مَا يَرِيدُ رَمَى بِالْقَرَعَةِ ثُمَّ يَلْتَقِطُهَا وَيَحْمِلُهَا .

الْحَشَرَات

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ : الْفَأْرَةُ يَهُودِيَّةٌ وَلَوْ سَقَيْتَهَا أَلْبَانَ الْإِبِلِ مَا شَرِبَتْهَا، وَالْفَأْرُ أَصْنَافٌ : مِنْهُنَّ الزَّبَابُ وَهُوَ أَصَمٌّ؛ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِزَّازٍ :

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٣ ص ٣٥٨) وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «تُؤْخَذُ سَلَةٌ فِي صَدْرِهَا الْمَحْبَرَةُ» وَفِي كِتَابِ الْخِيَوَانِ لِلْبَاحِظِ (ج ٥ ص ٧٦) «يَعْمَلُونَ لَهَا مَصِيدَةً وَيَجْعَلُونَ لَهَا بَنِيَّةً فِي صُورَةِ الْمَحْبَرَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ الْمَنْكُوسَةُ الْأَنْبُوبَةُ» . (٢) جَمْعُ زَبَابَةٍ وَهِيَ كَمَا قَالَ الدِّمِيرِيُّ فِي حَيَاةِ الْخِيَوَانِ : فَأَرَةٌ بَرِيَّةٌ تَسْمَرِقُ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمَا تَسْتَفْنِي عَنْهُ .

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ * لَا تَسْمَعُ الْآذَانُ رَعْدًا^(١)

وَالْحُلْدُ وهو أعمى ، وتقول العرب : هو « أسرق من زبابة » ، وفأرة اليبس ، واليبس سم قاتل ، ويقال : هو قرون السنب ، وله فأرة تغتذيه لائتا كل غيره ، ومن غير هذا فأرة المسك وفأرة الإبل [فاحت]^(٢) أرواحها إذا عيرت . قالوا : ومن الحيات ما يقتل ولا يخطئ : الثعبان والأفعى والهندية ، فأما سوى هذه فإنما يقتل بما يمدّه من الفرع ، لأنه إذا فزع تفتحت منافسه فوغل السم الى مواضع الصميم وعمق البدن . فإن نهشت النائم والمغمى عليه والطفل الصغير والمجنون الذي لا يعقل لم تقتل .

وأذنان الأفاعى تقطع فتنبت ونابها يقطع بالعكاز فينبت حتى يعود في ثلاث ليال ، والحية إن نفت في فيها حمّاض الأثرج وأطبق لحيا الأعلى على الأسفل لم تقتل بعضتها أياما صالحة . ومن الناس من يبصق في فم الحية فيقتلها بريقه ، والحيات تكره ريح السذاب والشيح ، وتعجب باللفاح^(٣) والبطيخ^(٤) والجرف^(٥) والخردل^(٦) المؤخف^(٧) واللبن والخمر ، وليس في الأرض حيوان أصبر على جوع من حية ، ثم الضب بعدها . فإذا هيرمت صغرت في بدنها وأقنعها النسيم ولم تشته الطعام ، ولذلك قال الراجز :

* حارية قد صغرت من الكبر^(٨) *

(١) أي لا تسمع آذانهم صوت الرعد . (٢) اختلف في فأرة الإبل وفأرة المسك ؛ هل يميزان ١٥

أو لا يميزان ؟ فذكر صاحب القاموس فأرة المسك في « ف أ ر » وقال : أو الصواب إيرادها في « ف و ر » لفوران وأحتمها . وفأرة الإبل في « ف و ر » وعلة الصانع أن فأرة الإبل من الفوران قصفا ، وأورد المرتضى فأرة الإبل في « ف أ ر » مستدركا به على صاحب القاموس . (٣) زيادة في النسخة الألمانية ،

وهي ساقطة في الأصل الفلورنسي ، ولعلها « فوح » ، ففي القاموس والثامن مدّة « فور » : « وفارة الإبل فوح جلودها إذا نديت بعد الورد » أي فاحت منها رائحة طيبة . (٤) العكاز : عصا ذات رُج . ٢٠

(٥) اللقاح : نبات يقطيني أصفر شبيه بالبادنجان طيب الرائحة . (٦) الحرف بالضم :

حب الرشاد . (٧) المؤخف : المعجون . (٨) في الأصل جارية ، والتصويب عن المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) والحارية اسم للأفعى ، لأن جسمها قد حرى أي نقص من طول العمر .

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتها بقصبة مرة أو هنتها القصبة في تلك الضربة وحيرتها ، فإن ألحمت عليها بالضرب أنسابت ولم تكثرث . قال : ومن جيد ما يعالج به الملسوع أن يُسَقَّ بطن الضفدع ثم يُرَفَّد به موضع لسعة العقرب . والضفدع لا يصيح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء ، فإذا صار في فيه بعض الماء صاح ، ولذلك لا تسمع للضفادع نقيقا إذا خرجن من الماء ، قال الرازي :

يُدْخَلُ فِي الْأَشْدَاقِ مَاءٌ يُنْصَفُهُ ^(١) * حَتَّى يَنْقُ وَالنَّقِيقُ يُتْلَفُهُ

يريد أن النقيق يدل عليه حية البحر ، كما قال الآخر :

ضَفَادِعُ فِي ظُلُمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ * فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وقال في السبخ : إنه إن أنخرق فيه نحر بمقدار منخر الثور حتى تدخله الريح استحال

ذلك السبخ ضفادع . والضفادع لا عظام لها ، ويضرب بها المثل في الرشح ^(٢) ، فيقال : «أرشح من ضفدع» و «أبحظ عينا من ضفدع» .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرك فكذلك الأسفل إلا التماسح فإنه يحرك فكذلك

الأعلى . وبمصر سمك يقال له الرعاد ، من صاد منه سمكة لم تزل يده ترعد وتنفض

ما دام في شبكته أو شصه ^(٤) ، والجعل ^(٣) إذا دفنته في الورد سكنت حركته حتى يتوهم

من رآه أنه قد مات ، فإذا أعدته إلى الروث تحرك ورجع في حسه . والبعير إذا ابتلع

(١) في الأصلين "ينظفه" والنصوب عن حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس

المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكذلك الأعلى . (٢) الرشح : خفة لحم العجز والمخدين .

(٣) الشص بالكسر والفتح : حديدة عمقها يضاد بها السمك [وهي المعروفة بالصنارة] . (٤) الجعل

كصرد ، والناس يسمونه «أبا جعران» وهو دويصة تعض البهائم في فروجها فتهرب ، ودوا كبير من

الخنفساء ، شديد السواد ، في بطنه لون حمرة ، يوجد كثيرا في مراح البقر والجواميس ومواضع الروث ،

ويؤكله غالبا من أخطاء البشر ، ومن شأنه جمع النجاسة وأدخالها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد

وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

في علفه خنفساء قتله إن وصلت إلى جوفه حية . وأطول شيء ذمء الخنفساء فإنها
يسرج على ظهرها فتصبر وتمشي .

وانضبت يذبح فيمكث ليلته ثم يقرب من النار فيتحرك . والأفعى إذا ذبحت
تبقى أياما تتحرك وإن وطئها واطئ نهشته ، ويقطع ثلثها الأسفل فتعيش وينبت
ذلك المقطوع . والكلب والحزير يُجرحان الجرح القاتل فيعيشان .

قالوا : وللضب ذكران وللضبة حيران ، خبرني بذلك سهل عن الأصمعي أو غيره .
قال : ويقال لذكره نرك وأنشد :

سبحل له نركان كانا فضية * على كل حاف في البلاد وناعل^(٥)

وكذلك الحردون . والذبّان لا تقرب قدرا فيها كماء^(٨) . وسام أبرص لا يدخل بيتا^(٦)
فيه زعفران . ومن عضه الكلب الكلب احتاج إلى أن يستر وجهه من الذباب لئلا
يسقط عليه . وخرطوم الذباب يده ، ومنه يغني ، وفيه يجري الصوت كما يجري الزامر
الصوت في القصبة بالنفخ .

(١) وعبارة الحيوان للمحافظ (ج ٣ ص ١٦٠) : « وقال لي الفضل العنبري : يقولون للضب أطول
شيء ذمء ، والخنفس أطول منه ذمء ، وذلك أنه يغرز في ظهرها شوكة ناقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصبع
لأهل النار وهي تدب بها وتجول » . (٢) الذمء ، مدود : بقية النفس . (٣) يسرج : يوقد .
(٤) السبحل كقسطر : الضخم . (٥) في اللسان مادة نرك « في الأناص » . وذكر هذا البيت ضمن
أبيات فاتها حيران ذوالنصة يصف بها ضبابا أهداها لخالد بن عبد الله القسري .

(٦) الحردون بكسر الحاء وبالمدال المعجمة : دويبة شبيهة بالضب ، وقيل هو ذكر الضب ، لأن فيه ذكرين
مثله وهو من ذرات السموم له كف فكف إلا ساق تقسم إلى الأصابع إلى الأمام (راجع حياة الحيوان) .
(٧) جمع الذباب . (٨) الكماء : نبات يقال له شحم الأرض ، والغريب تسميه : « جذري الأرض »
وقيل هو أصل مستدير كالفلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الحمرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض
وهو عديم الطعم ، وأنواعه كثيرة ، يؤكل نيته ومطبوخه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

قالوا : ليس شيء يذخر إلا الإنسان والنملة والفأرة . ^(١) والذرة ^(٢) تذخر في الصيف للشتاء فإذا خافت العفن على الحبوب أخرجتها الى ظاهر الأرض فشررتها ، وأكثرت ما تفعل ذلك ليلا في القمر . فإن خافت أن ينبت الحب تقرت وسط الحبة لئلا تنبت . ^(٣) والأسلحفاة اذا أكلت أفعى أكلت سعتها جبليا . ^(٤) وأبن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب . ^(٥) والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح . ^(٦) والأيل إذا نهشته الحية أكل السراطين . ^(٧) قال ابن ماسويه : فلذلك يُظن أن السراطين صالحة لمن نهش من الناس . ^(٨) والوزغ يذاق الحيات ويقاربها ، ويكرع في اللبن والمرق ثم يمج في الإناء . ^(٩) وأهل السجن يعملون من الوزغ سماً أنفذ من [سم] البيش ومن ريق الأفاعي ، وذلك أنهم يدخلون الوزغة قارورة ثم يصبون فيها من الزيت ما يغمرها ويضعونها في الشمس أربعين يوماً حتى تنهراً في الزيت ، ^(١٠) فإن مسحت على اللقمة منه مسحة ^(١١) في الشمس أربعين يوماً حتى تنهراً في الزيت ، ^(١٢) فإن مسحت على اللقمة منه مسحة ^(١٣) وأكله آكل مات من يومه .

- (١) الذرة واحدة الذروهي صغار النمل . (٢) شررتها : نشرتها في الشمس لتجف .
(٣) السعرت نبات طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض الى الغبرة ، ويقال له الصعتر بإصا ، وهي اللغة الجيدة ، والعامية تبدل السين زايًا . (٤) في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « داء » .
(٥) الأيل بتشديد الياء المكسورة : ذكر الأوتال وهي الثيوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو حيوان مائي يعيش في البر أيضاً ، وهو جيد المشي سريع العدو ذو فكين ومخالب وأظفار حداد (راجع حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزغة بالتحريك : حشرة من جنس "سم أبرص" .
(٨) في الأصل الفتوغرافي « ويغارها » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان للملاحظ (ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا في الأصل ، وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « وبعض الناس »
وفي الحيوان للملاحظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر » . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤ ص ٩٧) والبيش بالكسر نبات كالزنجبيل وطبا ويابس وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان .
(١١) كذا في الحيوان للملاحظ ج ٤ ص ٩٧ وفي الأصلين : « ليلة » . (١٢) من تنهراً اللحم إذا طبخ حتى يتفسخ .

والجراد إذا طلع فعُمِدَ إلى التُّرْمُسِ والحَمْظَلِ فطَبِخَا بِمَاءٍ ثُمَّ نَضَحَ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَى
زُرْعِ تَنَكْبِهِ الْجَرَادُ . وَإِذَا زُرِعَ خَرْدَلٌ فِي نَوَاحِي زُرْعِ نَجَا مِنَ الدَّبَى ^(١) . وَإِذَا أُخِذَ
الْمُرْدَاسْنَجُ ^(٢) فَعُجِنَ بِعَجِينٍ ثُمَّ طُرِحَ لِلْفَارِ فَأَكَلَتْهُ مُوتَنٌ عَنْهُ ، وَكَذَلِكَ بُرَايَةُ الْحَدِيدِ . وَإِذَا
أُخِذَ الْأَقْيُونُ وَالشُّونِيزُ ^(٣) وَالْبَارِزْدُ ^(٤) وَقِرْنُ الْأَيْلِ ^(٥) وَبَابُونَجٌ وَظَلْفٌ مِنْ أَظْلَافِ الْمَعْرِزَنْخَاطِ
ذَلِكَ جَمِيعًا ثُمَّ دُقَّ وَنُجِّنَ بِخَلِّ عَتِيقٍ ^(٦) ثُمَّ قُطِعَ قِطَاعًا فَدُخِّنَ بِقِطْعَةٍ مِنْهُ ثَمَرَتْ لَذَلِكَ
الْحَيَاتُ وَالْهُوَامُ وَالنَّمْلُ وَالْعَقَارِبُ ، وَإِنْ أُحْرِقَ مِنْهُ شَيْءٌ وَدُخِّنَ بِهِ هَرَبَ مَا وَجَدَ
مِنْهَا تِلْكَ الرِّيحَ . وَالنَّمْلُ تَهْرُبُ مِنْ دُخَانِ أَصُولِ الْحَمْظَلِ . وَإِنْ عُجِمَدَ إِلَى كِبَرِيَّتِ
وَسَدَابٍ ^(٧) وَخَرَبِقٍ ^(٨) فَدُقَّ ذَلِكَ جَمِيعًا وَطُرِحَ فِي قَرْيَةِ النَّمْلِ قَتَلَهَا وَمِنْهَا ظُهُورُهُنَّ مِنْ
ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ذَهَبٌ . وَالْبَعُوضُ تَهْرُبُ مِنْ دُخَانِ الْقَلْقَدِيسِ ^(٩) إِذَا دُخِّنَ بِهِ وَمَعَهُ حَبُّ
السُّوسِ ، وَتَهْرُبُ مِنْ دُخَانِ الْكِبَرِيَّتِ وَالْعِلْكَ .

وَقَالَتِ الْأَطْبَاءُ : لَحْمُ آبِنِ عِرْسٍ نَافِعٌ مِنَ الصَّرْعِ . وَلَحْمُ الْقُنْفُذِ نَافِعٌ مِنَ الْجُدَامِ
وَالسَّلِّ وَالتَّشْنِجِ وَوَجَعِ الْكُلَى ، يُجَفَّفُ وَيُسْرَبُ وَيُطْعَمُ الْعَلِيلُ مَطْبُوخًا وَمَشْوِيًا
وَيُضَمَدُ بِهِ الْمَتَشَنِّجُ ^(١٠) . وَالْعَقْرَبُ إِذَا شُقَّ بَطْنُهَا ثُمَّ شُدَّ عَلَى مَوْضِعِ اللَّسْعَةِ نَفَعَتْ . وَقَدْ

- (١) كَذَا فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ ، وَالِدَبَى : أَصْغَرُ الْجَرَادِ وَانْمِل . وَفِي الْأَصْلِ الْفَتَوَغْرَافِي (الْوَبَا) .
- (٢) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَمُفْرَدَاتُ ابْنِ الْبَيْطَارِ (ج ٤ ص ١٥٠) وَقَالَ هُوَ الْمَرْتَكُ وَفِي الْقَامُوسِ :
الْمُرْدَاسْنَجُ مَعْرُوفٌ وَقَدْ تَسَقَطَ الرَّاءُ مَعْرَبُ مُرْدَارْسَنَكُ وَمَعْنَاهُ الْجَرَادُ الْخَبِيثُ . (٣) الشُّونِيزُ :
الْحَبَّةُ السُّودَاءُ . (٤) الْبَارِزْدُ فِي الْقَامُوسِ : « بَرِزْد » بِكَسْرِ الْبَاءِ الْفَارْسِيَّةُ : صَمغٌ نَبَاتٌ يَشْبَهُ
الْقَنَا فِي شَكْلِهِ ، وَيَنْبَتُ فِي أَرْضِ سُورِيَّةٍ ، وَهُوَ مِنَ النَّبَاتَاتِ النَّافِعَةِ لَأَمْرَاضٍ عَدَّةٍ . وَقَدْ ذَكَرَ خَوَاصَّهُ وَمَنَافِعَهُ
آبِنُ الْبَيْطَارِ فِي مُفْرَدَاتِهِ (رَاجِعْ ج ٤ ص ٣٧) . (٥) فِي الْأَصْلِ الْفَتَوَغْرَافِي : نَقِيفٌ ، وَفِي النُّسخَةِ
الْأَلْمَانِيَّةِ نَقِيفٌ ، وَالنَّصُوبُ عَنْ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٣ ص ٣٥٧) . (٦) السَّدَابُ : اسْمُ نَبَاتٍ .
- (٧) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْعِبَارَةِ ظَاهِرٌ . (٨) الْقَلْقَدِيسُ كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ مَعْرَبَةٌ مَعْنَاهَا
فِي الْكِيمْيَاءِ الْحَدِيثَةُ : كِبَرِيَّتَاتُ الْحَدِيدِ : وَقِيلَ مَعْنَاهَا : الصَّبْغَةُ السُّودَاءُ لِصَافِي الْأَحْذِيَّةِ .
- (٩) السُّوسُ : شَجَرٌ فِي عَرُوفِهِ حَلَاوَةٌ وَفِي فُرُوعِهِ مَرَارَةٌ . (١٠) كَذَا فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ .
وَفِي الْأَصْلِ الْفَتَوَغْرَافِي «التَّشْنِجُ» .

- تجعل في جوف نخار مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار في تنور، فإذا صارت العقرب رماداً سقى من ذلك الرماد من به الحصاة مقدار نصف دائق وأكثر فيفتت الحصاة من غير أن يضر بشيء من سائر الأعضاء والأخلاق، وقد تلسع العقرب من به حمى عتيقة فتقلع به وتلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج، وتلقى في الدهن وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويجذب قواها فيكون ذلك الدهن مفرقاً للأورام الغليظة .
- ومن طبع العقرب أنك إن ألقيتها في ماء غمر بقيت في وسط الماء لا تطفو ولا ترسب، وهي من الحيوان الذي لا يسبح . وعين الجراد وعين الأفعى لا تدوران . وإنما تنسج من العناكب الأثني، والذكر هو الخدرنق . وولد العنكبوت ينسج ساعة يولد . والقمل يخلق في الرؤوس على لون الشعر إن كان أسود أو أبيض أو مخضوباً بالحناء . الحلكاء دويبة تغوص في الرمل كما يغوص طائر المساء في المساء . وبنات النقا كذلك، وهي التي يقال لها : شحمة الأرض . وأم حبين لا تقيم بمكان تكون فيه السرفة، والسرفة دويبة يضرب بها المثل في الصنعة فيقال : «أصنع من سرفة» .
- ومن أحسن ما قيل في الأفعى قول امرأة من الأعراب :

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

(٢) الحلكاء : دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة ، ملساء فيها بياض وحمرة ؛ والعرب تسميها : « بنات النقا » .

(٣) أم حبين : دويبة على خلفة الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن ؛ وقيل : هي دويبة على قدر الخنفساء يلعب بها الصبيان .

(٤) السرفة بالضم : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقاق العيدان على مثل الناووس بعضها إلى بعض بالعابها وتدخله فتعوت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤) .

(٥) في اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب ، ونص على ذلك بقوله : « وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حية ذكراً وهو ابن أحمربجليل ليس الباهلي »

خلقت لها زمه عزين ورأسه كالقرص فرطح من طحين شعير

خُايَقَتْ لَهَا زِمَهُ عِزِينَ^(١) وَرَأْسُهُ^(٢) * كَالْقُرْصِ فُرْطَحَ^(٣) مِنْ دَقِيقِ شَعِيرِ
وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَسْوِفَةٍ^(٤) * مَلَقَاكَ كَفَّةً مَنَجَلٍ^(٥) مَاطُورِ^(٦)
وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ^(٧) كَأَنَّهَا^(٨) * سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيسِ بَرِيرِ^(٩)

٥ قيل لماسرجويه : تَجِدُ مَلْسُوعَ الْعَقْرَبِ يُعَالَجُ بِالْأَسْفِيُوشِ فَيَنْفَعُهُ ، وَآخِرُ يُعَالَجُ
بِالْبَنْدُقِ فَيَنْفَعُهُ ، وَآخِرُ يَشْرَبُ الْأَنْقَاسَ^(١١) فَيَنْفَعُهُ ، وَآخِرُ يَأْكُلُ التَّفَاحَ الْحَامِضَ فَيَنْفَعُهُ ،
وَآخِرُ يَطْلِيهِ بِالْقَبَا^(١٢) وَالْحَلِّ فَيَحْمَدُهُ ، وَآخِرُ يَعْصِبُ عَلَيْهِ الثُّومَ الْحَارَّ الْمَطْبُوعَ ، وَآخِرُ يَدْخُلُ
يَدَهُ فِي مِرْجَلٍ حَارٍّ لَا مَاءَ فِيهِ فَيَحْمَدُهُ ، وَآخِرُ يَعَالِجُهُ بِالثُّخَالَةِ الْحَارَّةِ فَيَحْمَدُهَا ، وَآخِرُ يَحْجِمُ
ذَلِكَ الْمَوْضِعَ فَيَحْمَدُهُ ، ثُمَّ رَأَيْنَاهُ يَتَعَالَجُ بَعْدُ بِذَلِكَ الشَّيْءِ لِلْسَّعَةِ أُخْرَى فَلَا يَحْمَدُهُ !

- (١) الهازم : أصول الحنكين واجدتها لزمة بالكسر ؛ وقيل إنها عظامان ناتئتان في اللحين تحت الأذنين .
١٠ (٢) عزين : متفرقة . (٣) وردت هذه الكلمة في اللسان في مادة « فرطح » بالراء وفي مادة
« فاطح » باللام ، وأستشهد بالبيت في المادتين ، ونجاء فيه : « وكل شيء عرضته فقد فطحته وفرطحته »
ورردت في الأصل الفتوغرافي « قطع » وفي النسخة الألمانية « أقطع » وفي كتاب الحيوان للجاحظ (ج ؛
ص ٦٠) « أفتح » . (٤) التوفة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر :
آلة حديد معوجة يقطع بها الزرع وغيره ، وفي الأصل الفتوغرافي « منخل » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية
١٥ والحيوان للجاحظ . (٦) ماطور من الأطر وهو عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه .
(٧) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي اللسان « للوداع » ، وفي النسخة الألمانية وكتاب الحيوان
للجاحظ : « للوقاح » . (٨) النفيس فعيل من النفض وهو التحريك ، ورواية اللسان في مادة
« فرطح » نقيض بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك عامة . وفي اللسان بعد هذا البيت :
وَكَأَنَّ شَدِيقَهُ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ * شَدَقًا بِحُوزِ مَضْمُضَةٍ لَطُورِ

- ٢٠ (١٠) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي « بالاسفيون » بالنون ولعله محرف ، لأن
هذا الاسم ورد في مفردات ابن البيطار هكذا « الاسفيوس » بالسین المهملة في آخره ، وورد في تذكرة داود
« الاسفيوش » بالشين المعجمة في آخره ، وهي كلمة فارسية معناها « بزر قطونا » . (١١) الأنقاس :
الحوامض وفي النسخة الألمانية « الأنقاس » بالقاف . (١٢) القلى بالكسر : شب العصفور وله منافع
كمنافع الملح إلا أنه أحده منه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لما اختلفت السموم في أنفسها بالجنس والقدر والزمان ، وباختلاف ما لاقاه
اختلف الذي يوافقه على حسب اختلافه . قالوا : وأشد ما تكون لسعتها إذا خرج
الإنسان من الحمام ، لتفتح المنافس وسعة المجارى وشحونة البدن .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال أبو بكر البهري^(١) : ما من شيء يضرب
إلا وفيه منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن قائلًا قال : أنا مثل العقرب أضرب
ولا أنفع . فقال : ما أقل علمه بها ، "إنها لتنفع إذا شق بطنها ثم شئت على موضع"
"اللسعة" وقد تجعل في جوف فخار مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار
"في ثور فإذا صارت العقرب رمادا سقي من ذلك الرماد مقدار نصف دانق أو أكثر"
"قليلا من به الحصاة ففتم من غير أن يضرب شيء من سائر الأعضاء والأخلاط ."
"وقد تلسع العقرب من به الحمى العتيقة فتقاع عنه . ولسع العقرب رجلا مفلوجا"
"فذهب عنه الفالج . وقد تلقى العقرب في الدهن وترك فيه حتى يأخذ الدهن منها"
"ويجذب قواها فيكون ذلك الدهن مفترقا للأورام الغليظة" .

قال أبو عبيدة : ولسع أعرابيا عقرب بالبصرة ، وخيف عليه فاشتد جرحه ،
فقال بعض الناس له : ليس شيء خيرا من أن تغسل له خصية زنجي عرق ففعلوا ،
وكان ذلك في ليلة ومدة ، فلما سقوه قطب ، ففعل له : طعم ماذا تجد ؟ قال : أجده
طعم قربة جديدة .

قال المأمون : قال لي يحيى بن شعيب وسلمويه وأبن ماسويه : إن الذباب إذا دلك على
موضع لسعة الزنبور هدأ وسكن الألم ، فلعني زنبور فحككت على موضعه أكثر

(١) كذا بالأصلين ، وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجري » ولم نجد هاتين النسبتين
في كتب الأنساب التي تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه " " مكررة لأنها تقدمت
في ص ٩٥ من هذا الجزء بكلماتها وألفاظها مع اختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لئلا يورودها في الأصلين ،
وأكتفينا بهذه الإشارة تنبيها للقارئ . (٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألم إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج ، فلم يبق في يدي منهم إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبور حتمًا قاضيًا ، ولولا ذلك العلاج قتلك . قالوا : ومما ينفع من اللسعة أن يصيروا على وضعها قطعة رصاص رقيقة وتشد عليه أياما . وقد يمسود بهذا قوم فيجعلونه خاتمًا فيدفعونه إلى المسوع إذا نهش في إصبعة .

قال محمد بن الجهم : لا تنهائوا بكثير مما ترون من علاج العجائز ، فإن كثيرا منه وقع اليهن من قدماء الأطباء ، كالذبان يلتقي في الإثمد فيسحق معه ، فيزيد ذلك في نور البصر ونفاذ النظر وتشد يد مراكر الشعر في حافات الحفون . قال : وفي أمة من الأمم قوم يأكلون الذبان فلا يرمدون ، وليس لذلك يأكلونه ، ولكن كما يأكل غيرهم فراخ الزناير .

وقال ابن ماسويه : المجرب للسع العقرب أن يسقى من الزراوند المدحرج ويشرب عليه ماء بارد ، ويضع ويوضع على اللسعة . قال : وللسع الأفاعي والحيات ورق الآس الرطب يعصر ويسقى من مائه قدر نصف رطل ، وكذلك ماء المرزنجوش وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ ، ويضمم الموضع بورق التفاح المدقوق ، والأدوية والسموم القاتلة البندق والتين والسذاب يطعم ذلك العليل . قال والثوم والملح وبعر

(١) الزراوند المدحرج وهو أردأ أنواعه : نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشئ ، أحمر قلب الرائحة ، وهو كثير بأرض الشام ، كما في تذكرة داود ، وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .
(٢) الآس : نبات يزرع كثيرا بأرض العرب بالسجل والجبل ، وغضرفته دائمة ، ويسمو حتى يكون شجرا عظيم وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمره سوداء إذا أبغمت تحل وفيها مع ذلك علقمة .

(٣) المرزنجوش ويقال له مرزجوس ومردقوس : فارسي ، والعرب تسميه : السمق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان ينبت في نباته ، وله ورق مستدير ، وهو طيب الرائحة جدا . له منافع وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

(٤) في النسخة الألمانية «البش» .

الغنم نافع جدًا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحية إلا أن تكون أصلاً، فإن الأصل^(١) يُوضَعُ على لسعها الكُتَيْتَانِ جميعاً بالزيت والعسل . والحطمي^(٢) إذا أُخِذَ ورقه فدُقَّ ثم وُضِعَ على لسع قملة النسر كان دواء له . وإن طَلَى أَحَدُ به يديه أو جسده لم يَلْدَغْ ذلك الموضع منه زُبُورٌ . وإن لَدَغَ أَحَدًا زُبُورٌ فأذاه فشرب من مائه نفعه . والبشكول وهو الطرشقون^(٣) إن دُقَّ فضمم به لسعة العقرب نفع إذا أُغْلِيَ أو شُرِبَ من عصيره . قالوا : وإن أُخِذَ مَنْ حَذَرَ على نفسه السُّمُومَ القاتلة التين مع الشونيز على الريق وقاه .

النبات

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال خدثنا قريش بن أنس عن كليب أبي وائل رجل من المطَّوِّعة قال : رأيت ببلاد الهند شجرة له ورد أحمر مكتوب فيه بياض "محمد رسول الله" . والعرب تقول في مثل هذا هو : "أشكر من البروقة"^(٤) ، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم . ويزعم قوم أن النارجيل هو نخل المقل قلبه طباع البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكرنب وبين الكرْم عداوة ، فإذا زرع الكرنب بحضرة الكرْم ذبل أحدهما وتسنج ، ولذلك يُبطئ السكرُ عن أكل منه ورقات على ريق النفس ثم شرب . وقضبان الرمان إذا ضُرب بها ظهر رجل آشتد عليه الألم . قالوا :

- (١) الأصل بفتح الهمزة والصاد واللام : حبة كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله ، كذا في حياة الحيوان للدميري نقلاً عن ابن الأباري . (٢) الحطمي بالكسر ويفتح : نبات محلل ملين نافع لعسر البول والخصى ، ودوم الخلل مفيد لوجع الأسنان مضغضة ونهش الهوام .
- (٣) قملة النسر : دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ؛ وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت قملة النسر ، لأنها تخرج منه .
- (٤) كذا في الأصلين . وفي مفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البخشكوك» ، وخاصيته النفع من لسع الهوام إذا أكل أو شرب ماؤه . (٥) في مجمع الأمثال والقاموس واللسان «بريقة» وهي كما قال الميداني : شجرة تخضر من غير مطربل تنبت بالسحاب إذا نشأ فيها يقال :

وكل زهر ونور فإنه ينحرف مع الشمس ويحول إليها وجهه ؛ ولذلك يقال : هو
يضاحك الشمس . قال الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة ^(١) خضراء جاد عليها مسيل ^(٢) هطل ^(٣)
يضاحك الشمس منها كوكب شريق ^(٤) * مؤزر ^(٥) بعيم النبات ^(٦) مكتهل ^(٧)

وقال آخر :

* فنواره ميل إلى الشمس زاهره ^(٨) * ^(٧)

والخبازي ينظم ورقه بالليل وينفتح بانهار . والنيلوفر ينبت في الماء فيغيب
الليل كله ويظهر إذا طلعت الشمس . وقالوا في الطحلب : إن أخذ بحفف

- (١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسيل : مطر ، من السيل بفتحين وهو المطر .
(٣) هطل ، من الهطل بالسكون وهو ثابع المطر المنفرق العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال
من النبات ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : ملفف . (٦) مكتهل : تام الطول .
(٧) النوار : واحدة نواره بالضم ، وهي الزهرة المشرقة . (٨) بحزبيت الخطبة ، صدره :

* بمسند القرين حق نباته *

وقبله عفا مسملان من سليمي شامره * تمشي به ظلمانه وجاذره

- (١٥) (راجع ص ٦٢ من ديوان الخطبة طبع ليسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ في كتاب الحيوان البيت
(بمسند ... الخ) إلى قطران العبسي (راجع ج ٥ ص ٣٥) .

- (٩) الخبازي ويقال : الخبزي : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ؛ ويطلق في العرف
الشائع على نبت برّي مسند الورق في وسط أوراقه شيء مجوف دقيق ، له زهر إلى الصفرة وبزر إلى السواد
مفرطح ، كذا قال داود الأنطاكي في تذكرته . (١٠) النيلوفر : نبات هندي سمي بلغتهم وأكثر
ما ينبت في مستنقعات المياه وراكدها والآجام ، ولا ينبت إلا في الماء العذب القائم في أرض طيبة تربة
سليمة من كل الفساد . ومن عادته أنه يحول وجهه إلى الشمس إذا طلعت وارتفعت ، فإذا وقع شعاعها
عليه ولم يقع انفتحت وردته كلها ، لا يزال تفتحه يزيد بزيادة الشمس إلى أن تقرب من أزل العصر
وتطلب الغروب فيبتدئ ينضم على ذلك ترتيب الذي كان تفتح حتى تغرب الشمس فيضم في كرة ويبقى مضموما
الليل كله إلى الصباح . راجع الجزء الأول من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ص ٣٢ من النسخة الخطية
المحفظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحلب : الخضرة التي تعلو المياه
الراكدة ، وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

في الظل ثم سقط في النار لم يحترق . وذكروا أن قساً راهناً على صليب في عنقه من خشب أنه لا يحترق ، وقال : هو من العود الذي صلب عليه المسيح ، فكاد يفتن بذلك خلقاً حتى فطن له بعض أهل النظر فأتاهم بقطعة عود تكون بكرمان فكان أبقى على النار من صليبه . والظاهر كذلك لا يصير جحراً . وطلاء النفاطين طلق وخطمي ومغرة . وقالوا : إذا أخذ زُرُّ السذاب البري وزرع وطال به ذلك تحول حرماً ، والنمَّام إذا اعتق تحول حباً . قالوا : والقسط إنما هو جزر بحري . قالوا : بالسند نبت من الحشيش يسمى تريّة ، إذا أخذ فطبخ ثم صفى ماؤه فجعل في وعاء لم يلبث إلا يسيراً حتى يشتد ويسكر شارب به إسكار الخمر .

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضر بمبقة عمده إلى شيء من خرد الباطن فليط به مثله من ملح ثم طرّحاً في ماء فديفاً فيه فينضج ذلك الماء على البقل فإنه يفسد . قال : ومن أراد إفساد الرمان الكثير ألق في أضعافه نوى التمر والملح والجريش . ومن أراد قتل السمك في الماء انقائم عمده إلى نبت يسمى " ما هي زهره " فدق وطرح في الماء فإنه يموت سمك ذلك الماء ، والمازريون يفعل ذلك . قال : ومما يحف له الشجر أن يعمد إلى مسمار من حديد فيحمي بالمار حتى تشتد حمرة ثم يدق في أصل الشجرة ، وأن يعمد إلى وتد من طرفاء فيثقب أصل الشجرة بثقب حديد .

(١) الطلق : حجر برّاق يتخذ منه مضاي للحمامات بدلا عن الزجاج . (٢) النفاطون : الزاوة بالنقط وهو القطران . (٣) النمَّام : نبت ورقه كالسذاب ، له زرع كالريحان عطري قوي الرائحة سمي بذلك لسطوع رائحته ، الواحدة نمامة . (٤) الحبق : نبات يشبه النمام ، ويكثر نباته على الماء ، ويسمى بالفارسية الفودنج . (٥) القسط : عتار من عتاقير البحر ، وعتاق : العشبة .

(٦) لفظ فارسي وتعريبه سم السمك . (٧) المازريون : نبت له أغصان طويلة شبر ، ورقه شبيه بوريق الزيتون إلا أنه أدق منه ، وهو مر يلذع اللسان ، له فوائد ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

ثم يُجعل ذلك العود على قدر الثقب في المثقب فتجف الشجرة إن كان يُلطُّ العود على قدر الثقب .

قيل لماسرجويه : ما بال الأكرة^(٢) وسكان البساتين مع أكلهم الكراث والتمر وشربهم الماء الحار على السمك المالح أقل غمياناً وعوراناً وعمشانا؟ قال : فكرت في ذلك فلم أجد علة إلا طول وقوع أبصارهم على الحضرة

الحجارة

قال أرسطاطاليس : حجر سقيلا إذا رُبط على بطن صاحب الاستسقاء نشف منه الماء، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجد قد زاد في وزنه؛ وإذا كرت بهذا رجلا من علماء الأطباء فعرفه، وقال : هذا الحجر مذكور في التوراة . وحجر المغناطيس يجذب الحديد من بعيد [و] إذا وُضع عليه علقه، فإن ذلك بالشوم بطل عمله . قالوا : والزماد والقليل يدبران فيستحيلان حجارة سودا تصلح للأرحاء . ومن الحجارة حصاة في صورة النواة تسبح في الخل كأنها سمكة . ومنها حرزة العقر^(٤) إن كانت في حق المرأة فلا تحبل . وحجر يوضع على حرف التنور فيساقط خبز التنور كله . وبمصر حجر من قبض عليه يجمع كفيه فأكل شيئا في جوفه فإن هو لم ينبذه من كفه خيف عليه . ومن الحجارة النشف^(٦) ليس شيء من الحجارة يطفو على الماء غيره وفيه حفر صغار .

(١) كذا بالنسخة الألمانية؛ وفي الأصل الفتوغرافي : « على قدر في المثقب » .

(٢) الأكرة جمع أكار وهو الحزاز لحفرة الأرض، كأنه جمع آكر في التقدير . (٣) كذا بالأصلين؛ ولم نجد ذكر هذا الحجر ضمن الأحجار المذكورة في مفردات ابن البيطار، ولا في تذكرة داود،

ولا في عجائب المخلوقات للقريني . (٤) العقر : العقم، وهو استعقام رحم المرأة فلا تحبل .

(٥) الحفر : الحصى . (٦) النشف : حجارة سود كأنها محترقة، وهي التي ينقي بها الوسخ في الحمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبر فيستحيل مُردَّاً سنجاً ^(١) . وإقليمياء النحاس يدبر فيصير
توتياء ^(٢) ، وحجر البازهر يُفوق الأورام ^(٣) . وباليمن جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض
ويبس استحال وصار شباً ، وهو هذا الشب اليماني .

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا
باليمن : الورس ^(٤) والكندر ^(٥) والخطر ^(٦) والعصب ^(٧) . وبمصر حجر تُحركه فتسمع في جوفه
شيئاً يتقلقل كالنواة .

حدثني شيخ لنا عن علي بن عاصم عن خالد الحذاء عن محمد بن سيرين قال :
أختصم رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إني استودعتُ هذا وديعةً فأبي أن
يردها علي ، فقال له شريح : ردَّ علي هذا الرجل وديعته ، قال : يا أبا أمية ، إنه حجر
إذا رآته الحبلى ألفت ولدها ، وإذا وقع في الخل غلى ، وإذا وُضع في الثور برد ،
فسكت شريح ولم يقل شيئاً حتى قاما .

الحن

قالوا : الشياطين مُردَّةُ الحن ، والجان ضَعْفَةُ الحن . وبلغني عن يحيى بن آدم
عن شريك عن ليث عن مجاهد قال قال — يعني إبليس عليه لعنة الله — : أُعطينا
أنا نرى ولا نرى ، وأنا ندخل تحت الثرى ، وأن شيخنا يُردُّ قتي .

- (١) الإقليمياء بالكسر : ثقل يعلو السبوت أودخان . (٢) البازهر معرب بادزهر : حجر تنسب
إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، فارسي مركب من باد ومعناه : روح أو ضد ، وزهر ومعناه : سم ؛
ونه منافع وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته . (٣) نبات الورس — كما في مفردات ابن البيطار —
كنبات السمسم ، فإذا جف عند إدراكه تفتقت سنفته (وعاء ثمرته) فينتفض منه الورس ، ينبت كل سنة
ويثمر ، وأجوده حديثه . وهو أنواع : بعضه يخرج صبغة أصفر خالص الصفيرة ، وبعضه في صبغته حمرة .
(٤) الكندر كلمة فارسية معناها : اللبان . (٥) الخطر بالكسر : نبات ينخضب به .
(٦) العصب : صمغ لا ينبت إلا باليمن . وكتب بهامش الأصل الفتوغرافي مانصه : « قلت : وعصرنا
زاد خامساً وهو القهورة » .

حدثنا عبد الرحمن بن عَمَّة قال : حدثني يَحْيَى بن عُمَيْة - شيخ من أهل المدينة مؤيد
 لآل الزبير - : أن عبد الله بن الزبير بات بالقفر ، فقام ليترحل فوجد رجلا طوله شبران
 عظيم اللحية على الولية^(١) ، فنفضها فوق ثم وضعها على الراحلة ، وجاء وهو بين الشراخين ،
 فنفض الرجل ثم شتمه ، وأخذ السوط ثم أتاه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا أرب
 قال : وما أرب ؟ قال : رجل من الجن ، قال : أفتح فاك أنظروا ، ففتح فاه ، قال :
 أهكذا خلوقكم ! لقد شوه خلوقكم ! ثم قاب السوط فوضعه في رأس أرب حتى شتمه .

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا عمر بن يونس قال حدثنا عكرمة
 ابن عمار قال حدثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاري قال حدثني أنس بن مالك
 قال : كانت بنت عوف بن عفراء مضطجعة في بيتها قائلة إذ استيقظت وزنجي
 على صدرها أخذًا بحلقها ، قالت : فأمسكني ما شاء الله وأنا حينئذ قد حرمت على
 الصلاة ، فبينما أنا كذلك نظرت إلى سقف البيت ينفرج ، حتى نظرت إلى السماء فإذا
 صحيفة صغراء تهوى بين السماء والأرض حتى وقعت على صدرى ، فشرها وأرسل
 حلق فقرأها ، فإذا فيها : من رب لكيز إلى لكيز ، اجتنب أبنه العبد الصالح إنه لا سبيل
 لك عليهما ، ثم ضرب بيده على ركبتي وقال : لولا هذه الصحيفة لكان دم ، أى لذبحك ،
 فاسودت ركبتي حتى صارت مثل رأس الشاة ، فأتيت عائشة ، فذكرت لها ذلك ،
 فقالت لي : يا بنه أنى ، إذا حضيت فألزمي عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليك
 إن شاء الله . لحفظها الله بأبيها وكان أسنشهد يوم بدر .

أبو يعقوب الشافعي عن عبد الملك بن عمير عن الشعبي عن زياد بن النضر أن
 عجوزا سألت جنيًا فقالت : إن بنتي عروس وقد تمزط شعرها من حمى ربيع بها ، فهل

(١) في الأصل القنوعر في «الولية» وفي النسخة الألمانية «الولية» والتصويب عن لسان العرب ،

والولية : البذعة . (٢) شرخا الرجل : حرقاه وجاناه ، وفيه : خشبته من وراء ومقدم .

(٣) في الأصلين : «لها» والسياق يقتضي ما أفتناه . (٤) تمزط الشعر : تساقط رنجات .

عندك دواء؟ فقال: آغمدي إلى ذباب المساء الطويل القوائم الذي يكون بأفواه الأنهار فاجعليه في سبعة ألوان من العهن^(١): أصفر وأحمر وأخضر وأزرق وأبيض وأسود وأغبر، ثم آجعليه في وسطه وآفتليه بأصبعك هكذا ثم آعقديه على عضدها اليسرى؛ ففعلت فكانها أنشطت من عقال.

٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرني محمد بن مسلم الطائفي في حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيع أن تغير خلقها ولكنها تسخر.

وقال الأصمعي: حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال حدثنا النحاس^(٣) بن قهم^(٤) قال: دخلت مربدا لنا فإذا فيه شيء كالعجول^(٥) له قرنان وله ريش ينظر إلى كآنه شيطان.

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: سمع رجلا بأرض ليس بها أحد قائلا من تحته يقول: من يحرك شعيراتي؟ ذاك مقيلي، وظل مظلي، حاشا الغزير وعبد الملك وجمعه الأدم؛ وكانوا يرون أن الأصمعي سمع هذا، وذاك أنه كان في آخر عمره وقد أصابه مس ثم ذهب عنه.

١٥ حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عمير بن ضبيعة قال: بينا أنا أسير في فلاة أنا وابن ظبيان — أوريقي له آخر ذكره — عرّضت لنا عجورا — كذا سمعته يقول، إن شاء الله — أو شيخ — ورأيت في كتاب محمد ابنه — وصبي يبكي؛ فقال: إني منقطع بي في هذه الفلاة فلو تحلتاني! فقال صاحب عمير: لو أردفته! فحمله خلقه؛ فمكثنا ساعة فنظر في وجه عمير وتنفس نخرج من فيه نار

(١) العهن: الصوف أو المصبرغ ألوانا. (٢) كذا بالأصل الفتوغرافي، وفي النسخة

الألمانية «أقتله» بالقاف. (٣) في النسخة الألمانية «المناسب» وهو تحريف.

(٤) في الأصلين: فهم بالقاء، وهو تحريف، والتصويب عن تقريب التهذيب وشرح القاموس.

(٥) العجول: العل. (٦) كذا في الأصل الفتوغرافي. وفي النسخة الألمانية: «الغريد».

مثل نار الآتون فأخذ له عمير السيف ؛ فبكى وقال : ما تريد مني ؟ فكف عنه ولم يعلم صاحبه بما رأى ؛ فمكث هنيهة ثم عاد فأخذ له السيف ؛ فبكى وقال : ما تريد مني ؟ وبكى ؛ فتركه ولم يعلم صاحبه ؛ ثم عاد الثالثة ففغر في وجهه ؛ فحمل عليه بالسيف ؛ فلما رأى الجدد وثب وقال : قاتلك الله ما أشد قلبك ! ما فاعلته قط في وجه رجل إلا ذهب عقله .

بلغني عن محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن عن أبي أيوب الأنصاري أنه كان في سقرة له وكانت الغول تجيء ، فشكاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : « إذا رأيته فقل باسم الله أجيبي رسول الله » ؛ بخافت فقال لها ذلك ؛ فأخذها فقالت : لا أعود ؛ فأرسلها ؛ فقال له النبي عليه السلام : « ما فعل أسيرك » ؟ فأخبره ؛ فقال : « إنها عائدة » ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا ، وقالت في آخرها : أرسلني وأعلمك شيئا تقوله فلا يضرك شيء ؛ آية الكرسي ؛ فأتى النبي عليه السلام فأخبره ؛ فقال : « صدقت وهي كذوب » .

حدثني زيد بن أنحرم قال : حدثنا عبد الصمد عن همام عن يحيى بن أبي كثير أن عامر ثعلبة كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إنا أتينا بساحرة فألقيناها في الماء فطفت ؛ فكتب إليه عمر : لسنّا من الماء في شيء ، إن قامت البينة وإلا نخّل عنها .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا ابن جريج عن ابن أبي الحسين المكي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعِمَّتِ الدُّخْنَةُ اللَّبَانُ وَاللَّبَانُ دُخْنَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا دُخْنٌ فِيهِ يَلْبَانٌ سَاحِرٌ وَلَا كَاهِنٌ » .

حدثني عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني عبد الله بن مروان بن معاوية عن ولد أسماء بن خارجة قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت أعرابية تقول : من

يشتري مني الحزأ؟ فقلت: وما الحزأ؟ قالت: يشتريه أكليس النساء للطشة والخافية والإقلاط؛ قال عبد الله: سألت ابن مَنَازِر فقال: الطشة: شيء يصيب الصبيان كالزكام، والخافية: الحزن، والإقلاط: قلة الولد. يريد أن المرأة إذا ولدت يموت أولادها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأة مقلات.

- بلغني عن شيخ من بني نُمير أنه قال: أضللت أبا عمر لي بالشريف فخرجت^(١) في بغايا فدابت أياما فأمسيت عشية بوادٍ موحش وقد كدّدت راحتي فاخليت لها^(٢) من الشجر وأصبت لها من الماء ثم قيدتها وأضطجعت مغموما، فلما جرى وسن النوم في عيني إذ همس قدم قريبا مني، فانتبهت فزعاً وإذا شيخ يتنحج وهو يقول: لا ربيعة عليك! ثم سلم وجلس؛ ثم جاء آخر وآخر حتى تألفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللت أبا عمر لي وأنا في طلبها منذ أيام؛ فقال لي الأول منهم: كُنْ لك ما كن، وقد ودعن فين، وصرن حيث صرن، فلا تتعنين؛ فاجترأت على المسئلة فقلت: أمِن الخافية أنتم نشدتم بآلهكم؟ قالوا: نعم وإلهنا وإلهكم واحد؛ فقلت: علموني مما علمكم الله شيئا أنتفع به؛ قالوا: إذا أردت حفظ مالك فأقرأ عليه: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسي، وإذا أمسيت في خلأ وحدك فأقرأ المعوذتين، وإن أحببت ألا يعبت بك ولا بأهلك وولدك عابت منا فعليك بالديك الأبيض؛ وأجعل في حجور صبيانك بريماً، يعني خيطاً من صوف أبيض وأسود، وأحتسوا بالإذخر^(٤) ينشر في الصوف، فحدثوني كحديثنا تلك الليلة، فلما أصبحت رجعت.

(١) الشريف: اسم من بني نُمير. (٢) اخليت من الاختلاء، وهو اجتزاز الحلي وهو الحشيش تعلق به الدواب. (٣) لا ربيعة: لا فرع، من راع يريع إذا فرع. (٤) الإذخر بالكسر: نبات مزهر طيب الرائحة.

قال المدائني : كانت وفاة زياد بالعرفة ^(١) ظهرت في إصبعة ، واشتد عليه الوجع
 بجمع الأطباء فشاورهم في قطع إصبعة ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم :
 أتجد الوجع في الإصبع أم تجده في قلبك والإصبع ؟ قال : في قلبي وفي إصبعي ، قال :
 عيش سليما وميت سليما ، وأمره أن يغمسها في الخل ، فكان ذلك يُخفف عنه بعض الوجع ،
 فمكث بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ، وسمع أهل الحبس ليلة مات قائلا يقول : أنا
 النقاد ذو الرقية قد كنيتكم الرجل . والعرب تدعو الطاعون رماح الحق . وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم « إنه ونحر من الحق » يعني الطاعون . والله أعلم .

(١) العرفة : قُرعة تخرج في يابض الكف .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي]

تم كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لأبن قتيبة ويتلوه في الكتاب
 الخامس كتاب العلم . والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي
 وآله وصحبه وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ،
 وذلك في شهر ر سنة أربع وتسعين وخمسة هجرية .

إلى هنا ينتهي آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتيجن سنة ١٢٩٩ هـ ،
 وسنعمد في مراجعة الجزء الخامس إلى آخر الكتاب على الأصل الفتوغرافي وعلى
 المصادر التي يعول عليها في تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :]

كان سديف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار فيئنا دولة بعد القسمة ، وإمارتنا غلبة بعد المشورة ، وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة ، وأشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة ، ^(١) وحكم في إظهار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نهيته ، واستجمع طريقه ، اللهم فافتح له من الحق يداً حاصدةً تبدد شمله ، وتفرق نامته ، ليظهر الحق في أحسن صوره ، وأتم نوره . والسلام .

وقيل : كانوا يتوقون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدعاء :
« باسم الله ، إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . إخشوا فيها ولا تكلمون .
أخذت سمعك وبصرك بسمع الله وبصره . وأخذت قوتك بقوة الله ، بيني وبينك ^(٢) سر النبوة الذي كانت الأنبياء تستتر به من سطوات الفراعنة ، جبريل عن يمينك ، وميكائيل عن شمالك ، ومحمد أمامك ، والله مطلق عليك يحجزك مني ويمنعني منك .
والسلام » .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « أما بعد ، فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك ونفاد ما تأتي إليهم ، وبقاء ما يأتون إليك .
والسلام » .

(١) إظهار : جمع بشر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والائتين والجمع وقد يثنى على بشرين ويجمع على إظهار (اللسان) . (٢) البائة والائمة : الحس والحركة وحياة النفس . (٣) في الأصل «أنتي» والسياق يقتضي ما أثبتناه .

وقدِمَ رجلٌ من بعض النواحي قميلاً له : كيف تركتَ الناس ؟ قال : مظلوماً لا يتنصر، وظالماً لا يتمر . والسلام .

في الحبس :

ما يدخلُ السجنَ إنسانٌ قسأله * ما بالُ سجينك إلا قال مظلومٌ

وقال بعضُ المُحدثين :

إن الليالي التي سُفِيتُ بها * غيَّبا الدهرُ في ثقلبي
لله أمرى ما ملئتُ قطُّ إلى * شيءٍ بقلبي إلا لحقتُ به
عرفتُ حظي من الزمان فلا * أأوم خلقاً على تجنبه
وكل سَمٍّ أعددتُه ووقفتُ * به الليالي حتى رُميتُ به

وحكى أن عبد الملك بن مروان أتتهُ برجل من الخوارج فأراد قتله ، فأدخل

على عبد الملك ابن له صغير وهو يبكي ، فقال الخارجي : دعه يا عبد الملك ، فإن ذلك أرحب لشدة ، وأصح لدماعه ، وأذهب لصوته ، وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حفرته طاعةُ الله فاستدعى عبرتها ، فأعجب عبد الملك بقوله وقال له متعجباً : أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ فقال : ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء ، فأمر عبد الملك بحبسه ، وصرَّح عن قتله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العلم والبيان

العلم

حدَّثني الزياتي قال حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد
عن الصَّنَائِجِيِّ^(١) عن معاوية بن أبي سفيان قال : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنِ الْأَغْلُوطَاتِ ، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : يَعْنِي صِعَابَ الْمَسَائِلِ .^(٢)

حدَّثني سُهَيْل بن محمد عن الأصمعي قال سمعت عُمَرَانَ بنَ حُدَيْرٍ يحدث عن رجل
من أهل الشام قد سمَّاهُ ، قال : قال كعب الأحمار لقوم من أهل الشام : كيف
رأيكم في أبي مسلم الخولاني؟ فقالوا : «أَحْسَنَ رَأْيًا فِيهِ وَأَخْذَنَا عَنْهُ ! فَقَالَ : إِنَّ^(٣)

- ١٠ (١) في الأصل «الصنائجي» (بياء مثناة وجم بعد الألف) وهو تحريف ، إذ هو عبد الرحمن بن عسيلة الصنائجي (بياء موحدة وحاء بعد الألف) ، نسبة إلى صنائج من حمير ، كما ذكر المؤلف في كتابه (المعارف) (ص ٣١٥) طبع بجوتنج سنة ١٨٥٠ م والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ٢٣٥) . (٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث ، لأنه لا معنى لأن ينهى النبي عن صعب المسائل ، والأوجه ما فسرها به الزنجشري إذ قال في الأساس : «وهي المسائل التي يغالط بها» ، وي زيد هذا التفسير ما جاء بالعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال ١٥ للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك «إبليس» . (٣) هو عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو بعدها موحدة وقيل بأشباع وقيل ابن أثوب وزن أحر : غابد رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدركه ، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .

أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الْحَاكِمِ أَهْلُهُ ، وَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلُ الْجَاهِلَةِ تَكُونُ فِي الْقَوْمِ فَيَرْغَبُ فِيهَا
الْغُرَبَاءُ ، وَيَزْهَدُ فِيهَا الْقُرَبَاءُ ، فَبَيْنَا ذَلِكَ غَارَ مَاؤُهَا ، وَأَصَابَ هَؤُلَاءِ مَنَفَعَتُهَا ، وَبَقِيَ
هَؤُلَاءِ يَتَفَكَّهُونَ ، أَيْ يَتَنَدَّمُونَ .

وَفِي الْإِنْجِيلِ أَنَّ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَاهُمُ الْعَجَائِبَ ، وَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ
وَالْحِكْمَةَ ، وَأُظْهِرَ لَهُمْ هَذِهِ الْآيَاتِ . قَالُوا : أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ ! أَوَلَيْسَتْ أُمُّهُ
مَرْيَمَ وَأَخُوهُ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَشَمْعُونَ وَيَهُوذَا وَأَخَوَاتُهُ كُلُّهُنَّ عِنْدَنَا ! فَقَالَ لَهُمْ
عِيسَى : إِنَّهُ لَا يُسَبِّبُ النَّبِيُّ وَلَا يُحَقِّقُ إِلَّا فِي مَدِينَتِهِ وَبَيْتِهِ .^(١)

حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قِيلَ لَدَغْفَلِ النَّسَابَةَ : بِمِ أَدْرَكَتَ
مَا أَدْرَكَتَ مِنَ الْعِلْمِ ؟ فَقَالَ : بِلِسَانٍ سَوُولٍ وَقَلْبٍ عَقُولٍ ، وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَالِمًا
أَخَذْتُ مِنْهُ وَأَعْطَيْتُهُ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ رُوَيْبَةَ بْنِ الْعِجَاجِ
قَالَ : أُتِيتُ النَّسَابَةَ الْبَكْرِيَّ فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتِ ؟ فَقُلْتُ أَنَا ابْنُ الْعِجَاجِ ،
قَالَ : قَصُرْتَ وَعَرَفْتَ ، لَعَلَّكَ مِنْ قَوْمٍ إِنْ سَكَتُ عَنْهُمْ لَمْ يَسْأَلُونِي ، وَإِنْ تَكَلَّمْتَ لَمْ
يَعُودُوا عَنِّي ، قُلْتُ : أَرْجُو إِلَّا أَكُونَ كَذَلِكَ ، قَالَ : مَا أَعْدَاءُ الْمَرْوَةِ ؟ قُلْتُ : تُخْبِرُنِي ،
قَالَ : بَنُو عَمِّ السَّوِّءِ إِنْ رَأَوْا حَسَنًا سَتَرُوهُ ، وَإِنْ رَأَوْا سَيِّئًا أَذَاعُوهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ لِلْعِلْمِ
أَفَّةٌ وَهُجْنَةٌ وَنَكْدًا ، فَأَفَّتُهُ نَسْيَانُهُ ، وَنَكَدَهُ الْكَذِبُ فِيهِ ، وَهُجِنَتْهُ نَشْرُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ،
كَانَ يَقَالُ : لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ فَإِذَا ظَنَّ أَنَّ قَدَّمَ عِلْمًا فَقَدْ جَهِلَ .

(١) لَعَلَّهَا الْجَمَّةُ قَالَ فِي اللِّسَانِ : وَالْجَمُّ : الْبُزُّ الْكَثِيرَةُ الْمَاءُ ، وَبُرْجَمَةٌ وَجُومٌ : كَثِيرَةُ الْمَاءِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ «لَيْسَ» بِغَيْرِ تَاءٍ نَتَأْنَيْتُ .

(٣) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ الْفَنَوغَرَانِي عَنْ نَسْخَةِ أُخْرَى : بَيْتُهُ .

حدثني شيخنا عن محمد بن عبيد عن الصلت بن مهران عن رجل عن الشعبي
عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تعلم العلم لأربعة دخل النار
ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يُيل به وجوه الناس أو يأخذ به من
الأمراء» .

وحدثني عن أبي معاوية عن حجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : «ما من عبد يُخلص العبادة لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه» . وقرأت في حكم لقمان أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ ، اغدُ عالما
أو متعلما أو مُستمعا أو مُجبرا ، ولا تكن الخامس فتهلك .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن عيَّاش عن معاذ
ابن رفاعه عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا
العِلْم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين^(١) وانتحال المبطلين وتأويل
الجاهلين» .

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال قال علي عليه
السلام : كَلِمَاتٌ لو رَحَلْتُم المِطْيَ فِيهِنَّ لَا تُصِيبُوهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكُوا مِثْلَهُنَّ : لَا يَرْجُونَ^(٢)
عبد إلا ربه ، وَلَا يَخَافُنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنْ يَتَعْلَمَ ، وَلَا يَسْتَحْيِي إِذَا
سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُ أَعْلَمُ . وآعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة
الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان ،
وكان يقول : من حق العالم عليك إذا أتيتَه أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتُخَصِّصَهُ بِالتَّحِيَّةِ ، وَأَنْ

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق ، في الأصل «به» . (٢) كذا في الأصل

ومثله في أدب الدنيا والدين . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) «تخريف القائلين» .

(٣) في أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : «وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نحس خذوهن

عني ، فلو ركبتم الفلك ما وجدتموهن إلا عندي : ألا لا يرجون أحد إلا ربه ... الخ» .

تَجْلِسَ قُدَّامَهُ وَلَا تُشِيرَ بِيَسْدِكَ ، وَلَا تَغْمِزَ بَعِينِكَ ، وَلَا تَقُولَ قَالَ فُلَانٌ خِلَافًا لِقَوْلِهِ ،^(١)
وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تَسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذَ بِثَوْبِهِ ، وَلَا تُلْجَحَ عَلَيْهِ إِذَا
كَسَلَ ، وَلَا تَغْرِضَ مِنْ صَحْبَتِهِ لَكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النِّخْلَةِ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا^(٢)
شَيْءٌ . وَفِيمَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا كَمِيلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَحْرُسُكَ^(٣)
وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النِّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِثْمَانِ . وَقَالَ : قِيمَةُ
كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ . وَيُقَالُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :^(٤)
يَعْدُ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَالِمًا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ^(٥)
وَأَنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعِلْمِهِ * وَمَا عَالِمٌ فِي بَلَدٍ بِغَسْرِيٍّ

قَالَ بُزُرْجَمُورُ : مَا وَرَّثَ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْأَدَبِ ، لِأَنَّهَا تَكْتَسِبُ
الْمَالُ بِالْأَدَبِ وَبِالْجَهْلِ تُتْلَفُ فَتَقْعُدُ عُدْمًا مِنْهُمَا . قَالَ رَجُلٌ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :
مَالِي إِذَا رَأَيْتُكُمْ تَذَاكَرُونَ الْأَخْبَارَ ، وَتُدَارِسُونَ الْآثَارَ ، وَتُنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَقَعَ
عَلَى النَّوْمِ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ حِمَارٌ فِي مَسَلَاخِ^(٦) إِنْسَانٍ .

نُحْرِجُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ حَاجًّا وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَكَانَا
بِبَعْضِ الطَّرِيقِ يَلْعَبَانِ بِالشَّطْرَنْجِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ فَأَذِنَ لَهُ وَسَتَرَ

١٥ (١) عبارة العقد الفريد «خلاف قولك» . (٢) لا تغرض : لا تضجر . وفي الأصل «تغرض»

بالفاء وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تلجح عليه في السؤال» ، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال
يسقط عليك منها شيء» . (٣) في الأصل : «تكميل العلم خير من المال» وهو تحريف ،

والصواب ما أثبتناه ، فقد جاء في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كميل النخعي قال : أخذ
بيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فخرج بي إلى ناحية الجبانة فلما أصبح تنفس الصعداء ثم قال :

٢٠ يا كميل ، إن هذه القلوب أوعية تغيروا أوعاها فأحفظ غنى ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة

في الإحياء (ج ١ ص ٧) طبعة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) في العقد

الفريد «عاقلا» . (٦) المسلاخ : الجلد .

الشَّطْرَنْجَ بِمَنْدِيلٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ فَسَأَلَهُ حَاجَتَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟
 قَالَ : لَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! شَغَلَتْنِي عَنْهُ أُمُورٌ وَهَنَاتٌ ، قَالَ : أَفَتَعْرِفُ الْفِقْهَ ؟
 قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَرَوَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَعَلِمْتَ مِنْ أَيَّامِ
 الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكَشَفَ الْمَنْدِيلَ عَنِ الشَّطْرَنْجِ وَقَالَ : شَاهَكَ ،
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : اسْكُتْ فَمَا مَعَنَا أَحَدٌ .

وَفِي كِتَابِ الْهِنْدِ : الْعَالِمُ إِذَا أَغْتَرِبَ ثَمَعَهُ مِنْ عِلْمِهِ كَافٍ ، كَالْأَسَدِ مَعَهُ قُوَّتُهُ
 الَّتِي يَعْيشُ بِهَا حَيْثُ تَوَجَّهَ . وَكَانَ يُقَالُ : الْعِلْمُ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ ، وَالْمَوْدَّةُ أَشَدُّ
 الْإِسْبَابِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ خَلَّتَا كَرِيمَ * لِلرَّءِزِينَ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا
 صِنَوَانٍ لَا يَسْتَتِمُ حَسْنُهُمَا * إِلَّا يَجْمَعُ لَذَا وَذَاكَ مَعَا
 كَمْ مِنْ وَضِيعٍ سَمَاهُ الْعِلْمُ وَالسَّحَابُ * فَنَالَ الْعِلَاءَ وَارْتَفَعَا
 وَمِنْ رَفِيعِ الْبِنَا أَضَاعَهُمَا * أَحْمَلَهُ مَا أَضَاعَ فَاتَّضَعَا

قَالَ الْأَحْنَفُ : كَادَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَكُونُوا أَرْبَابًا ، وَكُلُّ عَزٍّ لَمْ يُؤَكِّدْ بِعِلْمٍ فَإِلَى ذَلِكَ
 مَا يَصِيرُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسَ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ذَلِكَ ،
 فَإِنَّ زَوَالَ الْكَرَامَةِ بَزْوَالِهَا ، وَلَكِنْ لِيُعْجِبَكَ إِنْ أَكْرَمَكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . وَفِي بَعْضِ
 الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : «مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ» . وَكَانَ يُقَالُ :
 اسْتَدِلَّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُحِبُّ أَنْ لَهُ بِحِظِهِ مِنْهُ خَطَرًا . قَالَ يُونُسُ بْنُ
 حَبِيبٍ : عِلْمُكَ مِنْ رُوحِكَ ، وَمَالُكَ مِنْ بَدَنِكَ . قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : الْمُلُوكُ حُكَّامٌ
 عَلَى النَّاسِ ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ .

قيل لبزرجيه : العلماء أفضل أم الأغنياء ؟ فقال : العلماء ، فقيل له : فما بال
 العلماء بأبواب الأغنياء أكثر من الأغنياء بأبواب العلماء ؟ فقال : لمعرفة العلماء بفضل
 الغنى وجهل الأغنياء بفضل العلم . وفي الحديث : « ليس الملق من أخلاق المؤمن
 إلا في طلب العلم » . قال ابن عباس : دلت طالبا ، فعززت مطلوبا ، وكان يقول :
 وجدت عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحى من الأنصار ، إن
 كنت لأقيل بباب أحدهم ولو شئت أذن لي ، ولكن أبتغى بذلك طيب نفسه .
 وكان يقال : أول العلم الصمت والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العقل ،
 والخامس نشره . ويقال : إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك
 على أن تقول . قال الحسن : من أحسن عبادة الله في شبيبته لقاء الله الحكمة
 في سببه ، وذلك قوله : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ) قال بعض الحكماء من الصحابة : تقول الحكمة : من آتيتنى فلم يجسدني
 فليقل بأحسن ما أعلم ، وليترك أقبح ما أعلم ، فإذا فعل ذلك فأنا معه وإن لم يعرفني .
 وكان يقال : لا يكون الرجل عالما حتى يكون فيه ثلاث : لا يحقر من دونه في العلم ،
 ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على علمه ثمنا . وقال ابن عيينة : يستحب للعالم إذا
 علم ألا يعنف ، وإذا علم ألا يأنف . وفي كلام الغيلان : لا تكن كعلماء زمن الخرج^(١)
 إن علموا أنفوا وإن علموا عنفوا . وفي حكمة لقمان : إن العالم الحكيم يدعو الناس
 إلى علمه بالصمت والوقار ، وإن العالم الأحمق يطرد الناس عن علمه بالهذر
 والإكثار . قال إبراهيم بن المنصور : سل مسألة الحق وأحفظ حفظ الأحماس .
 وأنشد ابن الأعرابي :

ما أقرب الأشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها إذا لم تُقدر
فسل الفقيه تكن فقيها مثله * من يسع في عمل بفقه يمهـر
وتدبر الأمر الذي تُعنى به * لاخير في عمل بغير تدبر
فلقد يجتد المرء وهو مقصر * ويخيب جد المرء غير مقصر
ذهب الرجال المقتدى بفعاظم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم * بعضا يسدفع معور عن معور^(١)

وقال الشاعر^(٢) :

شفاء العمى طول السؤال وإنما * تمام العمى طول السكوب على الجهل

وقال بعضهم : خير خصال المرء السؤال ، ويقال : إذا جلست إلى عالم فسل تفقه
ولا تسئل تعنتا ، قال الحسن : من استتر عن الطلب بالحياء أبس للجهل سر باله ، فقطعوا
سراييل الحياء ، فإنه من رقى وجهه رقى علمه ، وقال : إني وجدت العلم بين الحياء
والستر ، وقال الخليل : منزلة الجهل بين الحياء والأنفة . وقال علي بن أبي طالب
عليه السلام : قرنت الهيبة بالحياة ، والحياء بالحرم ، والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها
ولو في يدي أهل الشرك ، وقال عمرو بن الزبير لبنيه : تعلموا العلم فإن تكونوا صغارا
قوم فعبسى أن تكونوا كبار قوم آخرين ، فيا سوءا ما ذا أقبح من جهل بشيخ ! وكان
يقال : علم علمك من يجهل ، وتعلم ممن يعلم ، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهات
وحفظت ما علمت .

قيل لبزرجمهر : بم أدركت ما أدركت من العلم ؟ فقال : بسكوب كسكوب
الغراب ، وحرص كحرص الخنزير ، وصبر كصبر الحمار . وقال الحسن : طلب العلم

(١) معور من أعور الشيء إذا بدت عورته . (٢) هو بشار بن برد كما في أدب الدنيا والدين
(ص ٩٩ طبعة بولاق) وبعد البيت :

فكن سائلا عما عناك فإنما * دعيت أبا عقل لتبحث بالعقل

في الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ فِي الْكِبَرِ كَالنَّقْشِ عَلَى الْمَسَاءِ. وَيُقَالُ: التَّنَقُّهُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَحِمَارِ الطَّاحُونَةِ يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ «ارْحَمُوا عَمْرِيًّا ذَلَّ ارْحَمُوا غَنِيًّا افْتَقَرَ ارْحَمُوا عَالِمًا ضَاعَ بَيْنَ جُهَالٍ» وَيُقَالُ: أَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ عَالِمٌ يَجُوزُ عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ.

قال المسيح عليه السلام: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تُلْقُوا اللَّؤْلُؤَ إِلَى الْخَنَازِيرِ، فَإِنَّهَا لَا تَصْنَعُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ مَنْ لَا يُرِيدُهَا، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ اللَّؤْلُؤِ، وَمَنْ لَا يُرِيدُهَا شَرٌّ مِنَ الْخَنَازِيرِ. قَالَ دِيمَقْرَاطُ: عَالِمٌ مُعَانِدٌ خَيْرٌ مِنْ مُنْصَفٍ جَاهِلٍ. وَقَالَ آخَرُ: الْجَاهِلُ لَا يَكُونُ مُنْصَفًا، وَقَدْ يَكُونُ الْعَالِمُ مُعَانِدًا. ذَالِ سُفْيَانٍ: تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ. قِيلَ لِلْحَسَنِ: الْحِرْفَةُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلِغَيْرِهِمُ الثَّرْوَةُ، فَقَالَ: إِنَّكَ طَلَبْتَ قَلِيلًا فِي قَلِيلٍ فَأَعْجَزَكَ، طَلَبْتَ الْمَالَ وَهُوَ قَلِيلٌ فِي النَّاسِ، فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُمْ قَلِيلٌ فِي النَّاسِ. وَقَالَ الْخَزَّيْمِيُّ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقْلٍ وَلَا أَدَبٍ * إِنَّ الْجُسُودَ قَرِينَاتُ الْحِمَاقَاتِ

وقال آخر:

مَا أَزْدَدْتُ مِنْ أَدَبٍ حَرْفًا أُسْرِبُهُ * إِلَّا تَزِيدْتُ حَرْفًا تَحْتَهُ سُومُ
إِنْ الْمُقَدِّمُ فِي حَدِّقٍ بِصُنْعَتِهِ * أَلَّنِّي تَوَجَّهَ مِنْهَا فَهُوَ مُحْضَرُومُ

وقال الطائي لمحمد بن عبد الملك:

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهْلَانَةَ أُمُّهَا * وَلَوْ دُئِمَ الْعِلْمُ جَذَاءً جَائِلٌ^(٣)

(١) في الأصل: «العالم» وظاهر أنه تحريف

(٢) جذاء: من الجذ وهو التقطع، والمراد أنها مقطوعة النسل.

(٣) الجائل: كل أنثى لا تحمل.

قال الثوري^(١) : من طلب الرياسة بالعلم سريعا فاته علم كثير، وقال : يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل . قال بعض أهل العلم : يُغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُغفر للعالم ذنب واحد . قال بلال بن أبي بردة : لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون . وقال الخليل بن أحمد :

اعْمَلْ بِلَعْمِي وَلَا تَنْظُرْ إِلَى عَمَلِي * يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي ٥

كتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علما فلا تطفئت نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم .

وقال بعض الحكماء : لولا العلم لم يُطلب العمل ، ولولا العمل لم يُطلب العلم ، ولأن أدع الحق جهلا به أحب إلى من أن أدعه زهدا فيه . وقال مالك بن دينار : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا^(٢) . ونحوه قول زياد : إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان .

ويقال : العلماء إذا علموا يملوا ، فإذا عملوا سُغِلوا ، فإذا سُغِلوا فُقدوا ، فإذا فُقدوا طُلبوا فإذا طُلبوا هربوا . قال الحسن : ما أحسن الرجل ناطقا عالما ومستمعا واعيا وواعيا عالما . وقال ابن مسعود : إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها . وقال ابن عباس : إذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

إذا ما تحدثت في مجلس * تنأى حديثي إلى ما علمت

ولم أعيد علمي إلى غيره * مكان إذا ما تنأى قصرت

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعة بولاق) وفي الأصل : "نهيف" وظاهر أنه تحريف . (٢) ورواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢١١) «اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي» وفي أدب الدنيا والدين «اعمل بقولي...» (٣) الصفا جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت .

وقال آخر^(١) :

إذا ما انتهى علمي تناهيتُ عنده * أطال فأملِي أم تناهى فأقصرا
ويُخبرني عن غائب المرءِ فعُله * كفى الفعلُ عما غيب المرءُ مُحبراً

قال عمر بن الخطاب : لا أدركتُ لأنا ولا أنت زماناً يتغير الناس فيه على العلم
كما يتغيرون على الأزواج . قال سلمان : علمٌ لا يُقال به ككثرة لا يُنفق منه .
وفي الحديث المرفوع : « العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان
فذلك حجة الله على ابن آدم » قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن
من حلم إلى علم ومن عفو إلى قُدرة . قال أبو الترداء : من يزدد علماً يزدد
وجعاً .

قال أفلاطون : لولا أن في قول لا أعلم سبباً لآتي أعلم لقلت إنني لا أعلم .
وقال آخر : ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنني لست أعلم .

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجلٌ يدرى ويدري أنه يدرى فسأوه ،
ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذاك ناسٌ فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدري أنه
لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك
جاهل فارفضوه .

كتب كسرى إلى بُزرجمهر وهو في الحبس : كانت ثمرة علمك أن صرت بها
أهلاً للحبس والقتل ، فكتب إليه بُزرجمهر : أما ما كان معي الجَد فقد كنتُ أنتفعُ
بثمرة العلم فالآن إذ لا جد فقد صيرتُ أنتفع بثمرة الصبر مع أني إن كنتُ فقدت كثير
الخير فقد استرحت من كثير الشر .

قال بزرجمهر : من صلح له العمر صلح له التعلم . وقيل لبعض الحكماء :
أحسن بالرجل أن يتعلم ؟ فقال : إن كانت الجهالة تقبح به فإن العلم يحسن به .
ويقال : التودد زين العلم .

قال عمر بن الخطاب ^(١) : ما من غاشية أدوم أرذا ، وأبطأ شبعاً من عالم . قال
مالك بن دينار : من طاب العلم لنفسه فالقليل منه يكفي ، ومن طلبه للناس
خوائج الناس كثيرة .

قال إِبْرَاهِيمُ : العلم كثير ، والعمر قصير ، والصنعة طويلة ، والزمان جديد ،
والتجربة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق للذبلين ، وأنتم مقيمون مع
المتحيرين ، إنما ينبغي من العلم القليل ، ومن العمل الكثير . قال سلمان : لو حدثت الناس
بكل ما أعلم لقالوا رَحِمَ اللهُ قَاتِلَ سَلْمَانَ . كان يقال : لا تقل فيما لا تعلم فتتهم فيما تعلم .
وكان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق بلدت
وإذا كان سائق بلا قائد عدلت يمينا وشمالا ، فإذا اجتمعا أنابت طوعا وكرها . قال
أيوب : لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يعرف الاختلاف . ويقال : غريزة
العقل أنى وما يستفاد من العلم ذكره وإن يصلحها إلا معا .

قال المسيح عليه السلام : إن أبغض العلماء إلى الله رجل يحب الذكر بالمغيب ،
ويوسع له في المجالس ، ويدعى إلى الطعام ، وتفرغ له المزاد ^(٢) ، بحق أقول لكم : إن
أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

(١) الغاشية : السؤال الذين يغشونك يرجون فضلك ومعرفتك . (٢) وفي العقد الفريد

(ج ١ ص ١٩٨) : «وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود فإن كان قائد بلا سائق
هلك ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا وإذا اجتمعا أنابت طوعا وكرها» .

(٣) المزاد جمع مزود كبير وهو رعاء الزاد .

لما دُلِّيَ زيد بن ثابت في قبره قال ابن عباس : من سرَّه أن يرى كيف ذهب العلمُ فهكذا ذهب العلمُ .

ويقال : إذا أردت المحبة من الله فكن علماً بجاهل . وقال بعض الشعراء في تَلَاقي العلماء :

إذا تَلَاقَى الْفُيُؤُولُ وَأَزْدَحَمْتُ * فكيف حالُّ الْبَعُوضِ فِي الْوَسَيطِ

وقال ابن الرِّقَاع :

ولقد أصبتُ من المعيشَةِ لَذَّةً * وَلَقِيتُ من شَطَفِ الْخُطُوبِ شِدَادَهَا

وعلمتُ حتَّى لستُ أسألُ علماً * عن حَرْفٍ واحدةٍ لَكَ أزدادَهَا

ويقال : أربعٌ لا يأنفُ مِنْهُنَّ الشَّرِيفُ : قيامُهُ عن مجلسِهِ لأبيه ، وخدمَتُهُ

لضيفِهِ ، وقيامُهُ على فَرَسِهِ وإن كان له مائةٌ عبيدٍ ، وخدمَتُهُ العالمِ لِيأخذَ من علمِهِ .

قيل لعطاء بن مُصْعَبٍ : كيف غَلَبَتْ على البرامكةِ وعندهم مَنْ هو أدبُ منك ؟

قال : ليس للقرباء ظَرَفَةُ الْغُرَبَاءِ ، كُنْتُ بعيدَ الدارِ ، غريبَ الأسمِ ، عظيمَ الكبرِ ،

صغيرَ الحرمِ ، كثيرَ الأتواءِ ، شحيحاً بالإملاءِ ، فقرَّبَنِي إليهم تَبَاعُدِي مِنْهُمْ ، ورَغَّبَنِي

فِي رَغْبَتِي عَنْهُمْ .

قال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ^(٢) : تَلَقَّانِي سعيد بن وهبٍ مع طلوعِ الشمسِ فقلت :

أين تُريدُ؟ قال : أدورُ لعلِّي أسمعَ حديثاً حسناً ، ثم تَلَقَّانِي أنس بن أبي شَيْخٍ فقلت :

أين تُريدُ؟ قال : عندي حديثٌ حَسَنٌ فأنا أطلبُ له إنساناً حَسَنَ الفهمِ حَسَنَ

الاستماعِ ، قلت : حدَّثَنِي به قال : أنت حَسَنُ الفهمِ سَيِّئُ الاستماعِ ، وما أرى لهذا

الحديثِ إلا إسماعيلَ بنَ غَزْوَانَ . وقال الطائِيُّ^(١) بن نحو هذا :

(١) جمع فيل . (٢) هو إسحاق بن حسان ويكنى أبا يعقوب الخُرَيْمِيُّ [بالراء المهملة] كما ذكره

المؤلف في كتابه : «الشعر والشعراء» (ص ٥٤٢) طبع مدينة «لندن» سنة ١٩١٢ م .

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قُنُوعٍ * تَعَوَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولٍ^(١)
فَصِرْتُ أَذَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ * بِهِ فَقُرُّ إِلَى فَهْمٍ جَلِيلٍ

كان يقال : إذا أردت أن تكون عالما فاقصد لفن من العلم ، وإذا أردت أن

تكون أدبيا فخذ من كل شيء أحسنه . قال إبراهيم بن المهدي :

قد يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعِبْ رَوَاحِلَهُ * وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنْ تَعَبٍ
مَعَ أَنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً * الرِّزْقُ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
وَحَلَّةٌ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُخَالَفُنِي * الرِّزْقُ وَالنُّوْكَ مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ^(٢)
يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُمُقٍ * الرِّزْقُ أَغْرَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الْجَرْبِ

قال أنوشروان للموبد^(٣) : ما رأس الأشياء؟ قال : الطبيعة النقية تكتفى من الأدب

برائحته ، ومن العلم بالإشارة إليه ، وكما يذهب البدر في السباخ ضائعا ، كذلك الحكمة
تموت بموت الطبيعة ، وكما تغلب^(٤) السباخ طيب البدر إلى العفن ، كذلك الحكمة
تفسد عند غير أهلها ، قال كسرى : قد صدقت وبحق قلدناك ما قلدناك .

قال بعض السلف^(٥) : يكون في آخر الزمان علماء يزهدون في الدنيا ولا يزهدون ،
ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ، ينهون عن غشيان الولاة ولا ينهون ، يقربون

١٥ (١) كذا في الأصل الفتوغرافي ، وفي نسخة ديوان أبي تمام الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية
رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفي ديوانه المطبوع : «عن جهول» .

(٢) كذا في المحاسن والأضداد للجاحظ : (ص ١٣٤ طبع مدينة ليدن) والسبب : الحبل .
وفي الأصل الفتوغرافي : «نسب» .

(٣) الموبد بضم الميم وفتح الباء ومثله الموبدان : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

٢٠ (٤) السباخ جمع سبخة محرّكة ومسكنة وهي الأرض ذات النز والمليح .

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) «قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون... الخ» .

الأغنياء ويأعدون الفقراء،^(١) وينقبضون عند الحقراء، وينبسطون عند الكبراء^(٢)
أولئك الجبارون أعداء الرحمن^(٣).

نافع عن ابن عمر قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق ؛ وسنة ماضية ؛ ولا أدري .

الكتب والحفظ

حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني قريش بن أنس قال سمعت الخليل بن أحمد
يقول : اسلم من الوحدة ، فقبل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ، فقال : ما أفسدها
للجاهل ! . قال بعض الشعراء في قوم يجعون الكتب ولا يعلمون :

زوامل للأسفار لا علم عندهم : بجيدها إلا كعلم الأبا^(٤)
لعمرك ما يدرى المطي إذا غدا : بأحاطها أورا^(٥)ح ما في الفرائ^(٦)

قال يحيى بن خالد : الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن
ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون . قال الشعبي : لو أن رجلا حفظ
ما نسي^(٧) كان علما . ووصف رجل رجلا فقال : كان يغلط في علمه من وجوه
أربعة : يسمع غير ما يقال له ؛ ويحفظ غير ما يسمع ، ويكتب غير ما يحفظ ،
ويحدث بغير ما يكتب .

قيل لأبي نواس : قد بعثوا إلى أبي عبيدة والأصمعي ليجمع بينهما ، فقال :
أما أبو عبيدة فإن أمكنوه من شقره^(٨) قرأ عليهم أساطير الأولين ؛ وأما الأصمعي^(٩) فبابل^(١٠)
في قفص يطربهم بنغماته .

(١) في العقد الفريد « ويعدون » . (٢) في العقد الفريد « وينبسطون للكبراء » وينقبضون

عن الحقراء . (٣) في العقد الفريد « أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن » . (٤) زوامل جمع

زاملة وهي التي يحمل عليها من الإبل وغيرها . (٥) الفرائ جمع غرارة بالكسر وهي ما يحمل فيه التبن ونحوه .

(٦) الشقر كسر : الكذب . وفي المثل : « جاء بالشقر والبقر » أي جاء بالكلام المغير عن وجه الصدق .

القرآن

حدثني الزبائدي قال : حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريدي عن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون بيع المصاحف ويروونه عظيمًا ، وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم الغلمان شيئًا .

حدثني محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهلي عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عليه السلام قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أمية وليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو فإني أخاف أن يتأله العدو » .^(١)

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا عمار بن عمران العلاف قال : حدثنا جريرة بن أسد المري قال : كان سعيد بن المسيب يستفتح بقراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) ويقول : إنها أول شيء كتبت في المصحف ، وأول الكتب ، وأول ما كتبت به سليمان بن داود إلى المرأة .^(٢)

(١) ورد في الأصل « أبيه » وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذکور من روى عنه « أبو إسحاق

الفراري » ومعارضة المذکور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفراري أيضا فنعين ما ورد في الأصل أن « أبو إسحاق » هو المقصود في هذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٢ ،

ج ١٠ ص ٢١٥) . (٢) هي بلقيس بكسر الباء والقاف : ملكة سبا وقصتها معروفة .

وحدثني أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا رجل عن عمران بن حدير قال : قرأت على أعرابي آخرة سورة « براءة » فقال : كان هذا من آخر ما نزل . قالوا : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقضى وعهوداً تُبَدَّدُ . قال : وقرأت عليه سورة الأحزاب فقال : كأنها ليست بتامة .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قال ابن مسعود : (حم) ديباج القرآن ، قال : وزاد فيه مسعر ، قال عبد الله : إذا وقعت في آل (حم) وقعت في روضات دمنات أتناق فيهن .

حدثني شيخ لنا عن المحاربي قال : حدثنا بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن قال : قراء القرآن ثلاثة : رجل آخذ بضاعة ينقله من مصر إلى مصر ، يطلب به ما عند الناس ، وقوم حفظوا حروفه ، وضيعوا حدوده ، وأستدروا به الولاء ، وأستطالوا به على أهل بلادهم — وقد كثرت الله هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرتهم الله — ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه ، فسر ليله وهملت عيناه ، تسربلوا الخشوع ، وأرتدوا بالحزن ، وركدوا في محاريبهم ، وجثوا في براسمهم ، فبهم يسقى الله الغيث ، ويُنزل النصر ، ويرفع البلاء ، والله لهذا الضرب

(١) هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الراسي ، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١ ص ١١٣) . (٢) في النهاية لابن الأثير مادة « دمت » : إذا قرأت « آل حم الخ » . وفي مادة « أنق » : إذا وقعت « في آل حم الخ » . (٣) دمنات : سهلة لبنة . (٤) بالمعجمة والنون آخره سين مهملة مصغرا كذا في تهذيب التهذيب والتقريب والخلاصة . وفي الأصل « خنيس » بالمعجمة في آخره وظاهر أنه تحريف . (٥) كذا في الأصل بوار الجماعة والمقام يقضى الأفراد لقوله : « ورجل قرأ القرآن ... الخ » ويؤيد هذا ما ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٩ . « طبعة بولاق) ونصه : « ... ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسر ليله وهملت عيناه وتسربل الخشوع وأرتدى الوفاق واستشعر الحزن ووالله ... الخ » . (٦) في الأصل : خثوا . (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو فلسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام ، وكل ثوب رأسه ملتق به .

في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر ، روى الحارث الأعور عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا تُرِيعُ به الأهواء ولا تَتَّبِعُ منه العلماء ولا يَخْلُقُ عن كثرة الرد ولا تَقْضِي عَجَائِبُهُ هو الذي من تركه من جبارٍ قصمه الله ومن آتبع الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم » ، خذها إليك يا أعور .

المُحَارِبِيُّ قال : حدثنا مالك بن مغول عمن أخبره عن المسيب بن رافع عن عبد الله ابن مسعود قال : ينبغي لحامل القرآن أن يُعَرَفَ بليته إذا الناس نائمون ، ويَحْزُنُهُ إذا الناس يَفْرَحُونَ ، ويبكائه إذا الناس يَضْحَكُونَ ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون عليا حكيما ليئا مُسْتَكِينا .

وكيع عن أبي معشر المديني عن طلحة بن عبيد الله بن كرز قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من تعظيم جلال الله إكرام ذي الشئبة في الإسلام وإكرام الإمام العادل وإكرام حامل القرآن » . قال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) أحرمهم فهم القرآن .

- (١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) « على » . (٢) ورد في الأصل ١٥ « معول » بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمعجمة كما في الخلاصة وتهذيب التهذيب .
- (٣) في الأصل « سكين » وما أُثبتناه عن الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طبعة بولاق ، وعبارة الإحياء عن ابن مسعود « ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس ينامون ، وبهزاه إذا الناس يفرطون ، وبجزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يخجلون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا ليئا ، ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا عماريا ولا صياحا ولا صغابا ولا حديدا » . (٤) ذكره ابن حبان في الثقات وقال : كلب ما يجيء في الأخبار « كرز » يعني بضم الكاف إلا هذا اه تهذيب .
- ٢٠

سَمِعَ أَعْرَابِيَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَقْرَأُ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَنْقَذَهُمْ مِنْهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُمْ فِيهَا ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : خُذْهَا مِنْ غَيْرِ فَقِيهِهِ

الحديث

٥ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ الشَّهِيدِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قُضَيْلٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَجَاءٍ يَجْعَلُ صَبْيَانَ الْكُتَّابِ فَيُحَدِّثُهُمْ كَيْلًا يَنْتَسِي حَدِيثَهُ . وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الشَّهِيدُ ^(١) قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : قَالَ لِي حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَدَّثَنِي عَنْكَ بِحَدِيثٍ مَا بَالَيْتُ أَنْ أُرْوِيهِ عَنْكَ .

١٠ حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : أَلْفٌ عَنْ أَلْفٍ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ عَنْ وَاحِدٍ إِنْ فَلَانٌ يَنْتَرِعُ السَّنَةَ مِنْ أَيْدِيكُمْ .
حَدَّثَنِي الرِّيَاشِيُّ قَالَ : رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُعْتَمِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُنْقَذٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ الْحُسَيْنِ قَالَ : وَيُحُ : رَحْمَةً .

١٥ حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ : رَوَى رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ ؛ قَالَ رَبِيعَةُ : ثُمَّ ذَا كَرْتُ سُهَيْلًا بِهَذَا الْحَدِيثِ فَلَمْ يَحْفَظْهُ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرْوِيهِ عَنِّي عَنْ نَفْسِهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ : كَانَ قَتَادَةُ إِذَا حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ الْجَدِّ ثُمَّ ذَهَبَ يَحْيَىءَ بِالثَّانِي غَدَوَةً .

بلغني عن ابن مهدي قال : سئل شعبة : من الذي يترك حديثه ؟ فقال : الذي يُتهم بالكذب ، ومن تكثر بالغلط ، ومن يُخطئ في حديث يُجمع عليه فلا يَتَّهم نفسه ويُقيم على غلطه ، ورجل روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون .

وعن مالك أنه قال : لا يُؤخذ العلم من أربعة : سفيه معَلن بالسفه ، وصاحب هوى ، ورجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه في الحديث ، ورجل له فضل وتعفف وصلاح لا يعرف ما يحدث .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي أنه رأى سفيان بن عيينة فقال :
 فليبك سفيان باغى سنة درست * ومُسْتَبِت أَثَارَاتٍ وَأَثَارِ (١) (٢) (٣) (٤)
 ومبتغى قرب إسناد وموعظة * وَأَفْقِيُونَ (٥) مِنْ طَارٍ وَمِنْ طَارِ
 أُمِسَتْ مَجَالِسُهُ وَحُشًّا مَعْطَلَةٌ * مِنْ قَاطِنِينَ وَحُجَّاجٍ وَعُمَّارِ (٦) (٧)
 من الحديث عن الزهري حين توى * أولاً أحاديث عن عمرو بن دينار
 لو يسمعون بعده من قال حدثنا الزهري من أهل بدو أو بإحضار
 لا يهنا الشامت المسرور مضرعة * من مارقين ومن جحاد أقدار

(١) قال ابن خلكان : كان إماماً عالماً ثبتاً زاهداً ورعاً مجماً على صحة حديثه وروايته ، توفي آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ (٢) المستبِت : الفقير ، والمراد به هنا الطالب . (٣) جمع أثارة وهي البقية من العلم تؤثر . (٤) جمع أثر وهو الخبر . (٥) أَفْقِيُونَ جمع أَفْقٍ أو أَفْقٍ (نسبة إلى الأفق أو إلى الأفق) . (٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشرة من الصحابة وروى عنه جماعة من الأئمة ، منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري ، توفي سنة ١٢٤ هـ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (راجع ابن خلكان) . (٧) هو عمرو بن دينار المكي ، كان من أشد الناس إتقاناً للحديث روى عن ابن عباس وابن الزبير وأبي هريرة ، توفي

وَمِنْ زَنَادِقَةٍ ، جَهَنَّمُ يَقُودُهُمْ * قَوْدًا إِلَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ وَالنَّارِ
وَمُلْحِدِينَ وَمُرْتَابِينَ قَدْ خَلَطُوا * بِسُنَّةِ اللَّهِ أَهْتَارًا بِأَهْتَارِ^(٢)

وقال آخر في مالك بن أنس الفقيه :

يَأْتِي الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِ الْأَذْقَانِ
هَذِي التَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ التَّقَى * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا محمد بن سوار قال حدثنا هشام بن حسان قال :
كان الحسن يُحدثنا اليوم بالحديث ويرده الغد ويزيد فيه وينقص إلا أن المعنى
واحد .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال :
قال حذيفة بن اليمان : إنا قوم عَرَبٌ فنفسدُهم وتؤخر وتزيد وتنقص ، ولا نريد
بذلك كذبا .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامي : لو كان هذا الحديث من الخبر نقص .
أبو أسامة قال : قال مسعر : من أبغضني فجعله الله محدثا . أبو معاوية قال :
سمعت الأعمش يقول : والله لأن أصدق بكثرة أحب إلي من أن أتحدث
بستين حديثا .

أبو أسامة قال : سمعت سُفْيَانَ يَقُولُ : لَوِ دِدْتُ أَنَّهَا قُطِعَتْ مِنْ هَامِي ، وَأَوْمَأَ
إِلَى الْمَنْكِبِ ، وَأَنَّى لَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئًا .

(١) هو جهنم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمه وقتله سالم

ابن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها

الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٦٠)

(٢) جمع هترو وهو السقط .

قال ابن عيينة : ما أحب لمن أحب أن يكون أحفظ الناس للحديث . قال بعضهم : إني لأسمع الحديث عطلا فأشغفه وأقرطه وأقلده فيحسن ، وما زدت فيه معنى ، ولا نقصت منه معنى .

أبو أسامة قال : سأل حفص بن غياث الأعمش عن إسناد حديث فأخذ يحلقه وأسنده الى الحائط وقال : هذا إسناده .

وحدث ابن السكك بحديث فقال له رجل : ما إسنادك ؟ فقال : هو من الرسائل عرُفا . وحدث الحسن بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عمن قال وما يصنع بعمن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته ، وقامت عليك حجة .

يعلى قال : قال الأعمش : إذا رأيت الشيخ لم يطلب الفقه أحببت أن أصفقه .

ابن عيينة قال : قال الأعمش : لولا تعلم هذه الأحاديث كنت كبعض بقالي الكوفة .

ازدحم الناس يوماً على باب ابن عيينة أيام الموسم وبالقرب منه رجل من حاج نحر أسان قد حط بجملته فديس وكسر ما كان معه وأثرب كعكه وسويقه ، فقام يسير إلى سفيان ويدعوه ويقول : إني لا أحل لك ما صنعت ، فقال سفيان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا في السماع رحمك الله .

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعي للعلاء بن الميمال الغنوي في شريك :^(١)

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي . تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي

ثم عزله موسى الهادي ، وكان عالماً فقيهاً فهما ذكيا فطنا . توفي سنة ١٧٧ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٣١٧ طبعة باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للنهال قالها في شريك أيضا في المجلد

الأول من هذا الكتاب (ص ٦٧ و ٦٨) .

(١) لَيْتَ أبا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا * فَيُقَصِّرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكَ
وَيَتْرُكَ مِنْ تَذْرِيهِ عَلَيْنَا (٢) * إِذَا قُلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَ

وقال آخر :

تَحْرُزُ سُفْيَانٌ وَفَرَّ بِدِينِهِ * وَأَمْسَى شَرِيكَ مُرْصِدًا لِلدَّرَاهِمِ

وقال آخر في شهر بن حوشب :

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ * فَمَنْ يَأْمَنُ الْقِرَاءَةَ بَعْدَكَ يَا شَهْرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المال فسرَقَ خَرِيطَةً، ورافق رجلا من أهل الشام

فَسَرَقَ عَيْتَهُ . وقال ابن مُنَازِر (٣) :

(١) هكذا وردت في الأصل ، وفي اللسان (ج ١ ص ٦٦) و (ج ٢٠ ص ٧١) ووردت في المجلد

الأول من هذا الكتاب (ص ٦٨) : « فليت » .

(٢) في الأصل : « تذر به » بالذال المعجمة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان

(ج ١ ص ٦٦ و ج ٢٠ ص ٧١ و ٧٢) وجاء في اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال ابن سيده : إنما أراد

من تذرته (أي من تطاوله وتكبره) فأبدل الهمزة إبدالا صحيحا حتى جعلها كأن موضوعها الياء وكسر الراء لمجاورة

هذه الياء المبدلة كما كان يكسرها لو أنها في موضوعها حرف علة كقولك : تقضيها وتخليها ، ولو قال : من

تذرته لكان صحيحا ، لأن قوله : تذرته مفاعلة قال : ولا أدري لما فعل الغلاء هذا مع تمام الوزن

وخلوص تذرته من هذا البديل الذي لا يجوز مثله إلا في الشعر ، اللهم إلا أن يكون الغلاء هذا

لغته البديل » .

(٣) في شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : « وابن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف ويضم فيصرف

قال الجوهري : هو محمد بن مناذر شاعر بصري فن فتح الميم منه لم يصرفه ويقول إنه جمع منذر لأنه محمد

ابن المنذر بن المنذر ومن ضمه صرفه » اه . وقد ورد ما يؤكد أنه بالضم لا غير فقد جاء في معجم

البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة «لیدن») مانصه : « ذكر المبرد أن محمد بن مناذر

الشاعر كان إذا قيل ابن مناذر يفتح الميم بغضب ويقول أنا مناذر الكبير أم مناذر الصغير وهي كورتان من

كبر الأهواز ، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب » وقد ورد

في المشتبه في أسماء الرجال للذهبي (ص ٥٧ طبع مدينة لیدن) بالضم أيضا .

ومن يبيع الوصاة فإن عِنْدِي * وصاةً للكُهول وللشباب
خُذُوا عَن مَّالِكٍ وَعَن ابْنِ عَوْنٍ * وَلَا تَرَوْوْا أَحَادِيثَ ابْنِ دَابَّ^(١)

عبد العزيز بن أبان عن سُفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال : طلبنا هذا الأمر
وما لنا فيه نية ، ثم إن النية جاءت بعد ، فقال سُفيان : قال زيد بن أسلم : رأيت
رجلا مَدَّ رجله فقال : اقطعوها سوف أجبرها . قيل لرقبة : ما أكثر شكك ! فقال :
محاماة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل شعبةُ أيوب السَّخْتِيَّاني عن حديث فقال :
أنا أشك ، فيه فقال : شكك أحب إلي من يقين سبعة .

حدثني زيد بن أنحزم قال : سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الأعشى يضم
كفيه ثم يضرب بهما صدره ويقول : اسكن .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثني بعض الرواة قال : قلت للشرقي بن^(٢)
قُطامي : ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها ؟ فقال : لا أدري ، فأكذب
له ، فقلت : كانوا يقولون :

ما كنت وكواكَّا ولا يزونك * رويدك حتى يبعث الحق باعته^(٣)

وكواك : غليظ ، وزونك : قصير ، قال : فإذا أنا به يُحدث به في المقصورة يوم
الجمعة ، قال أبو نؤاس :

(١) ابن داب الذي يقصده الشاعر هو عيسى بن يزيد كان يضع الحديث بالمدينة كما في تهذيب التهذيب
(ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) في الأصل « للشرقي بن القطامي » وما أثبتناه عن المشتبه للذهبي وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت في لسان العرب في مادة « زنك » هكذا :

ولست بـوكواك ولا يزونك * مكانك حتى يبعث الخلق باعته

- (١) حَدَّثَنِي الْأَزْرَقُ الْمُحَدِّثُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ
لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ غَيْرُ كَافِرِهِ * وَكَافِرٍ فِي الْجَحِيمِ مَصْفُودٍ
- حَدَّثَنِي مِهْيَارُ قَالَ : حَدَّثَنِي هُدْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ شَقِيقِ الْبَلْخِيِّ أَنَّهُ أَطْرَى
يَوْمًا أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَرَّةٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ : لَا تُطْرِهِ بِمَرَّةٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَحْتَمِلُونَ
ذَلِكَ ، فَقَالَ شَقِيقٌ : قَدْ مَدَحَهُ مُسَاوِرُ الشَّاعِرِ فَقَالَ :
- إِذَا مَا النَّاسُ يَوْمًا قَالُوا : بِأَيِّدٍ مِنَ الْفُتَيَّا طَرِيفَهُ
أَتَيْنَاهُمْ بِمُقْيَاسٍ صَحِيحٍ * تِلَادٍ مِنْ طَرَّازِ أَبِي حَنِيفَةَ
إِذَا سَمِعَ الْفَقِيهَ بِهَا وَعَاَهَا * وَأَثْبَتَهَا بِحَبْرٍ فِي صَحِيفِهِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَجَابَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا :
- إِذَا دُوِيَ الرَّأْيُ خَاصِمٌ فِي قِيَاسٍ * وَجَاءَ بِدَعَاةٍ هَنَاءٍ سَخِيفِهِ
أَتَيْنَاهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِيهَا * وَأَثَارٍ مَبْرُورَةٍ شَرِيفِهِ
فَكَمْ مِنْ فَرْجٍ مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ * أَحِلَّ حَرَامَهُ بِأَبِي حَنِيفَةَ
أَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ بَنَتْ صُلْبٍ * تَكُونُ مِنَ الزَّانِ عُرْسًا صَحِيفِهِ
- سَمِعْتُ رَجُلًا مَنَادِيًا يُنَادِي : مَنْ يَدُلُّنَا عَلَى شَيْخٍ ضَلَّ ؟ فَقَالَ : مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ
شَيْخٌ يُنَادِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَرْيَسِيِّ فَقَالَ : هَذَا شَيْخٌ ضَالٌّ نَخْذُ سَدَهُ ،
وَكَانَ يُشْرِي بِقَوْلِ بَخْلَقِ الْقُرْآنِ .

الاهواء والكلام في الدين

- قال المأمون يومًا لعليّ بن موسى الرضّي عليهما السلام : هم تدعون هذا الأمر ؟
قال : بقرابة عليّ من النبي صلى الله عليه وسلم ، وبقرابة فاطمة رضي الله عنها ، فقال
(١) لم نجد هذين البيتين في ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م . (٢) كذا في الأصل بمعنى
« جاحده » ولعلها « خافره » لأن الخفر معناه تقض العهد والغدر به وهو يتفق والسياق .

المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففي خَلَفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته مَنْ هو أقربُ إليه من عليٍّ ، وَمَنْ هو في القرابة مثلهُ ؛ وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله ، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلِّي في هذا الأمر حق وهما حيَّان ؛ وإذا كان الأمر على ذلك ، فإن عليًّا قد أبرَّهما جميعا وهما حيَّان صحيحان ، وأستولى عليٌّ على ما لا يجبُ له ؛ فما أحرَّ عليٌّ بن موسى نطقا .

حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي ينشد :
وإني لأغني الناس عن متكلم * يرى الناس ضلَّالًا وليس بمُهتدي
وأنشدني أيضا الرياشي :
وعاجز الرأي مضياغ لفرصته * حتى إذا فات أمرٌ عاتب القَدرا
وقال آخر :

إذا عيروا قالوا مقاديرُ قَدَّرت * وما العارُ إلا ما تجرُّ المقاديرُ
وأنشدني سهل عن الأصمعي :
يا أيها المضميرُ همَّا لا تُهمُّ * إنَّك إن تُقدِّرْ لك الحمى تُحمِّ
ولو غَدوتَ شاهقا من العلم * كيف توقِّيك وقد جفَّ القلمُ
وأنشدني غيره :

هي المقاديرُ فلمْني أو فسَدُر * إن كنت أخطأتُ فما أخطأ القَدَر

قال أبو يوسف : مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلام تَزَنَّدَقَ ، وَمَنْ طَلَبَ المالَ بالكَيْمِيَاءِ أَفْلَسَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الحديثِ تَذَبَّ . كان مُسْلِمُ بْنُ أَبِي مَرْيَمٍ - وهو

(١) ما أحرار نطقا : ما ردَّ جوابا .

(٢) العلم : الجبل ، والشاهق : ما ارتفع منه .

مَوَّلَى لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ حُمِلَ عَنْهُ الْحَدِيثُ ^(١) — شَدِيدًا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ ^(٢)، عَائِبًا لَهُمْ وَلِكَلَّائِهِمْ، فَأَنْكَسَرَتْ رِجْلُهُ فَتَرَكَهَا وَلَمْ يَجْبُرْهَا، فَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: يَكْسِرُهَا هُوَ وَأَجْبُرُهَا أَنَا! لَقَدْ عَانَدْتَهُ إِذَا. قَالَ رَجُلٌ لِهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ: أَتَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَعَدْلِهِ كَلَّفَنَّا مَا لَا نَطِيقُ ثُمَّ يُعَذِّبُنَا؟ فَقَالَ هِشَامُ: قَدْ وَاللَّهِ فَعَلَ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَكَلَّمَ.

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ: صَاحَبَ رَجُلٌ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ مَجُوسِيًّا فِي سَفَرٍ فَقَالَ لَهُ الْقَدَرِيُّ: يَا مَجُوسِي، مَا لَكَ لَا تُسَلِّمُ؟ قَالَ: حَتَّى يَشَاءَ اللَّهُ! قَالَ: قَدْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْعُكَ، قَالَ الْمَجُوسِيُّ: فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهُمَا.

اجْتَمَعَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ عَمْرُو: إِنْ اللَّهُ وَعَدَ وَعَدًا وَأَوْعَدَ إِبْعَادًا وَإِنَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو: أَنْتَ أَعْجَمُ! لَا أَقُولُ إِنَّكَ أَعْجَمُ اللِّسَانِ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمُ الْقَلْبِ! أَمَا تَعْلَمُ، وَيَحْكُ! أَنَّ الْعَرَبَ تَعُدُّ إِنْجَازَ الْوَعْدِ مَكْرَمَةً، وَتَرْكُ إِيْقَاعِ الْوَعِيدِ مَكْرَمَةً؟ ثُمَّ أَنْشَدَهُ:

وإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ * لِمُخْلِفِ إِبْعَادِي وَمُنْجِزِ مَوْعِدِي ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ: «تَشْدِيدًا». (٢) الْقَدَرِيَّةُ — مَحْزَكَةٌ — جَا حِدَرُ الْقَدَرِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مُؤَلَّدَةٌ. قَالَ بَعْضُ مُتَكَلِّمِيهِمْ: لَا يَلِزُنَا هَذَا الْقَلْبُ لِأَنَّا نَنْفِي الْقَدَرَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ أَثْبَتِهِ فَهُوَ أَوْلَى بِهِ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَهَذَا تَمْوِيهِ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَثْبُتُونَ الْقَسْدَ لَأَنْفُسِهِمْ، وَلِذَلِكَ سَمَّوْا قَدَرِيَّةً (رَاجِعْ شَرْحَ الْقَامُوسِ). (٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٥٥) «إِنْ أَذْنُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَانَ» وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي حَدِيثٍ جَرَى بَيْنَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ وَبَيْنَ مَجُوسِي رَكِبَ مَعَهُ سَفِينَةً بِصِغَةِ تَخَالَفٍ بَعْضُ الْمَخَالَفَةِ مَا هُنَا وَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (رَاجِعْ ص ٥١ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ رَقْم ٣٥٢ تَوْحِيدُ بَدَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ).

(٤) عِبَارَةٌ كِتَابِ الْمَنِيَّةِ وَالْأَمَلِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ (ص ٧٧ طَبْعَةُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ بِمَجْدَرِآبَادٍ) وَرَوَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ [الْجَبَّارِي] نَظَرَ بَعْضَهُمْ فِي الْإِرْجَاءِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالزُّبَيْرِ حَاضِرَانِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ لَقِيَ عَمْرُو بْنَ عُبَيْدٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عُمَانَ، إِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ، وَلَسْتُ بِأَعْجَمِيٍّ اللِّسَانِ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ الْفَهْمِ، إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا وَعَدَتْ أَنْ تُجِزَ وَإِذَا أَوْعَدَتْ أَخْلَفَتْ، وَأَنْشَدَ =:

حبیب بن الشہید قال : قال إیاس بن معاویة ^(١) : ما کَلَّمْتُ أحداً بعقلی کَلَّةَ
إلا صاحبَ القَدَرِ ؛ قلت : ما الظلمُ فی کلام العرب ؟ قال : هو أن يأخذ الرجلُ
ما لیس له ؛ قلت : فإن الله له کلُّ شیء .

وفی کتاب للہند : الیقینُ بالقَدَرِ لا یمنعُ الحَازِمَ تَوَفِّيَ المہالک ، ولیس علی أحدٍ
النَّظَرُ فی القَدَرِ المَغِیْبِ ، ولكن علیہ العملُ بالحَزْمِ ، ونحنُ نَجْمَعُ تصدیقا بالقَدَرِ وأخذاً
بالحَزْمِ .

حدثنی خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قال : سَمِعْتُ رجلاً
من الرافضة يقول : رَحِمَ الله أبا لُؤْلُؤَةَ ! فقُلت : تَتَرَحَّمُ على رَجُلٍ بِجُوسَى قَتَلَ عُمَرَ
ابنَ الحَطَّابِ رضی الله عنه ! فقال : كانت طَعَنَتْهُ لُعمَرَ إسلامه .

== وإني وإن أوعده الخ البيت ، فقال أبو علي : إن أبا عثمان أجابه بالمسكت ، قال له : إن الشاعر قد يكذب
و يصدق ، ولكن حدثني عن قول الله تعالى عز وجل : (لَا مَلَأَتْ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) إن
ملاؤها أتقول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأها أفنقول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة . (١) هو
الذي يضرب به المثل في الذكاء ، توفي رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (٢) عبارة العقد الفريد : « كَلَّمْتُ
الفرق كلها ببعض عقل ، وكَلَّمْتُ القَدَرِيَّ بعقلی كَلَّةً ، فقُلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال : نعم ،
قلت : فإن الأمر كله لله »

١٥

(٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى وقال : كانوا
وزيري جدِّي . فتركوه ورفضوه ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي الموفى سنة ٤٢٩ هـ في كتابه
« الفرق بين الفرق » (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كان زيد بن علي قد بايعه على
إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على وإلى العراق ودو يوسف بن عمر الثقفي عامل
هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما امتد القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إنا ننصرك
على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب . فقال زيد : إني
لا أقول فيهما إلا خيراً ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قاتلوا بني
الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رءوا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ، ففارقوه عنده ذلك حتى
قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة » .

٢٠

حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا الأصمعي قال أخبرني عاصم بن محمد
العمري قال : كنت جالساً عند أمير من أمراء المدينة فأتني برجل شتم أبا بكر وعمر
فأسلمه حجاباً حتى حذق .

وذاك بعض شعراء الرافضة في محمد بن الحنفية ^(١) :

ألا قل للوصي قدتك نفسي * أطلت بذلك الجبل المقاما ^(٢)
أضرب بمعشر والوك منّا * وسموك الخليفة والإماما ^(٣)
وعادوا فيك أهل الأرض طراً * مقامك عنهم ستين عاما ^(٤)
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظاما ^(٥)
لئلا أمسى بمورق شعب رضوى * تراجع الملائكة الكلاما ^(٦)

وقال كثير عزة فيه وكان رافضياً يقول بالرجعة :

ألا إن الأئمة من قريش * ولأه الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بني * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فيسبط سبط إيمان وير * ويسبط غيبة كربلاء

(١) هو السيد الحيري ، كما ذكر صاحب الأغاني (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو

أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والحنفية أمة ، وهي خولة بنت جعفر بن قيس ، وقيل
بل كانت من سبي الإمامة وصارت الى علي ، وقيل بل كانت سنديّة سوداء وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن
منهم ، الى آخر ما ذكر ابن خلكان ، توفي رحمه الله في أول المحرم سنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن
بالبقيع ، وقيل دفن ببلاد أبله . (٣) هو جبل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية
يزعمون أنه حتى لم يمض وأنه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من النمل يأخذ منهما رزقه ، وعن

يمته أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه الى وقت خروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفي الأصل : « واروك »

(٥) كذا في الأصل ، ومثله في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) وفي الفرق بين الفرق : « بجري »

(٦) في الأصل « الكراما » وما أثبتناه عن الأغاني .

وَسِبْطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى * يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ
تَغِيَّبُ - لَا يَرَى - عَنْهُمْ زَمَانًا * بِرِضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ

وهم يذكرون أنه دخل شعبا باليمن في أربعين من أصحابه فلم ير لهم أثر.

قال طلحة بن مصرف لرجل : لولا أني على وضوء لأخبرتك بما تقول الشيعة .

قال هارون بن سعد العجلي وكان رأس الزيدية :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّافِضِينَ تَفَرَّقُوا * فَكُلُّهُمْ فِي جَعْفَرٍ قَالَ مُنْكَرًا

فَطَائِفَةٌ قَالُوا إِلَهُ وَمِنْهُمْ * طَوَائِفُ سَمَّيْتُهُ النَّبِيَّ الْمُطَهَّرَا

فَإِنْ كَانَ يَرْضَى مَا يَقُولُونَ جَعْفَرٌ * فَإِنِّي إِلَى رَبِّي أَفَارِقُ جَعْفَرَا

وَمَنْ عَجِبَ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَعْفَرِهِمْ * بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مَنْ تَجَفَّرَا

بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ * بِصِيْرِ بَابِ الْكُفْرِ، فِي الدِّينِ أَعُورَا

إِذَا كَفَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ يَدْعَةِ مَضَى * عَلَيْهَا وَإِنْ يَمْضُوا عَلَى الْحَقِّ قَصْرَا

وَأَوْ قَالَ إِنْ الْفِيلَ ضَبَّ لَصَدَّقُوا * وَأَوْ قَالَ زُنْجِيٌّ تَحُولُ أَحْمَرَا

وَأَخْلَفَ مِنْ بَوْلِ الْبَعِيرِ فَإِنَّهُ * إِذَا هُوَ لِلْإِقْبَالِ وَجْهٌ أَدْبَرَا

فَقُبِّحَ أَقْشَامُ رَمَوْهُ بِفَرِيَةٍ * كَمَا قَالَ فِي عَيْسَى الْفَرَى مَنْ تَتَّصَرَا

١٥ (١) في الأصل «إمام» وما أثبتناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» ويستأنس له بما جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٣٦) طبع ليبسج سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبي زينب الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بأهلية جعفر بن محمد وأهلية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه» .

(٢) في كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أودعهم جلدا فيه علم كل شيء جاءون منه من الغيب وسموا ذلك الجلد جعفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» .

٢٠

(٣) في الأصل «قول» ولعله تحريف من التامع .

(٤) وفي الأصل «بقرية» وهو تحريف .

سمعت بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل
للشعر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بكذب من بني تميم ! زعموا أن قول القائل :
بَيْتٌ، زُرَّارَةٌ مُحْتَبٌ بِفَنَائِهِ * وَجُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ^(٢)

إنما هو في رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرَّارَةٌ^(٣)
الحجر ؛ قيل له : فجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء ؛ قيل له : فأبو الفوارس ؟
قال : أبو قُبَيْس ؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشد ، وفكر ساعة ثم قال : نعم ،
نهشل ! مصباح الكعبة طويل أسود فذاك نهشل !

قال أعشى همدان يذكر قتل الرافضة الناس :

إِذَا سِرْتَ فِي عَجَلٍ فِيسْرِ فِي صَحَابَةٍ * وَكِندَةَ فَاحْذَرِهَا حَذَارَكَ لِلْخَسْفِ
وَفِي شَيْعَةِ الْأَعْمَى زِيَادٌ وَغَيْلَةٌ^(٤) * وَلَسَبُّ^(٥) وَإِعْمَالُ بَلْدَةِ الْقَذْفِ

الأعمى هو المغيرة ، وزِيَادٌ يَعْنِي الْخَنْقُ ، وَاللَّسَبُ : السِّمُّ ، وَإِعْمَالُ بَلْدَةِ الْقَذْفِ :
يُرِيدُ رَضْخَهُمْ رَعَوْسَ النَّاسِ بِالْحِجَارَةِ . ثم قال :

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف في كثير من الألفاظ
نبتها هنا لوضوحها ، ونصها : « قال الشعبي » : ما شئت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل
مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال للشعبي : ما عندك في تأويل هذا
البيت ؟ فإن بني تميم يغفلون فيه يزعمون أنه مما قيل في رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :

بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَبٌ بِفَنَائِهِ * وَجُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ

(وظاهر تحريفه) فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت ، وأشار بيده إلى الكعبة .
وزرارة : الحجر ززر حول البيت ؛ فقلت له : فجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس ؟
قال : هو أبو قُبَيْس جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة
طويل أسود وهو النهشل . (٢) الاحتباء سر أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به
مع ظهره ويشده عليها . (٣) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل « الحجبي » وهو تحريف .
(٤) في آب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢٩) « خنق » . (٥) يقال : قتله غيلة إذا خدعه
فذهب به إلى موضع فقتله .

وَكُلُّهُمْ شَرٌّ عَلَى أَنْ رَأَيْتَهُمْ * حَمِيدَةٌ (٢) وَالْمِيلَاءُ حَاضِنَةُ الْكِسْفِ (٣)
وَالْكِسْفُ هَذَا هُوَ أَبُو مَنْصُورٍ (٤) سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : فِي نَزَلٍ : ﴿وَإِنْ
يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ وَكَانَ يَدِينُ بِخَنَقِ النَّاسِ وَقَتْلِهِمْ . ثُمَّ قَالَ :
مَتَى كُنْتُ فِي حَيٍّ بِجَبَلَةٍ فَاسْتَمِعْتُ * فَإِنَّ لَهُمْ قَصْفًا يَدُلُّ عَلَى حَتِفٍ
كَانَ الْمَغِيرَةُ بِجَلِيًّا مَوْلَى لَهُمْ
إِذَا أَعْتَرَمُوا يَوْمًا عَلَى قَتْلِ زَائِرٍ * تَدَاعَوْا عَلَيْهِ بِالنَّبَاحِ وَبِالْعَرْفِ (٥)
وَكَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يُشَدُّ :

إِذَا مَا سَرَّكَ الْعَيْشُ * فَلَا تَأْخُذْ عَلَى كِنْدَةٍ (٦)

يُرِيدُ أَنْ الْخَنَاقِينَ مِنَ الْمَنْصُورِيَةِ أَكْثَرُهُمْ بِالْكُوفَةِ مِنْ كِنْدَةٍ ، مِنْهُمْ أَبُو قُطَيْبَةَ
الْخَنَاقِ .

١٠

- (١) فِي الْأَصْلِ «رَأْس» وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَنْ كِتَابِ الْحَيَّوَانِ لِلْجَاحِظِ (ج ٦ ص ١٣٠) . (٢) حَمِيدَةُ هِيَ مَنْ أَصْحَابُ نَبِيِّ النَّاعُطِيَةِ وَلَهَا رِيَاسَةٌ فِي الْغَالِيَةِ (الْفِرْقَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ) وَالْغَالِيَةُ هُمُ الَّذِينَ نَلَّوْا فِي حَقِّ أَيْمَتِهِمْ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنْ حُدُودِ الْخَلْقِيَّةِ وَحَكَمُوا فِيهِمْ بِأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ . (رَاجِعِ الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ ص ١٣٢ طَبْعُ لَيْسِيَجٍ ، وَالْحَيَّوَانُ ج ٦ ص ١٣٠ ، وَمِفْتَاحُ الْعُلُومِ لِلْخَوَارِزْمِيِّ ص ٣٠ طَبْعُ أَوْرَبَا) .
- (٣) الْمِيلَاءُ حَاضِنَةُ أَبِي مَنْصُورِ الْعَجَلِيِّ صَاحِبِ الْمَنْصُورِيَةِ الَّذِينَ اسْتَحْلَوْا خَنَقَ مُخَالِفِيهِمْ . (٤) هُوَ أَبُو مَنْصُورِ الْعَجَلِيِّ أَحَدُ الَّذِينَ آذَعُوا الْإِمَامَةَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَأَى مَعْبُودَهُ فَسَحَّ بِيَدِهِ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ : يَا بَنِيَّ ، انْزِلْ فَلَمَّ عَنِّي ، ثُمَّ أَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَهُوَ الْكِسْفُ السَّاقِطُ مِنَ السَّمَاءِ . وَقَدْ وَقَفَ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو النَّتْنَفِيِّ إِلَى الْعِرَاقِ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى قِصَّةِ وَخَبَثِ دَعْوَتِهِ فَأَخَذَهُ وَصَلَبَهُ (رَاجِعِ الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ ص ١٣٦) . (٥) قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الْحَيَّوَانِ : (ج ٦ ص ١٣٠) : «وَذَلِكَ أَنَّ الْخَنَاقِينَ لَا يَسِيرُونَ إِلَّا مَعًا وَلَا يَتَّقِمُونَ فِي الْأَمْصَارِ إِلَّا كَذَلِكَ ، فَإِذَا غَزَمَ أَهْلُ دَارٍ عَلَى خَنَقٍ إِنْسَانٌ كَانَتْ الْعِصَامَةُ بَيْنَهُمُ الضَّرْبُ عَلَى دُفٍّ أَوْ طَبَلٍ عَلَى مَا يَكُونُ فِي دَوْرِ النَّاسِ ، وَعِنْدَهُمْ كَلَابٌ مَرْتَبُطَةٌ ، فَإِذَا تَجَاوَبُوا بِالْعَرْفِ لِيُخْتَنَى الصَّوْتُ ضَرَبُوا تِلْكَ الْكَلَابَ فَتَبَحَتْ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ مِنْهُمْ مَعْلَمٌ يُؤَدِّبُ فِي الدَّرْبِ ، فَإِذَا سَمِعَ تِلْكَ الْأَصْوَاتَ أَمَرَ الصَّبِيَّانَ بِرَفْعِ الْحِجَابِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْحِسَابِ » اهـ . (٦) فِي كِتَابِ الْحَيَّوَانِ «تَمَرُّ» .
- (٧) كَانَتْ دَارُ أَبِي قُطَيْبَةَ الْخَنَاقِ بِالْكُوفَةِ فِي كِنْدَةٍ وَقَدْ قُتِلَ وَصَلَبَ (رَاجِعِ الْحَيَّوَانُ ج ٦ ص ١٢٩) .

٢٠

حدَّثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن ابن أبي زائدة قال: قال هشام بن القاسم:
أخذ خالد بن عبد الله المغييرة فقتله وصلبته بواسط^(٢) عند منظر^(٣)ة العاشر، فقال الشاعر:
طال التجاور من بيان^(٤) واقفا * ومن المغييرة عند جذع العاشر^(٥)
يأليته قد شال جذعا نخلة * بأبي حنيفة وابن قيس الناصر

وبيان هذا هو بيان التبان وكان يقول: إلى أشار الله إذ يقول: هذا بيان^(٦)
للناس وهو أول من قال بخلق القرآن.

(١) في الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبري ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم
الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م،
والكامل للبرادج ١ ص ٢٠ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م).

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق اختلطها الحجاج بن يوسف في سنتين.

(٣) المنظر: الموضع الذي ينظر منه وقد يغلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق
وغيره؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان إذا دخن أهل قزوين دخن المناظر إن
كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليبسج).

(٤) هو بيان بن سمعان التميمي الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه
وأنه يقنى كله إلا وجهه، وتأول على زعمه قوله تعالى: (كل شيء، هالك إلا وجهه) وقوله تعالى: (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك) وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم، وأنه يهزم به الماكر؛ وأنه يدعو
به الزهرة فتجيبه، رفع خبره إلى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فأحتال عليه حتى
ظفر به وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فأهزم به أعوانك
(راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٧٠ م).

(٥) هو المغييرة بن سعيد العجلي زعم أنه هو المهدي المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج
من نوره أعضاء وقلب تدب منه الحكمة، وأن أعضائه على صور حروف الهجاء؛ سمع خالد بن عبد الله
القسري بخبره وضلالاته فطلبه وقتله سنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والمثل والنحل
ص ١٣٤ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م).

(٦) التبان: بائع التبن.

وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبائياً وصاحب نيرنجات^(٢) . قال الأعمش :
قلت للمغيرة : هل كان عليٌّ يُحْيِي المَوْتَى ؟ فقال : لو شاء لأحيا عاداً وثمود وقروناً بين
ذلك [كثيراً]^(٣) .

بَلَّغَنِي عن أبي عاصم عن إسماعيل بن مسلم المكي قال : كنت بالكوفة فإذا قوم
من جيرانى يكثرُونَ الدخولَ على رجل ، فقلت مَنْ هذا الذى تدخلون عليه ؟ فقالوا :
هذا عليٌّ بن أبي طالب ، فقلت : أَدْخِلُونِي معكم فمضيتُ معهم وخبأتُ معى سوطاً
تحت ثيابي فدخلتُ فإذا شيخٌ أصْلَعٌ بَطِينٌ ، فقلت له : أنت عليٌّ بن أبي طالب ؟
فأومأ برأسه : أى نعم ، فأخرجتُ السَّوْطَ فما زلتُ أَقْنَعُهُ وهو يقول : لتأوى لتأوى ،
فقلتُ لهم : يا فسقة ! عليٌّ بن أبي طالبٍ نَبِطِيٌّ ! ثم قلتُ له : وَيْلَكَ ! ما قِصَّتُكَ ؟^(٤)
^(٥)

- ١٠ (١) فى الأصل « سبايا » [ببأين موحدتين بينهما ألف] وفى مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص ٣١)
طبع أوربا) « السبائية » وكذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة « سبا » وهم أتباع
عبد الله بن سبا (صاحب السبائية) الذى غلا فى عليٍّ رضى الله عنه ، وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى
زعم أنه إله ، ودعا الى ذلك قوماً من غواة الكوفة ، وذهب بعضهم فى عليٍّ مذهب النصارى فى المسيح ، وفيهم
يقول السيد الحيرى :

- ١٥ قسوم غلّوا فى عليٍّ لا بألهم * وأجشموا أنفسا فى حبه تعبا
قالوا هو الإبن جل الله خالقنا * من أن يكون له أبن أو يكون أبا
رفع خبرهم الى عليٍّ رضى الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم فى حفرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :

لترم بى الحوادث حيث شاءت * إذا لم ترم بى فى الحفرتين

- ثم إن علياً رضى الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شتاة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفى
أبن سبا الى سباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والمثل والنحل ص ١٣٢ والعقد الفريد ج ١
ص ٢٦٧) . (٢) النيرنجات : أنذكار الجحيم يست بحقيقته إنما هى تشبيه وتليس (معربة)

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنع رأسه بالسوط : علاه به .

(٥) النبطى نسبة الى النبط وهم قوم من الأعاجم ينزلون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أنا رجلٌ من أهل السَّوَادِ أَخَذَنِي هَؤُلَاءِ فَقَالُوا : أنت عليّ ابن أبي طالب .

حدثني رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى بَعْضِ [الوَلَاةِ] ^(٢) العباسيين فقال رجل للعباسي : أنا أَقَرُّ هِشَامًا بِأَنْ عَلِيًّا كَانَ ظَالِمًا ، فقال له : إن فعلت ذلك فلك كذا ، فقال له : يا أبا محمد ، أما علمت أن عَلِيًّا نازع العباس إلى أبي بكر؟ قال : نعم ، قال : فأيهما كان الظالم لصاحبه ؟ فتوقَّف هِشَامُ وقال : إن قلت العباس خفت العباسي ^(٤) ، وإن قلت عليًّا ناقضت قولي ، ثم قال : لم يكن فيهما ظالم ، قال : فيختصم آثنان في أمر وهما مُحِقَّانِ جميعا ؟ قال : نعم ، آختصم الملكان إلى داود وليس فيهما ظالمٌ إنما أرادا أن يُنَبِّهاه على ظُلمه ، كذلك آختصم هذان إلى أبي بكر ليعرفاه ظُلمه [فأسكت الرجل وأمر الخليفة لهشام بصلاة] ^(٦) .

قال حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما :

ثَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمْ ^(٧) * نَضَرَهُمْ رَبُّهُمْ إِذَا تُشِيرُوا ^(٨)
عَاشُوا بِلا فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ * وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَمَاتِ إِذْ تُقْبَرُوا
فَلَيْسَ مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ بَصَرٌ * يُنْكِرُ مِنْ فَضْلِهِمْ إِذَا ذُكِرُوا

(١) السواد : قرى العراق . (٢) ورد هذا الخبر في العقد الفريد باختلاف في بعض الكلمات

لا يخرجها عن المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة عن العقد الفريد

(ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) في العقد الفريد « الخليفة » . (٥) الملكان هما اللذان بعثهما الله

تعالى إلى داود عليه السلام في صورة إنسانين ؛ وهذه القصة وردت في القرآن الكريم في سورة «ص»

في قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً . الآية) وشرحها المفسرون . (٦) الزيادة عن

العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) نَضَرَهُمْ رَبُّهُمْ : نعمهم وحسنهم . (٨) هذه الأبيات

لم ترد في ديوانه المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٩١٠ م ولا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية

تحت رقم ٦ أدب ش ولا في ترجمته بالأغاني (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا في كتب الأدب التي

تحت أيدينا .

وقال أعرابي لعبد الله بن عمر :

إليك ابن خير الناس إلا محمدا * وإلا أبا بكر نروح ونغتدي

وقال أبو طالب في سهيل بن بيضاء ، وكان أسير فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ، لأنه كان مسلما مكرها على الخروج :

وهم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * وسر أبو بكر بها ومحمد

وقال عبيد الله بن عمر :

أنا عبيد الله يميني عمر * خير قريش من مضى ومن غبر

بعد رسول الله والشيخ الأغر * مهلا عبيد الله في ذاك نظر

وقال حسان بن ثابت يرثي أبا بكر رضي الله عنه :

إذا تذكرت شجوا من أحي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعد لها * بعد النبي وأوفأها بما حملا

والثاني الصادق الممود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسل

وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

حدثني مهيار الرازي قال : قال جرير بن ثعلبة : حصرت شيطانا مرة فقال :

أرفق بي فإني من الشيعة ، فقلت : فمن تعرف من الشيعة ؟ قال : الأعمش ،

نخلت سبيله . قال أبو هريرة العجلي لمحمد بن علي بن الحسين عليهم السلام :

أبا جعفر أنت الولي أحبه * وأرضي بما ترضى به وأتابع

أنتنا رجال يحملون عليكم * أحاديث قد ضاقت بهن الأضالع

أحاديث أفشاها المغيرة فيهم * وشر الأمور المحدثات البدائع

(١) ورد في الأصل «الثاني التالي ... الخ» وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيهما بدله هذا البيت :

عاش عبيدا لأمر الله متبعا * بهدي صاحبه الماضي وما آتقلا

حدثني هارون بن موسى عن الحسن بن موسى الأشيب عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ النَّقْلِ . قال :

ما ضَرَّ مَنْ أَصْبَحَ الْمَأْمُونُ سَائِسَهُ : إِنْ لَمْ يَسْئِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ

الرد على الملحدين

قال بعض الملحدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دليل على حدوث العالم؟^(١)
[قال : الحركة والسكون] فقال : الحركة والسكون من العالم ، فكأنك إذا قلت :
الدليل على حدوث العالم العالم ؛ فقال له : وسؤالك إياي من العالم ، فإذا جئت
بمسئلة من غير العالم جئتك بدليل من غير العالم .

قال المأمون لثنوي ينظر عنده : أسألك عن حرفين قط ، خبرني : هل ندم^(٢)
مسيء قط على إساءته ؟ قال : بلى ؛ قال : فالندم على الإساءة إساءة أو إحسان ؟
قال : بل إحسان ؛ قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : بل هو الذي
أساء ؛ قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر ، وقد بطل قولكم ، إن الذي ينظر
نظر الوعيد هو الذي ينظر نظر الرحمة ؛ قال : فإني أزعج أن الذي أساء غير الذي
ندم ؛ قال : فنديم على شيء كان من غيره أو على شيء كان منه ؟ فأسكتته .

(١) في الأصل «حدث» . (٢) زيادة يقتضها السياق .

(٣) الثنوي واحد الثنوية وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان
بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهذا لا قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما
في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأب-س والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .

(٤) كذا في الأصل . وفي الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ١٤١) «فقط» وعبارة العقيد الفريد

(ج ١ ص ٢٥٥) «عن حرفين لا أزيد عليهما» .

(١) المؤيد : فقيه الفرس وحاكم الجوس كقاضى القضاة المسلمين . (٢) فى الأصل : « هشام بن عبد الحكم » بزيادة « عبد » وهو خطأ . وهشام بن الحكم صاحب « المشامة » كان من مشايخ الرافضة . زعم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه ، ولم يثبت طولاً غير الطويل ولا عرضاً غير العريض ؛ وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول أزيد على ذهابه فى جهة العرض . وزعم أيضاً أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها . وزعم أيضاً أنه ذرأون وطعم ورائحة ومجسة ، وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحته ، ورائحته هى مجسته . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرك لحدث مكانه بحركته فصار فيه ، ومكانه هو العرش . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٨ — ٤١ والملل والنحل ص ١٤١ — ١٤٢ وكتاب الانتصار فى الرد على ابن الروندى للخياط المعتزى ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣

وجاءه رجلٌ مُلحدٌ فقال له : أنا أقول بالآئين وقد عرفتُ إنصافك فلستُ أخاف
مُشاغبتك ؛ فقال هشامٌ وهو مشغول بثوب ينشره ولم يُقبل عليه : حَفِظَكَ اللهُ ، هل
يَقْدِرُ أحدهما أن يَخْلُقَ شيئاً لا يَسْتَعِينُ بصاحبه عليه ؟ قال : نعم ؛ قال هشام :
فما تَرْجُو من آئين ! واحدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ أَصَحُّ لَكَ ! فقال : لم يُكَلِّمْنِي بهذا أحدٌ قبلك .

قال المأمون مُرتدّاً إلى انشعريته : حَبَرْنَا عن الشيء الذي أَوْحَشَتْ من دِيننا بعد
أَنْفِكَ بِهِ وَأَسْنَدَتْكَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ عِنْدَنَا دَوَاءَ ذَاتِكَ تَعَالَجْتَ بِهِ ،
وإِنْ أَخْطَأَ بِكَ الشَّعَاءُ وَنَبَأَ عَن دَائِكَ الدَّوَاءُ كُنْتَ قَدْ أَعْذَرْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ عَلَى نَفْسِكَ
بِلَائِمَةٍ ، وَإِنْ قَتَلْنَاكَ قَتَلْنَاكَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ ، وَتَرْجِعُ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ إِلَى الْأَسْتَبْصَارِ
وَالثَّقَةِ وَتَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُقْصِرْ فِي أَجْتِهَادٍ وَلَمْ تُفَرِّطْ فِي الدَّخُولِ مِنْ بَابِ الْحَزْمِ ؛ قَالَ الْمُؤْتَدُّ :
أَوْحَشَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَخْتِلَافِ فِيكُمْ ؛ قَالَ الْمَأْمُونُ : لَنَا آخْتِلَافَانِ : أَحَدُهُمَا
كَالْأَخْتِلَافِ فِي الْأَذَانِ ، وَالتَّكْبِيرِ فِي الْجَنَائِزِ ، وَالتَّشْهِيدِ ، وَصَلَاةِ الْأَعْيَادِ ، وَتَكْبِيرِ
الْقُسْرِيقِ ، وَوُجُودِ الْقِرَاعَاتِ ، وَوُجُودِ الْقُتُبِ ، وَهَذَا يَنْسُجُ بِالْأَخْتِلَافِ ؛ إِنَّمَا هُوَ مُخْتَلِفٌ
وَسَعَةً وَتَخْفِيفٌ مِنَ الْمَحَنَةِ ؛ فَمَنْ أَذَنَ مَتْنٍ وَأَقَامَ مَتْنٍ لَمْ يُخْطِئْ مِنْ أَذَنٍ مَتْنٍ وَأَقَامَ
فُرَادَى ، وَلَا يَتَعَارَوْنَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَعَايُونَ ، وَالْأَخْتِلَافُ الْآخَرُ كُنَحُوا اخْتِلَافَنَا فِي تَأْوِيلِ
الْآيَةِ مِنْ كِتَابِنَا ، وَتَأْوِيلِ الْحَدِيثِ مَعَ أَجْتِمَاعِنَا عَلَى أَصْلِ التَّنْزِيلِ وَاتِّفَاقِنَا عَلَى عَيْنِ
الْخَبَرِ ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَوْحَشَكَ هَذَا حَتَّى أَنْكَرْتَ هَذَا الْكِتَابَ ، فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
الْلفظُ بِجَمِيعِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مُتَّفَقًا عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا يَكُونُ مُتَّفَقًا عَلَى تَنْزِيلِهِ ، وَلَا يَكُونُ

(١) ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم .

(٢) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون للمرتد الخراساني الذي أسلم على يديه وحمله

محسه إلى العراق فارتد عن الإسلام : أخبرتني... الخ» وقد ورد فيه هذا الخبر بزيادة عن الأصل مع

الاختلاف في العبارة . (٣) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد : «السة» .

بين جميع اليهود والنصارى اختلافٌ في شيءٍ من التأويلات ؛ وينبغي لك ألا ترجع
إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها ؛ ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام
أنبيائه وورثة رسوله لا يحتاج إلى تفسير لفعل ، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا
دفع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والحنة ، وذهبت
المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله الدنيا ، قال المرتد :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن المسيح عبده ، وأن محمدا صادق ، وأنت أمير المؤمنين حقا .

الإعراب والحق

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : سمعت مؤلفي لآل عمر بن الخطاب يقول :
أخذ عبد الملك بن مروان رجلا كان يرى رأى الخوارج رأى شيب ، فقال له :
ألست القائل :

وَمِنَّا سُوَيْدُ وَالبَطِينُ وَقَعْنَبُ * وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبُ (١)

فقال : إنما قلت : « ومنا أمير المؤمنين شيب » بالنصب ، أي يا أمير المؤمنين
فأمر بتخية سبيله .

(١) هو شيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيبية ، كان من أصحاب صالح بن مسرج التميمي ثم تولى
الأمر بعده على جنده ، وبايعه أتباعه إلى أن خالف صالحا في شيء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا إمارة
المرأة منهم إذا قامت بأموالهم ونجحت على مخالفتهم . وزعموا أن غزاة أُم شيب كانت الإمام بعد قتل
شيب إلى أن قتلت ، وأستدلوا على ذلك بأن شيبا لما دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرية أقام أُمته على
منبر الكوفة حتى خطبت .

كان من أهل القوة البالغة والبأس الشديد والمعرفة التامة بأمور الحروب ؛ انتصر على جيوش الخجاج
الكثيفة وكبار قادها بحسن تدبيره ؛ وكان يصيح في جنات الجيش فلا يلوى أحد على أحد . وفيه
يقول الشاعر :

إن صاح يوماحسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والموج يلطم

حدَّثني عبد الله بن حيان قال : كتب ربيع بن سامة المعروف بدماذ إلى أبي عثمان النحوي :

تَفَكَّرْتُ فِي النِّحْوِ حَتَّى مَالَيْتُ وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي بِهِ وَالْبَدَنُ
وَأَتَعَبْتُ بِكُفْرٍ وَأَصْحَابِهِ * بطول المسائل في كلِّ فنٍّ
[فَمِنْ عَالِمِهِ ظَاهِرٌ بَيْنَ * وَمِنْ عَالِمِهِ غَامِضٌ قَدْ بَطُنَ]^(٣)
فَمَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا ، وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ ذَا فِطْنٍ
خَلَا أَنَّهُ بَابًا عَلَيْهِ الْعَفَا * لِلنَّهْءِ يَالَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وَاللَّوَاوِي بَابٌ إِلَى جَنَّتِهِ * مِنْ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لُعِنَ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَالُ لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَأْتِينِ^(٤)
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا * عَلَى النَّصَبِ قَالُوا لِإِضْمَارِ أَنْ^(٥)

= وسويد بن سليم ، والبطين بن قعنبة ، وقعنبة بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شبيب بقيادة جنده وأهل الرأي فيهم . ينزلون إلى الهيجاء في شجاعة الأسد ، وبأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومرور السهم ، وأنقضاء النسر ، والتهاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتمرن على أعمالها ، وتمام الخبرة بحيلها ومكائدها . (راجع أخبار شبيب والخوارج في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ — ٣٥٠ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٦٩ والعقد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ — ٩٢ وتاريخ الطبري ج ٣ و ٤ ص ٨٨١ — ٩٧٥ من القسم الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ ولخص تاريخ الخوارج للرحوم الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤ م) .

(١) في الأصل : « غسان بن ربيع » وما أثبتناه عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة دار الكتب المصرية . والكامل للبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م وكنيته « أبو غسان » كما في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) في أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) : « معنى بيكر أبا عثمان المازني ، فبلغ ذلك المازني فقال : والله . أحسب أنه سألني فقط فكيف أتعيني » . (٣) الزيادة عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) .

(٤) رواية القالي في أماليه : إذا قلت هاتوا لما قيل ذا * فليست بأتيك أو تأتين

(٥) رواية القالي في أماليه : بما نصبوه أبيضوه لي * فقالوا جميعا بها ضمرا أن

[وما إن رأيتُ لها موضعا * فأعريف ما قيل إلا يظنُّ]

فقد خُفَّتْ يا بَكْرُ مِنْ طُولِ ما * أَفَكَّرَ في أَمْرِ «أَنْ» أَنْ أَجْنُ [

قال ابن سيرين : ما رأيتُ على رجل أحسن من فصاحة . ولا على امرأة

أحسن من شحم .

وقال ابن شبرمة : إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر

في عينك من كان في عينك عظيما فتعلم العربية ، فإنها تُجْرِيك على المنطق وتُدْنِيكَ

من السلطان . ويقال : النحو في العلم بمنزلة الملح في القسندر والرامك في الطيب .

ويقال : الإعراب حلية الكلام ووشيه . وقال بعض الشعراء :

النحو يبسط من لسان الألكن * والمرء تكرر منه إذا لم يلحرن

وإذا طلبت من العلوم أجلتها * فأجلتها منها مقيم الألسن

قال رجل لأعرابي : كيف أهلك بكسر اللام ؟ - يريد كيف أهلك - فقال

الأعرابي : صلبا ؛ ظن أنه سأله عن هلكته كيف تكون .

وقيل لأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء^(٥) ، قيل له : أتجر

فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي . وقيل لآخر : أتهمز الفارة ؟ فقال : الهرة تهمزها .

وقيل : كان بشر المريسي يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن

الوجوه وأهنؤها ، فقال قاسم التمار : هذا كما قال الشاعر :

(١) الزيادة عن أمانى القلى .

(٢) الرامك : شئ أسود كالقار يخلط بالسك . (٣) هو : خفاف بن خلف السرياني كما في الكاسين

لمبرد (ج : ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قننة معروفة وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه عن

جذع . (٥) «تألموا» : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من العلم إلا الضيق والعصر . هكذا في كتاب

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكْلُوهَا * ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُوهَا^(١)

سميع أعرابي مؤذنا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله بنصب رسول ، فقال :
ويحك ! يفعل ماذا ؟

قال مسامة بن عبد الملك : اللحن في الكلام أقبح من الجدرى في الوجه ، وقال
عبد الملك : اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس . قال أبو الأسود :
إني لأجد للحن غمزا كغمز اللحم .

قال الخليل بن أحمد : أنشدني أعرابي :

وإن كلاباً هذه عشر أبطن * وأنت برىء من قبائلها العشر^(٢)

فجعلت أعجب من قوله : عشر أبطن حين أنث لأنه عنى القبيلة ، فلما رأى عجبى
من ذلك ، قال : أليس هكذا قول الآخر :

فكان يجنى دون من كنت أتقى * ثلاث شُخوص كاعبان ومعصر^(٣)

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٦) وفي المحاسن والأضداد ص ٩ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٩٨ م وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر سنة ١٣٣٢ هـ) . ورواية الأصل :
ظنت . وجاء في العقد بعد هذا البيت : "وبشر المريسي رأس في الرأي ، وقاسم التمار متقدم في أصحاب
الكلام وأحتاجه لبشر أعجب من لحن بشر" . وعبارة المحاسن والأضداد والبيان والتبيين : «فكان احتياج
القاسم أطيب من لحن بشر» ذلك بأن كلامه كان مضحكا لخلو البيت من الشاهد المراد . (٢) كذا بالعقد
الفريد ، والذي بالأصل : «النقش» . (٣) قائل البيت رجل من بني كلاب يسمى «النواح» كما
في خزانة الأدب (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قائل البيت هو عمر بن أبي ربيعة من فصيدة طويلة منها :
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنور

(راجع الكامل للبرد ص ٣٨١ — ٣٨٥) .

(٥) الحجن : الترس . والمراد في هذا البيت قوله «ثلاث شُخوص» حيث أنث لأنه يريد بالشخص
النفس وكاعبان مثنى كاعب وهي التي يبدو ثديها للنهود ، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هن
كاعبان ومعصر ، والمعصر هي التي دخلت عصر شبابها وبلغته . (راجع شرح العيني بهامش خزانة الأدب
للبيضاوي ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئن أعربنا في كلامنا حتى ما نلحن لقد لحنا في أعمالنا حتى ما نُعرب^(١) .

دخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون ، فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح ! .

دخل رجل على زياد فقال له : إن أئبنا هلك ، وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا ، فقال زياد : ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك .^(٢)

قال الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس قال قال بلال لشبيب بن شيبه وهو يستعدي على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال : أحضرني ، قال : قد دعوتك لكل ذلك يأبي ، برفع كل ، قال بلال : فالذنب لكل . قال بعض الشعراء :

إما تريني وأثوابي مقاربة^(٣) * ليست بخزولا من نسج كنان
فإن في المحمد همتي وفي لغتي * علوية ولساني غير حنان

وقال فيل مولى زياد لزياد^(٤) : أهدوا لنا همار وهش^(٥) ، فقال : ما تقول ؟ ويلك !
فقال : أهدوا لنا أيراب^(٦) فقال زياد : الأول خير .

(١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : «وقال بعض النساك : أعربنا في كلامنا فأنلحن/حرفا

ولحنا في أعمالنا فما نعرب حرفا» . (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة

سنة ١٣٣٢ هـ) «الذي أضعت من لسانك أضرت عليك ، أضعت من مالك» . (٣) مقاربة بكسر

الراء ، أى ليست بنفسية . (٤) هو زياد بن أبي سفيان ، كما في القاموس . (٥) في الأصل

«أهدوا لنا همار جهش» وما أثبتناه عن البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب للنويري

(ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد «أهدوا لنا حمار وحش» وفي نهاية الأرب «أهدوا»

بإبدال الهاء حاء ، وهذا الإبدال يعرف باللكنة وهي عجمة في اللسان وعى (٦) يريد عيرا وهو

الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وقد غلب على الوحشى .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ وَالْيَا يَخْطُبُ فَلَحَنَ مَرَّةً أَوْ اثْنَتَيْنِ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَلَيْكَ مَلَكَتَ بِقَدَرٍ ،
وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ إِمَامًا يَقْرَأُ : ﴿ وَلَا تُكْفِرُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾ [بفتح تاء تنكحوا]
فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! هَذَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ قَبِيحٌ فَكَيْفَ بَعْدَهُ ! فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ لَحَنَ ،
وَالْقِرَاءَةُ : ﴿ وَلَا تُكْفِرُوا ﴾ فَقَالَ : قَبِّحَهُ اللَّهُ ، لَا تَجْعَلُوهُ بَعْدَهَا إِمَامًا فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ
اللَّهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي جَارِيَةٍ لَهُ :

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ * تَذَكِيرُهَا الْأُنَى وَتَأْنِيْتُ الدَّكْرِ
* وَالسَّوَّةُ السُّوَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ *

قَالَ الْحِجَّاجُ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ نَخَّاسٍ : أَتَبِيعُ الدَّوَابَّ الْمَعِيَّةَ مِنْ [جند] السُّلْطَانِ ؟
فَقَالَ : « شَرِيكَاتِنَا فِي هَوَازِهَا وَشَرِيكَاتِنَا فِي مَدَائِنِهَا وَكَمَا تَجِيءُ تَكُونُ » فَقَالَ الْحِجَّاجُ :
مَا تَقُولُ ؟ فَفَسَّرُوا لَهُ ذَلِكَ ، فَضَحِكَ وَكَانَ لَا يَضْحَكُ .

أَمَّ الْحِجَّاجُ قَوْمًا فَقَرَأَ ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ وَقَرَأَ فِي آخِرِهَا ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ
بِنَصَبٍ أُنْ ، ثُمَّ تَبَّهَ عَلَى اللَّامِ فِي نَحْيِيرِ وَأُنْ « إِنْ » قَبْلُهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَكْسُورَةً فَخَذَفَ
اللَّامَ مِنْ نَحْيِيرِ ، فَقَرَأَ ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ » .

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : قُلْتُ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : لِمَ قَالُوا فِي تَصْغِيرِ وَاصِلٍ أَوْ يَصِلُ وَلَمْ
يَقُولُوا وَوَيْصِلُ ؟ فَقَالَ : كَرِهُوا أَنْ يُسَبَّهَ كَلَامُهُمْ بِنَجِجِ الْكَلَابِ .

- (١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر» . (٢) السوء السواء : الخلة القبيحة .
(٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول : « القمر » قالت : « الكمر » والكمر جمع كمره وهي حشفة الذكر ؛
وهذا الإبدال يعرف باللغة وهي أن تعدل الحرف إلى حرف غيره . (٤) هو أبو الجهمير الخراساني
النخاس كما في البيان والتبيين والنخاس : يباع الدواب والرقيق . (٥) الزيادة عن البيان والتبيين
(ج ١ ص ٩٠) . (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠) ؛ وفي الأصل : « شريكاتنا في هواز
ومدائنها وكما تجيء يكون » وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها . (٧) جاء في البيان والتبيين
(ج ١ ص ٩٠) « فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك .
يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها » .

التشادق والغريب

حدثني سهل عن الأصمعي قال : كان عيسى بن عمر لا يدع الإعراب لشيء .
 وخاصم إلى بلال بن أبي بردة في جارية اشتراها مصابة ، فقال : لأن يذهب بعض
 حق هذا أحب إليه من أن يلحن ؛ فقال له : ومن يعلم ما تقول ؟ فقال : ابن
 طرنبوة . وضربه عمر بن هبيرة ضربا كثيرا في ودعة أودعها إياه إنسان فطلبها ،
 فما كان يزيد على أن يقول : والله إن كانت إلا أثيابا في أسفاط قبضها عشاروك .
 تبع أبو خالد الثميري صاحب الغريب جارية متتقة فكلمها فلم تكلمه ، فقال :
 يا خريدة ، لقد كنت عندي عروبا أتمك وتسنينا !

وقال سهل بن هارون لجارية له رومية أعجمية : إن أقل ما ينطوي عليه ضميري
 من ريس حبك لأجل من كل جليل ، وأكثر من كل كثير .

وقال مالك بن أسماء في جارية له :

أمغطى مني على بصرى للحب أم أنت أكمل الناس حسنا ؟

- (١) كذا في الأصل ولم نوفق إلى معرفة هذا الاسم في الكتب التي بين أيدينا . (٢) أثياب : جمع ثوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأسفاط : جمع سفاط بالتحريك وهو الذي يعنى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عشاروك : جمع عشار وهو أخذ العشر وجا به وملتزمه . (٥) الخريدة : الحية . (٦) العروب : الحسنة التبعل . وقيل المرأة المتحبة إلى زوجها . (٧) تمك : نحبك . وتسنينا : تبغضينا . وفي الأصل «ولسنينا» وهو تحريف . والتصويب عن الكامل للبرد (ص ١٨٤ طبعة ليبسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عروبا ، فما بالنا تمك وتسنينا ! فقالت : يا ابن الحديثة أنتجشني !» . أى أنفازلني وتلاعبنى . (٨) ريس الحب : بقيقته وأثره . (٩) كذا في خطبة هذا الكتاب في المجلد الأول من هذه الطبعة ، والبيان والبيانين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفي الأصل هنا :

أمغطى مني على بصرى بالحب أم أنت أكرم الناس حسنا

وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا يَشْتَهِي النَّاعَتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

قال ابن دريد : استثقل منها الإعراب .

دخل أبو علقمة على أعين الطبيب فقال له : أَمَعَ اللَّهُ بِكَ ، إِنِّي أَكَلْتُ مِنْ لَحُومِ
هَذِهِ الْجَوَازِلِ فَطَسِئْتُ طَسَاءً ، فَأَصَابَنِي وَجَعٌ مَا بَيْنَ الْوَابِلَةِ إِلَى دَايَةِ الْعُنُقِ فَلَمْ يَزَلْ
يَرَبُّ وَيَنْمِي حَتَّى خَالَطَ الْخَلْبَ وَالشَّرَاسِيْفَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ دَوَاءٌ ؟ فَقَالَ أَعْيَنَ : نَعَمْ ،
خُذْ خَرْبَقًا وَشَلْفَقًا وَشَبْرِقًا فَرْهِقْهُ وَزَقْرِقْهُ وَاغْسِلْهُ بِمَاءِ رَوْثٍ وَأَشْرِبْهُ ، فَقَالَ
أَبُو عَلْقَمَةَ : لَمْ أَفْهَمْ عَنْكَ ، فَقَالَ أَعْيَنَ : أَفْهَمْتُكَ كَمَا أَفْهَمْتَنِي . وَقَالَ لَهُ يَوْمًا آخَرَ :
إِنِّي أَجِدُ مَعَمَّةً فِي بَطْنِي وَقَرَقَرَةً ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا الْمَعَمَّةُ فَلَا أَعْرِفُهَا ، وَأَمَا الْقَرَقَرَةُ
فَهِيَ ضُرَاطٌ لَمْ يَنْصَجْ .

- (١) كذا بالأصل هنا وفي المقدمة ، وفي أمالي القالي : « تشبيه النفوس » وفي البيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) : « ينعت الناعتون » . (٢) كذا في الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .
وفي المحاسن والأضداد للمحافظ (ص ١٤ طبعة ليدن) والمحاسن والمساوي للبيهقي (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة
ليبسج) : « الجوازي » . والجوازل : فراخ الحمام ، وقبل يعم الجوزل نوع الفراخ . (٣) طسي : اتخم
من الطعام . (٤) الوابلة : طرف العضد في الكتف . (٥) الداية : فقرة العنق . (٦) الخلب :
حجاب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشراسيف : جمع شرسوف وهو رأس الضلع مما يلي البطن .
(٨) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفي الأصل : « خرنقا » بالنون والخريق بكعفر : ضرب
من الأدوية ونبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبات كلسان الحمل أبيض وأسسود ينفع
الصرع والجنون والبهق والفالج . (٩) هكذا وردت في الأصل « شلفقا » بالشين والفاء والقاف بعد
اللام ولم تقف لها على معنى . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والمساوي للبيهقي « سلفقا »
وفي البيان والتبيين : « سلفقا » . (١٠) كذا في الأصل والعقد الفريد . والشبرق كزبرج :
نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شبرق فإذا يبس فهو الضريع . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) :
« جرفقا » وفي المحاسن والأضداد للمحافظ « سربقا » .

أتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال : أصلح الله الأمير، إن لي على هذا حقا قد غلبني عليه ، فقال له الآخر : أصلحك الله ، إن هذا باعني عنجدا^(١) وأستنساؤه حولا^(٢) وشرطت عليه أن أعطيه مشاهرة فهو لا يلقاني في لقيم^(٣) إلا آقتضاني^(٤) ، فقال له الهيثم : أمن بنى أمية أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن بنى هاشم ؟ قال : لا ، قال : فمن أكفائهم من العرب ؟ قال : لا ، قال : ويلى عليك ! انزع ثيابه يا جلواز^(٥) ، فلما أرادوا نزع ثيابه قال : أصلحك الله ، إن إزارى مرعبل^(٦) ، قال : دعوه ، فلو ترك الغريب في وقت لتركه في هذا الوقت .

ومر أبو علقمة ببعض الطرق^(٧) بالبصرة فهاجت به مرة فسقط ووثب عليه قوم فأقبلوا يعصرون إبهامه ويؤذنون في أذنه ، فأفلت من أيديهم وقال : ما لكم تتكاثون^(٨) على كما تتكاثون على ذى جنة ! افرثعوا عني ، فقال رجل منهم : دعوه فإن شيطانه هندی ، أما تسمعون يتكلم بالهنديّة . وقال لحجّام يحجمه : أنظر ما أمرك به فاصنعه ، ولا تكن كمن أمر بأمر فضيعة ، أتني غسل المحاجم وأشدّد قصب الملازم^(٩)

(١) العنجد بكسر العين وفتح الجيم : الزبيب .

(٢) استنساؤه : ساءه أن ينسئه دينه ، أي يؤخره . (٣) في المحاسن والأضداد لمجاظ (ص ١٥)

والمحاسن والمساوي للبيهقي (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مياومة » .

(٤) اللقم محرّكة وكسر الدال : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلواز : الشريط .

(٦) مرعبل : مزق .

(٧) كذا في المحاسن والمساوي للبيهقي والمحاسن والأضداد لمجاظ . وفي الأصل : « الطريق » .

(٨) في المحاسن والأضداد ، والمحاسن والمساوي « يعصون » .

(٩) تتكاثون : تجمعون . افرثعوا : تفرثعوا .

(١٠) الملازم جمع ملزم بكسر الميم : خشبناث مشدود أوساطهما بحديدة تجعل في طرفها قواعة

(مفتاح معوج طويل) فلزم ما فيها لزوما شديدا ، تكون مع الصياقلة والآبارين ومجلدى الكتب وغيرهم .

وَأَرْهَفَ ظَبَاتَ الْمَشَارِطِ وَأَسْرَعَ الْوَضْعَ وَعَجَّلَ التَّرْعَ، وَلِيَكُنْ شَرْطُكَ وَخَرًّا، وَمُصَّكَ^(١)
نَهْرًا، وَلَا تُكْرِهَنَّ آبِيَاءَ، وَلَا تُؤَدِّنْ آتِيَاءَ، فَوَضَعَ الْجَتَامَ مُحَاجِمَهُ فِي جَوْنَتِهِ وَمَضَى

سَمِعَ أَعْرَابِيَّ أَبَا الْمَكْنُونِ النَّحْوِيَّ فِي حَلْقَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي دُعَاءِ الْأَسْتِسْقَاءِ :
اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِلَهَنَا وَمَوْلَانَا صَلِّ عَلَى عِمْدِ نَبِيِّنَا يَا اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَأَحِطْ ذَلِكَ
السُّوءَ بِهِ كَحَاطَةِ الْقَلَانِدِ عَلَى تَرَائِبِ الْوَلَانِدِ، ثُمَّ أَرَسِيخُهُ عَلَى هَامَتِهِ كَرُسُوحِ السَّجِيلِ،
عَلَى هَامِ أَصْحَابِ الْقَبِيلِ يَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا شَيْئًا مَغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا مَجْلِبِلًا مَسْحُوفًا هَزِجًا مَسْحُوفًا
سُفُوحًا طَبَقًا غَدَقًا مُتَعَجِّجًا يَا أَقَالَ الْأَعْرَابِيَّ : يَا خَلِيفَةَ نُوحٍ [هَذَا] الطُّوفَانُ وَرَبَّ
الْكَعْبَةِ، دَعْنِي آوِي إِلَى بَجَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ غَلَامٌ يَقَعْرِ فِي كَلَامِهِ، فَأَتَى أَبَا الْأَسْوَدَ الدَّؤْلِيَّ يَلْتَمِسُ مَا عِنْدَهُ ؛
فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ : مَا فَعَلَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَخَذْتَهُ الْحُمَّى فَطَبَخْتَهُ طَبَخًا وَفَضَخْتَهُ^(١٦)

- (١) أَرْهَفَ : حَلَّدَ . (٢) ظَبَاتُ جَمْعُ ظَبَةٍ لَشَبَّةٌ . وَهِيَ حَلَّةُ السَّيْفِ أَوِ السَّانِ وَنَحْوُهُ .
(٣) فِي الْحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ لِنَحَافِظِ (ص ١٥) وَالْحَاسَنِ وَالْمَسَارِي لِلْمِجَنِّ (ج ٣ ص ٤٧١) :
« وَخَفَّفَ » . (٤) الْجَوْنَةُ بَضْمُ الْجِيمِ : سَلِيلَةٌ مَغْشَاةٌ أَدْمًا تَكُونُ مَعَ الْعَطَارِينَ . (٥) فِي الْعَقْدِ
الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : « بِاعْتِقَاقِ » . (٦) السَّجِيلُ : حِجَارَةٌ كَالْمَدْرَةِ وَقِيلَ هُوَ حَجَرٌ مِنْ طِينٍ ،
دَخِيلٌ مَعْرُوبٌ مِنْ « سَتَكَ وَكَلَّ » أَيْ حِجَارَةٌ وَطِينٌ . (٧) الْمَجْلِبِلُ مِنَ السَّحَابِ : الَّذِي فِيهِ صَوْتُ الرِّيدِ .
(٨) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْمَسْحُوفُ : الْكَثِيرُ الصَّبِّ الْوَاسِعُ . (٩) الْهَزِجُ مِنَ الْهَزَجِ وَهُوَ صَوْتُ
الرَّعْدِ . (١٠) طَبَقٌ : عَاقِمٌ وَاسِعٌ . (١١) الْغَدَقُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . (١٢) الْمُنْعَجِرُ :
السَّبِيلُ الْكَثِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ « مُتَعَجِّجًا » . (١٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) .
(١٤) يَقَعْرِ فِي كَلَامِهِ : يَنْشَدُ وَيُنْشِئُ بِأَتَصَى حَلْقَهُ . (١٥) كُنَّا فِي الْأَصْلِ رَبِيَّةً وَالتَّيْبِينَ
(ج ١ ص ٢٠١) . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : « وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيُّ لِأَبِي عُلْقَمَةَ :
مَا حَذَّنَ أَبْنُكَ . . . إِنْخَ » . (١٦) أَضَخْتُهُ : دَقَقْتُهُ .

(١) فَضْخًا وَفَنَخْتَهُ فَنَخًا فَنَخْتَهُ فَرَخًا ؛ قال أبو الأسود : فما فعلت آمرأته التي كانت تُجَارُهُ
(٢) وَتُسَارُهُ وَتُزَارُهُ وَتُهَارُهُ ؛ قال : طلقها فتزوجت غيره فَرَضِيَتْ وَحَظِيَتْ وَبَظِيَتْ ،
(٣) قال أبو الأسود : قد عرفنا حظيت ، فما بَظِيَتْ ؟ قال : حرف من الغريب لم يبلغك ؛
(٤) قال أبو الأسود : يا بن أخي ، كل حرف من الغريب لم يبلغ عمك فاستره كما تستر
السنور نحرأها .

(٥) قال زيد بن كثر : أتيتُ بابَ كبير دارٍ وهناك حَدَادٌ ، فأردتُ أن أُلج الدارَ فدَلَّظَنِي
(٦) دَلْظَةً وادرس الناس عليهم فوالله إن زِلْنَا نَظَارَ نَظَارٍ حَتَّى عَقَلَ الظِّلُّ . وقال أيضا :
(٧) أتيتُ بابَ كبير وإذا الرجالُ صَتِيَتَانِ (٨) وإذا أَرْمَدَاءُ كَثِيرَةٌ وَطَهَاءٌ لَا أُحْصِيهِمْ وَلِحَامٌ
كَأَنَّهَا آكَامٌ . وقال الطائي :

(٩) أَيُوسُفُ جِئْتَ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ * تَرَكْتَ النَّاسَ فِي شَكٍّ مُرِيبِ
(١٠) سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ * وَلَمْ أَسْمَعْ بِسَرَّاجٍ أَدِيبِ

- (١) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) وفنخته : أوهنته وأضعفته . وفي الأصل :
«فنخته» بالثاء الممنوعة ، ولم نجد لهذه الكلمة في كتب اللغة معنى يناسب المقام . (٢) الفرخ : الضعيف
المنهوك . (٣) تُجَارُهُ : تطاوله . وَتُسَارُهُ : تحاصبه . وَتُزَارُهُ : تعضه . وَتُهَارُهُ : تهير في وجهه كما
يهز الكلب . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) : «وقد علمنا رضيت وحظيت فابظيت...» .
(٥) أتى باللفظ «بظيت» إتباعا لحظيت مثل حسن بسن . لأنه ليس في كلامهم «بظي» أنظر اللسان
مادة «بظا» . (٦) الحداد : البواب . (٧) دَلْظَةً : دفعه في صدره . (٨) هذه العبارة
واردة في الأصل هكذا ولم نوفق إلى تحقيقها . (٩) نظار مثل قطار : اسم فعل أمر بمعنى انظر
والمعنى : فما زلنا يقال لنا نظار نظار الخ . (١٠) عقل الظل : قام قائم الظهيرة . (١١) صتيان :
فرقتان . (١٢) الأرمداء جمع رمداء . (١٣) هو يوسف السراج الشاعر المصري
كما في ديوان أبي تمام طبع محمد جمال بديق محي الدين الخياط . (١٤) الذآد : نعت للداهية
أو بدل منها والمراد داهية شديدة .

أَمَا أَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا * إِذَا لَفِغْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
فَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ * تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

قال رؤبة بن العجاج : خرجت مع أبي ، نريد سليمان بن عبد الملك ، فلما صرنا
في الطريق أهدى لنا جنب^(٢) من لحم عليه كراfi الشحم^(٣) وخريطة من ككاة^(٤) ووطب^(٥)
من لبن فطبختنا هذا بهذا ، فما زال ذفر ياي^(٦) تننحان^(٧) منه الى أن رجعت ، (الكراfi
الطبقات ، وكذلك كراfi السحاب)

وصايا المعلمين

قال عتبة بن^(٨) أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده : ليكن إصلاحك بني
إصلاحك نفسك ، فإن عيوبهم معقودة بعيبك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ،
والقبيح ما استقبحت ، وعلمهم سير الحكاء ، وأخلاق الأدباء ، وتهذؤهم بي وأدبهم
دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولا تشكن على عذر
منى ، فإنى قد آتكت على كفاية منك .

قال الججاج لمؤدب بنيه : علمهم السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجيدون من يكتب
عنهم ، ولا يجيدون من ليسبح عنهم .

١٥ (١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : « لرست » . (٢) كذا فى الكامل للبهرى (ص ١٤٠)

طبعة ليسبح سنة ١٨٦٤) وفى الأصل : « يريد » . (٣) الخريطة : رعاء من آدم وغيره .

(٤) الككاة : نبات لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغيرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض ، وهو عديم اللحم

يؤكل نيئه ومطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذفر ياي تنية ذفرى ، وهو العظم الشاخص

خلف الأذن . (٧) كذا فى الكامل للبهرى (ص ١٤٠) وتنحان : ترشون بالعرق

٢٠ وفى الأصل « يشجان » . (٨) وردت هذه العبارة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥ طبعة القاهرة

سنة ١٣٣٢هـ) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزيادة عما هنا واختلاف يسير فى بعض التراكب لا يخرجها

عن المعنى المراد ، إلا أنها تنسب فى العقد الفريد لعمر بن عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدب ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة^(١)
فإنهم أسوأ الناس رعة^(٢) وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة ، وأخف^(٣)
شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ، علمهم الشعر يحدوا وينجدوا ، ومرهم^(٤)
أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مضا ولا يعبوه عبا ، وإذا احتجت إلى أن نتناولهم
بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهنونوا عليه .

وقال آخر لمؤدب ولده : لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن أصطكاك^(٥)
العلم في السمع وأزدحامه في الوهم مضلة للفهم .

وكان لشریح ابن یاعرب بالكلاب ، فكتب شرح إلى معلمه

ترك الصلاة لأكل يسعى بها * طلب الهراش مع الغواة الرجس^(٦)
فإذا خلوت فعضه بلامية * وعظنه وعظك للأريب الكيس^(٧)
وإذا هممت بضربه فيدرة * وإذا بلغت بها ثلاثا فأحيس^(٨)
وأعلم بأنك ما فعلت فنفسه * مع ما يحرجني أعز الأنفس^(٩)

وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب :

أيها المبتلى بحب الكلاب * لا يحب الكلاب إلا الكلاب^(١٠)
لو أعريت وسطها كنت منها * إنما فقمها بلبس الثياب^(١١)

(١) يقال : فلان سي الرعة إذا كان قليل الورع .

(٢) أخفى الرجل رأسه أو شاربه : بالغ في قصه .

(٣) في المحاسن والمساوي للبيهقي (ج ٣ ص ٦٢١) : « الزراج » .

(٤) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « يبغي » .

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « أتاك » .

(٦) كذا في الأصل ، وفيه الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروي في الإعراب . ولو ورد هكذا :

لا يحب الكلاب غير الكلاب ، لخلا من هذا العيب .

وقال آخر :

لَتَبِكَ أبا أَحْمَدٍ قِرْدَةً ۖ وَكَلْبُ هَرَّاشٍ وَدِيكَ صَدُوحُ
وَطِيرُ زَجَالٍ وَفُصْرِيَّةٌ ۖ هَتُوفُ الْعِشَى وَكَبِشُ نَطُوحُ

بلغني عن أبي الحسن الغفلي عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : سمعت
أبي يقول قال لقمان : ضَرْبُ الْوَالِدِ وَلَدَهُ كَالسَّيِّدِ لِلزَّرْعِ .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن
أسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر إلى أهل الشام : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ السَّبَاحَةَ
وَالرَّمْيَ وَالْفُرُوسِيَّةَ .

وكانت العرب تُسَمِّي الرجل ، إذا كان يَكْتُبُ وَيُحْسِنُ الرَّمْيَ وَيُحْسِنُ الْعَوْمَ
وهي السَّبَاحَةُ ويقول الشعر ، الكامل .

البيان

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن
عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : «إِنْ مِنْ الْبَيَانِ سِحْرًا» فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَ . وقال العباس :
يا رسول الله ، فيم الجمال ؟ قال : «فِي اللِّسَانِ» .

وكان يقال : عَقْلُ الرَّجُلِ مَدْفُونٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

وقال يزيد بن المهلب : أَثَرُهُ أَنْ يَكُونَ عَقْلُ الرَّجُلِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ . يريد أنه
لا يكون عقله إلا في الكلام . وقال الشاعر :

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ * لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ
وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بَزِينٌ ^(١) * إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْحَسَنَ الْبَيَانَ

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك ، فإنه كان يَقْرِي العَيْنَ جَمَالًا ، وَالْأُذُنَ
بَيَانًا . وقال التَّمِيمُ بْنُ تَوَلَّبَ

أَعْلَنِي رَبِّ مِنْ حَصْرِ وَعِيٍّ * وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عِلَاجًا
وَمِنْ حَاجِبٍ نَفْسِي فَأَعْصَمَنِي * فَإِنْ لَمْ تُضْمَرَاتِ النَّفْسَ حَاجَا
وصف أعرابي رجلًا يتكلم فيُحْسِنُ فقال :

* يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ ^(٢) *

ومثله قولهم : فَلَانٌ يُجِيدُ الْحَزَّ ، وَيُصِيبُ الْمَفْصِلَ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : يَقِلُّ الْخَزُّ ^(٣) .

وقال معاوية في عبد الله بن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ * لَيْعِيٍّ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا آتَنَحَى * وَيَنْظُرُ فِي أُعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّغِيرِ

وقال حسان فيه :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ * بِلَتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فُصْلًا

(١) كُتِبَ فِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) . وفي الأصل : «عنا»

(٢) الْهِنَاءُ : الْقَطْرَانُ . وَالنَّقَبُ : جَمْعُ نَقَبَةٍ وَهِيَ أَرْلٌ مَا يَبْدُو مِنَ الْجَرْبِ . أَيْ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فَيُجِيبُ
فِيهِ الْكَلَامَ ، مِثْلَ الطَّائِي الرِّفِيقِ الَّذِي يَضَعُ الْهِنَاءَ ، وَاضِعَ النَّقَبِ (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

(٣) هَذَا رَمَاقُ قَبْلَهُ مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي تَضْرِبُ فِي الْبَلَاغَةِ ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ شَبَّهُوا الْبَلِغَ الْمَوْجِزَ الَّذِي يَقْدِرُ

الْكَلَامَ وَيُصِيبُ الْمَعَانِي ، بِالْجَزَارِ الرِّفِيقِ يَقْسِلُ حَزَّ الْحَزْمِ وَيُصِيبُ مَفَاصِلَهُ (راجع العقد الفريد ج ١

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ * لَدَى إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا
 سَمَوَتْ إِلَى الْعُلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ * فَبَلَّتْ ذُرَاهَا لَا دَنْيًّا وَلَا وَغْلًا^(١)
 ويقال : الصمتُ منامٌ والكلامُ يَقْطُةٌ . ويقال : خير الكلام ما لم يُحتجَّ بعده
 إلى الكلام .

ذكر العباس بن الحسن الطالبي رجلاً فقال : أَلْقَاظُهُ قَوَالِبُ مَعَانِيهِ . ومدح
 أعرابي رجلاً فقال : كلامه الوَبْلُ^(٢) عَلَى الْمَحَلِّ ، وَالْعَدْبُ^(٣) الْبَارِدُ عَلَى الظَّلْمِ .
 وقال الحطَّيئة :

وَأَخَذْتُ أَقْطَارَ الْكَلَامِ فَلَمْ أَدَعْ * ذِمًّا يَضُرُّ وَلَا مَسِيدِيًّا يَنْفَعُ

وكان الحطَّيئة يقول : إِنَّمَا شِعْرِي حَسَبُ مَوْضُوعٍ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ
 فَقَالَ : كَذَبَ ، تَرَحُّهُ^(٤) اللَّهُ ، إِنَّمَا ذَلِكَ التَّقْوَى .

قيل لعمرُو بن عُبَيْدٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا بَلَغَتْ الْجَنَّةُ ، وَعَدَلْ بِكَ عَنِ النَّارِ ؛
 [قَالَ السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، قَالَ : فَمَا بَصْرُكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ^(٥)
 غَيْبِكَ ، قَالَ السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، قَالَ : مَنْ لَمْ يُحَسِّنِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحَسِّنِ
 الْقَوْلَ ، قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّا مَعْشَرُ
 الْأَنْبِيَاءِ بَكَاءٌ » ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنُطِقُ الرَّجُلِ دَلَى عَقْلِهِ ، قَالَ : لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ ، قَالَ : كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ [وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ^(٦)]

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَغْلًا » بِالْعَيْنِ . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنْ دِيوَانَ حَسَّانَ (ص ٧٤ طَبْعَةُ لَيْدَن سَنَةِ ١٩١٠ م)
 وَهُوَ الْأَنْسَبُ لِلْقَامِ ؛ وَالْوَغْلُ : الضَّعِيفُ النَّدْلُ السَّاقِطُ الْمُقْصَرُ فِي الْأَشْيَاءِ . (٢) الْوَبْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ .
 (٣) الْمَحَلُّ : الْجَدْبُ . (٤) تَرَحُّهُ اللَّهُ : أَحْزَنَهُ وَنَعَصَهُ . (٥) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْغَوِيدِ
 (ج ١ ص ٢١٣) . وَفِي الْأَصْلِ : « وَمَا بَصْرُكَ ... » بِالْوَاوِ عَطْفًا عَلَى مَا قَبْلَهُ . (٦) بَكَاءٌ جَمْعُ بَكَى ،
 وَهُوَ مَا قَلَّ كَلَامُهُ خَلْقَةً . (٧) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ١ ص ٦٣) . وَفِي الْأَصْلِ : « يَكْرَهُونَ » .

(١) فتنة السكوت [ومن سَقَطَات الصَّمْت؛ قال : ليس هذا أريد؛ قال : فكأنك إنما تريد تخيير اللفظ في حسن إفهام] قال : نعم؛ قال : إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين ، وتخفيف المسئونة على المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المرئدين ، بالألفاظ المستحسنة في الآداب ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة من الكتاب والسنة ، كنت قد أُوتيت فصل الخطاب ، وأستوجبته على الله جزيل الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زياداً كاسراً إحدى عينيه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يُخاطب رجلاً إلا رحمتُ المخاطب . وقال آخر : ما رأيتُ أحداً يتكلم فيُحسن إلا أحببتُ أن يصمتَ خوفاً من أن يُسيء إلا زياداً فإنه كلما زاد زاد حسناً ، وقال :
وقبلك ما أعييت كاسرَ عينيه ^(٤) : زياداً فلم تقدرُ على حبائله ^(٥)

قال محمد بن سلام : كان عمرُ بن الخطاب إذا رأى رجلاً يلجلج في كلامه قال : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ! .

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق ، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عثرته لما تكلم ، فأحسن حتى خَشِيتُ عثرته إن سكت .

(١) التكملة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) والعقد الفريد . (٢) في البيان والتبيين ١٥ والعقد الفريد : « المتكلمين » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق ، قاله لجرير من قصيدة تقع في ثلاثة وتسعين بيتاً ماثلة في كتاب النفااض (طبع مدينة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ — ٦٢٩) وبعده البيت :

فأقسمت لا آتية سبعين حجة * ولو نشرت عين القبايع وكاهله

والقبايع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وكان أميراً على البصرة لقبه أهلها به ، وذلك أنه مرّ بقوم يكلون بققيز فقال : إن ففيزكم لقبايع . أي كبير واسع (راجع النفااض ص ٦٠٧) .

(٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا في النفااض والبيان والتبيين (ج ١

ص ١١٠) . وفي الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال : قال معاوية لصحار العبدى : ما هذه البلاغة التى فىكم ؟ فقال :
 شئٌ تَجِيَّشُ به صدورنا ثم تَقْدِفُهُ على ألسنتنا ؛ فقال رجلٌ من القوم : هؤلاء بالبسر أبصر^(١) ؛
 فقال صحار : أجل ، والله إنا لنعلم أن الرِّيحَ تُلْقِحه وأن البردَ يُعْقِده وأن القمرَ يَصْبِغه
 وأن الحُرَّ يَنْضِجه ؛ فقال معاوية : ما تَعُدُّون البلاغة فىكم ؟ قال : الإيجاز ؛ قال :
 وما الإيجاز ؟ قال : أن تُجيب فلا تُبْطِئَ ، وتقول فلا تُخْطِئَ^(٢) . ثم قال : يا أمير المؤمنين ،
 حسن الإيجاز ألا تُبْطِئَ ولا تُخْطِئَ .

أبو الحسن قال : وقد الحسن بن على على معاوية الشام ، فقال عمرو بن العاص :
 إِنَّ الحسنَ رَجُلٌ أَفْهٌ فَلَوْ حَمَلْتَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ فَتَكَلَّمْتَ فَسَمِعَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ عَابُوهُ ؛ فَأَمَرَهُ
 فَصَعِدَ الْمَنْبَرِ فَتَكَلَّمْ فَأَحْسَنَ ؛ وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، أَوْ طَلَبْتُمْ أَبْنَاءَ لِنَبِيِّكُمْ
 مَا بَيْنَ جَابِرٍ إِلَى جَابِلٍ^(٣) لَمْ تَجِدُوهُ غَيْرَى وَغَيْرَ أُخَى وَإِنْ أُدْرِىَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى
 حِينٍ . فساء ذلك عمرا وأراد أن يقطع كلامه ، فقال : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، هَلْ تَنَعَّتِ الرُّطْبُ ؟
 فقال : أجل ، تُلْقِحه الشَّمَالُ وتُخْرِجه الجنوب وينضجه برد الليل بحرق النهار ؛ قال :
 يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، هَلْ تَنَعَّتِ الْحِرَاءُ ؟^(٤) قال : نعم ، تُبْعِدُ الْمَعَشَى فِي الْأَرْضِ الصَّحْصَحَ حَتَّى^(٥)

- (١) كلمة «البسر» مضمومة فى الأصل وأسما على معرفتها بما فى البيان والبيان الذى وردت فيه العبارة
 هكذا : «فقال له رجل من عرض القوم : يا أمير المؤمنين ، بالبسر والرضب أبصر منهم بالخطاب... الخ» .
 والبسر : الترقيل لإرطابه وذلك اذا لون ولم ينضج . (٢) يعقده : يغلفه .
 (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بعد قوله فلا تبطئ ولا تخطئ : «أقلنى يا أمير المؤمنين ؛ قال :
 قد أقلتك ، قال : لا تبطئ ولا تخطئ» . قال أبو حاتم : استطال الكلام الأول فاستقال وتكلم بأوجز منه .
 (٤) كذا فى الأصل والعقد الفريد . والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تجبى . على «أفعل» والذى فى كتب
 اللغة أن الوصف من الفهاهة (وهى العى فى المنطق) : فه كضخم وفهيه وفهفه . (٥) جابر : مدينة
 بأقصى المشرق . (٦) جابلق : مدينة بأقصى المغرب . (٧) الحراء بالكسر : التخل والتعود
 للحاجة . (٨) الصحصح بصادين مهملتين : ما استوى من الأرض مع الاتساع . وفى الأصل :
 «الضحضح» بضادين معجمتين .

تَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ، وَلَا تَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدِيرُهَا، وَلَا تَسْتَنْجِي بِالرَّوْنَةِ وَلَا الْعَظْمِ، وَلَا تَبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّاكدِ، وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ .

وكان يقال : كل شيء ثنيتة يقصر ما خلا الكلام ، فإنك كلما ثنيتة طال . قال الحسن : الرجال ثلاثة : رجل بنفسه ، ورجل بلسانه ، ورجل بماله .

تَكَلَّمَ صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ الْقَوْلُ !
فَقَالَ صَعَصَعَةُ : إِنَّ الْحَيَادَ أَضَاحَةَ لِلْمَاءِ .

ويقال : أبلغ الكلام ما سبق معناه لفظه .

وفي كتاب للهند : أولُ البلاغة اجتماعُ آلهِ البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيبُ رابطاً^(١) الجأش ، ساكن الجوارح قليل اللَّحْظِ مُتَخَيِّراً للفظ ، لا يكلم سيّد الأُمة بكلام الأُمة ، ولا الملوك بكلام السُّوقَةِ ، ويكون في قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ، ولا يُدَقِّقُ^(٢) المعاني كُلَّ التدقيق ، ولا يَنْقَحُ الألفاظ كُلَّ التنقيح ولا يُصَفِّيها كُلَّ التَّصْفِيَةِ [ولا يَهْدِيها^(٣) غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتّى يُصَادِفَ حكماً أو فيلسوفاً^(٤) علياً] ويكون قد تعودَ حَذَفَ فُضُولِ الكلام وإسقاطَ مُشْتَرَكَاتِ الألفاظ ، قد نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ لَا عَلَى جِهَةِ الْإِعْتِرَاضِ وَالتَّصْفِيحِ .

ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البرمكي وقيل له : ما البيان ؟ فقال : أن يكون الاسم يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ وَيُخَيِّكُ^(٥) عَنْ مَغْزَاكَ ، وتُخْرِجُهُ مِنَ الشَّرْكََةِ وَلَا تَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ ، والذي لا بُدَّ لَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ سَلِيماً مِنَ التَّكَلُّفِ ، بَعِيداً مِنَ الصَّنْعَةِ ، بَرِيئاً مِنَ التَّعَقُّدِ ، غَنِيّاً عَنِ التَّأْوِيلِ .

(١) الجأش : روع القلب إذا اضطرب عند الفزع . (٢) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١

ص ٥٢) . (٣) عبارة البيان والتبيين : «ومن قد تعقّد ... الخ» . (٤) في البيان والتبيين

(ج ١ ص ٥٨) : «هـ يجلى» . (٥) هكذا في الأصل . وفي البيان والتبيين : «والذي لا بد منه ... الخ» .

قال الأصمعي : البليغ من طبق المَفِصَل وأغناك عن المفسر .

قال المدائني : كتب قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى الْجَحَّاجِ يَشْكُو قِلَّةَ مَرَزِئَتِهِ ^(١) مِنَ الطَّعَامِ وَقِلَّةَ غِشْيَانِهِ النَّسَاءِ وَحَصْرِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : اسْتَكْثِرْ مِنَ الْأَلْوَانِ لِتُصِيبَ مِنْ كُلِّ صَحْفَةٍ شَيْئًا ، وَاسْتَكْثِرْ مِنَ الطَّرِيقَةِ ^(٢) تَجِدُ بِذَلِكَ قُوَّةً عَلَى مَا تُرِيدُ ، وَأَنْزِلِ النَّاسَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَخَاصَّتِكَ ، وَأَرِّمْ بِبَصْرِكَ أَمَامَكَ تَبْلُغُ حَاجَتَكَ .

قال بعض الشعراء :

إِنْ كَانَ فِي الْعِيِّ آفَاتٌ مُقَدَّرَةٌ * فِي الْبَلَاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيهَا

تَكَلَّمَ رَجُلٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَهَدَّرَ ^(٣) ، فَلَمَّا أَطَالَ قَالَ : أَسْكُتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : وَهَلْ تَكَلَّمْتَ !

ويقال : أَعْيَا الْعِيَّ بِلَاغَةً ^(٤) بَعِيٌّ ، وَأَقْبَحُ اللَّحْنُ لَحْنُ بَاعِرَابٍ .

وقال أعرابي : الْحَظُّ لِلرَّءِ فِي أُذُنِهِ ، وَالْحَظُّ لِغَيْرِهِ فِي لِسَانِهِ ^(٥) .

ويقال : رَبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي .

ويقال : الصَّمْتُ أْبْلَغُ مِنْ عِيٍّ بِبِلَاغَةٍ . ونحوه قول الشاعر :

أَرَى الصَّمْتَ أَدْنَى لِبَعْضِ الصَّوَابِ * وَبَعْضُ التَّكَلُّمِ أَدْنَى لِعِيٍّ

وقال جعفر البرمكي : إِذَا كَانَ الْإِكْثَارُ أَبْلَغَ كَانَ الْإِيْجَازُ تَقْصِيرًا ، وَإِذَا كَانَ الْإِيْجَازُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا .

(١) المُرْزَةُ مِنَ الطَّعَامِ : الْإِصَابَةُ مِنْهُ . (٢) الطَّرِيقَةُ : زَوْجَةُ الرَّجُلِ ، وَأُنْثَى الْفِعْلِ .

(٣) هَدَّرَ فِي كَلَامِهِ : خَلَطَ وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَنْبَغِي . (٤) فِي الْأَصْلِ : « أَعْيَا الْقِيَّ بِلَاغَةً بَعِيٌّ » .

(٥) يُرِيدُ أَنَّ حَظَّ الرَّجُلِ فِي أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ ، وَالْحَظُّ فِي لِسَانِهِ لِغَيْرِهِ لِأَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ

فَإِنَّمَا الْحَظُّ وَالْفَائِدَةُ فِيهِ لِغَيْرِهِ .

قال ابن السكك : العرب تقول : العيُّ الناطق أعياء من العيِّ الصامت .
قال أنوشروان ابزرد يجهل : متى يكون العيُّ بليغاً ؟ فقال : إذا
وصف حبياً .

قال يونس بن حبيب : ليس لعيٍّ مروة^(١) ، ولا لمنقوص البيان بهاء^(٢) ، ولو بلغ
يأفوخه أعنان السماء . قال بعض الشعراء :

نَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعَيِّ بِنَفْسِهِ * وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمًا
وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْعَيِّ وَإِنَّمَا * صَمِيئَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

قال سعيد بن العاص : موطنان لا أستحي من العيِّ فيهما : إذا أنا خاطبتُ
جاهلاً ، وإذا أنا سألتُ حاجةً لنفسى .

ذكر أعرابي رجالاً يعياً فقال : رأيت عورات الناس بين أرجلهم ، وعورة
فلان بين فكَّيه .

وعاب آخر رجالاً فقال : ذاك من يتأذى المجلس ، أبلغ ما يكون في نفسه أعياء
ما يكون عند جلسائه .

قال ربيعة الرأي : الساكت بين النائم والأخرس .

تذاكر قوم فضّل الكلام على الصمت وفضل الصمت على الكلام ، فقال
أبو مسهر : كلاً ! إنَّ النّجم ليس كالثّمر ، إنك تصف الصمت بالكلام ، ولا تصف
الكلام بالصمت .

(١) الأفوخ : هو الموضع الذي ينشق فيه عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء :
نواحيها .

وذبة قوم في مجلس سليمان بن عبد الملك الكلام، فقال سليمان: اللهم غفراً، إن
من تكلم فأحسن قدره أن يصمت فيحسب: رئيس من صمت فأحسن قدره على أن
يتكلم فيحسب.

قال بكر بن عبد الله: طول الصمت حنسة^(١١). وشعره قول عمر بن الخطاب: ترك
الحركة عقلة.

وكان نوفل بن مساحق إذا دخل على أمراءه صمت. وإذا خرج من عندها تكلم،
فقلت له: أما عندي فتطرق، وأما عند الناس فتتطق! فقال: أدق عن جليلك
وتجلى عن دقيق.

وفي حكمة لقمان: يا بني، قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت.
قال ابن إسحاق: الناس خلق بالعين والأذن، ويد الرجل يقفز بها، وأهل
العين يصطادونهم، ونخرج قوم في صيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحداً فعلقوه
وذبحوه وتوارى اثنان في الشجر، فقال الذي ذبحه: إنه لسمين، فقال أحد الاثنين:
إنه أكل ضرراً، فأخذوه وذبحوه، فقال الذي ذبحه: ما ألتع الصمت! قال
الثالث: فيها أنا الصميت فأخذوه وذبحوه. (المنذر: حبة الخضر.)^(٥١)

كان يقال: إذا فاتك الأدب فالزم الصمت.

(١) في البيان والتبيين (ج ١ ص ١٠٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤): «وخيسة». والخيسة
بالضم: اسم من الاحساس وهو تعدد الكلام عند برادته. (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٦):
«قول: إني أجعل عن دقيقك، وتدين عن جليل». (٣) وردت هذه الحكاية في كتاب الحيوان
للمذيبي (ج ٢ ص ١٠٥) باختلاف يسير في بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد. (٤) كذلك
في حياة الحيوان. وفي الأصل: «ينقر».

وقال بعضهم : لا يَجْتَرِي على الكلام إلا فَائِقٌ أو مَائِقٌ^(١) .

وقال الشاعر يمدح رجلاً :

صَمَوْتُ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ * وَفَتَّاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْخَسَمِ^(٢)

قال أبو الدرداء : أَنْصِفْ أذُنَيْكَ مِنْ فَيْكِ ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ [اثنتان]^(٣) وَفَمٌ وَاحِدٌ ، لِتَسْمَعَ أَكْثَرُ مَا تَقُولُ .

حَضَرَ قُشَيْرِيُّ مَجْلِسًا مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَأَطَالَ الصَّمْتَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ بِحَقِّ سَمِيتُمْ خُرْسَ الْعَرَبِ ، فَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ : يَا أُنْحَى ، إِنَّ حِظَّ الرَّجُلِ فِي أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ ، وَحِظَّهُ فِي لِسَانِهِ لغيره .

وقال بعض الحكماء : أَكْثَرُ الصَّمْتِ مَا لَمْ تَكُنْ مَسْئُولًا فَإِنَّ قُوَّةَ الصَّوَابِ أَيْسَرُ مِنْ خَطَلِ الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا نَارَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى مَرَاتِبِ الْقَائِلِينَ الْمُصِيبِينَ ، فَأَذْكُرْ مَا دُونَ الصَّوَابِ مِنْ وَجَلِ الْخَطَا وَفَضَائِحِ الْمُقْصِرِينَ .

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ الْهَيْثَمِ بْنِ صَالِحٍ بِخَطَا ، فَقَالَ لَهُ الْهَيْثَمُ : يَا هَذَا ، بِكَ كَلَامٌ مِثْلُكَ رَزَقَ أَهْلُ الصَّمْتِ الْحُبَّةَ . وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ * وَأَمِضْ عَنْهُ لِسَانِي

مُتَبَدِّئِ الصَّمْتَ خَيْرٌ * لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

إِنَّمَا السَّلَامُ مِنَ الشَّجَمِ^(٤) فَاهِ بِالْجَامِ

(١) الفائق : الأديب العالم . والمائق : الخالك حمقا وغباوة .

(٢) في الأصل « المحبر » وهو تحريف ، لأن التقافية نعمة ، وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب

الرفائق برئى مالك بن أنس المدنى كما في العقد الفريد لأبن عبد ربه (ج ١ ص ٢٩٣) وبعده :

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) . (٤) في البيان والذبيان (ج ١ ص ١٤٩) :

« المسلم » .

وقال آخر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ * إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا صاحبنا عن مالك بن دينار أنه قال : لو كانت الصحف من عندنا لأقلنا الكلام .

وقال الأصمعي : إذا تطوَّفَ العربيَّ كثر كلامه ، وإذا تطوَّفَ الفارسيَّ كثر سكوته .

قال حاتم طيء : إذا كان الشيءُ يَكْفِيكَهُ انْتَرَكْ فَاَتَرَكْ .

قال عبد الله بن الحسن لابنه : استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول ، فإن للقول ساعات يضُرُّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب .

وقال إياس بن قتادة :

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْكُمُ رَأْيُنَا * وَتُسْتَمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

تكلم ابن السكيت يوما وجارية له تسمع كلامه ، فلما دخل إليها قال : كيف رأيت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده ! قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه ؟ قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه !

قال عيسى بن مريم : من كان منطوقه في غير ذكرٍ فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكرٍ فقد لها .

(١) في نهاية الأرب (ج ٦ ص ٦) وحاشية أبي تمام شرح التبريزي (طبع مدينة بن) : « وتجهل أيدينا ... الخ » ونسب البيت فيهما إلى معبد بن علقمة . ونسب في أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) إلى إياس بن قتادة ، كما في الأصل هنا .

كان العباس بن زُفر لا يُكَلِّم أحداً حتى تَبَسَّطَ الشَّمْسُ ، فإذا أَنْفَتَلَ^(١) عن صَلَاتِهِ
ضرب الأَعْنَاقَ وَقَطَعَ الأَيْدِي والأَرْجُلَ . وكان جَرِير لا يتكَلَّم حتى تَبْزُغَ الشمسُ ،
فإذا بَزَغَت قَدَفَ الْمُحَصَّنَاتِ .

قال قَتَادَةُ : مكتوب في التَّوراة : لا يُعاد الحديث مرتين .

قال الزُّهْرِيُّ : إعادة الحديث أشدَّ من وَقَع الصَّخْرُ .

وفي كتب العجم : أن أربعة من الملوك اجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمة واحدة كأنَّها
رميةٌ بِسهم : ملك فارس ، وملك الهند ، وملك الروم ، وملك الصين . قال أحدهم :
إذا تكلمتُ بالكلمة مَلَكَتْنِي ولم أَمْلِكْهَا . وقال آخر : قد نَدِمْتُ على ما قُلْتُ ولم أُنْدمْ
على ما لم أَقُلْ . وقال آخر : أنا على ردِّ ما لم أَقُلْ أقدرُ مِنِّي على ردِّ ما قُلْتُ . وقال آخر :
ما حاجتي إلى أن أتكلَّم بكلمة ، إن وقعتُ على ضُرَّتَنِي ، وإن لم تقع على لَمْ تَفْعَلْنِي .
قال زُبَيْدُ اليَاسَمِيِّ^(٢) : أسكتني كلمةُ آبن مسعود عشرين سنة : مَنْ كان كلامه
لا يوافق فعله فَإِنَّمَا يُؤَبِّخُ نفسه .

وفي كتاب كَلِيْلَة ودمنة : ثلاثة يُؤْمرون بالسكوت : الرَّاقي في جبل طويل ،
وَأَكْل السمك ، والمُرَوِّى في الأمر الجسيم . قال بعض الشعراء^(٤) :
قد أَفْلَحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ :: كَلَامٌ واعي الصَّكَّام قوتُ

(١) انفتل عن صَلَاتِهِ : انصرف عنها . (٢) كذا في الأنساب للسمعاني ؛ وتهذيب التهذيب ؛
وتاج العروس . وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب اليامي نسبة إلى يام بطن من همدان .
وفي الأصل « زبيد النامي » بالنون وهو تحريف . (٣) المرؤى : من روى في الأمر ويقال روى
(بالهمزة) إذا نظره فيه وتعبه ولم يعجل بجواب . (٤) هو محمد بن أبي العتاهية كما في الأغاني (ج ٣
ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضاً في ديوان والده أبي العتاهية (ص ١٤ طبع بيروت) .

ما كلُّ نطقي له جوابٌ * جوابٌ ما يُكرهُ السكوتُ
يا عجباً لأمرئٍ ظلومٍ * مُستيقنٍ أنه يموتُ

بلغني عن أبي أسامة عن ابن عمون عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلموا
وصمت الأحنف ؛ فقال معاوية : يا أبا بجر، مالك لا تتكلم ؟ قال : أخافكم إن
صدقتكم، وأخاف الله إن كذبت .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا الحميدي قال حدثنا أبو الحكم مروان بن
عبد الواحد عن موسى بن أبي درهم عن وهب بن منبه قال قال ابن عباس :
كفى بك ظالماً ألا تزال مُخاصماً ، وكفى بك آثماً ألا تزال مُباريها ، وكفى بك كاذباً
ألا تزال مُحدثاً بغير ذكر الله تعالى .

وقال بعضهم :

يموتُ الفتي من عثرةٍ بلسانه * وليس يموتُ المرءُ من عثرة الرجل^(١)
فعرثته من فيه ترمى برأسه * وعرثته بالرجل تبرا على مهل

سئل بعض الحكماء عن البلاغة ، فقال : من أخذ معاني كثيرة فأداها بالفاظ
قليلة ، أو أخذ معاني قليلة فولد فيها ألفاظا كثيرة .

بلغني عن أبي إسحاق الفزاري قال : كان إبراهيم يطيل السكوت ، فإذا تكلم
أنبسط ، فقلت له ذات يوم : لو تكلمت ! فقال : الكلام على أربعة وجوه . فمنه
كلامٌ ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته ، فالفضلُ منه السلامة ، ومنه كلامٌ لا ترجو منفعتَه
ولا تخشى عاقبته ، فأقلُّ مالك في تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك ، ومنه كلامٌ

(١) هذان البيتان لمحمد بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما في العقد الفريد

لا ترجو منفعةً وتخشى عاقبته ، وهذا هو الداءُ العُضالُ ؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعةً وتأمُنُ عاقبته ، فهذا الذي يجب عليك نُشْرُهُ ؛ قال : فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام .

(١) الاستدلال بالعين والإشارة والنسبة

يقال : رَبَّ طَرْفٍ أَفْصَحَ مِنْ لِسَانٍ . قال أعرابي :
إِن كَاتَمُونَا الْقَلْبَ تَمَّتْ عِيُونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ
وقال آخر :

إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا * تُضْمِرُهُ أَنْبَتَكَ عَنْهَا الْعُيُونُ

آخر :

أَمَّا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي أَبْدَى

وقال ذو الرمة :

نَعَمْ هَاجَتِ الْأَطْلَالُ شَوْقًا كَفَى بِهِ * مِنَ الشَّوْقِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ
فَمَا زِلْتُ أَطْوِي النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّمَا * بِذِي الرِّمْتِ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكِ
حَيَاءً وَإِشْفَاقًا مِنَ الرِّكْبِ أَنْ يَرَوْا * دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ

وقال الحارثي يذكر ميتا :

أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَجْمَدَنَا قِرَى * مِنَ الْبَثِّ^(٤) وَالْدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَامِرِ^(٣)
وَأَوْسَعَنَا عِلْمًا بَرْدَ جَوَابِنَا * فَأَعْجَبَ بِهِ مَنْ نَاطِقٍ لَمْ يُجَاوِرِ

(١) النسبة بالضم : هي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشييرة بغير اليد (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥) .

(٢) أطوى النفس : أضمرها على شيء ، من حب مبة . وذو الرمت : اسم واد لبني أسد .

(٣) أجمدنا : أشبعنا ؛ (٤) البث : الغم والحزن ، وقيل أشده .

ومثل هذا قول القائل : سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ لَهَا : مِنْ شَقِّ أَنْهَارِكَ ، وَغَرَسِ
 أَشْجَارِكَ ، وَجَنِّ ثِمَارِكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حَوَارًا ، أَجَابَتْكَ أَعْتَابَارًا . قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ^(٣) :
 وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
 وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ * مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ
 يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءُ
 وَفِي الْعَيْنِ غِنًى ^(٤) لِلْعَيْنَيْنِ أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ

الشعر

يقال : خَيْرُ الشَّعْرِ مَا رَوَّاهُ نَفْسُهُ . ويقال : خَيْرُ الشَّعْرِ الْحَوْلِيُّ الْمُنْتَقَحُ الْمُحَكَّمُ .
 سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : سَكَّرَ
 لَا حَالَاوَةَ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ : أَرَأَيْتَ الشَّاعِرِينَ يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ
 فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَ : عُقُولُ رَجَالٍ تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا .

قَالَ بَشَّارٌ يَصِفُ نَفْسَهُ :

زُورُ مُلُوكٍ عَلَيْهِ أَمَةٌ * يُعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطْبِهِ
 اللَّهُ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ * مِنْ لُؤْلُؤٍ لَا يَنَامُ عَنْ طَلَبِهِ
 يَخْرُجُنْ مِنْ فِيهِ فِي النَّدَى كَمَا * يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ هَبِّهِ ^(٦)

(١) القائل هو الرقاشي كما في الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص ١١ طبعة الآستانة سنة ١٣١٩ هـ) .
 (٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاوره وراجعه في الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات في ديوان
 أبي العتاهية المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ٤ : طبعة القاهرة
 سنة ١٣٣٢ هـ) : « للزور » . (٥) الزور : الزائر . (٦) كذا في الأصل ، وفي ديوان بشار
 (ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : « يخرج ... للندي ... الخ » .

تَرْوُ إِلَيْهِ الْحُدَاتُ غَادِيَةً * وَلَا تَمَلُّ الْحَدِيثَ مِنْ عَجَبِهِ
تِلْعَابُهُ تَعَكُّفُ الْمُلُوكِ بِهِ * تَأْخُذُ مِنْ جِدَّتِهِ وَمِنْ لَعِبِهِ
يَزِدُّهُمْ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ * بَيَانِهِ مُسْرِعِينَ فِي أَدْبِهِ

وقال الطائي يذكّر الشعر :

إِنَّ الْقَوَائِيَّ وَالْمَسَاعِيَ لَمْ تَزَلْ * مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ تَنْتَرُّ فَإِنَّ أَلْفَتَهُ * بِالشَّعْرِ صَارَ قَلَانِدًا وَعُقُودَا
مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأَلَى * يَدْعُونَ هَذَا سُودًا مَجْدُودَا
وَتَنَدُّ عَنْدهُمْ الْعُلَا إِلَّا عُلَا * جُعِلَتْ لَهَا مِرْرُ الْقَرِيضِ قِيُودَا

وقال أيضا :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُهُ * مَغَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
وَإِنَّ الْعُلَا مَا لَمْ تَرَ الشَّعَرَ بَيْنَهَا * لَكَالْأَرْضِ غُفْلًا لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فِي غَتَدِي * لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمُ
يَرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فَكَاهَةٌ * وَيَقْضَى بِمَا يَقْضِي بِهِ وَهُوَ ظَالِمُ
وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَاهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى * بُغَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

- ١٥ (١) رجل تلعب بكسر التاء : كثير المزح والمداعبة .
(٢) في ديوان أبي تمام المطبوع (ص ٩٠) : « الجئان » .
(٣) في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦ أدب (ص ٤٨) وديوانه المطبوع أيضا (ص ٩٠) : « محدودا » بالحاء المهملة .
(٤) المرجع مرة ، والأصل في المرة طاقة الحبل .
(٥) رواية الديوان (ص ٢٨٦) : « ولا كالعلا ما لم ير ... فكالأرض ... الخ » .
(٦) الغفل من الأرض : مالا علامة فيه .
(٧) كذا في ديوانه . وفي الأصل « ترى » .
- ٢٠

وقال عُمَرُ بْنُ لُحَاٍّ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ ، قَالَ : وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ :
لَأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَلَأَنَّكَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَأَبْنَ عَمِّهِ .

قيل لِعَقِيلِ بْنِ عُفَّةَ : أَلَا تُطِيلُ الْهِجَاءَ ؟ فَقَالَ : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ
بِالْعُنُقِ .

وقال بعضهم : خَيْرُ الشَّعْرِ الْمُطْمَعُ .

قيل لثُكَيْفٍ : يَا أَبَا صَخْرٍ ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا عَسَّرَ عَلَيْكَ قَوْلُ الشُّعْرِ ؟ قَالَ :
أَطُوفُ بِالرَّبَاعِ الْمُخَلِّيَّةِ وَالرِّيَاضِ الْمُعَشِبَةِ ، فَيَسْمُلُ عَلَى أَرْضَتِهِ وَيُسْرِعُ إِلَى أَحْسَنِهِ .
ويقال : إِنَّهُ لَمْ يُسْتَدْعَ شَارِدُ الشُّعْرِ بِمَثَلِ الْمَاءِ الْبَحَارِيِّ ، وَالشَّرَفِ الْعَالِيِّ ،
وَالْمَكَانِ الْخَضِرِ الْخَالِيِّ أَوِ الْخَالِي .

وقال عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لَأَرْطَاةَ بْنِ سُمَيْةَ : هَلْ تَقُولُ الْآنَ شُعْرًا ؟ قَالَ :
مَا أَشْرَبُ ، وَلَا أَطْرَبُ ، وَلَا أَغْضَبُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الشُّعْرُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل ... الخ» .

(٢) كذا في كتاب الشعر والشعراء للؤلؤف (ص ١٨ طبعة لندن سنة ١٩٠٢) والمُخَلِّيَّةُ : الخالصة
من السكان ؛ يقال : خلت الدار وأخلت . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : «بالرباع المخيلة»
وهي التي أنت عليها أحوال فغيرتها . وفي الأصل : المخيلة بالخاء المعجمة .

(٣) كذا في الشعر والشعراء (ص ١٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٢) وفي الأصل : «لم يسرع» .
(٤) الخالي هو الخالي من الضوضاء . وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣)
بدون الكلبة «الخالي» ثم قال صاحب العقد : «تأول بعضهم «الخالي» يريد الخالي من النوار يعني الرياض
وهو توجيحه حسن» . وأما «الخالي» بالمهملة فهو المنحلى بالنوار، ومنه قول أبي بكر بن عبد الرحمن الزهرى

(ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الحماسة لأبي تمام طبعة مصر سنة ١٣٢٢هـ) :

ولما نزلنا منزلاً طله النَّسْدَى * أنبقاً وبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا

(٥) في الشعر والشعراء (ص ١٨) : «قال كيف أقول وأنا ما أشرب ... الخ» .

(١) وقيل لكثير : ما بقي من شعرك ؟ فقال : ماتت عزة فما أطرب ، وذهب الشباب فما أنجب ، ومات ابن ليلى فما أرغب — يعنى عبد العزيز بن مروان — وإنما الشعر بهذه الحلال .

(٢) وقيل لبعضهم : من أشعر الناس ؟ فقال : أمرؤ القيس إذا ركب ، والنابعة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

وقيل للعجاج : إنك لا تحسن الهجاء ، فقال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم ، وأحساباً تمنعنا من أن نظلم . وهل رأيت بانيلاً لا يحسن أن يهدم !

وقلت فى وصف الشعر : الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمة ، وديوان أخبارها ، ومستودع أيامها ، والسور المضروب على مآثرها ، والحمد الممجوز على مفاخرها ، والشاهد العدل يوم النصار ، والوجه القاطعة عند الحصار ، ومن لم يقيم عندهم على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميد بيت منه ، شذت مساعيه وإن كانت مشهورة ، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساماً ، ومن قيدها بقوافى الشعر ، وأوثقها بأوزانه ، وأشهرها بالبيت النادر ، والمثل السائر ، والمعنى اللطيف ، أخذها على الدهر ، وأخلصها من الجحد ، ورفع عنها كيد العدو وغض عين الحسود .

جاء فى الشعر كثير . وقد أفردت للشعراء كتاباً ، وللشعر باباً طويلاً فى كتاب العرب . وذكرت هذه التثقة فى هذا الكتاب كراهية أن أخليه من فن من الفنون .

(١) رواية الأمالى (ج ١ ص ٣٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية) : « قيل لكثير : مالك لا تقول الشعر ! أجبت ؟ قال : والله ما كان ذلك ، ولكن فمقت الشباب فما أطرب ، وورثت عزة فما أنسب ، ومات ... الخ » وفسر أبو على القالى : « أجبت » بقوله : « أجبت ، أى انقطعت عن قول الشعر . أخذه من قولهم : أجبل الحافر إذا انتهى إلى جبل فلم يمكنه الحفر » . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : « وقالوا : أشعر الناس ، النابعة إذا رهب ، وزهير إذا غيظ ، وجبر إذا رغب » .

حُسن التشبيه في الشعر

من ذلك قولُ أبي الزبير الأَسديّ في الثُّرَيّا :

(١) وقد لاح في الغور الثُّرَيّا كأنما * به رايةٌ بيضاءُ تُخَفِّقُ للطَّعِنِ

شبه الثُّرَيّا حين تدلّت للغيّب براءةً بيضاء خَفَقَتْ للطعن .

ومن ذلك قولُ عنترَةَ في الذُّباب :

(٢) وخَلَا الذُّبابُ بها فليس بنازِح * هَزَجًا كَفَعِلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

(٣) غِرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ * فِعْلَ الْمِكْبِ عَلَى الزَّناذِ الْأَجْدَمِ

شبه حَكَّهُ يَدَهُ بيده برَجُلٍ مقطوع الكَفَيْنِ يَمْدَحُ النارَ بَعُودَيْنِ .

ومن ذلك قولُ أعرابي في العِنَب :

(٤) يَحْمِلُنْ أَوْعِيَةَ السَّلَافِ كَأَنما * يَحْمِلُهَا بَأْسَ كَارِعِ النَّغْرَانِ

أَوْعِيَةَ السَّلَافِ : العنب ، جعله ظرفاً للخمر . وشبه شُعَبَ العناقيد التي تَحْمِلُ

الحَبَّ بأَرْجُلِ النَّغْرَانِ . (والنَّغْرُ : طائرٌ مثلُ العصفورِ أحمرُ المنقارِ) .

(١) كذا في مبادئ النصيب ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ، ونسخة خطية من الأغاني

محفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م في أخبار أبي قيس بن الأسَد . وفي نسخة خطية أخرى من

الأغاني رقم ١٢٦١ : « تخفض » بدل « تخفق » وفي طبعة بولاق منه (ج ١٥ ص ١٦٦) « وقد لاح

في القور ... » بالتحاقف . وفي الأصل هنا :

وقد حرم الغور الثريا كأنها * له راية بيضاء تخفضن للطعن

وفيه أيضا « خفضت » في تفسير المؤلف البيت بدل خذقت التي أثبتتها ، تبعا للرواية التي آثرناها

في البيت . (٢) يروى هذا البيت في شرح المعلقات للزوزني (طبع القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ) :

« ... فليس بيارح . غردا » ويروى البيت الذي بعده « هزجا يحك ... قدح المكب » .

(٣) الضمير في « بها » يعود على الروضة التي تصدى عنترَة لوصفها في معلقته . (٤) هزج كككتف :

مصوت . (٥) غَرْدٌ : من غَرَدَ الطائرُ إذا رفع صوته في غنائه وطرب . (٦) المكب : من

أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجدم : المقطوع اليد ؛ وقيل الذهاب الأنامل .

(٨) في اللسان مادة « نغر » : « يحملن أزقاق المدام ... بأظافر ... الخ » .

وقال الآخر، وكان غشي عيَّنه بياض أو نزل فيهما ماء، :

يقولون ماء طيب خان عينه * وما ماء سوء خان عيني بطيب
ولكنه أزمان أنظر طيب * بعيني غدا في علا فوق مرقيب
كأن ابن بجيل مد فضل جناحه * على ماء إنسانيهما المتغيب

شبه ما علا الخدقة بجناح فرخ من فراخ الزناير قد مد على ناظره .

ومن ذلك قول امرئ القيس وذكر العقاب :

كأن قلوب الطير رطباً ويا بساً * لدى وكرها العناب والحشف البالى

شبه الرطب بالعناب، واليابس بالحشف . وشبه شيئين بشيئين في بيت واحد .

ومن ذلك قول أوس بن حجر وذكر السيف :

كأن مدب النمل يلتمس الرُّبى * ومدرج ذر خاف برداً فأسهلا

شبه فيرنذ السيف بمدرج الذر ومدب النمل .

ومن ذلك قول أبي نؤاس في البازي :

ومنسر أكلف فيه شغا * كأنه عقد ثمانيناً

(١) الغدافي : الشديد السواد، نسبة إلى الغداف وهو الغراب وفي الأصل : «بعيني غدا في علا» .

(٢) الجمل بتقديم الجيم على الحاء : العسوب العظيم ، ودو في خلق الجراد إذا سقط لا يضم جناحه ،

والجمع يحول رجحان . (٣) العناب كرمات : شجر معروف ، حبه كحب الزيتون في شكله .

(٤) الحشف : ما يمس من التمر، ولم يكن له طعم ولا نوى . (٥) الذر : صغار النمل ، واحدة

ذرة . (٦) فرند السيف بكسر الفاء والراء : جوهره وشبهه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الشغا : زيادة في المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقُّف وانعطاف ، ولذا سميت العقاب بالشغواء .

(٨) شبه منسر البازي الذي فيه الشغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم ؛ وصفة عقد

الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للأوسى طبعة بغداد ج ٣

ومن ذلك قول أعرابي في امرأة :

قامت تصدّي له عمداً لتقتله * فلم يرَ الناسَ وجداً مثلَ ما وجدنا
بجيسد آدم لم تُعقِدْ قلائده * ونَاهِدٍ مثلِ قلب الظبي ما نهدا^(١)
فظل كالحائم الهَيَّائِلِ ليس له * صَبْرٌ ولا يَأْمَنُ الأعداءُ إن وردا^(٢)
شبه تديها في هود: بقلب الظبي في صلابته ، ولا نعلم أحداً شبه التدي بقلب
الظبي غيره .

ومن ذلك قول جحدر العكلى في امرأة :

على قَدَمٍ مكنونة اللولِ رَحْصَةٍ * وَكَعْبٍ كَذْفَرِي جُودِرِ الرَّمْلِ أَدْرَمًا^(٣)
شبه كعبها بأصل أُذُن الجودر، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حميد بن ثور يصف فرخ القطاة :

كَانَ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرٌ حَنَوِيٌّ^(٤) * إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِسَدَ مِنْهُ لِيَطْعَمًا^(٥)
ومن ذلك قول دُعَيْل يهجو امرأة :

كَأَنَّ الثَّالِيْلَ فِي وَجْهِهَا * إِذَا سَقَرَتْ يَدُّ الْكُشْمَشِ^(٦)
لَهَا شَعْرٌ قَرْدٌ إِذَا أَرْنَتْ * وَوَجْهٌ كَبِيضٌ الْقَطَا الْأَبْرَشِ^(٧)

(١) يقال : ظبي آدم إذا أشرب لونه بياضاً . (٢) الحائم : العطشان الذي يحوم حول الماء .

(٣) الهيان : العطشان . (٤) الذفري : العظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب أدرم :

مسنر . (٦) كذا رواه المؤلف في كتابه « الشعر والشعراء » (ص ٢٣٠) . والحنوة بالفتح : نبات

سهل طيب الريح . وفي الأصل « حنوة » بانحاء وهو تحريف . (٧) في شرح حماسة أبي تمام

للتبريزي (ص ٨٢١ طبع مدينة بن مسرة ١٨٢٨) : « أن أبا عبيدة أشد هذا الشعر لأبي الفطمش

الحنقي » . (٨) الثاليل جمع ثولول وهو الحبة تظهر في الجلد كالجمعة فسادونها . (٩) البدء

جمع بدء وهي القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .

(١١) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : « إذا زينت » . (١٢) الأبرش : ما به برش ،

والأبرش كالبرص وزناً ومعنى .

ومن ذلك قول أبي نؤاس في وصف البط :

* كَأَنَّمَا يَصْفِرُنَّ مِنْ مَلَأَقٍ ^(١) *

ومن ذلك قول بعض الرُّجَّاز في جارية سوداء :

كَأَنَّمَا وَالْكُحْلُ فِي مِرْوَدِيهَا * تَكُحُّلُ عَيْنِيهَا بِبَعْضِ جِلْدِيهَا

ومن ذلك قول الجعدي في فرس ^(٢) :

خَيْسَطَ عَلَى زَفْرَةٍ قَتَمَ وَلَمْ * يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضِيمٍ ^(٣) ^(٤)

يقول هو متفخح الجنبين ، فكأنه زفر فانتفخ جنباه ثم خيَّط على ذلك .

ومن ذلك قول الطرماح يصف الثور :

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ * سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يَسْلُ وَيُعْمَدُ ^(٥)

ومن ذلك قول النابغة للنعمان :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمُتَنَائِي عَنْكَ وَاسِعُ ^(٦)

ومن ذلك قوله في المرأة ^(٧) :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا * نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ

يقول : نظرت إليك ولم تقدر أن تتكلم ، كما ينظر المريض إلى وجه عواده

وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكْتَلِمَهُمْ .

(١) عجزه كما في الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصة الأفلام في المهارق *

(٢) كذا في اللسان مادتي «زفر» و «هضم» وفي الأصل «الجعدي» . (٣) زفرة الفرس :

وسطه ، يقال للفرس إنه لعظيم الزفرة ، أي عظيم الجوف . (٤) كذا في اللسان . وفي الأصل

«ولا هرم» والحضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها ، وهي من عيوب الخيل التي تكون خلقة .

(٥) كذا في «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفي الأصل «ويعضد» . (٦) كذا في ديوان النابغة

طبع بباريس واللسان مادة «نأى» وفي الأصل «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المنجودة زوج النعمان .

ومن ذلك قول طرفة :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى * لكأطول المرثى وثيابه بالسيد

ومن ذلك قول بعض الضبيين يصف أباريق الشراب :

كأن أباريق الشمول عيشية * إوز بأعلى الطف عوج الحناجر

ونحوه قول أبي الهندي :

سيفني أبا الهندي عن وطب سالم * أباريق لم يعلق بها وضر الزبد
مقدمة قزاً كأن رقابها * رقاب بنات الماء تفزع للرعد

ومن ذلك قول نصيب في عبد العزيز بن مروان :

وكلك أنس بالمعتفين * من الأم بابتها الزائرة

ومن ذلك قول عدي بن الرقاع في الظبية :

ترجي أغن كأن إبرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

ومن ذلك قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم * وأسيافنا لیسل تهاوى كواكبهم

(١) الطول : الخيل الطويل تنسب به قائمة أدابة ويمسك صاحبها بظرفه ويركها ترمى .

(٢) القائل لهذا البيت هو شبرمة الضبي كما في اللسان مادة « برق » . (٣) الطف : ما أشرف

من أرض العرب على ريف العراق . (٤) لذا في اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج

الرقاب . وفي الأصل : « المناجر » ببناء المعجمة . وأصلها « المناجر » بالحاء المهملة ، جمع منحرج وهو موضع

المنحرج من الخلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس كما في اللسان مادة « وضر » .

(٦) الوضر : وضع الدسم واللبن . (٧) المقدم : الإبريق الذي عا فيه فدام وهو خرقه من قز

أو غيره . (٨) يريد بنات الماء الإوز وما يشابهها من طيور الماء . (٩) ترجى :

نسوق . (١٠) الأغن من الظباء : ما في صوته غنة . (١١) الروق : القرن .

(١٢) كذا في الأصل والشعر والشعراء . وفي التلخيص للقرظيني « فوق رؤوسنا » وهي الرواية المشهورة .

ومن ذلك قوله :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى * كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

ومن ذلك قول الآخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا آلتَقَيْنَا لَيْسَ مِنِّي أَعَاتِبُهُ

يقول : لا أقدر على النظر إليه من بغضه ، فكأن الشمس بيني وبينه .

ومن ذلك قول الآخر :

كَأَنَّ نِيرَانَهُمْ فِي كُلِّ مَنَزِلَةٍ * مُصَبَّغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قِصَارِ^(٢)

الناس يستحسنون هذا ، وأنا أرى أن أقول : الأولى أن يُسبَّبه المصبغات بالنيران ، لا النيران بالمصبغات .

الأبيات التي لا مثل لها

١٠

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا معتمر عن ليث عن طاوس عن ابن عباس

قال : إنها كلمة نبي :

سُبِّدِي لَكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدِ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال : أروع بيت قالته العرب قول أبي ذؤيب :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

١٥

وأحسن ما قيل في الكبر قول حميد بن ثور الهلالي :

أَرَى بَصِيرِي قَدْ رَآجِي بَعْدَ صَحَّةٍ * وَحَسْبُكَ دَأْبُ أَنْ تَيْحَ وَتَسْلَمَا

(١) المصبغات : الثياب التي صبغت ولونت بالصبغ .

(٢) الأرسان جمع رَسَن بالتحريك وهو الحبل .

(٣) القصار : الذي يحور الثياب ويدقها بالقصرة ، وهي قطعة من الخشب .

- وأحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر في قوله :^(١)
 أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا * إِنَّ الَّذِي تَكْرَهِينَ قَدْ وَقَعَا^(٢)
 وأغرب من ابتداء قصيدة النابغة في قوله :
 كَلِّبْنِي لَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ * وَلَيْلٍ أَفَاسِيهِ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ
 حدثني الخنعمي الشاعر قال : أحسن بيت قيل في الجبن قول نهشل^(٣)
 ابن حري :
 فلو كان لي نفسان كنت مقاتلاً * بإحداهما حتى تموت وأسلما
 قال : وبيت المخبل في قساوة القلب :
 يَبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ * لَنَجْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ
 قال : وبيت عبيد في الاستغفاف :
 مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ * وَسَأَلُ اللَّهَ لَا يَحْبِبُ
 قال : وبيت منجوف بن مرة السلمي في الاحتفاظ بالمال :
 وَأَدْفَعُ عَنِ مَالِي الْحَقُوقَ وَإِنَّهُ * بَلِّغْ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ مَصَابِيهُ
 قال : وبيت الخطيئة في إكرام النفس :
 وَأَكْرِمُ نَفْسِي الْيَوْمَ عَنْ سُوءِ طَعْمَةٍ * وَيَقْنِي الْحَيَاءَ الْمَرْءُ وَالرَّحْمُ شَاخِرَةٌ^(٤)

(١) في الأصل : « وأحسن من ابتداء مرثية قول أوس بن حجر » . (٢) في الشعر
 والشعراء (ص ٧) « تحذرين » . (٣) في الأصل : جرى بالجيم . وما أثبتناه عن الأثافي (ج ٨
 ص ١٥٩) وطبقات الشعراء للجمعي ص ١٣٠ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ م . (٤) في الأصل :
 « شاجر » وما أثبتناه عن ديوان الخطيئة (طبع ليبسج سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأكرمت
 نفسي ... الخ . قني الحياء (وزان فرح) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزبرقان ويمدح آل
 شماس مطاعها :

عفا مسحلان من سلبى خاومه * تمشى به ظلماته وجساذه

(١١) قال : وقول كعب في الإقدام :

نِصْلُ السِّيفِ إِذَا قَصُرْنَ بِحَظِينَا * قُدَّمَا وَنُلْحِقْنَاهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِي

قال : وبيت عمرو بن الإطنابة في الصبر :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ * مَكَانِكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وأحسن من هذا عندي قول قطري^(٢) :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ لِنَفْسِي * مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي

فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ * عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي

(٤) قال : وبيت مسكين الدارمي في الجود :

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ * وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقْنَعُ

قال : وفي حسن الجوار قوله :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ * وَإِلَيْهِ قَبْلِي تَنْزِلُ الْقِدْرُ

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِبَابِهِ سِتْرُ

قال : وممن رضى بالقليل جميل^(٣) ، قال :

أَقْلَبُ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ * يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

(١) هو كعب بن مالك ، كما في الكامل للبرد طبع أوربا (ص ٦٦) والأثافي (ج ١ ص ٣٠) وورد

فيه «يوما» بدل «قدما» . (٢) روي هذا المصراع في حاسة أبي تمام هكذا :

أَقُولُ مَا وَقَدْ طَارَتْ شَمَاعَا * مِنْ الْأَبْطَالِ ... انخ

(٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحاسة أبي تمام . وفي الأصل : « ... حياة ...

من الأجل ... انخ » وفي العقد الفريد : « ... حياة ... سوى الأجل ... » (٤) في شرح

حاسة أبي تمام للتبريزي : « قال عتبة بن مجير ، وقيل إنه لمسكين الدارمي » . وروي البيت

فيه هكذا :

لَخَافِي خَافُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتَ بَيْنَهُ * وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالُ مُقْنَعٍ .

(١١)
وقول الآخر :

أليس الليلُ يلبسُ أمَّ عمرو * وإيانا فذاك بنا تداني
تَرى وَضَحَ النهار كما أراه * ويعلوها النهار كما علاني

قال : وبيت عمرو بن كلثوم في الجهل :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا * فَتَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

قال : وبيت النابغة في ترك الإلحاح :

فَاسْتَبِقْ وَدَلَّكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ * قَتَبًا يَعْصُ بِغَارِبٍ مِلْحَاحًا^(٢)

قال : وفي إدراك الشاعر قول مهلهل :

لَقَدْ قَتَلْتُ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ * حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَتَبَكَّى لَهُمْ أَحَدٌ^(٣)

قال : وبيت عروة بن الورد في تبليغ العذر في الطلب :

لِتُبْلِغْ عُذْرًا أَوْ تُفْسِدْ غَنِيمَةً * وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مَنْجِجٍ^(٤)

قال : وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى :

كُلُّوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأَبْشُرُوا * فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ غَدًا

قال : وفي الشجاعة قول العباس بن مرداس :

أَشَدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أَبَالِي * أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمَّ سِوَاهَا

(١) هو المملوط كما في كتاب الشعر والشعراء، المؤلف (ص ٢٦٧) ويروى فيه صدر البيت الثاني هكذا :

* بلى وترى السماء كما أراها *

(٢) القتب : رجل صغير على قدر السنام . وفي أساس البلاغة : «ومن المجاز فرهم للتح : هو تيب

يعض بالغارب ، وقب ملحاح» ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك . (٣) في خزانة الأدب

للبنادى (ج ١ ص ٢٠٣) : «أكثر قتلى ... الخ» . (٤) رواية ديوان عروة بن الورد

طبع المطبعة الأهلية بيروت (ص ٨) : «... أو تصيب رغبة ... الخ» .

قال : وبيت المتلمس في المال وتمثيره :^(١)

قليلُ المالِ تُصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وأخبرنا دِعْلَمُ بن عليّ الشاعر قال : أجهى بيت قيل قولُ الطِّرِمَاحِ في تميم :

تميمٌ بطريقِ اللُّؤمِ أهدى من القَطَا * ولو سَلَكْتُ طُرُقَ المكارِمِ ضَلَلْتُ

قال : وكذلك قولُ الأَخْطَلِ :

قومٌ إذا استنبح الأضيافَ كلَّهم * قالوا لأثمهم بولي على النارِ

قال : وكذلك قولُ الحُطَيْثَةِ للزُّبُرِ قَانِ في قِصْرِ الهِمَّةِ :

دَعِ المكارِمَ لا تَرَحَّلْ لِبَغِيَّتِها * وآقَعْدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكاسِي

قال غيره : وقولُ الطِّرِمَاحِ في القِلَّةِ والخُمُولِ :

لو كان يَخْفَى على الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ * من خَلَعَهُ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدٍ

ونحوه قولُ الآخر :

وأَنْتَ مَلِيخٌ كُلِّحَمِ الحُسَا * رِ لا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ^(٢)

وكذلك قولُ جَرِيرٍ في التَّيْمِ :^(٣)

(١) كذا في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ) والشعر والشعراء، للأولف

(ص ٨٨) ، ونهاية الأرب للنويري (ج ٣ ص ٦٤) . ويروي صدر البيت في الأغاني والشعر

والشعراء : « وإصلاح القليل يزيد فيه ... الخ » . ويروي في نهاية الأرب : « ... مع الفساد » .

وفي الأصل نسب البيت « لعبيد » . (٢) مليخ : لا طعم له ، ونحوه بعضهم بلحم الحوار الذي ينخر

حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم . (٣) وقد ورد البيتان في ديوان جرير المخطوط المحفوظ

بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥١٥ أدب ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

أَلَا زَارَتْ وَأَهْلُ مَنَى هَجُودٌ * وَلَيْتَ خَيَالَهَا بِمَنَى يَعُودُ

ويروي في الديوان : « ... لولقيت ... أيهم ... الخ » ويروي : « ... ولا يستأثرون ... الخ » .

وقد عزا صاحب الأغاني « ج ٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق » البيت الأول مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وإنا لو رأيت عبيد تيم * وتيمنا قلت أيهما العبيد
ويُقضى الأمر حين تغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود

وأحسن ما قيل في الهيبة :

يُغضى حياءً ويُغضى من مهابة * فما يكلم إلا حين يتيسر

وأغرب ما قيل في مصلوب قول محمد بن أبي حمزة مولى الأنصار :
لعمري لئن أصبحت فوق مشذب^(١) * طویل تعفيت الرياح مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مرزأ * وعوفيت عند الموت من ضغطة القبر
وأفليت من ضيق التراب وعمه * ولم تفقد الدنيا فهل لك من سكر

وأغرب ما قيل في مجوسى قول أعرابي :

شهدت عليك بطيب المشاش^(٢) * وأنت بحر جواد خضم

وأنت سيد أهل الجحيم * إذا ما ترديت فيمن ظلم^(٣)

ومن أغرب ما قيل في دعى قول إبراهيم بن إسماعيل البنوى :

لو أن موى تيم كلها تسروا * وأثبتوك لقليل الأمر مصنوع

مثل الحديد إذا ما زيد في خلق^(٤) * تبين الناس أن الثوب مرقوع

ونحوه قول الآخر :

أجارتنا بأن الخليط^(٥) فأبشرى * فما العيش إلا أن يبين خليط

أعاتبه في عرضة ليصونه * ولا علم لي أن الأمير لقيط

(١) جذع مشذب : مقرر مما عليه من الشوك . (٢) مرزأ : كريم يصيب الناس خيره .

(٣) في أساس البلاغة للزمخشري : « ومن المجاز : فلان طيب المشاش ، وأنه لكريم المشاش إذا

كان برا » . (٤) كذا بالأصل . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري المخطوط المحفوظ

بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : « النبوى » بتقديم النون على الياء ولم نوفق في المطاوعة التي

بين أيدينا إلى استنباطه . (٥) في ديوان المعاني : « إن الحديد ... الخ » . (٦) الخليط :

القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قول دُعَيْلِ فِي مَالِكِ بْنِ طَوِيقٍ :

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ * مَا بَيْنَ ذِي فَرَجٍ مِنْهُمْ وَمَهُمُومٍ
وَمَالِكٌ ظَلَّ مُشْغُولًا بِنِسْبَتِهِ * يَوْمٌ مِنْهَا خَرَابًا غَيْرَ مَرْمُومٍ
يَبْنِي بِيوتًا خَرَابًا لَا أُنَيْسَ بِهَا * مَا بَيْنَ طَوِيقٍ إِلَى عَمْرُو بْنِ كُلْثُومٍ

التلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ترك عَقِيلٌ علياً وذهب إلى معاوية ؛ فقال معاوية : يا أهل الشام ، ما ظنكم برجلٍ لم يصلح لأخيه ؟ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ، إن أنحى خيرٌ لنفسه وشرٌّ لي ، وإن معاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لي . قال : وقال معاوية يوماً : يا أهل الشام ، إن عمّ هذا أبو لهب ؛ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ، إن عمّة هذا حمالة الحطّاب ؛ وكانت أمّ جميل امرأة أبي لهب وهي بنت حرب .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو هلال عن قتادة قال قال عبيد الله ابن زياد لقيس بن عباد : ما تقول فيّ وفي الحسين ؟ فقال : أعفني أعفك الله فقال : لتقولن ؛ قال : يحيى أبوه يوم القيامة فيشفع له ، ويحيى أبوك فيشفع لك ؛ قال : قد علمت غشك وخبثك ، لأن فارقتنى يوماً لأضعن بالأرض أكثرك شعراً . قيل لميمون بن مهران : كيف رضاك عن عبد الأعلى ؟ قال : نعيم المرء عمرو^(٢) ابن ميمون .

مرّ عمر بن الخطاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، فقروا ووقف ؛ فقال له عمر : ما لك لم تفرّ مع أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أُرِم فأخافك ، ولم يكن بالطريق ضيق فأوسع لك .

حدثني الفضل بن محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله
ابن طاهر ذات يوم لرجل أمره بعمل : احذر أن تُخطئ فأعقبك بكذا (لأمر عظيم)
قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابه على الإصابتة !

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئة رائعة فسأل عنه ، فقالوا : من تغلب ، فوقف
له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قلماً وطئتا البطحاء ، فقال له :
البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة ^(١) وهي لى دونك ، وبطحاء ذى قار ، وأنا أنحق
بها منك ، وهذه البطحاء وسواء العاكف فيه والبادي ^(٢) .

حدثني مهمل عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أو غيره : أن معاوية عرس
فرساً على عبد الرحمن بن حسان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجش هنيماً ^(٣) .
يريد قول النجاشي : ^(٤)

ونجى ابن حرب ساجح ذو علالة ^(٥) * أجش هنيم والرماح دواني

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة قال أخبرنا
داود بن أبي هند عن محمد بن عباد المخزومي أن قريشاً قالت : قبضوا لأبي بكر ^(٦)

- (١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذى قار : موضع قريب من ذى قار
الذي كانت فيه الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يعول عليه في المضاف
والمضاف إليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ
الصهيل ، وهو مما يحد في الخيل . والهنيم من الخيل : الشديد الصوت . (٥) هو فريس
ابن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب . (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشي قال فيه هذا البيت
رفع ثنوديه (تنذية ثندوة وهي للرجل بمنزلة الندى للراقة) وقال : لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بمذلي
فكيف قال هذا ! راجع الشعر والشعراء للزلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية
جرى الفرس . (٨) قبضوا : هبوا وأتخبروا له .

رجلا يأخذه، فقيضوا له طلحة بن عبيد الله؛ فأتاه وهو في القوم فقال: يا أبا بكر قم إلى؛ قال: إلّا ما تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى؛ قال أبو بكر: من اللات؟ قال بنات الله، قال: فمن أمهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجيئوا صاحبكم، فسكتوا؛ فقال طلحة: قم يا أبا بكر، فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن عمر أن عمر قال: من يُخبرنا عن قنديل^(١)؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين، مأوها وشل^(٢)، وتمرها دقل^(٣)، وإصها بطل؛ إن كان بها الكثيرُ جاعوا، وإن كان بها القليلُ ضاعوا؛ قال عمر: لا يسألني الله عن أحدٍ بعثته إليها أبداً.

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعيّ قال: مريض زيادٌ فدخل عليه شريح، فلما خرج بعث إليه مسروق^(٤) [بن الأجدع يسأله] كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقال [مسروق]: إن شريحاً صاحبٌ تعريض فسألوه [فسألوه]؛ قال: تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء. ومات ابن شريح ولم يشعُر به أحدٌ، فغدا عليه قوم يسألون به، وقالوا: كيف أصبح من يصل يا أبا أمية؟ فقال: الآن سكن علزّه ورجاه أهله.

(١) كذا في معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكري، هي مدينة بالسند. وفي الأصل: «قنديل» بالفاء.

(٢) الوشل بالتحريك: الماء القليل والكثير ضد. والمراد هنا الماء القليل.

(٣) الدقل بالتحريك: أردأ التمر.

(٤) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١).

(٥) كذا في العقد الفريد وفي الأصل: «... صاحب عويص الخ».

(٦) العلز بالتحريك: الفلق والكرب عند الموت.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني بعض الأعراب قال : هَوَى رجلٌ امرأةً ثم تزوجها ، فأهدى إليها ثلاثين شاةً وزِقَامَنَ نَحْمَ ، فشرب الرسولُ في الطريق بعضَ النحر وذبح شاةً ، فقالت للرسول لما أراد الانصراف : اقرأ علي مولاك السلام ، وقل له إن شهرنا نقص يوماً ، وإن سُحِّيَا راعي شائنا أتاناً مرثوماً . فلما أتى مولاه فأخبره ضربه حتى أقز . ٥

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : خَطَبَ أعرابي إلى قوم ، فقالوا : ما تبذل من الصِّدَاقِ ؟ وأرتفع السَّجْفُ^(٢) فرأى شيئاً كَرِهَهُ ، فقال والله ما عندي نقد ، وإني لأكره أن يكون علي دين .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : قال سلم بن قتيبة للشَّعْبِيِّ : ما تشتهي ؟ قال : أعز مفقود ، وأهون موجود ، قال : يا غلام أسقه ماء . ١٠

المدائني قال : كان لابن عَوْنٍ أبْنٌ عَمٌّ يُؤْذِيهِ ، ولأحاه يوماً فقال له آبن عون ، لما بلغ منه : لتسكتن أولأشمتن مسيلمَة . فشهد بعد ذلك عند عبيد الله بن الحسن ، فردَّ شهادته .

المدائني قال : قال المغيرة بن شعبه : ما خدعني أحد قطُّ غير غلام من بلخارث بن كعب ، فإني ذكرت امرأة منهم ، فقال : أيها الأمير ! لا خير لك فيها ، إني رأيت رجلاً قد خلا بها يقبلها ، ثم بلغني بعدُ أنه تزوجها ، فأرسلت إليه فقلت : ألم تعلمني أنك رأيت رجلاً يقبلها ؟ فقال : بلى ! رأيت أباه يقبلها . ١٥

(١) مرثوم : مكسور ، يقال : رثم أنف فلان أو فود إذا كسر حتى تقطر بالدم

(٢) السجف بفتح السين وكسر ها : السر .

(٣) لاحاه : نازعه .

قال المدائني : أتى شريحاً القاضى قومٌ برجل ، فقالوا : إن هذا خطب إلينا :
فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدواب ، فلما زمرجناه ، فإذا هو يبيع السنانير ، قال :
أفلا قلمت أى الدواب تبع ! وأجاز ذلك .

المدائني قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة ، فقال له :
أتعرفه ؟ [وكان رُمى عنده بريبة] قال : نعم ، إن له بيتاً وشرفاً وقدماً ، [نخلى سبيله]
فلما خرج قال له أصحابه : أعرفته ؟ قال : لا ، ولكنى أعلم أن له بيتاً يأوى إليه ،
وشرفه أذناه ومنجابه ، وقدمه هى قدمه التى يمشى عليها .

المدائني قال : سئل الشعبي عن رجل ، فقال : إنه لنا فذ الطعنة ، ركين القعدة ،
يعنى أنه خياط [فأتوه فقالوا : غررتنا ، فقال : ما فعلت ! وإنه لكما وصفت] .

المدائني قال : أتى العريان بن الهيثم بشاب سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال :
أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وإب نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره * فمنهم قيامٌ حولها وقعود
فظن أنه من بعض أشراف الكوفة فخلاه ، ثم ندم على ألا يكون سأل من هو ،
فقال لبعض الشرط : سأل عن هذا ، فسأل ، فقالوا : هو ابن بياع الباقلى .

دخل حارثة بن بدر الغداني على زياد ، وكان حارثة صاحب شراب وبوجهه أثر ،
فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال حارثة : أصالح الله الأمير ، ركبت فرسا

(١) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) فى نهاية الأرب للتويزى (ج ٣

ص ١٥٨) : « ركين الجلسة » . وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رزين المجلس » .

(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : « الأرض » .

(٥) فى الأصل : « فقال زياد » وهو سهو من النسخ .

لِي أَشْقِرَ حَمَلَنِي حَتَّى صَدَمَ بِي الْخَائِطُ ؛ فَقَالَ زِيَادُ : أَمَّا إِنَّكَ لَو رَكِبْتَ الْأَشْهَبَ
لَمْ يُصَبِّكَ مَكْرُوهُ . عَنِ زِيَادِ اللَّيْلِ ، وَعَنِ حَارِثَةِ النَّبِيدِ .

قَعَدَ قَوْمٌ عَلَى نَبِيذٍ فَسَقَطَ ذُبَابٌ فِي قَدَحِ أَحَدِهِمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : غُطَّ التَّمِيمِيُّ ،
فَقَالَ آخَرُ : غُطَّه فَإِنْ كَانَ تَمِيمِيًّا رَسَبَ ، وَإِنْ كَانَ أَزْدِيًّا طَفَا ؛ قَالَ رَبُّ الْمَنْزِلِ :
مَا يَسِّرُنِي أَنَّهُ كَانَ [قَالَ] بَعْضُكُمْ حَرْفًا . وَإِنَّمَا عَنِيَ أَنْ أَزْدَ عُثْمَانُ مَلَّاحُونَ .

الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : رَأَى رَجُلًا فِي يَدِ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْتِيهِ خَاتَمٌ ذَهَبٍ ، فَقَالَ لَهَا :
ادْفَعِي إِلَيَّ خَاتَمَكَ أَذْكَرُكَ بِهِ ؛ فَقَالَتْ : إِنَّهُ ذَهَبٌ ، وَأَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ ، وَلَكِنْ
خُذْ هَذَا الْعُودَ لَعَلَّكَ تَعُودُ .

حَدَّثَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَهْبٍ
عَنْ أَنَسٍ قَالَ : أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُرْدَفًا أَبَا بَكْرٍ شَيْخًا يُعْرَفُ ،
وَرَسُولُ اللَّهِ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ : يَا أَبَا بَكْرَ ، مَنْ هَذَا
[الرَّجُلُ الَّذِي] بَيْنَ يَدَيْكَ ؟ فَيَقُولُ : [هَذَا الرَّجُلُ] يَهْدِينِي السَّبِيلَ ؛ فَيَحْسَبُ
السَّمَاعُ أَنَّهُ يَهْدِيهِ الطَّرِيقَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ .

كَانَ سِنَانُ بْنُ مُكَّمَلٍ النَّمِيرِيُّ يُسَافِرُ ابْنَ هُبَيْرَةَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ
هُبَيْرَةَ : غَضُّ مَنْ بَغْلَتِكَ ؛ قَالَ : كَلَّا ! إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ . أَرَادَ ابْنُ هُبَيْرَةَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

- (١) وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ فِي كِتَابِ الْحَيَوَانَاتِ لِجَاهِظٍ (ج ٣ ص ٩٧ طبع الساسي) بِتَفْصِيلٍ عَمَّا هُنَا .
وَمُلَخَّصُهُ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مِنْ الْأَزْدِ وَمَعَهُمْ رَجُلٌ عَدَوِيٌّ يَتَعَصَّبُ لِأَصْحَابِهِ مِنْ تَمِيمٍ . فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ
يَهِينُونَ تَمِيمًا عَرَضَ بِأَنَّهُمْ مَلَّاحُونَ تَعْبِيرًا لَهُمْ . (٢) زِيَادَةُ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانَاتِ لِجَاهِظٍ .
(٣) فِي الْأَصْلِ : « تَقْصُكُمْ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي كِتَابِ الْحَيَوَانَاتِ : « بَعْضُهُمْ » . (٤) الزِّيَادَةُ مِنْ
صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ الْهَجْرَةِ . (٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ (ج ١ ص ٢٩١) .
وَفِي نِهَايَةِ الْأَرْبِ لِلنُّوَيْرِيِّ (ج ٣ ص ١٦١) : « قَالَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ لِأَيُّوبَ بْنِ ظَبْيَانَ
النَّمِيرِيِّ ... الْخ » . وَفِي كِتَابِ الْكَلِمَاتِ لِلثَّعَالِبِيِّ (ص ٢٠٧) الْمَطْبُوعُ بِمَطْبَعَةِ الْجَوَائِبِ سَنَةِ ١٣٠١ هـ :
« سَايَرُ شَرِيكَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّمِيرِيِّ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ عَلَى بَغْلَةٍ بَلَغَتْ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ : أَغْضَضَ بَغْلَتَكَ ؛
فَقَالَ شَرِيكَ : إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ ... الْخ » . (٦) دُوجَرِيرٌ .

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُمَيِّرٍ * فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كَلَابًا
وأراد سنان قول الآخر^(١) :

لَا تَأْمَنَنَّ فَرَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ * عَلَى قُلُوصِكَ وَأَكْتَبَهَا بِأَسْيَارِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال معاوية للأحنف : يا أحنف ، ما الشيء
الملقف في البجاد ؟ فقال : هو السخينة^(٢) يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ * فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ بَحْثُ بَزَادٍ
بُحْبُزٍ أَوْ بَمَرٍ أَوْ بِسَمِينٍ * أَوِ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ^(٣)

وأراد الأحنف أن قريشاً تعير بأكل السخينة .

المدائني قال : سأل الحرسي أبا يوسف القاضي عن السواد ؛ فقال : النور
في السواد . يعني نور العينين في سواد الناظر .

المدائني قال : لقي شيطان الطاق^(٤) خارجي فقال : ما أفارقك أو تبرأ من علي ،
فقال : أنا من علي ومن عثمان براء . يريد أنه من علي ، وبراء من عثمان .

سمع عمر بن الخطاب امرأة في الطواف تقول :

فَمَنْهُمْ مَنْ تُسْقَى بِعَذَابٍ مُبَرَّدٍ * تُقَالِحُ فَمَنْكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قَوْرٍ^(٥)
وَمَنْهُمْ مَنْ تُسْقَى بِأَخْضَرِ آجِنٍ * أَجَاجٍ وَلَوْ لَا خَشْيَةُ اللَّهِ فَرَّتِ^(٦)^(٧)

(١) هو سالم بن دارة كما في الشعر والشعراء للزلف (ص ٢٣٧ والكامل للبرد ص ٤٨١) وخزانة
الأدب للبندادي (ج ١ ص ٨٥٥ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢) . (٢) السخينة : طعام يتخذ
من دقيق وسمن وكانت قريش تكثر من أكلها فعيّرت بها حتى سموها سخينة . (٣) البجاد : كساء
مخطط من أكسية الأعراب . (٤) الطاق : حصن بطنستان سكن به محمد بن النعمان أبو جعفر
الأحول الملقب بشيطان الطاق ؛ واليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة . (٥) التقاح : الماء البارد
العذب الصافي . (٦) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون . (٧) ماء أجاج : شديد الملوحة والمرارة .

فعلم ما تشكو ، فبعث الى زوجها فوجده متغير الفم ، فخبره بين خمسمائة درهم
أوجارية من الفئء على أن يطلقها ، فاختر خمسمائة ، فأعطاه وطلقها .

حدثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال : كنت واقفا بهذا المكان ، وأقبلت
امرأة من هذه الناحية ، وغلأم من الناحية الأخرى أبيض الوجه رائعه ، ونظرت
إليه المرأة ، فلما التفتيا قالت له : ما أسمك يا فتى ؟ قال : محمد ، قالت : ابن من ؟
قال : ابن زانة ، وتبسم عن ثغر أفلج مختلف قبيح ، فقالت : واحرباه على ما قال !
فقلت لها : قد وقعت لك عليها ، قالت : من أين ؟ قلت : من كنية أبي الخير
النصراني كاتب سعيد الحاجب . أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبي الخير الى زانة ، صار
هذا أبا الخير ، وصار هذا ابن زانية .

مر ابن أبي علقمة يجلس بنى ناجية فبكّا حمأه لوجهه فضحكوا ، فقال :
ما يضحكم ! إنه رأى وجوه قريش فسجد .

قال عمرو بن بحر قال أبو الهذيل لمحمد بن الجهم وأنا عنده : يا أبا جعفر ، إنني
رجلٌ مُنْخَرِقُ الكَفِّ لا أَلِيْقُ درهما ، ويدي هذه صَنَاعٌ في الكَسْب ولكنها في الإنفاق
نَحْرَاء ، كم من مائة ألف درهم قَسَمْتَهَا على الإخوان في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك !
أسألك بالله يا أبا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال : يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول ،
قال : فلم يَرْضْ أَنْ حَضَرْتُ حتى آسْتَشْهَدَنِي ، ولم يَرْضْ إِذْ آسْتَشْهَدَنِي حتى
آسْتَحْلِفَنِي .

(١) أفلج : متباعد ما بين الأسنان .

(٢) ناجية : قبيلة ، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك . (ياقوت) .

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هذا الخبر في كتابه « البخلاء » (ص ٨ : ١ طبع مدينة « ليدن »

سنة ١٩٠٠ م) . (٤) يقال : فلان ما يليق درهما : أي ما يمسك .

قال المدائني : بعث يزيد بن قيس الأرحبي ، وكان واليا لعل ، إلى الحسن والحسين رضي الله عنهم بهدايا بعد أنصرافه من الولاية وترك ابن الحنفية ، فضرب عليّ — عليه السلام — على جنب ابن الحنفية وقال :

وما شرّ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا^(١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفية بهدية سنينة

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني موسى بن محمد قاضي المدينة ، قال : مرّ رجل بأعرابي يوقد في أصل ميل ، فقال : كم على الميل ؟ فقال : لست أقرأ ، ولكن كتابه فيه ، قال : وما كتابه ؟ قال : محجن وحلقة سمط وثلاثة أطباء وحلقة مذنبية (يعني صورة خمسة) .

قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرعُ العصا * وما علم الإنسان إلا ليعلما^(٢)

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك ، فأراد الملك أن يبعث رائدا يرتاد له منزلا ينزله ، فبعث بعمر و فابطأ عليه . قال الملك لئن جاء ذاماً أو حامداً ليقتلنه ، فلما جاء عمرو وسعد عنده ، قال سعد للملك : أتأذن لي فأكلمه ؟ قال :

إذا أقطع لسانك ، قال : فأشير إليه ، قال : إذا أقطع يدك ، قال : فأومئ إليه ، قال : أقطع حنوء عينك ، قال : فأقرع له العصا ، قال : أقرع . فأخذ العصا فضرب بها

(١) كذا في معلقة عمرو بن كلثوم ، وفي الأصل « لا تصبحينا » ومعنى لا تصبحينا : لا تستقبه

الصباح . (٢) يريد بالحجن : رأس الخاء ، وبحلقة سمط : الميم ، وبثلاثة أطباء : السين ، وبحلقة مذنبية : الهاء . والأطباء جمع طبي بكسر الطاء وتضم : حلقات انضرع التي فيها اللبن من ذوات

الحافر والسباع . (٣) ورد هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) مع اختلاف

في الألفاظ . (٤) هو النعمان الأكبر كما في الأغاني . (٥) حنوء العين : حجاجها وهو

العظم الذي ينبت عليه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزَّها بين يديه ، فَلَقِنَ عمرو ، فقال : أَيْتَ
الْمَلْعَنَ ! أَيْتُكَ من أرض زائرها واقف ، وساكنها خائف ، والشَّيْبَعِيُّ بها نائمة ،
والمهزولة ساهرة جائعة ، ولم أر خصباً محلاً ، ولا جدياً مزللاً .^(١)

لما حُكِمَ أبو موسى وقَدِمَ ليحكم ، دَسَّ معاوية إلى عمرو رجلاً ليُعلم علمه
وينظر كيف رأيته ، فأُتاه الرجل فكلَّمه بما أمره به ، فعَضَّ عمرو على إبهامه ولم
يُجِبْه ، فنهَضَ الرجل فأتى معاوية فأخبره ، فقال : قاتله الله ! أراد أن يُعلمني أني
فَرَرْتُ قَارِحاً .^(٢)

حدَّثني أبو حاتم قال حدَّثني الأصمعي قال حدَّثنا عيسى بن عمر قال : سأل
الحجاج جبر بن حبيب عن رجل ، وكره أن يعاقبه إن دلَّ عليه ، فقال : تركته والله
جسداً يُحَرِّكُ رأسه يُصَبُّ في حلقه الماء ، والله لئن حِمِلَ على سريره ليَكُونَنَّ عليه
عورة ، قال : فتركه .

حدَّثني القاسم بن الحسن عن خالد بن خَدَّاش عن حماد عن عُمَاجِدٍ
ابن رُوذِيٍّ قال : خَطَبَنَا عَلِيٌّ عليه السلام فقال : لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل
عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا أدخلها ، فقيس له :^(٣)

- ١٥ (١) لقن كفرج : فهم (٢) كذا في الأصل . وورد الخبر في مجمع الأمثال للبدياني
(ج ١ ص ٣٢ طبعة بولاق) : « ... فأقبل عمرو حتى قام بين يدي الملك فقال له : أخبرني ، هل حدثت
خصباً أو ذمت جدباً ؟ فقال عمرو : لم أذم هزلاً ، ولم أحمد بقلاً ، الأرض مشكلة ، لا خصبها يعرف ،
ولا جدبها يوصف ، رائدها واقف ، ومنكرها عارف ، وآمنها خائف ، قال الملك : أولى لك » . وورد
هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كما ورد في مجمع الأمثال وفيه « لم أذم جدباً »
بدل « لم أذم هزلاً » . (٣) فَرَّ الدابة فَرّاً وفراراً : كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها .
والتقارح من ذي الحافر : الذي طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل ، والمراد هنا أنه اختبر محنكاً .
(٤) كذا في الأصل . ولم نعثَر على هذا الاسم . (٥) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠) :
« لا دخلتها أبداً » .

ما صنعت ! فَرَقَتِ النَّاسَ ! نَخَطَبُهُمْ فَقَالَ : إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي قَتْلِ عُمَانَ ، أَلَا وَإِنْ
اللَّهُ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ ؛ قَالَ : فَخَدُّنَا خَالِدٌ عَنْ حَمَادٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
سِيرِينَ قَالَ : كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ لَهَا وَجْهَانِ . أَيْ وَسَيَقْتَلُنِي مَعَهُ .

سَأَلَ زِيَادُ رَجُلًا بِالْبَصْرَةِ : أَيْنَ مَنْزِلُكَ ؟ فَقَالَ : وَأَسِطُ ، قَالَ : مَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟^(١)
قَالَ : تِسْعَةٌ . فَلَمَّا قَامَ ، قِيلَ لَزِيَادَ : كَذَبْتَ فِي كُلِّ مَا سَأَلْتَهُ ، مَا لَهُ إِلَّا ابْنٌ وَاحِدٌ ، وَإِنْ
مَنْزَلُهُ بِالْبَصْرَةِ . فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ ، قَالَ : ذَكَرْتَ أَنَّ لَكَ تِسْعَةً مِنَ الْوَلَدِ ، وَأَنَّ مَنْزِلَكَ
بِوَأَسِطَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : خَبَرْتُ بِغَيْرِ ذَلِكَ ؛ قَالَ : صَدَقْتُ وَصَدَقُوكَ ، دَفَنْتُ^(٢)
تِسْعَةَ بَنِينَ فَهَمُّ لِي ، وَلِيَ الْيَوْمَ ابْنٌ وَاحِدٌ وَلَسْتُ أَدْرِي أَيْكُونُ لِي أُمٌّ لَا ؛ وَأَمَّا
مَنْزِلِي فَالِي جَانِبِ الْجَبَانِ بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا وَأَهْلِ الْآخِرَةِ ، فَأَيُّ مَنْزِلٍ أَوْسَطُ مِنْهُ !^(٣)
قَالَ : صَدَقْتَ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عِيسَى بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ الْمُخْتَارُ لِحَنْدِهِ : يَا شُرْطَةُ
اللَّهِ ، لَيُخْرِجَنَّ إِلَى قَرِيبٍ عَلَى الْكُعْبَةِ الْحَرَامِ دَابَّةً^(٤) لَهُ سِتُّ قَوَائِمٍ وَلَهُ رَأْسٌ بِلَا عُنُقٍ ،
ثُمَّ آتَيْتُ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ فَقَالَ : أَعْنَى الْيَعْسُوبُ .

كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا لَمْ يُعْجِبْهُ الرَّجُلُ قَالَ : مَا هُوَ بِأَعْجَبَ النَّاسِ إِلَى .

بَلَغَنِي عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَيَّانَ عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَّالَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ
يَسَارٍ ، قَالَ : كَانَ أَبِي إِذَا غَضِبَ عَلَى الْبَيْمَةِ ، قَالَ : أَكَلَتِ سَمًا قَاضِيًا .

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٠) : « كَمْ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ » .

(٢) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٠) : « ... لِي تِسْعَةٌ مِنَ الْوَلَدِ قَدِمَتْ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ فَهَمُّ لِي وَبَقِيَ

مَعِيَ وَاحِدٌ ، فَلَا أَدْرِي أَلَى يَكُونُ أُمٌّ عَلَيَّ » .

(٣) الْجَبَانُ وَالْجَبَانَةُ بِالتَّشْدِيدِ : الْمَقْبَرَةُ . (٤) تَقَعُ الدَّابَّةُ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ ؛ فَيُقَالُ

هَذَا دَابَّةٌ وَهَذِهِ دَابَّةٌ .

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا أبو المنهال البكرأوى^(٢) قال :
كان الحسن إذا أخذ من لحية شيء ، قال : لا يكن بك سوء .

وقيل للحسن : أتى رجل صاحباً له في منزله وكان يصلي ، فقال : أدخل ؟ فقال
في صلاته : (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن علي إذا رأى مبتلىً أخفى الاستعاذة . وكان لا يسمع من دأره
ياسائل بورك فيك ، ولا ياسائل خذ هذا ، ويقول : ستموهم بالحسن الجميل عباد
الله ، فتقولون : يا عبد الله بورك فيك .

قيل لعل بن أبي طالب عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة^(٣)
مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعني للشمس) .
كان رشم^(٤) عمر بن مهران الذي يرشم به على طعامه : اللهم أحفظه ممن يحطفه .

خرج رجل من بني أسد بإبل له يسقيها ، ومعه آبنة له جميلة عاقلة ، حتى دفع
إلى ماء لبنى فزارة ، فسألهم أن يأذنوا له في سقي إبله ؛ فقالوا : على ألا تجأجئ بها ،
قال : فإذا لا تشرب شرب خير ؛ قالوا : إن رضىت وإلا فأنصرف ؛ فقالت له
الجارية : اشترط لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلو ، وجعلت الجارية ترتجز
وتقول :

(١) هو بمجمعتين كما في تهذيب التهذيب ، وفي الأصل «أنحزم» بأخاء المهملة وهو تحريف .

(٢) البكرأوى بفتح الباء وسكون الكاف بعسدها الراء المهملة منسوب إلى أبي بكر الثقفي وهو من
الصحابه الذين نزوا البصرة رضي الله عنهم كما في كتاب الأنساب للسمعاني .

(٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مسيرة ساعة لدعوة مستجابة» .

(٤) الرشم : ختم الخنطة بالروشم ، والروشم لوح منتوش تحتم به الياذر .

(٥) جأجأ بالإبل : دعاها لورود الماء لتشرب بقوله : جى . جى .

جارية شَبَّتْ شبابَ العُسلِجِ * ذاتُ وشاحينِ وذاتُ دُمَلِجِ^(١)
وذاتُ نَعْرِ أَشْنِبِ مُفَلِّجِ * وذاتُ خَلْقٍ مُسْتَبِ مُدْمِجِ^(٢)

في أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رَوَيْتُ من غير أن جأجا بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازرا ولا يتنحنج ، فلما شربه

[و]تَقَطَّعَ^(٤) في حلقه ، قال : كَبَشُ أُمْلَحٍ ، فقال صاحبه : فَعَلَهَا وَرَبَّ الكعبة ! فقال :

من فعلها فلا أفلح . وكان ما تبايعا عليه كبشا .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي معه شَاءٌ : لمن هذه الشاء ؟ فقال : هي لله عندي .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عمارة بن زاذان قال حدثنا

أبو الصهباء قال : قال الحجاج لسعيد بن جبير : اخْتَرُ أَيَّ قَتْلَةٍ شِئْتَ ، فقال له :

بل اختر أنت لنفسك ، فإن القصاص أمانك .

ولِي هَرْتُمَةُ الحرس مكان جعفر بن يحيى ، فقال له جعفر : ما آتَيْتَ عَنِي نَعْمَةً

صارت إليك .

أمر الحجاج ابن القريّة أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ، ويمتعتها

ب عشرة آلاف درهم ، فأتاها فقال لها : إن الحجاج يقول لك : كُنْتَ فِينَتْ ، وهذه

عشرة آلاف مُتَعَةٍ لك ، فقالت : قل له : كُنَّا فَمَا حَمَدْنَا ، وَبِنَا فَمَا نَدِمْنَا ، وهذه

العشرة الآلاف لك بشارتك إياي بطلاقي .

(١) العسلج : الفصن الناعم . والدملج : ما يشد على العضد من الخلي .

(٢) الثغر الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستتب : مستقيم . ومدمج : مكثر غير مسترخ .

(٣) اللبن الحازر : الحامض

(٤) زيادة يقتضيه الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر في المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢٤٠) بتبسيط عما هنا

سئل سفيان بن عيينة عن قول طاووس في ذكاة السمك أو الجراد؛ فقال آبه عنه : ذكاته صيده .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُدرة يقال له يزيد بن المقنع ، وأخترط من سيفه شبرا ، ثم قال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار إلى معاوية ، فإن يهلك فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فمن أبى فهذا ، وأشار إلى سيفه . فقال معاوية : أنت سيد الخطباء .

قال رجل من أهل الخجاز لابن شبرمة : من عندنا خرج العلم ؛ قال ابن شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال المدائني قال معاوية لابن عباس : أتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم ؛ فقال ابن عباس : وأتم يا بني أمية تصابون في بصائرهم . وقال له معاوية : ما أئين الشبق في رجالكم ! فقال : هو في نساءكم آيين .

أبو اليقظان قال : قال ابن ظبيان التيمي لزُرعة بن صمرة : اتمد طلبتك يوم الأهواز ولو ظفرت بك لقطعت منك طائفاً سخناً ؛ قال : أفلا أدلك على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع ؛ قال : بلى ! قال : بطريين إسكتي أمك .

أبو اليقظان قال : بعث الحجاج إلى الفضيل بن بزوان العدواني ، وكان خيراً من أهل الكوفة ؛ فقال : إني أريد أن أولئك ؛ قال : أو يعنيني الأمير ؛ فأبى وكتب عهده ، فأخذه وخرج من عنده فرمى بالعهد وهرب ، فأخذ وأتى به الحجاج ، فقال : يا عدو الله ؛ فقال : لست لله ولا للأمير بعدو ؛ قال : ألم أكرمك ؛ قال : بل أردت أن تهينني ؛ قال : ألم أستعملك ؛ قال : بل أردت أن تستعبدني ؛ قال :

٢٠ (١) أي استله من غمده بتقدار شهر . (٢) في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) الآية ؛ قال : ما استوجبت واحدة منهم ؛ قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك . وأمر رجلا من أهل الشام أن يضرب عنقه .

سليمان بن أبي شيخ قال حدثني حجر بن عبد الجبار عن عبد الملك بن عمير قال :
(١١) كان في مجلس زياد ، الذي يجلس فيه للناس بالكوفة ، في أربع زوايا كتاب بقلم جليل : "الوالى شديد في غير عنف ، أين في غير ضعف ؛ الأعطية لإبائهم ، والأرزاق لأوقاتهم ؛ البعوث لا تجبر ؛ المحسن يجزى بإحسانه ، والمسيء يؤخذ على يديه" كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدثنا أبو سفيان الحميري قال : أبلى أبو جهم بن كنانة يوم الراوية ، فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة ، قال له الحجاج : قد زدناك في اسمك ألفا ولما فأنت أبو جهم ، وزدنا في عطائك ألفا .

العباس بن بكار عن عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : قال معاوية لشداد بن أوس : يا شداد ، أنا أفضل أم علي ؟ وأينا أحب إليك ؟ فقال : علي أقدم هجرة ، وأكثر مع رسول الله إلى الخير سابقا ، وأشجع منك قلبا ، وأسلم منك نفسا ، وأما الحب فقد مضى علي ، فأنت اليوم عند الناس أرجى منه .

قال الأحنف لمعاوية في كلام : أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ، وسره وعلايته ، فلا تُلغمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة .

(١) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٤) هكذا : « كان في مجلس زياد مكتوب : الشدة في غير عنف ، وأين في غير ضعف ؛ المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته ؛ الأعطيات في أيامها ؛ لا احتجاب عن طارق ليل ، ولا صاحب ثغر » . (٢) تجير البعوث : جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهلهم . ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جمر بعوث فارس . وروى الربيع أن الشافعي أنشده :

خطب الجحاج فشكا سوء طاعة أهل العراق؛ فقال جامع المحاربين: أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شئتوك لنفسك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية فيمن دونك تعطيها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعيدك؛ فقال الجحاج: والله ما أراى أردني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف؛ فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار؛ قال الجحاج: الخيار يومئذ لله؛ قال: أجل! ولكك لا تدري لمن يجعله الله؛ فقال: ياهناه، إنك من محارب! فقال جامع:

وللحرب سميناً ونكماً محارباً * إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمر

فقال الجحاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك؛ فقال له يا حجاج: إن صدقناك أغضبك، وإن كذبناك أغضبنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.

قال الأصمعي أخبرنا شيخ من قضاة، قال: ضلنا مرة الطريق فاسترشدنا عجوزاً؛ فقالت: استبطن الوادي وكن سيلاً حتى تبلغ.

ابن الكلبي قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت يهودي ابن يهودي، إن ظفرك أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفرك أبغضهما إليك قتلك ونكل بك، وقد كان أبوك وترقوسه ورمى غرضه، فأكثر الحز وأخطأ

(١) في الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما في البيات والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك» . (٢) هن: كلمة يكتفى بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت مذكراً بغير التصريح باسمه قلت: يا هن أقبل، وقد تراد الألف والهاء فيقال للرجل: ياهناه أقبل، بضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم، وبكسرهما لاجتماع الساكنين . (انظر اللسان مادة هنا) . (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليسبيج وكتب عليها بأسفل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة» . (٤) في الكامل: «إلى قيس بن سعد وهو والى مصر لعل بن أبي طالب» .

المفصل ، نخله قومه ، وأدركه يومه ؛ ثم مات طريداً بحوران ؛ والسلام . فكتب إليه قيس بن سعد : أما بعد ، فإنما أنت وثن ابن وثن^(١) ، دخلت في الإسلام كرها وخرجت منه طوعاً ، لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك ، وقد كان أبي وترقوسه ورمى غرضه ، وشغب^(٢) عليه من لم يبلغ كعبه ولم يسق غباره ، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه ، وأعداء الدين الذي خرجت إليه ؛ والسلام .

قال يحيى بن سعيد الأموي : سمعت الأعمش يقول لخالد بن صفوان : شعرت أن منزلك لا يعرف إلا بي حتى يقال عند منزل الأعمش ؛ فقال خالد : صدقت ، مثل حمام عنقرة ، ويقال وردان وبيطار (حيان) .

قال الربيع لشريك بين يدي المهدي : بلغني أنك خنت أمير المؤمنين ؛ فقال شريك : لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبك .

قال رجل من العرب : أريت البارحة في منامي كأنني دخلت الجنة فرأيت جميع ما فيها من التصور ، فقلت : لمن هذه ؟ فقيل : للعرب ؛ فقال رجل عنده من الموالى : أصعدت الغرف ؟ قال : لا ؛ قال : فلك لنا .

وكتب قتيبة بن مسلم إلى عبيد الله بن زياد بن ظبيان : أما بعد ، فإن عشمشم أعشى الشجر . فكتب إليه ابن ظبيان : من ذلك الشجر كان يربط^(٤) أبيك . يعني مسلم بن عمرو ، وكان مغنياً ليزيد بن معاوية .

(١) كذا بالأصل والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٤٣ طبع مطبعة الفتح الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ) والكامل للبرد (ص ٢٩٨) رعلها : ربنى ابن وثنى ، نسبة إلى الوثن وهو الصم . (٢) شغب عليه (بالتشديد) : هيج عليه الشر . (٣) كذا بالأصل ، ولم توفق إلى تحقيقه أو فهم التعريض منه . (٤) البربط بكسر : العود من آلات الموسيقى ، وقيل هو معرب «بربط» بكسر الراء ، كما هو مضبوط في الأصل هنا ، ومعنى يربط بالفارسية : صدر الإوز ، أطلق على العود لشبهه به .

قال بجر بن الأحنف لجارية أبيه زبراء : يا فاعلة ؛ فقالت : لو كنت كما تقول
أتيت أباك بمثلك .

وقال رجل لابنه : يا ابن الفاعلة ؛ فقال : والله لئن كنت صدقت ما فعلت
حتى وجدتك فحل سوء .

أنت ابنة الخس عكاظ ، فأثاها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها ، فقال لها :
إني أريد أن أسألك ؛ قالت : هات . قال : كاذب ؛ فقالت : المتعل يكون راجيا .
قال : كاذب ؛ قالت : الفقر يكون كغفرا . قال : كاذب ؛ قالت : العروس تكون مليكا .
قال : كاذب ؛ قالت : النعامة تكون طائرا . قال : كاذب ؛ قالت : السرار يكون سحرا .
ثم قالت للرجل : أسألك ؛ قال : هاتي ، قالت : عجبت ؛ قال : للسياخ لا ينبت
كلؤها ولا يحف ثراها . قالت : عجبت ؛ قال : للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم
كبيرها . قالت : عجبت ؛ قال : لشفر ك لا يدرك فقره ولا يملأ حفره .

المدائني قال : كان عرام^(١) بن شثير عند عمر بن هبيرة ، فألقى إليه ابن هبيرة خاتمه
وفضه أخضر ، فعقد عرام في الخاتم سيرا . أراد عمر قول الشاعر :

لقد زرق عيناك يا ابن مكعب^(٢) : كما كل ضبي من اللؤم أزرق
وأراد عرام :

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك وأكتبها بأسيار

قال جرير للأخطل : أرتقت نومك ، واستهضمت قومك ؛ قال الأخطل :
قد أرتقت نومي ، ولو نمت كان خيرا لك .

(١) كذا في الطبري (طبع أوروبا ص ١٢٠٣ — ١٢٠٤ من القسم الثاني) . وفي الأصل :

”عذام“ بالذال المعجمة . (٢) كذا في اللسان مادة ”زرق“ والأغاني (ج ١٩ ص ٤٩ طبع

بولاق) وفيه ينسب الشعر إلى سويد بن أبي كاهل . وفي الأصل : « كما ظل ظبي ... » وهو تحريف .

أراد معاوية أن يخطب بصفتين فقال له عمرو بن العاص : دعني أتكلم ، فإن أتيت على ما تريد وإلا كنت من وراء ذلك ، فأذن له ، فتكلم بكلمات ، قال : قدموا المستليمة^(١) وأخروا الحسر ، كونوا مقصّ الشارب ، أعيرونا أيديكم ساعة ، قد بلغ الحق مَفَصَلَه ، إنما هو ظالم أو مظلوم .

- ٥ حدثني ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن التيمي عن عبد الله بن أحمد بن الوضاح ، قال : دخل أعرابي على عبد الملك بن مروان^(٢) ، فقال له : يا أعرابي صف الخمر فقال : شمول إذا شجبت وفي الكأس مرة * لها في عظام الشاربين دبيب تريك القدي من دونها وهي دونه * لوجه أخيها في الإناء قطوب فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد آتتهمك ، عندي حسن صفتك لها ، قال : يا أمير المؤمنين وآتتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها .
- ١٠

مقطعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام

- لو أخطأت سبيل إرشادك ، لما أخطأت سبيل حسن النية فيما بيني وبينك .
لو خطر ذلك بيالي من فعلك ، ما عرضت ستر الإخفاء للهتك بيني وبينك .
قد أحسنت في كذا قديما ، وفعلك كذا إحدى الحسنيين بل أطفهما موقعا .
أنت رجل لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك . فقدم على نفسك من^(٣) قدمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرت بيالي في وقت من الأوقات إلا مثل الذكرك مني محاسن تزيدني صباية إليك وضنا بك واغتيابا بإخائك . لعل الأيام
- ١٥

(١) المستليمة : الطائفة التي عليها اللأم وهي الدروع .

(٢) الذي في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : «دخل ابن الأقرع على الوليد بن يزيد...»

٢٠ «وورد فيه الشطر الأول من البيت الأول هكذا : «كيت اذا شجت وفي الكأس وردة» .

(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفي الأصل : «آتهم على نفسك ...» .

أَنْ تُسَهِّلَ لِأَخِيكَ السَّبِيلَ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ نَفْسُكَ مِنْ بَرَكَ وَمُعَاوَضَتِكَ بِبَعْضِ
مَا سَلَفَ لَكَ .

ما هذا النَّبَأُ الْعَجِيبُ الَّذِي إِلَى جَانِبِهِ فِطْنَةٌ لَطِيفَةٌ . حَكْمُ الْفَلَتَاتِ خِلَافُ
حَكْمِ الْإِصْرَارِ .

مَنْ أَخْطَأَ فِي ظَاهِرِ دُنْيَاهُ وَفِيهَا يُؤْخَذُ بِالْعَيْنِ ، كَانَ حَرِيًّا أَنْ يُخْطِئَ فِي بَاطِنِ
دِينِهِ وَفِيهَا يُؤْخَذُ بِالْعَقْلِ .

وَمَنْ أَوَّلَ مَا أَحَبَّ أَنْ أُوتَرَكَ بِهِ وَأَقْضَى فِيهِ وَاجِبَ حَقِّكَ ، تَنْبِيهُكَ عَلَى عَظِيمِ
مَا لَكَ عِنْدَكَ ، وَحَثُّكَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ مِمَّا يَزِيدُكَ .

مَنْ كَانَ بِمَثَلِ مَوْضِعِكَ بِجُمُوعِ لَهُ حَمْدُ إِخْوَانِهِ وَرِضَا مُعَامِلِيهِ وَالِاسْتِقْصَاءُ مَعَ
ذَلِكَ لَمْ يَسْتَكْفَاهُ ، فَقَدْ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَعْلَمُ بِمَا أَسْمَعُ فَيْكَ إِلَّا أَنَّكَ كَذَلِكَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

مَا أَغْنَى الْفَقِيرَ عَنِ الْحَمْدِ ، وَأَحْوَجَهُ إِلَى مَا يَجِدُ بِهِ طَعْمَ الْحَمْدِ !
قَدْ حَسَدْتُكَ مِنْ لَا يَنَامُ دُونَ الشِّفَاءِ ، وَطَلَبْتُكَ مِنْ لَا يَقْصُرُ دُونَ الظَّفَرِ ، [فَأَشَدُّ
حَيَازِيْمَكَ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ] .

أَنْتَ تَجْنِي عَلَى مَالِكَ لِتُتْلِفَهُ بِأَسْبَابِ الْعِلَالِ ، كَمَا يَدْفَعُ عَنْ مَالِهِ الْبَخِيلُ بِوَجْهِهِ
الِاعْتِلَالِ . أَنْتَ طَالِبُ مَغْنَمٍ ، وَأَنَا دَافِعُ مَغْرَمٍ ، فَإِنْ كُنْتَ شَاكِرًا لِمَا مَضَى ، فَاعِذِرْ
فِيمَا بَقِيَ . مَكْرُكَ حَاضِرٌ ، وَوَفَاؤُكَ مُتَأَخِّرٌ . أَنَا رَاضٍ بِعَفْوِكَ ، بِأَنْزِلُ لِمَجْهُودِي .

نَوَائِبُ الْأَيَّامِ رَمَتْ بِهِ نَاحِيَتِكَ ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ أَنْبَأَكَ ظَاهِرَهُ عَنْ بَاطِنِهِ وَدَعَاكَ إِلَى
مُحَبَّتِهِ قَبُولُهُ ، وَهُوَ فِي الْأَدَبِ بِحَيْثُ الْمُسْتَغْنَى عَنِ النَّسَبِ .

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ "وَمُعَاوَضَتِكَ" . (٢) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . فِي الْأَصْلِ : "وَفِيهَا تَوْحِيدٌ..." .

(٣) فِي الْأَصْلِ : "السَّفَا" . (٤) زِيَادَةٌ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . (٥) فِي الْأَصْلِ : "السَّبَبُ" .

قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم وإلا يكون غيرك فيما يبلغك أوثق من نفسك
فيما تعرفه .

هذا فلان قد أتك على رقة من حاله وبعيد من شقته، فنشدتك الله أن تقدم
شيئا على تصديق ظنه وسد خلته وبلى ما يبتست هذه النكبة من أديمه، فإنه غدي
نعمة وخدين مروءة .

أنا أسأل الله أن يُجزي ما لم تزل الفراسة تعدينيه فيك . الحرية نسب .
فهمت ما اعتذرت به في تأثرك، وغضضت به مني طرفا طامحا إليك ونفسا تواقا
الى قربك .

وصل كتابك فكان موقعه موقع الروح من البدن . فإن أمير المؤمنين يجب
ألا يدع سبيلا من سبل البر وإن عفا ودثر إلا أناره وأوضح محجته ، ولا خلة من
خلال الخير لا أول لها إلا أهبل الفرصة في إنشائها ، واختيار مكرمة ابتدائها ، لتجب
له مساهمة الفارط في أجره ، ويكون أسوة الغابر في ثوابه .

لولا وجوب تقديم العذر لصاحب السلطان ، في الذهول عن مواصلة من
يجب عليه مواصلته ، بما يستولى عليه من الشغل بعمله ، إذا لكثرة العتب .

إنك لكل حسن أبليته ، ومعروف أسديته : وجميل أتيتته ، وبلاء كان لك
ربيتته ، أهل في الدين والحسب القديم .

لك — أعزك الله — عندي أياد تشفع لي الى محبتك ، ومعروف يوجب
عليك الرب والإتمام .

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة .

وفي العقد الفريد «الود والإتمام» .

أفعال الأمير مختارة كالأماني ، متصلة عندنا كالأيام ، ونحن نختار الشكر لكرم فعله ، ونواصل الدعاء والذي كر مواصلة برّه .

أبدأ بذكر يدك التي أجارتني على صرف الزمان ، ووقفتي نوائب الأيام ، وثمرت لي بقية النعمة ، وصانت وجهي عن استعباد من الرجال ، وبسطت لي الأمل في بلوغ ما ناله بك من رفعت خسيته ونوهت بذكره ، وأعانتي على اتباع مذهب الماضين من سلفي في الوفاء لكم ، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدي غيركم ، حتى خالست لهم منكم فعزوا ، ولم يشغلوا شكرهم بغيركم حين شكروا ، ولم يحتملوا صنيعه لسواكم لما اعتقدوا ، ولم تشعبهم الدنيا عنكم إذ اضطروا .

إن الله أحلك منا أهل البيت محلاً نراك به عوضاً من الغائب ، وخلفاً من^(١) المالك ، ونجذك مخصوصاً بضرائنا إذ كنت ولي سرائنا ، وكنا لك كالجوارح نألم لكل ما ألم منها .

نحن نعوذ بالله من سخطك ، ونستجير به من غضبك ، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين ، كما سمعت قصص الكاذبين ، فإننا على سلامة مما رقبه^(٢) .

كتبي — أعزك الله — تأتيك ، في الوقت بعد الوقت ، على حسب الدواعي ، وإن كان حقت يلزمي ألا تعبك ، أولاً ما أتذكر من زيادتها في شغلك . أنت الحامل لكل إخوانه ، الناهض بأعباء أهل موته ، الصابر على ما ناب من حقوقهم .

كنت أمس — أكرمك الله — عيسلاً ، وركبت اليوم على ظلع^(٣) ظاهر ورقة شديدة ، فلما أنصرفت أمرت بإغلاق الباب للتودع ، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادك صديقك بما يستدعي عتبك عليه وعتبه عليك ما وافق .

(١) في الأصل : «أهلك ...» . (٢) أي رقبه اليك من الأخبار الكاذبة .

(٣) في الأصل : «ضلع»

لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتاب اليك في الحاجة ، فأتوقف أحياناً توقف
 المبقى عليك من المؤونة ، وأكتب أحياناً كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتد منك على
 المقة ، لا أعدمنا الله دوام عزك ، ولا سلب الدنيا بهجتها بك ، ولا أخلاناً من الصنع
 [الله] على يدك وفي كنفك ، فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجسد للحياة طعماً وندي إلا
 في ظلك .

إن كان هذا مما ترضاه لي ، فليست ألتمس أكثر منه ، وقوفاً بنفسى عند الحظ
 الذي رضىته لي .

أنا والله أراك في رتبة المنعم إجلالاً ، وبحل الشقيق من القلب محبة وإخلاصاً .
 أما شكرى فمقصود على سالف أياديك ، وبه قصور عنه فكيف يتسع
 لما جددته ! .

لله عندك نعم جسام تتقاضاك الشكر . وقال الله شر نفسك ، فإنها أقرب
 أعدائك إليك .

ولم أزل ورجلاً من حادثة كذا عليك ، إذ كان ما ينالك — لا أنا لك الله سوءاً —
 متصلاً بي ومدخلاً للضرر على في ركن منك أعتمد عليه ، وكنت لك استذرى به .

وصل الى كتاب منك ، فما رأيت كتاباً أسهل فنونا ، ولا أملس متوناً ، ولا أكثر
 عيوناً ، ولا أحسن مقاطع ومطالع ، ولا أشد على كل مفصل حراً منه ، أنجزت فيه
 عدة الرأي وبشرى الفراسة ، وعاد الظن بك يقيناً ، والأمل فيك مبلوغاً .

لا غيبك الله عن مواطن العز والصنع ، وأشهدك إياها بعلو يدك ، وهبوب
 ريحك ، وأستقادة جميع أهلها بزمام طاعتك .

(١) كذا وردت هذه الجملة من هذا الفصل في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفي الأصل :
 « لا أزال قد سلت الكتاب ... الخ » وهو غير مستقيم . (٢) في العقد الفريد : « المحفف
 منك ... » . (٣) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد .

قد رميت غرض الحق بسهم الباطل وحللت عقال الشر .^(١)

كنت سالما إن سلمت من عتبك .^(٢)

أنا أتوسل اليك بحسن ظني بك ، وأسألك بحق صبري على ظامك لما أسعفت
بما سألتك .

ليس ينبغي لك أن تستبطئ فهمي وقد أسأت إلهامي .

من أبعد من البر من مريض لا يؤتى في دائه إلا من جهة دوائه ، ولا في علته
إلا من قبل حميته ! .

أست في حال يقيم عليها حراً أو يرضى بها كريم ، وليس يرضى بهذا الأمر إلا من
لا ينبغي لك أن ترضى به .

قد شئت في ذراك وهربت في ظلك ، فإما رددت على شبابي وأعدت إلى
قوتي ، وإما دفعت إلى ما ينوب عن الشباب ويجهز الضعف ، ولا بد من أحدهما ،
فاختار لنفسك وأخرج إلينا من هذا الدين ، ففسد أمسكنا عن التقاضى ما أمكن ،
وصبرنا على المواعيد ما صلح ، ودعنا من الحوالة فإن الصنية لا تتم بالحوالة ، وإن
جاز أن نقيم لنا زعيماً بالنعمة ، جاز أن نقيم لك زعيماً بالشكر . وإن جاز أن تؤمك
ويحقق آمالنا غيرك ، جاز أن نشكر غير المنعم ونأمل غير المصطنع .

ما أستعظم أن تسبق إلى حسن بل أستعظم أن تسبق إليه وتغلب عليه .

لئن كنت جاوزت بي قدرى عندك لما بلغت بك أمل فيك .^(٤)

لا يقبضك عن الأنس بي تقصيرك في البر .

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصل . وظاهر أن فيها تبديلاً ونقصاً . ولعل صوابها : قد رميت

غرض الباطل بسهم الحق ، وحللت عقال الشريد الخير . (٢) في الأصل : " كنت ... " .

(٣) في الأصل : « ولا يرضى بها ... » وهو غير مستقيم . (٤) في الأصل « إن كنت ... » .

بلغتني عِلَّتُكَ فَنالني من أَلَمِها ، وغالني مما مَسَّكَ فيها حسبُ حَقِّكَ وما يُخَصِّني
من كلِّ حالٍ تصرَّفتُ بك .

أعتذر إليك من تأخر كُتُبِي عنك بترامي النُقْلة وتقاذف الغُرْبَة وعدم الطمأنينة ،
فإني منذ فارقْتُكَ كما قال القائل :

وكنْتُ قَدَاةَ الأرض والأرض عَيْنُها * تُجَالِجُ شَخْصِي جَانِبًا بَعْدَ جَانِبٍ ٥
إِنِّي — أَعَزُّكَ اللهُ — على تَشْوِيقِكَ مَتْرِيدًا ، فَمَا أُحَاشِي بِكَ أَحَدًا ، وَلَا أَقِفُ
لَكَ على حَسَنَةٍ يَوْمًا إِلَّا أَسْتَنِيهَا لَكَ فَضْلَةً غَدَةً .

الحمد لله الذي جعل الأمير معقودَ البتة بطاعته ، مطوى القلب على مُناصحته ،
مشحودَ السيف على عدوه ، ثم وهب له الظفر ، ودوخ له البلاد ، وشرّد به العدو ،
وخصّه بِشَرَفِ الفُتُوحِ العِظَامِ شرقًا وغربًا ، وبرًا وبحرًا . ١٠

إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك ، وفِرطَ الجَزَعِ من فِرَاقِكَ ، وظلمة الأيام
بعْدَكَ ، وأقول كما قال حبيب بن أوس :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدَهَا ، قَلَمًا تَعَشَّرِفُ فَقَدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيَا
ورد كتابك ، فيأله واردًا بالرّئي على ذى ظمًا ! ما أنقعه للغليل ، وأعدّل شهادته
لَكَ بِكُرمِ العقد ، وصدقِ الود ، وحُسنِ المغيب ، ورعاية حقِّ التَّحَرُّمِ ، وبُعْدِ الشِّيمَةِ ١٥
من شِيمِ أهل الزمان إلا من عصم الله . وقليل ما هم ، والله أبواك لقد أوجدك .

قد أجلّ الله خطرك عن الاعتذار ، وأغناك في القول عن الاعتلال ، وأوجب علينا
أن نقنع بما فعلت ، ونرضى بما أتيت وصلّت أو قطعت ، إذ وثقنا بحُسن نيتك وثقاء
طويتك ، وألزمنا أن نأخذ أنفسنا لك بما لا نُحْمَلُكَ مثله ، ولا نلتمس منك مقابلةً به .

ما أحركتني عنك إلا ما أنا عليه من إشار التخفيف بقطع الكتب، إلا عند
حق يقع فأقضيه، أو نعمة تحدث فأهني بها، والقصد للزيادة في البر بالزيارة
في الغيب، وأستدعاء دوام الوداد بانتهاز فرص الوصل.

وكتبت إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

أما شكرى للأمر على سالف معروفيه فقد غار وأنجد . وأما آتته إلى الله
في جزائه عني بالحسن في إخلاص النية عند مظان القبول . وأما أمني فأحياء على
بعد العهد بلاؤه عندي، إذ كان ما تقدم منه شافعا في المزيد، وفسحة وعده إياي
عند مفارقتي له، إذ كان مؤذنا بالإيجاز . وأما زللي في التأخر عما أوجب الله عليّ له،
فقرؤن بالعقوبة فيما حرّمته من عزّ رياسته، ونباهة صحبته، وعلو الدرجة به، وإن
كنت سائرا أيام انقطاعي عنه مُعتقلا بسبب لا خيار معه . مكاتبك — أعزك الله —
وأنا مجاورك ببلد دون السعي اليك مجالا لتدرك مما أكبر . لا أفيك بكتابي هذا فلان،
وله على حقّ عمّ المسلمين فلزمني بازومه لهم، وحقّ خصني بالحُرمة والعشرة.
فرأيتك في كذا إن سهل السبيل إلى ذلك ورّحّب، وإن يعق عائق فلست على جميل
رأي عندي بمتهم .

للتفضل أن يخصّ بفضل من يشاء، والله الحمد ثم له فيما أعطى، ولا حجة عليه

فيما منع .

مُسْتَعْفِي السَّاطِنِ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ : رَجُلٌ آثَرَهُ اللَّهُ وَمَا عِنْدَهُ ، وَأَسْأَلَ اللَّهَ تَوْفِيقَهُ .
وَرَجُلٌ عَجَزَ عَنْ عَمَلِهِ خَافَ بَعْجَزَهُ عَوَاقِبَ تَقْصِيرِهِ ، وَأَسْتَعِينَ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ سَمَتْ بِهِ
نَفْسُهُ عَنْ قَلِيلٍ هُوَ فِيهِ إِلَى كَثِيرٍ أَمَلَهُ . وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ أَدْنَسَ نِعْمَةَ اللَّهِ بِكَ عَلَى

وعلى سَلَفِي قَبْلِي بالتَّصَدَّقِي لِمَنْ لَا يُشْبِهُ دَهْرُهُ يَوْمَكَ ، وَلَا أَكْثَرُ جُهْدِهِ فِي الْمَعْرُوفِ
أَقَلَّ عَفْوِكَ .

كُنْ كَيْفَ شِئْتُ ، فَإِنِّي وَاحِدُ أَمْرِي خَالِصَةٌ سِرِّيَّتِي ، أَرَى بِبَقَائِكَ بَقَاءَ
سُرُورِي ، وَبِتِمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ تِمَامَهَا عِنْدِي ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَتَّصَلْتُ بِرِعْيَتِهِ عَاقَةً ، وَشَمِلْتُ الْمَسَامِينَ كَافَّةً ، وَعَظُمَ
بَلَاءُ اللَّهِ عَنْدهُمْ فِيهَا ، وَوَجِبَ [عليهم] شُكْرُهُ عَلَيْهَا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تِمَامَ
نِعْمَتِهِمْ ، وَبِإِسْلَامَتِهِ هُدًى وَوَعْدِهِمْ وَأَسْتِقَامَتِهِمْ ، وَبِتَدْيِيرِهِ صِلَاحَ أُمُورِهِمْ وَأَمْنِهِمْ ، وَبِذَبِّهِ
عَنْ دِينِهِمْ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ ، وَبِحِيَاطَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنِ سُبُلِهِمْ ، وَبِرِعْيَتِهِ آتِسَاقَهُمْ
وَأَنْتِظَامَهُمْ ؛ فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُؤَيِّدًا بِالنَّصْرِ ، مُعَزِّيًا بِالتَّمَكُّينِ ، مُوصُولًا
الطَّلَبَ بِالظَّفَرِ ، وَمُدَّةَ الْبَقَاءِ بِالنِّعَمِ الْمَقِيمِ .

١٠

فَهَمَّتْ كِتَابُكَ وَلَمْ تَعُدْ فِي وَعْدِكَ وَوَعِيدِكَ سَبِيلَ الرَّاغِبِ فِي رَبِّ عَارِفَتِهِ ، الْحَامِي
عَلَى سَالِفِ بَلَاءِهِ ، الْمُؤَثِّرُ لِأَسْتِنَامِ صَنِيعَتِهِ . وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَكُونَ عَلَى غَايَةِ مَا عَلَيْهِ
ذُنُوبِيَّةٌ حَسَنَةٌ فِي شُكْرِ مُصْطَنَعِهِ ، وَعِنَايَةِ بَأْدَاءِ مَا يَلْزِمُهُ لَوْلَى نِعْمَتِهِ ، وَمِرَاقِبَةٍ لِرَأْسِهِ
فِي سِرِّ أَمْرِهِ وَعَلَانِيَتِهِ ، وَإِثَارٍ لِلْقَلِيلِ مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ عَلَى كَثِيرِ الْمَنَافِعِ مَعَ سَخَطِهِ .
وَلَيْسَ مَذْهَبِي فِيمَا أَشْرَحَهُ مِنَ الْعُذْرِ وَأُطِيلُ بِذِكْرِ الْكِتَابِ ، مَذْهَبٌ مِنْ يَمُوهَ
بِالْإِحْتِجَاجِ وَيَحْتَالُ فِي الْإِعْتِدَارِ ، وَمَنْ تُطْمَعُهُ نَفْسُهُ فِي سَلَامَةِ النِّعْمَةِ مَعَ فُسَادِ النِّيَّةِ ،
وَفِي مَجُودِ الْعَاقِبَةِ مَعَ شَرِّهِ النَّفْسِ ، وَفِي زِيَادَةِ الْحَالِ مَعَ التَّفْرِيطِ فِي الْعَمَلِ . وَلَوْ
كُنْتُ مِمَّنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ ذَلِكَ سَائِرَ دَهْرِهِ ، لَقَدْ وَجِبَ إِلَيَّ أَنْ يَضْطَرَّنِي إِلَى

١٥

(١) زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) في الأصل : « وبذبه عن دينهم
وحفظ ... » بزيادة الواو ، وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد بحذفها . (٣) في الأصل :
« وغنايه ... » . (٤) في الأصل : « ولقد وجب ... » ولا معنى لذكر الواو مع اعتبار هذه
الجملة جواباً للو ، كما هو ظاهر السياق . على أن في جعل « لقد » جواباً للو « نظراً » .

٢٠

الزروع عنه تأديبك وتقويمك . وإني لمجتهد أن [يكون] أثر فعلي هو المخبر عنى دون
قولى، وأن يكون ما أمنت به اليك ظاهراً كفايتى دون ذمّامى .

لولا ما أنا بسبيله من العمل ، وما فى الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول
الخلل ، وعلمى بأن طاعة السلطان مقرونة بطاعة الأمير ، وأنه لا فرق عنده بين
الجانى على السلطان وعليه ، لكنّ الجواب راجلاً معظماً لأمره . «كبراً لسخطه ؛
وإن كان الله قد جعل عند الأمير من إثارة الحق والعمل به . وتقديم الروية قبل
الإيقاع ، والاستثناء بمن وضح ذنبه وظهر جرمه دون من وقعت الشبهة فى أمره ،
ما أمتنى بادره غضبه ونازل سخطه .

لم أكن أحسبني أحلّ عندك محلّ من جهل حظّه ، وعدم تمييزه ، وغنى عما عليه
وعمّاله ؛ إذ توهمت على أتى أبيع خطيراً من رضاك ، ونفيساً من رأيك ، وشرفاً باقياً
على الأيام بطاعتك ، وعُدّة للنوائب أستظهر بها من نصرتك ، بالثمن البخس الخفير
من كذا ، أو أن أستبدل بما أنا ذو فاقة إليه من عزّ كنفك ومنيع ذراك ، ما قد
وهب الله الغنى عنه بحمده .

كان ورودك وتخصّصك فى وقتين أنطويا عنى ، وكان مقامك فى حالٍ شغلٍ منك
ومنى ، ولذلك فقدتني فى القاضين لحقك والمثابرين على لقاءك .

ورد كتابك مضمناً من يرك وتطوّلك ما حسن شكرى ، وأثقل ظهري ، وأرتج عن
مضاهاتك بمثله قولى ؛ فذكرت به — إذ تحيرت دون أمّله ، وضعفت عن تحمله ،
وتحجّرت عن الشكر عليه عند تحمله — قول القائل :
(٣)

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) الاستثناء : الانتظار . (٣) هو أبو نواس .

وقد ورد فى ديوانه (المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ : ص ٧١) : "جللنى" بدلا من
"أوليتنى" و "لا تسدين" بدلا من "لا تحدثن" .

أنت امرؤ أوليتني نِعَمًا * أوهمت قُوى شكرى فقد ضعُفا
لا تُحْدِثَنَّ الى عارِفَةً * حتى أقومَ بِشكر ما سَلَفَا

ألفاظ تقع في كتب الأمان

هذا كتاب من فلان لفلان : إني أمتك على دمك ومالك وموآليك وأتباعك ،
لك ولهم ذمة الله الموقى بها ، وعهده المسكون إليه ، ثم ذمة الأنبياء الذين أرسلهم برسالته
وأكرمهم بوحيه ، ثم ذمة النجباء من خلائفه : بحقن دمك ومن دخل اسمه معك
في هذا الكتاب ، وسلامة مالك وأموالهم وكذا وكذا ؛ فأقبلوا معروضه ، وآسكنوا
الى أمانه ، وتعلقوا بحبل ذمته ، فإنه ليس بعد ماؤكد من ذلك متوثق لداخل في أمان
إلا وقد آتلقتم بأوثق عُرَاه ، ولجأتم الى أحرز كهوفه ، والسلام .

وفي كتاب آخر :

هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، لما جعل الله عليه نيته في إقالة العاثر
وأستصلاح الفاسد ، رأى أن يتلافك بعفوه ، ويتغمد زلاتك برحمته ، ويبسط لك
الأمان على ما خرجت اليه من الخلاف والمعصية : على دمك وشعرك وبشرتك
وأهلك وولدك ومالك وعقارك ؛ فإن أنت أتيت وسمعت وأطعت ، فأنت آمن بأمان
الله على ما أمتك عليه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمة الله وذمة رسوله ، إلا
ما كان من حق قائم بعينه لمسلم أو معاهد ، والله بذلك راع وكفيل ، وكفى
بالله وكلاء .

(١) في الأصل «ورأى ...» بزيادة الواو . ولعله سهو من النسخ .

وفي كتاب آخر :

إن فلانا آستوهب أمير المؤمنين ذنبك . وسأله أن يتقبل توبتك وإيابتك ،
ويؤمّنك على دمك وشعرك وبشرتك وأهلك وولدك ومالك وعقاراتك ، على أن
تسمع وتطيع وتُشايح ، وتوالى أوليائه ، وتُعادي أعدائه ، فأجابه أمير المؤمنين الى
ذلك ، لرأيه في العفو والصفح وما يختسب في ذلك من الثواب والأجر . فأنت آمن
بأمان الله على كذا لا تؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك ، ولا تتبع فيه بمكروه ما أقمت
على الوفاء ولم تُحدث حدثاً تفسخ به أمانك وتجعل به سبيلاً على نفسك ، والله لك
بذلك راع كفيل ، وكفى به شهيدا .

الفاظ تقع في كتب العهود

أمره بتقوى الله فيما أسند اليه وجعله بسبيله ، وأن يُؤثّر الله وطاعته أخذاً ومعطياً ،
وأعلمه أن الله سائله عما عمل به وجأزيه عليه ، وأنه خارج من دُنياه خروجه من
بطن أمه إقامه مغبوطاً محموداً ، وإقامه مذموماً مسلوباً ، فليعتبر بمن كان قبله من الولاة
الذين ولّوا مثل ما ولي ، أين صار بهم مرّ الليل والنهار ، وما أنقلبوا به من أعمالهم
الى قبورهم ! ويتروّد لنفسه الزاد النافع الباقي (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .

وفي فصل آخر :

وقد ولّاك أمير المؤمنين ما ولّاك من أمور رعيته ، وأشركك فيما أشرك فيه من
أمانته ، ثقةً بك ، رجاءً لمتابعتك وإيثارك الحق وأهله ، ورفضك الباطل وأهله ،
وعهيداً إليك في ذلك بما إن أخذت به أعانك الله وستدك ، وإن خالفته خذلك
وعاقبك .

وفي الحج :

(١) فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ آخْتَارَكَ مِنْ إِقَامَةِ الْحَجِّ لَوْفَدَ اللَّهُ وَزَوَّرَ بَيْتَهُ ، لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ قَدْرُهُ ، الشَّرِيفِ مَنْزِلَتُهُ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِيثَارِ مُرَاقَبَتِهِ ، وَلِزَوِّمِ الْهُدَى الْمَحْمُودِ وَالطَّرِيقَةَ الْمُسْتَلَى وَالسَّيْرَةَ الْجَمِيلَةَ الَّتِي تُشَبِّهِهَا حَالُكَ .

فصل — فَإِنَّ اللَّهَ نَزَّهَ الْإِسْلَامَ عَنْ كُلِّ قَبِيحَةٍ ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ ، وَرَفَعَهُ عَنْ كُلِّ دُنْيَةٍ ، وَشَرَّفَهُ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَجَعَلَ سِيَاءَ أَهْلِهِ الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ .

فصل — وَإِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِالْأَزْدِيَادِ فِي طَاعَتِهِ وَمَنَاصِحَتِهِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فِي عَمَلِهِ مَنْ عَظُمَ حَقُّ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ بِفَضْلِ الصَّنِيعَةِ مِنَ الْأَمِيرِ عِنْدَهُ ، مَعَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْعَامَّةِ بِحَقِّ الْوَلَايَةِ .

فصل — وَكَنْتَ سَيْفًا مِنْ سِوْفِ اللَّهِ ، وَنِكَالًا مِنْ أَنْكَالِهِ لِأَهْلِ الشَّقَاقِ ، وَشَجِيًّا لِمَنْ أَبْتَغَى غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أَحْكَمْتَكَ التَّجَارِبُ وَضَرَسَتْكَ الْأُمُورُ ، وَفُرِّرْتَ عَنِ الذِّكَاةِ وَحَلَبْتَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ .

فصل — أَنْتَ ابْنُ الْحَزِيَّةِ وَالْمَرْوَةِ ، وَمَنْ لَا يَلْحَقُهُ عَارُ أَبْوَةٍ وَلَا بُؤَةٍ .

فصل — قَدْ أَلْتَمَسْتُ مُوَاجَهَتَكَ بِشُكْرِكَ وَوَصِفِ مَا أُجِنُّ لَكَ وَأُخْلِصُ مِنْ وَدَّكَ وَأُجِلُّ مِنْ قَدْرِكَ وَأُعْتَدُّ مِنْ إِحْسَانِكَ ، فَلَفَّتَنِي عَنْ ذَلِكَ تَعَدُّرُ الْخَلَاوَةِ مَعَ أَنْقِبَاضٍ وَحَشْمَةٍ .

(١) كذا في الأصل واختيار المنظوم والمثبور لابن طيفور (النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) ولعلها : « في الحج » .

(٢) في الأصل : « فَإِنَّ اللَّهَ يَجِدُهُ الْإِسْلَامَ ... » .

(٣) في الأصل : « وَاعْتَدِ ... » .

فصل — قد أغنى الله بكومك عن ذريعة اليك ، وما شأني عن نفسي إلى
استعانة عليك إلا أبي ذلك حسن الظن بالله فيك ، وتأميل نجح الرغبة إليك دون
الشفعاء عندك .

فصل — مثلك تقرب إلى الله بالتواضع لنعمته ، والإغاة لمستغيثه ، والعائدة^(١)
على راجيه بفضله .

فصل — نبأ من يأتي وأيت^(٢) ، وفتحاً لغروب عقبت^(٣) ، وأقن تدبرك^(٤) ! ما أبعد
مذهبك في الخطأ ، وأسوأ أثرك على السلطان ، وأقصر بأهلك عن النهوض ! جزالة
تعدك ، ومهانة تضريك ، وزهو بعلمك ، ونحوة^(٥) يسمع لها عرينك . لقد أنصرف
رأى أمير المؤمنين عنك ، ودعوت له عتبت^(٦) ، وكشفت له عن قناع سترك ، واجتررت
إليك سخطته وعطفت نحوك موجدته ، وكنت على نصيبك منه والضيق بمنزلتك عنده
أولى تقدماً وأقرب رشدًا . والله الغني الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجل يجعل الدنيا نصب عينه ، ينصب فيها للخاصة
مكايده ، ويرفع عن مصلحة العامة همته ، يذهله عن التقوى الهوى ، وتثنيه أيام القدرة
العثرة ، حتى تتصير مئة وتنتفضي دولته ، لم يرتب بدلياه شكراً ولا قدم بها إلى معاده
دُخراً . ورجل لا يحفل^(٧) مع صلاح الخاصة مادخل من الخلال في أمور العامة ، ولا يع
وفور حظه ما أدخل النقص في حفظ رعيته ، ورجل حاول في ولايته إرضاء من ولي
له وعليه ، وأعانت النية وخذلت الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا من فوقك ،

(١) العائدة : اسم من عاده بمعرفته إذا قبل . (٢) كذا في الأصل وفيها ضعف لعدم
انساقها في السياق مع ما بعدها . (٣) الأقن : بالتحريك : ضعف الرأي والتدبير .
(٤) كذا في الأصل . (٥) في الأصل « لا يجعل ... » وهو تحريف . وحفله وبه : بالاء .
(٦) في الأصل : « مع وفور خطر ... » .

والانقياد والمحبة من دونك ، وأعاد الى الناس بك عهد السلف الماضى وعمر بك آثارهم ، حتى كأنهم بك أحياء لم تتخروهم منية ، وجميع لم تنصدع بينهم فرقة ، فليهنئك أن من تقدمك من أهل الفضل فى السيرة غير متقدم لك ، ومن معك مقصر عنك ، ومن دونك مقتف لأثر^(١)ك ، فلا زالت الأيام لك ، ولا زالت النعم عنك ، ولا أنتقلت عرى الأمور وأزقتها عن يدك .

فصل — أبى طبع الزمان أن يسمح لنا بك ، كما أبى ذلك فى مثلك ، فلم يزل حتى أعترض بمكرومه دونك ، وكمن نعمة ذهلت عنها النفس حين أدبرت بخيرك ، فإن تعلق القلب بك على قدرك فى مواهب الله وقدرها عندك .

فصل — ولم تأت فى جميع ما عادت من أياديك شيئا ، وإن كان متناها إلى الغاية ، مختاراً كالأمنية ، متجاوزاً للاستحقاق ، إلا وأنت فوقه والمأمول للزيادة فيه .

وفى كتاب — إن كان ما خبرنى به قلان عن هزل فقد أخرجنا من ذلك إلى الجلد ، ووقفنا موقف المعتذرين من غير ذنب ، وإن كان عن حقيقة فقد ظهر لنا من ظلمك وتحرشك ما دل على زهدك منا فى مثل الذى رغبنا منك فيه .

فصل فى كتاب العيد — كتابى إلى الأمير يوم كذا بعد خروجى فيه ومن قبل من المسلمين إلى المصلى وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيد ، ونحن بنخير حال آتجمع عليها فريق من المسلمين فى عيد من أعيادهم وتجمع من مجامعهم ؛ وكان نخرجنا إلى المصلى أفضل مخرج ، ومنصرفنا عنه أفضل منصرف ،

بما وهب الله من سكون العامة وهدوئها وألفتها ، واحتشاد الجند والشاكرية^(١) بأحسن الرئى والهيئة ، وأظهر السلاح والعُدّة . فالحمد لله على كذا ، وهنّا الله الأمير كذا .

فصل — القلب قرين^(٢) وله حليف حيرة ، أنظر بعين^(٣) كليلية وأحضر بقلب غائب : إلى ورود كتابك بما تعترمه . فأما النوم فلو مثل لعيني لنفرت إلها للشهاد .

فصل في كتاب بيعة — فبايعوا الأمير المؤمنين ولغلايل بعده على اسم الله وبركته وصنع الله وحسن قضائه لدينه وعباده ، بيعة منبسطة لها أكفكم ، منشرة بها صدوركم ، سليمة فيما أهواؤكم ، شاكرين لله على ما وفق له أمير المؤمنين .

عدد معاوية على الأحنف ذنوباً ، فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لم ترد الأمور على أعقابها ! أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوائننا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لعلّى عواقبنا ، ولئن مددت^(٤) [لساناً] بشبر من غدري ، لتمدّت إليك باعاً من ختر^(٥) ، ولئن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصنوبر حاكمك ، قال معاوية : فإني أفعل .

تقدم رجل إلى سوار ، وكان سوار له مبعضا ، فقل سوار في بعض ما يكلمه به : يابن اللّحاء ! فقال : ذاك خصمى ، فقال له الخصم : أعدني عليه ، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لي بحقي ، ففهم ، وسأله أن يغفر له ما فرط منه إليه ، ففعل .

الأوزاعي قال : دخل نحرّيم بن فائق على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال : أئى سباقين ، لو كانتا على جارية عاتق^(٦) ! فقال له نحرّيم : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون (٢) في الأصل «بعين جليطة ...» . (٣) في الأصل «يعتزم ...» . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة ختر) . (٥) الخمر (بالفتح) : الخديعة والغدر . (٦) أعدنى عليه : انصرنى عليه وقوّنى . (٧) العاتق : الجارية أوّل إدراكها ، وقيل هى التى لم تزوج .

الخطب

لَتَبَعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا : « الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » . ووجدت في بعضها : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته » . ووجدت في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه : « أيها الناس إن لكم معالِمَ فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم ؛ إن المؤمن بين مخافتين : بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ به ، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه ؛ فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ؛ والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار » . ووجدت كل خطبة مفتاحها الحمد إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير . وتكبير الإمام قبل أن ينزل عن المنبر أربع عشرة تكبيرة .

خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

١٥ حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ قَالَ حَدَّثَنِي الطَّنَافِسيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فَضِيلٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ ^(١) قَالَ : خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ :

(١) في الأصل « عبد الله بن عظيم » بالطاء المعجمة بدل الكاف وبالبحت في كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد « عبد الله بن عظيم » فلعل ما في الأصل تحريف عما أثبتنا : قال في التهذيب : « عبد الله بن عكيم الجهني أبو محمد معبد الكوفي . قال : قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة . وروى عن أبي بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة ... الخ » وفي الخلاصة : « عبد الله ابن عكيم بضم أوله وفتح الكاف ... الخ » . وإذا كان عبد الله بن عكيم ممن رَوَوْا عن أبي بكر رضي الله عنه ترجح لدينا أن ما في الأصل محرف عنه .

أما بعد ، فإنى أوصيكم بتقوى الله وحده وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وتخطوا
 الرغبة بالرهبة ، والإحاف بالمسئلة ، فإن الله أشئ على زكريا وأهلي بيته فقال : (إِنَّهُمْ
 كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم أعلموا أن الله قد آرتهم بحقه
 أنفسهم ، وأخذ على ذلك موثيقكم ، وأشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي . هذا
 كتاب الله فيكم لا تقف عجائبه ولا يطفأ نوره ، فصدقوه وآنصحوه وأستضيئوا منه
 ليوم الظلمة . ثم أعلموا أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب علمه عنكم ، فإن
 أستطعتم ألا ينقض إلا وأنتم في عمل لله فافعلوا ، وإن تستطيعوا ذلك إلا بالله .
 فسايقوا في مهل ، فإن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنها كم أن تكونوا
 أمثالهم ، والوحا الوحى ، والنجاء النجاء ! فإن من ورائكم طالب حثيثا مره ، سريعا
 (١) [سيره] .

وفى غير هذه الرواية : أين من تعرفون من إخوانكم ! قد آتته عنهم الأعمال ،
 ووردوا على ما قدموا وحلوا عليهم بالشقوة والسعادة . أين الجبارون الذين بنوا
 المدائن وحصنوها بالحوائط ! قد صاروا تحت الصخر والآكام .

خطبة لأبي بكر أيضا رضى الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبي زيد القارى .

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) التجلة من العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٠) . وقد رردت فيه هذه الخطبة باختلاف فى بعض
 الكلمات عما هنا . (٢) كذا فى الأصل . وهى غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النساخ .
 وصواب العبارة نقلا عن تاريخ ابن جرير الطبرى (قسم أول ص ١٨٤٧ طبع ليدن) : « أين من
 تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة
 فيما بعد الموت » . (٣) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تؤيده كتب التراجم
 كأساناب السمعاني وأسد الغابة : وفى الأصل : « من ولد زيد القارى » .

إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك . فرفع الناس رؤوسهم ؛ فقال : ما لكم يا معشر الناس ! إنكم لَطَعَانُونَ عَجَلُونَ ، إن الملك إذا ملك زهده الله فيما في يده ، ورغبه فيما في يدي غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخط الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع ، جَذَلُ الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره وصحأ ظله ، حاسبه الله فأشد حساباً وأقل عفوه . ألا إن الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفروق محبة ، وسترون بعدى ملكاً عضوضاً ، وأمة شعاة ، ودماً مفاحاً . فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق جولة ، يعفوها الأثر ، وتموت السن ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة . وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أي بلادكم خرسة فإن الله سينتج عنكم أقصاها كما فتح أداها .

خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة

أراد عمر الكلام ، فقال له [أبو بكر] : على رسلك . نحن المهاجرون أوفى الناس إسلاماً . وأفضلهم داراً ، وأكثرهم أحساباً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمسهم رجلاً . رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ،

- (١) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : «الباءة» . (٢) القسي من الدراهم : الزائف . (٣) وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وصحأ ظله : كل منها كناية عن الموت . (٤) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) . وفي الأصل «... ألا إن الفقراء هم المرحومون إلا من آمن...» . (٥) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف . (٦) شعاة : متفرقة . (٧) الدم المفاح : المراق . (٨) كذا بالأصل والبيان والتبيين ، وفي فوفى أي تصريحا أو تفسير صحيح ظا .

وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا فِي الْفَيْءِ ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، أَوْيْتُمْ وَوَأَسْلَيْتُمْ^(١) ، بَخَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، نَحْنُ الْأَمْسَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنْتُمْ مُحَقَّقُونَ إِلَّا تَتَفَسَّسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَا سَأَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ .

خطبة لأبي بكر رضى الله عنه

الْهَيْتَمُ عَنْ مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا بُوِيعَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَزَلَّ مِرْقَاةً مِنْ مَقْعَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
إِنِّي وَلَيْتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، وَلَكِنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . آَعَلِمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التَّقَى ، وَأَنَّ أَحَقَّ الْحَقِّ الْفُجُورُ ، وَأَنَّ أَقْوَامَكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى أَخَذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَأَضْعَفُكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آَخَذَ مِنْهُ الْحَقَّ ، إِنَّمَا أَنَا مَتَّبِعٌ^(٢) وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ زُغْنَتْ فِقُومُونِي . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ .

خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال : وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَقَالَ :
مَا كَانَ اللَّهُ لِيَرَانِي أَرَى نَفْسِي أَهْلًا لِمَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ مِرْقَاةً ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِقْرَءُوا الْقُرْآنَ تُعَرِّفُوا بِهِ ، وَآَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ .
إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقُّ ذِي حَقٍّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . أَلَا وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالٍ

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ١٥٨) : وَفِي الْأَصْلِ : « وَأَسْلَيْتُمْ » .

(٢) كَذَا فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ لِلْبَاقِلَانِي (ص ٦٥ طَبْعُ مَكْتَبَةِ ١٣١٥) : وَفِي الْأَصْلِ : « أَمَا » .

الله بمزلة وإلى اليتيم : إن آسْتغْنَيْتُ عَفَفْتُ وإن افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بالمعروفِ ^(١) تَقَرَّمُ
الْبَهْمَةُ الْأَعْرَابِيَّةُ : الْقَضْمَ لَا الْحَضْمَ .

خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه

قال : ولما ولي عثمان صعد المنبر فقال :

- ٥ رحمهما الله ، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بَأْسٍ ، بجلّس على ذِرْوَةِ
المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إن أَوَّلَ مَرَكِبٍ صَعَبٌ ، وإن مع اليوم أياماً ،
وما كُنَّا خُطَبَاءَ ، وإن نَعِشْ لَكُمْ تَأْتِكُمُ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا إن شاء الله تعالى .

خطبة لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

خطب فقال :

- ١٠ أما بعدُ ، فإن الدنيا قد أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بَوْدَاعَ ، وإن الآخرة قد أَقْبَلَتْ فَأَشْرَفَتْ
بِاطْلَاعَ ، وإن الْمِضْمَارَ الْيَوْمَ وَغَدَا السَّبَاقُ ^(٢) . ألا وإنكم في أيام أَمَلٍ من ورائه أَجَلٌ ،
فمن قَصَّرَ في أيام أَمَلِهِ قبل حضور أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ . ألا فاعْمَلُوا لله في الرِّغْبَةِ كما
تَعْمَلُونَ له في الرِّهْبَةِ . ألا وإِنِّي لم أَرْ كَالْجَنَةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا
ألا وإنه من لم يَنْفَعِهِ الْحَقُّ ضَرَّهُ الْبَاطِلُ ، ومن لم يَسْتَقِمْ به الْهُدَى جَارَ بِهِ الضَّلَالُ .
١٥ ألا وإنكم قد أَمِرْتُمْ بِالطَّعْنِ ، وَدُلِّمْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وإن أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ آتِبَاعُ
الْهُوَى وَطَوَّلُ الْأَمَلِ .

(١) تَقَرَّمُ الصَّبِيَّ وَالْبَهْمَ : أكل أكلاً ضعيفاً ، وذلك أول ما يأكل . والقضم : الأكل بأطراف
الأسنان . والحضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف
الذي تدفع إليه حاجة الحياة .

(٢) في الأصل : «الضمار» وهو تحريف .

خطبة علي عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه

أيها الناس ، كتاب الله وسنة نبيكم . لا يدعى مدع إلا على نفسه . شغل من الجنة والنار أمامه . سابع نجا ، وطالب يرجو ، ومقصر في النار : ثلاثة ، واثان : ملك طار بجناحيه ، ونبي أخذ الله بيديه ، لاسدس . هلك من اقتحم ، وردى من هوى . اليمين والشمال مضلة ، والوسطى الجادة : منهج عليه باقى الكتاب وآثار النبوة . إن الله أدب هذه الأمة بأدين : السوط والسيف ؛ فلا هوادة فيهما عند الإمام . فاستتروا بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، والتوبة من ذنوبكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور ملثم على فيها ميلة لم تكونوا عندي محمودين ولا مصيبين . والله أن لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . أنظروا ، فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرفتكم فأرووا . حق وباطل ، ولكل أهل . والله إن أمر الباطل أقديماً فعل ؛ ولئن أمر الحق لرب ولعل . ما أدبر شئ فأقبل^(٢)

خطبة أيضاً لعلي رضي الله عنه^(١)

خطب علي حين قتل عامه بالأنبار فقال في خطبته :

يا عجباً من جد هؤلاء في باطلهم وفشلهم عن حقاكم ! تنبهاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى ، يغار عليكم ولا يغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون .

(١) أمر (بالبناء للجهول والتضعيف) : سلط . والذى في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢)

ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : «... واثى قل الحق...» وعلى ما ورد فيها يكون معنى «أمر الباطل» : كثر «أمر» وزان فرج . (٢) في العقد الفريد .

«ولقلها أدبر...» . (٣) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) وونهج البلاغة

(ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف في بعض الكلمات وزادات عما هنا .

إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحرّ قلم : حَمَارَةُ الْقَيْظِ ، ^(١) أمهلنا ^(٢) [حتى] ينسلخ ^(٣) الحرّ ،
وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلم : أمهلنا ^(٢) [حتى] ينسلخ ^(٣) الشتاء هذا أو أن قُرْبُ
كلّ هذا فرارا من الحرّ والقُرْبِ ، فأتتم والله من السيف أقرّ ، يا أشباه الرجال ولا رجال !
أحلام الاطفال وعقول ربّات الخجال ؛ أفسدتم على رأي بالعُصيان والخذلان ، حتى
قالت قريش : ابن أبي طالب شجاع ^(٤) [ولكن] لا علم له بالحرب . لله أبوهم ! هل
منهم أحد أشدّ لها مراسا وأطول تجربة مني ! ^(٥) تقدمت فيهما وما بلغت العشرين
فها أنا الآن قد نيفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغني عن شعيب بن صنوان قال : خطب معاوية فقال :

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عتود ، وزمن شديد ، يعدّ فيه المحسن
مسيئا ، ويزداد الظالم فيه عتوا . لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسال عما جهلنا ، ولا نتخوف
قارعة حتى نحل بنا . فالناس أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد
في الأرض إلا مهانته نفسه وكلال حده ونضيض وفره ؛ ومنهم المصلت لسيفه ^(٦)
والمجلب بخيله ورجله والمعلن بشرّه ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لخطام يتتبرزه ^(٧) ^(٨)

- ١٥ (١) حَمَارَةُ الْقَيْظِ : شدته . (٢) زيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين . (٣) القُرْبُ يضم
القاف : البرد الشديد . (٤) كذا في العقد الفريد والبيان والتبيين ، بزيادة كلمة « لها » بعد كلمة
« أطول » في البيان والتبيين . وفي الأصل : « هل منهم أحد لها أشدّ مراسا ولا أطول تجربة مني » .
(٥) في الأصل : « رضيض » وما أثبتناه عن البيان والتبيين والعقد الفريد وإيجاز القرآن ، ونضيض ،
وفره : قلة مثله . (٦) في الأصل : « بسيفه » بالباء . (٧) أشرط نفسه لكذا : أعدّها وفدّمها .
(٨) أربق دينه : أهلكه .

(١) أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مَنِيرٌ يَقْرَعُهُ (٢) ، وَلِبَاسُ الْمُتَجَرَّانِ تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَمِمَّا عِنْدَ اللَّهِ
 عِوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ [وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا] (٤)
 قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَثَمَرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَحَرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ ،
 وَاتَّخَذَ سِتْرًا لِلَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلْبِ الْمَلِكِ ضُؤُولُهُ
 فِي نَفْسِهِ وَانْقِطَاعُ مِنْ سَبَبِهِ ، فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَنْ أَمَلِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ (٦)
 بِلِبَاسِ الزُّهَادِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَايِحٍ وَلَا مَغْدَى . وَبَقِيَ رَجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ
 ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمُحْشَرِّفِهِمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ ، وَخَائِفٍ مُنْقِمٍ (٨)
 وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ ، وَدَايِعٍ مُخْلِصٍ ، وَمُوجِعٍ نَكَلَانٍ ، قَدْ أَنْحَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ ، وَشَمَلَتْهُمْ
 الدَّلَّةُ (٩) ، [فَهُمْ] فِي بَحْرِ أَجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ ، قَدْ وُعِظُوا حَتَّى
 مَلُّوا ، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ
 الْقَرْطِ وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ،
 وَأَرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ، فَإِنَّمَا قَدْ رَفَضْتُ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إِنْ مَعَاوِيَةَ كَانَ حَبَلًا مِنْ حَبَالِ اللَّهِ ، مَدَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَمُدَّهُ ، ثُمَّ
 قَطَعَهُ حِينَ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَهُ ، وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ بَعْدَهُ ، [وَلَا أَرْكِيهِ عِنْدَ (١٠)]

(١) المِقْنَبُ بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يقرعه : يعلوه . وفي الأصل : « يترعه »

وهو تحريف . (٣) كذا في البيان والتبيين . وفي الأصل : « وليس المتجران ترادا ... الخ »

وهو تحريف . (٤) الزيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين وإيجاز القرآن

(٥) طامن من شخصه : خفض . (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) وفي الأصل

« على حاله ... » . (٧) الناذ : النافر الذاهب على وجهه . (٨) منقمع : مستخف

(٩) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين والعقد الفريد وإيجاز القرآن للباقلاني . (١٠) الزيادة

عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٣) .

ربه وقد صار إليه [فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم ^(١) . وعلى رسلكم ! إذا كره الله أمرا غيره .

خطبة لعُتْبَةَ بن أبي سُفْيَان

أبو حاتم عن العُتْبِيِّ قال : احتبست كُتُب معاوية حتى أَرْجَفَ أهل مصر بموته ^(٢) . ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر والكتاب في يده فقال :

يا أهل مصر ! قد طالت معاتبنا إياكم بأطراف الرماح وظلمات السيوف حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تُسَيِّغُنَا حلوقكم ، وأقْدَاء في أعينكم ما تطْرِف عليها جفونكم . فحين آشتدت عرى الحق عليكم عقدا ، وأسترخت عقد الباطل منكم حلا ، أَرْجَفْتُم بِالْخَلِيفَةِ وَأَرَدْتُم تَوْهِينَ السُّلْطَانِ ، وَخَضَعْتُمُ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ، وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثًا ! فَارْجَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذْ خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ ، فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ السَّارِّ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَعْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْلَحُوا لَنَا مَا ظَهَرَ ، نَكِلْكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَطَنَ ، وَأُظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ شَرًّا ، فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَتَمَّ زَارِعُونَ . وَعَلَى اللَّهِ تَتَوَكَّلُ وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

خطبة لعُتْبَةَ أيضا

وبهذا الإسناد أن عتبة خطب أهل مصر حين حاجوا فقال :

يا أهل مصر ! خَفَّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ مَدْحُ الْحَقِّ وَلَا تَفْعَلُونَهُ ، وَذَمُّ الْبَاطِلِ وَأَنْتُمْ تَأْتُونَهُ ، كَالْجَسَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالَ حِمْلُهَا وَلَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهَا . وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدَاوِي

(١) في العقد الفريد : « ولا آسى على طلب علم » . (٢) أَرْجَفَ : خاض في الأخبار التي

أدواءكم بالسيف ما اكتفيت بالسوط، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرّة، ولا أبطئ
عن الأولى إن لم تصلحوا عن الأخرى ^(١) * ناجزًا بناجر، ومن حذر كمن بشر ^(٢) *
فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذي ليس فيه ^(٣)
عقاب، ولا بعده عتاب .

خطبة لعبد الله بن الزبير

خطب عبد الله بن الزبير حين قُتل أخوه مُصعب فقال :

الحمد لله الذي يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء . إنه لن يذلّ من كان الحقّ معه
وإن كان فردًا ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أتانا
خبر من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا : قتل مُصعب رحمه الله . فأما الذي أحرّتنا من
ذلك فإن لفراق الحميم لذةً يجدها حميمه عند المصيبة به ثم يَرعوى بعدها ذوو الرأي
إلى جميل الصبر وكريم العزاء . وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أن قتله شهادة، وأن
ذلك لنا وله الخير . ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا
يأخذونه به . إنا والله ما نموت حبيبا ولا نموت إلا قتلا، قَمَصًا بالرماح تحت ظلال
السيوف، ليس كما تموت بنو مروان ؛ والله إن قُتل رجلٌ منهم في جاهليّة ولا إسلام،

(١) كذا في الأصل، ولعلها : «على الأخرى» .

(٢) هذه الجملة التي بين النجنتين وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) في أثناء خطبة أخرى
لعتبة . وفي العقد : «والله ما انطلقت بيا ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها
لكم ناجزًا بناجر، ومن حذر كمن بشر...» .

(٣) في العقد الفريد : « قبله » .

(٤) الحجج : أن يأكل البعير لحاء العرغ فيرم بطنه منها وربما قتله ذلك . قال في اللسان بعد أن ذكر
كلام ابن الزبير : «يعرض بنو مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالنخعة...»
وقعصه (من باب قطع) : قتله مكانه .

ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى [الذي لا يبيد ذكره ولا يذل سلطانه] فإن تُقبل
على لا آخذها أخذ البطر الأسر، وإن تُدبر عني لا أبك عليهم بكاء الخرف المهتر^(٢).
ثم نزل .

خطبة زياد البتراء^(٣)

٥. حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبي بكر بن أبي عاصم ببعضها، وحدثني
أبي عن الهيثم بن عدي، قال : لما قدم زياد أميراً على البصرة فنظر إلى أبياتها،
قال : رب فرج بإمارتي لن تنفعه ، [و] كاره لها لن تضره ، فدخل وعليه قباء
أبيض ورداء صغير، فصعد المنبر، فخطب الناس خطبة بتراء : لم يصل فيها على
النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من خطبها ، ثم قال :
١٠. أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علمتم : وشهدت الشهود بما قد سمعتم ، وإني
كنت أمراً حفظ الله منه ما ضيع الناس ، ووصل ما قطعوا^(٤) . ألا وإنا قد ولينا وولينا
الوالون ، وسئنا وسائسون ، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدة في غير
عنف ، ولين في غير ضعف . وأيم الله ما من كذبة أكبر شاهدًا من كذبة إمام على منبر،
فإذا سمعتموها مني فأغتمزوها في ، وآعلموا أن عندي أمثالها ، وإذا رأيتموني أمر
-
- ١٥ (١) الزيادة من العقد الفريد : (ج ٢ ص ١٨٣) (٢) الخرف : الذي فسد عقله من
الكبر . والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن . وفي العقد الفريد : «بكاء الخرق المهين» .
(٣) وردت هذه الخطبة في النوادر لأبي علي القالي (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما
هنا ولا تختلف إلا في كلمات يسيرة . ووردت في الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن
سنة ١٨٦٨ م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة عما هنا
و بتقديم وتأخير في بعض الجمل والكلمات . (٤) لم ترد هذه القطعة في الخطبة البتراء في مصدر آخر
من المصادر التي بين أيدينا إلا في النوادر لأبي علي القالي . وقد وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤)
في خطبة أخرى لزياد .

فيكم بالأمر فأنفذوه على أذلاله^(١) . وآيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل
 أمرئ منكم أن يكون من صرعى . وآيم الله لآخذن البرى بالسقيم ، والمطيع
 بالعاصى ، والمقبل بالمدير ، حتى تستقيم لي قناتكم ، وحتى يقول القائل : «^(٢) أنج سعد
 فقد قُتل سعيد » . فقام إليه عبد الله بن الأهم التميمي^(٣) ، فقال : أيها الأمير ، أشهد
 أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، فقال له : كذبت ، ذلك نبي الله داود . ثم
 قام إليه الأحنف ، فقال : إنما المرء يجتده ، والسيف يجتده ، والجواد يشته به
 وقد بلغك جدك أيها الأمير ما ترى ، وإنما الحمد بعد البلاء ، والثناء بعد العطاء ،
 وأنا لا نثنى حتى نبتلى . ثم قام إليه مرداس بن أدية ، فقال : قد سمعنا مقاتلتك
 أيها الأمير ، وإنا خليل الله إبراهيم عليه السلام أدى عن الله غير الذى أديته ، قال
 الله تعالى : (^(٤) أَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى) * ، وأنت تزعم أنك تأخذ البرى

(١) على أذلاله : على طريقه ووجهه . واحده ذل بكسر الذال ، وهو ما مهد من الطريق وذل .

(٢) قال فى اللسان مادة « سعد » بعد أن ذكر هذا المثل : « هذا مثل سائر ، وأصله : أنه كان لضبة
 ابن أدة ابنان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إبلاهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد ، فكان ضبة إذا رأى سوادا
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل ، فأخذ ذلك اللفظ منه وصار مما يتشاءم به ، وهو يضرب
 مثلا فى العناية بذى الرحم ، ويضرب فى الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهري
 فى هذا المكان : رقى المثل ، أسعد أم سعيد إذا سئل عن الشيء أهو مما يحب أو يكره »

(٣) كذا فى ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبع ليدن والبيان والعقد القريد
 وفى الأصل : « نعيم بن الأهم » وقد آثرنا ما فى المصادر الأولى لأن الوقوف فى مثل هذا الموقف
 يقتضى شجاعة وجراءة ، وفى عبد الله بن الأهم منهما حظ موفور . أما نعيم بن عمرو بن الأهم ، وعبد الله
 هذا عمه ، فكان كما يقول ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : « فيه تأنيث ... » . وفى النوادر
 لأبى على القالى : « صفوان بن الأهم » وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهم . (٤) وردت هذه

الجملة فى ابن الأثير والعقد القريد والبيان والنوادر لأبى على القالى باختلاف عما هنا ونصها
 فى ابن الأثير : « فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية ، وهو من الخوارج ، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت ،
 قال الله تعالى : (وإبراهيم الذى رقى ألا تروا وزراة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ

بالسقيم ، والمطيع بالعاصي . والمقبل بالمدير ؛ فقال له : أسكت ، فوالله ما أجد
إلى ما أريد سبيلاً ، إلا أن أخوض إليه الباطل خوفاً . ثم نزل .

وقال في خطبة له أخرى^(١) :

حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أَسْوِيَهَا بِالْأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّايَ وَدَبَّحَ
الَّيْلُ ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدِّحٍ إِلَّا سَنَكْتُ دَمَهُ . وَإِيَّايَ وَدَعَاؤِي الْجَاهِلِيَّةَ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ
أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَاثًا ، وَأَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةً ؛
فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْتَهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْتَهُ ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْتًا نَقَبْتُ عَنْ قَلْبِهِ ،
وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا ؛ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكُفِّ عَنْكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءٌ قَدْ جَعَلْتُهَا دَبْرًا أَدْنَى وَتَحْتِ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا
فَلْيَزِدْهُ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ . إِنِّي أَوْعَلْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ السُّلَّ مِنْ بُغْضِي
لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ
أُنَظِرْهُ ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا أَمْرَكُمْ .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة^(٢)

دخل وهو متقلد سيفًا متككب قوسًا عربية ، فعلا المنبر فقال :

أَنَا أَبْنُ جَلٍّ وَطَلَّاعُ الشَّيَا * مَتَى أَضْمَحَ الْعَامَّةَ تَعْرِفُونِي

(١) هذه الخطبة وردت في المصادر المتقدمة ، ما عدا النوادر لأبي علي القالي ، في شأيا خطبته

البراء . (٢) وردت هذه الخطبة في كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكمال للبريد (ص ٢١٥

طبع ليبسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكمال لابن الأثير

(ج ٤ ص ٣٠٤ طبعة ليدن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغيير في بعض الكلمات

إن أمير المؤمنين نكب عيّدانه بين يديه ، فوجدني أمرها عوداً وأصلها
 مكسراً ، فوجّفتني إليكم . ألا فوالله لأعصبنكم عصب السّامة ، ولأخوكنم نحو العود ،
 ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، حتى تستقيم لي قناتكم ، وحتى يقول القائل :
 « أئج سعد فقد قُتل سعيد » . ^(١) ألا وإياي وهذه الشّفاء والزّرافات ، فإنّي لا أوتى
 بأحد من الخالسين في زرافة إلا ضربت عنقه . هكذا حدّثني أحمد بن سعيد عن
 أبي عبيد في كتاب غريب الحديث . وقال لي غيره : هو إياي وهذه الشّفاء
 والزّرافات . وقد فسّرت الحديث في كتابي المؤلف في غريب الحديث .

خطبة للحجاج أيضاً

أرجف الناس بموت الحجاج ، فخطب فقال

إن طائفة من أهل العراق ، أهل الشقاق والتفاق ، ترغّ الشيطان بينهم ، فقالوا :
 مات الحجاج ومات الحجاج ! فقه ! وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ! والله
 ما يسرني ألا أموت وأنت لي الدنيا وما فيها ! وما رأيته الله رضى بالتخليد إلا لأخو
 خلقه عليه إبليس . ولقد دعا الله العبد الصالح فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُنْكَا
 لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل !

(١) نكب عيّدانه : طرحها . (٢) عصبه : قطعه . والسامة : راحدة السهم ، وهو شجر من
 الأعضاء يتخذ منه القوس الذي يدفع به ، وهو شجر حنظل . راحا : عود : غصن . (٣) كانت الإبل
 الغريبة إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت . ضربه الحجاج : دنا في التهديد والإنذار . (٤) تقدّم
 شرحه في خطبة زياد . (٥) في اللسان مادة «سفت» : «رأى ما قول الحجاج : (إياي وهذه الشّفاء)
 فلا يعرف ما هو؟ وحكى ابن الأثير عن الرّحشري قال : قيل وهو تصحيف ، قال : والصواب شفاء جمع
 شفيح لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشتمون في أصحاب الجرائم فبهاهم عن ذلك لأن كل واحد منهم
 يشفع للآخر كما تباهم عن الاجتماع في قوله : إياي وهذه الزرافات » . ومن هنا يعلم ما يرمى إليه المؤلف
 بالتعقيب بالرواية الثانية من التنبه على الوجه الصحيح .

وكلكم ذلك الرجل ! . كأني والله بكلّ حيٍّ منكم ميتاً ، وبكل رطبٍ يابساً ، ونُقِلَ في ثيابٍ أكفأه إلى ثلاثِ أذرعٍ طُولاً في ذراعٍ عَرْضاً ، وأكَلَتِ الأرضُ لحمه ومَصَّتْ صديده ، وانصرف الحبيبُ من ولده يَقْسِمُ الخبيثُ من ماله ؛ إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول ، ثم نزل .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أيها الناس إني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابني هذا ، وأوصيته بخلاف ما أوصى به رسولُ الله صلى الله عليه [وسلم] في الأنصار ؛ إن رسول الله أوصى أن يُقبلَ من مُحسنهم ، وأن يُتجاوزَ عن مُسيئهم ؛ وإني أمرته ألا يقبلَ من محسنكم ولا يتجاوزَ عن مُسيئكم . ألا وإنكم ستقولون بعدى مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى ، ستقولون بعدى : لا أحسن الله له الصَّحابة ! ألا وإني مُعجلٌ لكم الجواب : لا أحسن الله لكم الخِلافة ، ثم نزل .

خطبة للحجاج أيضاً

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سِنِي ، فَنَجَّادُهُ فِي عُنُقِي ، وَقَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَذُبَابُهُ قِلَادَةٌ لِمَنْ اغْتَرَبَنِي ! فقال الحسن : بُؤْسًا لِهَذَا ! مَا أَغْرَهُ بِاللَّهِ (١) وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار ، ثم أتى امرأته فمنعته نفسها ، فأتى ابن سيرين يستفتيه ، فقال : يَا بَنَ أَخِي ، إِمِضْ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ لَمْ يَضُرَّكَ أَنْ تَرُنَى .

(١) نجاد السيف : حمائله . وقائمه مقبضه . وذبابه : طرفه الذي يضرب به .

(٢) في الاصل : خلف رجل

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه^(١)

حدثني أبو سهل عن إسحاق بن سليمان عن شبيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تُحَقِّقُوا عِبَتًا ، وإن تتركوا سُدى ، وإن لكم معادًا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم . نخاب وخسر من تخرج من رحمة الله وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم وخاف ، وباع نافداً بياق ، وقليلًا بكثير ، وخوفًا بأمان ! ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وستكون من بعدكم للباقيين كذلك ، حتى تُرَدَّ^(٢) إلى خير الوارثين ! ثم إنكم في كل يوم تُشَيِّعُونَ غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نَحْبَهُ ، حتى تُغَيَّبُوهُ في صدع من الأرض في بطن صدع غير مُوسَّد ولا مُمَهَّد ، قد فارق الأحباب وياشر التراب وواجه الحساب ، فهو مرتين بعمله ، غنى عما ترك فقير إلى ما قدم . فاتقوا الله قبل انقضاء مَوَاقِيتِهِ وتزولِ الموت بكم ! أما إني أقول هذا وما أعلم أن عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، فأستغفر الله وأتوب إليه . ثم رفع طرف رِدائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلاله ثم قال : كنت كذلك ما شئت أن تكون ، لا أعلم كيف أنت إلا أنت ، ثم ارتأيت أن تخلق الخلق ، فماذا جئت به من عجائب صنْعك ،

(١) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٠) والعقد القرين (ج ٢ ص ١٧٥)

بزيادة عما هنا . (٢) في الأصل : «وباع نافداً...» بالقاف وهو تحريف . (٣) في الأصل :

«وسيكون... حتى يرد...»

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذرك : من صنوف أفواجه
وأفراده وأزواجه ، كيف أدمجت قوائم الدرة والبعوضة إلى ما هو أعظم من ذلك من
الأشباح التي امتزجت بالأرواح ! .

وخطب يوما فسقطت جرادة على ثوبه فقال : سبحان من الجراد
من خلقه ، أدمج قوائمها ، وطوقها جناحها ، ووشى جلدها ، وسلطها على ما هو
أعظم منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفظوا فروجكم ، وخذوا الأنفس بضميرها ، فإنها
أسو^(١)ك شيء إذا أعطيت ، وأعصى شيء إذا سئلت . وإني رأيت الصبر عن محارم
الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دار غرور ومتزل باطل ، تضحك باكيا وتبكي
ضاحكا ، وتُخيف آمنة وتؤمن خائفا ، وتُفقر مثرى وتثرى مُقترا ، مبالغة غرارة لغابة
بأهلها ! عباد الله ! اتخذوا كتاب الله إماما ، وارتضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ،
فإنه ناسخ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يحلو
كيد الشيطان كما يحلو ضوء الصبح إذا تنفس ، ظلام الليل إذا عسعس .

(١) أسوك : أضعف ، من ساك الرجل إذا مشى مشيا ضعيفا

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفي الأصل : « دبار الليل ... » . وتنفس

الصبح : تليج وأسفر . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حميد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا
 حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك ، وما بي إبطاء نفسي ، وإني لظالم لها إن
 لم يرحمني الله ، ولكن خرجت غصباً لله ودينه ، داعياً إلى الله وإلى سنة نبيه ، لما
 هُدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد ، المستحل لكل
 حرمة ، والراكب لكل بدعة ، الكافر بيوم الحساب ، وإنه لأبن عمي في النسب
 وكفيئي في الحسب ، فلما رأيت ذلك استخبرت الله في أمره وسألته ألا يكلفني إلى
 نفسي ، ودعوت إلى ذلك من أجاخي من أهل ولايتي ، حتى أراح الله منه العباد ،
 وطهر منه البلاد ، بحوله وقوته لا بحوي وقوتي .

أيها الناس ، إن لكم على ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لبننة على لبننة ، ولا أكرى^(١)
 نهراً ، ولا أكرت مالا ، ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقله من بلد إلى بلد حتى
 أسد نتر ذلك البلد وخصاصة أهله ، فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ،
 ولا أجركم في بعوثكم فافتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم فياكل قوتكم^(٢)
 ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم وأقطع به نسلهم .
 ولكم على إدراار العطاء في كل سنة والرزق في كل شهر ، حتى يستوي بكم الحال فيكون
 أفضلكم كأدناكم . فإن أنا وفيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة^(٣)
 والمكانة ، وإن لم أف لكم [فلكم] أن تخلعوني^(٤) * إلا أن تستيبوني^(٥) ، فإن أنا تبت

(١) كرى النهر : حفره . (٢) تجير العساكر : حبسهم في بلاد العدو أو الثغور . دون أن يرجعوا

إلى أهلهم . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : « ولا أجركم في ثغورك » . (٣) المكانة :

المعاونة . (٤) الكلمة منقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠)

وفي الأصل تستيبوني ، إن تبت

قبلتم مني ، وإن عرفتكم أحدا [يقوم مقامى ممن] يُعرف بالصَّلاح يُعطىكم من نفسه مثل الذى أعطيتكم فأردتم أن تُبايعوه ، فأنا أول من بايعه ودخل فى طاعته .

أيها الناس ، إنه لا طاعة لخلق فى معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

- فلما بُويع مروانُ نبَّشه وصلَّبه . وكانوا يقرءون فى الكتب : يا مبدئ الكنوز ويا سجاداً بالأسحار ، كانت ولايتك لهم رحمةً وعليهم حجة ، أخذوك فصَلَّبوكم

خطبة أبى حمزة الخارجى^(٢)

- خطب أبو حمزة الخارجى بمكة فذكر رسول الله صلى الله عليه [وسلم] ، ثم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بما هم أهلُه ، ثم قال : وولى عثمانُ فسارست سنين بسيرة صاحبه وكان دونهما ، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط [به] الأوائل ، ثم مضى لسبيله .
- وولى على فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع [له] منارا ، ثم مضى لسبيله . ثم ولى معاوية لعين رسول الله وابن لعينه ، اتخذ عباد الله خوفاً ، وهال الله دولا ، ودينه دغلا ، ثم مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية ، يزيد الخمر ، ويزيد القُرود ، ويزيد الفهود ، الفاسق فى بطنه والمأبون فى فرجه . ثم اقتصم خليفته . فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عن ذكره . ثم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال :
يا كل الحرام ، ويا لبس الحلة بألف دينار : قد ضربت فيها الأبتار ، وهتكت الأستار ، حباية عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه . حتى إذا أخذ الشراب فيه كل مأخذ قد ثوبه ثم التفت الى أحدهما فقال : ألا أظير ! نعم ! طر الى النار . ثم ذكر أصحابه

(١) الزيادة منقول من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين

فقال : شبابٌ والله مُكتهلون في شبابهم ، غَضِيضَةٌ عن الشر أعينهم ، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أرجائهم ، أَنْصَاءُ عِبَادَةٍ ، وَأَطْلَاحٌ سَهْرٍ^(١) ، يَنْظُرُ اللهُ اليهم في جوف الليل مُنْحَنِيَةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، قد أكلت الأرض رُكَبَهُم وأيديهم وجَبَاهَهُم ، واستَقَلُّوا ذلك في جنب الله ، حتى إذا رأوا السَّهَامَ قد فُوقَتْ ، والرماح قد أُشْرِعَتْ ، والسيوف قد اتَّضَيْتْ ، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت ، مضى الشاب منهم قُدُمًا ، حتى اختلفت رجلاه على عُنُقِ فرسه ، وتَخَضَّبتْ محاسنُ وجهه بالدماء ، فأُسْرعت إليه سباعُ الأرض وانحطَّت إليه طيرُ السماء ، فكم من عينٍ في مَنَاقِرِ طائرٍ طالما بَكَى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ! وكم من كَفٍّ زَالَيْتْ مَعْصَمُهَا طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله ! ثم قال : أَوْه أَوْه وبكى ثم نزل .

خطبة لِقَطْرِىَّ الخارجى^(٤)

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاقِفَةً ، فَقَالَ : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنْزِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجَعَلُوا لَهُمُ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانًا ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانًا ، فَهَمَّ جِيرَةً لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْيًا ، إِنْ

(١) أَنْصَاءُ : جمع نضو ، وهو الخفيف اللحم من التعب . وَأَطْلَاحٌ : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو

المهزول . (٢) فى الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد

(ج ٢ ص ١٩٧) (٣) أَوْه : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهى : آؤه (بالماء وسكون الهاء)

وأؤه بضم الهاء وأووه (بالماء وواو) وأؤه (بكسر الهاء) خفيفة وأؤه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها)

رآه (بالماء وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة أوه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين

(ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) فى البيان والتبيين والعقد الفريد

« وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجنن

(بالتحريك) : القبر .

أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا، أَوْ أَخْطَوْا لَمْ يَقْنَطُوا، بِجَمِيعِ أَوْحَادٍ، وَجِيْرَةِ أَبْعَادٍ، لَا يَزُورُونَ وَلَا يَزَارُونَ . فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ، وَانْتَفِعُوا بِمَا عَظَّمَهُ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ .

وفي خطبة ليوسف بن عمر :

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ! فَمَنْ مِنْ مُؤْمِلٍ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ، وَجَامِعٍ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ، وَمَانِعٍ مَاسُوفٍ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمَنْ حَقَّ مَنَعُهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا، ^(١)احْتَمَلَ إِصْرَهُ وَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسَفًا لَاهِقًا، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

وفي خطبة للحجاج :

قال مالك بن دينار: سمعته على المنبر يقول: ^(٢)إِمْرَأٌ زُورَ عَمَلِهِ إِمْرَأٌ حَاسَبَ نَفْسِهِ، إِمْرَأٌ فَكَّرَ فِيمَا يَقْرَأُهُ فِي صَحِيفَتِهِ وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ، إِمْرَأٌ كَانَ عِنْدَ هَوَاهُ زَاجِرًا، وَعِنْدَ ^(٣)هَمِّهِ آمِرًا، أَخَذَ بَعْنَانَ قَلْبِهِ كَمَا يَأْخُذُ بِنِخْطَامِ جَمَلِهِ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهَ .

خطبة للمنصور

خطب المنصور بمكة فقال : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، أَسْوَ سُكُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْلِيدِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَبْصِيرِهِ، وَخَازِنُهُ عَلَى فَيْئِهِ أَعْمَلُ فِيهِ بِمَشِئَتِهِ، ^(٥)وَأَقْسِمُ بِإِرَادَتِهِ، وَأَعْطِيهِ بِإِذْنِهِ، قَدْ جَعَلَنِي عَلَيْهِ قُفْلًا إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسَمُ أَرْزَاقَكُمْ فَتَحَنِي، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهَا أَقْفِلَنِي . فَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَسْأَلُوهُ

(١) الإصر : الثقل . (٢) في العقد « أمرؤ... » بالرفع . وزور عمله : حسنه

(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفي الأصل « عند قلبه... » (٤) كذا في العقد الفريد

وفي الأصل : « بعنان عمله... » (٥) كذا في العقد الفريد، وفي الأصل : « بشيته... »

في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه ، اذ يقول :
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أن يوفقني
للصواب والرشاد ، ويُلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، ويفتحني لإعطائكم وقسم
أرزاقكم بالعدل عليكم .

خطبة لداود بن علي

خطب فقال : أحرز لسان رأسه ، اتعظ أمرؤ بغيره ، اعتبر عاقل قبل أن يعتبر
به ، فأمست الفضل من قوله وقدم الفضل من عمله . ثم أخذ بقائم سيفه فقال :
إن بكم داء هذا دوائه ، وأنا زعيم لكم بشفاؤه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع .

خطبة لداود بن علي أيضا

لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر قام بوجه كورقة المصحف فاستحيا
فلم يتكلم ، فتمض داود بن علي حتى صعد المنبر ، فقال المنصور : فقلت في شيخنا
وكبيرنا ويدعو إلى نفسه فلا يختلف عليه آثان ، فانتصيت سيفي وغطيت ثوبي
وقلت : إن فعل ناجزته ، فلما رقي عتبا استقبل الناس بوجهه دون أبي العباس ، ثم
قال : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعلاه ، ولا أثرُ أفعال عليكم
أجدى من تشقيق المقال ، وحسبكم بكتاب الله مُمَثِّلًا فيكم ، وأبني عم رسول الله
خليفة عليكم . والله قسما براء لا أريد إلا الله به ما تام هذا المقام أحد بعد رسول
الله أحق به من علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا ، فليطئن فأنكم وليهمس
هامسكم . قال أبو جعفر : ثم نزل وشمت سيفي .

(١) تشقيق الكلام : إخراج أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أغمدته ، ويستعمل بمعنى

خطبة لأعرابي^(١)

أما بعد، فإن الدنيا دارُ بلاءٍ والآخرة دارُ بقاءٍ، نَحْذُوا أيها الناس لمَقَرِّكُمْ من مَمَرِّكُمْ،
ولا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عند من لا يَخْفَى عليه أَسْرَارُكُمْ، ففى الدنيا أُحْيَيْتُمْ ولغيرها خُلِقْتُمْ.
أقول قولى هذا، والمستغفرُ الله، والمدعو له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان .

خطبة المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجب على خلقه، أحمدُه وأستعينُه وأؤمن
به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .
أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجيز لأوعده، والخوف
لوعيده، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله
وبادروا آجالكم بأعمالكم، وأبتاعوا ما بقى بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جد بكم،
واستعدوا للولوت فقد أظلمكم، وكُونُوا قَوْمًا صَاحِبِينَ فَاَتَبَهُوا، وعلموا أن الدنيا ليست
لهم بدار فاستبدلوا، فإن الله لم يخلقكم عبثًا ولم يترككم سُدىً، وما بين أجليكم وبين
الجنة والنار إلا الموتُ أنى ينزل به . وإن غاية تنقضي اللحظة وشهدها الساعة
الواحدة بحديرة بقصر المدة^(٢)، وإن غائبًا يحدوه الحديدان الليل والنهار حورى بسرعة
الأوبة، وإن قادمًا يحل بالنور أو بالشقوة مستحق لأفضل العدة، فاتق عبد ربه،
ونصح نفسه، وقدم توبته، وغاب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له،
والشيطان موكل به : يزين له المعصية ليركبها، ويمنيه التوبة ليُسَوِّفَهَا، حتى تهجم

(١) وردت هذه الخطبة فى الأمالى لأبى على القالى (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية)

(٢) هذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) . وفى الأصل : « جدير » .

عليه منيته أغفل ما يكون عنها . فيالها حسرة على ذى غفلة : أن يكون عمره عليه
 حجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة ! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ،
 ولا تقصر به عن طاعته غفلة ، ولا تحل به بعد الموت فزعة ^(١) ، إنه سميع الدعاء ، وبيده
 الخير ، وإنه فعال لما يريد .

وفي خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول :

إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرمة ، ووفق
 له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خيله ، وفدى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم
 الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدم الأيام المعدودات من التقرب ، يوم حرام من أيام
 عظام في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن
 بتعظيمه ، قال الله جل وعز : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) الآيات ، فتقربوا إلى الله
 في هذا اليوم بذابحكم ، وعظموا شعائر الله واجعلوها من طيب أموالكم وبصحة
 التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُجُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ
 التَّقْوَى مِنْكُمْ) ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد
 ذكر الجنة والنار : عظم قدر الدارين وارتفع جزاء العاملين وطالت مدة الفريقين
 الله الله ! فوالله إنه الجسد لا اللعب ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت
 والبعث والميزان والحساب والقصاص والضراط ثم العقاب والثواب ، فمن نجا
 يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب . الخير كله في الجنة ، والشر كله
 في النار .

(١) كذا بالعقد الفريد ، وفي الأصل « سرعة » .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعملين عمل الخير وعمل الشر . وفي الأصل :

«العاملين» .

وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول :

إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ وَسُنَّةٌ وَابْتِهَالٌ وَرَغْبَةٌ ، يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ
 رَمَضَانَ وَافْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، بَخَعَهُ خَاتِمَةَ الشَّهْرِ وَأَوَّلَ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَجِّ ، وَجَعَلَهُ
 مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ وَمُتَنَفِّلًا قِيَامَكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ،
 فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ لِتَفْرِيطِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا
 صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ . ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَذِكْرُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى ،
 ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي اعْتَدَلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، وَلَمْ يَحْضُرِ الشُّكُّ^(١)
 فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ
 قَبْلَهُ تَوْبَةٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونَهُ وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ . وَلَا يُعِينُ عَلَى
 جَزَعِهِ وَعَلَزِهِ وَكُرْبِهِ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلُمَتِهِ وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ^(٢)
 مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ
 ظَهَرَتْ نَدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَدَّلَ مِنَ
 الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ . فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا^(٣)
 إِذْ مُنِعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهْلَ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ .
 وَاحْدَرُوا مَا حَذَّرَكُمْ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ أَوْضَعُ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرُ^(٤)
 صُحُفِكُمْ الْخَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ . فَلْيَنْظُرُوا عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُمِلُّ فِي صَحِيفَتِهِ
 الْخَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَ لَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرُطُونَ عِنْدَهَا إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ
 عَنْهَا ، قَالَ : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ :
 ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . وَلَسْتُ أَنُهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُكُمْ

(١) احتضر : مثل حضر . (٢) العزب بالنحر يك : ما يصيب المريض عند حشجة الموت .
 من رعدة واضطراب . (٣) في العقد الفريد : « الأجل » . (٤) يمل : يملئ .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كل ما لها ينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو الى غيرها . وأعظم مما رآته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتاب الله لها ونهى الله عنها ، فإنه يقول : (فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقال : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِيبٌ وَلَهُوَ الْآيَةُ . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أن قومنا من عباد الله أدركتهم عصمة الله فخذروا مصارعها ، وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدركوا الجنة بما تركوا منها .

كلام من أرتج عليه

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا عيسى بن عمر قال : خطب أمير مرة فانقطع نخيل ، فبعث الى قوم من القبائل عابوا ذلك وألفهم^(١) ، وفيهم يربوعي جلد ، فقال : اخطبوا ، فقام واحد ثم في الخطبة ، حتى اذا بلغ «أما بعد» قال : أما بعد أما بعد ، ولم يدري ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع اليوم فتمتني ، وخطب آخر ، فلما بلغ «أما بعد» بقى ونظر فإذا إنسان ينظر اليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتلمحنى ببصرك أيضاً ! . قال وقال أحدهم : رأيت القراقير من السفن تجرى بيني وبين الناس . قال : وصعد اليربوعي فخطب فقال : أما بعد فوالله ما أدري ما أقول ولا فيم أقسموني . أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ، فقال : الزيت مبارك ، فكلوا منه وآدتهوا . قال : فهو قول الشطار اليوم اذا قيل : لم فعلت ذاء ، فقل في شأن الزيت وفي حال الزيت .

ولما أتى يزيد بن أبي سفيان الشام والياً لابي بكر رضى الله عنه ، خطب فأرتج عليه ، فعاد الى الحمد لله فأرتج عليه ، فعاد الى الحمد لله ثم أرتج عليه ، فقال : يا أهل

٢٠ (١) لفهم : جمعهم . (٢) في الأصل : «أحدهما» . (٣) القراقير : السفن العظيمة ، واحدها قرقور . (٤) الشطار : جمع شاطر ، وهو من أعيا أهله خبنا ، والمراد بالشطار هنا : أهل الدساسة والفنك وأصحاب النواذر والتكتيك والمضحكات .

الشَّامُ عسى الله أن يجعل من بعد عُسرٍ يُسرًا، ومن بعد عيٍّ بئانا، وأنتم إلى إمام عادل^(١) أخرج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعد ثابت قُطْنَةً منبراً بسجستان فحمد الله ثم أرتج عليه ، فنزل وهو يقول
فَإِلَّا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيْبًا فَإِنِّي * بسيفي إذا جَدَّ الوَغَى نَحَطِيْبُ

ف قيل له : لو قلتها على المنبر كنت أخطب الناس .

وأرتج على عبد الله بن عامر بالبصرة يوم أَصْحَى ، فمَكَثَ ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عيًّا ولؤمًا ، من أخذ شاةً من السوق فهي له وثمنها على

وأرتج على خالد بن عبد الله القسري فقال : إن هذا الكلام يحمي أحياناً ويعزب^(٢) أحياناً ، وربما طلب فأبى ، وكو برفعسا ، فالتأني لمحيه ، أيسر من التعاطي لأبيه ، وقد يَحْتَطِط من الجريء جنانه ، وينقطع من الذرب لسانه ، فلا يُطْرَه ذلك ولا يكسره ، وسأعود إن شاء الله .

وأرتج على مَعْن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : «فَتَى حُرُوبٍ لَا فِتَى مَنَابِرٍ» .

وكان عبد ربه اليشكري عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن ، فصعد المنبر فحمد الله وأرتج عليه فسكت ، ثم قال : والله إني لأكون في بيتي فتيجي على لسان ألف كلمة ، فإذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فحاجها من صدرى ، ولقد كنت وما في الأيام يوم أحب إلى من يوم الجمعة ، فصرت وما في الأيام يوم أبغض إلى من يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه .

(١) في المصادر التي بين أيدينا : « إلى أمير فاعل ... » . (٢) قُطْنَةُ لقب ثابت هذا لقب به لأن عينه أصيبت بسمرقند ، فكان يحشوها بالقطن . وصحت إضافة ثابت إلى قُطْنَةَ لأن الأسماء نصح إضافتها إلى ألقابها . (٣) عسا : اشتد وصعب .

صَعِدَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمِ الْمَنْبَرِ، فَلَمَّا رَأَى جَمَعَ النَّاسِ حَاصِرًا، فَقَالَ : نَكَّسُوا رُءُوسَكُمْ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَرَكِبٍ صَعَبٌ، وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُلُوبَ تَيْسَرٍ .

وَدُعِيَ رَجُلٌ لِيُخَاطَبَ فِي نِكَاحِ فَخِصْرٍ، فَقَالَ : لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ حَضَرَتْ : أَلْهَذَا دَعَوْنَاكَ ! أَمَّا تَكُ اللَّهُ : .

قَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : نِعِمَّ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ وَالتَّشْرِيفُ لِلْخُطَّابِ .

قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : تَحَجَّلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ ، فَقَالَ : كَيْفَ لَا يُعَجِّلُ عَلَيَّ وَأَنَا أُعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .

وَوُفِيَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُعْرَفُ بِالذَّنْدَانِ بِحَجْرِ الْإِيمَانَةِ . فَلَمَّا صَعِدَ الْمَنْبَرَ أَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : حَيَّا اللَّهُ هَذِهِ الْوُجُوهَ وَجَعَلَنِي فِدَاءَهَا ، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ طَائِفَتِي بِاللَّيْلِ إِلَّا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَتَانِي بِهِ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ . ثُمَّ نَزَلَ .

المنابر

قَالَ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) إِنَّهُ الْمَنْبَرُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَنَا الْمَسَاجِدُ نَبْنِيهَا وَنَعْمُرُهَا * وَفِي الْمَنَابِرِ قَعْدَاتٌ لَنَا ذُلُّ

فَلَا تَقِيلُ عَلَيْهَا حِينَ نَزَكْهَا * وَلَا لَهْقٍ لَنَا مِنْ مَعْشَرٍ بَدَلُ

وَقَالَ الْكُتَيْبُ يَذْكُرُ بَنِي أُمَيَّةَ :

مُصِيبٌ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ * لَمَّا قَالَ فِيهَا، مُخْطِئٌ حِينَ يَنْزِلُ

يُسَبِّحُهَا الْأَشْبَاهُ وَهِيَ نَصِيْبُهُ * لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ وَمَا كُلُّ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ . وَقَوَانِدُ اللَّغَةِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ : « وَلَوْ كُنْتُ أَنَا إِيَّاهُ » .

(٢) نَصِيْبُهُ لِلدُّنْيَا .

وقال بعض المحدثين

فأمنبر دأسته بأسميت «أفكل» * بزالك ولو طهرته بآبن «طاهر»
ومر الأقيشر بمطر بن ناجية اليربوعي حين غلب على الكوفة في أيام الضحاك
ابن قيس الشاري ومطر يخطب ، فقال :

أخي تميم ما المنبر منكهم ^(١) لا يستمر قعوده يتممر
إن المنابر أنكرت أشباهكم ^(٢) * فادعوا خزيمه يستقر المنبر
خلعوا أمير المؤمنين وبايعوا * مطرا لعمرك بيعة لا تظهر
وأسخلفوا مطرا فكان قتائل * بدل لعمرك من أمية أعور

خطب قتيبة بن مسلم على منبر نجراسان فسقط القضيبي من يده ، فتفأل له
عدوه بالشر وأغم صديقه ، فعرف ذلك قتيبة فقال : ليس الأمر على ما ظن العدو
وخاف الصديق ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألفت عصاه واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

وقال واثلة بن خليفة السدوسي يهجو عبد الملك بن المهلب :

لقد صبرت للذل أعواد منبر * تقوم عليها في يدك قضيبي
بكي المنبر الغري إذ قمت فوقه * وكادت مسامير الحديد تذوب

ثم كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله ،

ويتلوه في الكتاب السادس كتاب الزهد ،

والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

(١) يتممر : يحرك .

(٢) في الشعر والشعراء للمؤلف (ص ٢٥٣) «أنكرت أشباهكم» .

صورة ما كتبه الناسخ بخطه في آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

قال بعضهم : بُني الإسلامُ على خمسة : التواضع عند الدولة، والعفو عند
القدرة، والسخاء مع القلة، والعطية من غير منة، والنصيحة للعاقبة .

وقال بعض الشعراء في الصبر :

وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِحُجَّةٍ فَالْبَسْ لَهَا * ثَوْبَ السَّكْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ
لَا تَشْكُوتْ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا * تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَيُرَوَّى لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

نَعِيبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا * وَمَا لَزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَقَدْ نَهَجُوا الزَّمَانَ بِغَيْرِ جُرْمٍ * وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِنَا هَجَانَا
فَدُنْيَانَا التَّصَنُّعُ وَالتَّرَائِي * وَنَحْنُ بِهِ مُتَحَادِعٌ مِنْ يَرَانَا
وَلَيْسَ الذَّنْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذَنْبٍ * وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب النهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ الى أنبيائه عليهم السلام

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا خلف بن تميم عن أبي عصمة الشامي عن ابن
أخت وهب بن منبه عن وهب قال : أوحى الله الى نبي من أنبياء بني إسرائيل
يقال له "أرمياء" حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظهرائي قومك فأخبرهم
أن لهم قلوبا ولا يفقهون ، وأعيننا ولا يبصرون ، وآذاننا ولا يسمعون ، وأنّي تذكّرتُ
صلاح آبائهم ، فعطّفتني ذلك على أنبائهم . سلهم كيف وجدوا غيب طاعتي ، وهل
سعد أحد من عصائي بمعصيتي ، وهل شقي أحد من أطاعني بطاعتي ! إنّ الدوابّ
تذكر أوطانها فتسرع إليها ، وإنّ هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه
آباءهم ، واتمسوا الكرامة من غير وجهها . أما أحبارهم فأنكروا حقّي ، وأما قضاؤهم

(١) ثم نعر على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا . وإنما الموجود بها عصمة بن راشد
الأملاكي (بضم الهمزة واللام وسكون الميم بينهما) شامي مجهول يروي عن بعض التابعين كحبيب ابن عبيد ،
ويوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازي ومن يذكر بوضع الحديث ، ولكنه
مرزقي وليس بشامي (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني في اسم عصمة واسم نوح بن أبي مريم) .

فعبدوا غيري ، وأما نساكهم فلم ينتفعوا بما علموا من حكمتي ، وأما ولاتهم فكذبوا
 عليّ وكذبوا رسلي ، نحرّوا المكر في قلوبهم ، وعقدوا الكذب السننهم ، وإنّي
 أقسم بحلالي وعزتي لأهيجنّ عليهم جنودا لا يفقهون السننهم ، ولا يعرفون
 وجوههم ، ولا يرحمون بكاءهم ، ولا يتعشّن فيهم مليكا جبارا قاسيا ، له عساكر
 كقطع السحاب ، ومواكب كأمثال العجاج ، كان خفقاان راياته طيران النسور ،
 وكان حمل فرسانه كزّ العقبان ، يعسّدون العمران خرابا ، ويتركون القرى وحشة .
 فيا ويل إيلياء وسكانها ! كيف أذلّهم للقتل ، وأسلط عليهم السباء ، وأعيد بعد لحب
 الأعراس صراخ الهام ، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب ، وبعد شرفات القصور
 مساكن السباع ، وبعد ضوء السرج رنج العجاج . ولأبدلن رجلاهم بتلاوة الكتاب
 آتهار الأرباب ، وبالعزّ الذلّ ، وبالنعمة العبوديّة . ولأبدلن نساءهم بالطيب
 التراب ، وبالمشي على الزرابي الخبّ ، ولأجعلن أجسادهم زبلا للأرض ،
 وعظامهم ضاحية للشمس . وفي رواية أخرى : ولأدوسنهم بالوان العذاب ،
 حتى لو كان الكائن خائما في يميني أوصات الحرب إليه ، ثم لأمرن السماء
 فلتكونن طبنا من حديد ، والأرض فلتكونن مبيكة من نحاس ، فإن أمطرت
 السماء وأنبتت الأرض شيئا في خلال ذلك فبرحتي للبهائم ، ثم أحيسه في زمن الزرع
 وأرسله في زمن الحصاد ، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة ، فإن
 خلص منه شيء نزعته منه البركة ، فإن دعوني لم أجهم ، وإن سألوا لم أعطيهم ،
 وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم .

(١) إيلياء : مدينة بيت المقدس . (٢) الزرابي : البسط والخب (وزان غيب)

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب : أن الله عز وجل أوحى إلى موسى بن مَنَسَّى^(١) بن يوسف أن قل لقومك : إني برىء ممن سحر أو سحر له ، أو تكهن أو تكهن له . أو تطير أو تطير له ، من آمن بي صادقاً فليتوكل عليّ صادقاً ، فكفى بي مثيباً ومن عدل عني ووثق بخيري فإني خير شريك أرد عليه ما توصل به إلى ، وأكله إلى من توكل عليه ، ومن وكلته إلى غيري فلا يستعد للفتنة والبلاء .

وحدثني بهذا الإسناد قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام في الزبور : يا عبادي الشكور ! إني قد وهبت لك الزبور ، وأتبعته بنصح مني من أعين السطور ، ومن الوحي المحفوظ المحجوب من وراء الستور ، فاعبدني به في الأيام والاليل والشهور ، وأحبني من كل قلبك ، وحبيتي إلى خالق ، وأبغض من عبادي كل منافق جهول . قال : يا رب ، كيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : تذكركم آلائي .

وبهذا الإسناد قال : أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة ، وكانت صحفها أمثالا وعبراً وتسبيحاً وتجييداً وتلهيلاً ، فكان فيها : أيها الملك المسلط المغرور المبسلي . إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعظمها على بعض ولتبنى المدائن والحصون ، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر .

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لتعيا : قم في قومك أوح على لسانك ، فلما قام شعياً أنطق الله لسانه بالوحي . فقال : يا سماء اسمعي . يا أرض أنصتي ، فأنصت الأرض واستمعت السماء ، فقال : إن الله يقول لكم : إني استقبلت بني إسرائيل

(١) في الأصل : « مَنَسَّى » وهو تحريف والنصوب عن الزوراة (سفر التكوين ٥١ : ٥١)

ضع بيروت . (٢) كذا في قصص الأنبياء، لأبي إسحاق النعلبي طبع المطبعة الهية سنة ١٣٠١ هـ

وفي الأصول « تدل بي » . (٣) كذا في الأصول ، وفي قصص الأنبياء ، « فأنا أغني الشركاء

عن الشراكة » أكله إلى من وثق به دوني . ومن وكلته ... الخ .

بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعى لها ، فأويت شاذتها ، وجمعت ضالتها ، وجبرت
كسيرها ، وداويت مريضها ، وأسمنت مهزولها ، فبطرت فتناطححت ، فقتل بعضها
بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يُجبر إليه آخر كسير . إن الحمار مما يتذكر آريه^(١) الذى
شبع عليه فيراجمه ، وإن الثور مما يتذكر مرجه الذى ين فيه فينتابه ، وإن البعير
مما يتذكر وطنه الذى نتج فيه فينزع اليه ، وإن هؤلاء القوم لا يدكرون أنى جاءهم
خير وهم أهل الألباب وأهل العقول . ليسوا بإبل ولا بقير ولا حمير . وإنى ضارب
لهم مثلا فاسمعوه : قل لهم : كيف ترون فى أرض كانت زمانا من زمانها حربا
مواتا لا تحث فيها ، وكان لها رب قوى حليم ، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تحرب
أرضه وهو قوى وأن يقال له ضيع وهو عليم ، فأحاط عليها سياجا وشيد فيها قصرا
وأنبط فيها نهرا وصنف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان
الثمار ، وولى ذلك ذاريا وهممة حفيظا قويا أميناً ، فلما جاء إبان إثمارها أثمرت
نحروبا ، ما كنتم قائلين له ومشيرين عايسه ؟ قالوا : كنا نقول : بنست الأرض
أرضك ، ونشير عليه أن يقلع سياجها ، ويهدم قصرها ، ويدفن نهرا ، ويحرق
غرسها حتى تعود حربا مواتا لا عمران فيها . قال الله تعالى : قل لهم ، إن السياج
ذمتى ، وإن القصر شريعى ، وإن النهر كتابى . وإن القيم نبى ، وإن الغرس مثل
لهم ، والنحروب أعمالهم الحبيثة ، وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ،
يتقربون إلى بذبح الغنم والبقر وليس ينالنى اللحم ولا آكله ، ويدعون أن يتقربوا إلى
التقوى والكف عن ذبح الأنفس التى حرمتها ويُسَيِّدون لى البيوت ويرزقون لى
المساجد ، وأى حاجة بى إلى تشييد البيوت ولست أسكنها ، وإلى تزويق المساجد
ولست أدخلها ، إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح ، ويُجَسِّسون أنفسهم وعقولهم

(١) الآرى : محبس الدواب وحبل تشد به فى محبسها .

- وقلوبهم ويخربونها، يقولون: لو كان يقدرُ على أن يجمعَ أَلْفَتَنَا لجمعها، ولو كان يقدرُ على أن يُفكَّه قلوبنا لفتحها^(١). فاعتمدُ الى عودين يابسين فاكتب فيهما كتاباً ثم ائت ناديهما أجمع ما يكونون، فقل للعودين: إن الله يأمركما أن تعودا عوداً واحداً، فقال لهما ذلك، فاختلطا فصارا عوداً واحداً، وصار الكتاب في طرفي العودِ كتاباً واحداً: يامعشر القبائل، إن الله يقول لكم: إني قدرت على أن أفكَّه العبدان اليابسة وعلى أن أوِّف بينهما، فكيف لا أقدرُ على أن أجمعَ أَلْفَتَكُم إن شئتُ! أم كيف لا أقدرُ على أن أوِّف قلوبكم! يقولون: صمنا فلم يُرفع صيامنا وصلينا فلم تُنور صلاتنا وزكينا فلم تترك زكاتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عواء الذئاب، في كل ذلك لا يُسمع منا ولا يُستجاب لنا، قال الله تبارك وتعالى: سلهم لم ذلك وما الذي منعني أن أجيبهم؟ أَلَسْتُ أَسْمَعُ السامعين وأَبْصُرُ الناظرين وأَقْرَبُ المحبين وأرحم الراحمين! أَلَا نَخْزِي فَنَيْتُ! كيف ويداي مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء! أم لأن ذات يدي قَلَّتْ! كيف ومفاتيح الخير بيدي لا يفتحها ولا يغلقها غيري! أم لأن رحمتي ضاقت! كيف ورحمتي وسعت كل شيء، وإنما يتراحم بفضلها المتراحمون! أم لأن البخل يعتريني! كيف وأنا النِّفَاح بالخيرات أجودُ من أعطى وأكرم من سئل! ولكن كيف أرفعُ صيامهم وهم يَلْبِسُونَهُ بقول الزور ويتقوون عليه بطُعْمَةِ الْحَرَامِ! كيف أنورُ صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يُخَادِنِي وينتهك محارمي! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قولٌ بالسنتهم والعملُ من ذلك بعيد! أم كيف تزكو صدقاتهم وهي من أموال غيرهم! إنما أجرى عليها المغصوبين. وإن من علامة رضاي رضا المساكين.

(١) كذا في قصص الأنبياء وفي الأصل «قلوبهم» وهو تحريف. (٢) في قصص الأنبياء.

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لا تُعجبك زينة ولا ما مُتَّعَ به . ولا تملأ أنى ذلك أعينك فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين . ولو شئت أن أُزينك بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عما أُوتيتا فعلت ، ولكنى أَرغب بك عن ذلك وأُزوي به عنك ، وكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأدودهم عن نعيمها وريحانها كما يدود الراعى الشقيق غنمه عن مراعي الهلكة ، وإني لأحميهم عيشها وسلوتها كما يحجب الراعى الشقيق ذبابة مبادك العر^(٢) ، وما ذاك هوأنهم على ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موقرا لم يكلمه الطمع ولم يُطبعه الهوى . واعلم أنه لن يترين العباد بزينة أبلغ فيما عندى من الزهد فى الدنيا ، إنما هى زينة الأبرار عندى . وأنتى ما تترين به العباد فى عيني عليهم منها ، لباس يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم النحول والسجود ، أولئك أوليائي حقا . فاذا لقيتهم فآخفص لهم جاحك ، وذلك لهم قلبك ولسانك .

واعلم أنه من أهان لى وليا أو أخافه ، فقد بارزنى بالمحاربة وبادأنى وعرضنى لنفسه ودأنى اليها ، وأنا أمدع شىء إلى نصرة أوليائي : أفيض الذى يحاربني ويهم أنه يقوم لى ! أم يظن الذى يعادىني فيهم أنه يعجزني ! أم يظن الذى يبادرنى اليهم أنه يسبقني أو يغتوي ! كيف وأنا الدائرهم فى الدنيا والآخرة ، لا أكل نصرتهم إلى غيرى

وفى التوراة : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لبنان ، أنت عبدى وأنا إلهك الديان ، لا تستذل

(١) السلوة : رجاء العيش . (٢) العر : جمع أعر وهو الجمل الأجوب .

(٣) فى الأصل : « لما يكلمه الطمع » (٤) يطبعه : يخجسه .

الفقير ، ولا تغبط الغني بشيء يسير ، وكن عند ذكرى خاشعا ، وعند تلاوة وحي طائعا ، أسمعني لذادة التوراة بصوت حزين ،

وفيا أوحى الله الى عيسى عليه السلام : أنزلي من نفسك كهنتك ، واجعلني
ذخرك في معادك ، وتقرّب اليّ بالنوافل أدنك ، وتوكل على أكفك ، ولا تولّ
غيري فأخذلك ، اصبر على البلاء ، وارض بالقضاء ، وكن كسرتي فيك ، فإن
مسرّتي أنت أطاع ، وأحي ذكرى بلسانك ، وإيكن ودي في قلبك ، تيقظ لي
في ساعات الغفلة ، وكن راهبا وراغب اليّ . ^(١) مِتْ قلبك بالحشية ، راجع الليل
لتجري مسرّتي ، واضمأ لي تبارك ليوم الذي عندي ، نافس في الخيرات جهّده ،
قم في الخليفة بعدى ، واحكم فيهم بنصيحتي ، ففقد أنزلت عليك شفاء وساوس
ما في الصدور من مرض الشيطان ، وجلاء الأبصار من غشاء الكلال ، ولا تكن
حلسا كأنك مقبور وأنت حي لتنفّس . ^(٢) كحل عينيك بملمول الحزن إذا ضحك
البطالون . رابك على نفسك أيام الحياة بكاء من قد ودّع الأهل وقبلى الدنيا ، وتولّى
اللذات لأهلها ، وارتفعت رغبته فيما عند إلهه . طوبى لك إن نالك ما وعدت
الصابرين ! ترجّ من الدنيا يوما فيوما . وارض بالبلغة . وليكفك منها الخشن .
تذوّق مذاقة ما قد خلا أين طعمه ! وما لم يأت أين لذته ! لو رأيت عيناك ما أعددت
لأوليائي لذاب قلبك وزهقت نفسك شوقا اليه . ^(٣)

وفيا قال للحواريين : بحق أقول لكم : إن شجر الأرض بمطر السماء تعيش
وتزكو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تبصر وتمتدى ، بحق أقول لكم : إنه من ليس
عليه دين أرواح وأقل هما من عليه دين وإن حسن قضاؤه ، وكذلك من لم يعمل

(١) المجلس : الذي يترجم بيته فلا يبرحه . (٢) الملمول : المرد . (٣) في الأصل

الخطيئة أرواح وأقل هماً من عمل بها وإن حسنت توبته . إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة خيراً ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوةً . إن الجسد إذا صلح كفاه القليل من الطعام . وإن القلب إذا صح كفاه القليل من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عبد قد أفسده العجب . يا بني إسرائيل ، استمعوا قولي ، فإن مثل من يستمع قولي ثم يعمل به مثل رجلٍ حكيماً أسس بنيانه على الصفا^(١) ، فمطرت السماء وسالت الأودية وضربت الرياح فثبت بنيانه ولم يخر ، ومثل الذي يستمع قولي ثم لا يعمل به مثل رجلٍ سفيف أسس بنيانه على الرمل ، فمطرت السماء وسالت الأودية وهاجت الرياح فضربته فسقط بنيانه . يا بني إسرائيل ، ما يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ! وما يغني عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به ! . بحق أقول لكم : إن قائل الحكمة وسامعها شريكاً ، وأولاهما بها من حققها بعمله . بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجاً يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم بنوره ولم يمتنعكم منه ثن قطرانه ، فكذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها عنده .

بلغني عن محمد بن فضيل عن عمران بن سليم قال : بلغني أن عيسى بن مريم قال لأصحابه : إن كنتم إخواني وأصحابي فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس ؛ إنكم لا تدركون ما تطلبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تتألمون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون . إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب الشهوة . طوبى لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره ! .

(١) الصفا : جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة .

قال : وبلغني أن عيسى نخرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء^(١)
وتبائن^(٢) حافيا مجزوز الرأس والشاربين باكما شعثا مصفر اللون من الجوع يابس
الشفتين من العطش . طويلا شعر الصدر والذراعين والساقين ؛ فقال : السلام عليكم
يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلها ، ولا تحب ولا تخف ، أتدرون أين بيتي ؟
قالوا : أين بيتك يا روح الله ؟ قال : بيتي المساجد ، وطيبى الماء ، وإدامى
الجوع ، ودابت رحلى ، وسراجى بالليل القمر ، وصلائي في الشتاء مشارق الشمس ،
وطعامى ما تيسر ، وفاكهتى وريحانى بقول لأرض : واباسى الصوف ، وشعارى
الخوف ، وجلسانى الزمنى والمساكين ، أصبح وليس لى شىء ، وأمسى وليس لى
شىء ، وأنا طيب النفس غنى مكثرا ، فمن أغنى وأربح منى ! .

وقرأت في بعض الكتب : عبدى ! ما يزال ملك كريم قد صعد إلى منك
بعمل قبيح ، أتقرب إليك بالنعم ، ونمقت إلى المعاصي ، خيرى إليك نازل ، وشرك
إلى صاعد .

وفي التوراة : لعلك يا إسرائيل إذا أنت خرجت من البرية فدخلت الأرض
المقدسة ، أرض بنى آباءك إبراهيم وإسحاق ، فإنها تفيض برا وشعيرا ولبنا وعسلا ،
فورثت بيوتا بناها غيرك وعصرت كروما غرسها غيرك ، فأكلت وشربت وتنعمت
بشحم كسب القمح . ضربت بيدك الى صدرك ورحمت كما ترجح الدابة برجليها ،
وقلت : بشمتى وبقوتى وبأسى ورثت هذه الأرض وغلبت أهلها ، ونسيت
نعمتى عليك ! فأخذف الرعب فى صدرك ، إذا أنت لقيت عدوك ، وإذا هبت الريح

(١) التبائن : سراويل صغيرة يكون للإحسين والمصادرين .

(٢) الصلاء : الوقود أو النار العظيمة . وفى الأصل «صلاى» باللهاء .

فتَقَعَّعَ لها ورقُ الشجرِ انْهَزَمَتْ ، فَأُقِلَّ رجالُكَ ، وأُرْمِلُ نساءُكَ ، وأَيْتَمَ أبْناءُكَ ،
وأَجْعَلُ السماءَ عَلَيْكَ نُحَاسًا والأَرْضَ حَدِيدًا ، ^(١) فلا السماءُ تُمَطَّرُ ولا الأرضُ تُنْبِتُ ،
وأُقِلَّ لك البركةُ حتى تجتمعَ نِسْوَةٌ عَشْرٌ يُخْتَبَرْنَ فِي تَنْوِيرٍ وَاحِدٍ .

بلغنى عن عبد الرحمن المحاربى عن جعفر بن برقان قال : بلغنى عن وهب بن
منبه قال : أجدُ في الكتاب أن قوماً يتسدينون لغير العبادَةِ ، ويختلون الدنيا بعمل
الآخرة ، يلبسون مسوك الضأن على قلوب الذئاب . أستمهم أحلى من العسل ^(٢)
وأنفسهم أَمَر من الصبر ، أبى يغترون ! أم إياى يخادعون ! أقسمت لأبعثن عليهم
فتنةً يعود الخليمُ فيها حيران .

وقرأت في الإنجيل : « لا تجعلوا كنوزكم في الأرض حيث يفسدها السوس
والدودُ وحيث ينقُبُ السراقُ . ولكن آجعلوا كنوزكم في السماء فإنه حيث تكون
كنوزكم تكون قلوبكم . إن العين هى سراج الجسد فإذا كانت عينك صحيحة فإن
جسدك كله مضيء . وإنه لا يستطيع أحد أن يعملَ لربَّين اثنين إلا أن يُحِبَّ أحدهما
ويُبغِضَ الآخر ، ويُوقِّرَ أحدهما ويُهينَ الآخر ، فكذلك لا تستطيعون أن تعملوا لله
وللمال . ولا يُهمَّكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون ، أليست النفس أفضل
من الطعام . والجسد أفضل من اللباس !! أنظروا إلى طير السماء فإنهم لا يزرعون
ولا يحصدون ولا يجمعون في الأهراء ، ^(٣) وأبوكم الذى فى السماء هو الذى يرزقهم ، أفلمستم

(١) فى الأصل : «ولا السماء» ، والسياق يقتضى العطف بالناء لأنه مفعول على ما قبله .

(٢) أى يضلون الدنيا بعمل الآخرة : ومثله ما جاء فى الحديث : « من شرط الساعة أن تعطل السيوف
من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين » أى تطلب الدنيا بعمل الآخرة . من خلة إذا خدعه (أنظر اللسان

مادة ختل) . (٣) المسوك : جمع مسك (بالفتح) وهو الجلد . (٤) الأهراء : جمع

هرى (بالضم) وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام .

أَفْضَلُ مِنْهُمْ !! وَأَيْكُمْ الذِي إِذَا جَهِدَ قَدَّرَ أَنْ يَزِيدَ فِي طَوْلِهِ ذِرَاعًا وَاحِدًا ! فَلِمَ تَهْتَمُونَ
 بِاللِبَاسِ ! اعْتَبِرُوا بِسُوسِ الْبَرِّيَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَعْمَلُ وَلَا يَغْزِلُ ، أَنَا أَقُولُ : إِنَّ سَلِيمَانَ بَوْقَارَهُ^(٢)
 لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَلْبَسَ كَوَاحِدَةٍ مِنْهُ ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يُأْبِسُ عُشْبَ الْأَرْضِ الذِي يَنْهَبُ^(٣)
 الْيَوْمَ وَيُلْقِي فِي النَّارِ غَدًا ، أَفَلَسْتُمْ يَا قَلِيلِ الْإِيمَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ ! وَلَا تَهْتَمُوا فَتَقُولُوا : مَاذَا
 نَأْكُلُ وَمَاذَا نَشْرَبُ وَمَاذَا نَلْبَسُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَهْتَمُّ لِدَلِكِ ابْنِ الدُّنْيَا ، وَإِنْ أَبَاكُمْ الذِي
 فِي السَّمَاءِ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ يَنْبَغِي لَكُمْ ، فَابْدَعُوا فَاتَّمَسُوا مَلَكَوتَ اللَّهِ وَصِدْقِيَّتَهُ^(٥) ، فَإِنَّكُمْ سَوْفَ
 تُكْفَفُونَ . وَلَا يُهَمُّكُمْ مَا فِي غَدٍ ، فَإِنْ غَدًا مَكْتَفٍ بِهِمْ ، وَحَسْبُ الْيَوْمِ شَرُّهُ . وَكَمَا
 تَدِينُونَ تُدَانُونَ ، وَبِالْمِكْيَالِ الذِي تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ . وَكَيْفَ تُبْصِرُ الْقِذَاةَ فِي عَيْنِ
 أَخِيكَ وَلَا تُبْصِرُ السَّارِيَّةَ فِي عَيْنِكَ ! لَا تُعْطُوا الْكِلَابَ الْقُدْسَ ، وَلَا تُلْقُوا لَوْلَاكُمْ
 لِلْخَنَازِيرِ . سَلُّوا تُعْطُوا ، وَابْتَغُوا تَجِدُوا ، وَاسْتَفْتَحُوا يَفْتَحْ لَكُمْ ، وَانْظُرُوا الذِي تُحِبُّونَ
 أَنْ يَأْتِيَ النَّاسَ إِلَيْكُمْ فَأَتُوا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُ . أَدْخُلُوا الْبَابَ الضَّيِّقَ ، فَإِنَّ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ
 إِلَى الْمَلَكَةِ عَمْرِيضَانِ . وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهُمَا كَثِيرٌ . وَمَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ لِلَّذِينَ
 يُبْلَغَانِ إِلَى الْحَيَاةِ ! وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهُمَا قَلِيلٌ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَتَبْعُكَ حَيْثُ ذَهَبْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ عِيسَى : لِلشَّعَالِِبِ حِجْرَةً ، وَاطِيرِ
 السَّمَاءِ مَكَانًا ، وَلَيْسَ لِابْنِ الْإِنْسَانِ مَكَالٌ يُسْنَدُ فِيهِ رَأْسُهُ .
 وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِئِينَ : أَتَذْنُ لِي أَنْ أُدْفِنَ أَبِي ؟ فَقَالَ لَهُ : دَعْ الْمَرْتَقِيَ
 يُدْفِنُونَ مَوْتَهُمْ وَاتَّبِعْنِي . وَقَالَ لِلْخَوَارِئِينَ : لَا تَتَرَوَّدُوا شَيْئًا ، فَإِنَّ الْعَائِلَ مُحَقَّقٌ أَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « إِذَا جَهِدَ فَقَدَّرَ » . الْفَاءُ فِي جَوَابِ إِذَا ، وَلَا مَعْنَى لَذِكْرِ الْفَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .
 (٢) الْبَوْقَارُ : الْعِظْمَةُ . وَفِي الْأَصْلِ : « بَوْقَارُهُ » بِالْفَاءِ ، وَلَا مَعْنَى لَهُ هُنَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُحْرَقًا عَنْ
 (وَفَوْرِهِ) جَمْعُ وَفَرٍ « بِالْفَتْحِ » وَهُوَ الْغَنَى . (٣) فِي الْأَصْلِ : « تَنْهَبُ » « وَتَلْقَى ... مِنْهُمْ » .
 (٤) لَعَلَّ اسْمَ الْإِشَارَةِ يَرْجِعُ إِلَى عَدَمِ الْإِهْتِمَامِ الْمَأْخُوذِ مِنْ قَوْلِهِ « وَلَا تَهْتَمُوا » ، لِيَسْتَقِيمَ الْكَلَامُ .
 (٥) الصَّدَقِيَّةُ : دَرَجَةُ أَعْلَى مِنَ الْوَلَايَةِ وَأَدْنَى مِنَ النُّبُوَّةِ .

يُطْعَم قُوَّتُهُ ، وَإِنِّي أُرْسِلُكُمْ كَالْخِرَافَاتِ بَيْنَ الذَّنَابِ ، فَكُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ
وَبُلَهَاءَ كَالْحَمَامِ . وَإِذَا دَخَلْتُمُ الْبَيْتَ فَسَلِّمُوا عَلَى الْبَيْتِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْبَيْتَ أَهْلًا
لِسَالَمِكُمْ فَلْيُصِيبْكُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِسَالَمِكُمْ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَمَنْ لَمْ يُقَوِّكُمْ
وَيَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ ، فَإِنَّا نَخْرِجُكُمْ مِنْ قَرْيَتِهِ فَانْقُضُوا الْقَبَارَ عَنْ أَرْجُلِكُمْ .

٥ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعِمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبٍ قَالَ : كَانَ فِيمَا نَاجَى بِهِ
عَزِيزُ رَبِّهِ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَكُ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ خَلْقَتَهُ خَيْرَةً اخْتَرْتَهَا ، وَإِنَّكَ اخْتَرْتَ مِنْ
النَّبَاتِ الْحَبْلَةَ ، ^(١) وَمِنَ الْمَوَاشِيِّ الضَّائِئَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَمَامَةَ ، وَمِنَ الْبُيُوتِ بَيْتَ إِبِلْيَاءَ ،
وَمِنَ إِبِلْيَاءَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، وَمِنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ آدَمَ ، وَمِنْ وَلَدِ آدَمَ نُوحًا ، وَمِنْ وَلَدِ
نُوحٍ إِبْرَاهِيمَ ، وَمِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، وَمِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ إِسْرَآئِيلَ ؛
اللَّهُمَّ فَأَصْبَحْتُ خَيْرَتُكَ قَدْ تَمَّتْ وَنَفَسْتُ فِي كُلِّ مَا اخْتَرْتَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ وَلَدِ
خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهُمْ أَصْبَحُوا أَعْبَادًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ وَخَوَلَا لِأَعْدَائِكَ ، فَمَا الَّذِي
سَلَّطَ عَلَيْنَا ذَلِكَ ؟ أَمْ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا ؟ فَانْخَاطِطُونَ وَلَدُونَا ، أَوْ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِنَا ؟
فَمِنْ ضَعْفٍ خَلَقْنَا ، قَالَ : بَخَاءُ فِي الْمَلِكِ لِحُكْمَتِي ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ سَمِعْتُ صَوْتًا هَالِكًا
فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ حَامِسَةٌ عَنْ رَأْسِهَا ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا ، شَاقَّةٌ جَبِيحٌ ، تَلَطُّمٌ وَجْهَهَا ،
وَتَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا ، وَتَحْتُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا ، فَأَقْبَبْتُ عَلَيْهَا وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ
فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِأَلَاكِ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ وَمَا الَّذِي دَهَاكِ ؟ أَخْبَرَنِي خَبْرُكَ ، فَقَدْ أَصَابَتْ
الْمَصَائِبُ ذِيْلَكَ ، قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَإِنَّ رَجُلًا هُوَ الَّذِي يَبْكُنِي ،

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . رَفَعُ حَيَاةِ الْخِرَافَاتِ لِمَعْنَى رُوحٍ : « وَرَوَى أَحْمَدُ فِي أَوْجُهٍ »

عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا بِأَهْلِ فِي اللَّهِ تَعَالَى
مِثْلَ الْحَمَامِ فَافْعَلُوا . « وَفِي الْإِنْجِيلِ مَثَلٌ مِنَ الْكُتَابِ الْمُقَدَّسِ (طَبْعُ بَيْرُوتِ سَنَةِ ١٨٨٢ مِ) مَجْلَدُ ثَالِثٍ
ص ١٧ م ١٢) : « فَكُونُوا حِكَمًا كَالْحَيَاتِ وَوِدْعًا كَالْحَمَامِ » . (٢) الْحَبْلَةُ بِالضَّمِّ : الْكُرْمُ

أَوْ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِهِ « وَثَمَرُ السَّلْمِ أَوْ ثَمَرُ الْعُضَاهِ » . فِي الْأَصْلِ : « بَيْتُ إِبِلْيَاءَ » .

ومصيبتى أعظم مما ترى ، فقلت : فإن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، وعوضا من كل فائت ، فإياه فاستعيني ، وإلى نظره لك فانظري ، قالت : انى كنت امرأة كثيرأ مالى ، عظيأ شرفى ، وكنت عاقرا لا ولدلى ، وكنت عند بعلى له نسوة معى وكلهن ولد له غيرى ، فمأن به لحب الولد فصرف وجهه عنى ، فحزنت وحزن أهلى وصديقى ، فلما رأيت هوانى عليه وسقوط منزلتى عنده ، رغبت الى ربى ودعوته فأجابنى ، واستوهبته غلاما فوهبته لى ، فقوت به عينى ، وفرح أهلى ، وعطف الله به زوجى ، وقطع عنى ألسنة ضرائرى ، فربيت غلاما لم تحمل أنثى مثله حسنا وجمالا ونصرة وتماما ، فلما بلغ أشده وكل به سرورى خطبت عليه عظيمة قومي ، وبذلت دونه مالى ، ونرجت من خلعتى^(١) ، وجمعت رجال قومي ، فخرج يمشى بينهم حتى دخل بيته ، فلما قعد على سريره ، نحر منه فاندقت عنقه فمات ابنى وضل عملى وبطل نصيبى وتلف مالى ، فخرجت الى هذه البرية أبكيه فيها لا أريد أن أرى أثرا من آثاره ولا أحدا من أصحابه ، وإن أبرح أبكيه حتى ألحق به ، قال عزير : أذكرى ربك وراجعيه ، فقد أصابت المصائب غيرك أما رأيت هلاك إيلياء وهى سيدة المدائن وأم القرى ؟ أو ما رأيت مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ قالت : إى رحمتك الله ! إن هذا ليس لى بعزاء وليست لى بشيء منه أسوة ، إنما تبكى مدينة حربت ، ولو تعمّر عادت كما كانت ، وإنما تبغى قوما وعدّهم الله الكرة على عدوهم ، وأنا أبكى على أمر قد فات ، وعلى مصيبة لا أستقبلها^(٢) ، قال عزير : فإنه خلّق لمسا صار اليه ، وكل شيء خلّق للدنيا فلا بد أن سيفقنى ،

(١) الخلع (بالكسر والضم) : المال وخيار ما يخلع على الإنسان . (٢) لا أستقبلها

أما رأيت مدينتنا أصبحت خاويةً على عروشها بعد عمارتها، وأوحشت بعد أنسها
وأثاثها! أو ما رأيت مسجدنا كيف غير حسنه ، وهدم حصنه ، وأطفئ نوره !
أو ما رأيت عز أهلها كيف ذل ، وشرفهم كيف تحلل ، ومجدهم كيف سقط ،
ونخرهم كيف بطل ! أو ما رأيت كتاب الله كيف أحرق ، ووحى الله كيف رفع ،
وتابوت السكينة كيف سبي ! أو ما رأيت نساء الملوك وبناتهم في بطون الأسواق
حاسرات عن السوق والوجود والأشعار ! أو ما رأيت الأشياخ الذين على وجوههم
النور والسكينة مقرنين في الحبال والقطار ! أو ما رأيت الأحرار والرهبان مصفدين
في الإسار ، أو ما رأيت أبناء موسى وهارون تضرب عليهم السهام ويقسمهم
الأشرار ، ولدان الملوك خدماً للكفار ، أو ما رأيت قتلتنا لم يوار أحدا منهم قبر ،
ولم يعهد أحد منهم الى ولد ، فالحكاء مبهوتون ، والعلماء يموجون ، والحلماء
متحIRON ، وأهل الرأي ملقون بأيديهم مستسلمون . قال : فبينما أنا أكلّمها غشي
وجهها نورٌ مثل شمعاع الشمس حال بيني وبين النظر اليها ، فغمرت من شدته
وجهي ورددت يدي على بصري ، ثم كشفت وجهي فإذا أنا لا أحسها ولا أرى
مكانها ، وإذا مدينة قد رفعت لي حصينةً بسورها وأبوابها . فلما نظرت الى ذلك
نحرت صيغاً ، فجاءني الملك فأخذ بضبعي ونعشني وقال لي : ما أضعفك يا عزيز !
وقد زعمت أن بك من القوة ما تخاطب به ربك وتُدلي بالعدر عن الخاطئين من

(١) ورد في دائرة المعارف للبستاني عند الكلام على التابوت ما ملخصه : وتابوت العهد أو الشهادة
هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج ، وكان موضعه في قدس الأقداس وكان
اليهود يعتبرون ذلك مقدساً وكانوا يحملونه بالأحتفال أمامهم وهم مسافرون الى أرض الميعاد ... والظاهر
أنه فقد عند ما هدم بختنصر الهيكل في القدس بآتلافه إياه ، ونقله الى بابل . ومن أراد الوقوف على
تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك في التوراة . (٢) في الأصل : « خدم الكفار » .

(٣) نعشه : رفعه وأقامه

بنى إسرائيل ؛ قال له عُزَيْرٌ : مثل الذى رأيتُ وعانيتُ أضعفنى وأذهب روحى ؛
قال الملك : فإن المرأة التى كلمتك هى المدينة التى تبنى عليها ، صورها الله لك فى صورة
أنثى فكلمتك ، فافقه عنها : أما قولها : إنها عُمِّرَتْ زماناً من دهرها عاقراً لا ولد لها ،
فكذلك كانت إيلياء صعيداً من الأرض حراباً لا عُمُران فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة .
وأما قولها : **إن الله وهب لها غلاماً عند اليأس** ، فذلك حين أقبل الله عليها
بالعُمُران فابتعث الله منها أنبياءه وأنزل كتابه . وأما قولها : إنه هلك ولدها حين كمل
فيه سرورها ، فذلك حين غير أهلها نعم الله وبداؤها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا حُرارة
على الله وفساداً ، فغير الله ما بهم وسلط عليهم عدوهم حتى أفناهم ، وقد شفعك الله
فى قومك وكتابك ومدينتك ، وسيعيدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانها وأبوابها ،
وفى مساجدها وأنهارها وأشجارها .

وحديثى بهذا الإسناد قال : لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاقَ عليهما السلام
ويجعله قرباناً ، أسر ذلك الى خليل له يقال له : العازر ، فقال له الصديق : إن الله
لا يتلى بمثل هذا مثلك ، ولكنه يريد أن يُجربَكَ ويختبرَكَ ، وقد علمت أنه لم
يتلك بهذا ليغيتنك ولا ليُضلك ولا ليُعيتك ولا لينتقص به بصيرتك وإيمانك
ويقينتك ، ولا يروعنك هذا ولا تسوءن بالله ظنك ، وإنما رفع الله اسمك فى البلاء
على جميع أهل البلاء . حتى كنت أعظمهم فى نفسك وولدك ، ايرفعك بقدر ذلك
عليهم فى المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر فى فضيلة الصبر
إلا فضلُ صبرك ، وليس لأهل الثواب فى فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك ، وليس
لأهل البلاء فى جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك . وليس هذا من وجود البلاء
الذى يتلى الله به أوليائه ، لأن الله أكرم فى نفسه وأعدل فى حكمه وأعدل فى عباده
(٢)

من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المصطفى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا مني حتماً على الله أو رداً لأمره أو سُخْطاً لحكمه على عباده ، ولكن هذا الرجاء فيه والظن به . فإن عزم ربك على ذلك فكن عبداً أحسن علمه بك ؛ فإنني أعلم أنه لم يُعرضك لهذا البلاء العظيم إلا لحسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماماً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحدثني بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما لبث في السجن سبع سنين أرسل الله عز وجل إليه جبريل عليه السلام بالبشارة بخروجه ، فقال له : أتعرفني أيها الصديق ؟ قال له يوسف : أرى صورة طاهرة وروحاً طيباً لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين ؛ قال يوسف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقربين ؟ قال جبريل : أولم تعلم أيها الصديق أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن البقعة التي يحلون بها هي أطهر الأرضين ، وأنه قد طهر بك السجن وما حوله يابن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبهني بالصالحين ، وتسميني بأسماء الصديقين ، وتعدني مع آبائي المخلصين ، وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ! قال جبريل : لم يكلم قلبك الخزع ، ولم يغير خلقك البلاء ، ولم يتعاضمك السجن ، ولم تطأ فراش سيّدك ، ولم ينسك بلاء الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تنسك نفسك أباك ولا أبوك ربك ؛ وهذا الزمان الذي يفك الله به عنقك ، ويعتق به رقك ، ويبين للناس فيه حكمتك ، ويصدق رؤياك وينصفك ممن ظلمك ، ويجمع اليك أحبتك ، ويهب لك ملك مصر : يملكك ملوكها ، ويعبد لك جبارتها ، ويذل لك أعزتها ، ويصغر لك عظماءها ، ويخدمك سوقتها ،

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « فكن عند أحسن علمه بك ... » (٢) العنق : الأسر والذل ، يقال : عنا في القوم عتوا وعنا صار فيهم أسيراً . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٨) : « عنقك » .

ويخولك خوفها ، ويرحم بك مساكينها ، ويلق لك المودة والهيبة في قلوبهم ،
ويجعل لك اليد العليا عليهم والأثر الصالح فيهم ، ويرى فرعون حلقاً يفرع منه
ويأخذه له كرب شديد حتى يسهره ويذهب نومه ، ويعمى عليه تفسيره وعلى السحرة
والكهنة ويعلمك تأويله .

- وفي بعض الكتب : أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكن
معي غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً فريداً مهموماً حزيناً ، كالطائر
الوحيداني يظل بأرض الفلاة ويرد ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا
جئ عليه الليل أوى وحده استباحثاً من الطير واستئناساً بربه جل وعز .
- لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزبير وجده الجحاجُ فيما ترك صندوقاً عليه أقفال حديد ،
فتعجب منه وقال : إن في هذا شيئاً ، ففتحه فإذا صندوقٌ آخرٌ عليه قفل ففتحه
فإذا سقط فيه دُرَج ، ففتحه فإذا صحيفةٌ فيها : إذا كان الحديث حلقاً ، والميعادُ
خُلُفاً ، والمقنبُ ألفاً ، وكان الولدُ غيظاً ، والشتاءُ قيظاً ، وغاض الكرامُ غيظاً ، وفاض
اللئامُ فيضاً ، فأعزَّ عَفْرُ^(٢) ، في جبل وعمر ، خير من ملك بنى النضر . حدثني بذلك
كعب الجبر .

المدعاء

١٤

حدثني أبو مسعود الدارمي^(٣) قال حدثنا جرير عن أنس بن مالك قال : قال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قال "ربكم عز وجل ثلاثة : واحدة لي ، وواحدة لك

- (١) المقنب كبير : جماعة الخيل والفرسان . (٢) العفر : جمع أعفر وعفراء . والغفرة : غيرة
في بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نعثر على هذه النسبة لمن يكنى بأبي مسعود لا في كتب
الأنساب ولا في كتب التراجم وغيرها من الكتب التي بين أيدينا . (٤) في الأصل : «جدير»
بالدال المهملة . ولم نعثر على اسم «جدير» بين أسماء الزواة في الكتب التي عندنا . وقد ورد في تهذيب
التهذيب أن من بين من اسمه «جرير» بالراء : «جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدي ثم العنكي وقيل
الجهضمي» . وجرير هذا من رواة عن قتادة عن أنس بن مالك ، ولذا ترجح لدينا أن ما جاء بالأصل
بحرف صوابه ما أثبتناه .

يا بن آدم، وواحدة بيني وبينك، فأما التي لي فتخلص لي لا تُشرك بي شيئا، وأما التي لك فأحوج ما تكون إلى عملك أوفيكه، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلى الإجابة“.

حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا زيد بن الحباب قال حدثنا معاوية قال حدثني أزهر بن سعيد عن عاصم بن حميد قال : سألت عائشة رضي الله عنها، ما كان يفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم به صلاته في قيام الليل ؟ قالت : كان يكبر عشرا ويحمد عشرا ويسبح عشرا ويهلل عشرا ويستغفر الله عشرا، ثم يقول : ”اللهم اغفر لي وآهني وآرزقني وعافني“، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا الحفاف عن أبي الورقاء عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال : ”أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما يسكن^(١) فيهما لله رب العالمين وحده لا شريك له . اللهم آجعل أول هذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا . اللهم إني أسألك خيرا الدنيا وخيرا الآخرة يا أرحم الراحمين“.

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسين أنه كان إذا استسقى قال : ”اللهم اسقنا سقيا واسعة وادعة عامة نافعة غير^(٢)“.

(١) في نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية) : « وما سكن فيهما من شيء لله وحده لا شريك له... الخ » . وفي كتاب الأذكار للنووي : « وما سكن فيهما لله تعالى... الخ » .
(٢) قال ابن خلكان في ترجمة إسحاق بن راهويه : « وراهويه يفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة... وقيل فيه أيضا : راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء » .
(٣) ورد هذا الأثر في كتاب الأذكار للسيوطي (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) في صلاة الاستسقاء ، بصيغة تخالف ما هنا في بعض الكلمات وبالإضافة والنقص .

ضاورة تعم بها حاضرننا وباديننا وتزيد بها في رزقنا وشكرنا. اللهم أجعله رزق إيمان وعطاء إيمان إن عطاءك لم يكن محظورا . اللهم أنزل علينا في أرضنا سكنها ، وأنبت فيها زيتنا ومرعاها .

روى الكلبي عن أبي صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضى الله عنه :
 " اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بي القوم
 إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا
 الغيث " . فأرخت السماء شأبيب مثل الجبال بديمة مطيقة .

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز
 عشية عرفة بعرفة وهو يقول : " اللهم زدني إحسان محسنهم ، وراجع بمسيئتهم
 الى التوبة ، وحط من ورائهم بالرحمة " .

حدثنا حسين بن حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا يحيى بن
 أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات :
 " اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به

(١) كذا في الأصل/ولسان العرب مادة «سكن» . وفي منتخب كنز العمال المطبوع بها مش مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ) : « اللهم أنزل في أرضنا بركتها وزيتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذي تسكن أنفسهم اليه .

(٢) في الأصل : « من بتك » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) شأبيب جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطريدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد في الأصل . وفي تهذيب التهذيب أن من روى عن عبد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . وأعل ما في الأصل محترف عنه . (٥) في الأصل : « زحر » بالخاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما في تهذيب التهذيب .

الى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيبتُ الدنيا، ومَتَّعنا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا،
واجعل ذلك الوارثَ منا، وأنصرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا“ .

بلغني عن يونس عن الأوزاعي عن حسان بن عطية^(١) قال : كان شداد بن أوس
في سفرٍ، ففرلنا مثلاً فقال لعلامه : ائتنا بالسفرة نعبث بها^(٢)، فأُنكرت منه، فقال :
ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزعمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها
عني، واحفظوا عني ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
”إذا كثر الناس الذهب والفضة فاكثروا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات^(٣)
في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك
قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم،
وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب“ .

بلغني عن الوليد بن مسلم قال حدثنا أبو سلمة الدومني^(٤) عن سالم بن عبد الله
قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”اللهم ارزقني عينين هطالتين
تبيكان بذروف الدموع وتشفيانني من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس
جمرا“ .

(١) هكذا ضبطه في تقريب التهذيب بضم العين وفتح الطاء . (٢) كذا في مسند الامام أحمد
(ج ٤ ص ١٢٣) وفي الأصل : ”فعبث بها“ وما أثبتناه هو الموافق لقول الزحشرى في أساس البلاغة
مادة ”عبث“ » تعال بالسفرة فعبث بها« . (٣) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦) : »يا شداد
بن أوس اذا رأيت الناس يكثرون ... الخ« وفي بقية الحديث بعض زيادات عما هنا ، ولعلها رواية
أخرى . (٤) هكذا ورد في الأصل ، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لأبي سلمة في الكتب التي
بين أيدينا . (٥) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) هـ »... تشفيان القلب بذروف
الدموع من خشيتك ... الخ« .

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا عمر بن عمران قال حدثني الحارث بن عتبة عن العلاء بن كثير عن أبي الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : "يا موضع كل شكوى ويا شاهد كل نجوى بكل سبيل أنت مقيم ترى ولا تُرى وأنت بالمنظر الأعلى" .

- (١) حدثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان دعاء عيسى الذي يدعو به للمرضى والزمنى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك ، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك ، وأنت حاكم من في السماء وحاكم من في الأرض لا حاكم فيهما غيرك ، وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك ، قُدرتك في الأرض كقُدرتك في السماء ، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء ، أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير ومليكك القديم ، إناك على كل شيء قدير" . قال وهب : هذا يُقرأ للفرج على المجنون ويكتب له ويغسل ويُسقى ، فيبرأ بإذن الله أي ذلك شاء فعل .

- وحدثني أيضا بهذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصلبوه بزعمهم فرفعه الله إليه : "اللهم أنت القريب في علوك ، المتعالي في دنوك ، الرفيع على كل شيء من خلقك ، أنت الذي نفذ بصرك في خلقك ، وحسرت الأبصار دون النظر إليك وعشيت دنوك ، وشمخ بك العلوق في النور ، أنت الذي جلّيت الظلم

(١) ورد في الأصل "عبد الرحمن بن عبد المنعم" وورد في عدة أسانيد أخرى في الأصل نفسه

"عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذي يروى عنه المضاف كثيرا هو عبد الرحمن بن

عبد الله ابن أُمّى الأصمعي ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن إدريس بن مناف بن ابنة وهب

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقدرتك ، مقدر الأمور بحكمتك ، مبتدع الخلق بعظمتك ، القاضى فى كل شىء بعلمك ؛ أنت الذى خلقت سبعا فى الهواء بكلماتك ، مستويات الطباق مذعنات لطاعتك ، سماجىن العلو سلطانك ، فأجبن وهن دخان من خوفك ، فأتين طائعات بأمرك ، فهى ملائكتك يسبحون قدسك بتقديسك ، وجعلت فيهن نورا يحلو الظلام ، وضياء أضوا من شمس النهار ، وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بها فى ظلمات البحر والبر ورجوما للشياطين ، فتباركت اللهم فى مفضل سماءك ، وفيما دحوت من أرضك ، دحوتها على الماء ، فأذلت لها الماء المتظاهر فذل اطاعتك وأذعن لأمرك ، وخضع لقوتك أمواج البحار ، ففجرت فيها بعد البحار الأنهار ، وبعد الأنهار العيون الغزار والينابيع ، ثم أخرجت منها الأشجار بالثمار ، ثم جعلت على ظهرها الجبال أوتادا فاطاعتك أطواذها ، فتباركت اللهم فى صنعك ، فمن يبلغ صفة قدرتك ومن يُنعم نعتك . تُزِل الغيث وتُنشئ السحاب ، وتفك الرقاب وتَقضى الحق وأنت خير الفاصلين . لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن يستغفرك كل خاطئ . لا إله إلا أنت إنما يخشاك من عبادك العلماء الأكياس . أشهد أنك لست بـإله استحدثناه ، ولا رب يبدد ذكره ، ولا كان لك شركاء يقضون معك فندعوهم ونبدعك ، ولا أعانك أحد على خَلْقِكَ فنشك فيك . أشهد أنك أحد صمد لم تلد ولم يكن لك كفواً أحد ، ولم تتخذ صاحبة ولا ولدا . اجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجا ، قال وهب : وهذا الدعاء عُوذَةٌ للشقيقة وغيرها من قولك : «أشهد أنك لست بـإله استحدثناه ، الى آخره .

(١) «المتظاهر» بالفاء المعجمة من تظاهر بمعنى تساند وتعاون يراد بذلك الماء الكثير المجتمع يدفع

بعضه بعضا لقوته وهو ما يقتضيه السياق . وفى الأصل «المتظاهر» بالطاء المهملة .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عُيَيْنَةَ عن ابن عباس قال : «الإخلاص^(١) هكذا ، وبسط يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى ، والدعاء هكذا ، وأشار بإصبعه إلى السماء ، والابتهاال هكذا ، ورفع يديه فوق رأسه ظهورهما إلى وجهه» .

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان داود إذا دعا في جوف الليل قال : «اللهم نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم ، اغفر لي ذنبي العظيم إنك عظيم وإني أعجز العظم العظم ، إليك رفعت رأسي عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها . اللهم تساقطت القرى وأبطل ذكراها وأنت دائم الدهر معد كرسى القضاء» .

قال : وكان من تميمه : «الحمد لله عدد قطر المطر ، وورق الشجر ، وتسبيح الملائكة ، وعدد ما في البر والبحر . والحمد لله عدد أنفاس الخلق ولفظهم وطرفهم^{١٠} وظلالهم ، وعدد ما عن أيمنهم وشمالهم ، وعدد ما قهره ملكه ، ووسعه حفظه ، وأحاطت به قدرته ، وأحصاه علمه . والحمد لله عدد ما تجرى به الرياح ، وتحمله السحاب ، وعدد ما يختلف به الليل والنهار ، وتسير به الشمس والقمر والنجوم . والحمد لله عدد كل شيء أدركه بصره ، ونفذ فيه علمه ، وبلغ فيه لطفه . والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئا حين يدعوني . والحمد لله الذي أسأله فيعطيني ،^{١٥} وإن كنت بخيلا حين يستقرضني . والحمد لله الذي أستعفيه فيعافيني ، وإن كنت متعرضا لما يهلكني . والحمد لله الذي حلم في الذنوب عن عقوبتي حتى كأني لا ذنبا لي ، وأوئلا أخذني لم يظلمني سيدي . والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي ،

(١) كذا ورد في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) : «... وبسط يده اليسرى وأشار

بإصبعه من يده اليمنى ... الخ» . وفي نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا

في أكثر الألفاظ . (٢) في الأصل : «حتى» وهو تحريف .

وهو ذُنُحْرِي في آنَحَرَقِي ، وَاوَرَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَنْقَطَعَ رَجَائِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تُنْمِي
أَبْوَابَ الْمُلُوكِ مَغْلَقَةً دُونِي ، وَبَابُهُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَا شِئْتُ مِنْ حَاجَاتِي بِغَيْرِ شَفِيعٍ
فَيَقْضِيهَا لِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْلَوْبِهِ فِي كُلِّ حَاجَاتِي ، وَأَضْعُ عِنْدَهُ سِرِّي فِي أَيِّ
سَاعَةٍ شِئْتُ مِنْ سَاعَاتِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُحِبُّبُ إِلَيَّ وَهُوَ عَنِّي غَنِيٌّ ، فَرَبِّي أَحْمَدُ
شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّهُ بِحَمْدِي .

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ يُوسُفَ : ” يَا عُدَّتِي عِنْدَ كَرْبِي ، وَيَا صَاحِبِي فِي وَحْدَتِي ،
وَيَا غِيَاثِي عِنْدَ شِدَّتِي ، وَمَفْرَعِي عِنْدَ فَاقَتِي ، وَرَجَائِي إِذَا انْقَطَعَتْ حِيلَتِي ، يَا إِلَهِي
وَالِهَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، اجْعَلْ لِي فَرْجًا وَمَخْرَجًا وَأَقْضِ حَاجَتِي “ .

وَكَانَ بَكَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ : ” اَللّٰهُمَّ لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ ، وَلَا تَمَكِّرْنِي فِي حِيلَتِكَ ،
وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِتَقْصِيرِي عَنْ رِضَاكَ ، عَظِيمَ خَطِيئَتِي فَاغْفِرْ ، وَيَسِيرَ عَمَلِي فَتَقَبَّلْ ،
كَمَا شِئْتَ تَكُونُ مَشِيتُكَ ، وَإِذَا عَزَمْتَ يَمْضِي عِزُّكَ ، فَلَا الَّذِي أَحْسَنَ آسْتَفْنِي
عَنكَ وَعَنْ عَوْنِكَ ، وَلَا الَّذِي أَسَاءَ اسْتَبَدَّ بِشَيْءٍ يَخْرُجُ بِهِ مِنْ قُدْرَتِكَ ، فَكَيْفَ لِي
بِالنَّجَاةِ وَلَا تَوْجِدُ إِلَّا مِنْ قِبَلِكَ ! إِلَهَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَوَلِيَّ الْأَنْبِيَاءِ ، وَبَدِيعُ مَرْتَبَةِ
الْكَرَامَةِ ، جَدِيدٌ لَا يَبْلَى ، حَفِيزٌ لَا يَنْسَى ، دَائِمٌ لَا يَبِيدُ ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يَقْظَانُ
لَا يَنَامُ ، بِكَ عَرَفْتُكَ ، وَبِكَ أَهْتَدَيْتُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أُدْرِ مَا أَنْتَ ، فَتَبَارَكْتَ
وَتَعَالَيْتَ “ .

قَالَ الْأَزْدِيُّ حَدَّثْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّضْرِ الْحَارِثِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : ” لَا تَقْطَعُوا الشَّهَادَةَ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلَةِ فَإِنَّهُ مِنْ يَقْطَعُ الشَّهَادَةَ عَلَيْهِمْ فَأَنَا مِنْهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « سِرِّهِ » وَمَا أُتْبِتَاهُ هُوَ الْأَنْسَبُ بِالْمَقَامِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَسِيرِ » .

بريء إِنْ الله كَتَمْنَا مَا يَصْنَعُ بِأَهْلِ الْقَبِيلَةِ^(١) . وقال : « مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ كَلِمَةً مِنْ سُنَّةِ فِي دِينِ اللَّهِ حَتَّى اللَّهُ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ حَتُّوًا » .

قال وقال الأوزاعي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم إني أسألك التوفيق لمحاببك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك » .

محمد بن بشر العبدي^(٢) قال حدثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر على عليه السلام فرأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغله سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ، وَلَا تُغْلِطُهُ الْمَسَائِلُ^(٣) ، وَلَا يُبْرِمُهُ الْخَاسِحُ الْمَلْعُونُ^(٤) ؛ أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَحِلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ ؛ فقال على : والذي نفسي بيده ، لو قلتها وعليك ملء السموات والأرضين ذنوباً لَغُفِرَ لَكَ .

دعا أعرابي عند الملتزم فقال^(٥) : اللهم إِنْ لَكَ عَلَيَّ حَقٌّ فَتَصَدَّقْ بِهِ عَلَيَّ ، وللناس قِبَلِي تَبَعَاتٍ فَتَحْمِلْهَا عَنِّي ، وقد أوجبت لكل ضيف قِرَى ، وأنا ضيفُك فاجعل قِرَايَ اللَّيْلَةِ الْجَنَّةَ .

وقال آخر : اللهم إليك خرجت ، وما عندك طلبت ، فلا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي . اللهم وإن كنت لم ترحم نصبي وتعي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبيته .

١٥

(١) حثاله : أعطاه . (٢) كذا في الأصل والخلاصة وتهذيب التهذيب . وجاء في تقريب التهذيب : « محمد بن بشر العبدي » . (٣) لا تغلظه : لا توقعه في الغلط ، وهو من قولهم : أغلظه إذا أوقعه في الغلط . (٤) لا يبرمه : لا يمله ولا يضجره . (٥) الملتزم هكذا ضبطه صاحب المصباح في مادة « لزم » فقال « والتزمت » : اعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لما بين باب الكعبة والحجر الأسود الملتزم لأن الناس يعتنقونه أي يضعونه إلى صدورهم » .

وقرأتُ في كتابٍ لشيخٍ لنا : اللهم إنه من تهيأ أو تعبأ ، وأعد وأستعد لوفادة مخلوق رجاء رفيدٍ وطالب نية ، فإن تهيأ وتعبى وإعدادى واستعدادى لك رجاء رفيدك وطلب نائك الذى لا خطر له ولا مثل . اللهم إني لم آتكَ بعملٍ صالح قدمته ، ولا شفاعة مخلوق رجوته ، أتيتك مُقِرّاً بالظلم والإساءة على نفسى ، أتيتك بأننى لا حجة لى ، أرجو عظيم عفوك الذى عدت به على الخطائين ، ثم لم يمنعك عكوفهم على عظيم الجرم أن جدت لهم بالمغفرة . فيا من رحمة واسعة ، وفضله عظيم اغفر الذنب العظيم .

ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرقاشى : اللهم لا تُدخِلنا النار بعد إذ أسكنت قلوبنا توحيدك ، وإني لأرجو ألا تفعل ، ولئن فعلت لتجمعن بيننا وبين قوم عاديناهم فيك .

بلغنى عن ابن عيينة عن أبي حازم قال : لأننا من أن أمنع الدناء أخوف منى من أن أمنع الإجابة .

أنشدنا محمد بن عمر بعض الشعراء فى وصف دعوة :

وسارية لم تسير فى الأرض تبغى * محلاً ولم يقطع بها اليد قاطع
سرت حيث لم تسير الركاب ولم تسبح * إورد ولم يقصر لها القيّد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط * بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها (٣) * إذا قرع الأبواب منهن قارع

(١) الخطر بالتحريك : الظلم والمثل .

(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « تظل ... »

(٣) فى العقد الفريد : « ... لوفدها ... الخ » .

(١) إذا أوفدت لم يرد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
وإني لأرجو الله حتى كأنني (٢) أرى بجمل الظن ما الله صانع

وقال آخر :

وإني لأدعو الله والأمر ضيق * على فما ينفعك أن يتفرجا
ورب فتى سدت عليه وجوهه * أصاب له في دعوة الله مخرجا

ونحوه :

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الأمر أدناه من الفرج

أخذ لرجل من العرب مال فكتب إلى أخيه : يا هذا ، إن الرجل ينام على
الثكل ، ولا ينام على الحرب ، فإذا رددته ، وإما عرضت اسمك على الله تعالى كل
يوم وليلة خمس مرات .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبي فكتب إلى بكر بن عبد الله يسأله أن
يدعوه ، فكتب إليه بكر : يحق لمن عمل ذنبا لا عذره فيه ، وتوقع موته لا بد له
منه ، أن يكون وجلا مشفقا ، سادعوك ، ولست أرجو أن يستجاب لي بقوة
في عمل ، ولا براءة من ذنب ، والسلام .

١٥ خلف بن تميم عن عبد الجبار بن كليب قال : قال لنا إبراهيم بن أدهم حين
عرض لنا السبع : قولوا : اللهم ارحسنا بعينك التي لاتنام ، واجعلنا في كفك الذي
لايرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، لانهلك وأنت رجاؤنا ، قال خلف : فما زلت أقولها
مذ سمعتها ، فما عرض لي قط إص ولا غيره .

(١) في العقد الفريد : * إذا سألت لم يرد الله سؤالها * (٢) في العقد الفريد (ج ١

ص ٣٩٨) : « ... كأنما ... » (٣) الحرب بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله كله ويترك

بلا شيء . (٤) هكذا ورد في الأصل ولم نوفق إلى تحقيق هذا الاعم في كتب التراجم التي بين أيدينا .

قال أعرابي : من أقام بأرضنا فليكثر من الاستغفار ، فإن مع الاستغفار
الْقَطَارُ^(١) .

بلغني عن موسى بن مسعود التَّهْدِي^(٢) عن سفيان الثوري عن قدامة بن حَمَاطَةَ
الضبي عن خالد بن منجاذب عن زياد بن حدير^(٣) الأَسْدِي أن العلاء بن الحضرمي
عبر إلى أهل دَارَيْنَ البحر بهذه الكلمات : يا حليم يا حكيم يا علي يا عظيم .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام الدستوائي^(٥) عن
حماد عن إبراهيم عن عبد الله في الرجل إذا أراد الحاجة صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثم قال : اللهم^(٦)
إني أَسْتَخِيرُكَ بعلمك ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وأَسْأَلُكَ من فضلك العظيم فإنك تَقْدِرُ
ولا أَقْدِرُ ، وتَمْلِكُ ولا أَمْلِكُ ، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ ، إن كان هذا الأمر الذي أريده
— وتُسَمِّيه — خيراً لي في ديني وخيراً لي في معيشتي وخيراً لي فيما أبتغي فيه الخَيْرَ
فَيَسِّرْهُ لي وبارك لي فيه ، وإن كان شراً لي في ديني وشراً لي في معيشتي وشراً لي
فَمَا أَسْتَغْنِي فيه الخَيْرَ فاصرفه عني ويسر لي الخَيْرَ حيث كان ثم رَضِّنِي [به]^(٧) .

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) في الأصل : « المهدى » بالميم وهو تحريف من النامخ صوابه ما أبتناه كما في تهذيب
التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٣) في الأصل : « جدير » بالميم وهو خطأ والتصويب
عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة . (٤) دارين : فرضة بالبحر ين يجلب إليها
المسك من الهند . (أظفر ياقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سفيان البكري
البصري الدستوائي بفتح الدال وسكون السين رفح التاء نسبة إلى دستوا بالقصر وتمتد : كورة من كور
الأهواز كما في تهذيب التهذيب والخلاصة ومعجم ياقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم التاء

وفال في النسبة إليها : دستوائي ودستواني . (٦) ورد هذا الدعاء في نهاية الأرب (ج ٥
ص ٣٢٦) باختلاف في بعض الكلمات وزادات عما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوِيَّ عليه بدني بعافيتك ، ونالته يدي بفضل نعمتك ، وانبسطت اليه بسعة رزقك ، واحتجبت فيه عن الناس بسترك ، واتكلت فيه على أناتك وحلمك ، وعولت فيه على كريم عفوك .
الأوزاعي قال : من قال : « اللهم إني أستغفرك لما تبت اليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتك من نفسي وأخلفتك ، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك ، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك ، وأستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها » غفر الله له ولو كانت ذنوبه عددَ ورق الشجر ، ورمل عاج ، وقطر السماء .

وكان مطرف يقول : اللهم إني أعوذ بك من شر السلطان ، ومن شر ما تجرى به أقدامهم ، وأعوذ بك أن أقول قولا حقا فيه رضاك ألتمس به أحدا سواك ، وأعوذ بك أن أترين للناس بشيء يشينني ، وأعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك ، وأعوذ بك أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني ، وأعوذ بك أن أستغيث بمعصية لك من ضريصيني .

الأزدى عن عبد الواحد بن زيد قال : شهدت مالك بن دينار يوما وقيل له : يا أبا يحيى ادع الله أن يسقينا ، قال : تستبطئون المطر ! قالوا : نعم ، قال : إني والله أستبطئ الحجارة .

قال أبو كعب : سمعت عطاء السلمي يقول : اللهم ارحم غربتي في الدنيا ، ومصرعي عند الموت ، ووحدتي في القبور ، ومقامي بين يديك .

(١) عاج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل متراكم ومتداخل بعضه في بعض .

(٢) كذا في الأصل . ولم نثر على اسم عبد الواحد بن زيد في المراجع الخاصة التي تحت أيدينا بأخبار الرواة والتراجم . ولعله « عبد الواحد بن زياد » لوروده كثيرا في المصادر المتقدمة .

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدّثنا
 زهير عن زبيد اليامي^(١) عن مرة عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم
 كما قسم بينكم أرزاقكم ، إن الله يؤتي المال من يحب ومن لا يحب ، ولا يؤتي
 الإيمان إلا من يحب . فمن ضنّ بالمال أن ينفقه ، وهاب العدو أن يُجاهده ، والليل
 أن يكابده فليكثر من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

ومن جامع الدعاء : اللهم أغني بالعلم ، وزيني بالحلم ، وجملي بالعافية ، وأكرمني
 بالتقوى .

وكان من دعاء أبي الحبيب : اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ، ولا الى الناس
 فنضيع ، اللهم اجعل خير عملي ما قارب أجلي .

ومن دعاء عمرو بن عبيد ، اللهم أغني بالافتقار اليك ، ولا تغني بالاستغناء عنك .

ابن عائشة عن سلام بن أبي مطيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا
 يستحبون من الدعاء : اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمّتك لبيدك وإمامك ،
 أنا الذليل ولا أنتصر ، وأنا الظالم ولا أعتذر ، عملت سوءاً وظلمت نفسي وإلا
 تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ، فما أتمها ابن عون حتى أجهش بالبكاء^(٢) .

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اجعلني لك شكاراً ، لك ذكّاراً ، لك
 رهّاباً ، لك مطيعاً ، اليك مخبتاً ، لك أوّاهاً منيباً ، ربّ تقبل توبتي وأغسل حوبتي
 وأجب دعوتي وثبّت حجتي وأهد قلبي وسدّد لساني » .

(١) في الأصل : « النامي » بالنون وهو تحريف وصوابه « اليامي » نسبة الى يام : بطن من همدان ،
 كما تقدّم في صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد . (٢) أجهش بالبكاء : همّ به وتهبّأ له .

المناجاة

(١١)
 حدثني عبد الله بن هارون عن سليم بن منصور عن أبيه قال : كنت بالكوفة
 فخرجت في بعض الليل لحاجة وأنا أظن أني قد أصبحت فإذا علي ليل فملت
 إلى بعض أبوابها أنتظر الصبح فسمعت من وراء الباب كلام رجل وهو يقول :
 فوعزتك وجلالتك ما أردت بعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا
 بنكالك جاهل ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مستخف ، ولكن سئلت لي نفسي ،
 وأعانني على ذلك شقوتي ، وعزني سترك المرنى على ، فعصيتك بجهل وخالفتك
 بجهل ، فالآن من عذابك من يستقيذني وبجبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني ،
 فواسواتاه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للمخفين : جوزوا ، وللمثقلين :
 حطوا ، أفع المثقلين أحط أم مع المخفين أجوز ! ويلي ! كلما كبرت سني كثرت
 ذنوبي ، ويلي ! كلما طال عمري كثرت معاصي فمنكم أتوب ! وفيكم أعود !
 أما أن لي أن أستحي من ربي !

بلغني عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال : كان داود النبي
 عليه السلام يقول في مناجاته : سبحانك إلهي ! إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي
 الأرض برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روعي ، سبحانك إلهي ! أتيت
 أطباء عبادك ليذاووا لي خطيئتي فكلمهم عليك يدلني .

حدثني بعض أشياخنا قال : كان داود الطائي يقول : همك عطل علي
 الهموم ، وحالف بيني وبين السهاد ، وشدة الشفق من لغائك أوبق علي السموات ،
 (٢) (٣)

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٤) : « وكان آخر يدعو بعرفات : يا رب لم أعصك

إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف في بعض الكلمات ونقص عما هنا .

(٢) أوبق : حبس . (٣) كذا في الأصل ولعلها "عني" ليستقيم المعنى .

(١) ومنعني اللذات ، فأنا في طلبك أيها الكريم مطلوب . وقال : تعبّد ضيغم قائما حتى أقعد ، وقاعدا حتى استلق ، ومستلقيا حتى أئخم ، فلما جهّد رفع بصره الى السماء وقال : سبحانك ، عجباً للخلقة كيف أرادت بك بدلا ! وسبحانك ، عجباً للخلقة كيف استنارت قلوبها بذكر غيرك ! وعجباً للخلقة كيف أنست بسواك .

عُتِبَ أبو الوليد قال : كانت امرأة من التابعين تقول :

سبحانك ، ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله ، سبحانك ما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه .

أبو الحسن قال : كان عمرو بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قُطِعَتْ رجله [ومات ابنه] : كانوا أربعة ، يعني بنيه ، فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة ، وكن أربعة يعني يديه ورجليه ، فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثا ، لئمنك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت .

وفي حديث بنى إسرائيل أنّ يونس عليه السلام قال لخبريل عليه السلام : دُلّني على أعبد أهل الأرض فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه ، وذهب ببصره ، فسمعه يقول : متّعني ما شئت ، وسلّبتني حين شئت ، وأبقيت لي فيك الأمل يا بار يا وصول .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهم اقطع حوائجي من الدنيا بالشوق الى لقائك ، واجعل قرة عيني في عبادتك ، وارزقني غم خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعد ، اللهم إني أعلم ما يصلحني في دنياي وآخرتي فكن بي حفيّا .

(١) في الأصل : « مطلوبيا » وقواعد اللغة تفنّض ما أثبتناه . (٢) التكلّة عن العقد

الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) لئمنك : بمعنى قولهم : يمين الله .

(٤) الحفيّ : اللطيف البارّ المبالغ في الإكرام .

باب البكاء

حدثني أبو مسعود الدارمي^(١) قال حدثني جدي عن أنس بن مالك قال : جاء قتي من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) [وقال] : إن أمي تُكثر البكاء وأخاف على بصرها أن يذهب ؛ فلو أتيته فوعظتها ! فذهب معه فدخل فقال لها في ذلك ؛ فقالت : يا رسول الله ، أرايت إن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرت إلى الجنة ؛ أيبذلني الله خيراً منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرت إلى النار ؛ أفيعيد الله بصرى ؟ فقال النبي عليه السلام للفتى : « إن أملك صدقة » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي عن ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تمسها النار ؛ عين حرسَتْ في سبيل الله ؛ وعين سهرت في كتاب الله ؛ وعين بكت في سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العتي قال حدثنا أبو إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضيل فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء ، وأنشد :

فلئن بكيناه يحق لنا * ولئن تركنا ذاك للكبر^(٤)
فلمثله جرت العيون دماً * ولمثله جمدت فلم تحير^(٥)

(١) لم نعر على هذه النسبة في الكتب التي بين أيدينا فيمن كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم

ص ٢٧٧ من هذا المجلد فيما تقدم) . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) ورد في الأصل : « أبيه » وهو تحريف لأن الأوزاعي من روى عنه (أبو إسحاق الفزاري)

ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفزاري أيضاً فيتعين حينئذ أن

(أبا إسحاق) هو المقصود في هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وج ٦ ص ٢٣٨)

وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد في الأصل كلمة « للصبر »

فوق كلمة « الكبر » ولعلها رواية نسخة أخرى .

بلغنى عن أبي الحارث الليث بن سعد^(١) عن أبيه عن ابن لهيعة عن أبي قبييل
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو
ابن ثمانى حجج ، فنظر الى عباد بيت المقدس قد لبسوا مدارع الشعر ، وبرانس
الصوف ، ونظروا الى متبجديهم أو قال مجتهدتهم قد خرقوا التراقي ، وسلكوا فيها
السلاسل ، وشدوها الى حنايا بيت المقدس ، فهاله ذلك ، فرجع الى أبويه فمر
بصبيان يلعبون فقالوا : يا يحيى هلم فلنلعب قال : إني لم أخلق للعب ، فذلك قول
الله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا ،
ثم رجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصيح فيه ليلا ، حتى أتت له
خمسة عشرة سنة ، وأتاه الخوف فساح ولزم أطراف الأرض وغيران الشعب ،
ونخرج أبوابه في طلبه فوجداه حين نزلا من جبال التيه على بحيرة الأردن وقد قعد
على شفير البحيرة وأقع قدميه في الماء ، وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك
لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك ! فسأله أبوابه أين يأكل قرصا
كان معهم من شعير ، ويشرب من الماء ففعل وكثر عن يمينه فمدح بالبر ، قال
الله عز وجل : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ وردّه أبوابه الى بيت المقدس ،

١٥ (١) في الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ، اذ هو الليث بن سعد
ويكنى بأبي الحارث . ومما يؤيد ما ذهبنا اليه أن ابن لهيعة ومن بعده روى عنهم الليث بن سعد ولذا
ترجح لدينا أن ما ورد في الأصل خطأ صوابه ما أثبتناه . راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ وج ٨
ص ٤٥٩) وطبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « ليدن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد
في الأصل : « أبي لهيعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة . (٢) في قصص
الانبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زعم يحيى أنه أتى
بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة باختلاف في بعض الالفاظ وزيادات عما هنا .
(٣) في قصص الانبياء : « ... وشدوا بها الى سوارى المسجد » . (٤) نيران : جمع
غار وهو ما نحت في الجبل كالغارة يأوى اليه الوحوش فاذا اتسع قيل له : كهف .

فكان اذا قام في صلاته بكى ، ويبكى زكريا لبكائه حتى يُغَمَى عليه ، فلم يزل كذلك حتى حرقَتْ دموعه لحم خديهِ ، وبدَتْ أضرأسهُ ، فقالت له أمه : يا يحيى ، لو أذنت لى لآتخذتُ لك ابداً إيوارى أضرأسك عن الناظرين ؛ قال : أنتِ وذالك ، فعمدَتْ الى قِطْعَتَي لُبودٍ فالصقتُهما على خديهِ ، فكان اذا بكى استنقعت دموعه في القطعتين فتقومُ اليه أمه فتعصرُهما بيديها ، فكان اذا نظر الى دموعه تجري على ذراعى أمه .
قال : اللهم هذه دموعى وهذه أنى وأنا عبدك وأنت أرحمُ الراحمين .

بلغنى عن أبى معاوية عن أبى إسحاق الخيمسى^(١) قال كان يزيدُ الرقاشى يقول :
ويحك يا يزيدُ ! مَنْ يصومُ عنك ! مَنْ يصلى عنك ! ومن ذا يترضى لك ربك من بعدك ! ثم يقول : يا معشر من الموت موعده ، والقبر بيتُه ألا تبكون ! قال :
فكان يبكى حتى تسقط أشفارُ عينيه^(٢) .

بلغنى عن محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن الحسن قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبُّ الى الله مِنْ قَطْرَةٍ دِمٍ فى سبيله وقطرة دمع فى جوف الليل من خشيته ، وما من جرعة أحبُّ الى الله من جرعة مصيبةٍ موجهةٍ ردها بصبرٍ وحسن عزائه ، وجرعة غيظٍ كظم عليها »
مُعْتَمِر بن سليمان عن رجلٍ قال : كان فى وجنتي ابن عباس خطّان من أثر الدموع .

(١) فى هامش تهذيب التهذيب ما نصه : « والخيمسى بفتح المعجمة وكسر السين المهملة كذا فى الخلاصة والتقريب » وفى هامش الخلاصة « أن السمعاني صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء التختانية ثم مهملة مكسورة وهكذا فى لب اللباب » . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص اللغة ، ففى تاج العروس : « الشفر بالضم ويفتح : أصل منبت الشعر فى الجفن ويجمع على أشفار ، قال سيبويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفى الأصل : « شفار » .

حدثني محمد بن داود^(١) عن سعيد بن نصير قال حدثنا سيار عن جعفر قال :
كنت إذا أحسست من قلبي بقسوة أتيت محمد بن واسع فنظرت إليه نظرة ، قال :
وكنت إذا رأيت وجهه حسبت وجه ثكلي .

وكان يقال : أخوك من وعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه .
تكلم الحسن يوما حتى أبكى من حوله فقال : عجيج^(٢) كعجيج النساء ولا عزم ،
وخدعة تكذبة إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يكون .

أبو عاصم قال : فقد مالك بن دينار مصحفه في مجلسه ، فنظر اليهم كلهم
يكون ، فقال : كلكم يبكي ! فمن سرق المصحف ؟

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكمد أبقى للحزن ، وكانت له شعيرات في مقدم
صدغه فإذا رق نتفها أو مدّها الى فوق فتقلّص دمعها . ١٠

قيل لغالب بن عبيد الله^(٣) : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء ، فقال :
هو لها شهادة ، قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى تنفد العين ماءها * ويشفى مني الدمع ما أتوجع
وقال بعض الكتاب في مثله :

إبك فمن أنفع ما في البكا * أنه للأحزان تسهيل
وهو إذا أنت تأملت به * حزن على الخدين محلول ١٥

قيل لعفيرة العابدة : ألا تسأمين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف
يسأم ذو داء من شيء يرجو أن يكون له فيه من دائه شفاء ! .

(١) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن « داود » . (٢) العجيج : الصياح ورفع الصوت .

(٣) كذا في الأصل وفي طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفي العقد الفريد (ج ١

ص ٣٨٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٨١) : « غالب بن عبد الله » . ٢٠

قال ابن أبي الحواري : رأيت أبا سليمان الداراني يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟
فقال : إنما أبكي لذلك الغم الذي ليس فيه فرح ، وذلك الأمد الذي ليس له انقطاع .
قال بعضهم : أتيت الشام ، فمررتُ بدير حرملة ، وبه راهبٌ كأن عينيه عدلاً
مزاداً ، فقلتُ : ما يبكيك ؟ فقال : يا مسلم ، أبكي على ما فرطتُ فيه من عمرى ،
وعلى يومٍ مضى من أجلي لم يتبين فيه عملي . قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ
عنه ، فقالوا : أسلم وغزاً فقتل في بلاد الروم .

أشعث قال : دخلتُ على يزيد الرقاشي فقال لي : يا أشعث ، تعالَ حتى
نبكي على الماء البارد في يوم الظما ، ثم قال : والنفاه ! سبقني العابدون وقطع بي ،
وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة .

زيد الحميري^(٢) قال : قلتُ لثوبانَ الراهب : أخبرني عن لبس النصارى هذا
السواد ، ما المعنى فيه ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب ، قال فقلتُ : وكلّكم
معشر الرهبان قد أُصيبَ بمصيبة ؟ فقال : يرحمك الله ! وأى مصيبة أعظم
من مصائب الذنوب على أهلها ! قال زيد : فلا أذكر قوله ذلك إلا أبكاني .^(٣)

ابن أبي الحواري قال : دخلتُ على أبي سليمان وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟
قال : يا أحمد ، إنه إذا جنّ الليلُ وهدأت العيونُ وأيسرَ كلُّ خليلٍ بخليله ، فرش
أهلُ المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم يُسمع لها وقعٌ على أقدامهم ،
وقد أشرف الجليلُ عليهم فقال : بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلى ، فما هذا
البكاء الذي أراه منكم ! هل أخبركم أحدٌ أن حبيباً يعذبُ أحبائه ! أم كيف أُبئتُ

(١) في العقد الفريد : « لم يحسن فيه عملي » . (٢) هكذا في الأصل ، وفي العقد الفريد

« أبو زيد الحميري » . (٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨) : « وقال أبو زيد » .

قوماء، وعند البيات أجدهم وقوفاً يملقونني! في حلفتُ أن أكشف لهم يوم القيامة عن وجهي ينظرون إلىّ .

قالت خنساء : كنتُ أبكي نصحير من القتل ، فانا أبكي له اليوم من النار .

قال عمر بن ذر لأبيه : يا أبت ، مالك إذا تكلمت أبكيت الناس ، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم ؟ فقال : يا بني ، ليست النائحة التكل مثل النائحة المستأجرة .

وفي بعض ما أوحى الله إلى نبي من أنبيائه : هب لي من قلبك الخشوع ، ومن يدلك الخشوع ، ومن عينك السموع ، وادعني ، فأني قريب .

وكان عمر يقول : استغزروا العيون بالتذكر

التهجد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني معمر والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي زمعة بن كعب الأسلمي قال : كنتُ أبيتُ عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فكنت أسمع ، إذا قام من الليل ، «سبحان الله رب العالمين» الهوى من الليل ، ثم يقول : «سبحان الله وبحمده» الهوى .

حدثنا حسين قال حدثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة قال : سمعتُ المغيرة بن شعبة يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توارمت قدامه ،

(١) في الأصل : «يحيى بن أبي كثير» وهو تحريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والخلاصة

وتقريب التهذيب . (٢) الهوى بالفتح : الحسين الطويل من الزمان ، وقيل هو مختص بالليل .

(٣) في الأصل : «زياد عن علاقة» بالفاء وهو خطأ صوابه «زياد بن علاقة»

كما وضعناه . (راجع تهذيب التهذيب) ج ٣ ص ٣٨٠ راج ٤ ص ١١٧ راج ١٠ ص ٢٦٢ وطبقات

أين سعد (ج ٢ ص ٣٦٩) .

فقيل : يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : « أفلا أكون عبدا شكورا » .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل .

بلغني عن رباح عن معتمر عن رجل قد سمّاه قال : قال يزيد الرقاشي : إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناى . وعلى الماء البارد السلام . يعنى بالنهار .

وروى جرير عن عطاء بن السائب قال : قال عبيدة بن هلال الثقفي^(١) : لا يشهد على ليل بنويم ولا شمس بإفطار ، فبلغ ذلك عمر فأقسم عليه ليُفطرك العيدين .

وروى حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمير بن حبيب قال : كان يقول لأهله : يا أهلاه ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ ، إنه من يسبق إلى الماء يظما ، يا أهلاه ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ ، إنه من يسبق إلى الظل يضحى .

قال أبو سليمان الداراني : أهل الليل في ليالهم ألد من أهل اللهوف طوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء .

خرج عيسى عليه السلام على الحواريين ، وعليهم العباء^(٢) وعلى وجوههم النور ، فقال : يا أبناء الآخرة ، ما تنعم المتنعّمون إلا بفضل نعيمكم .

(١) هكذا في الأصل ، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لمن يسمى « عبيدة بن هلال » ولم نثر عليه
لا في كتب تراجم الرواة ولا في كتب الأنساب وغيرها من الكتب التي بين أيدينا ، وفي البيان والتبيين
(ج ٣ ص ٨٠) : « ... عن عبيدة الثقفي ... » . (٢) العباء بالفتح : كساء من صوف مفتوح
من قدام يلبس فوق الثياب .

وقيل للحسن : ما بال المتعبدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خلّوا بالرحمن فالبسهم^(١) نورا من نوره .

حُصَيْن بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلاً يقال له همّام يقول :^(٢)
اللهم أشفني من النوم باليسير، وأرزقني سهرا في طاعتك . وكان يُصْبِحُ^(٣) وجمته
مُرَجَلَةً ، فيقول بعضهم لبعض : إن جُمّة همّام تخبركم أنه لم يتوسّدها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشه . وكان بعضهم يُجِئُ الليلَ ، فإذا نظر إلى الفجر قال : «عند الصباح يحمّدُ القومُ السّرى»^(٤) .

حدثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفضيل بن عياض بيدي ثم قال : يا حسين ، يقول الله : كَذَبَ مَنْ ادَّعَى محبتي وإذا أجنّه الليلُ نام عني ، أليس كلّ حبيبٍ يُحِبُّ خلوةَ حبيبه ! هاأنذا مُطْلِعٌ على أحبائي ، إذا أجنّهم الليلُ جعلتُ أبصارهم في قلوبهم ، ومثلتُ نفسي بين أعينهم ، فخطبوني على المشاهدة وكلّموني على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدثني عبد الرحمن بن يزيد قال : كنّا نعازي عطاء الخراساني^(٥)
فكان يُجِئُ الليلَ صلاةً ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثر نادانا ونحن في فسطاطنا :
يا عبد الرحمن بن يزيد ، ويا يزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز ، قوموا فتوضّئوا^(٦)

١٥ (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) : «فأسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهمّام

بالفتح والتشديد وهمّام بالضم والتخفيف . وبأستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجردا . (٣) الجمّة بالضم :

مجتمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة . (٤) هذا مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .

(٥) هكذا في الأصل ، والمعنى معه غير مستقيم . ويظهر من سياق الكلام أن كلمة «نعازي»

الواردة في الأصل محرفة عن كلمة «نقاري» من فراهه مقاراة إذا دارسه أي شاركه في الدرس ؛ وبها

يلتئم نظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) كذا بالأصل وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب .

وفي الخلاصة : «الغازي» بياء بعد الزاى المعجمة .

وَصَلُّوا، فَإِنَّ قِيَامَ هَذَا اللَّيْلِ وَصِيَامَ هَذَا النَّهَارِ أَيْسَرُ مِنْ شَرْبِ الصَّدِيدِ وَمِنْ مُقْطَعَاتِ الْحَدِيدِ؛ فَالْوَحَا الْوَحَا ثُمَّ النِّجَاءَ النِّجَاءَ؛ وَيُقْبَلُ عَلَى صَلَاتِهِ .

مَالِكُ بْنُ يَغْفُولَ ^(١) عَنْ رَجُلٍ مِنْ جَعْفِيٍّ ^(٢) عَنِ السَّدِيِّ عَنْ أَبِي أُرَاكَةَ قَالَ : صَلَّى عَلَى الْغَدَاةِ ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى أَرْتَفَعَتِ الشَّمْسُ كَأَنَّ عَلَيْهِ كَابَةً، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَثَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشِيرُهُمْ ، وَاللَّهِ إِنْ كَانُوا لَيُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا صُفْرًا ، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مِثْلُ رُكْبِ الْمَعْرَى ، قَدْ بَاتُوا يَتَلَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ ، يَرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ ؛ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ رِيحٍ ، وَأَنْهَمْتُ أَعْيُنَهُمْ حَتَّى تَبُلَّ ثِيَابُهُمْ ، وَكَأَنَّهُمْ ، وَاللَّهِ ، بَاتُوا غَافِلِينَ . يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَسْتَقْلُونَ ذَلِكَ .

١٠ . الْحَارِثِيُّ عَنِ الْإِفْرِيقِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَلْقَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إِنْ أَهْلَ السَّمَاءِ لَيَرَوْنَ بَيُوتَ أَهْلِ الذِّكْرِ تُضِيءُ لَهُمْ كَمَا تُضِيءُ النُّجُومُ كَبُورُ أَهْلِ الْأَرْضِ .

يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عِيسَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى قَالَ : كُونُوا يَنَابِيعَ الْعِلْمِ ، مِفْتَاحَ الْهُدَى ، أَحْلَاسَ الْبُيُوتِ ، جُدَدَ الْقُلُوبِ ، خُلُقَانَ الشَّيَابِ ، سُرُجَ اللَّيْلِ ، تَعْرِفُوا فِي أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَتَحْفَظُوا فِي أَهْلِ الْأَرْضِ .

١٥ . حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الرَّهْمَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ الْغُبَرِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ : فِي الرَّجُلِ يَرَى الضُّوْءَ [بِالْإِلْهَامِ] ؛ قَالَ : هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لَوْ كَانَ هَذَا فَضْلًا لَأَوْثَرَهُ أَهْلُ بَدْرٍ .

(١) كذا في تهذيب التهذيب ونقريب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال والقاموس وشرحه ، وفي الأصل :

« معول » بالعين المهملة ، وهو محريف . (٢) جعفي : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس

٢٠ . جمع حلس (بكسر الحاء وسكون اللام) وهو من يلزم البيت ولا يهرج ؛ ومنه الحديث الشريف :

« كونوا أحلاس بيوتكم » أي الزمواها . (٤) في الأصل : « تعرفون ... وتحققون ... » وقواعد

اللغة تقتضي ما أثبتناه ؛ لوقوعها جوابا للأمر . (٥) النكبة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

المسوت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدثني عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب قال : نظرت الى عمر بن عبد العزيز فأدمتُ النظرَ اليه ؛ قال : ما تنظرُ يا محمد ؟ قلت : أنظر الى ما أبيض من شعرك ، ونحل من جسمك ، وتغير من لونك ؛ فقال : أما والله لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة ؛ وقد سألتُ حدقتاي على وجعتي ، وسال منخرأي صديدا ودودا ، لكنتُ أشدَّ نكرةً ^(١) .

وقال الأصمعيّ : دخلتُ بعض الجبابين ^(٢) ، فإذا أنا بجارية ما أحسبها أتت عليها عشر سنين ، وهي تقول :

عَدِمْتُ الحَيَاةَ وَلَا نَلْتُمَا * إِذَا كُنْتُ فِي الْقَبْرِ قَدْ أَلْحَدُوكَا
وَكَيْفَ أَذُوقُ لَذِيذَ الْكَرَى * وَأَنْتَ بِيَمَانِكَ قَدْ وَسَّدُوكَا

قال الأزديّ : بلغني أنّ داود الطائي مرَّ بامرأة تبكي عند قبرٍ وهي تقول :
يا أخاه ! ليت شعري :

بَأَيِّ خَدِّكَ تَبْدَى الْبَلَى * وَأَيُّ عَيْنِكَ إِذَا سَالَا
فَصَيَقَ مَكَانَهُ ثُمَّ تَعَبَّدَ .

حدثني محمد بن مرزوق قال حدثنا محمد بن نصر المعلم قال حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أَتَيْتُ الْقَبُورَ فَنَادَيْتُهُنَّ أَيُّ الْمَعْظَمِ وَالْمَحْتَقِرِ
وَأَيُّ الْمُسْدِلِ بِسُلْطَانِهِ * وَأَيُّ الْمَزْكِيِّ إِذَا مَا أَفْتَحَرُ

(١) النكرة (بفتح النون والكاف) : اسم من الانكار . (٢) الجبابين جمع جبانة ،

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تفانُوا جميعًا فما نُخْبِرُ * وماتوا جميعًا وماتَ الخَبَرُ
تروحُ وتغدو بناتُ الثرى * وتمتحي^(١) محاسنُ تلك الصُّورِ
فيا سائلي عن أناسٍ مضَوْا * أما لك فيما ترى مُعْتَبَرُ

قال : فرجعت وأنا أبكى .

بلغني أنه قرئ على قبرٍ بالشام :

باتوا على قُللٍ^(٢) الأَجبالِ تحرسُهُم * غلبُ الرجالِ فلم تنفعهم القُللُ^(٣)
واستنزَلوا بعد عَزٍّ من معاقِلهم * فأسَكِنُوا حُفْرَةَ يابئس ما نزلوا
ناداهم صَارِخٌ من بعد ما دُفِنُوا * أين الأسرَةُ والتيجانُ والحُللُ
أين الوجوهُ التي كانت مُحجَّبةً^(٤) * من دونها تُضربُ الأستارُ والكللُ^(٥)
فأفصحَ القبرُ عنهم حين ساء لهم * تلك الوجوهُ عليها الدودُ تقتلُ^(٦)
قد طال ما أكلوا دهرًا وما نعيموا^(٧) * فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

وقال آخر :

ربِّ قوم عبَروا من عيشهم * في نعيم وسرورٍ وغَدَق
سكتَ الدهرُ زمانا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نَطَق

(١) في الإحياء للغزالي : « فتمحو... » (٢) القلل : جمع قلة ، وهي أعلى الجبل .

(٣) في تاريخ أبي الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فما أغنهم » . (٤) في تاريخ

أبي الفدا : « منعمة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكسر الكاف) وهي السترة الرقيق المعروف

في زماننا هذا بالناموسية . (٦) في تاريخ أبي الفدا : « يقتل » وفي اسم الجنس ، كاللود

هنا : يجوز الامران . (٧) في تاريخ أبي الفدا : « شربوا » .

نزل النعمان ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة عظيمة ليلهوا فقال له عدي بن زيد : أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال تقول :

رَبِّ شَرِبْ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا * يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالمَاءِ الزَّلَالِ^(١)
ثُمَّ أَضْحَوْا لَعَبِ الدَّهْرِ بِهِمْ * وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

وقال ابراهيم بن المهدي :

بِاللهِ رَبِّكَ كَمْ بَيْتٍ مَرَرْتَ بِهِ * قَدْ كَانَ يُعَمَّرُ بِاللَّدَاتِ وَالطَّرِيبِ^(٢)
طَارَتْ عُقَابُ المَنَايَا فِي سِقَائِفِهِ * فَصَارَ مِنْ بَعْدِهَا لِلْوَيْلِ وَالْحَرْبِ

أنشدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمد

العروضي :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَقَصْرُكَ المَوْتُ^(٣) * لَا مَرْحَلٌ عَنْهُ وَلَا قَوْتُ
بَيْنَا غِنَى بَيْتٍ وَبِهِجَّتُهُ * زَالَ الْغِنَى وَتَقَوَّضَ الْبَيْتُ^(٤)

حدثني يزداد بن أسد عن الطَّنَافِسي قال حدثنا أبو محمد قال : كان مالك بن

دينار يخرج إلى القبور كل خميس على حمار قوطراني ويقول :^(٥)

أَلَا حَيَّ الْقُبُورَ وَمِنْ بَيْتِهِ * وَجُوهٌ فِي الْقُبُورِ أَحْبَبُهُ^(٦)
فَلَوْ أَنَّ الْقُبُورَ سَمِعْنَ صَوْتِي * إِذَا لَأَجِبْنِي مِنْ وَجْدِهِنَّ^(٧)
وَلَكِنَّ الْقُبُورَ صَمَتْنَ عَنِّي * فَأَبَتْ بِحُسْرَةٍ مِنْ عِنْدِهِنَّ^(٨)

(١) في الكامل للبرد (طبع أوروبا صفحة ٢٨٣) : « رب ركب ... حولنا * يمزجون ... » وفي البيت

الثاني « عصف » بدل « لعب » . (٢) في الأصل : « عقار المنايا » . (٣) قصرك :

قصارك وغايتك . (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد في مصدر آخر مسمى بهذا اللفظ وإنما سموا

يزداد (بالدال) ويزدان (بالنون) . (٥) كذا بالأصل ولم نوفق إلى هذه النسبة .

ثم يبكي وبكى .

قال معاوية بن أبي سفيان لعبيد بن شريّة الجُرهمي : أخبرني بأعجب شيء رأيته في الجاهلية ، فقال : إني نزلت بحمي من قضاة نخرجوا بجنّازة رجل من عذرة يقال له حريث وخرجت معهم ، حتى إذا وآروه في حفرة انتبذت جانباً عن القوم وعيناي تدرفان ثم تمثلت بأبيات شعركنت أروياها قبل ذلك بزمان طويلاً :

تجرى أمور ولا تدري : أوائلها * خير لنفسك أم ما فيه تأخير^(١)
 فاستقدر الله خيراً وارضى به * فبينما العسر إذ دارت مياسير
 وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً * إذ صار في الرمس تغفوه الأعاصير
 يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحى مسرور

قال : وإلى جانبي رجل يسمع ما أقول ، فقال لي يا عبد الله ، هل لك علم بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : لا والله ؛ إلا أنني أروياها منذ زمان ؛ فقال : والذي تحلف به إن قائلها لصاحبنا الذي دفناه آنفاً ، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسر الناس بموته ، وإنك لغريب وتبكي عليه كما وصفت ؛ فعجبت لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله ، كأنه ينظر إلى مكاني من جنازته ، فقلت : «إكّ البلاء موكل بالقول» ؛ فذهبت مثلاً .

قال أعرابي : خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة ، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت لنزوله الموت .

(١) في درة النواص للحريري (ص ٣٣ طبعة الجواثب) : "وما تدري أعاجلها * أدنى لرشدك"

وفي الأصل هنا : ولا يدري أوائلها * خيراً الخ ... وهو تحريف .

وقال أبو زبيد :

يَمْلِكُ المَرءُ بالرجاءِ وَيُضْحِي * غَرَضًا لِلنَّوْنِ نَصَبَ العودِ
كُلَّ يَوْمٍ ترميه منها برشقي^(١) * فمصيب^(٢) أو صاف غير بعيد

وقال أبو العتاهية :

وعظمتك أجدات^(٣) صمت * ونعتك أزمنة^(٤) خفت
وتكلمت عن أوجه^(٥) * تبلى وعن صور شئت^(٦)
وأرتك قبرك في القبو * وأنت حي لم تمت

وقال أعرابي : أبعد سفر أول منقلة^(٧) منه الموت . وقيل لأعرابي : مات
فلان أصح ما كان ؛ فقال : أو صحيح من الموت في عنقه ! وقال بعض المحدثين :
إسمع فقد أسمعك الصوت * إن لم تبادر فهو الفوت
بل كل إذا شئت وعش ناعما * آنح هذا كله الموت

وكان صالح المرمى يقول في قصصه :

مؤمل دنيا لتبقى له * فمات المؤمل قبل الأمل
وبات يروى أصول الفسيل^(٨) * فعاش الفسيل ومات الرجل

وقال مسلم بن الوليد :

كم رأينا من أناس هلكوا * وبكى أحبائهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم^(٩) * ودثم لو قدموا ما تركوا

(١) الرش : الشوط من الرمي . (٢) صاف السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .

(٣) كذا في ديوان أبي العتاهية طبع بيروت . وفي الأصل والمسهودي : « وعن صور سبت » .

(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صغار النخل .

كم رأينا من ملوك سُوقَةٍ * ورأينا سُوقَةً قد مَلَكُوا
 قَلْبَ الدهرِ عليهم وَرِكا * فَاسْتَدَارُوا حَيْثُ دارَ الفَلَكُ
 حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ أَنَّهُ قَرَأَ لَهُ بَيْتَانِ عَلَى جِدَارٍ مِنْ جُدُرِ كَنِيسَةِ
 الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ :

ما اختلفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا * دارَتْ نَجُومُ السَّمَاءِ فِي الفَلَكِ
 إِلَّا بِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ مَلِكٍ * كَانَ يَحِبُّ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ
 وَقَالَ آخَرُ :

ما أَنزَلَ المَوْتَ حَقَّ مَنْزِلِهِ * مِنْ عَدَّةٍ يَوْمًا لَمْ يَأْتِ مِنْ أَجَلِهِ
 وَالصَّدْقُ وَالصَّبْرُ يُلْغَانِ بَيْنَ * كَانَا قَرِينَيْهِ مِنْتَهَى أَمَلِهِ
 عَلَيْكَ صَدَقَ اللِّسَانُ مَجْتَهِدًا * فَإِنَّ جُلَّ الهَلَاكِ فِي زَلَلِهِ
 وَقَالَ الطَّرِمَّاحُ :

فِيَارَبِّ لَا تَجْعَلْ وَفَاتِي إِنْ أَتَتْ * عَلَى شَرَجٍ يُعَلَى بِدُكْنِ المَطَارِفِ^(١)
 وَلَكِنْ أَجْزِئِي مِى شَهِيدًا وَعُصْبَةً^(٢) * يَصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الأَرْضِ خَائِفٍ
 عَصَائِبُ مِنْ شَيْءٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُمْ * هُدَى اللَّهِ نَزَّالُونَ عِنْدَ المَوَاقِفِ^(٣)
 إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمْ فَارَقُوا الأَذَى * وَصَارُوا إِلَى مَوْعُودِهَا فِي المَصَاحِفِ^(٤)
 فَأَقْتَلْ قَعْصًا ثُمَّ يَرْمَى بِأَعْظَمَى * كِضْفَتِ الخَلَا بَيْنَ الرِّيحِ العَوَاصِفِ^(٥)
 وَيُصْبِحُ لِحْمَى بَطْنِ طَيْرٍ مَقِيلَةً * دُؤِينَ السَّمَاءِ فِي نَسُورٍ عَوَائِفِ^(٦)

(١) الشرجع : النعش . (٢) رسمت هذه الجملة في الأصل هكذا : «ولكن أنخريومي» . وقد وردت

هذه الأبيات في الأغاني في ترجمة الطرماح باختلاف كثير في الكلمات عما هنا . (٣) في الأغاني

(ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق) : «إلى ميعاد ما في المصاحف» . (٤) قعصه قعصا : قتله مكانه .

(٥) الضغث : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس . (٦) العوائف من الطير : التي تستدير

على الشيء، حائمة حوله تريد الوقوع

وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ قَالَ : اتَّخَذَ نُوحٌ بَيْتًا مِنْ خُصٍّ ، فَقِيلَ لَهُ لَوْ بَنَيْتَ بَيْتًا ؟
فَقَالَ : هَذَا لِمَنْ يَمُوتُ كَثِيرًا .

بَلْغَنِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ سُرْحَبِيلِ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَانَ إِذَا
رَأَى جَنَازَةً قَالَ : اِغْدِي فَإِنَّا رَائِحُونَ ، أَوْ قَالَ : رُوحِي فَإِنَّا غَادُونَ . وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ لَبِيدٍ :
وَإِنَّا وَإِخْوَانُنَا لَقَدْ نَتَابَعُوا * لَكَا مَغْتَدِي وَالرَّائِحُ الْمَتَهَجِّرُ^(١)

بَلْغَنِي عَنْ وَكِيعٍ عَنْ شَرِيكَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هَلَالِ بْنِ إِسَافٍ قَالَ : مَا مِنْ
مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَفِي سِرَّتِهِ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَوَّلُ
شَعْرٍ قِيلَ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا قَوْلُ ابْنِ خَدَّاقٍ^(٢) :

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مَنْ رَاقٍ * أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مَنْ وَاقٍ
قَدْ رَجَّلُونِي وَمَا رُجِّلْتُ مِنْ شَعِيثٍ * وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقٍ
وَطَيَّبُونِي وَقَالُوا أَيُّمَا رَجُلٍ * وَأَدْرَجُونِي كَأَنِّي طَيٌّ مَخْرَاقٍ^(٣)
هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تُؤَلَّعْ بِإِشْفَاقٍ * فَإِنَّمَا مَا لَنَا لِلسَّوَارِثِ الْبَاقِي

مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَا لِي لَا أَحِبُّ الْمَوْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ : « هَلْ لَكَ مَالٌ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
« قَدِّمَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ » ، قَالَ : لَا أَطِيقُ ذَلِكَ ، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ الْمَرْءَ
مَعَ مَالِهِ إِنْ قَدَّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ وَإِنْ أَخَّرَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَهُ » .

الْحَارِثِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : قِيلَ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ فِي مَرَضِهِ : أَلَا
نَدْعُوكَ طَبِيبًا ؟ قَالَ : أَنْظِرُونِي ، ثُمَّ فُكِّرَ فَقَالَ : (وَعَادًا وَتُمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُوءًا

(١) كَذَا فِي دِيْوَانِ لَبِيدٍ ، وَفِي الْأَصْلِ «الْمَتَهَجِّرُ» بِالْبَاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) كَذَا فِي كِتَابِ

الْأَوَائِلِ لِأَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ وَالْقَامُوسِ وَشَرْحُهُ مَادَّةُ «خَذَقَ» وَفِي الْأَصْلِ «خَلَقَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) مَخْرَاقٌ : ثَوْبٌ أَوْ مَنَدِيلٌ يُلْفُ وَيَضْرَبُ بِهِ .

بين ذلك كثيراً) قد كانت فيهم أطباء.. فما أرى المداوى بقي ولا المداوى؛ هلك
الناعت والمنعوت له، لا تدعوا لي طيباً .

إسحاق بن سليمان عن أبي أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له هجيري^(١)
إلا أن يقول :

٥ سرُّ بما يبلى وتفرَّح بالمني * كما اغترَّ بالذات في النوم حالمٌ
نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ * وليك نومٌ والردى لك لازمٌ
وسعيك فيما سوف تكره غبهٌ * كذلك في الدنيا تعيش البهائم

كم من مستقبل يوماً ليس بمستكله ، ومتنظِّر غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم
الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

١٠ لا يلبث القرآن أن يتفرقوا * ليل يكثر عليهم ونهار

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن ورد عن سالم بن بشير
ابن حجل عن أبي هريرة : أنه بكى في مرضه فقال : أما إني لا أبكى على دنياكم
ولكنني أبكى على بعد سفرى وقلة زادى ، وأنى أمسيْتُ في صعودٍ مهبطه على جنة
أونار، ولا أدري على أيهما يؤخذ بي ! .

١٥ أبو جناب قال : لما احتضر معاذُ قال بخاريته : ويحك ! هل أصبحنا ؟
قالت : لا ؛ ثم تركها ساعة ثم قال لها : انظري ! فقالت : نعم ؛ فقال : أعوذ بالله
من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ، مرحباً بزائر جاء على فاقة ، لا أفلح
من نديم ! اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحبُّ البقاء في الدنيا لكزى الأنهار ولا لغرس
الأشجار ، ولكن كنت أحبُّ البقاء لمكابدة الليل الطويل ولظمأ الهواجر في الحرِّ
الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر .

أبو اليقظان قال : لما احتضر عمرو بن العاص جعل يده في موضع الغل من عنقه ثم قال : اللهم إنك أمرتنا ففرطنا ، ونهيتنا فركبنا ، اللهم إنه لا يسعنا إلا رحمتك ؛ فلم يزل ذلك هجيراه حتى قبض .

٥ قيل لأزاده مَرْد بن الهريرة حين احتضر : ما حالك ؟ فقال : ما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ، وينزل حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس ، ويقدم على ملك جبار قد قدم إليه العذر بلا حجة !

١٠ حدثني عبدة الصفار قال حدثني العلاء بن الفضل قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جده عن جد أبيه قال : سمعت أمة بن أبي الصلت عند وفاته وأغمى عليه طويلا ثم أفاق ، ورفع رأسه الى سقف البيت وقال : ليكما ليكما ، هانذا لديكما ، لا عشيرتي تحميني ، ولا مالي يفيدني ، ثم أغمى عليه طويلا ثم أفاق فقال :

كل عيش وإن تطاول دهره * صائر مرة الى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في رءوس الجبال أرعى الوعولا
ثم فاضت نفسه .

١٥ الحكم بن عثمان قال : قال المنصور عند موته : اللهم إن كنت تعلم أني قد ارتكبت الأمور العظام جرأة مني عليك ، فإنك تعلم أني قد أطعتك في أحب الأشياء اليك شهادة أن لا إله إلا أنت ، منّا منك لا منّا عليك . وكان سبب إحرامه من الخضراء أنه كان يوما نائما ، فأتاه آت في منامه فقال :

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة في اللغة الفارسية "آزاد" بالبدال المهملة فلعل ما في الأصل

كأني بهذا القصر قد بادَ أهله * وعُرِّي منه أهله ومنازلُه
وصار عميدُ القوم من بعدِ نعمة * إلى جدِّ تُبْنَى عليه جنادُه
فلم يبق إلا رسمُه وحديثُه * تُبْكِي^(١) عليه مَعِيَلَاتُ حلالُه

فأستيقظ مرعوباً ثم نام فأتاه الآتي فقال :

أبا جعفرٍ حانت وفاتُك وانقضت * سنوك وأمرُ الله لا بدَّ واقعُ
فهل كاهنٌ أعددتَه أو منجمٌ * أبا جعفرٍ عنك المنيَّةُ دافعُ

فقال : يا ربيع ائتني بطهورى ، فقام واغتسل وصلى ولّى وتجهَّز للحج ، فلما
صار في الثلث الأول اشتدتَّ علته ، فغسل يقول : يا ربيع أَلْقِنِي في حرمِ الله ،
فمات بيثرميون^(٢) .

١٠ حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير عن العباس بن طالب قال : قال
الربيع بن بزة : كنت بالشام فسمعتُ رجلاً وهو في الموت يقال له : قل لا إله إلا الله ،
فقال : اشرب واسقني . ورأيت رجلاً بالأهواز قيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال :
ده يا زده وده دوازده . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا إله إلا الله ، فقال :
يارب قائلة يوماً وقد آغبتُ * كيف الطريقُ إلى حمامٍ منجائبٍ^(٤)

١٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معمر عن أبيه قال : لقن مَيْتَكَ ، فإذا
قالها فدعه يتكلم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضِجْه .

(١) تبكى (بالتشديد) : مثل تبكى بالتخفيف . (٢) بيثرميون : بمكة منسوبة إلى ميمون

ابن خالد بن عامر بن الحضرمي . (٣) هذه كلمات فارسية معنى الأولى منها عشرة أحد عشر

ومعنى الثانية عشرة اثنا عشر . وهى كلمات أجراها على لسانه هذيان الاحتضار . (٤) حمام

منجائب (بكسر الميم) : ينسب إلى منجائب بن راشد الضبي .

قال مالك بن ضيغم : لما احتضر أبي قلنا له : ألا تُوصي ؟ قال : بلى ،
أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنه ويعقوبُ : ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ آصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار وفعل ما استطعتم
من المعروف ، وادفنوني مع المساكين .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه ^(١) : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : في الموت ؛ قال :
لأن تكون في ميزاني أحبَّ إليَّ من أن أكون في ميزانك ، قال : وأنا والله لأن
يكون ما تُحِبُّ أحبَّ إليَّ من أن يكون ما أُحِبُّ .

احتضر سيبويه النحوي فوضع رأسه في حجر أخيه فقَطَرَتْ قَطْرَةٌ من دموع
أخيه على خده ، فأفاق من غشيته وقال :

أُخَيَّرْتُ كَمَا فَتَرَكَ الدهر بيننا * إلى الأمد الاقصى ومن يأمن الدهرا !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال : قيل لهرم بن جبان :
أوص ؛ فقال : قد صدَّقَتْنِي نَفْسِي في الحياة ، مَالِي شَيْءٌ أوصي فيه ، ولكن أوصيكم
بخواتم سورة النحل .

قال الشاعر :

ما ارتدَّ طرفُ امرئٍ بلحظته * إلا وشيءٌ يموتُ من جسده

وقال آخر :

المرء يشقى بما يسعى لوارثه * والقبر وارثٌ ما يسعى له الرجلُ

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حيان
التميمي عن أبيه قال : أوصى الربيعُ بن خيثم وأشهدَ على نفسه وكفى بالله شهيدا

(١) يوجد بهامش النسخة الفتوغرافية ما نصه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازياً لعباده الصالحين ومُثيباً : إني رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، وأوصي نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العبادين ويحمده في الحامدين وينصح الجماعة المسلمين ؛ وأوصي أهله : ألا تُشعروا بي أحداً وسُئوني إلى ربي سلاً .

- ٥ حدثني محمد بن أحمد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجري يقول : لما مات ذر بن عمر بن ذر قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به باراً) ؛ فسمعها الشيخ فقال : أتني أضيعُ واللهُ حيٌّ لا يموت ! فلما وراه التراب وقف على قبره وقال : رحمك الله يا ذر ! ما علينا بعدك من خصاصةٍ وما بنا إلى أحدٍ مع الله حاجةٌ ، وما يسرُّني أني كنت المقدم قبلك ، ولولا هولُ المطلع لتمنيتُ أن أكون مكانك ، لقد شغلني الحزنُ لك عن الحزنِ عليك ، فياليت شعري ما ذا قلت وما قيل لك ! ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم إني قد وهبتُ حقِّي فيما بيني وبينه له ، فهبْ حقَّك فيما بينك وبينه له . ثم قال عند انصرافه : مضينا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك .

- ١٥ حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد بن أبي عون عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « توفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو نزل بالجلالِ الراسيات ما نزل بأبي لهاضمها ، إشرأبُ النفاق بالمدينة وارتدت العربُ ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وغنائها في الإسلام » . وكانت مع هذا تقول : « من رأى عمر بن الخطاب عرف أنه خالقٌ غناءً للإسلام ، كان والله أحوزياً نسيجاً ^(١) ^(٢) » .

وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها» . وقالت عند قبره : « رَحِمَكَ اللهُ يَا أَبِيتَ ! لقد قمتَ بالدين حين وهى شعبه^(١) ونفاقم صدّعه^(٢) ورجفت جوانبه^(٣) ؛ انقبضت مما أصغوا إليه^(٤)، وشمرت^(٥) فيما ونوا فيه واستخففت من دنياك ما استوطنوا وصغرت منها ما عظموا ورعيت دينك فيما أغفلوا ، أطالوا عنان الأمن واقتعدت مطي الحذر، ولم تهضم دينك ولم تشين غدك ففاز عند المساهمة قدحك وخف مما استوزروا ظهرك » . وقالت أيضا عند قبره : « نضر الله وجهك يا أبيت ! فلقد كنتَ للدنيا مذلّا بإدبارك عنها، وللآخرة معزّا بإقبالك عليها ؛ ولئن كان أجل الرزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك^(٦) وأكبر المصائب فقدك^(٧) إن كتاب الله ليعد بجيل العزاء عند أحسن العوض منك ، فأنا أبتجز من الله موعوده فيك بالصبر عليك ، وأستعيضه منك بالاستغفار لك ؛ عليك سلام الله ورحمته ، توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك » .

قال الحسين بن عليّ عند قبر أخيه الحسن : « رَحِمَكَ اللهُ أبا محمد ! إن كنتَ لتباصر الحق مظانّه ، وتؤثر الله عند تداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية ، وتستشفّ جليل معاضم الدنيا بعين لها حاقرة ، وتفيض عليها يدا طاهرة الأطراف نقيّة الأسرة^(٨) ، وتردع^(٩) بادرة غريب أعدائك بأيسر المؤونة عليك ؛ ولا غرو وأنت ابن

(١) وهى شعبه : تمزق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا إليه : مالوا إليه . (٣) شر : جد

وفي الأصل : « سموت » وهو تحريف ، إذا ما بعده بعين ما أثبتناه . (٤) كذا بالأصل .

(٥) الذى فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : « ان كتاب الله ليعد بحسن

الصبر فيك وحسن العوض منك » . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل ،

ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بين أيدينا ، فلعلها « عند مداحض الباطل » جمع « مدحضة »

كثرة وزنا ومعنى . (٧) الأسرة : جمع سرار (بالكسر) وهى الخطوط التى تبدو فى ظاهر اليد

والجبهة .

سلالة النبوة ورضيخ إيان الحكمة ؛ فإلى رَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَجَنَّةٍ نعيم ؛ أعظمَ اللهُ لنا ولكم الأجرَ عليه ، ووهبَ لنا ولكم السلوةَ وحُسنَ الأسَى عنه .

حدثني عبد الرحمن بن الحسين السعيدى عن محمد بن مُصعب : أن ابن السماك قال يوم مات داود الطائى فى كلام له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه الى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكان كأنه لا ينظر الى ما اليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر ، فاتم منه تعجبون وهو منكم يعجب ، فلما رآكم راغبين مذهبولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بجهها قلوبكم استوحش منكم ، فكنت اذا نظرت اليه نظرت [الى] حى وسط أموات . يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ! أحننت نفسك وانما تريد إكرامها ، وأتعبتها وانما تريد راحتها ، أخشنت المطعم وانما تريد طيبه وأخشنت الملبس وانما تريد لينه ، ثم أمت نفسك قبل أن تموت ، وقبرتها قبل أن تُقبر ، وعدبتها ولما تُعذب ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُدكر ، رغبت نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدراً الى الآخرة ، فما أظنك إلا وقد ظفرت بما طالبت ، كان سيماك فى شرك ولم يكن سيماك فى علانيتك ، تفقّهت فى دينك وتركت الناس يُغنّون ، وسمعت الحديث وتركتم يُحدّثون ، ونحّست عن القول وتركتم ينطقون ، لا تحسّد الأخيار ، ولا تعيب الأشرار ، ولا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية ، أنس ما تكون اذا كنت بالله خاليا ، وأوحش ما تكون أنس ما يكون الناس ؛ فمن سمع بمثلك وصبر صبرك وعزم عزمك ! لا أحسبك الا وقد أتعبت العابدين بعسك ، سجنك نفسك فى بيتك فلا مُحَدِّث لك ولا جليس معك ولا فراش تحتك ولا ستر على بابك

(١) الأسى (بضم الازل ويكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهى ما يتغزى به .

(٢) فى الأصل «ولما أن تعذب» . بزيادة «أن» بعد «ولما» وليس هذا من مواضع زيادتها .

ولا قَلَّةٌ يبرد فيها مأوك ولا صحفة يكون فيها غداؤك وعشاؤك ، مِطْهَرَتُكَ قَلْبُكَ
 وَقَصَصَتُكَ تَوَرُّكَ^(١) . داود ما كنت تشتمى من الماء باردَه ولا من الطعام
 طيبَه ولا من اللباس لينَه ، بلى ! ولكن زهدت فيه لما بين يديك ؛ فما أصغرَ
 ما بذلت ، وما أحقرَ ما تركت في جنب ما أملت ، فلما ميت شمرَكَ ربُّكَ بموتِكَ ،
 وألبَسَكَ رداءَ عملِكَ ، وأكثرتَبَعَكَ ، فلورأيت من حضرك عرفت أنَّ ربَّكَ
 قد أكرمك وشرفك ، فلتكلم اليوم عشيرتَكَ بكلِّ ألسنتها ، فقد أوضح ربُّكَ فضلها
 بك ، ووالله لو لم يدع عبدا الى خيرٍ بعمله إلا حُسْنُ هذا النَّشِيرِ من كثرة هذا التَّبَعِ ،
 لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهد لمن لا يُضَيِّعُ مُطِيعا ولا ينسى صنيعا شاكرا ومُثِيبا .
 وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه ،
 ١٠ فحقق رجائي وآمن خوفي .

مات ابنُ لَأَنَسَ بن مالك فقال أَنَسٌ عند قبره : اللهم عبدُكَ وولدُ عبدِكَ
 وقد رُدَّ اليكَ ، فارأف به وارحمه ، وجافِ الأرض عن بدنه ، وافتح أبواب السماء
 لروحِه وتقبَّله بقبولِ حسنٍ . ثم رجع فأكل وشرب وادَّهَنَ وأصاب من أهله .
 وقال جرير في امرأته :

لا يَلْبِثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا * لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ
 صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيَّرُوا * وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ

وقفت أعرابية على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالك لعريسك ، ولا همك
 لنفسك ، وما كنت إلا كما قال القائل :

رحيبُ الدِّراعِ بالتي لا تُشِينُهُ * وإن كانت الفحشاء ضاقت بها ذُرْعَا

حدثني محمد بن داود عن الصلت بن مسعود قال : كان سفيان بن عيينة
يستحسن شعر عدي بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وشمود
بينما هم على الأسرة والأند * ما طأفضت إلى التراب الحدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطبأء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعو طهم واللدود^(١)
وصحيح أضحى يعود مريضاً * وهو أدنى للوت من يعود
أخذه علي بن الجهم فقال :

كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود

حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن
أبي خالد عن عبد الملك بن عمير عن ربيعة بن حراش قال : أتيت أهلي فقيل لي :
مات أخوك ، فوجدت أخي مسجى عليه بثوب ، فأنا عند رأسه أترحم عليه
وأدعوه إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، فقلنا : وعليك السلام ،
سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إني تلقيت بروح وريحان ورب غير غضبان ،
وكساني ثيابا من سندس وإستبرق ، وإني وجدت الأمر أيسر مما تظنون
ولا تتكلموا ، إني استأذنت ربي أن أخبركم وأبشركم ، إحملوني إلى رسول الله ، فقد
عهد إلي ألا أبرح حتى ألقاه ثم طفي^(٢) .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن
ثابت أن مطرفا كان يسدو على دابته بين المقام فأغفى فإذا أهل القبور جلوس على^(٣)

(١) السعوط : الدواء الذي يؤخذ من الأنف ، واللدود (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواء
بالمسحط ويصب في أحد شق الفم . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يغدو .

(١) شَفَاهُ قُبُورَهُمْ يَقُولُونَ : هَذَا مَطَرٌ رُوحُ إِلَى الْجُمُعَةِ ؛ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، وَمَا تَقُولُ الطَّيْرُ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ ، يَقُولُونَ : سَلَامٌ ، يَوْمٌ صَالِحٌ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ تَجْرِيَ الْعَيْنُ الَّتِي حَفَرَهَا — قَالَ سُفْيَانُ : تُسَمَّى عَيْنَ أَبِي زَيْدٍ — نَادَوْا بِالْمَدِينَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَأْتِ قَتِيلَهُ ؛ قَالَ جَابِرٌ : فَأَتَيْنَاهُمْ فَأَخْرَجْنَاهُمْ رَطَابًا يَتَتَوْنَ ، وَأَصَابَتِ الْمِسْحَاةُ رَجُلًا رَجُلًا مِنْهُمْ فَانْقَطَرَتْ دَمًا . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ : لَا يُنْكَرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكَرٌ أَبَدًا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : أَهْلُ الْقُبُورِ يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ فَإِذَا أَتَاهُمُ الْمَيِّتُ سَأَلُوهُ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ فَيَقُولُ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ ! فَيَقُولُونَ : إِيَّاكَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، سَلِّكَ بِهِ غَيْرُ سَبِيلِنَا .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَبْدِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ السَّائِحُ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ قَالَ : شَهِدْتُ ثَابِتَ الْبُنَانِيِّ يَوْمَ مَاتَ وَشَهِدَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَدَخَلْتُ قَبْرَهُ أَنَا وَحُمَيْدُ الطَّوِيلُ وَأَبُو جَعْفَرٍ حَسَنٌ مِمَّا بَلَى رَأْسَهُ فَلَمَّا ذَهَبَتْ أَسْوَى عَلَيْهِ اللَّيْنَةُ سَقَطَتْ مِنْ يَدِي فَلَمْ أَرَ فِي اللَّحْدِ أَحَدًا ، وَأَصْنَعِي إِلَى حُمَيْدٍ أَنْ اخْطِطَفَ صَاحِبُنَا وَخِجَّ النَّاسُ فَسَوَّيْنَا عَلَى اللَّحْدِ وَحَثَوْنَا التُّرَابَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِحُمَيْدٍ هِمَّةٌ حَتَّى أَتَى سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : مَا يُنْكَرُ لَكَ قُدْرَةً ! إِلَّا أَنِّي أَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانَتِنَا يُفَعِّلُ هَذَا بِهِ ، فَهَلْ عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ سِوَاكَ ؟ قَالَ :

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَعَلَّ أَصْلَهُ « أَشْفَاء » جَمْعُ شَفَا أَيْ حَرَفَ . (٢) انْقَطَرَتْ دَمًا : سَالَتْ

دَمًا . يُقَالُ انْقَطَرَتْ قَدَمُ فُلَانٍ أَوْ أَصْبَعُهُ دَمًا أَيْ سَالَتْ وَفِي الْأَصْلِ « انْقَطَرَتْ » بِالْقَافِ وَلَمْ يَجِدْ

فِي كَتَبِ اللُّغَةِ الَّتِي بِيَدِنَا صِيغَةُ انْفَعَلَ مِنْ قَطَرَ . (٣) يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ : يَنْتَظِرُونَهَا وَيَسْأَلُونَ عَنْهَا .

أعم ، الربيع بن صبيح وحسن ؛ قال : عدلان مرضيان ، فبعث أمناء جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه في قبره .

وحدثني أيضا عن أعرابية كان يقال لها أم غسان مكفوفة وكانت تعيش بمغزلها وتقول : الحمد لله على ما قضى وارتنقى ، رضيت من الله ما رضى لي ، وأستعين الله على بيت ضيق الفناء قليل الكواء^(١) وأستعين الله على ما يطالع من نواحيه . وماتت جارة لها فقيل لها : ما فعلت جارتك ؟ فقالت :

تقسم جارأتها ببتها * وصارت الى بيتها الأتله

وقالت يوما : إن تقبل الله مني صلاة لم يعدنني ، فقيل لها : كيف ذلك ؟ قالت : لأن الله عز وجل لا يثني في رحمته وحلمه ، قال : وكنت سمعت حديث معاذ «من كتبت له حسنة دخل الجنة» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أم غسان تقول هذا ، فعرفت تاويله :

الكبر والمشيب

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عبد الجليل بن عطية عن شهر ابن حوشب عن عمرو بن عنبسة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ما لم يحضها أو ينتفها» .

أبو حاتم عن الأصمعي عن شيخ من بني فزارة قال : مررت بالبادية وإذا شيخ قاعد على سفير قبر ، وإذا في القبور رجال كأنهم الريح يدفنون رجلا والشيخ يقول :

(١) الكواء : جمع كتوة وهي الخرق في الحائط .

(١) أَحْثُوا عَلَى الدَّيْسِمِ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * قَدَمًا أَبِي رَبُّكَ إِلَّا مَا تَرَى

فقلت له : مَنْ المَيْتُ ؟ فقال : ابْنِي ، فقلت له : مَنْ الَّذِينَ يَدْفِنُونَهُ ؟ قال :
بَنُوهُ .

(٢) حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : دَخَلَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ الْمَسْجِدَ يُهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ
مِنَ الْكِبَرِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَتَّبِعُهُ عَلَى مَوَدَّتِهِ : بَلَغْتَ مَا أَرَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ !
قَالَ : هُوَ مَا تَرَى فَلَا بَلَّغَتَهُ . وَنَحْوَهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
* يَا عَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَّغَتَهُ *

وَيُقَالُ فِي الزُّبُورِ : « مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ » . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ
النَّبِيطِيُّ : لَا تَسْأَلْ نَفْسَكَ الْعَامَ مَا أَعْطَتْكَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي .

رَأَى ضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيَّ لَهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ ذِكْرًا قَدْ بَلَغُوا فَقَالَ : مِنْ سِرِّهِ بَنُوهُ
سَاعَتَهُ نَفْسُهُ .

قَالَ ابْنُ أَبِي قَنَيْنٍ :

مِنْ عَاشٍ أَخْلَقْتَ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ * وَخَانَهُ الثَّقَتَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
قَالَتْ عَهْدُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بِرُؤْيِ الْكِبَرِ

أَبُو عَيْسَةَ قَالَ : قِيلَ لَشَيْخٍ : مَا بَقِيَ مِنْكَ ؟ قَالَ : يَسْبِقُنِي مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ ،
وَيُذِرْكُنِي مَنْ خَلْفِي ، وَأَنْسَى الْحَدِيثَ ، وَأَذْكُرُ الْقَدِيمَ ، وَأَنْعَسُ فِي الْمَلَأِ ، وَأَسْهَرُ
فِي الْخَلَاءِ ، وَإِذَا قُمْتُ قُرْبَتِ الْأَرْضُ مِنِّي ، وَإِذَا قَعَدْتُ تَبَاعَدَتْ عَنِّي ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :
قَالَتْ عَهْدُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بِرُؤْيِ الْكِبَرِ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَجَاءَ هَذَا الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « دَسَمَ » هَكَذَا

أَخْشَى عَلَى دَيْسِمٍ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * أَبِي فُضَاءَ اللَّهِ إِلَّا مَا تَرَى

(٢) بِالْبِنَاءِ لِلْفِعُولِ أَيْ يَمْشِي بَيْنَهُمَا مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا لُضْعَفِهِ .

قال عبد الملك بن مروان للريان بن الهيثم : كيف تجدك ؟ قال : أجِدُنِي
قد أبيض مني ما كنت أحب أنسب يسود واسود مني ما كنت أحب أن يبيض
واشتد مني ما أحب أن يلين ولان مني ما أحب أن يشتد وقال :

سَلْنِي أَنْبَاءَكَ بآيَاتِ الْكِبَرِ * نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسَعَالُ الشَّجَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ * وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وسرعة الطرف وتجميع النظر^(١) * وتركك الحسنة في قُبُلِ الطُّهْرِ
والناس يَبْلَوْنَ كما تَبَلَى الشَّجَرُ *

وقال حميد بن ثور :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتُ بَعْدَ مَحْجَةٍ * وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصْبَحَ وَتَسْلِمَ

وقال المكي :

لَا تَغِيْطِ الْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ * أَمْسَى فَلَا تَلِيسَ لِسْنُهُ حَكَمًا
إِنْ سَرَّ طَوَّلَ عَمْرُهُ فَلَقَدْ * أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طَوَّلَ مَا سَلِمَا

وقال النمر بن تولب :

يَوَدُّ الْفَقِيرُ طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْغَنَى * فَكَيْفَ تُرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

(١) التجميع : تصغير العين لتمكينها من النظر ، ويقال على إدامة النظر مع فتح العينين ، وهكذا ذكره
الأزهري والجوهري وغيرهما بالخاء المهملة قبل الميم والجيم المعجمة بعدها ، وفي الأصل : «تجميع»
بتقديم الجيم وتأخير الخاء ، وهو موافق لما رواه ابن الأثير في حديث عمر بن عبد العزيز «فطلق يجمع إلى
الشاهد النظر» ثم قال : هكذا ورد في كتاب أبي موسى وكأنه راقه أعلم سهو . وقال الزنجشري : هي لغة
في التجميع (انظر اللسان مادتي جمع وجمع) .

وقال آخر :

كانت قناتي لا تَلِينُ لغامر * فالانها الإصباح والإساء
ودعوتُ ربِّي بالسلامة جاهدا * لِيُصَحِّحَنِي ^(١) فإذا السَّلامةُ داءُ

وقال أبو العتاهية :

* أسرع في نقص امرئٍ تمامه *

وقال عبد الحميد الكاتب :

تُرْجَلُ ما ليس بالقافل ^(٢) * وأعقب ما ليس بالآمل
فلهنّ من الخلف النازل * ولهفي على السلف الراحل
أُبْكِي على ذا وأبكي لذا * بكاء الموهبة الثاكل
تُبْكِي من ابن لها قاطع * وتبكي على ابن لها واصل
تقضت غوايات سكر الصبا * وزدّ الثقي عند الباطل

محمد بن سلام الجُمَحِيّ عن عبد القاهر بن السريّ قال : كتب الججاج الى قتيبة
ابن مسلم : إني نظرتُ في سنِّك فوجدتُك لِدَتِي ^(٣) وقد بلغت الخمسين وإنَّ امرأً
سار الى منهل خمسين عاماً لقريبٌ منه . فسمع به الججاج بن يوسف التيمي فقال :

إذا كانت السبعون سنِّك لم يكن * لداك إلا أن تموتَ طبيبُ
وإنَّ امرأً قد سار سبعين حجة * الى منهل من ورده لقريبُ
إذا ما خُوت الدهر يوماً فلا تقل * خلوتُ ولصكن قل عايٍ وخيبُ
إذا ما أنقضى القرن الذي أنت منهم * وخلفت في قبرٍ فأنت غريبُ

(١) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل : « ليصحني » . (٢) في الأصل « رجل » .

(٣) لغة الرجل : تربيته . ولا يستقيم معه الوزن .

وقال ليبد :

أليس ورائي إن تراخت منيتي * لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابعُ
أخبرَ أخبارَ القرونِ التي مضت * أدبٌ كأني كلما قمتُ راصعُ

وقال آخر في مثله :

حنتني حائياتُ الدهرِ حتى ^(١) * كأني خاتِلٌ يدنو لصيد ^(٢)

وقيل لرجل من الحكماء : مالك تُدمنُ إمساكَ العصا واستَ بكبيرٍ ولا مريض ؟

فقال : لأذكرك أني مسافرٌ قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضمُّ أوجبَ حملها * على ولا أني تخنيتُ من كبرٍ
ولكنني ألزمتُ نفسي حملها * لأعلمها أن المقيمَ على سفرٍ

ومرَّ شيخ من العرب بغلامٍ فقال له الغلام : أخصدتَ يا عمَّاه فقال : يا بني ^(٣)

وتُخصِّدون .

قال الحسنُ في موعظة له : يا معشرَ الشيوخ ، الزرعُ إذا بلغ ما يُصنعُ به ؟ قالوا :

يُحصد . ^(٤) يا معشرَ الشباب كم من زرع لم يبلغ أدركته آفةٌ ، قال الشاعر :

الدهرُ أبلاني وما أبلتُ به * والدهرُ غيرني وما يتغيرُ

والدهرُ قيدني بخيطٍ مبرمٍ * فمشتُ فيه وكلَّ يومٍ يقصرُ

١٥

(١) كذا في اللسان مادة «ختل» وفي الأصل «ناثبات» . (٢) كذا في اللسان مادة

ختل وفي الأصل «حابل» . (٣) أخصدت : آن لك أن تحصد . (٤) كذا بالأصل :

وهذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فلعل بعض الكلمات سقطت بهذا وبين الجملة التي قبلها وبين المزاد

«ثم قال» الخ .

وقال عُمارة بن عَقِيل :

وأدرَكْتُ مِلءَ الأرضِ ناساً فأصبَحُوا * كأهلِ الدِّيارِ قَوْضُوا فتَحَمَّلُوا
وما نحنُ إِلَّا رُفْقَةٌ قد تَرَحَّلْتُ * وأخرى تُقَضِّي حاجَها وتَرَحَّلُ

ذكر أعرابيُّ الشَّيبَ فقال : والله لقد كُنْتُ أنكرَ الشَّعْرَةَ البيضاءَ فقد صرْتُ

أُنكرَ السوداءَ ، فباخِرَ بَدَلٍ وياشِرَ مَبْدُولٍ . وقال بعضُ الشعراءِ :

شاب رأسي وما رأيتُ مشيبَ الـ ترأس * إلا من فضيلِ شيبِ الفؤادِ
وكذاك القلوبُ في كلِّ بؤس * ونعيمِ طلائعِ الأجسادِ
طال إنكارِي البياضَ فإن عُمَةً رتُ شيئاً أنكرتُ لونَ السوداءِ

رأى إياس بن قتادة شَعْرَةَ بيضاءَ في لحيته ، فقال : أرى الموتَ يطلبني وأراني

لا أفوته ، أعوذ بك يا ربِّ من فُجَاءَاتِ الأمورِ ، يا بني سبعتُ قد وهبتُ لكم شبابي
فهبوا لي شيبتي ، ولزم بيتي .

قال قيس بن عاصم : الشيبُ خطامُ المنيّةِ .

قال آخر : الشيبُ بريدُ الحمامِ .

قال آخر : الشيبُ تَوءَمُ الموتِ .

قال آخر : الشيبُ تاريخُ الموتِ .

قال آخر : الشيبُ أوّلُ مراحلِ الموتِ .

قال آخر : الشيبُ تمهيدُ الحمامِ .

قال آخر : الشيبُ عنوانُ الكِبَرِ .

(١) كذا في الأصل : وهذا يوافق قول أبي عبيدة : هذا باب المبدول من الحروف ، ونحو هذه

كما في اللسان مادة «بدل» دليل على أن بدل متعدّ ، وفي العقد الفريد : «مبدل» .

قال عبيد بن الأبرص : * والشَّيبُ شَيْنٌ لمن يشيب * . ويقال : شَيْبُ
الشَّعَرِ مَوْتُ الشَّعَرِ ، ومَوْتُ الشَّعَرِ عِلَّةُ مَوْتِ الْبَشَرِ ، قال الشاعر :
وكان الشباب الغصن لي فيه لذة * فزفوني عنه المشيب وأدبا
فَسَقِيًّا ورَعِيًّا للشباب الذي مضى * وأهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبا
وقال أعرابي - ويقال هي لأبي ذؤلف - :

في كل يوم من الأيام نابتة * كأنما نبتت فيه على بصرى
لئن قرضتك بالمقراض عن بصرى * لما قرضتِك عن همى ولا فكري

وقال أعرابي :

أرى الشيب مذ جاوزت نحسين دائباً * يدب ديب الصبح في غسق الظلم
هو السُّمُّ إلا أنه غير مُؤَلِّم * ولم أر مثل الشيب سُماً بلا ألم

وقال آخر :

قصر الحوادث خطوه فتداني * وحنين صدر قناته فتحاني
صحب الزمان على اختلاف فنونه * فأراه منه شدة وليانا
ما بال شيخ قد تحدد لحمه * أنضى ثلاث عمائم ألوانا^(١)
سوداء داجيةً وتتحقق موقوف^(٢) * وأجد أخرى بعد ذلك هجانا^(٣)
ثم الممات وراء ذلك كله * وكأنما يُعنى بذلك يسوانا

وقال آخر يذكر الشباب :

لما مضى ظاعنا عنا فودعنا * وكان كالميت لم يترك له عقباً
عدنا الى حالة لا نستطيع لها * وصل الغواني وعاب الشيب من لعبا

(١) أنضى : أبلى وأخلق . (٢) السحق : الثوب البالي ، والموقوف من البرود ما فيه خطوط

بيض . (٣) الهجان : الخالص البياض .

وقال محمود الوراق :

بكيتُ لقرب الأجل * وبُعِيدَ فوات الأمل
ووافيد شيب طرا * بعقب شباب رحل
شبابٌ كأن لم يكن * وشيبٌ كأن لم يزل
طوالك^(١) بشيرُ البقا * وجاء بشيرُ الأجل
طوى صاحبُ صاحبًا * كذاك انتقل الدُّول

وقال أبو الأسود يذم الشباب :

غدا منك أسبابُ الشبابِ فاسرعا * وكان بكاري بان يومًا نودعا
فقلت له فأذهبْ ذميا فليتني * قتلتك علما قبل أن تصدعا
جنيتَ على الذنبِ ثم خذلتني * عليه فبنس الخلتان همامعا
وكنت سرايا ما ضحعا^(٢) إذ تركتني * رهينة ما أجنى من الشرا يجمعا

وقال آخر :

استنكرت شيبى فقلت لها * ليس المشيب بناقص عمري
وتنقست بي هممةً وصلت * أمل بكل ربيعة الذكر

روى عبد الله بن حفص الطاحي عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدي - عن أبيه
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اخصبوا بالسواد فإنه أنس للنساء وهيبة
للعدو . قال عمر بن المبارك الخزازي .

من لأذني بمسلام * وإيكفى بمسدام^(٣)
دق عظم الجهل مني * وانثنى شئ صرامي

٢٠ (١) طوالك : جاوزك . (٢) ما ضحعا : ما هدارظهر . (٣) كذالك الاصل ، ومن
المفضل أن يكون : "وانثنى من صرامي" والمرام : الشدة والقوة .

وتمشي القُدُّ من شَيْد * جي الى الشَّيب التَّوَامُ^(١)
نَظْمَكَ الدَّرُّ الى الدَّرَّة * في سِلْكِ النَّظَامِ

وقال أبو العتاهية :

نَعَى كَ ظُلَّ الشَّبَابِ المَشِيب * ونادتك باسمِ سِوَالِكَ الخُطُوبُ
فَكُن مُسْتَعِدًّا لدَاعِي المَنُون * فكلَّ الذي هو آتٍ قَرِيبُ
وقبلَكَ دَاوَى المَرِيضِ الطَّيِّب * فعاشَ المَرِيضُ وماتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ على نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ * فكيف ترى حالَ مَنْ لَا يَتُوبُ

محمد بن سلام قال : سمعتُ يونسَ بن حبيب يقول : لَا يَأْمَنُ مَنْ قَطَعَ
في حِمْسَةٍ دراھم خَيْرَ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَكُونَ عِقَابُهُ هَكَذَا غَدًا .

الدنيا

حدثني أبو مسعود الدارمي قال حدثني جدي خراش عن أنس بن مالك قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصْبَحَتْ الدُّنْيَا هَمًّا وَسَدَمَهُ نَزْعُ اللَّهِ^(٢)
الْغَنَى مِنْ قَلْبِهِ ، وَصِيرَ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ
أَصْبَحَتْ الْآخِرَةُ هَمًّا وَسَدَمَهُ نَزْعُ اللَّهِ الْفَقْرَ مِنْ قَلْبِهِ وَصِيرَ الْغَنَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأُتَتْهُ
الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا أبو الربيع عن حماد عن علي بن زيد عن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحَّاك بن سفيان : « مَا طَعَامُكَ » قال :
الْخَمُّ وَاللَّبَنُ ، قال : « ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَاذَا » قال : ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ ، قال :

(١) التَّوَام : جمع توأم ، وأصله المولود مع غيره في بطن ، ربه تمار للزود وجات كما وقع في هذا البيت .

(٢) السدم : اللهجة والولوع بالشئ .

« فإن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا » قال : وكان بشير بن كعب يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه : انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيجئ فيقف بهم على السوق ، وهي يومئذ منبلة ، فيقول : انظروا إلى عسلهم وسمهم وإلى دجاجهم وبطهم صار إلى ما ترون .

(١)
حدثني هارون بن موسى قال حدثنا محمد بن سعيد القزويني عن عمرو بن أبي قيس عن هارون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فقال : «إذا دخل النور القلب وانفسح شريح لذلك البصير» ، قالوا : يا نبي الله هل لذلك آية يعرف بها؟ قال : « نعم الإجابة إلى دار الجلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت » .

بلغني عن العتيبي عن حبيب العبدوي عن وهب بن منبه قال : رأينا ورقة يهفوها الريح فأرسلنا بعض الفتيان فأتانا بها فإذا فيها : الدنيا دار لا يسلم منها إلا فيها ، ما أخذ أهلها منها لها خرجوا منه ثم حوسبوا به ، وما أخذ منها أهلها لغيرها خرجوا منه ثم أقاموا فيه ، وكأن قوما من أهل الدنيا ليسوا من أهلها ، هم فيها كمن ليس فيها ، عملوا بما يبصرون وبأدروا ما يحذرون ، تتقلب أجسادهم بين ظهرائي أهل الدنيا ، وتتقلب قلوبهم بين ظهرائي أهل الآخرة ، يزون الناس يعظمون وفاة أجسامهم وهم أشد تعظيما لموت قلوب أحيائهم . فسألت عن الكلام فلم أجد من يعرفه .

وقال المسيح عليه السلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .

وفي بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا « مَنْ خَدَمَنِي فَأَخْدُمِيهِ »
وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَعْدِمِيهِ .

قال بعض العابدين يذكّر الدنيا :

لقد غرّت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمسزلة ما بعدها يُتَحَوَّلُ
فساخطُ أمرٍ لا يُبَدَّلُ غيره * وراضٍ بأمرٍ غيره سَيُبدَلُ
والغُ أمرٍ كان يأملُ دونه * ومُخْتَلَجٌ من دون ما كان يأملُ

وقال آخر يذكّر الدنيا :

حَتُونُهَا رَصْدٌ وَعَيْشُهَا رِنَقٌ ^(١) * وَكَرْهُهَا نَيْكَةٌ وَمُلْكُهَا دَوْلٌ ^(٢)

وقال آخر :

نُرَاعُ لَذَّةَ الْمَوْتِ سَاعَةً ذَكَرَهُ * وَتَعْتَزُّ بِالدُّنْيَا فَنَلْهُو وَنَلْعَبُ
ونحن بنو الدنيا خَائِقُنَا لَغِيرُهَا * وما كنّا منه فُهو شئٌ مُحِبُّ

وقال يحيى بن خالد : دخلنا في الدنيا دُخُولاً أخرجنا منها .

ذَمَّ رَجُلٌ الدُّنْيَا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
الدُّنْيَا دَارُ صَدَقٍ لِمَنْ صَدَّقَهَا ، وَدَارُ نَجَاةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا ، وَدَارُ
وَحْيِ اللَّهِ ، وَمُصَلًى مَلَائِكَتِهِ ، وَمَسْجِدُ أَنْبِيَائِهِ ، وَمَسْجِدُ أَوْلِيَائِهِ ، رَجَحُوا مِنْهَا الرِّحْمَةَ
وَاحْتَسَبُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذْمُهَا وَقَدْ آذَنَتْ بَيْنَهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَشَبَّهَتْ بِسُرُورِهَا
السُّرُورَ وَبِبَلَاءِهَا الْبَلَاءَ تَرْغِيبًا وَتَرْهِيبًا ، فَيَأْمُرُ الدُّنْيَا الْمَعْلُولُ نَفْسَهُ ، مَتَى خَدَعْتُكَ
الدُّنْيَا أَمْ مَتَى اسْتَدَمَّتْ إِلَيْكَ ! أَمْ بِمُضَارَعِ آبَائِكَ فِي الْبَلَى ! أَمْ بِمُضَاجِعِ أُمَهَاتِكَ فِي الثَّرَى !

(١) رصد : مترصدة مترقبة . (٢) رنق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا

فهم منها ، ولهذا كانت محبوبة لهم (٤) استدتمت اليك : فعلت ما تدمها على فعله .

كم مرّضت بيدك، وعالمت بكفّيك، تطلبُ له الشفاء، وتستوصفُ له الأطباء،
غداة لا يُغنى عنه دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك .

كان إبراهيم بن أدهم العجلي يقول :

نُرَقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا * فَلَا دِينَنا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقِّعُ^(١)

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أما ما مضى فُحِلْمٌ وأما ما بقي فَأَمَانِي
قال سفيان :

أوحى الله تعالى الى نبيّ من الأنبياء « اتَّخِذِ الدُّنْيَا ظَنًّا وَالْآخِرَةَ أَمًّا » .

قال الشعبي : ما أعلمُ لنا وللدنيا مثلاً إلا ما قال كثير .

أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَأَمْلُومَةً * لَدَيْنَا وَلَا مَقَايَةً^(٢) إِنْ تَقَلَّتْ

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطفئ النار بالتبن .

قال ابن مسعود : الدنيا كلّها غمومٌ، فما كان فيها من سرور فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا .

وقال بعض الحكماء : مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ خَصْرَتَانِ إِنْ أَرْضَى

إحداهما أسخط الأخرى .

قال سفيان : ترك لكم الملوك الحكمة فآثركوا لهم الدنيا .

وقال آخر : إِنْ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَوْدَقَتْ^(٣) وَأَنْعَظَ النَّاسُ .

(١) كذا ورد في الإحياء للقرظي (ج ٣ ص ١٥٥) طبع مصر وهو المعروف في رواية هذا البيت

في الأصل : « تمزق » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٢) تقلت : تبغضت، وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة . (٣) يقال : ودقت الفرس تدفق

ردفا واستودقت اذا طلبت الفعل .

قال وهيب بن الورد : مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَتَّيِّبَهَا لِلذَّلِّ .

قيل لمحمد بن واسع : إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالْذُّونِ ؛ فَقَالَ : إِنَّمَا رَضِيَ بِالذُّونِ مَنْ رَضِيَ
بِالدُّنْيَا .

قيل لعلّ بن الحسين : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرِ الدُّنْيَا خَطَرًا
لِنَفْسِهِ .

كَانَ يُقَالُ : لَأَنَّ تُطَلَّبَ الدُّنْيَا بِاقْبِيجِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تُطَلَّبَ
بِأَحْسَنِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الْآخِرَةُ .

قَالَتِ امْرَأَةٌ لِبُعْلِهَا وَرَأَتْهُ مُهْمُومًا : مِمَّ هُمُّكَ ؟ أِبَالدُّنْيَا فَقَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْهَا
أَمْ بِالْآخِرَةِ فَزَادَكَ اللَّهُ هُمًّا !

الثوري قال : قَالَ الْمَسِيحُ : حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهَا دَاءٌ
كَثِيرٌ ؛ قِيلَ : مَا دَاءُهُ ؟ قَالَ : لَا يَسْلَمُ [صَاحِبُهُ] مِنَ الْفَخْرِ وَالْكَبَرِ ؛ قِيلَ : وَإِنْ
سَلِمَ ؟ قَالَ : يَسْغُلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

بلغني عن محمد بن فضيل قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَالِمِ بْنِ
أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : يَا هَلْ جِصَّ ، مَا لِي أَرَاكُمْ تَجْمَعُونَ كَثِيرًا ، وَتَبْنُونَ
شَدِيدًا ، وَتَأْمَلُونَ بَعِيدًا ! إِنَّ مِنْ قَبْلِكُمْ جَمْعُوا كَثِيرًا وَبَنَوْا شَدِيدًا وَأَمَلُوا بَعِيدًا فَصَارَ
جَمْعُهُمْ بُورًا وَصَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا وَأَمْلُهُمْ غُرُورًا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : يَا هَلْ
دَمَشَقُ ، مَا لَكُمْ تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ !
أَلَا إِنَّ عَادَا وَثُمُودَ كَانُوا قَدْ مَلَّوْا مَا بَيْنَ بَصْرَى وَعَدَنَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَنَعَمًا ، فَمَنْ
يَشْتَرِي مِنِّي مَا تَرَكَوا بِدَرَاهِمِينَ !

بلغنى عن داود بن المحبر عن عبيد الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نريد البصرة ، حتى اذا كنا بين الرصانة وحمص سمعنا صائحا يصيح من بين تلك الرمال — سمعته الآذان ولم تره العيون — يقول : يا مستورا يا محفوظا ! إغفل في ستر من أنت ! فإن كنت لا تغفل [من أنت]^(١) في ستره فاتق الدنيا فإنها حمت الله ، فإن كنت لا تغفل كيف تتقيها فصيرها شوكا ثم انظر أين تضع قدميك منها ! .
قال المأمون : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما أحسنت أن تصف نفسها صفة أبي نواس في هذا البيت :

إذا اختبر الدنيا ليبت تكشف * له عن عدو في ثياب صديق
قال المسيح عليه السلام : أنا الذي كفأت الدنيا على وجهها ، فليست لي زوجة تموت ولا بيت يخرب .
قال أبو العتاهية :

يأمن ترفع للدنيا وزيتها * ليس الترفع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زى مسكين
وقال آخر ذكر الدنيا :

إذا تم أمر دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم
وقال آخر :

لا تبك للدنيا ولا أهلها * وابك ليوم تسكن^(٢) الخافرة
وابك اذا صبح بأهل الثرى * فاجتمعوا في ساحة الساهرة^(٣)
ويلك يا دنيا لقد قصرت * آمال من يسكنك^(٤) الآخرة

٢٠ (١) زيادة يتطلبها السياق . (٢) أى الأرض التى تحفر فيها قبورهم ، فمها الخافرة والمراد المحفورة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها ، قال تعالى : (فاذا هم بالساهرة) . وقيل : هى الأرض التى لم توطأ وقيل : هى أرض يجددها الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة سهر)

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

- (١) قام فقال : إنه لما سئل علينا ما توعدنا على غيرنا من الوصول إليك ، قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عذر الكتان ، ولا سيما حين اتسمت بميم التواضع ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحق على ما سواه ، بجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التحيص لئتم مؤدينا على موعود الأداء وقابلنا على موعود القبول ، أو يزيدنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ، ومجئنا حلية الكذابين ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذابا من أقبل إليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به فقد رغب ١٠ عن هدية الله وقصر بها ، فاقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل لا قبول سمعة ورياء ، فإنه لا يعدمك منا إعلام لما تجهل أو مواطأة على ما تعلم أو تذكير من غفلة ، فقد وطن الله عز وجل نبيه عليه السلام على نزولها تعزية عما فات وتمحيصنا من التمدد ودلالة على المخرج ، فقال : (وإما ينزغاك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) ، فأطلى الله على قلبك بما ينوره من إيثار الحق ومناذرة الأهواء . ١٥ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلا إذ سمع قائلا يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور

(١) انظر بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي .

بجلّس ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه، فصلّى الرجل ركعتين واستلم الركن
 وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور: ما الذى سمعتك تذكر من
 ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد
 حشوت مسامعى ما أرمضنى^(١)، قال: يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى أنبأتك
 بالأمور من أصولها، وإلا أحتجرت منك وأقتصرت على نفسى ففيتها لى شاغل^(٢)، فقال:
 أنت [آمن] على نفسك [فقل]، فقال: إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين
 ما ظهر من البغى والفساد لأنت، قال: ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء
 فى قبضتى والحلو والحامض عندى! قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك!
 إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع
 أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحصّ والأجر وأبوابا من الحديد وحجبة
 معهم السلاح ثم سجنّت نفسك فيها عنهم، وبعثت عمّالك فى جباية الأموال وجمعها
 وقوّيتهم بالرجال والسلاح والكراع، وأمرت ألا يدخل عليك من الناس إلا فلان
 وفلان نفر سميّتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى
 ولا الضعيف الفقير، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء نفر
 الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيّتك وأمرت ألا يحجبوا عنك^(٣)، تجبى
 الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن
 لنا نفسه! فأتمروا ألا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا يخرج
 لك عامل فيخالف أمرهم إلا قصبوه عندك ونفّوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره^(٤)،

(١) أرمضنى: أوجعنى وآلمنى . (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(٣) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل « وأمرتهم » . (٤) قصبوه: عابوه

وشنّوه وبالعقد الفريد « خنّوه » .

- فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناس وهابوهم ، فكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والأموال يَتَّقُوا بها على ظلم رعيّتك ، ثم فعل ذلك نور القدرة والثروة من رعيّتك لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلاّت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فإن جاء مُتَظَلِّمٌ حِيلَ بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بظانّتك ^(١) [خبره] سالوا صاحب المظالم ألا يرفع مَظَالِمَتَهُ اليك ، فإن المتظلم منه له بهم حُرْمَةٌ ، فأجابهم خوفا منهم ؛ فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ، فاذا أُجْهِدَ وأُحْرَجَ وظَهَرَتْ ، صَرَخَ بين يديك ، فَضْرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تُنْكِرُ ، فما بقاء الإسلام على هذا ! وقد كنت يا أمير المؤمنين ^(٢) [أسافر] الى الصين فقدمتها مرّة وقد أُصِيبَ مَلِكُهَا بِسَمْعِهِ ، فبكى يوما بكاء شديدا فحشه جلساؤه على الصبر فقال : أَمَا إِنِّي لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكنني أبكي لمظلوم بالباب يصرُخُ ولا أسمعُ صوته ثم قال : أَمَا إِذْ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنَّ بَصْرِي لَمْ يَذْهَبْ نَادُوا فِي النَّاسِ أَلَّا يَلْبَسَ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مُتَظَلِّمٌ ، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر هل يرى مظلوما . فهذا يا أمير المؤمنين مُشْرِكٌ بِاللّهِ غَلِبَتْ رَأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ شَحَّ نَفْسُهُ وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللّهِ ثُمَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ لَا تَغْلِبُ رَأْفَتُكَ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى شَحِّ نَفْسِكَ ! فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لَوْلَدِكَ ، فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي الطِّفْلِ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَمَالُهُ عَلَى الْأَرْضِ مَالٌ ، وَمِنْ مَالٍ إِلَّا وَدُونَهُ يَدُ شَحِيحَةٍ تَحْوِيهِ فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَلْطُفُ بِذَلِكَ الطِّفْلِ حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَلَسْتُ

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥

(٣) كذا في العقد الفريد « غنّه » وفي الأصول « غداه » وهو محريف .

بالذي تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد
السلطان فقد أراك الله عبراً في بني أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة
وأهدوا من الرجال والسلاح والكرّاع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت إنما أجمع
المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا
مترلة لا تُدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين، هل تُعاقب من عصاك
بأشد من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الذي خولك مُلكَ
الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود في العذاب الأليم، قد رأى
ما قد عُقِدَ عليه قلبك وعمَلته جوارحك ونظر اليه بصرُك واجترأته يداك ومشت إليه
رجالك، هل يغنى عنك ما شَهِجْتَ عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعته من يدك ودعاك
إلى الحساب، فبكى المنصور وقال: يا ليتني لم أُخلَق! ويحك! فكيف أحتال لنفسي
قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفرعون اليهم في دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك
يُرشدوك، وشاورهم في أمرك يُسَدِّدوك، قال: قد بعثت اليهم ليهربوا مني، قال:
خافوا أن تجعلهم على طريقك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع
الظالم وخذ الفىء والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا
الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الأئمة، وجاء المؤذنون فسلموا عليه
فصلى وصاد إلى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد.

مقام آخر والمنصور يخطب

خطب المنصورُ بحمد الله ومضى في كلامه، فلما انتهى إلى أشهد أن لا إله إلا
الله وثب رجل من أقصى المسجد فقال أذكرك من تذكر، فقال المنصور: سمعاً لمن
فهم عن الله وذكرك به وأعوذ بالله أن أكون جبّاراً عَصياً وأن تأخذني العزة بالإثم

لقد ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْقِبَائِلُ مَا أُرَدْتَ بِهَا اللَّهُ وَلَكِنْ
حَاولْتَ أَنْ يَقَالَ : قَامَ فَقَالَ فَبُوقِبَ فَصَبَرَ ، وَأَهْوَنَ نَقَائِلَهَا لَوْ هَمَمْتُ ، فَاهْتَبَلَهَا ^(١) وَيْلَكَ
إِذْ عَفِوتُ ، وَإِذَا كَمْ مَعِشَرِ النَّاسِ وَأَخْتَهَا ، فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلِمْنَا نَزَلَتْ وَمِنْ عِنْدِنَا انْبَثَّتْ
فَرُدُّوا الْأُمُورَ إِلَى أَهْلِهَا نُصَدِّقُوهَا أَوْ رُدُّوهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خُطْبَتِهِ فَقَالَ : وَأَشْهَدُ أَنْ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

قال للمنصور : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك ببعضها ، واذكر ليلةً
تَمَحَّضُ عَنْ يَوْمٍ لَإِلِيلَةٍ بَعْدَهُ ، فَوَجَّهَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ قَوْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : يَا عَمْرُو
غَمَمْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّ هَذَا صَاحِبُكَ عَشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَرَلْكَ عَلَيْهِ أَنْ
يَتَصَبَّحَكَ دَوْمًا وَاحِدًا وَمَا يَمَلْ وَرَاءَ بَابِكَ شَيْءٌ ، مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سَنَةِ نَبِيِّهِ ، قَالَ
أَبُو جَعْفَرٍ : فَمَا أَصْبَحَ ! قَدْ قُلْتُ لَكَ : خَاتَمِي فِي يَدَيْكَ نَعَالَ وَأَصْحَابِكَ فَكَفِّنِي ، قَالَ
عَمْرُو : ادْعُنَا بَعْدَ ذَلِكَ تَبَسُّخُ أَنْفُسِنَا بِعَوْنِكَ ، بِيَابِكَ أَلْفَ مَظْلَمَةٍ ارْدُدْ مِنْهَا شَيْئًا نَعْلَمَ
أَنَّكَ صَادِقٌ .

مقام أعرابي بين يدي سليمان

قَامَ فَقَالَ : إِنِّي مُكَلِّمُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَلَامٍ فِيهِ بَعْضُ الْغِلْظَةِ فَاحْتَمِلْهُ إِنْ
كَرِهْتَهُ ، فَإِنْ وَرَاءَهُ مَا تُحِبُّهُ إِنْ قَبِلْتَهُ ، قَالَ : هَاتِ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : فَإِنِّي سَأُطْلِقُ
لِسَانِي بِمَا نَجَرَسْتُ عَنْهُ الْأَلْسُنُ مِنْ عِظَمِكَ تَأْذِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّهُ قَدْ

(١) فاهتبلها أي اغتنمها ، والاهتبال : الاغتنام وانهاز الفرصة . (٢) في الأصل

«أغمت» ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا «أغم» متعديا وإنما يقال : «غمه الأمر» من

اكتشفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حربٌ للآخرة يسلمٌ للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمك الله عليه ، فإنهم لن يألوا الأمانة تضييعاً والأمة عسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أما أنت يا أعرابي فقد سألت لسانك ، وهو أقطع سيفيك ، فقال : أجل ، لك لا عليك .

مقام أعرابي بين يدي هشام

قال : أتت على الناس سنون ، أما الأولى فَلَاحِيتُ اللحم^(٢) ، وأما الثانية فَاكَلِتُ الشَّحْمَ ، وأما الثالثةُ فَمَاضَتْ العِظَمُ^(٣) ، وعندكم فضولُ أموالٍ ، فإن كانتِ لله فاقسموها بين عباده ، وإن كانت لهم فقيم تحظر عنهم ! وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها فإن الله يجزي المتصدقين ، فأمر هشام بمالٍ فقسم بين الناس وأمر للأعرابي بمالٍ ، فقال : أكلتُ المسلمين له مثل هذا ؟ قالوا : لا ولا يقوم بذلك بيتُ مال المسلمين ، قال : فلا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين .

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

ذكره عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام قال : دخلت عليه فقال : ما الذي بظأ بك عني ؟ قلت : يا أمير المؤمنين وما الذي تريد مني ؟ فقال : الاقتباس منك ؛ قلت : انظر ما تقول ، فإن مكحولاً حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله

(١) هكذا في العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفي الأصل «لقد» .

(٢) من خوت الشجرة إذا أخذت لحاءها وهو قشرها .

(٣) هاض العظم يبيضه هيصاً فانهاض : كسره بعد الحيور فهو مهروض .

- صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللَّهِ نَصِيحَةٌ فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سَيَقَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنْ اللَّهِ بِشُكْرٍ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِيَزْدَادَ إِثْمًا وَلِيَزْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا ، وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَإِنْ تَخَطَّ فَلَهُ السَّخَطُ ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهَ ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ " ، فَلَا تَجْهَلَنَّ ، قَالَ : وَكَيْفَ أَجْهَلُ ؟ قَالَ : تَسْمَعُ وَلَا تَعْمَلُ بِمَا تَسْمَعُ . قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : فَسَلَّ عَلَى الرَّبِيعِ السَّيْفَ .
- وَقَالَ : تَقُولُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا ! فَاتَّهَرَّ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : أَمْسِكْ . ثُمَّ كَلَّمَهُ الْأَوْزَاعِيُّ ، وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ هَذِهِ الْخِلَافَةِ بِالَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ ، وَاللَّهُ سَأَلُكَ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَفَتِيلِهَا وَفَقِيرِهَا ، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عُروَةُ بْنُ رُوَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا مِنْ رَاغٍ بَيْتٍ غَاشَا لِرِعْيَتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ " ، فَخَفِيقُ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَكُونَ لِرِعْيَتِهِ نَظَرًا ، وَلَمَّا اسْتَطَاعَ مِنْ عَوْرَاتِهِمْ سَاتِرًا ، وَبِالْقِسْطِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِمًا ، لَا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُمْ مِنْهُ وَهَقًّا وَلَا مَسِيئَتَهُمْ عَدْوَانًا ، فَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ يَسْتَاكُ بِهَا وَيَرْدَعُ عَنْهُ الْمُنَافِقِينَ ، فَاتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : " يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ! إِقْدِفْهَا لَا تَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ رُعبًا " . فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَشَقَّقَ أَبْشَارَهُمْ وَأَنْهَبَ أَمْوَالَهُمْ ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ
- ۱۵ من نَفْسِهِ بِخَدَشٍ خَدَشَهُ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونَ أَمْتِكَ " . وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَعْدِلُ شَرِبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرِهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ قِدَّةٌ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها " . إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ
- ۲۰

(١) ثياب أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لِأَذاهِمْ فكيف مَنْ يَتَقَمَّصُهُ ! ولو أنْ ذُنُوبًا
من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لِأَجَنِّهِ فكيف مَنْ يَتَجَرَّعُهُ ، ولو أنْ
حَلَقَةٌ من سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جبل لذاب ، فكيف مَنْ سَلَكَ فِيهَا ويردُّ^(٢)
فصلها على عاتقه ! وقد قال عمر بن الخطاب : لا يُقَوِّمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ
العقدة ، بعيدُ الغَرَّةِ ، لا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ على عَوْرَةٍ ، ولا يُحْنِقُ في الحَقِّ على حِرَّةٍ ،
ولا تَأْخُذُهُ في الله لومةُ لائِمٍ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ أَرْبَعَةٌ : أَمِيرٌ يَظْلِفُ نَفْسَهُ وَعُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ لَهُ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَصَلَاتُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ صَلَاةٍ وَيَدُ اللَّهِ بِالرَّحْمَةِ عَلَى رَأْسِهِ تُرْفَرُ ، وَأَمِيرٌ
رَتَعَ وَرَتَعَ عُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ يَحْمِلُ أَثْقَالَهُ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِ ، وَأَمِيرٌ يَظْلِفُ نَفْسَهُ وَيَرْتَعُ
عُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَأَمِيرٌ يَرْتَعُ وَيَظْلِفُ عُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ شَرُّ
الْأَكْيَاسِ .

وَأَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ قَدْ آتَيْتَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ عُيِرَ ضَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبِينِ أَنْ يَحْمِلَنَّهُ وَأَشْفَقْنِ مِنْهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَدِّكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ : ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ : أَنَّ الصَّغِيرَةَ التَّبَسُّمُ ،
وَالْكَبِيرَةَ الضَّحْكُ ، وَقَالَ : فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْكَلَامِ وَمَا عَمَلْتَهُ الْأَيْدَى ! فَأَعِيزْكَ بِاللَّهِ أَنْ
يُحْمِلَ إِلَيْكَ أَنْ قَرَابَتِكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْفَعُ مَعَ الْخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ ، فَقَدْ

(١) الذنوب : الدلو التي دون الملء ، تذكر وتؤنث . (٢) آجته : جعله آجنا أى متغير الطعم
واللون ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة متعدية منه ، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تعدية الفعل بها
قياسية . (٣) في الأصل : « فيه » . (٤) لا يحنق في الحق على جرة : لا ينطوى على حقد
ودنل . وأصل الإحناق : لحوق البطن بالصاب والتصاقه به . والجرّة (بالكسر) : ما يخرج البعير من جوفه
ويمضغه . فكنى عمر رضي الله عنه بعدم الإحناق على الجرّة عن عدم إضمار الحقد والغبط . (٥) يظلف
نفسه : يكفها . (٦) في الأصل « أن يحملها » ومرجع الضمير ها هنا مذكور .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا ضيفاء عمّة محمد وإفاطعة بنت محمد استوهبا
انفسكما من الله إلى لا أغنى عنكما من الله شيئا" . وكان جدك الأكبر سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إمامة ؛ فقال : "أى عم نفس تُحييها خيرٌ لك من إمامة
لا تُحييها" ، نظراً لعمه وشفقة عليه أن يلى فيجور عن سننه جناح بقوضة ،
فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفا . هذه نصيحتي إن قبلتها فلنفسك عملت ، وإن
رددتها ففطرتك بخست ، والله الموفق للخير والمعين عليه ؛ قال بلى ! تقبلها وشكر عليها ،
وبالله نستعين .

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد : وفدت عليه فوجدته قد بدأ يشرب الدّهن ، وذلك في عام باكر
وسميّه وتابع وليّه وأخذت الأرض زحرفها ، فهي كالزراية المشوثة والقباطي^(١)
المنشورة ، وراها كالكاפור لو وضعت به بضعة لم تترب ، وقد ضربت له سرادات^(٢)
حبر بعث بها إليه يوسف بن عمر من اليمن لتلا لأ كالعقيان ، فأرسل إلى فدخلت^(٣)
عليه ، ولم أزل واقفا ، ثم نظر إلى كالمستنطق لي ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتم الله
عليك نعمه ودفيع عنك نغمه ؛ هذا مقام زين الله به ذكرى وأطاب به نشرى ،
اذ أرانى وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامى هذا شيئا هو أفضل من أن أنبه^(٤)
أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمد الله على ما أعطاه ، ولا شيء أحضر من حديث

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولى (وزان غنى) :

المطر بعد الوسمى . (٢) الزراية : البسط الملوثة . والقباطي بضم أقره وتشديد آخره أو بفتح

الأول مع تخفيف الآخر) : جمع قبابية (بضم القاف) وهى ثياب تكان بيض رفاق تعمل فى مصر .

(٣) البضعة (بالفتح وتكسر) : القفظة من اللحم . (٤) حبر (وزان غنى) : جمع حبرة (كعنة)

وهى الخيط من البرود ، يقال : برد حبرة على الاضافة والوصفية .

سلف لملك من ملوك العجم إن أذن لي فيه حديثه به ، قال : هات ، قلت : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِعَ له فَنَاءُ السِّنِّ وَصِحَّةُ الطَّبَاعِ وَسَعَةُ الْمُلْكِ وَكَثْرَةُ الْمَالِ ، وذلك بالخَوَرَنَقِ ، فأشرف يوما فنظر ما حوله فقال لمن حضره : هل علمتم أحدا أوتي مثل الذي أوتيت ؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجّة : إن أذنت لي تكلمت ، فقال : قل ، فقال : أرايت ما جُمِعَ لك ، أشيءٌ هولك لم يزل ولا يزول ، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يزولُ عنك ؟ قال : لا ! بل شيء كان لمن قبلي فزال عنه وصار إليّ وكذلك يزول عني ، قال : فسُِرَّتْ بشيءٍ تذهب لذته وتبقى تَبِعَتُهُ ، تكون فيه قليلا وتُزَيِّنُ به طويلا ، فبكي وقال : أين المهرب ؟ قال : إلى أحد أمرين : إما أن تُقيمَ في مُلْكِكَ فتعملَ فيه بطاعة ربِّكَ ، وإما أن تُلقَى عليك أمسا^(١)حا ثم تلحق بجبل تعبد فيه ربَّكَ حتى يأتى عليك أجلك ، قال : فما لي إذا أنا فعلت ذلك ؟ قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحّة لا تسقم وملك جديد لا يبلى ، فأتى جبلا فكان فيه حتى مات . وأنشده قول عدى بن زيد :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرَنَقِ إِذَا صَحَّحَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْدُ * مَلِكُ وَالْبَحْرِ مُعْرِضًا وَالسَّيْرِ
فَارَعَوَى قَلْبَهُ فَقَالَ وَمَا غَبَّ * طُهُ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

فبكي هشام وقام ودخل ، فقال لي حاجبه : لقد كسبت نفسك شرا ، دعاك أمير المؤمنين لتحدثه وتُلهيه وقد عرفتَ علته فما زدتَ على أن نعتَ إليه نفسه . فأقمتُ أياما أتوقعُ الشرَّ ، ثم أناني حاجبه فقال : قد أمر لك بجائزة وأرسل لك في الانصراف

٢٠ (١) الأمساح : جمع مسح (بالكسر) وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان (٢) معرضا : من معرض الشيء إذا ظهر وبرز .

مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز

قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق ، فمنها تخرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ،
وكم من قوم قد غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا
من الدنيا مريمين لم يأخذوا لِمَا أَحَبُّوا من الآخرة عُدَّةً ولا لِمَا كَرِهُوا جُنَّةً ،
واقسم ما جمعوا من لم يعمدْهم وصاروا الى من لا يعذرهم . فانظر الذي تُحِبُّ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فَقَدِّمه بين يديك حتى تخرج اليه ؛ وانظر الذي تَكْرَهُ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فابتع به البَدَلَ حيث يجوز البَدَل ؛ ولا تذهبن الى سِلْعَةٍ
قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك . يا أمير المؤمنين ، افتح الأبواب ، وسهل
المجانب ، وانصر المظلوم .

مقام الحسن عند عمر بن هبيرة

كتب ابن هبيرة الى الحسن وابن سيرين والشعبي فقدم بهم عليه ، فقال
لهم : إن أمير المؤمنين يكتب الى في الأمر ، إن فعلته خفت على ديني ، وإن لم أفعله
خفت على نفسي ؛ فقال له ابن سيرين والشعبي قولاً رقيقاً فيه ، وقال له الحسن :
يا بن هبيرة ، إن الله يمنك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنك من الله . يا بن هبيرة ، خِفْ
الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله . يا بن هبيرة ، إنه يُوشِكُ أن يبعث الله اليك ملكاً
فَيُنزِلَكَ عن سريرك الى سَعَةِ قصرِكَ ، ثم يخرجك عن سَعَةِ قصرِكَ الى ضيقِ قبرِكَ ،
ثم لا يُنجيك إلا عملُكَ . يا بن هبيرة إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛ فأمر له
بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبي بالفين ؛ فقالا : رَقَّقْنَا فَرَّقَ لَنَا .

باب من المواعظ

كلام للحسن

قال في كلام له : أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم ، وقد أُسْرِعَ بخياركم ^(١) فإذا
تنتظرون ! المعاناة ؟ فكأن قد . هيات هيات ! ذهبت الدنيا بحال بما لها ،
وبقيت الأعمى أطواقا في أعناق بني آدم ، نياها موعظة لو وافقت من القلوب
حياة ! إنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ،
أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم .
من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لينة على لينة ولا قصبة
على قصبة ، رُفِعَ له غلٌّ فشمر إليه ، فالوحا الوحا ، والنجاء النجاء . علام تعرجون ؟
أُسْرِعَ بخياركم وأنتم كل يوم تزدلون . لقد صحبت أفعاما كانت صحبتهم قرة العين ^(٢)
وجلاء الصدور ، وكانوا من حسناتهم أن تُردَّ عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن
تُعذبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهّد منكم فيما حرم الله عليكم .
إني أسمع حسيسا ، ولا أرى أنيسا ، ذهب الناس ، وبقيت في الناس ، أو تكاشفتم
ما تدافنتم ، تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح . يا بني آدم . إيا دين الله ليس بالتحلى
ولا بالثمن ، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال .

كلام لبعض الزهاد

لا تغترّ بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تُعْمِلَنَّ نعمة الله في معصيته ؛
فإن أقل ما يجب لمهديها ألا تجعلها ذريعة إلى مخالفته . واستدع شارد النعم

(١) كذا بالأصل . (٢) تزدلون : تصيرون أرذالا ، والأرذال : جمع رذل وهو الدون

بالتوبة ، واستدّم الراهن منها بكرم الخوار ، واستفتح باب المزيّد بحسن التوكل
أو ما عُلِمَتْ أن المستشعر لئَل الخطيئة المخرج نفسه من كُأَمِ الطاعة نَظْفُ الشَّاءِ^(١)
زِمْرُ المروءة ، قَصِيُّ المجلس ، لا يُسَاوِرُ وهو ذو بِلَاءٍ ، ولا يُصَدِّدُ وهو بهيل الرُّوَاءِ ،
غامضُ الشخص ضئيلُ الصوت تَزُرُّ الكلام يتوقع الإسكات عند كل كلمة ، وهو
يرى فضلَ مزيتته وصریحَ لُبِّه وحسنَ تفضيله ، ولكن قطعته سوء ما جنى على
نفسه ، ولو لم تُضَلِّعْ عليه عيونُ الخليفة لمجست العقول بإدھانه ، وكيف يمتنع من^(٢)
سُقوط القدير وظنُّ المنفَرَسِ من عُرَى مِن حِلَّةِ التقوى وسُلبِ طبائع الهدى !
ولو لم يتَغَشَّ ثوب سريره وقبيح ما أجن من مخالفة ربه لقطعته العلم بقبيح ما قارف
عن اقتدار ذوى الطهارة في الكلام وإدلال أهل البراءة في الندى

كلام لغيلاب

إن التراجع في المواعظ يُوشِكُ أن يذهبَ يومها ويأتى يومُ الصاخة ، كل الخلق
يومئذ مُصْبِحٌ يَسْمَعُ ما يُقَالُ له ويُقضى عليه ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع
إلا همساً . فاصمت اليوم عما يُصِمَّتْك يومئذ ، وتعلم ذلك حتى تعلمه ، وابتغى حتى
تجدّه ، وبادر قبل أن تفجأك دعوة الموت ، فإنها عذبة إلا بمن رحم الله ، لِيُعْجَمَكَ
في دار تسمع فيها الأصوات بالحسرة والويل والثبور ، ثم لا يُقالون ولا يُستعَبَّون .
أنى رأيت قلوب العباد في الدنيا تخشع لأيسر من هذا وتَقَسَّو عند هذا ، فانظر إلى
نفسك أعبد الله أنت أم عدوه ، فيارب متعبّدته بلسانه ، مُعَادٍ له بفعله ذلول في الانسياق
إلى عذاب السعير في أمنية أضغاث أحلام يعبرها بالأمانى والظنون . فاعرف نفسك

(١) كذا في الأصل ، وفي البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٩ « كف العصاة » . (٢) نظف الشاء

قليله . وزمر المروءة : قليلها . (٣) البزلاء : الرأى الجيد . (٤) أى بالبن له والمصانعة

(٥) كذا في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠ ، وفي الأصل « المتقربين » .

وَسَلَّ عَنْهَا الْكَتَابَ الْمُنِيرَ، سُؤَالَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ ، وَعِلْمَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ ،
فَإِنَّ الرَّبَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَعِذِرُ بِالْعَذِيرِ وَالتَّغْرِيرِ ، وَلَكِنْ يَعِذِرُ بِالْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ ، إِنْ كُنْتَ
نَصِيحَتِي ، فَإِنَّهَا كُسُوةٌ تَقْوِي وَدَلِيلٌ عَلَى مَفَاتِحِ الْخَيْرِ ، وَلَا تَكُنْ كَعُلَمَاءِ زَمَنِ الْهَرَجِ
إِنْ وَعِظُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَإِنْ وَعِظُوا غَنُفُوا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

كتاب رجل الى بعض الزهاد

كُتِبَ إِلَيْهِ : إِنَّ لِي نَفْسًا تُحِبُّ الدُّعَا ، وَقَلْبًا يَأْلَفُ اللَّذَاتِ ، وَهَمَةً تَسْتَقِيلُ
الطَّاعَةَ ، وَقَدْ وَهَمْتُ نَفْسِي الْآفَاتِ ، وَحَدَّرْتُ قَلْبِي الْمَوْتَ ، وَزَجَرْتُ عَمَّتِي عَنْ
التَّقْصِيرِ ، فَلَمْ أَرْضَ مَا رَجَعَ إِلَيَّ مِنْهُنَّ ، فَأَهْدِي لِي — رَحِمَكَ اللَّهُ — مَا أَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى مَا شَكُوتُ إِلَيْكَ ، فَقَدْ خَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ الْإِسْتِعَادِ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ : كَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ قَلْبٍ يَأْلَفُ الذَّنْبَ ، وَنَفْسٍ تَطْمَئِنُّ إِلَى
الْبَقَاءِ ، وَالسَّاعَاتُ تَنْقُلُنَا وَالْأَيَّامُ تَطْوِي أَعْمَارَنَا ، فَكَيْفَ يَأْلَفُ قَلْبٌ مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ ،
وَكَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ لَا تَدْرِي لَعَلَّهَا لَا تَطْرِفُ بَعْدَ رَقَدَتِهَا إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ! وَالسَّلَامُ .

وكتب رجل من العباد الى صديق له :

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الْيَقِينِ مُتَفَقِينَ ، وَفِي الْعَمَلِ مُتَفَاوِتِينَ ، وَرَأَيْتُ الْحُجَّةَ
وَاجِبَةً ، فَلَمْ أَرِ فِي يَقِينٍ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ عَمَلٍ حُجَّةً ، وَلَا فِي عَمَلٍ كَانَ بِغَيْرِ يَقِينٍ
مَنْفَعَةً ، وَرَأَيْتُ مَنْ تَقْصِيرِ أَنْفُسِنَا فِي السَّعْيِ لِمَرْجُو مَا وَعَدَتْ وَالْهَرَبِ مِنْ مَخُوفِ
مَا حُدِّرَتْ ، حَتَّى أَسْلَمَهَا ذَلِكَ إِلَى أَنْ ضَعُفَتْ مِنْهَا النِّبَةُ وَقَلَّ التَّحَفُّظُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا
السَّقَطُ وَالْإِغْفَالُ ^(١) وَاشْتَعَلَتْ مِنْهَا الشَّهْوَةُ ، وَدَعَاها ذَلِكَ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي فُضَائِحِ

(١) السقط : الخطأ من القول والفعل .

- اللذات، وهي تعلم أن عاقبتها الندم، وثمرتها العقوبة، ومصيرها إلى النار إن لم يعف الله - عجيبتُ لعملِ امرئٍ كيف لا يشبه يقينه، ولعلم موقنٍ كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه، حتى لا تكون الرغبة منه إلا إليه والرغبة منه إلا له. وزادني عجباً أتني رأيت طالب الدنيا أجده من طالب الآخرة، وخائفها أتعب من خائف الآخرة، وهو يعلم يقيناً أنه ربُّ مطلوب في الدنيا قد صار حين نيل حتماً لطلبه، وأنه ربُّ مخوف فيها قد لحق كرهاً بالهارب منه فصار حظاً له، وأن المطلوب إليه من أهلها ضعيف عن نفسه محتاج إلى ربه مملوك عليه ماله مخزونة عنه قدرته. واءلم أن جماع ما يسعى له الطالب ويهرب منه الهارب أمران: أحدهما أجله، والآخرة رزقه، وكلاهما بعينه شاهد على أنه لا يملكه إلا الذي خلقه. فلم أدر حين صار هذا اليقين في موضع الإيمان يقيناً لا شك فيه، كيف صار في موضع العمل شبيهاً بالشك الذي لا يقين فيه! وكيف، حين اختلف في أمر الآخرة، لم يختلف في أمر الدنيا، فيكون خائف الآخرة لربه تكأف الدنيا لسلطانها صبراً له على تجشُّم المكروه، وتجزعاً منه لفصيص الغيظ، واحتمالاً منه لقادح النصب، وعملاً له بالسخره، وتحفظاً من أن يضرَّ له على غش أو يهيم له بخلاف؛ ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يظهر له بقوى أو فعلى؛ ولو علمه ما قدر له على قطع أجل لم يقن ورزق لم ينفد؛ فإن ابتلي بالسخط من سلطانه فكيف حزنه ووحشته، وإن أنس منه رضا عنه فكيف سروره واختياله! فإن قارف ذنباً إليه فكيف تضعضه واستخذاؤه، فإن ندبه لأمر فكيف خفته ونشاطه! وإن نهاه عنه فكيف حذرته وآتاعظه! وهو يعلم أن خالفه ورازقه يعلم سره وجهره، ويراها في متقلبه ومثواه، ويعاينه في فضائحه وعورته، فلم يزعه عنها حياء منه ولا تقية له، قد أمره فلم ياتمر، وزجره فلم يزدجر،

وَحَدَّوْهُ فَلَمْ يَحْدَرْ، وَوَعْدَهُ فَلَمْ يَرْغَبْ، وَأَغْطَاهُ قَلَمٌ لِيَشْكُرَ، وَفُسْتَرَهُ فَلَمْ يَزِدْ بِالضَّرِّ إِلَّا تَعَرَّضًا لِلْقَضَائِحِ، وَكَفَاهُ قَلَمٌ يَقْنَعُ بِالْكَفَايَةِ، وَظَمِنَ لَهُ فِي رِزْقِهِ مَا هُوَ فِي طَلَبِهِ مُشِيحٌ^(١)، وَيَقْظُهُ مِنْ أَجَلِهِ لِمَا هُوَ غَنَى لَاهٍ، وَلِتَرْغَهُ مِنَ الْعَمَلِ لِمَا هُوَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ مُشْغُولٌ، فَسَبْحَانَ مَنْ وَسِعَ ذَلِكَ خَلْقَهُ وَتَعَمَّدَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَفْوَ، وَلَوْ شَاءَ مَا فَعَلُوهُ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

فَأَجَابَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْيَقِينَ بِأَعْظَمِ الْمَوَاضِعِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ، فَهُوَ غَايَةُ عِلْمِ الْعَالَمِ وَبَصِيرَةُ الْبَشِيرِ وَنَهْمُ السَّامِعِ، لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَدْخُلُهَا الشُّبُهَاتُ وَيَجْرَحُهَا الْإِغْفَالُ وَيُشَوِّبُهَا الْوَهْنُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ مَغْرِسَهُ الْقَلْبَ، وَأَغْصَانَهُ الْعَمَلَ، وَثَمَرَتَهُ الثَّوَابَ. وَإِنَّمَا جَعَلَ الْقَلْبَ لِلْيَقِينِ مَفْرُوسًا، لِأَنَّهُ جَعَلَ الْخَمْسَ الْجَوَالِبَ لِعِلْمِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا إِلَى الْقَلْبِ : السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْمَجَسَّةَ وَالْمَذَاقَةَ وَالْإِسْتِرَاحَ. فَإِذَا صَارَتِ الْأَشْيَاءُ إِلَيْهِ مَيِّزًا بَيْنَهَا الْعَقْلُ، ثُمَّ صَارَتْ بِأَجْمَعٍ إِلَى الْيَقِينِ، فَكَانَ هُوَ الْمَثْبُتَ لَهَا وَالْمَوْجَّهَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ جِهَتَهَا. وَلَوْلَا مَعْرِفَةُ الْقَلْبِ بِالْعَقْلِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَذَلِكَ، لَمْ يَفْرُقْ سَمْعٌ بَيْنَ صَوْتَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، وَلَا بَصَرٌ بَيْنَ صَوْرَتَيْنِ مُتَقَارِبَتَيْنِ، وَلَا مَجَسَّةٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ غَيْرِ مُتَشَابِهَيْنِ. وَلِلْيَقِينِ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلَةٌ يُعْرَفُ بِهَا حَالُ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ فِي الْعَاقِبَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. فَلَمَّا صَارَ الْيَقِينُ فِي التَّشْبِيهِ كَالشَّجَرَةِ النَّابِتَةِ فِي الْقَلْبِ، أَغْصَانُهَا الْعَمَلُ وَثَمَرَتُهَا الثَّوَابُ، أَخْبَرَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَكُونُ الشَّجَرَةُ نَابِتَةً الْأَصْلَ بَلَا أَغْصَانٍ كَمَا قَدْ يَكُونُ الْيَقِينُ نَابِتًا بِلَا عَمَلٍ، وَأَنَّهُ كَمَا لَا تَكُونُ الْأَغْصَانُ نَابِتَةً بِلَا أَصْلٍ، فَكَذَلِكَ لَا يَكُونُ الْعَمَلُ نَافِعًا إِلَّا بِيَقِينٍ، وَكَأَنَّهُ لَا تُخْلِفُ الثَّمَرَةُ فِي الطَّيْبِ وَالْكَثْرَةِ إِذَا كَانَ الْأَصْلُ نَابِتًا وَالْأَغْصَانُ مُلْتَفَّةً،

فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحسن عمله . وقد تعرض للأعمال عوارض
 من العطل : منها الأمل المبط ، والنفس الأتقارة بالسوء ، والهوى المزين للباطل ؛
 والشیطان الجسارى من ابن آدم مجرى الدم ، يضررن بالعمل والثواب ؛ ولا يبلغ
 ضررهن اليقين ، فيكون ذلك كبيض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات
 فتدوى أغصانها وتثدورقها وتمنع ثمرتها والأصل ثابت ؛ فإذا تجلت الآفة عادت
 الى حال صلاحها . فإذا يعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينه وأن يقينه لا يرتبط
 رجاء وخوفه على ربه ؟ فإنما العجب من خلاف ذلك ! ولعمري لو أشبهه عمل
 امرئ يقينه فيكان في خوفه ورجائه كالمجان لما يعاينه بقلبه من الوقوف بين
 يدي الله والنظر الى ما وعد وأوعده ؛ لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف
 شاعلا له عن الرجاء ، حتى يأتى على نفسه أول لحظة ينظر بها الى النار خوفا لها
 أو الى الجنة أسفا عليها اذا حرمها ، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمجان له
 يوم القيامة ؛ وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلا عن أن يعمل !
 وأما قولك : « كيف لم يكن خائف الآخرة لربه تخائف الدنيا لسلطانه » ، فإن
 الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولا ، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب
 فالأقرب مما يكره ؛ وهو بعجلته موكل بحب الأجل فالأجل مما يشتهى ؛ وزاده
 حرصا على المخلص من المكروه وطلباً للمحبوب حاجته الى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي
 لولا ما طبع عليه القلب من حبه وسهل على المخلوقين من طلبه ، لما انتفع بالدنيا
 مُتَفَعٌ ولا عاش فيها عائشٌ . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحاسنها عند ابن آدم على
 وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليتُ به لذنب سلف مني ؛
 وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رزقته بحسنة كانت مني فهو ثواب

مُجَلَّ ، وهو مع هذا يعلم أن حلوم المخلوقين الى الضيق ، وأن قلوب أكثر مُسَلِّطِيهِمْ الى القسوة ، وأن العيب عنهم مستورٌ ، فليس يلتمس منهم إلا علم الظاهر ولا يضع إلا به ، ولا يلتفت من أمرئ الى صلاح سريره دون صلاح علانيته . ومن طباع الإنسان اللؤم ، فليس يرضى اذا خيف إلا بأن يُبدل ، ولا اذا رُجى إلا بأن يُتعب ، ولا اذا غَضِبَ إلا بأن يُخضع له ، ولا اذا أمر إلا بأن يُنفذ أمره ، ولا ينتفع المتشفع^(١) بإحسانه عنده اذا أساء ولا المطيع بكثرة طاعته في المعصية الواحدة اذا عصى ، ولا يرى الثواب لازما له ولا العقاب محجورا عليه ، فإن عاقب لم يستبقي ، وإن غَضِبَ لم يتثبت ، وإن أساء لم يعتذر ، وإن أذنب اليه مذنّب لم يغفر ، واللطيف الخبير يعلم السريرة فيغفر بها العلانية ، ويمحو بالحسنة عشرة من السيئات ، ويصفح بتوبة الساعة عن ذنوب مائة عام ، إن دُعِيَ أجاب ، وإن استُغْفِرَ غَفَرَ ، وإن أُطِيعَ شكر ، وإن عُصِيَ عَفَا ، ومن وراء عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمته التي وسعت كل شيء ، وشهادة الحق التي لا يزكو إلا بها عمل ، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا كله مثبت لليقين باسط للأمل مُثَبِّطٌ عن العمل إلا مَنْ شاء الله وقليل ما هم . فلا تَحْمِلْ نَظْفَ عَمَلِكَ على صحة يقينك فتوهن إيمانك ، ولا تُرَخِّصْ لِنَفْسِكَ في مُقَارَفَةِ الذنوب ، فيكون يقينك خصما لك وحجة عليك ، وكذب أملك وجاهد شهوتك ، فانهما داء الخوفان على دينك المعتونان على هلكك . وأسأل الله الغنيمة لنا ولك .

موعظة مستعملة

وكيع عن مسعر عن زيد العمي عن عون بن عبد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : مَنْ مَلَ لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، (١) كذا بالأصل . (٢) بالأصل «المتفع» . (٣) المعتونان : المتعاونان . (٤) سمى زيد هذا العمي لأنه كان كلما سأل عن شيء قال «حتى أسأل عمي» وقيل : هو منسوب الى بنى العم بطن من تميم (انظر تهذيب التهذيب في اسم زيد بن الحواري) .

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريره أصلح الله له علانيته .

موعظة لعمر بن عتبة

العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

كان أبونا لا يرفع المواعظ عن أسماعنا ، فاراد مرة سفرا فقال : يَا بَنِي تَالُفُوا
النعم بحسن مجاورتها ، واتمسوا المزيد فيها بالشكر عليها ، واسلموا أن النفوس أقبل
شيء لما أُعْطِيَتْ وأعطى شيء لما سُئِلَتْ ، فاحملوها على مطية لا تُبْطِئ إذا رُكِبَتْ ،
ولا تُسَبِّق وإن تُقَدِّمَتْ ، عليها نجا من هرب من النار ، وأدرك من سبق إلى الجنة ،
فقال الأساغر : يَا أَبَانَا مَا هَذِهِ الْمَطِيَّةُ ؟ قال : التوبة .

صفات الزهاد

حدثني عبد الرحمن العبدى عن يحيى بن سعد السعدى قال :

سأل الحواريون عيسى عليه السلام فقالوا : يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ؟ قال :
هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين
نظر الناس إلى عاجلها ، فاماتوا منها ما خَشَوْا أَنْ يُمَيِّتَهُمْ وتركوا منها ما علموا أن سَيَرُكُهُمْ ،
فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نائلها
رفضوه وما عارضهم من رفيعها بغير الحق وضعوه ، فهم أعداء ما سألَمَ الناس وسَلِمَ
ما عَادَوْا ، خَلَقَتْ ^(١) الدنيا عندهم فليس يعْمُرُونَهَا ، وماتت في قُلُوبِهِمْ فليس يُحْبَوْنَهَا ^(٢) ،
يَهْدِمُونَهَا وَيَبْنُونَ بِهَا آخِرَتَهُمْ ، وَيَبِيعُونَهَا وَيَشْتَرُونَ بِهَا مَا يَبْقَى لَهُمْ ، ونظروا إلى أهلها

(١) خلقت (بفتح اللام وضمة هاء) : بليت . (٢) كذا بالأمل غير مستند لضير الجماعة ،

وروجه أن اسم ليس ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها .

صَرَخِي قَدْ خَلَّتْ مِنْهُمْ الثَّلَاثُ فَأَحْيُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ ، بِهِمْ نَطْقُ
الْكِتَابُ وَبِهِ نَطْقُوا ، وَبِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عَمِلُوا ، لَا يَرُونَ نَائِلًا مَعَ مَا نَالُوا ،
وَلَا أَمْنًا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

• حَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَصْلُوحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَصْبُوحِيِّ :

إِنْ قَوْمًا دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعُودُونَهُ فِي مَرَضٍ ، فَإِذَا فِيهِمْ شَابٌّ ذَابِلٌ
نَاجِلٌ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا قَتِي مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَاضٌ
وَأَسْقَامٌ ، فَقَالَ عُمَرُ : لَتَجِدُنِي ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذُقْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا فَوَجَدْتُهَا
مِرَّةً فَصَغُرُ فِي عَيْنِي زَهْرَتُهَا وَحَلَاوَتُهَا ، وَاسْتَوَى عِنْدِي حَجْرُهَا وَذَهَبُهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ
إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وَإِلَى النَّبَاسِ تُسَاقُونَ إِلَى الْحَنَةِ وَإِلَى النَّارِ ، فَأُظْمِئَاتُ لَذَلِكَ
نَهَارِي وَأَسْمَهَرْتُ لَهُ لَيْلِي ، وَقَلِيلٌ حَقِيرٌ كُلُّ مَا أَنَا فِيهِ فِي جَنْبِ ثَوَابِ اللَّهِ وَجَنْبِ عِقَابِهِ .

بَلَّغَنِي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَخِيهِ عَنْ الْقِيَاضِ عَنْ زُبَيْدِ الْيَامِيِّ عَنْ مُعَاذِ

ابْنِ جَبَلٍ :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ
الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يُخْرِجُونَ
مِنْ كُلِّ غِبْرَاءٍ مُظْلَمَةً» .

وَعَنْ وَكِيعٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ مَرْثَدٍ عَنْ أَوْفَى بْنِ دَهْلَمٍ قَالَ :

قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ تَعْرِفُوا بِهِ وَأَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ يُنْكِرُ فِيهِ الْحَقَّ تِسْعَةَ أَعْشَرِائِهِمْ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ نَوْمَةٍ ، يَعْنِي

(١) نسبة إلى يام بطن من همدان ، انظر تهذيب التهذيب في اسم زبيد بن الحارث ، وفي الأصل

« النامي » وهو تحريف . (٢) جمع عشير كالعشر جزء من عشرة .

الميت الذكر، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعُجُل المذاييع البذر^(٣) . وقال^(٢)
 على عليه السلام أيضا: إن الدنيا قد ارتحلت مُدِيرَةٌ وإن الآخرة قد ارتحلت مُقِيلَةٌ،
 ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .
 ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا .
 ألا من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات،
 ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . ألا إن الله عبادا كن رأى أهل الجنة
 في الجنة مخلصين وأهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة،
 وأنفسهم عفيفة، وحواسهم خفيفة، صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة، أما بالليل
 فصافو أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، يحارون إلى الله: ربنا ربنا
 يطلبون فكلك رقابهم، وأما بالنهار فخلما علماء بررة أتقياء كأنهم القداح ينظر إليهم
 الناظر فيقول: مَرْضَى، وما بالقوم من مريض، ويقول: خولطوا، ولقد خالط
 القوم أمر عظيم .

حدثنا إسحاق المعروف بابن راهويه أن عون بن عبد الله بن عتبة كان يقول:
 يا بُنَيَّ كن ممن نأى به عمن نأى عنه يقين وزهادة، ودنوه^(٤) ممن دنا منه لين ورحمة،
 ليس نأيه تكبرا ولا عظمة، ولا دنوه^(٥) بخندع ولا خلافة، يقتدى بمن قبله، وهو
 إمام من بعده، لا يعجل فيمن رآه ويعفو إذا تبين له، ينقص في الذي له
 ويزيد في الذي عليه، لا يعزب حمله ولا يحضر جهله، الخير منه مأمول والشر

(١) في الأصل: « الميت الداء » وما أثبتناه يدل عليه قول أبي عبيدة في تفسير النومة من هذا
 الأثر: الخامل الذكر الغامض في الناس (اللسان مادة نوم) . (٢) جمع مذباغ وهو الذي لا يكتف
 السر . (٣) جمع بذور وهو من يبذر السر أي يفشي بين الناس . (٤) كذا بالأصل
 والسياق يقتضي أن يكون « ودنا به من » . (٥) رآه : شككه وأوجب عنده الريبة

منه مأمونٌ ، إن رُجِيَ خاف ما يقولونَ واستغفروا لا يعلمون ، إن عصته نفسه
 فيما كرهت لم يُطعها فيما أحبّت ، يَصُمْتُ لیسلمَ ويخلو ليغتم وينطق ليفهم ويخالط
 ليُعلم . ولا تكن يا بُنيّ ممن يُعجَّبُ باليقين من نفسه فيما ذهب وينسى اليقين فيما
 رجا وطلب ، يقول فيما ذهب : لو قد رشيء كان ، ويقول فيما بقي : ابتغ أيها
 الانسان ، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن ، طال عليه الأمل ففتر ،
 وطال عليه الأمد فاعتز ، وأعذر^(١) إليه فيما عُمّر وليس فيما عُمّر بمُعذر^(٢) ، عُمّر فيما يتذكر فيه
 من تذكر ، فهو من الذنب والنعمة موقر ، إن أُعطي لم يشكر ، وإن مُنِع لم يعذر ،
 يُحِبُّ الصالحين ولا يعمل عملهم ويُبغِضُ المسيئين وهو أحدهم ، يرجو الأجر
 في البغض على ظنه ولا يخشى اليقين من نفسه ، يخشى الخلق في ربه ولا يخشى
 الرب في خلقه ، يعود بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعَيِّدَ الله منه مَنْ هو تحته ،
 يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسر من عمله ، يُبصر العورة من غيره
 ويُغفلها من نفسه ، إن صلى اعترض ، وإن ركع رَبع ، وإن سجد نقر ، وإن جلس
 شعر ، وإن سأل ألحف ، وإن سُئِلَ سَوَّفَ ، وإن حَدَّثَ أَخْلَفَ ، وإن وُعِظَ كَلَحَ ،
 وإن مُدِحَ فَرِحَ ، يَحْسُدُ أن يُفْضَلَ ، ويَزْهَدُ أن يُفْضَلَ ، إن أُفِضَ في الخير يرم^(٣)
 وضعف واستسلم وقال : الصمتُ حُكْمٌ ، وهذا ما ليس لي به عِلْمٌ ، وإن أُفِضَ
 في الشر قال : يحسب بي عِيٌّ ، فتكلم يجمع بين الأراوى والنعام وبين الحال والعَمَ
 ولأَمَ ما لا يتلاءم ، يتعلم للرياء ، ويتفقه للرياء ، ويبادر ما يفنى ، ويؤاكل ما يبقى .

(١) أى أعذر الله إليه ، يقال : أعذر الله الى من بلغ الستين من العمر ، أى لم يبق فيه موضع للاعتذار

حيث أمهله طول هذه المدة . (٢) بثبت له عذر ، يقال : ما أعذر فلان أى لم يثبت له عذر .

(٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشيء ، أى تكلفه . (٤) الإخلاف فى المستقبل

كالكذب فى الماضى ، وهو أن يقول شيئاً ولا يفعله . (٥) كَلَحَ : كشر فى عبوس .

(٦) سَمٌ وخَجَرٌ . (٧) حُكْمٌ : حكمة . (٨) جمع أروية تقع على الذكر والأنثى من الوعول .

حدثني محمد بن داود عن أبي شريح الخوارزمي قال : سمعت أبا الربيع الأعرج
عمرو بن سليمان يقول

قال الحسن بن علي : ألا أخيركم من صديق كان لي من أعظم الناس في عيني ،
وكان رأس ما أعظم به في عيني صقر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه
فلا يتشهى ما لا يحمل ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد
يداً إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرم ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا
قال بد القائلين ، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجسد فهو الليث عاديماً ، كان إذا
جامع العلماء على أن يسمع أحرص منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام
لم يغلب على السكوت ، كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عارض
له أمران لا يدرى أيهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه بخالفه ، كان لا يلوم
أحدًا على ما قد يقع العذر في مثله ، زادني غيره كان لا يقول حتى يرى قاضياً عدلاً
وشهوداً عدولاً .^(١)

وفي كلام علي رضي الله عنه لكَيْل حين ذكر حجج الله في الأرض فقال : هم
بهم العلم على حقائق الأمور ، فباشروا رُوح اليقين ، واستلنوا ما استوعر المترفون ،
وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل
الاعلى ، هاه شوقاً إلى رؤيتهم .^(٢)

قال رجل ليونس بن عبيد : تعلم أحدًا يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله
ما أعرف أحدًا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ! قيل : فصفه لنا ، قال : كان

(١) في الادب الكبير ص ١٣٠ . طبع مصر سنة ١٣٣٤ : « كان لا يدخل في دعوى ، ولا يشترك

في شراء ، ولا يدلي بحجة ، حتى يرى قاضياً الخ » . (٢) في نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع

بيروت سنة ١٨٨٥ « آه » وكلتا الكلمتين معناها التوجع .

إذا أقبل فكانه أقبل من دَفَن حِمِيه ، وإذا جلس فكانه أسيرُ أمرٍ بضَرْب عُنقه ،
وإذا ذُكِرت النارُ فكانها لم تُخْلَقْ إلَّا له .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
معمر عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : ما مثَلُ قُزَاء هذا الزمان إلا كمثل غنم
ضوائن ذاتِ صُوفٍ عجافٍ أكلت من الحَمْضِ ^(١) وشربت من الماء حتى انتفخت
خواصرها ، فمزت برجل فأعجبته ، فقام إليها فعبط منها شاةً فاذا هي لا تُنقى ^(٢) ، ثم عبط
أخرى فاذا هي كذلك ، فقال : أف لك ، سائر اليوم .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن الخثار
عن الحسن قال : إذا شئتَ لَقَيْتَهُ أبيضَ ^(٤) بضاً حديد النظر مَيّت القلب والعمل ، أنت
أبصرُ به من نفسه ؛ ترى أبداناً ولا قلوباً ، وتسمع الصوت ولا أُنس ، أخصبُ
اللسنة وأجذبُ قلوباً .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال :

قال سُفيان : الزهدُ في الدنيا قصرُ الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس الغليظ .
قال : وقال يوسف بن أسباط : لو أن رجلاً في ترك الدنيا مثلُ أبي ذرٍّ وأبي الدرداء
وسلمان ، ما قلنا له : إنك زاهد ، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض ، والحلال
المحض لا نعرفه اليوم ، وإنما الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشبهاتٌ ، فالحلالُ حسابٌ ، والحرامُ

(١) الحمض من النبات : كل نبت ما خ أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تنقى : ليس لها نقى لضعفها وهزالها .

والنقى : المخب . (٤) كذا في الأصل ، ولم يتقدم ما يصلح أن يكون مرجعاً للضمير في قوله « لقيته » .

وفي النهاية لابن الأثير ولسان العرب في مادة « بض » : وفي حديث الحسن « تلقى أحدهم أبيض بضاً » .

(٥) من البضاضة وهي رقة اللون وصفائه .

عذاب، والشبهات عتاب، فانزِل الدنيا منزلة الميئة خُذ منها ما يُقيمك، فان كان ذلك حلالاً كنت زاهدا فيها، وإن كان حراما لم تكن أخذت منها إلا ما يُقيمك كما يأخذ المضطر من الميئة، وإن كان عتاب كان العتاب يسيرا. ومثله قول بعضهم :
ليس الزهد بترك كل الدنيا، ولكن الزهد التهاون بها وأخذُ البلاغ منها. قال الله تعالى
(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) ، فاخبر أنهم زهدوا فيه
وقد أخذوا له ثمنا .

قال أبو سليمان الداراني : الرضا عن الله والرحمة للخلق درجة المرسلين ،
وما تصرف الملائكة المقربون عند الرضا . وقال : أرجو أن أكون قد نلت من
الرضا طرفاً ، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني النار كنت بذلك راضيا . قال : وليس
الحمد له أن تحمده بلسانك وقلبك مقتصر على المصيبة ، ولكن هو أن تحمده بلسانك
وقلبك مسلم راض .

وقال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان : بلغني في قول الله تعالى :
(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلُوبٍ سَلِيمٍ) أنه الذي يلقي ربه وليس فيه أحد غيره ، فبكي
وقال : ما سمعت مذ ثلاثين سنة أحسن من هذا . وقال : كل قلب فيه شرك
فهو ساقط . قال : وما في الأرض أحد أجده له محبة ولكن رحمة . وقال : ينبغي
للخوف أن يكون أغلب على الرجاء ، فاذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب
وقال الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبيجر : أن رجلا يكنى أبا سعيد كان يقول :
والله ما رأيت قراء زمان قط أغلظ رقاباً ولا أدق ثياباً ولا آكل لمخ العيش منكم .

أبو أسامة عن حماد بن زيد عن اسحاق بن سويد قال :

قال مطرف: أنظروا قوما إذا ذُكروا ذُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهم ، وقوماً إذا ذُكروا ذُكروا بالفُجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .
أوصى ابن مُحَيْرِيز رجلاً فقال : إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف وتَسأل ولا تُسأل وتمشي ولا يمشي إليك ، فافعل .

قال أيوب : ما أحب الله عبداً الا أحبَّ ألا يُسْعَر به .

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمان قال : جاء شريح بن عبيد الى أبي عائذ الأزدي فقال : يا أبا عبد الله ، لو أحييت سنةً قد تركها الناس : إرخاء طرف العمامة من الجانب الأيسر ! قال : يا بن أخي ، ما كان أحسنها ! تركها الناس فتركناها ، ما أحب أن أعرف في خير ولا شر .

كلام من كلام الزهاد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا عبد الله ابن عبد العزيز قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلان ، هل أنت على حال أنت فيها مستعد للموت ؟ قال : لا ، قال : فهل أنت مجمع^(١) على التحول الى حال ترضى بها ؟ قال : ما شَخَصْتُ نفسي لذلك ؛ قال : فهل بعد الموت دار فيها مستعقب^(٢) ؟ قال : لا ؛ قال : فهل تأمن الموت أن يأتيك ؟ قال : لا ؛ قال فهل رضى بمثل هذا الحال عاقل !

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثني غير واحد عن معاوية ابن قُرة قال :

(١) مجمع : عازم . (٢) المستعقب : الطلب الى الممى ، أن يرجع عن إساءته .

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أراض الله عنه أم سخط عليه . وأبكاني فراق الأحبة : محب وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السرائر ، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

كان عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول : تضحك ولعل أ كفافك قد خرجت من القصار . قال : وقال الفضيل : أصل الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يزويها عنه ويمررها عليه بالعرى مرة وبالجوع مرة وبالحاجة مرة ، كما تصنع الوالدَةُ الشفيقة بولدها : تسقيه مرة صبراً ومرة حُضْضاً ، وإنما تريد بذلك ما هو خير له

وقال السري : ليس من أعلام الحب أن تُحب ما يُبغضه حبيبك . أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة لنفسك ، وأما انقطاعك إلى فتعزك بي ، ولكن هل عادت لي عدواً أو واليت لي ولياً .

قال مالك بن دينار : بلغنا أن حبراً من أحبار بني إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء ، فغمز بعض بنيه النساء ، فرآهم فقال : مهلاً يا بني مهلاً ! قال : فسقط عن سريرته فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقُتل بنوه في الجيوش . وقيل له : ما يكون من جنسك حبراً أبداً . ما كان غضبك لي إلا أن قلت يا بني مهلاً يا بني مهلاً .

(١) القصار : المختصر ثياب ، سمي بذلك لأنه يدقها بالقصرة التي هي قطعة من الخشب .

(٢) يمررها : يجيزها ويعديها . (٣) عصارة شجر مر . (٤) الحضض

(بضم أوله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء يعقد من أبوال الإبل ، ويقال على صمغ من نحو الصنوبر والمز

له مرة كالفلفل . (٥) النخاع : الحيط الأبيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتتشعب منه

شعب في الجسم .

صَمْرَةَ بن ربيعة قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : إرض بالله صاحباً ودع الناس جانباً .

كان يشر بن الحارث يقول : أربعة رفعهم الله بغير كبير عمل في الظاهر إلا يطيب المطعم : إبراهيم بن أدهم وسالم الحواص ووهيب المكي ويوسف ابن أسباط .

وحدثني أبو حاتم أو غيره عن العُتْبِيِّ قال : سمعت ابن عُيَيْنَةَ يقول : أربع ليس عليك في واحدةٍ منهن حساب : سدُّ الجوع ، وبرْدُ العطشة ، وستر العورة ، والاستكنان ؛ ثم تلا : (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى) .

بلغني عن يعلَى عن سُفْيَانَ : قال علي عليه السلام لرجل : كيف أتم ؟ قال : نرجو ونخاف ؛ قال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه ، ما أدري ما خوفُ رجلٍ عَرَضَتْ له شهوة فلم يدعها لما يخاف ! وما أدري ما رجاءُ رجلٍ نزل به بلاءٌ فلم يصبر عليه لما يرجو .

بلغني عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال : إن كان الفضل في الجماعة فإن السلامة في العزلة . وبلغ الفضيل هذا فقال : سمعته كلاماً أحسن منه ! قال ابن المبارك : رَكِبْتُ مع محمد بن النضر الحارثي السفينة فقلت : بأي شيء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت : ما تقول في الصوم في السفر ؟ فقال : إنما هي المبادرة ؛ ففأني والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعْبِيِّ .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : قيل لأبي حازم : ما مالك ؟ فقال : الثقة بما في يد الله واليأس مما في أيدي الناس . وقال أبو حازم : إنه ليس شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم ، فأثر نفسك أيها المرء بالنصيحة على

ولذلك، واعلم أنك إنما تخلف مالك في يد أحد رجلين : عامل فيه بمعصية الله فتشقى بما جمعت له ، وعامل فيه بطاعة الله فتسعد بما شقيت له ؛ فارح لمن قدمت منهم رحمة الله ، وثق لمن خلقت منهم برزق الله .

وقال أبو حازم : إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففي أدناها ما يكفيك ، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يُفنيك .

ونظر أبو حازم إلى الفاكهة في السوق فقال : موعذك الجنة . ومر بالجزارين فقال له رجل منهم : يا أبا حازم ، هذا سمين فاشتر منه ؛ قال : ليس عندي ثمنه ؛ قال أنا أنظرك ؛ ففكر ساعة ثم قال : أنا أنظر نفسي .

قال سفيان : حلف أبو حازم لجلسائه : إني لأرضى أن يتق^(١) أحدكم على دينه كما يتق^(١) على نعله .

حدثني محمد بن زياد الزبادي قال حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الصحة والفراغ نعمتان مغبون^١ فيهما كثير من الناس» .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو ربيعة فهد بن عون عن حماد بن سلمة عن يعقوب قال : سمعت الحسن يقول : ابن آدم ، إنما أنت عدد^٢ ، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك .

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي عن الحسن بن ذكوان رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أوصاني ربي بتسع خصال وإني موصيكم بها :

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر أن «يتق» يتعدى بحرف «على» فلعله محرف

عن «يتق» والإبقاء على الشيء : الإبقاء والمحافظة عليه .

بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى،
وأن أعفو عمن ظلمني، وأصل من قطعني وأعطى من حرمني، وأن يكون صمتي
تفكراً، ومنطقي ذكراً، ونظري عبراً

مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن حميد قال : كان ابن عمر يقول : البرُّ
شيء هين : وجه طليق وكلام لين .

جعفر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اتقوا السحارة، فإنها تسحر
قلوب العلماء . قال : وسمعت يقول : وددت أن رزقي في حصاة أمصها حتى
أموت، ولقد آخلفت إلى الخلاء حتى استحييت من ربي .

بشر بن مصلح عن أبي سعيد المصيصي عن أسد بن موسى قال : في الجوع
ثلاث خلال : حياة القلب، ومذلة النفس، ويورث العقل الدقيق السماوى .

سالم بن سالم البسلى عن السري بن يحيى قال : كان الحسن إذا عاد مريضاً
لم ينتفع به يوماً وليلة، وإذا شيع جنازة لم ينتفع به أهله وولده وإخوانه ثلاثاً .

خلف بن تميم قال : قال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق، أحب أن تقبل
منى هذه الجبة كسوة، قال إبراهيم : إن كنت غنياً قبلتها منك، وإن كنت فقيراً
لم أقبلها، قال : فأنى غنى؟ قال : كم عندك؟ قال : ألفان، قال : فيسرك أن
تكون أربعة آلاف؟ قال : نعم، قال : أنت فقير، لا أقبلها .

قال عبيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفضيل نعوذه، فقال :
زوجهك وخولك وصرف وجوه الناس إليك وأنت تشغلك عنه من أنت وما أنت !
ثم شق شفقةً، وأضجعه رجل كان عنده وغطى عليه ثوباً وهو لا يعقل، ونزلنا .

بكار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال :

قال أبو حازم : السِّرُّ أَمْلِكُ بِالْعَلَانِيَةِ مِنَ الْعَلَانِيَةِ بِالسِّرِّ، وَالْفِعْلُ أَمْلِكُ بِالْقَوْلِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ ، فَإِذَا كُنْتَ فِي زَمَانٍ يُرْضَى فِيهِ مِنَ الْفِعْلِ بِالْقَوْلِ وَمِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ ، فَانْتَ فِي شَرِّ زَمَانٍ وَشَرِّ أَنْاسٍ .

ابن أبي الحواري قال : ذُكِرَتْ لِأَبِي سَلِيمَانَ أَمْرَاتِي وَالشَّغْلُ بِهَا ، فَقَالَ :
 إِنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ أَنَّكَ تُرِيدُ الْفَرَاغَ لَهُ فَتَرُكْهُ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الرَّاحَةَ مِنْهَا
 لِتَسْتَبْدِلَ بِهَا ، فَهَذِهِ حِمَاةٌ . قَالَ : وَرَأَيْتُهُ حِينَ أَرَادَ الْإِحْرَامَ فَلَمْ يُلَبَّ حَتَّى سَرَّنا مَلِيًّا
 وَأَخَذَهُ كَالْفَتْنَى وَجَعَلَ رَأْسَهُ عِنْدَ رُكْبَتِهِ لِحَمَلِ تَحْمِلِهِ يَخْفَ وَيَحْمِلُ يَثْقُلُ حَتَّى سَرَّنا
 هَوِيًّا ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ ، بَلَّغْنِي أَنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ
 السَّلَامُ « يَا مُوسَى مَرَّ ظَلَمَةٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَقُولُوا مِنْ ذِكْرِي ، فَإِنِّي أَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَنِي
 مِنْهُمْ بَلْعَنَةً حَتَّى يَسْكُتَ » . وَيَحْكُ يَا أَحْمَدُ بَلَّغْنِي أَنَّهُ مِنْ حَجٍّ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ثُمَّ لَبَّى ،
 قَالَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : لَا لَيْتَكَ وَلَا سَعْدَيْكَ حَتَّى تَرُدَّ مَا فِي يَدَيْكَ ، فَمَا يَوْمَنَّا أَنْ
 يَقَالَ لَنَا ذَلِكَ . قَالَ وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : يَحِثُّكَ وَأَنْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ فَيُشِيرُ لَكَ إِلَى
 شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ دُونَهُ لِيَرْجِعَ عَلَيْكَ شَعِيرَةً ، يَعْنِي إِبْلِيسَ .

قال المسيح لأصحابه : بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ ، إِنْ مَنْ طَلَبَ الْفَرْدَوْسَ نَخِزُ الشَّعِيرَةَ لَهُ
 وَالنَّوْمُ فِي الْمَزَابِلِ مَعَ الْكِلَابِ كَثِيرٌ .

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول قال :
 كُنَّا أَجْنَةً فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِنَا فَسَقَطَ مِنْ سَقَطٍ وَكُنَّا فِيمَنْ بَقِيَ ، ثُمَّ كُنَّا مَرَّاضِعَ^(٣) فَهَلَكَ مِنَّا

(١) رُدَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَرْسُومَةً فِي الْأَصْلِ هَكَذَا : « وَإِنَّمَا كُنْتَ » . وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ

صَوَابُهَا « إِمَّا كُنْتَ » : عَلَى أَنَّهَا « إِنْ » الشَّرْطِيَّةُ مَدْغَمَةٌ فِي « مَا » الزَّائِدَةُ ، فَكُتِبَتْ النَّاسِخُ « إِنَّمَا »

(٢) هَوِيًّا : سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ . (٣) جَمْعُ مَرَضِعٍ (بِفَتْحِ الضَّادِ) أَيْ رَضِيعٍ .

من هلك وبقي من بقي ، وكنا أيفاعاً ، وذكر مثل ذلك ، ثم صرنا شبانا ، وذكر مثل ذلك ، ثم صرنا شيوخاً لا أباك لك فما تنتظروا نريد ! وهل بقيت حالةً ننتقل إليها .

قال وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم ، فيأتيه الله برزقه من قبل سرته ، وغذاؤه في بطن أمه من دم حبضها ، فمن ثم لا تميض الحامل ، فإذا سقط استهل استهالة إنكاراً لمكانه ، وقطعت سرته وحول الله رزقه إلى ثدي أمه ثم حوله إلى الشيء يصنع له ويتناوله بكفه ، حتى إذا اشتد وعقل قال : أين لي بالرزق ! يا ويحك ! أنت في بطن أمك وفي حجرها ترزق حتى إذا عقلت وشببت قلت : هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق ! ثم قرأ ((يعلم ما تمهل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزدد)) .

عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النضر الحارثي إذا لم يكن في صلاة استقبال القبلة ، فقعدها إليه بعد العصر فقال : بلغني أنه من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ألف مرة في دبر صلاة العصر ، رفع له عمل نبي ، ثم قال : قد أكرت الكلام .

وقال سعيد بن عمرو الكندي دخل رجل على داود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بله في الماء بملح جريش ، فقال له : كيف تشتهي هذا ! قال : أدعه حتى أشتهيه . ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك لسالم : ما أدمك ؟ قال : الزيت ، قال : أما تأججه ؟ قال : إذا أجمته تركته حتى أشتهيه . قال : وكان ماء داود في دَنٍّ مقير في الصيف

(١) في الأصل : « ملة » . (٢) جريش : لم يطيب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل

به الخبز أي شيء ، كان - (٤) تأججه : تكرهه وتمله . (٥) مقير : مطلى بالقار وهو شيء أسود

تطلى به السفن وقيل هو الزيت . ٢٠

والشقاء، فقال له بعض أصحابه : لو بردت الماء ! فقال داود : إذا أصبت في مثل هذا اليوم ماءً بارداً فتي نُحِبِّ الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال : قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب رِيحٌ ما جلس إلى منكم اثنان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المالُ إلا من أربع : سهم في فئ المسلمين ، أو عطية عن ظهريد ، أو إرث بكتاب الله ، أو تجارة من حلال ؛ ولا يُقتل مسلم إلا بهذه الخصال : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل فيقتل ، أو حارب الله ورسوله وقطع الطريق .

قال سليمان بن المغيرة سمعت ثابتاً يقول : والله لحمل الكارات أهون من العبادة . قال : ولا يُسمى الرجلُ عبداً وإن كانت فيه خصلةٌ من كل خير حتى يكون فيه الصوم والصلاة ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حيان قال : كان عيسى بن عتبة يسجد حتى إن العصافير ليقعن على ظهره ويتزلن ، ما يحسبونه إلا جرم حائط .

حدثني محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال : شكوا أهل مكة إلى الفضيل القحط ، فقال : أمدبراً غير الله تريدون ! . قال : وسمعته يقول : استخبروا الله ولا تتخيروا عليه ، فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان هلاكه فيه ! أما رأيتموه سال ربه طرسوس فأعطيتها فأسرف صار نصرانياً^(١) .

وحدثني أيضاً عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس ، ومن أبو يونس ! بكي حتى عمي ، وطاف حتى أقعد ، وصلى حتى حذب .

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وكان الزنادق والصالحون يقصدونه لأنه من نور المسلمين . استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتغير وقتل بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام ، وأقام نفريسير على الجزية (انظر معجم البلدان في اسم طرسوس) .

حدثني محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصاري عن بهز بن حكيم قال :
صلى بنا زرارَةُ بن أوفى الغداة ، فقرأ الإمام ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
ضَرَبَ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، نَحَرَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، حَمَلْنَاهُ مَيْتًا .

ابن أبي الخوارزمي قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاةُ تَبْلُغُكَ
نصفَ الطريق ، والصومُ يَبْلُغُكَ بابَ الملك ، والصدقةُ تُدْخِلُكَ عَلَيْهِ .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوب فقال : رحمه الله — ثلاثا — لقد قَدِمَ المدينةَ مرةً
وأنا بها ، فقلت : لَأَقْعُدَنَّ لَهُ ، لعلِّي أَتَعَلَّقُ عَلَيْهِ بِسُقْطَةٍ ، فقام من القبر مقامًا ما ذكرته
قط إلا أَقْشَعَرْتُ جُلْدِي .

روى ابنُ عيَّاش عن سعيد بن أبي عروبة قال : حجَّ الحجاج فنزل بعضَ المياه
ودعا بالغداء ، فقال الحاجبه : انظر من يَتَغَدَّى مَعِي وأَسْأَلُهُ عَنْ بعضِ الأُمُرِ ؛
فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابيٍّ بينَ شَملَتَيْنِ مِنْ شَعَرٍ نَائِمٍ ، فضربه برجله وقال :
أَتَيْتُ الأَمِيرَ فَأَتَانَاهُ ؛ فقال له الحجاج : اغسِلْ يَدَكَ وَتَغَدَّ مَعِي ؛ قال : إنه دعاني مَنْ
هو خَيْرٌ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ ؛ [فقال له الحجاج : مَنْ الذي دعاك ؟] . قال : اللهُ تعالى دعاني
إلى الصومِ فَصُمْتُ ؛ قال : في هذا اليومِ الحارِّ ! قال : نَعَمْ صُمْتُ لِيَوْمٍ أَحْرَمْتُهُ ؛
قال : فَأَفِطِرْ وَتَصُومْ غَدًا ؛ قال : إِنْ ضَمَنْتَ لِي البَقَاءَ إلى غَدٍ ؛ قال : ليس ذاك
إِلَيَّ ؛ قال : فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ! قال : إنه طعامٌ طَيِّبٌ ؛
قال : إِنْكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَلَا الْخَبَازَ ، وَلَكِنْ طَيَّبْتَهُ الْعَافِيَةَ .

ولمَّا حَدَّثَ الأَصْمَعِيُّ عَنْ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ قَالَ : كُنَّا فِي طَرِيقِ مَكَّةَ بَغَاءَ
أَعْرَابِيٍّ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ شَدِيدٍ الْحَرِّ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ سُودَاءُ وَصَحِيفَةٌ ، فَقَالَ : أَفِيكُمْ

كاتب ؟ قلنا : نعم ، وحضر غداؤنا فقلنا : لو دخلت وأصبحت من الطعام ! قال :
 إني صائم ، قلنا : في الحر وشدة وجقاء البادية ! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن
 فيها ، وستكون ولا أكون فيها ، ولا أحب أن أغيب أيامي ، ثم نبذ إلينا الصحيفة ،
 وقال : أكتب ولا تزيدك على ما أقول حرفا : هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل
 الكلبي ، أعتق جارية له سوداء يقال لها لؤلؤة ، ابتغاء وجه الله تعالى وجواز العقبة ،
 وإنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء ، المنة لله عليها وعليه واحدة . قال الأصمعي :
 فحدثت بها الرشيد ، فأمر أن يُعتق عنه ألف نسمة أو مائة نسمة ، ويكتب لهم
 هذا الكتاب .

قال خالد بن صفوان : يث أتمنى ليلتي كلها ، فكُتبت البحر الأخضر بالذهب
 الأحمر ، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران ! .

رأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له ، فقال : هذا بعد ما كنتم
 فيه من الدنيا ! فقال : رحمك الله ، ما فقدنا إلا الفضول .

سمعت بعض العباد يقول : علامة التوبة الخروج من الجهل ، والتدبُّ على
 الذنب ، والتجافي عن الشهوة ، واعتقاد مَقَاتِ نَفْسِكَ ^(١) المسوِّلة ، وإخراج المظلمة ،
 وإصلاح الكسرة ، وترك الكذب ، وقطع الغيبة ، والانتفاء عن خدن السوء .

لقي زاهدا زاهدا فقال له : يا أخي ، إني لأحبك في الله ، قال الآخر :
 لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله ، قال له الأول : لو علمت منك
 ما تعلم من نفسك ، لكان لي فيما أعلم من نفسي شغل عن بغضك .

كان الثوري مستخفياً بالبصرة، فورد عليه كتاب من أهله، وفيه : " قد بلغ بنا الجهد الى أن نأخذ النوى فنرضه ثم نخلطه مع التبن فناكله "، فحرك ذلك من قلبه، ورمى بالكتاب الى أخ له، فقرأه فدمعت عينه، ثم قال : يا أبا عبد الله، لو أنك حدثت الناس اتسعت واتسع هؤلاء ! فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : إسمع حديثاً أحدثك به ثم لا أكلمك بعده سنة : رُئِيَ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ تَجَدَّدُ، فَقِيلَ : مَا هَذَا النُّورُ ؟ فَقِيلَ : حَوْرَاءُ ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا فَبَدَتْ ثِيَابُهَا، فَتَرَى لِي أَنْ أُغَرَّرَ بِتِلْكَ وَأَصِيرَ إِلَى مَا تَقُولُ !

أراد قومٌ سفراً فحادوا عن الطريق وابتعدوا الى راهبٍ منفردٍ في ناحية، فنادوه فأشرف عليهم، فقالوا : إنا قد ضلَلنا فكيف الطريق ؟ قال لهم : ها هنا، وأوما الى السماء، فعلموا الذي أراد، فقالوا : إنا سائلوك، أفتُجيبنا أنت ؟ قال : سلوا ولا تُكثروا، فإنَّ النهارَ لن يرجع والعمرَ لن يعود والطالبَ حثيثٌ في طلبه ذو اجتهاد، قالوا : ما الخلقُ عليه غذا عند مليكهم ؟ فقال : على نياتهم، فقالوا : فالأمَّ الموءلُّ ؟ قال : الى المُقَدَّم، قالوا : أوصنا، قال : تزودوا على قدر سفركم، فإنَّ خيرَ الزاد ما بَلَغَ المحلَّ، ثم أرشدهم الى المحجَّة وانقمع^(١).

وقال آخر : قلت لراهب : عطني عظةً نافعة، فقال : جميعُ المواعظ منتظمةٌ في حرف واحد، قلت : ما هو ؟ قال : تُجَمِّعُ على طاعته، فإذا أنت قد حَوَيْتَ المواعظ والأذكار.

الأصمعي : قيل لأعرابيٍّ معه ماشية : لمن هذه الماشية ؟ قال : لله عندي .

كان ابن السماك يقول في كلامه : لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أما تستحيون

من الله من طول ما لا تستحيون !

(١) انقمع المرء : جلس وحده .

قال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قصر بكم ضعف فكفوا
عن المعاصي .

كان مالك بن دينار يقول في قصصه : ما أشد فطام الكبير ! وينشد :

وتروض عرسك بعد ما هيرمت * ومن العناء رياضة المسير

كان أعرابي يسرق الإبل يسمى يزيد ، ثم تاب وقال :

ألا قل لرعيان الخائض^(١) أهملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد

وإن امرأ ينجو من النار بعد ما * تزود من أعمالها لسعيد

وقال نصيب الأسدي :

كفى نطقاً بالمرء يا أم صالح * ركوب المعاصي عامداً واحتقارها

كان خالد بن معدان يقول :

إذا أنت لم تررع وأبصرت حاصداً * ندمت على التفريط في زمن البذر

قال منصور بن عمار : ما أرى إساءة تكبر عن عفو الله فلا تأيس ، وربما

أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

وروى وكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عتبة بن سنان عن مسيكة عن

عائشة رضي الله عنها أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة فيها خبر شعير

وقطعة من الكرش ، فقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاة فما أمسكنا منها إلا هذا ،

قال : " بل كلها أمسكتم إلا هذا "

(١) في اللسان (مادة بعر) : « لرعيان الأباعر » .

(٢) النطف (بالتحريك) : العيب .

استقبل جاسر بن عبد قيس رجلاً في يوم حلبة ، فقال : من سبق يا شيخ ؟
 فقال : المقربون . وأتى به عثمان وأُقيِد في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً يطأ
 في عباءة ، فانكر مكانه ، فقال : يا أعرابي أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : ما بالنا نكرة الموت ؟ قال : لأنكم عمّرتُم
 الدنيا وأخرتُم الآخرة ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران الى الخراب .

قال الحسن : نِعَمُ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكِرَ إِلَّا مَا أَعَانَ عَلَيْهِ ، وَذُنُوبُ ابْنِ آدَمَ
 أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُسَلَّمَ مِنْهَا إِلَّا مَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ .

وقال الحسن : تنفق دينك في شهوتك سرفاً ، وتمنع في حق الله درهما ، ستعلم
 بالضعف .

خرج المسيح من بيت مومسية ، ف قيل له : ياروح الله ، ما تصنع عند هذه ؟
 فقال : إنما يأتى الطبيب الى المرضى . ومضى يقوم شتموه فقال خيراً ، ومضى بآخرين
 شتموه فقال خيراً ؛ فقال رجل من الحواريين : كلنا زادوك شراً زدت خيراً ، كأنك
 تغريهم بنفسك ! فقال : لكل إنسان يعطى مما عنده .

أخبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للذنين ؛ فقال سليمان : فإين
 رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين .

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عطني ؛ فقال : لا أرضى نفسي لك ،
 إني لأصلي بين الغنى والفقر ، فأميل على الفقير وأوسع للغنى .

نظرت امرأة الى أخرى وحوّلها عشرة من ولدها كأنهم الصقور ، فقالت :
 لقد ولدت أمتكم حزناً طويلاً .

(١) كذا بالأصل . وفي البيان والتبيين (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : «أعرابيا
 أشقى في بيت » .

أَحْضِرْتَنِي كَانَ فِيهِ زَهْوٌ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يَبْكِيَا ؟
قَالَا : الْخَوْفُ عَلَيْكَ لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ ؛ فَقَالَ : لَا تَبْكِيَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ الَّذِي
بِيَدِ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ بِأَيْدِيَايَا .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا بن آدم لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي
لم يَأْتِ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، فَإِنَّ يَكُ مِنْ أَجْلِكَ يَأْتِ فِيهِ رِزْقُكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ
لا تَكْسِبُ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا فَوْقَ قُوَّتِكَ إِلَّا كُنْتَ فِيهِ خَازِنًا لغيرِكَ . قال النابغة
في نَحْوِهِ :

وَلَسْتُ بِحَاجِسٍ لِنَفْسِي طَعَامًا * حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

تَذَاكَرُ حُذَيْفَةَ وَسَلْمَانَ أَمَرَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ سَلْمَانُ : وَمَنْ أَعْجَبَ مَا تَذَاكَرْنَا
صُعُودُ غُنْيَاتِ الْغَامِذِيِّ سَرِيرِ كَسْرَى ، وَكَانَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ غَامِذٍ يَرْغَى شَوِيهَاتٍ لَهُ ،
فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ صَدَّرَهَا إِلَى عَرِصَةِ إِيْوَانَ كَسْرَى ، وَفِي الْعَرِصَةِ سَرِيرٌ رُخَامٍ كَانَ يَجْلِسُ
عَلَيْهِ كَسْرَى ، فَتَصْعَدُ غُنْيَاتُ الْغَامِذِيِّ إِلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ .

دخل أبو حازم المسجد فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ : إِنَّكَ قَدْ أَحْدَثْتَ بَعْدَ وُضُوئِكَ ،
فَقَالَ : وَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِنْ نَصْحِكَ ! .

قال الزبير : يَكْفِينَا مِنْ خَضَمَتِكَ الْقَضَمُ^(١) ، وَمَنْ نَصَّكَ الْعَنْقُ . قَالَ رَجُلٌ لَأُمِّ الدَّرْدَاءِ :
إِنِّي لِأَجِدُ فِي قَلْبِي دَاءً لَا أَجِدُ لَهُ دَوَاءً ، أَجِدُ قَسْوَةً شَدِيدَةً وَأَمَلًا بَعِيدًا ؛ قَالَتْ :
إِطْلِعْ فِي الْقُبُورِ وَأَشْهَدْ الْمَوْتَى .

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والعنق (بالتحريك) :
سير مسطر فسيح واسع الإبل . والنص : استقصاء ما عند الدابة من السير . يريد أن يقول : يكفينا
منكم القليل بدل الكثير

قيل للربيع بن خيثم : لو أرحت نفسك ! قال : راحتها أريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتاباً أنه معذبٌ رجلاً واحداً لحلفت أن أكونه ، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجوت أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبٌ لا محالة ما ازددت إلا اجتهاداً لئلا أرجع على نفسي بلائمة .

أثنى قومٌ على عوف بن أبي جميلة ، فقال لهم : دَعُونَا مِنَ الشَّاءِ ، وَامْدُونَا بِالْدَّاءِ .

قيل لبعض العباد : مَنْ شَرُّ النَّاسِ؟ قال : مَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مَسِيئًا .

قال المسور بن مخرمة : لقد وارت الأرض أقواماً لو رأوني معكم لاستحييت منهم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عَجِبْتُ لِمَنْ يَهْلِكُ وَالنَّجَاةُ مَعَهُ ؛ قِيلَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : الْإِسْتِغْفَارُ .

كَانَ فَتًى يُجَالِسُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَلَا يَتَكَلَّمُ ، وَكَانَ سُفْيَانُ يَحِبُّ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِيَسْمَعَ كَلَامَهُ ، فَمَرَّ بِهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ : يَا فَتَى ، إِنْ مَنِ كَانَ قَبْلَنَا مَرُّوا عَلَى خَيْلٍ وَبَقِينَا عَلَى حَمِيرٍ دَرَبَةٍ ، فَقَالَ الْفَتَى : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنْ كُنَّا عَلَى الطَّرِيقِ فَمَا أَسْرَعَ لِحُقُوقِنَا بِالْقَوْمِ ! .

قال الحسن : إِنْ خَفَقَ النَّعَالُ خَلْفَ الرَّجُلِ قَلَّ مَا تَلَبَّثَ الْحَقُّ . وَذَكَرَ عِنْدَهُ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ ، فَقَالَ : مَا لَهُمْ تَفَاقَدُوا ! — ثَلَاثًا — أَكْثَرُوا الْكِبَرَ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَظْهَرُوا التَّوَاضُّعَ فِي لِبَاسِهِمْ ، وَاللَّهُ لِأَحَدِهِمْ أَشَدَّ مُعْجَبًا بِكِسَائِهِ مِنْ صَاحِبِ الْمِطْرَفِ بِمِطْرَفِهِ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَوَجَدَ عِنْدَهُ رِيحَ قَدْرِ طَيِّبَةٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، إِنْ قَدَّرَكَ لَطِيبَةٌ ، قَالَ : نَعَمْ لَا رَغِيفِي مَالِكٍ وَصَحْنَاهُ فَرَقْدَ .

طَلِبَ أَبُو قِلَابَةَ لِلْقَضَاءِ فَلَحِقَ بِالشَّامِ هَرَبًا ، فَأَقَامَ حِينًا ثُمَّ قَدِمَ الْبَصْرَةَ ، قَالَ
أَيُّوبُ فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ وَلَيْتَ الْقَضَاءَ وَعَدَلْتَ بَيْنَ النَّاسِ رَجَوْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ
أَجْرًا ، قَالَ لِي : يَا أَيُّوبُ ، إِذَا وَقَعَ السَّابِجُ فِي الْبَحْرِ فَكَمْ عَسَى أَنْ يَسْبَحَ !^(١)

قَالَتْ امْرَأَةُ أَبِي حَازِمٍ يَوْمًا لَهُ : يَا أَبَا حَازِمٍ ، هَذَا الشِّتَاءُ قَدْ هَجَمَ وَلَا يَدُّ لَنَا مِمَّا
يُصْلِحُنَا فِيهِ ، فَذَكَرَتِ الثِّيَابَ وَالطَّعَامَ وَالْحَطَبَ ، فَقَالَ : مِنْ هَذَا كُلُّهُ بُدٌّ ، وَلَكِنْ
خُذِي مَا لَا يَدُّ مِنْهُ : الْمَوْتَ ثُمَّ الْبَعْثَ ثُمَّ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ .

قال أبو العتاهية :

أَطِيعِ اللَّهَ بِجُهْدِكَ * عَامِدًا أَوْ دُونَ جَهْدِكَ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَط * لَبَّ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكَ

وقال أيضا :

أَرَى أَنَا سَاءَ بَادِنِ الدِّينِ قَدْ قَنِعُوا * وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعِيشِ بِالدُّنْيِ
فَاسْتَفْنِ بِالَّذِينَ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَفْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

وقال محمد بن حازم

مَا الْفَقْرُ عَارٌ وَلَا الْغِنَى شَرٌّ * وَلَا سَخَاءٌ فِي طَاعَةِ سَرَفٍ
مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنْتَرَتْهُ تَلَفٌ
تَرَكُّكَ مَالًا لَوَارِثٍ يَتَرُّ * نَدَاهُ وَتَصَلَّى بِحَبْرِهِ أَسَفٌ

١٥

وقال أبو العتاهية :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ * وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالنَّدَمُ
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيَّةٌ نَقِصَةٌ * إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَالَكَ أَوْ حَجَمَ

قال علي بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .
 قيل لابن سيرين : ما أشد الورع ! قال : ما أيسره ! اذا شككت في شيء فدعه .
 قال رجل لحذيفة : أخشى أن أكون منافقا ؛ فقال : لو كنت منافقا لم تخش .
 وقال محمود الوزاق :

يا ناظراً يرؤو بعيني راقب * ومُشاهداً للأمر غير مشاهد
 تصل الذنوب إلى الذنوب وترتبي * درك الجنائف بها وفوز العابد
 ونسيت أن الله أخرج آدم * منها إلى الدنيا بلب واحد
 وقال وضاح اليمن :

مالك وضاح دائم الغزل * ألت تخشى تقارب الأجل
 يا موت ما إن ترأل معترضا * لآمل دون منتهى الأمل^(١)
 تنال كفاك ككل مُسهلة * وحوت بحر ومعقل الويل
 صل لدى العرش واتخذ قدما * تُجيك بعد العثار والزَّل

قيل ليوسف عليه السلام : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ قال :
 أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .
 وقال أمة بن أبي الصلت :

هما طريقان فائز دخل الـ * الجنة حفت به حدائقها
 وفارقة في الجحيم مع فرق الشيطان يشقى بها مرافقها
 تعرف هذا القلوب حقا اذا * همّت بخير فما غوائقها
 وصدها للشقاء عن طلب الـ * الجنة دنيا والله ما حقها

(١) لم يوجد في الأصل من هذا الشطر الا كلمة « الأمل » وقد أثبتناه عن الأغاني في ترجمة
 وضاح اليمن .

عَبْدُ دَعَا نَفْسَهُ فَعَاتَبَهَا * يَعْلَمُ أَنَّ الْبَصِيرَ رَامِقُهَا
 اقْتَرَبَ الْوَعْدَ وَالْقُلُوبُ إِلَى اللَّهِ وَحُبُّ الْحَيَاةِ سَائِقُهَا
 مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الْبَقَاءِ وَأَنْ * تَحْيَا قَلِيلًا وَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا
 أَمَامَهَا قَائِدٌ إِلَيْهِ وَيَحْ * يَدُهَا حَثِيثًا إِلَيْهِ سَائِقُهَا
 قَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّهَا تَصِيرُ كَمَا * كَانَ يَرَاهَا بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا
 وَأَنْ مَا جَمَعْتُ وَأَعْجَبَهَا * مِنْ صَيْشَةٍ مُرَّةٍ مُفَارِقُهَا
 مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا * لِلْمَوْتِ كَأْسٌ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا

قال بعض الزهاد : إن صفاء الزهد في الدنيا وكالمة ألا تأخذ من الدنيا شيئاً ولا تتركه إلا لله ، فإذا كنت كذلك كان أخذك تركاً ومعاملتك لله فيها رجاءً ، وإن صفاء الرغبة في الدنيا وكالمة ألا تأخذ منها شيئاً ولا تتركه إلا لها ، فإذا كنت كذلك كان تركك أخذاً وفوت ما فات عليك منها حسرة .

حبس بعض الملوك رجلاً ثم غفل عنه إلى أن مضى عليه زمان ؛ فقال للوكل به : قل له : إن كل يوم يمضي من نعيمك يمضي من بؤسى ، والأمر قريب ، والحكم الله عز وجل . والسلام .

(١) يقال : مات عبطة إذا مات شاباً هنيئاً

جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين ، وصلاةً وسلاماً
على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى ابراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

يوجد في النسخة الفتوغرافية عقب هذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع
شعرية ونثرية في نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد ، وليست من تأليف
ابن قتيبة .

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

‘UYŪN AL-AḤBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ‘Abdullāh b. Muslim al-Dinawarī
(d. 276 H.)

Vol. II

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٤٠١ / ١٩٩٦

I. S. B. N. 977 - 18 - 0028 - 0

‘UYŪN AL-AḤBĀR